

رسائل جامعته ٦٦

# حجر القرآن العظيم

أنواعها وأحكامها

تأليف

د. محمود بن أحمد بن صالح الدوسري

الدرامية بمزايا السورة الإلهامية والآيات والذميمة والإبراهيمية

دار ابن الجوزي







محفوظ أحمد الدوسري، ١٤٢٨ هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر  
الدوسري، محمود أحمد  
هجر القرآن العظيم: أنواعه وأحكامه. / محمود أحمد الدوسري -  
الرياض، ١٤٢٨ هـ  
٧٩٠ ص؛ ٢٤×١٧ سم.  
ردمك: ٤ - ٨٠٥ - ٥٧ - ٩٩٦٠  
١ - قراءة القرآن أ - العنوان  
ديوي ٢٢٩،١  
١٤٢٨/٣١١٩

## مَجْمَعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

### الطبعة الأولى

مجزء ١ - ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٩ هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب  
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي  
نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته  
إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



## دار ابن الجوزي

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

المملكة العربية السعودية، الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ -  
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تليفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨  
الإحصاء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ -  
فاكس: ٠١/٦٤٦٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تليفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠  
البريد الإلكتروني: [aljawzi@hotmail.com](mailto:aljawzi@hotmail.com) - [www.aljawzi.com](http://www.aljawzi.com)



مَسِيحُ اللَّهِ هَامِيَتَهُ (٦٦)

# هَجْرَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

أَنْوَاءٌ وَأَحْكَامٌ

تَأَلَّفَ

د. مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ الدَّوَسْرِيِّ

(د. هَمْدَانِي) دَرَسَ الْعِلْمَ فِي عِدَّةٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرْكِ  
الرَّعَايَةِ بِوِزَارَةِ الشُّؤْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ وَالذَّعْوَةِ وَالإِشْرَاقِ

دار ابن الجوزي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب أطروحة علمية  
نال بها المؤلف درجة العالمية (الدكتوراه)  
بتقدير: ممتاز سنة ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَلَدَكُمْ مِنْ زَوْجَةٍ وَرَبَّكُمْ مِنْكُمْ رَجُلًا كَثِيرًا وَسَاءَ مَا يَحْكُمُ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْجَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿النساء: ١﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُطِيعُ لَكُمْ أَمْرًا وَنَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

أهمية الموضوع: يشهد العلماء بأن هذا الكتاب هو كتاب الله تعالى.

إنَّ فَضْلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَشَرَفَهُ وَرَفِيعَ قَدْرِهِ وَعُلُوَّ مَكَانَتِهِ أَمْرٌ لَا يَخْفَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَلَامُ خَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَنَا، وَخَبْرُ مَا بَعْدَنَا، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَنَا، هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَوْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارِ قِصَمِهِ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَعَى الْهَدْيَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَنْخَلِقُ عَنِ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَلْقُضِي عِجَابِهِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدْيًا إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ. أَلَا وَإِنَّ كِتَابَنَا لَهُ كُلُّ هَذِهِ الْخَصَائِصِ لِتَعْمَةِ كِبَرِي، تَقَاضَانَا شُكْرًا بِحَسَنِ تَلْقُيْهَا، وَتَطْبِيقِ الْمِبَادِي وَالْقِيمِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا هَذَا الْكِتَابُ الْمَجِيدُ. وَلَقَدْ اقْتَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ أَنْ يَكُونَ اتِّبَاعُهُمُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ سَبِيلاً



لنجاتهم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَمِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَيَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

فالبشريّة الحائرة بأسرها في حاجة إلى نور القرآن؛ لثّمان كرامة الإنسان، ولتخرج من هذا الضنك الذي تحياه، نعم العالم في حاجة إلى القرآن ليكون الحق والعدل أساساً في معاملة الإنسان للإنسان.

وأشدُّ النَّاسِ احتياجاً إليه هم المسلمون؛ ذلك أنّهم لا يستطيعون أن يواجهوا قضايا عصرهم وزمانهم إلا بالقرآن العظيم، يعتصمون به في روابطهم، ويقيمون أحكامه في حياتهم، ويجاهدون به أعداءهم ويصلحون به دنياهم، ويستقبلون به آخرتهم.

من هنا كانت أهمية هذا الموضوع، فإنّ أفضل ما يُقْنَى فيه العمر، ويُعطى له الكثير من الوقت دراسة القرآن العظيم، وهذه الدّراسة لم تتوقّف ولن تتوقّف أبداً بإذن الله تعالى؛ لأنّه يُتلى ويكفي أن يُتلى، لكنّ الذي يتوقّف أحياناً هو التّطبيق، وبه يتباين جيلٌ عن جيل، ويعزُّ ناسٌ ويذلُّ آخرون.

واقع المسلمين اليوم:

ولأننا اليوم نشهد هجراً للقرآن العظيم في أنحاء شتى، فإلى الله - وحده -

المشتكى.

لقد هجر القرآن الحكيم تلاوةً، وزهد الكثير في مذاكرته وحفظه وتدارسه على الرّغم من حرصهم الشّديد على متابعة وسائل الإعلام بشتى طرقها المشروعة وغير المشروعة؛ ليتابعوا بلهفٍ وشوق أخبار من لا خلاق لهم عند الله تعالى.

وهجر القرآن المجيد استماعاً، وارتبط استماع القرآن في أذهان كثير من النَّاسِ بالأحزان والسُّرادات التي تقام للمآتم! بل أقبل النَّاسُ على سماع اللّهُو والغناء ومزمار الشّيطان، وهجروا قرآن الرّحيم الرّحمن!

وهجر القرآن العزيز تدبُّراً، ولو أنزله الله تعالى على الجبال الرّواسي السّامخات لتصدّعت من خشيته، فقسمت القلوب، وتحجّرت العيون، فلا قلب يتدبّر فيخضع، ولا جوارح تنقاد فتخضع، ولا عين تتحرّك فتدمع!

وهُجِرَ القرآنُ العظيمَ عملاً، فبدل أن يكون منهج حياة متكامل يصبح في واقع النَّاسِ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ - آياتٍ تقرأ عند القبور، ويهدى ثوابها للأموال، مع أن هؤلاء الأحياء أحوج منهم إلى ثوابها واتخاذها منهجاً لحياتهم بشتى أشكالها وصورها، أو تصنع منه التَّمائم والأحجية فتعلّق على صدور الغلمان، أو يوضع في البيوت والمحلات والسّيّارات للحفظ والبركة، زعموا!

وهُجِرَ القرآنُ العظيمَ تحاكماً، ووقع المسلمون في المنكر الأعظم، بتنحية كتاب الله عن الحُكم بين النَّاسِ، وأتُّمَّ شَرْعُ اللَّهِ بِالضَّعْفِ وَالعِجْزِ وَالْقَصُورِ وَالتَّخَلُّفِ عَنِ رُكْبِ الحَضَارَةِ، وَجَلَّ مَحَلُّهُ الْقَانُونُ الوُضْعِي الضَّعِيفُ الْقَاصِرُ، يَحْكُمُ فِي الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ! وهُجِرَ القرآنُ الكريمَ استشفاءً وتداوياً، ولجأ النَّاسُ إلى السِّحْرِ وَالْعَرَّافِينَ وَالدَّجَالِينَ يطلبون منهم الشِّفَاءَ وَالدَّوَاءَ لأمراضهم!

فهل من عودة، وهل من أوبة؟ نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

### أوجب الواجبات:

والاعتناء بدراسة القرآن العظيم ومعرفة أسراره لِمَنْ أوجب الواجبات على مَنْ يتفرَّغُ لدراسة علومه؛ ولا سيما إذا كانت الدِّراسة مرَكِّزة، وكانت مجالاً بحثياً أكاديمياً، في زمان تدعو كلُّ أمةٍ إلى كتابها، كيف لا، وقد بات في عداد الأمور المُسَلِّمة: أَنَّ أُمَّةً تَشْرُفُ بِشَرَفِ كِتَابِهَا الْمَنْزَلِ، أَوْ رِسُولِهَا الْمُرْسَلِ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ الشَّرْفَانِ، فَقَدْ وَجِبَ الْبَحْثُ، وَوَجِبَ الْإِتِّبَاعُ.

### أسباب اختيار الموضوع:

إنَّ ممَّا حدا بي إلى اختيار هذا الموضوع أموراً عديدة وأسباباً كثيرة، كان في مُقَدِّمَتِهَا:

١ - القناعة الرَّاسخة بأنَّ هذا الموضوع لم يدرَسْ دراسةً متخصِّصةً تجمع

(١) انظر: فتح الرحمن في بيان هجر القرآن، (ص ٥).



- متفرقة، وتلّم أشتاتَه وجزئياته، وتُعنى به استقراءً واستنباطاً وتحليلاً.
- ٢ - تبيين المسلمين من الغفلة عن القرآن العظيم؛ ليستمسكوا به ويجهدوا في تعلمه وتعليمه وتلاوته وحفظه وتدبره والعمل به.
- ٣ - أن سواداً كبيراً من العالم الإسلامي لا يزال يعيش بعيداً عن القرآن الكريم، وهو في أمس الحاجة إليه؛ لينقذه من الضلالة إلى الهدى.
- ٤ - النظر فيما يبذله أعداء القرآن من تفتن وتبجح في عرض كتبهم المحرّفة، وعقائدهم الباطلة، وأخلاقهم الفاسدة، وقوانينهم الجائرة، في قوالب حديثة مقبولة، ووسائل فنية إعلامية، بأفضل الطرق أعلاها.
- ٥ - تصحيح النظرة الخاطئة والقاهرة التي لا تليق بالقرآن العظيم.

### خطة البحث:

لقد سار البحث في هذا الموضوع في مقدّمة، وبايين، وخاتمة، وذلك كما يلي:

\* المقدّمة: وتشتمل على أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، وواقع المسلمين اليوم، وخطة البحث ومنهجه.

### الباب الأول

معنى (الهجر) وذمُّ فاعله

وفيه فصلان: الأول: تعريف (الهجر) لغة.

الفصل الأول: معنى (هجر القرآن). وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف (الهجر) لغة.

المبحث الثاني: ما جاء في الآيات من ألفاظ الهجر.

المبحث الثالث: ما جاء في الأحاديث من ألفاظ الهجر.

المبحث الرابع: المقصود بـ (هجر القرآن).

المبحث الخامس: حُكْمُ هَجْرِ الْقُرْآنِ.

الفصل الثاني: ذمُّ هجر القرآن. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات الدالة على ذمِّ هجر القرآن.

المبحث الثاني: الأحاديث الدالة على ذم هجر القرآن.

المبحث الثالث: آثار السلف في ذم هجر القرآن.

الباب الثاني

أنواع الهجر

وفيه تسعة فصول:

الفصل الأول: هجر الإيمان بالقرآن (الكفر به). وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الإيمان بالقرآن ومقتضياته.

المبحث الثاني: الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن.

المبحث الثالث: الوعيد على هجر الإيمان بالقرآن.

المبحث الرابع: أنواع التكذيب بالقرآن.

المبحث الخامس: حكم التكذيب بالقرآن.

المبحث السادس: أهل الكتاب وتكذيبهم بالقرآن.

الفصل الثاني: هجر تعظيم القرآن (الاستهزاء به). وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاستهزاء.

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم القرآن.

المبحث الثالث: أساليب الكفار في استهزائهم بالقرآن.

المبحث الرابع: حكم الاستهزاء بالقرآن والاستهانة بالمصحف.

الفصل الثالث: هجر استماع القرآن. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف السَّماع وأنواعه.

المبحث الثاني: مظاهر هجر استماع القرآن.

المبحث الثالث: آداب استماع القرآن.

المبحث الرابع: فضائل استماع القرآن.

المبحث الخامس: حكم الاستماع للقرآن وحكم الإعراض عنه.

المبحث السادس: الآثار الحسنة لاستماع القرآن.

الفصل الرابع: هجر تعلم القرآن وتعليمه. وفيه خمسة مباحث:



- المبحث الأول: مظاهر هجر تعلم القرآن وتعليمه.
- المبحث الثاني: آداب مُعَلِّم القرآن ومُتَعَلِّمِه.
- المبحث الثالث: فضائل تعلم القرآن وتعليمه.
- المبحث الرابع: أحكام تعلم القرآن وتعليمه.
- المبحث الخامس: همّة السلف في تعلم القرآن وتعليمه.
- الفصل الخامس: هجر تلاوة القرآن. وفيه أربعة مباحث:
- المبحث الأول: مظاهر هجر تلاوة القرآن.
- المبحث الثاني: أسباب هجر التلاوة.
- المبحث الثالث: آداب وأحكام تلاوة القرآن.
- المبحث الرابع: فضائل تلاوة القرآن.
- الفصل السادس: هجر حفظ القرآن. وفيه أربعة مباحث:
- المبحث الأول: حفظ القرآن وتيسيره.
- المبحث الثاني: آداب حفظ القرآن.
- المبحث الثالث: فضائل حفظ القرآن.
- المبحث الرابع: حُكم حفظ القرآن ونسيانه.
- الفصل السابع: هجر تدبر القرآن. وفيه أربعة مباحث:
- المبحث الأول: تعريف التدبر وأهميته وحُكمه.
- المبحث الثاني: أسباب هجر تدبر القرآن.
- المبحث الثالث: الأمور المعينة على تدبر القرآن.
- المبحث الرابع: ثمرات تدبر القرآن.
- الفصل الثامن: هجر العمل بالقرآن. وفيه خمسة مباحث:
- المبحث الأول: وجوب العمل بالقرآن.
- المبحث الثاني: فضائل العمل بالقرآن.
- المبحث الثالث: النبي ﷺ يوصي بالعمل بالقرآن.
- المبحث الرابع: الصحابة رضوان الله عليهم يتواصلون بالعمل بالقرآن.

المبحث الخامس: نماذج من عمل الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن.  
الفصل التاسع: هجر التحاكم إلى القرآن. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أدلة وجوب التحاكم إلى القرآن.

المبحث الثاني: أسباب هجر التحاكم إلى القرآن.

المبحث الثالث: الآثار الحسنة للحكم بما أنزل الله.

المبحث الرابع: الآثار السيئة للحكم بغير ما أنزل الله.

\* الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث، ختم الله لنا بالحسنى.

\* الفهارس: وتشتمل على فهارس للأحاديث، والآثار، وتراجم الأعلام، والألفاظ ومعانيها، والفروق اللغوية، والأشعار، والأماكن، والأحكام الفقهية، والآداب، والفضائل، والبدع، وثبت المصادر والمراجع، والمحتوى. وقد تم استثناء (فهرس الآيات)؛ لكثرتها وامتلاء صفحات البحث بها.

### منهج البحث:

تسيراً على القارئ الكريم أبين طريقة عملي في هذا البحث، وهي كالآتي:

١ - يسير هذا البحث على الطريقة الاستقرائية<sup>(١)</sup> في تتبع كل ما يدخل تحت مسمى «هجر القرآن العظيم» من الآيات، والأحاديث، وأقوال أهل العلم. ويسير كذلك على الطريقة الاستنباطية<sup>(٢)</sup> في تحليل الآيات؛ والأحاديث، وسائر النصوص المتعلقة بموضوع البحث.

٢ - الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها، وكذلك اللجوء إلى المصادر الحديثة عند تعذر الحصول على المطلوب من المصادر القديمة.

٣ - عزو الآيات القرآنية بأرقامها إلى سورها.

(١) المنهج الاستقرائي: هو «تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً».

«ضوابط المعرفة والاستدلال والمناظرة، لعبد الرحمن حبنكة الميداني (ص ١٨٨)».

(٢) المنهج الاستنباطي: هو «ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها».

«البحث العلمي، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعه (١/١٧٨)».



٤ - تخريج الأحاديث والآثار وعزوها إلى مراجعها من كتب السنة، مع ذكر أقوال أهل العلم في درجتها ما أمكن، ما لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

٥ - إثبات أسماء المصادر والمراجع في الهامش بما اشتهرت به. نحو: «تفسير أبي السعود» بدلاً من «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، و«تفسير ابن كثير» بدلاً من «تفسير القرآن العظيم» وهكذا... مع إثبات الاسم الحقيقي والاسم المشهور في ثبت المصادر والمراجع.

٦ - التعريف بكل علم - في الهامش - عند وروده أول مرة في صلب البحث، مستنياً الأنبياء والمرسلين ﷺ؛ فإنهم أرفع من التعريف بهم، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم؛ لشهرتهم.

٧ - العناية بشرح الألفاظ الغريبة، أو المصطلحات الواردة في البحث ما أمكن.

٨ - التفريق - في الهامش - بين عبارة: (المصدر نفسه)، وبين عبارة: (المصدر السابق). على النحو الآتي:

أ - إذا أطلقت عبارة: (المصدر نفسه) فالمقصود بذلك: المصدر الأخير المتكرر مباشرة بدون فاصل.

ب - إذا أطلقت عبارة: (المصدر السابق) فالمقصود بذلك: المصدر قبل الأخير، أي بينهما فاصل.

وإني إذ أقوم بهذه الدراسة عن «هجر القرآن العظيم» لا أدعي بلوغ الكمال؛ لأنَّ النقص من طبيعة البشر، والكمال لله وحده، وإنما حسبي أنني حاولت - قدر المستطاع - أن يأخذ هذا الموضوع مكانه اللائق به في الدراسات القرآنية.

شكر وتقدير:

ويطيب لي: أن أشكر كلَّ مَنْ مدَّ لي يد العون والمساعدة في هذا العمل العلمي، ووقَّر لي من جهده ووقته، وما أسدى إليَّ من ملاحظات وتوجيهات. فجزى الله الجميع عني كلَّ خير.

وأستأنس في نهاية هذه المقدمة بما جاء عن ابن الوردي رحمته الله حيث قال: «فالناس لم يُصنّفوا في العلم لكي يصيروا هدفاً للذمّ، ما صنّفوا إلا رجاء الأجر، والدّعوات، وجميل الذكر، لكن فديتُ جسداً بلا حسدٍ، ولا يُضيع الله حقاً لأحد، والله عند قول كلِّ قائلٍ، وذو الحجا من نفسه في شاغلٍ، فإذا ظفرت أيها الطالب بمسألةٍ فاخِمْ، فادعُ لي بحُسن الخاتمة، وإذا ظفرت بعثرةٍ، فادعُ لي بالتّجاوز والمغفرة»<sup>(١)</sup>.

وكتبه

د. محمود بن أحمد الدوسري

الدّاعية بوزارة الشؤون الإسلامية

والأوقاف والدّعوة والإرشاد

بالمملكة العربية السعودية

Dosary33@hotmail.com

الدمام ص.ب: ٢٧٧٩ - ر.ب: ٣١٤٦١

(١) نقلاً عن: إعانة الطالبين على حلّ ألفاظ فتح المُعين، للسيد البكري الدميّاطي (٤/٣٤٤).





## الباب الأول

### معنى (الهجر) وذمُّ فاعله

وفيه فصلان:

الفصل الأول: معنى (هجر القرآن).

الفصل الثاني: ذمُّ هجر القرآن.







## المبحث الأول

## تعريف «الهجر» لغة

الهجر في اللُّغة مصدر مشتقُّ من الفعل «هَجَرَ»، وقد ذكر عدد من علماء اللُّغة لهذا الفعلِ ومشتقَّاته استعمالات عديدة، وسوف نَعْرِضُ المعاني التي تتعلَّق بموضوع البحث على النَّحو التَّالِي:

- \* قال ابن فارس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>: «الهَاءُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى قِطْعَةٍ وَقَطْعٍ، وَالْآخَرُ: عَلَى شَيْءٍ وَرَبِطَةٍ»<sup>(٢)</sup>.
- \* وَالْهَجْرُ: ضِدُّ الْوَضْلِ، وَالْتِهَاجُ: التَّقَاطُعُ<sup>(٣)</sup>.
- \* وَهَجَرَهُ يَهْجُرُهُ هَجْرًا وَهَجْرَانًا بِالْكَسْرِ: صَرَمَهُ وَقَطَعَهُ.
- \* وَهَجَرَ الشَّيْءَ يَهْجُرُهُ هَجْرًا: تَرَكَهُ وَأَخْفَلَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ<sup>(٤)</sup>.
- \* يُقَالُ: هَجَرَ زَوْجَهُ: اعْتَزَلَ عَنْهَا وَلَمْ يَطْلُقْهَا<sup>(٥)</sup>.
- \* «وَهَاجَرَ الْقَوْمُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ: تَرَكَوا الْأَوْلَى لِلثَّانِيَةِ، كَمَا فَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ»<sup>(٦)</sup>.

- (١) هو إمام اللغة المحدث أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي المالكي، كان منظرًا متكلمًا، بصيرًا بالأدب والفقه المالكي. من مصنفاته: «معجم مقاييس اللغة»، و«المجمل». توفي سنة (٣٩٥هـ).
- انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠٣/١٧).
- (٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٦٠٠)، مادة: (هجر).
- (٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣١/١٥ - ٣٢)، مادة: (هجر)؛ مختار الصحاح، للرازي (ص ٣٢٤)، مادة: (هجر).
- (٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٤/٣٩٦)، مادة: (هجر).
- (٥) انظر: المعجم الوسيط، لجماعة من الباحثين (ص ٩٧٢)، مادة: (هجر).
- (٦) معجم مقاييس اللغة (٢/٦٠٠).

والمُهَاجِرَةُ فِي الْأَصْلِ: مُصَارَمَةُ الْغَيْرِ وَمُتَارِكَتُهُ<sup>(١)</sup>

\* ويكون الهجر: بالبدن وباللسان وبالقلب، كما ذكر ذلك الرَّاعِبُ الأصفهاني<sup>(٢)</sup> كَلَّفَهُ بقوله: «الهِجْرُ وَالهِجْرَانُ مُفَارَقَةُ الْإِنْسَانِ غَيْرِهِ إِمَّا بِالْبَدَنِ أَوْ بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْقَلْبِ». قال تعالى: ﴿وَأَفْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِجِ﴾ [النساء: ٣٤]. كناية عن عدم قُرْبِهِمْ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. فهذا هجر بالقلب أو باللسان. وقوله: ﴿وَأَهْجُرْتُمْ هُنَّ جَمِيلًا﴾ [المزمل: ٤١٠]. يَحْتَمِلُ الثَّلَاثَةَ، وَمَدْعُوٌّ إِلَى أَنْ يَتَحَرَّى أَيَّ الثَّلَاثَةِ إِنْ أَمَكَّنَهُ مَعَ تَحَرِّيِ الْمُجَامَلَةِ، وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْنِي مِلًّا﴾ [مريم: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَالرَّجْرَجَ فَأَهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]. فَحَتْ عَلَى الْمُفَارَقَةِ بِالْوَجُوهِ كُلِّهَا<sup>(٣)</sup>.

\* ومن معاني الهجر: الفُحْشُ فِي الْكَلَامِ وَالْهَدْيَانُ يُقَالُ: أَهْجَرَ فِي مَنْطِقِهِ يُهْجِرُ إِهْجَارًا، إِذَا أَفْحَشَ. وكذلك إذا أَكْثَرَ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَنْبَغِي. والاسم: الْهُجْرُ، بِالضَّمِّ.

\* وَهَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا، بِالْفَتْحِ، إِذَا خَلَطَ فِي كَلَامِهِ، وَإِذَا هَدَى<sup>(٤)</sup>.

\* وَالْهَاجِرَاتُ: هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي فِيهَا فُحْشٌ.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْرِبِينَ بِمِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

\* ومن معاني الهجر: الاستهزاء. يقال: أهجرت بالرجل: استهزأت به، وقلت فيه قولاً قبيحاً<sup>(٥)</sup>.

\* وَأَهْجَرَ فُلَانٌ: إِذَا أَتَى بِهْجْرٍ مِنَ الْكَلَامِ عَنْ قَصْدٍ.

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص ٥١٤)، مادة: (هجر).

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب، توفي سنة (٥٠٢هـ). قال الذهبي عنه: «كان من أذكى المتكلمين». ومن مصنفاته: «المفردات في غريب القرآن»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«محاضرات الأدباء».

انظر: شذرات الذهب، لابن العماد (٣/٣٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٨/١٢٠).

(٣) المصدر السابق (ص ٥١٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/٢٤٥)، مادة: (هجر).

(٥) انظر: المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي (ص ٣٢٦)، مادة: (هجر).

## تعريف (الهجر) لغة

- \* وَهَجَرَ الْمَرِيضُ: إِذَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ<sup>(١)</sup>.
- \* وَالْهَجِيرُ وَالْهَاجِرَةُ: نِصْفُ النَّهَارِ فِي الْقَيْظِ خَاصَّةً، وَهَجَرَ تَهْجِيرًا: سَارَ فِي الْهَاجِرَةِ<sup>(٢)</sup>.
- \* وَسُمِّيَتْ هَاجِرَةً: لِأَنَّ النَّاسَ يَسْتَكِنُونَ فِي بَيْوتِهِمْ، كَأَنَّهُمْ قَدْ تَهَاجَرُوا<sup>(٣)</sup>.
- وَكَانَ هَذِهِ السَّاعَةَ هَجَرَتِ النَّاسَ وَهَجَرَتْ لِذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.
- \* وَالْهَجِيرُ: الْمَهْجُورُ الْمَتْرُوكُ<sup>(٥)</sup>.
- \* وَالْهَجِيرُ: يَبْسُ النَّبْتِ الَّذِي كَسَرَتْهُ الْمَاشِيَةُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ: لِأَنَّ الرَّاعِي يَهْجِرُهُ<sup>(٦)</sup>.
- \* وَالْهَجَارُ: حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ الْفَحْلُ قَيْصِيرُ سَبَابٍ لَهْجَرَانِهِ الْإِبِلَ، وَفَحْلٌ مَهْجُورٌ: أَي مَشْدُودٌ بِهِ، وَهَجَارُ الْقَوْسِ: وَتَرَاهَا، وَذَلِكَ تَشْبِيهُ بِهَجَارِ الْفَحْلِ<sup>(٧)</sup>.
- خلاصة القول:

على ضوء ما تقدم فإن مادة «هَجَرَ» ومشتقاتها في لغة العرب تدور حول معانٍ عدَّة، وهي على النحو الآتي:

- ١ - البُعْدُ عن الوصل الذي ينبغي، من الألفة، وجميل الضُّحبة.
- ٢ - الفحش في الكلام وما لا ينبغي من القول: وهو بُعْدٌ عن الصَّواب.
- ٣ - مجانية الشيء: وهو بُعْدٌ عنه، وأُخِذَ فِي جَانِبٍ آخَرَ عَنْهُ.
- ٤ - هَذْيَانُ الْمَرِيضِ: وَهُوَ بُعْدٌ عَنْ نِظَامِ الْكَلَامِ.
- ٥ - انْتِصَافُ النَّهَارِ: وَهُوَ بُعْدٌ عَنْ طَرَفَيْهِ الْمَحْمُودَيْنِ، فِي اعْتِدَالِ الْهَوَاءِ وَإِمْكَانِ التَّصَرُّفِ.
- ٦ - الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْبَعِيرُ: وَهُوَ الَّذِي أَبْعَدَهُ عَنْ اسْتِرْسَالِهِ فِي تَصَرُّفِهِ.

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٥١٥).

(٢) انظر: المصباح المنير (ص ٣٢٦).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٦٠٠)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ٦٣٨).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٥١٥).

(٥) انظر: المعجم الوسيط (ص ٩٧٣). (٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٦٠٠).

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٥١٥).





## المبحث الثاني

## ما جاء في الآيات من ألفاظ الهجر

وردت مادة «هجر» وما يُشتقُّ منها في الآيات القرآنية في مواطن كثيرة، نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود:

## ١ - التَّرك والإعراض:

\* وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. «والمهجور: المتروك والمفارق»<sup>(١)</sup>.

والمعنى: أنهم تركوا القرآن فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به، ولم يعملوا بما فيه<sup>(٢)</sup>.

\* وأيضاً في قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعَمًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]. أي: تُعرضون عن النبي ﷺ، أو الإيمان، أو القرآن، وتتركون ذلك كله<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - الإفحاش في القول:

\* وذلك في قراءة نافع<sup>(٤)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بضمّ التاء وكسر الجيم، في

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤٣/١٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣٦٨/٣)، تفسير الشوكاني (٧٣/٤).

وسياطي بسط الأقوال في تفسير الآية في «المبحث الأول» من «الفصل الثاني» تحت عنوان: (الآيات الدالة على ذم هجر القرآن).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤١/١٨)، تفسير البغوي (٣١٣/٣).

وفي الآية أقوال أخر، وهي من اختلاف التنوع لا التضاد. وسياطي بسطها عند الحديث عن: (الآيات الدالة على ذم هجر القرآن).

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رزيم الأصبهاني، مولى جَعونة بن شعوب =

الآية السابقة<sup>(١)</sup>.

من الإهجار وهو الإفحاش في القول، بمعنى: تُفحشون في الكلام، وتقولون الخنا. يقال: أهُجَرَ الرَّجُلُ: إذا أْفَحَشَ في القول. وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - الانتقال من بلدٍ إلى بلدٍ لأجل الدين:

وفي ذلك آيات كثيرة من كتاب الله تعالى، منها:

\* قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦].

فقوله: ﴿فَمَنْ لَّهُ لُوطٌ﴾: أي صدق إبراهيم لوط، واتبعه وهاجر معه. والضمير في ﴿قَالَ﴾ غائد إلى إبراهيم ﷺ، أي: أعلن أنه مهاجرٌ ديار قومه؛ وذلك لأن الله تعالى أمره بمفارقة ديار أهل الكفر، وهو أول من هاجر في سبيل الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عاشور<sup>(٤)</sup> رحمه الله: «وهذه أول هجرة لأجل الدين؛ ولذلك جعلها هجرة إلى ربه. والمهاجرة مفاعلة من الهجر: وهو ترك شيء كان مُلَازِمًا له،

= الشَّجعي. صدوق ثبت في القراءة، قال مالك: «نافع إمام الناس في القراءة، وقال: قراءة نافع سنة». وقال عنه أحمد بن حنبل: «كان يؤخذ عنه القرآن، وليس بشيء في الحديث». وقال أبو عبيد: «والى نافع صارت قراءة أهل المدينة وبها تمسكوا إلى اليوم». كان محتسباً فيه دُعابة، وكان أسود شديد السواد. من أظهر الناس خُلُقًا، زاهدًا جوادًا، صلى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة. توفي سنة (١٦٩هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٦/٧)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (٧/٧)، تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ٩٩٥).

(١) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي (ص ٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٠/١٨)، تفسير البغوي (٣/٣١٣).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/٣٣٩)، تفسير البغوي (٣/٤٦٥).

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، وهو من أعضاء المَجْمَعين العربيين في دمشق والقاهرة، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، وتوفي سنة (١٣٩٣هـ). من مصنفاته: «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و«تفسير التحرير والتنوير»، و«أصول الإنشاء والخطابة». انظر: الأعلام، للزركلي (٦/١٧٤).



ما جاء في الآيات من ألفاظ الهجر

والمُفاعلة للمبالغة، أو لأنَّ الذي يهجر قومه يكونون هم قد هجروه أيضاً<sup>(١)</sup>.  
 \* قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ  
 يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
 رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

«هذا في بيان الحث على الهجرة، والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح،  
 فَوَعَدَ الصَّادِقُ فِي وَعْدِهِ، أَنَّ مَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِهِ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، أَنَّهُ يَجِدُ مِرَاعِمًا  
 فِي الْأَرْضِ وَسَعَةً، فَالْمِرَاعِمُ: مُشْتَمَلٌ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا، وَالسَّعَةُ: عَلَى مَصَالِحِ  
 الدُّنْيَا.»

وذلك أن كثيراً من النَّاسِ يتوهم أنَّ في الهجرة شتاتاً بعد الألفة، وفقراً بعد  
 الغنى، وذلاً بعد العز، وشدة بعد الرِّخاء. والأمر ليس كذلك، فإنَّ المؤمن ما  
 دام بين أظهر المشركين، فدينه في غاية النقص؛ لا في العبادات القاصرة عليه؛  
 كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات المتعدية؛ كالجهاد بالقول والفعل، وتوابع  
 ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصدد أن يفتن عن دينه، خصوصاً إن كان  
 مستضعفاً. فإذا هاجر في سبيل الله، تمكن من إقامة دين الله، وجهاد أعداء الله،  
 ومراغمتهم.

فإنَّ المراغمة اسم جامع لكلِّ ما يحصل به إغاطة لأعداء الله، من قول  
 وفعل، وكذلك ما يحصل له سعة في رزقه، وقد وقع كما أخبر الله تعالى.

واعتُبر ذلك بالصَّحابة رضي الله عنهم، فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتركوا  
 ديارهم، وأولادهم، وأموالهم لله، كَمُلَ بذلك إيمانهم، وحصل لهم من الإيمان  
 التَّام، والجهاد العظيم، والنصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم. وكذلك  
 حصل لهم، ما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما كانوا به أغنى  
 النَّاسِ.

وهكذا كُلُّ مَنْ فَعَلَ فَعْلَهُمْ، يَحْصُلُ لَهُ مَا حَصَلَ لَهُمْ، إِلَى يَوْمِ  
 الْقِيَامَةِ<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير (٢٠/١٦٠). (٢) تفسير السعدي (١/٣٩٣-٣٩٤).

## ٤ - هجر الزوجة في الفراش:

\* قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤].

اختلف أهل التأويل في المراد بهجر الزوجة في المضجع على أقوال:

١ - الهجر في المضجع: بترك الجماع، وترك الكلام في شأنه.

٢ - ترك النوم معها في فراش واحد.

٣ - أن يكلمها هجراً وفحشاً وسوءاً من القول والكلام<sup>(١)</sup>.

## ٥ - الانفراد والعزلة والابتعاد:

وذلك في عدة آيات، منها:

\* قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الزمل: ١٠].

هذه الآية - عند المفسرين كافة - منسوخة بآية السيف<sup>(٢)</sup>، غير أن العبرة هنا

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

«فالهجر الجميل: هو الذي يقتصر صاحبه على حقيقة الهجر، وهو ترك

المخالطة، فلا يقربها بجفاء آخر أو أذى، ولما كان الهجر ينشأ عن بغض

المهجور، أو كراهية أعماله، كان مُعْرَضاً لأن يتعلّق به أذى من سب أو ضرب

أو نحو ذلك. فأمر الله رسوله بهجر المشركين هجراً جميلاً، أي أن يهجرهم ولا

يزيد على هجرهم سباً أو انتقاماً»<sup>(٣)</sup>.

\* قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَنْتَهُ لَأَرْجَمَنَّكَ

وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [الحريم: ٤٦].

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾.

١ - فقال بعضهم: المعنى: أهجرتني حيناً طويلاً ودهراً. والمليّ عندهم هو

الملاوة من الرمان؛ وهو الرمن الطويل، وهذا قول مجاهد، والحسن، وسعيد بن

جبير، والسدي، وابن إسحاق.

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/٦٣ - ٦٤).

(٢) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٨/٣٩٢)، تفسير الشوكاني (٥/٣١٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/٢٥٠).

٢ - وقال آخرون: المعنى: اهجرني سالماً من عقوبتي لك. والمليّ عندهم: هو السلامة. يقال: فلان مليّ بهذا الأمر: إذا كان مضطرباً به غنياً فيه. أي: اهجرني، وعرضك وافز من عقوبتي، وجسّمك معافى من أذاي. وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

وقد رجّح الطبري<sup>(١)</sup> كقوله القول الثاني. أي: اهجرني سوياً سليماً من عقوبتي؛ لأنه عقب قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْحَمَنَّكَ﴾، فهو وعيد له، بأنه إن لم ينته، فسوف يرجّمه بالقول، والأولى له أن ينتهي عن كلامه معه، قبل أن تناله عقوبته<sup>(٢)</sup>. \* قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

هذه الآية فيها قراءتان<sup>(٣)</sup>:

الأولى: قراءة حفص عن عاصم: ﴿وَالرُّجْزَ﴾ بضم الراء، على أنه اسم صنم. أي: اهجر عبادة الأصنام، واترك خدمتها. الثانية: قراءة الباقرين: ﴿وَالرُّجْزَ﴾ بكسر الراء، بمعنى العذاب. أي: اهجر ما يوجب لك العذاب من الأقوال والأعمال.

وبناء على ذلك: اختلف أهل التأويل في معنى الرجز:

- ١ - فقال بعضهم: هو الأصنام. فأمر أن يهجر عبادة الأصنام. وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهرى، وابن زيد.
- ٢ - وقال آخرون: هو المعصية والإثم، فأمر أن يهجر المعصية والإثم. وهذا قول إبراهيم النخعي، والضحاك<sup>(٤)</sup>.

وهكذا نرى أن الأصل في الهجر: التّرك فعلاً كان أو قولاً، وهو المعنى المشترك بين الآيات جميعاً.

(١) هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام العلامة القاري، المحدث، المفسر، المؤرخ، الفقيه صالح التصانيف، ولد بأمل سنة (٢٢٤هـ)، ألف كتباً لم يُصنّف مثلها ومنها: «تفسيره جامع البيان»، و«تهذيب الآثار»، و«تاريخ الأمم والملوك»، توفي ببغداد سنة (٣١٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للدّودي (١١٠/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩١/١٦ - ٩٢).

(٣) انظر: البدور الزّاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص ٣٣٩).

(٤) انظر: المصدر نفسه (١٤٧/٢٩ - ١٤٨).

## المبحث الثالث

## ما جاء في الأحاديث من ألفاظ الهجر

وردت مادة «هجر» وما يُشتقُّ منها في الأحاديث النبوية بألفاظ كثيرة، وصيغ عديدة، نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود:

## ١ - التَّهَاجِرُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ:

\* عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ» الحديث<sup>(١)</sup>.

قال النووي<sup>(٢)</sup> رحمته الله: «في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليالٍ، وإباحتها في الثلاث، الأوَّل: بنصِّ الحديث. والثاني: بمفهومه. قالوا: وإنما عُفِيَ عنها في الثلاث؛ لأنَّ الآدمي مجبول على الغضب، وسوء الخلق، ونحو ذلك، فَعُفِيَ عن الثلاثة ليذهب ذلك العارض»<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - الهَجْرَةُ لِأَجْلِ الدِّينِ:

\* عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَزِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَفْرَمْتُمْ فَأَنْفِرُوا»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب: تحريم الهجر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي (١٩٨٤/٤) (ح/٢٥٦٠).

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن (أبو زكريا)، الفقيه الشافعي الدمشقي الحافظ الزَّاهد القدوة، ولد سنة (٦٣١هـ)، كان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً، من تصانيفه: «شرح صحيح مسلم»، و«المجموع شرح المهذب»، و«الأذكار»، و«رياض الصالحين»، و«التقريب والتيسير في مختصر الإرشاد»، توفي سنة (٦٧٦هـ). انظر: شذرات الذهب (٣٥٤/٥).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١١٧/١٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير (٨٦١/٢) (ح/٢٧٨٣) =



ما جاء في الأحاديث من الفاظ الهجرة

\* وعن معاوية رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يقول: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»<sup>(١)</sup>.

وقد جَمَعَ العلماء - رحمهم الله - بين هذين الحديثين ممَّا أزال التَّعارض الظَّاهر بينهما بقولهم: إنَّ الهجرة من مكَّة إلى المدينة مع الإقامة بها مع النَّبي ﷺ، والجهاد بين يديه، قد انقطعت، ولا تكون أبداً.

وأما غيرها من أنواع الهجرة، فذلك باقٍ، لم يزل، ولن ينقطع حَتَّى تطلع الشَّمس من مغربها، وذلك مثل الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام، وكذلك الخروج من موضع غَلَب عليه المنكر، إلى موضع ليس فيه ذلك<sup>(٢)</sup>.

٣ - ترك ما نهى الله عنه:

\* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

الهجرة في هذا الحديث: باطنة: وهي لازمة للعباد لا تنفك عنهم أبداً، بترك ما نهى الله عنه، وظاهرة: وهي هجرة مَنْ فَرَّ بدينه من الكفر أو الفتن.

وقد أشار ابن حجر رحمته الله<sup>(٤)</sup> إلى هذين النوعين فقال:

«الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة.

= وياب: لا هجرة بعد الفتح (٢/ ٨٧٤) (ح ٢٨٢٥)؛ ومسلم، كتاب الإمارة، باب: المبيعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير (٣/ ١٤٨٧) (ح ١٨٦٣).

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت (٣/ ٣) (ح ٢٤٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٧٠) (ح ٢١٦٦).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٦/ ١٩٠) (٧/ ٢٢٩ - ٢٣٠)؛ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري (٥/ ٢٣٣)؛ معالم السنن، للإخطابي (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١/ ٢٩) (ح ١٠)؛ وكتاب الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي (٤/ ٢٠٣٤) (ح ٦٤٨٤).

(٤) هو الإمام الحافظ الشهير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده بمصر سنة (٧٧٣هـ)، له تصانيف لا تحصى، من أشهرها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«لسان الميزان»، و«تهذيب التهذيب»، و«تقريب التهذيب»، و«يلوغ المرام من أدلة الأحكام» وغيرها. توفي سنة (٨٥٢هـ).

فالباطنة: ترك ما تدعو إليه النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ وَالشَّيْطَانُ. وَالظَّاهِرَةُ: الفرار بالدين من الفتن. وَكَانَ المهاجرين حُوطِبُوا بذلك، لئلا يتكلموا على مجرد التَّحَوُّلِ من دارهم، حتَّى يمثّلوا أوامر الشَّرِّ ونواهيهِ، ويحتمل أن يكون ذلك بعد انقطاع الهجرة، لما فتحت مَكَّةَ، تطيباً لقلوب مَنْ لم يدرك ذلك، بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه، فاشتملت هاتان الجملتان على جوامع من معاني الحِكمِ والأحكام<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - القول الباطل:

\* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَهَجَّرُوا، وَلَا تَذَابِرُوا، وَلَا تَحَسَّنُوا» الحديث<sup>(٢)</sup>.

قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تهجروا): يحتمل أحدَ معنيين:

الأوّل: النهي عن التَّهَاجُرِ ومقاطعة الكلام.

الثَّاني: النهي عن التَّكَلُّمِ بالهَجْر - بضم الهاء - وهو الكلام القبيح<sup>(٣)</sup>.

\* وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فَرَّوْرُهَا؛ فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»<sup>(٤)</sup>.

قال النووي رحمته الله: «والهَجْر: الكلام الباطل، وكان النهي أولاً لقرب عهدهم من الجاهلية فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما استقرت قواعد الإسلام، وتمهّدت أحكامه، واشتهرت معالمه أبيض لهم الزيارة،

انظر: البدر الطالع (١/٨٧).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٧٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجس ونحوها (٤/١٩٨٥) (ح ٢٥٦٣).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٣٣٦).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرک»، كتاب الجنائز (١/٥٣٢) (ح ١٣٩٣).  
وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/٨٤١) (ح ٤٥٨٤).

واحتاط ﷺ بقوله: (ولا تقولوا هُجراً) (١).

وقد وقع في زماننا هذا عين ما حذر منه أنصح الخلق ﷺ، ذلك أن بعض عوام المسلمين لدى زيارتهم للقبور يتوسلون بالموتى ويدعونهم من دون الله ويستغيثون بهم، وهذا من أكبر الهُجر والكلام الباطل (٢).

### ٥ - ترك فراش الزَّوج:

\* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ» (٣).

هذا الحديث ليس على ظاهره في لفظ المفاعلة، بل المراد أن المرأة هي التي هجرت، وقد تأتي لفظة المفاعلة ويراد بها نفس الفعل، كما ذكر ذلك ابن حجر رحمته الله (٤).

\* ويدلُّ على ذلك رواية مسلم: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» (٥) فجاء بلفظ اسم الفاعل.

«ومعنى الحديث: أن اللعنة تستمرُّ عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر، والاستغناء عنها، أو بتوبتها، ورجوعها إلى الفراش» (٦).

«ولا يتَّجه عليها اللوم إلا إذا بدأت هي بالهجر فغضب هو لذلك، أو هَجَرها وهي ظالمة فلم تستنصل من ذنبها وهَجَرته، أمَّا لو بدأ هو بهجرها ظالماً لها فلا» (٧).

(١) المجموع (٥/٢٧٧).

(٢) انظر: أحكام الجنائز وبدعها، للالباني (ص ١٧٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب: إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها (٣/١٦٧١) (ح ٥١٩٤).

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٣٦٥).

(٥) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب: تحريم امتناعها من فراش زوجها (٢/١٠٥٩) (ح ١٤٣٦).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١٠/٢٤٩).

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٣٦٥).

## ٦ - ترك اسم الحبيب :

\* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي». قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ <sup>(١)</sup>.

امغاضبة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي مِنَ الْغَيْرَةِ، الَّتِي عُفِيَ عَنْهَا لِلنِّسَاءِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ، لَكَانَ عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَرَجِ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّ الْغَضَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ. وَفِي قَوْلِهَا: (إِلَّا اسْمَكَ) دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ قَلْبَهَا مَمْلُوءَةٌ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَإِنَّمَا الْغَيْرَةُ فِي النِّسَاءِ مِنَ الْمَحَبَّةِ <sup>(٢)</sup>.

وَجَاءَ فِي (فَتْحِ الْبَارِيِّ) عَنِ الطَّبِيِّ <sup>(٣)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَهَذَا الْحَصْرُ لَطِيفٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهَا أُخْبِرَتْ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي حَالِ الْغَضَبِ، الَّذِي يَسْتَلْبُ الْعَاقِلُ اخْتِيَارَهُ، لَا تَتَغَيَّرُ عَنِ الْمَحَبَّةِ الْمَسْتَقَرَّةِ» <sup>(٤)</sup>. عَبَّرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ التَّرْكِ بِالْهَجْرِ؛ لِتَدُلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهَا تَتَأَلَّمُ مِنْ هَذَا التَّرْكِ، الَّذِي لَا اخْتِيَارَ لَهَا فِيهِ، وَهَذَا مِنَ الْهَجْرِ الطَّبِيعِيِّ الْجَائِزِ.

وَكَمَا مَرَّ مَعْنَى سَابِقًا فِي الْآيَاتِ: أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْهَجْرِ: التَّرْكِ فَعَلًا كَانَ أَوْ قَوْلًا، فَكَذَلِكَ هُنَا هُوَ الْمَعْنَى الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ جَمِيعًا.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ: غَيْرَةُ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ (٣/١٦٨١) (ح ٥٢٢٨)، وَكِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ: مَا يَجُوزُ مِنَ الْهَجْرَانِ لِمَنْ عَصَى (٤/١٩١٨) (ح ٢٠٧٨)؛ وَالْأَدَبُ الْمَفْرَدُ (١/١٤٦) (ح ٤٠٣)؛ وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ: فِي فَضْلِ عَائِشَةَ وَ (٤/١٨٩٠) (ح ٢٤٣٩).

(٢) عَمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، لِمَحْمُودِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَيْنِيِّ (٢٢/١٤٤)، وَانظُرْ: صَحِيحُ مُسْلِمٍ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ (١٥/٢٠٣).

(٣) هُوَ الْحَسِينُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّبِيِّ (شَرَفِ الدِّينِ): مِنْ أَهْلِ تَوْرِيذٍ، مِنْ عِرَاقِ الْعَجْمِ. مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالبَيَانِ، قَالَ ابْنُ حَجْرٍ عَنْهُ: «آيَةٌ فِي اسْتِخْرَاجِ الدَّقَائِقِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالتُّنُنِ». كَانَتْ لَهُ ثَرْوَةٌ طَائِلَةٌ مِنَ الْإِرْثِ وَالتَّجَارَةِ، فَانْفَقَهَا فِي وَجْهِهِ الْخَيْرِ، حَتَّى افْتَقَرَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ. مِنْ مَصْنُفَاتِهِ: «التَّبْيَانُ فِي الْمَعَانِي وَالبَيَانِ»، وَ«أَسْمَاءُ الرِّجَالِ»، وَ«فَتْوحُ الْغَيْبِ فِي الْكُشْفِ عَنْ قِنَاعِ الرَّيْبِ»، وَ«شَرْحُ مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ» وَغَيْرَهَا. تُوُفِّيَ سَنَةَ (٧٤٣هـ)؛ انظُرْ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ، لابْنِ حَجْرٍ (٤/١٥٦).

(٤) فَتْحُ الْبَارِيِّ شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٩/٤٠٥)؛ وَانظُرْ: فَضْلُ اللَّهِ الصَّمَدِ فِي تَوْضِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ، لِفَضْلِ اللَّهِ الْجِيلَانِيِّ (٢/٧٠ - ٧١).



## المبحث الرابع

## المقصود بـ «هجر القرآن»

لم تذكر كتب المصطلحات «هجر القرآن» مصطلحاً، ولكن هناك بعض العلماء الأجلاء من تطرّق إلى الحديث عن هجر القرآن وأنواعه، ومن ذلك:

\* ما ذكره ابن كثير<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال: «كان الكفار إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللَّغَطَ والكلام في غيره، حتّى لا يسمعه، فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضاً من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبيره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه» والعدول عنه إلى غيره من شعرٍ أو قولٍ أو غناءٍ أو لهوٍ أو كلامٍ أو طريقةٍ مأخوذة من غيره من هجرانه<sup>(٢)</sup>.

\* وما ذكره ابن القيم<sup>(٣)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال: «هجر القرآن أنواع: كالتفريط في

(١) هو الحافظ أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي، الشافعي، ولد سنة (٥٧٠٠هـ)، وقدم دمشق وصاهر الحافظ المزني، وصحب ابن تيمية، وتبعه في كثير من آرائه، وامتحن بسبب ذلك وأوذي، كان كثير الحفظ، سهل الاستحضار، انتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. له التفسير المشهور، ثاني كتاب في التفسير بالمأثور بعد تفسير ابن جرير، وله موسوعة التاريخ: «البداية والنهاية» توفي سنة (٥٧٧٤هـ). انظر: شذرات الذهب (٦/٢٣٠)؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (١/١٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/١٢٠).

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تَفَقَّه في مذهب الإمام أحمد وبرع وأفتى، لازم ابن تيمية وأخذ عنه، وتفنّن في علوم الإسلام، وله في كُلِّ فن اليد الطولى. وكان ذا عبادة وتهجد، وقد امتحن وأوذي مرات، وصنّف تصانيف كثيرة، منها: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، و«الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتزلة»، توفي سنة (٥٧٥١هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٢/٤٤٧).

أحدها: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.  
والثاني: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.  
والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لا تفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.  
والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها؛ فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله: «وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» [الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.

والسادس: الحرج الذي في الصدور منه؛ فإنه تارة يكون حرجاً من إنزاله وكونه حقاً من عند الله، وتارة يكون من جهة المتكلم به أو كونه مخلوقاً من بعض مخلوقاته ألهم غيره أن تكلم به. وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها، وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات. وتارة يكون من جهة دلالاته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب، أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مُستكرهة مشتركة. وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق، وإن كانت مرادة، فهي ثابتة في نفس الأمر، أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة.

فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدون في صدورهم. ولا تجد مبتدعاً في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تُخالف بدعته. كما أنك لا تجد ظالماً فاجراً إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته<sup>(١)</sup>.

\* وجاء في موسوعة نضرة النعيم في بيان «هجر القرآن» ما نصّه:

«إن هجر القرآن له جانبان: أحدهما: يتعلّق بالقرآن دون أخذ له، وهذا صنيع الكفّار والمنافقين، والآخر: يتعلّق به بعد الإقرار بأنه كلام الله الذي لا

(١) الفوائد (ص ١٢٣ - ١٢٤)، بتصريف يسير.

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا صنيع بعض المسلمين الذين لا يقرؤون القرآن، أو يقرؤون لا يجاوز حناجرهم، فلا يعملون به، ومن هؤلاء صنف يحفظ القرآن أو شيئاً منه، ثم يهجر القراءة حتى ينسى ما قد يكون حفظه منه»<sup>(١)</sup>.

### المقصود بـ «هجر القرآن»:

من خلال الاستعراض اللغوي لمادة «هَجَرَ»، ومشتقاتها في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وما ذكره بعض أهل العلم في هذا الشأن، نستطيع أن نُقرّر:

بأنَّ «هَجَرَ القرآن» يعني الأمور الآتية:

- ١ - ترك الإيمان به، وعدم الالتفات إليه كليّة.
- ٢ - القول السيئ في القرآن، والزعم الباطل بأنه سحر أو شعر أو أساطير الأولين، وهذا القول القبيح في حقّ القرآن من الاستهزاء به.
- ٣ - الإعراض والبُعد عن القرآن، وعدم سماعه، ورفع الأصوات بالهذيان إذا قرئ لئلاً يُسمع.
- ٤ - ترك العمل به وعدم امتثال أوامره وعدم اجتناب زواجره.
- ٥ - ترك تحكيمه والاحتكام إليه.
- ٦ - ترك تدبّره وتفهُّمه.
- ٧ - ترك تلاوته وحفظه أو نسيانه بعد حفظه.
- ٨ - ترك الاستشفاء والتداوي به.
- ٩ - الحرج الذي في الصُدور منه.



(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لمجموعة من المختصين

## المبحث الخامس

## حُكْم هجر القرآن

يختلف حُكْمُ هجر القرآن الكريم باختلاف نوع الهجر، وحال المهاجر، وقد سبق كلامٌ لابن القيم رحمته الله حول هذا المعنى، وهو قوله: «وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»<sup>(١)</sup>.

وقد ذَكَرَ الألوَسي رحمته الله اختلاف المفسرين في معنى الهجر المذكور في قوله تعالى: «وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» [الفرقان: ٣٠].

وهل المراد بهجره: عدم الإيمان به وتركه تكذيباً، بناءً على أن الهجر - بفتح الهاء - بمعنى التَّرك والإعراض، أو أن الهجر: بمعنى الهذيان فيه واللغو من الهجر بضم الهاء، أو أن المراد بالهجر: تعطيل القرآن وعدم النَّظَر فيه وتعاهده.

ثم قال بعد ذلك: «والحقُّ: أنه متى كان هذا مُخْلًا باحترام القرآن كرهه، بل حرَّم، وإلا فلا»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ما نصّه:

(١) الفوائد (ص ١٢٤).

(٢) هو أبو الثناء، شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الألوَسي، نسبة إلى قرية اسمها «ألوس»، وهي جزيرة في منتصف نهر الفرات، بين الشَّام وبغداد، كانت موطن أجداده. ولد سنة (١٢١٧هـ) في جانب الكرخ من بغداد، جَمَعَ كثيراً من العلوم، فكان مفسراً ومحدِّثاً، وأصولياً فقيهاً، اشتغل بالتدريس والتأليف وانتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي وولِّي المدرسة المرجانية التي كانت مشروطة لأعلم أهل البلد، انفصل من منصب الإفتاء وأكبَّ على تفسير القرآن حتى أنتمه - وهو روح المعاني - توفي سنة (١٢٧٠هـ).

انظر: التفسير والمفسرون، للذهبي (١/ ٣٦٠ - ٣٦٢)؛ معجم المؤلفين، لكحلّة (٣/ ٨١٥).

(٣) روح المعاني، للألوَسي (١٩/ ١٣ - ١٤).



«والإنسان قد يهجر القرآن فلا يؤمن به ولا يسمعه ولا يُصغي إليه، وقد يؤمن به ولكن لا يتعلّمه، وقد يتعلّمه ولكن لا يتلوّه، وقد يتلوّه ولكن لا يتدبّرّه، وقد يحصل التدبّر ولكن لا يعمل به، فلا يُحِلُّ حلاله ولا يُحرّم حرامه، ولا يُحكّمه ولا يتحاكم إليه، ولا يَستشفي به ممّا فيه من أمراضٍ في قلبه وبدنه، فيحصل الهجر للقرآن من الشّخص بقدر ما يحصل منه من الإعراض»<sup>(١)</sup>.

وبناءً على ذلك: فإنّ كان هجر القرآن بترك الإيمان به، أو الإعراض عنه، وعدم التّحاكم إليه بالكليّة، أو اللّغو فيه، فهذا كفر صّراح.

قال النّووي رحمته الله: «أجمعت الأُمَّة على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتزيهه وصيانيته. وأجمعوا على أنّ مَنْ جحد منه حرفاً مُجمَعاً عليه، أو زاد حرفاً لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر، وأجمعوا على أنّ مَنْ استخفّ بالقرآن أو بشيءٍ منه، أو بالمصحف أو ألّقاءه في قاذورة، أو كذّب بشيءٍ مما جاء به من حُكم أو خبر، أو نفى ما أثبتّه أو أثبت ما نفاه، أو شكّ في شيءٍ من ذلك، وهو به عالم كَفَر»<sup>(٢)</sup>.

وإنّ كان هجر القرآن بمعنى التّرك المؤدّي إلى النّسيان بعد الحفظ، فقد ذكر ابن حجر الهيثمي رحمته الله<sup>(٣)</sup> أنه من الكبائر، وقال بأنّ ذلك هو ما ذهب إليه الرّافعي<sup>(٤)</sup> وغيره، ونقل عن بعض العلماء أنّ محلّ كون نسيان القرآن كبيرة - عند

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤/ ١٠٣ - ١٠٤)، من الفتوى رقم (٨٨٤٤).

(٢) المجموع (٢/ ١٩٣). وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٨٨).

(٣) هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، السعدي، الأنصاري، الشافعي، ولد بمصر سنة (٩٠٩هـ) في محلة أبي الهيثم المنسوب إليها، برع في علوم كثيرة، وازدهم الناس على الأخذ منه، له مصنفات كثيرة منها: «شرح المشكاة»، و«شرح المنهاج»، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر». توفي بمكة سنة (٩٧٣هـ).  
انظر: مقدمة كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٨ - ١٠).

(٤) هو أبو القاسم، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل الرافعي، القزويني، الشافعي، ولد سنة (٥٥٥هـ) فقيه، مُحدّث، مفسّر، مؤرّخ. قال أبو عبد الله الإسفراييني: «كان أوحد عصره في العلوم الدّينية أصولاً وفروعاً، ومجتهد زمانه في المذهب، وفريد وقته في التّفسير». وكان زاهداً ورعاً متواضعاً. ومن مصنفاته: «فتح العزيز على كتاب =

مَنْ قَالَ بِهِ - مشروطٌ بأن يكون عن تكاسل وتهاون، وهذا احترازٌ عمَّا لو اشتغل عن القرآن بمرضٍ مانعٍ من القراءة، وعدم التأنيم بالنسيان حينئذٍ واضح؛ لأنه مغلوبٌ عليه لا اختيار له فيه<sup>(١)</sup>.

وأما إن كان الهجر مُتعلِّقاً بعدم العمل به - مع الإيمان به، والإقرار بأنه كلام الله تعالى يجب أتباعه - فذلك معصية يتوقَّف كونها كبيرةً أو صغيرةً على نوع المخالفة ذاتها.

وأما إن كان الهجر بمعنى ترك التلاوة، أو ترك التدبر، أو ترك الاستشفاء به - مع القدرة على ذلك - ولم يفعل، فهو مُؤاخَذٌ على فعله بحسب نوع تقصيره في ذلك، وإن لم يكن قادراً على ذلك فإنَّ الله تعالى لا يُكَلِّفُ نفساً إلاَّ وسعها وما آتاها، ويُسْتثنى في تلاوة القرآن فيما تصحُّ به صلاته كقراءة الفاتحة مثلاً، فإنَّها واجبة على كلِّ مسلم، ولا يجوز تركها بحال<sup>(٢)</sup> وسيأتي تفصيل ذلك كلِّ بِحَسَبِهِ في أنواع هجر القرآن.



= الوجيز للغزالي، و«شرح المحرر» وسمَّاه الوضوح، و«شرح مسند الشافعي». توفي بقزوين سنة (٦٢٣هـ) ودفن بها.

انظر: طبقات المفسرين (١/٢٢٥).

(١) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٢٥٧ - ٢٥٨)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٨٦).

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٦٩٢)؛ المُتَحَف في أحكام المصحف، د. صالح بن محمد الرشيد (ص٧٤٦ - ٧٥٠).



## الفصل الثاني

### ذم هجر القرآن

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات الدّالة على ذمّ هجر القرآن.

المبحث الثاني: الأحاديث الدّالة على ذمّ هجر القرآن.

المبحث الثالث: آثار السّلف في ذمّ هجر القرآن.







## الآيات الدالة على ذم هجر القرآن

تمهيد:

عانى النبي الكريم ﷺ ما عاناه من جفاء قومه الذين لم يتبعوه ولم ينقادوا لدعوته المباركة، وكانت لهم أساليبهم التي واجهوا بها النبي ﷺ؛ من ذلك: إعراضهم عن كتاب الله، فكانوا إذا تليت عليهم الآيات القرآنية في مختلف الأماكن العامة والخاصة ولّوا وأعرضوا عنها وتصامموا - وما بهم من صمم - مستكبرين عن قبولها والانقياد لها.

بل أدى بهم الحال إلى أن يوصي كبيرهم صغيرهم، وغنيهم فقيرهم، وحاضرهم باديهم بعدم الاستماع لهذا القرآن ابتداءً؛ لأنهم على يقين أن كل من استمع لهذا القرآن متجرداً من الموانع والهوى سيقوده استماعه إلى الإيمان بالقرآن العظيم والانقياد له، وهذا ما لا يريدونه ولا يتمنونه.

ومن شدة كراهيتهم للآيات التي تلى عليهم أحياناً يملأهم الغضب والكراهية المؤدية إلى عبوس الوجوه وتقطيعها، ويكاد أن يتحوّل هذا الشعور إلى الفتك بمن يقرأ عليهم القرآن الكريم.

وهناك آيات تتحدث عن جفاء الكفار وإعراضهم عن كتاب الله تعالى، حتى وصل الحال إلى شكوى عظيمة يبثها النبي ﷺ إلى ربه عز وجل بسبب هجر قومه للقرآن العظيم، وهذا ما سنتناوله في هذه المطالب:

## المطلب الأول

## الشُّكْوَى العَظِيمَة

\* قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

شكا الرَّسُول ﷺ إلى رَبِّهِ تبارك وتعالى ما يُعَانِيهِ من عناد قومه واستكبارهم، وإعراضهم عن قبول دعوته، والإيمان بالكتاب الذي جاءهم به. فقد أعرضوا عنه، وهجروه، وتركوه، مع أن الواجب عليهم، الإيمان به، والانتقاد لحكمه<sup>(١)</sup>.

والمقصود من حكاية هذه الشُّكْوَى العَظِيمَة: إنذار كلِّ مَنْ هَجَرَ الْقُرْآنَ الْكَرِيم إلى يوم الدين، بأنَّ صاحب الرِّسَالَة ﷺ قد توجَّه في هذا الشَّان إلى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ يشكو هَجْر قومه الْقُرْآنَ الْعَظِيم.

وقد أُكِّدَت هذه الشُّكْوَى بـ ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾: للاهتمام بها؛ ليكون التَّشْكِي أقوى. والتَّعبير عن قريش بـ ﴿قَوْمِي﴾: لزيادة التَّدْمُر من فعلهم معه؛ لأنَّ من شأن قوم الرَّجُل أن يوافقوه.

وقوله ﴿اتَّخَذُوا﴾: يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ هذا هو دينهم وشأنهم وحالهم مع نبيِّهم المرسل إليهم.

بمعنى: أنَّ الْهَجْر لم يقع عَرَضاً مرة أو مرتين، إنَّما وقع مراراً وتكراراً، فهو أشدُّ مبالغة - في هَجْر الْقُرْآن - من أن يُقال: إنَّ قومي هَجَرُوا الْقُرْآن.

كأنَّما اتَّخَذُوا هذا الْهَجْر صِنْعَةً وِحِرْفَةً، وعقدوا الْعِزْم في ذلك الْاِتِّخَاذ، فهو قرار قَرَرُوهُ، ومنهج اختَطُّوهُ لأنفسهم وللأجيال من بعدهم.

واسم الإشارة في ﴿هَذَا الْقُرْآن﴾: لِتَعْظِيمِهِ، وأنَّ مِثْلَهُ لا يَتَّخَذُ مَهْجُوراً بل هو جدير بالإيمان به، والإقبال عليه، والانتفاع به<sup>(٢)</sup>. والتَّعبير باسم الإشارة

(١) انظر: تفسير السعدي (٤٣٨/٣). (٢) انظر: التحرير والتنوير (٤٢/١٩).



أيضاً؛ لبيان أنه مُتَّاحٌ لهم تعظيمه، فهو بين أيديهم، بالإضافة أنه نزل بلسانهم. فهذه «شكوى عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما فيه من الزَّواجر والقصص والأمثال»<sup>(١)</sup>.

\* وقد اختلف أهل التأويل في معنى وكيفية اتِّخَاذِهِم القرآن مهجوراً على عدَّة أقوال، وهي على النحو الآتي:

١ - التَّرك كلياً:   
بمعنى أن المشركين تركوا الإيمان بالقرآن، ولم يلتفتوا إليه أبداً، قال ابن الجوزي: «وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل»<sup>(٢)</sup>.

٢ - الإعراض والبعد عن القرآن وعدم سماعه:   
قال ابن زيد في معنى الآية: لا يريدون أن يسمعوه، وإن دُعوا إلى الله قالوا: لا. وقرأ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، قال: ينهون عنه، ويبعدون عنه.

ورجح ابن جرير الطبري رحمته الله هذا القول؛ لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَمَلِكٌ مُّقْبِلُونَ﴾ [نصفت: ٢٦]. وذلك هجرهم إيَّاه<sup>(٣)</sup>.

٣ - القول السيِّئ في القرآن، والرَّعم الباطل بأنه سحر، أو شعر، أو أساطير الأولين:

قال مجاهد<sup>(٤)</sup> رحمته الله في معنى الآية: يهَجُرُون فيه بالقول، يقولون:

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٣١٧/٦). (٢) زاد المسير (١٤/٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/١١).

(٤) هو شيخ الفراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، مجاهد بن جبر، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي - وقيل غيره - أشهر تلاميذ ابن عباس، أخذ عنه القرآن والتفسير والفقه، يقول: «عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أوقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت، وكيف كانت». قال عنه قتادة: «أعلم من بقي بالتفسير مجاهد». توفي وهو ساجد سنة (١٠٣هـ)، وقد بلغ: (٨٣) سنة.

انظر: طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥)؛ سيزر أعلام النبلاء (٤٤٩/٤).



تعالى العذاب على قومه بسبب عصيانهم له، فكذلك هنا. فكيف يليق ذلك بمن وصفه الله تعالى بالرحمة في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

[١٠٧]؟

رُدُّهَا:

إِنَّ نُوْحًا ۖ لَّمَّا شَكَا قَوْمَهُ إِلَى رَبِّهِ دَعَا عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ، كَمَا جَاءَ فِي السُّورَةِ نَفْسَهَا: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣١﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلُمُونَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

وأما محمد ﷺ لما بثَّ شكواه إلى ربِّه ما دعا عليهم بل انتظر، فلما عزَّاه الله تعالى وسلَّاه بقوله: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. كان ذلك كالأمر له بالصَّبر على جفاء قومه، فترك الدُّعاء عليهم، فظهر الفرق بين الموقفين<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني

#### السَّمَرُ الْفَاحِشُ

\* قوله تبارك وتعالى: ﴿مَذَّ كَأَنَّهُ أَتَيْتْ ثُمَّ قَلَّتْ وَجَلَّتْ ۖ ذَوَّبَتْ خَلَتْ ۖ أَذْقَتْكُمْ تَطَبَقَتْ ۖ وَأَكَلْتُم بِلَآئِهِ تَتَابَعْتُمْ ۖ وَلَمَّا جَاءَ الْحَمِيمُ أَذْهَبْتُم بِلَآئِهِ تَتَابَعْتُمْ ۖ وَلَمَّا جَاءَ الْحَمِيمُ أَذْهَبْتُم بِلَآئِهِ تَتَابَعْتُمْ ۖ وَلَمَّا جَاءَ الْحَمِيمُ أَذْهَبْتُم بِلَآئِهِ تَتَابَعْتُمْ ۖ﴾ [المؤمنون: ٦٦ - ٦٧].

لَمَّا بَيَّنَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ الْمُتْرَفِينَ مِنَ الْكٰفِرِ إِذَا أَخَذُوا بِالْعَذَابِ ضَجُّوا وَصَاحُوا وَاسْتَغَاثُوا، وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَا يُغَاثُونَ، بَيَّنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ: أَنَّ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ كَانَتْ تُتْلَى وَتُقْرَأُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَاضْحَةٌ مُفْصَلَةٌ، فَكَانُوا يَكْذِبُونَ بِهَا. بَلْ رَجَعُوا عَنْهَا الْقَهْقَرَى، مُؤَلِّينَ مَدْبِرِينَ عَنْهَا، كَرَاهِيَةً مِنْهُمْ لِسَمَاعِهَا. وَالْعَقَبُ: مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ. وَالنُّكُوصُ: الرَّجُوعُ عَنِ الْأَمْرِ<sup>(٢)</sup>. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفُتَيَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

فهذا هو حال الإنسان إذا لم يؤمن بالقرآن، أنه يتراجع القهقري إلى

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٦٨/٢٤).

(٢) انظر: أضواء البيان (٧٩٩/٥).

الخلف؛ وذلك لأنه باتّباعه للقرآن العظيم يتقدّم إلى الأمام، وإذا أعرض عنه تأخّر، ونزل إلى أسفل سافلين<sup>(١)</sup>.

فبدل أن يمشي إلى الأمام - كما خلقه الله تعالى - إذا به يمشي للخلف على عقبه، وكأنّه أخذ أخذاً غير عنده دولاب سيره؛ لأنه عمي عن أسباب هدايته، فصار يتخبّط في متاهات الحياة على غير هدى، كمن يسير بظهره لا يعرف مواقع قدميه<sup>(٢)</sup>.

وقد بيّن الله تعالى - في موضع آخر من القرآن - أن هؤلاء الكفار إذا تتلى عليهم آياته لم يقتصروا على النكوص عنها على أعقابهم، بل يكادون يبطشون بالذي يتلوها عليهم؛ لشدة بغضهم لها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: ٧٢].

\* وسبب كفرهم بالقرآن: هو استكبارهم، ولذا قال الله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجُّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]؛ ولأنه يُذكّرهم بعبوبهم أيضاً.

فقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ منصوب على الحال.

والضمير في: ﴿بِهِ﴾ «قال الجمهور<sup>(٣)</sup>»: هو عائد على الحرم، أو المسجد، أو البلد الذي هو مكة، وإن لم يتقدّم له ذكر لشهرته في الأمر؛ أي يقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف. وقيل: المعنى: أنهم يعتقدون في نفوسهم أن لهم بالمسجد والحرم أعظم الحقوق على الناس والمنازل، فيستكبرون لذلك، وليس الاستكبار من الحق.

وقالت فرقة: الضمير عائد على القرآن من حيث ذكّرت الآيات؛ والمعنى: يُخَدِّثُ لَكُمْ سَمَاعَ آيَاتِي كِبْرًا وَطَغْيَانًا فَلَا تَوَظُّنُوا بِهِ. قال ابن عطية<sup>(٤)</sup>: «وهذا قول جيد»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تفسير السعدي (٣/٣٦٤). (٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٦/١٠٠٨١).

(٣) أي: جمهور المفسرين. وانظر: تفسير الشوكاني (٣/٧٠٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١١/٢٤٢). (٥) تفسير القرطبي (١٢/١٤٣).



## السَّمَرُ الفَاحِشُ

وقال الزَّجَاجُ<sup>(١)</sup> كَتَبَهُ: ويجوز أن تكون الهاء في ﴿بِيء﴾ للكتاب، فيكون المعنى: تُحَدِّثُ لَكُمْ تِلَاوَتُهُ عَلَيْكُمْ اسْتِكْبَاراً<sup>(٢)</sup>.

\* وقوله: ﴿سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> منصوب على الحال، معناه: تَهْجُرُونَ سَمَارًا، فالسَّامِرُ هنا بمعنى السَّمَارِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]. أي: أطفالاً.

فالسَّمَارُ: هم الجماعة الذين يتحدثون بالليل، مأخوذ من السَّمَرِ، وهو: ظِلُّ القمر؛ ومنه سُمرة اللَّون. وكانوا يتحدثون حول الكعبة في سَمَرِ القمر؛ فسُمِّي التَّحَدُّثُ به.

إذا كانت قريش تسمُّرُ حول الكعبة مجالس في أباطيلها وكفرها، فعابهم الله بذلك<sup>(٤)</sup>. «وكان عامَّةُ سَمَرِهِمْ ذَكَرَ الْقُرْآنَ وَالطَّعْنَ فِيهِ»<sup>(٥)</sup>، وتسميته سحرًا وشعرًا ونحو ذلك.

وفي قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ قراءة ثان<sup>(٦)</sup>:

الأولى: قراءة نافع: ﴿تَهْجُرُونَ﴾: بضمَّ التَّاء. بمعنى: تُفَحِّشُونَ فِي الْكَلَامِ، وتقولون الحَنَا. يقال: أَهْجَرَ الرَّجُلُ: إِذَا أَفْحَشَ فِي الْقَوْلِ.

الثانية: قراءة الباين: ﴿تَهْجُرُونَ﴾. بفتح التَّاء.

(١) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السَّري، الزَّجَاجُ، البغدادي، نحويٌّ زمانه، لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزَّجَاجِ كل يوم درهمًا له تأليف جمَّة منها: «معاني القرآن»، و«القروض»، و«الاشتقاق». توفي سنة (٣١١هـ).  
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٠).

(٢) زاد المسير (٥/٣٥٠).

(٣) \* قرأ أبو بن كعب، وأبو العالية، وابن محيصن: «سَمَرًا» بضم السين، وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر.

\* وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «سَمَارًا» برفع السين، وتشديد الميم، وألف بعدها. انظر: زاد المسير (٥/٣٠٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٢/١٤٣ - ١٤٤).

(٥) تفسير الشوكاني (٣/٧٠٣).

(٦) انظر: البدور الزَّاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص ٢٢٣).



ولها وجهان في توجيهها:

الأول: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بمعنى: تُعرضون عن الرسول ﷺ، أو القرآن، أو

البيت

الثاني: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بمعنى: تَهْذُونَ، من الهذيان، والكلام بما لا معنى له،

ولا فائدة منه<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير رحمته الله: «وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا، القراءة التي عليها قراء الأمصار، وهي فتح التاء وضم الجيم؛ لإجماع الحجة من القراء»<sup>(٢)</sup>.

«ولقد كانوا يُطلقون ألسنتهم بهجر القول وفحشه في مجالسهم؛ وهم يتحلّقون حول الأصنام في سامرهم بالكعبة. فها هو ذا القرآن يرسم لهم مشهد حسابهم على ما هم فيه؛ وهم يجارون طالبين الغوث، فيذكّرهم بامرهم الفاحش، وهجرهم القبيح، وكأنما هو واقع اللحظة، وهم يشهدونه ويعيشون فيه! وذلك على طريقة القرآن الكريم في رسم مشاهد القيامة كأنها واقع مشهود»<sup>(٣)</sup> وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِهِم بِالْأَغْصَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَصِرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يَخْتَرُوا الْيَوْمَ إِلَٰكًا مِنَّا لَا تَضُرُّونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤ - ٦٥].

### المطلب الثالث

## الإعراض عن القرآن

\* قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا يَخْتَصِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

المراد بالذكر:

يرى عامة المفسرين أنّ المراد بالذكر هنا القرآن. ومن هؤلاء: البغوي، والقرطبي، والرازي، وابن الجوزي، وابن القيم، والشوكاني، والسعدي،

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/٥٢ - ٥٣). (٢) المصدر نفسه (١٠/٥٣).

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/٢٤٧٣ - ٢٤٧٤).

وغيرهم<sup>(١)</sup>. قال البيهقي<sup>(٢)</sup> **كَذَّبَهُ** في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾: «يعني القرآن، فلم يؤمن به ولم يتبعه»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن القيم **كَذَّبَهُ**: «فَذَكَّرَهُ» كلامه الذي أنزله على رسوله. والإعراض عنه: ترك تدبره والعمل به»<sup>(٤)</sup>.

### المراد بالمعيشة الضنك:

أكثر ما جاء في كتب التفسير عن المعيشة الضنك: أنها عذاب القبر، وروي في ذلك آثار عن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، **ﷺ**.

وأصل الضنك في اللغة: الضيق والشدة، يُقال: مَنْزَلٌ ضَنْكٌ، وعيش ضنك، يستوي فيه الواحد والاثنان، والمذكر والمؤنث والجمع<sup>(٥)</sup>.

وروي المفسرون في المعيشة الضنك خمسة أقوال<sup>(٦)</sup>:

أحدها: أنها عذاب القبر، وممن قال بذلك: ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، والسدي.

الثاني: أنها ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه، رواه عطاء عن ابن عباس.

(١) انظر هذه الأقوال ونسبتها، في معنى الذكر: تفسير البيهقي (٣/١٤٥)؛ تفسير القرطبي (١١/٢٧٥)؛ التفسير الكبير (٢٢/١١٢)؛ زاد المسير (٦/٢٤٣)؛ الفوائد (ص١٦٥)؛ تفسير الشوكاني (٣/٥٦٠)؛ تفسير السعدي (٣/٢٥٨).

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البيهقي (الشافعي) أبو محمد، الملقب بمحيي السنة، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، زاهداً ورعاً، وله تصانيف عديدة، قال الذهبي: «بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام؛ لحسن قصده، وصدق نيته». توفي بمرور الروذ من مدن خراسان سنة (٥١٦هـ). ومن تصانيفه: تفسيره المسمى: «معالم التنزيل»، و«شرح السنة»، وكتاب «التهديب في الفقه».

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩)؛ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٤/٢١٤).

(٣) تفسير البيهقي (٣/١٤٥). (٤) الفوائد (ص١٦٥).

(٥) انظر: لسان العرب (٥/٩٣)، مادة: (ضنك).

(٦) انظر الأقوال في معنى المعيشة الضنك في: تفسير الطبري (٩/٢٨٢)، تفسير ابن كثير (٥/٣١٦)؛ زاد المسير (٥/٢٤٤)؛ تفسير القرطبي (١١/٢٧٦)؛ البحر المحيط، لأبي حيان (٦/٢٨٦)؛ تفسير الشوكاني (٣/٥٥٣).

الثالث: شدّة عيشه في النَّار، رواه الضَّحَّاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد.

الرابع: أنها كسب الحرام؛ لأنَّ الحرام وإنَّ اتَّسَع فهو ضنك، رواه الضَّحَّاك عن ابن عباس، وبه قال عكرمة.

الخامس: أنها المال الذي لا يتَّقِي الله صاحبه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس.

قال ابن الجوزي<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال:

أحدها: القبر، والثاني: الدُّنيا، والثالث: جهنّم»<sup>(٢)</sup>.

والصَّحيح في معنى المعيشة الضَّنك:

أنَّها عامَّة في الدُّنيا بما يُصيب المعرض عن القرآن من الهموم والغموم والآلام، والتي هي عذاب مُعَجَّل، وفي البرزخ، وفي الآخرة؛ لإطلاق المعيشة الضَّنك، وعدم تقيدها، وبه قال: الرَّازي<sup>(٣)</sup>، وابن القيم<sup>(٤)</sup>، والشَّنقيطي<sup>(٥)</sup>، والسَّعدي<sup>(٦)</sup>.

قال الشَّنقيطي<sup>(٧)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «واختلف العلماء في المراد بهذا العيش الضَّنك على

(١) هو العلامة الحافظ المُفسِّر: جمال الدِّين (أبو الفرج) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الحنبلي، من نسل القاسم بن محمد بن أبي بكر الصُّديق. كان يحضر مجلسه مئات الدَّارسين، له مصنفات كثيرة بلغت: (٢٥٠) مصنفاً، ولد سنة (٥٠٨هـ)، وتوفي سنة (٥٩٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١)؛ البداية والنهاية (٢٨/١٣).

(٢) زاد المسير (٢٤٤/٥).

(٣) انظر: التفسير الكبير (١١٢/٢٢ - ١١٣).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٤٢٢/١ - ٤٢٣)؛ الجواب الكافي (ص١٧٦ - ١٧٧).

(٥) انظر: أضواء البيان (٥٩٥/٤). (٦) انظر: تفسير السعدي (٢٥٨/٣).

(٧) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشَّنقيطي، ولد سنة (١٣٠٥هـ) في شنقيط بموريتانيا، ويرجع نسبه إلى قبيلة جَمير باليمن، كان مدرّساً بالمسجد النبوي في المدينة النبوية، ودرّس في الرياض، وعُين في هيئة كبار العلماء بها، ومن مؤلفاته: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، و«مذكرة أصول الفقه»، و«دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب»، توفي سنة (١٣٩٣هـ).

انظر: أضواء البيان (١٩/١ - ٣٩).

أقوال متقاربة، لا يُكذَّب بعضها بعضاً. وقد قدّمنا مراراً: أَنَّ الأولى في مثل ذلك، شمول الآية لجميع الأقوال المذكورة<sup>(١)</sup>.

﴿قلوبُ أهل البدع، والمُعْرِضِينَ عن القرآن، وأهل الغفلة عن الله، وأهل المعاصي: في جحيم قبل الجحيم الأكبر، وقلوبُ الأبرار في نعيم قبل النعيم الأكبر: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٤﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الإنفطار: ١٣ - ١٤]. هذا في دورهم الثلاث، ليس مختصاً بالدار الآخرة، وإن كان تمامه وكمال ظهوره: إنما هو في الدار الآخرة، وفي البرزخ دون ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧١ - ٧٢].

وفي هذه الدار دون ما في البرزخ، ولكن يمنع من الإحساس به: الاستغراق في سكرة الشهوات، وطرح ذلك عن القلب، وعدم التّفكر فيه<sup>(٢)</sup>.

المراد بالعمى:

قال الله تعالى في المُعْرِضِ عن القرآن العظيم: ﴿وَحَشْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

واختلف أهل التّأويل في بيان كَيْفِيَّةِ حَشْرِ المُعْرِضِ أعمى يوم القيامة، وهل هو عمى البصيرة أم عمى البصر، على قولين:

القول الأوّل: إنه أعمى البصيرة، بمعنى أنه: أعمى عن الحُجَّة، فلا حُجَّة له يهتدي بها؛ لأنه ليس للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسل. وبه قال مجاهد. ورجَّحه الطَّبْرِي<sup>(٣)</sup>.

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا﴾ [مريم: ٣٨].

وقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وقوله: ﴿وَوَرِّثَهُمْ يَعْزُضُونَ عَلَيْهَا حَشِيعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ حَفِيٍّ﴾ [٢٢].

(١) أعضاء البيان (٤/٥٩٥).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٢٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/٢٨٦)؛ زاد المسير (٥/٢٤٥).



[الشورى: ٤٥]. وقوله: ﴿وَرَهًا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

ونظائر هذا مما يُثبت لهم الرؤية في الآخرة.

القول الثاني: إنه أعمى البصر، فلا يرى شيئاً.

واستدلوا: بأن سياق الآية لا يدلُّ إلا على ذلك؛ لقوله: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]. فقد صرَّح بأن عماء هو العمى المقابل للبصر، وهو بصر العين؛ لأن الكافر في الدنيا أعمى القلب، كما دلَّت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله.

فإنه لما أعرض عن الذكر الذي يعث الله به ورسوله وعميت عنه بصيرته؛ أعمى الله بصره يوم القيامة، وتركه في العذاب، كما ترك الذكر في الدنيا، فجازاه على عمى بصيرته عمى بصره في الآخرة.

واستدلوا أيضاً بمثل قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَىٰ وَعُمْيًا وَنَكَحًا مَصْنَعًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وصوب هذا القول العلامة ابن القيم<sup>(١)</sup>، واختاره: السَّعْدِيُّ<sup>(٢)</sup>، والشَّنْقِطِيُّ<sup>(٣)</sup>، وابن عاشور<sup>(٤)</sup>.

### الجمع بين القولين:

وقد جمع العلامة ابن القيم بين القولين: بأن هناك حشرين: أحدهما: من القبور إلى الموقف. والآخر: حشر من الموقف إلى دار المستقر.

وبين أن معنى الحشر هو: الضمُّ والجمع.

فالحشر الأول: إلى موقف القيامة، وعليه تُحمل أدلة القول الأول، فهم يسمعون ويُبصرون ويُجادلون ويتكلمون.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (ص ٤٦ - ٤٧). (٢) السَّعْدِيُّ (٣٥٨/٣). (٣) انظر: أضواء البيان (٤/٥٩٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٦/٢٠٠).



والحشر الثاني: يراد به الضم والجمع في دار المستقر. فحشر المتقين: جمعهم وضمهم في الجنة.

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقْدًا﴾ [مريم: ٨٥].  
وحشر الكافرين: جمعهم وضمهم في النار، كما قال تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٣٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْتَدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ [الصفات: ٢٢ - ٢٣]. فهذا هو الحشر الثاني، يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، وعليه تحمل أدلة القول الثاني.

إذاً فلكل موقف حال يليق به، ويقتضيه عدل الرب تبارك وتعالى وحكمته، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] (١).

ويدل على ذلك أيضاً ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إذا أخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عمي» (٢).

ومثله قال الفراء (٣): «يقال إنه يخرج بصيراً من قبره، فيعمى في حشرة» (٤). وكذا قال الزجاج: «يخرجون بصراء في أول مرة، ويعمّون في المحشر» (٥).

فالكافر المعرض عن القرآن يكون في حشرة الأول أعمى البصيرة لا البصر. وفي حشرة الثاني: أعمى البصر والبصيرة، نسأل الله العافية.  
ويشهد لذلك ما جاء عن ابن كثير رضي الله عنه في قوله: «ويحتمل أن يكون المراد أنه يحشر أو يُبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضاً» (٦).

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (ص ٤٧ - ٤٨).

(٢) زاد المسير (٥/٢٤٥).

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور اللبليمي (أبو زكريا) الكوفي، التّحوي، صاحب الكسائي، يُعرف بالفراء؛ لأنه كان يفري الكلام كما قيل، وهو إمام أهل الكوفة وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يُقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، له تصانيف عديدة منها: «معاني القرآن»، و«المذكر والمؤنث»، و«مشكل اللغة». توفي بطريق الحج سنة (٢٠٧هـ). انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٤/١٤٩)؛ الأنساب، للسّمعي (٩/٢٤٧)؛ سير أعلام النبلاء (١٠/١١٨).

(٤) معاني القرآن، للفراء (٢/١٩٤). (٥) التفسير الكبير (٢٢/٩٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٥/٣٣٢).

## المطلب الرابع

## الظُّلْمُ الْأَعْظَمُ

\* قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

## المراد بالآيات:

المراد بالآيات هنا: هو القرآن العظيم، في قول عامة المفسرين<sup>(١)</sup>.  
ولذلك رجع الضمير إلى هذه الآيات مُذَكِّراً في قوله: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي القرآن المُعَبَّر عنه بالآيات<sup>(٢)</sup>.

فالله تبارك وتعالى يُخبر أنه لا أعظم ظلماً، ولا أكبر جُرماً، من عبد ذُكِّرَ بآيات الله تعالى وبيَّن له الحقُّ من الباطل، والهدى من الضلال، وخُوف ورُعب ورُهب، فأعرض عنها<sup>(٣)</sup>، ولم يتذكَّر بما ذُكِّر به، ونسي ما قَدَّمَتْ يده من الكفر والمعاصي ولم يتفكَّر في عاقبتها<sup>(٤)</sup>.

فهذا أعظم ظلماً من المُعْرَض الذي لم تاته آيات الله ولم يُذكَّر بها؛ لكون العاصي على بصيرة وعلم، أعظم جُرماً مِمَّن ليس كذلك. ولذلك عاقبهم الله تعالى - بسبب إعراضهم عن القرآن العظيم - بأن سدَّ عليهم أبواب الهداية، وجعل على قلوبهم أكنة<sup>(٥)</sup>، وهي الأغطية المُحْكَمَة التي تمنعهم من أن يفقهوا الآيات وإن سمعوها، فليس في إمكانهم الفقه الذي يصل إلى قلوبهم، وكذلك جعل في آذانهم وَقْرًا<sup>(٦)</sup>، أي: صمماً يمنعهم من وصول الآيات، ومن سماعها على وجه الانتفاع.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٩٢/٣)؛ تفسير أبي السعود (٢٣٠/٥)؛ زاد المسير (١١٧/٥).

(٢) انظر: تفسير التنفي (١٩/٣)؛ أضواء البيان (١٥٥/٤).

(٣) انظر: تفسير السعدي (١٦٧/٣). (٤) انظر: تفسير البيضاوي (٥٠٦/٣).

(٥) الأكنة: جمع كنان، وهو الغطاء؛ لأنه يُكِنُّ الشيء، أي يخُجِّبه.

(٦) الوقْر: يُقَلُّ السَّمْعُ المانع من وصول الصَّوت إلى الصَّمَاخ.

انظر: التحرير والتنوير (٩٥/١٥).

## الظُّلْمُ الْأَعْظَمُ

فإذا كانوا بهذه الحال، فليس لهدايتهم سبيل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا أَيُّدًا﴾.

ففي هذه الآية من التَّخْوِيفِ لمن ترك الحقَّ بعد علمه، أن يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، ولا يَتِمَّكُنْ مِنْهُ بعد ذلك، ما هو أعظم مُرْهَبٍ وَزَاجِرٍ عن ذلك<sup>(١)</sup>.

شبهة:

فإن قال قائل: إذا كانوا لا يستطيعون السَّمْعَ ولا يفقهون؛ لأنَّ الله تعالى جعل الأَكِنَّةَ المانعة من الفهم على قلوبهم، والوَقْرَ المانع من السَّمْعِ في آذانهم. فما وجه تعذيبهم على شيء لا يستطيعون العدول عنه والانصراف إلى غيره؟

ردُّها:

إنَّ الله تبارك وتعالى بيَّن في آيات كثيرة من كتابه العظيم: أنَّ هذه الموانع التي يجعلها على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم - كالختم، والطَّبع، والغشاوة، ونحوها - إنما جعلها عليهم جزاء وفاقاً، لِمَا يَأْذِرُوا إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وتكذيب القرآن باختيارهم، فأزاع الله قلوبهم بالطَّبع، والأَكِنَّة، ونحوها، جزاء على كفرهم.

فمن الآيات الدَّالَّة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. فهذا دليل واضح على أنَّ سبب إزاعة الله قلوبهم هو زيغهم السَّابِق. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣]. وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

\* والوَقْرُ - بالفتح - الثَّقُلُ في الأذن.

\* والوَقْرُ - بالكسر - الحِمْلُ. يُقَالُ: جَاءَ يَحْمِلُ وَقْرَهُ، وَقَدْ أَوْقَرَ بَعِيرَهُ. وأكثر ما يستعمل الوَقْرُ في حِمْلِ البَعْلِ والحِمَارِ. انظر: مختار الصحاح (ص ٣٤٣)، مادة: (وقر).

\* وقد قال الله تعالى في ثَقْلِ الأذن: ﴿وَفِي ءَأْذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧].

\* وقال في الحِمْلِ: ﴿فَلَمَّا نَبَتْ وَقْرًا﴾ [الذاريات: ٢]. يعني: السُّحْبُ التي تحمِلُ ثِقْلًا من الماء. انظر: تفسير البغوي (٤/٢٢٧)؛ أضواء البيان (٤/١٦٠).

(١) انظر: تفسير السعدي (٣/١٦٧ - ١٦٨).

فهذه الآيات وأمثالها فيها وجهان معروفان عند العلماء: **الوجه الأول**: عباداً بالله تعالى. **الثاني**: المراد أنهم كذلك ما داموا متلبسين بالكفر؛ فإن هداهم الله إلى الإيمان وأنابوا، زال ذلك المانع. وقد رجح الشنقيطي رحمته الله **الوجه الأول** (١).

### المطلب الخامس

#### الوجوه العابسة

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَنْتَهِوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَدَّاهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ١٧٢].

#### المراد بالآيات:

قال ابن عاشور رحمته الله: «والآيات هي القرآن لا غيره من المعجزات؛ لقوله: ﴿وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ﴾» (٢).

وقد وُصفت آيات القرآن بأنها: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾؛ لتفطيع حال من أنكرها مع وضوحها، إذ ليس فيها ما يُعذر به منكرها (٣)، فقد تضمّنت: الدلائل العقلية، وبيان الأحكام (٤).

#### المراد بالمنكر:

وللمفسرين في المنكر أقوالٌ عدّة، وهي من اختلاف التنوع لا التضاد، على النحو التالي:

١ - تعرف في وجوههم الكراهية للقرآن، قاله الكلبي (٥).

٢ - التجبر والترفع، قاله ابن عباس رضي الله عنهما (٦).

(١) انظر: أضواء البيان (٤/ ١٥٨ - ١٦١). (٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١).

(٣) انظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها. (٤) انظر: التفسير الكبير (٢٣/ ٥٩).

(٥) انظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) انظر: تفسير الشوكاني (٣/ ٦٧٠)، التفسير الكبير (٢٣/ ٥٩).



- ٣ - المنكر هنا بمعنى الإنكار، فالمعنى: أثر الإنكار من الكراهة، وتعبس الوجوه<sup>(١)</sup>.
- ٤ - الغضب والعبوس<sup>(٢)</sup>.
- ٥ - الغم والحزن والكراهية<sup>(٣)</sup>.
- ٦ - وجوههم تتغير من سماعهم القرآن<sup>(٤)</sup>.
- ٧ - أنكروا أن يكون من الله تعالى، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>.

### المراد بالسَّطْو:

السَّطْوَة: هي شِدَّة البطش. يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا بطش به وتناوله بالعنف والشِدَّة<sup>(٦)</sup>.

قال الفراء في قوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: «يعني أهل مكة، كانوا إذا سمعوا الرَّجُل من المسلمين يتلو القرآن كادوا يبطشون به»<sup>(٧)</sup>.

فهذه الآية الكريمة تصوِّر حال الكفار عند سماعهم للقرآن العظيم، فمن شِدَّة كراهيتهم لذلك ترى في وجوههم عبوساً وتقطيباً وغضباً وانفعالاً، يكاد أن يتحوَّل هذا الأمر إلى الفتك بمن يقرأ عليهم القرآن<sup>(٨)</sup>.

فهم لا يُناهضون الحُجَّة بالحُجَّة، ولا يقرعون الدليل بالدليل، إنَّما يلجأون - في مثل هذه الحالات - إلى العنف والبطش، عندما تعوزهم الحُجَّة، ويخذلهم الدليل<sup>(٩)</sup>.

قال الشوكاني<sup>(١٠)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وهكذا ترى أهل البدع المضلَّة إذا سمع الواحد

(١) انظر: زاد المسير (٣٢٨/٥)؛ التحرير والتنوير (٢٤١/١٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠٢/١٢). (٣) انظر: تفسير السمرقندي (٤٧٠/٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٥٤/١٠). (٥) انظر: التفسير الكبير (٥٩/٢٣).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (١٠٢/١٢)؛ زاد المسير (٣٢٨/٥).

(٧) لسان العرب (٢٦٠/٦)، مادة: (سطو). (٨) انظر: تفسير الشعراوي (٩٩٢٨/١٦).

(٩) انظر: في ظلال القرآن (٢٤٤٣/٤).

(١٠) هو الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الفقيه المجتهد، أحد كبار =



منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز، أو من السنّة الصّحيحة مخالفاً لما اعتقده من الباطل والضّلالة، رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكّن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين، وقد رأينا وسمعنا من أهل البدع ما لا يخيظ به الوصف<sup>(١)</sup>.

وهذا بخلاف حال المؤمنين الصادقين، المنقادين للكتاب والسنّة، فهم حال سماعهم للقرآن العظيم ازدادوا إيماناً مع إيمانهم، كما قال الله تعالى مادحاً لهم: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

جزاء مَنْ هَجَرَ الْقُرْآنَ:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّ ذَلِكُمْ﴾ [الحج: ٢٧] أي: هل أخبركم بأشدّ عليكم وأكره إليكم من سماع القرآن<sup>(٢)</sup>. ﴿النَّارِ﴾ [البروج: ٥] إنها النار التي ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحج: ٧٢] في يوم القيامة ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الحديد: ١٥] فبئس الموضع الذي يصير إليه مَنْ هجر القرآن الكريم. وشرّ: اسم تفضيل، أصله أشر. أي: إن سألتكم عن الذي هو أشدّ شراً فاعلموا أنه النار<sup>(٣)</sup>.

مالي أراكم مغتاضين من سماع آيات الله كارهين لها، أمجرّد سماع آيات القرآن يفعل بكم هذا كلّهُ؟ فما بالكم حينما تباشرون النار في الآخرة. فالذي ينالكم من النار - التي تكادون تقتحمونها بسوء أفعالكم - أعظم ممّا ينالكم - عند تلاوة هذه الآيات - من الغضب ومن هذا الغم<sup>(٤)</sup>. واستعملت كلمة: ﴿وَعَدَهَا﴾ على سبيل الاستهزاء بهم والتقليل من شأنهم؛

= علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان، ونشأ بصنعاء ووُلِّي قضاءها. له مؤلفات كثيرة، أشهرها: «فتح القدير»، و«نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار»، و«السييل الجرار»، و«البدر الطالع»، توفي سنة (١٢٥٠هـ).

انظر: البدر الطالع (٢/٢١٤)، الأعلام (٦/٦٩٨).

(١) تفسير الشوكاني (٣/٦٧١). (٢) انظر: زاد المسير (٥/٣٢٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٧/٢٤٢). (٤) انظر: التفسير الكبير (٢٣/٥٩).

لأن الوعد دائماً يكون في الخير، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤]. فحين أن يسمع البشري يستشرف للخير، فيفاجئه العذاب، فيكون أنكى له.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَفِئُوا بِعَاثِرٍ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].  
فإن انقباض النفس ويأسها - بعد بوادر الانبساط - أشد من العذاب ذاته<sup>(١)</sup>.

### المطلب السادس

#### الاستكبار على القرآن

\* قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧].

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكافر إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولَّى عنها وأعرض وأدبر وتصامم وما به من صمم<sup>(٢)</sup>.  
وقوله: ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: متكبراً عن قبولها، فإعراضه وإعراض استكبار، لا إعراض تفريط في الخير فحسب<sup>(٣)</sup>، فهي لم تدخل قلبه، فضلاً أن تؤثر فيه.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ «في محل نصب على الحال: أي كأن ذلك المعرض المستكبر لم يسمعها، مع أنه قد سمعها، ولكن أشبهت حاله حال مَنْ لم يسمع»<sup>(٤)</sup>.

﴿كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَرًا﴾: أي: ثقلاً، فلا يسمع القرآن. ففيه مبالغة في إعراض ذلك المعرض، فهذا لا حيلة في هدايته؛ لأنه متكبر معرض.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فليس له إلا العذاب المؤلم لقلبه وبدنه في الآخرة، كما تألم بسماع القرآن العظيم في الدنيا، فهذه بشارة المستكبرين المعرضين، الذين هجروا كتاب الله، فلا نغمت الإشارة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٦/٩٩٢٩). (٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٣٤٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢١/٩٢). (٤) تفسير الشوكاني (٤/٣٣٤).

(٥) انظر: تفسير السعدي (٤/١٠٤). (٦) تفسير ابن كثير (٧/٣٣٤).

## المطلب السابع

## اللُّغُو الباطل

\* قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

المراد بعدم سماعه:

جاءت أقوال المفسرين (في المراد بعدم سماع الكفار للقرآن) متقاربة كما يلي:

- ١ - لا تَتَّبِعُوا هذا القرآن والهَوَا عنه، قاله ابن عباس (١).
  - ٢ - لا تُطِيعُوا، يُقال: سمعتُ لك، أي أطعتك (٢).
  - ٣ - لا تَطْمَئِنُوا أو تَرَكْنَا (٣).
- والمقصود من ذلك كله: لا تَسْمَعُوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تَصْغُوا له، ولا تَتَّبِعُوا ما فيه، وهو نتيجة لعدم السَّماع، وإن سمعتموه فلا تطيعوه، ولا تتركوا إليه.

المراد باللُّغُو فيه:

«اللُّغُو: القول الذي لا فائدة فيه، ويُسمى الكلام الذي لا جدوى له لغوًا» (٤).

ومما جاء عن المفسرين في (لغو الكافرين) في القرآن ما يلي:

- ١ - هو المكاء والتَّصْفِير والتَّخْلِيْط في المنطق حتى يصير لُغُوًا، قاله مجاهد (٥).
- ٢ - أَكْثَرُوا الكَلَامَ ليختلَط عليه ما يقول، قاله الضَّحَّاك (٦).
- ٣ - تشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣٦/١٢). (٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٤٠/١٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٤٦/٢٥). (٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٣٧/١٢). (٦) انظر: تفسير القرطبي (٣٤٠/١٥).

والكلمات الباطلة، حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه، وتغلبوا على قراءته<sup>(١)</sup>. وتلك هي عادة وطبيعة الإعلام المادّي اليوم، والذي تبنّى النزعات القديمة إزاء القرآن بما يُشبه أن يكون تطويراً للأسلحة.

### أسلوب خسيس:

والمراد بالذين كفروا هنا: هم أئمة الكفر يُخاطبون عامّتهم ويوصونهم. إنها كلمة يَغرُّون بها الجماهير، فقد علم أئمة الكفر: أنّ القرآن كلام الله تعالى. إذاً هو كامل في المعنى واللفظ، وأنّ كلّ مَنْ سمعه وقف على جزالة ألفاظه، وأحاط عقله بمعانيه، وقضى عقله بأنّه كلامٌ حقٌّ واجبُ القبول، فدبروا تدبيراً في منع الناس عن استماعه<sup>(٢)</sup>، فاتخذوا قرازم المشين: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾.

وهذا هو حال دعاة الضلال والباطل في إسكات الناطقين بالحقّ والحجّة، فمن أساليبهم التخويف والتّهويل، والتّرهيب والتّرعيب، ولا يتركون الناس يتجادلون بالحجّة البيّنة، ويتناظرون بالأدلة القاطعة؛ لأنهم يوقنون أنّ حجّة خصومهم أنّهض، فهم يغالبونها بالبهتان والتّضليل.

فإذا أعيتهم الحيل ورأوا بوارق الحقّ تخفق، وخشوا أن يعمّ نورها الناس، عدلوا إلى لغو الكلام، ونفخوا في أبواق اللّغو لعلّهم يغلبون بزعمهم<sup>(٣)</sup>. إنهم بفعلهم هذا يلجأون إلى وسيلة خسيّة تُنبئ عن هزيمتهم الدّاخلية، واضطرابهم النّفسي أمام حقائق القرآن، واعترافهم - الضّمني الملحوظ - بعجزهم عن مواجهته، وفشلهم في محاربته.

إنهم يطلبون من الجماهير المخدوعة ألاّ تسمع لهذا القرآن، وتستعيض عن ذلك باللّغو والصّياح والصّجيج، والتّظاهرة الإعلامية؛ لعلهم يُعْطون نور الشّمس برقعة منديل.. وهيئات هيئات!!<sup>(٤)</sup>.

فهذه حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن العظيم.

- (١) انظر: التفسير الكبير (١٠٣/٢٧)؛ التحرير والتنوير (٤٦/٢٥).  
 (٢) انظر: التفسير الكبير (١٠٣/٢٧). انظر: التحرير والتنوير (٤٥/٢٥).  
 (٣) انظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص ٢٥).



موقف المؤمنين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].  
وقد أمر الله عباده المؤمنين بخلاف هذا الفعل المشين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].  
وأهل الكفر حين فعلوا ما فعلوا غاب عن أذهانهم أن القرآن منتصر. ومن تدبر العواقب أيقن - يقيناً لا شك فيه - أن كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. فلمن كانت الغلبة بعد قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]؟! (١).

### المطلب الثامن

#### التقسيم الجائر

\* قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (٢) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿ [الحجر: ٩٠ - ٩١].

المراد بالمقتسمين:

اختلف أهل التأويل في المراد بالمقتسمين على عدة أقوال، أوصلها القرطبي (٢) إلى سبعة، وأوردها في تفسيره (٣).  
قال الشنقيطي رحمه الله: «في المراد بالمقتسمين أقوالاً للعلماء معروفة، وكل واحد منها يشهد له قرآن؛ إلا أن في الآية الكريمة قرينة تُضَعِفُ بعض تلك الأقوال» (٤).

والقرينة - التي ذكرها الشنقيطي في الآية الكريمة - تُقَوِّي قولين اثنين، من هذه الأقوال، هما الأقرب إلى الصواب، وهما على النحو الآتي:

- (١) انظر: تفسير ابن كثير (١٧٣/٧)؛ حديث القرآن عن القرآن، لمحمد الراوي (ص ٣٦٠).
- (٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن قُوح القرطبي، الأنصاري، الخزرجي، المالكي، من العلماء الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بالآخرة. كتابه: «الجامع لأحكام القرآن» من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، ومن كتبه المشهورة: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة». توفي سنة (٦٧١هـ). انظر: طبقات المفسرين (٢/٦٩).
- (٣) انظر: تفسير القرطبي (٦٣/١٠). (٤) أضواء البيان (٣/١٧٨).



القول الأول: إنَّ المراد بالمقتسمين: اليهود والنصارى، وإنَّما وُصِفوا بأنهم مقتسمون؛ لأنهم اقتسموا كتبهم، فأمنوا ببعضها وكفروا ببعضها. ويدلُّ لذلك: قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

بل اعترفوا أنفسهم بهذا: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْنٌ بَعْضٌ وَنَكَرٌ بَعْضٌ﴾ [النساء: ١٥٠].

وقيل: وُصِفوا بذلك؛ لأنهم اقتسموا القرآن، فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: إنَّ المراد بالمقتسمين: جماعة من كفار مكة اقتسموا القرآن بأقوالهم الكاذبة، فقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقال بعضهم: اختلقه محمد ﷺ.

وهذا القول تدلُّ له الآيات الدالة على أنَّهم قالوا في القرآن العظيم تلك الأقوال المفتراة الكاذبة، من مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَهٌ سِمْوُوتُ﴾ [المدثر: ٢٤]. وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِلِقُ﴾ [ص: ٧]. وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]. وقوله: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. وقوله: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [١] وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٢]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

ومقتضى كلام العلامة الشنقيطي رحمته الله: إنَّ القرينة في الآية الكريمة تؤيد القول الثاني، ولا تُنافي القول الأول؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]. أظهر في القول الثاني؛ لجعلهم له أعضاء متفرقة بحسب اختلاف أقوالهم الكاذبة، كقولهم: سحر، شعر، كهانة، أساطير الأولين، وهكذا.

(١) انظر: تفسير الطبري (٧٨/٨ - ٧٩)؛ زاد المسير (٣١٨/٤).

وكذلك بالنسبة للقول الأول - على أنهم أهل الكتاب - كما أنه  
فالمراد بالقرآن: كتبهم التي جزؤوها فأمنوا ببعضها وكفروا ببعضها.  
وسميت قرآناً؛ لأنها كتب مقروءة فيصدق هذا الوصف على التوراة والإنجيل<sup>(١)</sup>.  
أو المراد بذلك: القرآن نفسه؛ لأنهم آمنوا بما وافق هواهم منه، وكفروا  
بغيره<sup>(٢)</sup>.

وجمهور المفسرين على أن المراد بالقرآن: هو الذي أنزل على نبينا  
محمد ﷺ، وليس المقصود به كتب المتقدمين قبلنا<sup>(٣)</sup>.

المراد ببعضين:

وقد ذكر الله تعالى صفة المقتسمين في الآية التالية بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ  
جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

\* وفي ﴿عِضِينَ﴾ قولان للمفسرين:

القول الأول: هم الذين جعلوا القرآن قرآناً مفرقة.

قال ابن عباس في قوله: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ قال: ﴿فِرْقاً﴾<sup>(٤)</sup>.  
وقال قتادة<sup>(٥)</sup>: «عَضُّهُوا كِتَابَ اللَّهِ: زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ سِحْرٌ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ  
أَنَّهُ شِفْرٌ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كِهَانَةٌ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ أُسَاطِيرُ الْأَوْلِيَانِ»<sup>(٦)</sup>.  
وعلى هذا القول: تكون ﴿عِضِينَ﴾ جمع: عُضْو. وهو مشتق من قولك:  
عَضَيْتُ الشَّيْءَ عُضِيَةً. إِذَا فَرَّقْتَهُ. كما قال رؤبة بن العجاج<sup>(٧)</sup>:

(١) انظر: التحرير والتنوير (٦٨/٦٣). (٢) انظر: أضواء البيان (٣/١٧٨ - ١٧٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٤/٣١٨). (٤) تفسير الطبري (٨/٨٢).

(٥) هو التابعي الجليل (أبو الخطاب) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي، البصري،  
الضرير الأكمه، المفسر، كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، كان أحفظ  
الناس، لا يسمع شيئاً إلا حفظه، وله تفسير، توفي بواسط في الطاعون سنة (١١٧هـ)  
انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/١٢٢)؛ طبقات المفسرين (٢/٤٧).

(٦) تفسير الطبري (٨/٨٢).

(٧) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، أو أبو محمداً،  
راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر  
مقامه بالبصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في =

وليس دينُ الله بالمُعَصَى<sup>(١)</sup>، أي: ليس الدينُ مجزءاً مُفَرَّقاً. القول الثاني: المراد بقوله ﴿عِصِينَ﴾: السُّحْر. ومفردُها: عَصَةٌ: وهي السُّحْر.

والعَصَةُ: السُّحْر بلسان قريش، ويُقال للسَّاحرة: العاضهة. فالمعنى: جعلوا القرآن سحراً، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [المدثر: ٢٤].

وقوله: ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ [القصص: ٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات. وقد رجَّح الإمام الطبري رحمته الله القولَ الأوَّل. فقال: «والصَّواب من القول في ذلك أن يُقال: إنَّ الله تعالى ذكَّره، أمر نبيَّه صلوات الله عليه أن يُعلِّمَ قوماً عَصَهُوا القرآن: أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم؛ بَعْضُهُمْ إِيَّاهُ، مثل ما أنزل بالمقتسمين<sup>(٢)</sup>، وكان عَصَهُهُمْ إِيَّاهُ: قَدَفُهُمُوهُ بالباطل، وقيلهم إنه شعر وسحر، وما أشبه ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وعلى كلِّ حال: فإن هذه الآية الكريمة تشمل كلَّ مَنْ اقتسم كتابَ الله، بتكذيبِ بعضه وتصديقِ بعضه، وارتكب ما نهاه الله عنه. فحالُه هذه تشبه حال اليهود والنصارى الذين قَسَمُوا كتبهم المنزَّلة عليهم أقساماً، وجزَّؤوها أجزاءً، فأمنوا ببعضِ منها وكفروا ببعض؛ اتِّباعاً لشهواتهم وأهوائهم.

= اللُّغَةُ، مات في البادية، سنة (١٤٥هـ)، وقد أسنَّ. وفي الوفيات: «لما مات رؤية قال الخليل: دفنًا الشُّغْرَ والفصاحَةَ واللُّغَةَ». انظر: وفيات الأعيان، لابن خُلِّكان (١/٢٣٤ - ١٣٥)؛ معجم الشعراء، للمرزباني (ص ١٢١).

(١) ديوانه: (٨١) من أرجوزة يمدح بها تيمماً وسعداً ونفسه، مطلعها:

دَايَنْتُ أَرَوِي وَالذُّبُونُ تُقْضَى

وانظر: تفسير الطبري (٨٣/٨)؛ زاد المسير (٣١٩/٤)؛ لسان العرب (٩/٢٦٤)، مادة: (عضا).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٨٨﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٨٩﴾ الَّذِينَ جَمَعُوا الشُّرُكَانَ عِصِينَ﴾ [الحجر: ٨٩ - ٩١].

(٣) تفسير الطبري (٨٤/٨).

وهذا ينصرف إلى المسلمين الذين يُجزّئون القرآن ويقسّمونه، يأخذون منه حُكماً ويتركون أحكاماً، تبعاً لمصالحهم الدنيوية، فهذا من أعظم أنواع هجر القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن (ص ٢٤).





تأريخاً لبحرته وقد رُصدت ثلاثاً شبيهة

## المبحث الثاني

تأريخاً لبحرته وقد رُصدت ثلاثاً شبيهة

في بداية البحث دعونا نذكر أولاً: لئلا نخطئ ما هو المقصود من تأريخاً لبحرته؟  
**الأحاديث الدالة على ذم هجر القرآن**  
 في إجماع ملقبين من علماء تأريخاً لبحرته وقد رُصدت ثلاثاً شبيهة  
 من إجماع ملقبين من علماء تأريخاً لبحرته وقد رُصدت ثلاثاً شبيهة

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعجل أجر القرآن.

المطلب الثاني: عدم الانتفاع بقراءة القرآن.

المطلب الثالث: القرآن بين الجدال فيه والجدال عنه.

المطلب الرابع: اتباع المتشابه وترك المُحْكَم.

المطلب الخامس: ترك قراءة القرآن في البيوت.

المطلب السادس: أحوال المنافق مع القرآن.

المطلب السابع: ترك التَّعْنِي بالقرآن.

## الأحاديث الدالة على ذم هجر القرآن

من صور هجر القرآن:

إن هجر القرآن الكريم له مظاهر عدّة، منها: التآكل به، واستعجال ثوابه في الدنيا دون الآخرة، ومنها المباهاة بتلاوته وحفظه، وعدم التّعبد لله تعالى بهذه التلاوة وهذا الحفظ، ومنها الاكتفاء بتلاوة القرآن دون فهمه وتعلّقه والعمل به، فهي قراءة لا تتجاوز الحلوّ والحناجر.

والجدال والمراء في القرآن الكريم من أعظم مظاهر هجره؛ لأنّ مؤداه إلى الكفر، وتفريق صفّ المؤمنين، وتشكيكهم في أصل دينهم وأساسه كتاب الله تعالى.

ومن أبرز مظاهر هجر القرآن كذلك: اتّباع المتشابه وترك المُحكّم بقصد فتنة النَّاس وصدّهم عن دينهم، والتّلبيس عليهم في ذلك.

ولقد جاءت أحاديث كثيرة عن المصطفى ﷺ تتحدّث عن مظاهر متنوّعة لهجر القرآن العظيم، وسيكون الكلام عن بعض الأحاديث النبوية المباركة التي بيّنت أنواعاً من مظاهر هجر القرآن تحذيراً منها وذمّاً لها، وهي على النّحو التّالي:

## المطلب الأول

## تعجل أجر القرآن

إن كثيراً من قراء القرآن وحفاظه لا يقرؤون القرآن إلا لجمع حطام الدنيا، فيتلونه في المناسبات المختلفة؛ كالحفلات والمآتم وليالي رمضان، وبعضهم يتعلم القراءات لأجل المعيشة، ولأجل أن يرغب فيه الناس أكثر من غيره، ولو سألت الواحد منهم عن معنى كلمة أو آية لوقف عاجزاً مدهوشاً من هذا السؤال، وهذا من أبرز أنواع هجر القرآن، فإن القرآن العظيم أنزله الله تعالى للتدبر والتعقل ثم للعمل به، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَتَدَبَّرْهُ وَخُذْ الْحِكْمَ مِنْهَا لَعَلَّكَ تَتَّقَى﴾ [ص: ٢٩].

١ - وقد كان النبي ﷺ يبحث أصحابه على إخلاص النية لله تعالى في تعلم القرآن وتعليمه، ويحذّرهم من استعجال الأجر في الدنيا من مال أو جاه أو منصب وعدم احتساب ذلك في الآخرة:

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَآ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ (١) فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمْ الْأَحْمَرُ وَفِيكُمْ الْأَبْيَضُ» (٢) «وفِيكُمْ الْأَسْوَدُ» (٣)، «أَفْرُوهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرَأَهُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُ السَّهْمُ» (٤) «يَتَعَجَّلُ أَجْرُهُ وَلَا يَتَأَجَّلُهُ» (٥)، (٦).

(١) قوله: «ونحن نقراء» أي: نحن نقرأ القرآن، من باب الافعال من القراءة.

انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤٢/٣).

(٢) قوله: «وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض» كناية عن العجم؛ لأن الغالب على ألوانهم البياض والحمر.

(٣) قوله: «وفيكم الأسود» كناية عن العرب؛ لأن الغالب على ألوانهم الأدمية، والأدمية: قريبة من السواد.

(٤) قوله: «يقيمونه كما يقيم السهم» أي: يحسنون التطق به.

(٥) قوله: «يتعجل أجره ولا يتأجله» أي: يطلب بذلك أجر الدنيا من مال وجاه ومنصب، ولا يطلب به أجر الآخرة.

انظر: جامع الأصول، لابن الأثير (٢/٤٥٠ - ٤٥١).

(٦) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب: ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة (١/٢٢٠) =



## تَعْجَلْ أَجْرَ الْقُرْآنِ

٢ - وكان النبي ﷺ يؤكد دوماً على ابتغاء وجه الله تعالى في تعلم القرآن وتعليمه، ويحذّر من ضد ذلك:

فمن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا فِيهِ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، قَالَ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ، وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يَقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»<sup>(١)</sup>.

فقد أخبر النبي ﷺ عن مجيء أقوام بعده يُصلحون ألفاظ القرآن وكلماته ويتكلمون في مراعاة مخارجه وصفاته، كما يُقام القِدْح - وهو السَّهْم قبل أن يُعمل له ريشٌ ولا نُضْلٌ - والمعنى: أنهم يُبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة؛ لأجل الرياء والسُّمعة والمباهاة والشهرة.

فهؤلاء تعجّلوا ثواب قراءتهم في الدنيا ولم يتأجّلوه بطلب الأجر في الآخرة، إتهم بفعلهم يؤثرون العاجلة على الآجلة ويتأكّلون بكتاب الله تعالى<sup>(٢)</sup>، وهذا من أعظم أنواع هجر القرآن الكريم، فبئس ما يصنعون.

٣ - وربما حثَّ النبي ﷺ أصحابه الكرام رضي الله عنهم على طلب الجنة جزاء تعلمهم القرآن، وحذّرهم من إرادة الدنيا في ذلك، كماهاة النَّاسِ والتَّأْكُلُ به:

فمن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَسَلُّوا اللَّهَ بِهِ الْجَنَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ، يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُهُ لِلَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

٤ - وكان ﷺ يحثّهم أيضاً على سؤال الله تعالى بالقرآن، وعدم سؤال النَّاسِ شيئاً بقراءة القرآن:

(ح ٨٣١). وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٥٧/١) (٧٤١): «حسن صحيح».

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/٣٥٧) (ح ١٤٨٩٨). وقال محققو المسند (٢٣/١٤٤) (ح ١٤٨٥٥): «حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات غير أسامة بن زيد، فحسن الحديث». وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»: (١/٢٥٨) (ح ١١٦٧).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣/٤٢).

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن»، باب: القارئ يستأكل بالقرآن (ص ٢٠٦)، وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة»: (١/١١٨ - ١٢٩) (ح ٢٥٨).

وقال: «وللحديث شواهد أخرى تؤيد صحته عن جماعة من الصحابة».

فمن عمران بن حصين رضي الله عنه، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَارِيٍّ يَشْرَأُ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ سَأَلَ<sup>(٢)</sup> قَاسْتَرَجَعَ<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ أَلْفَ اللَّهِ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ»<sup>(٤)</sup>.

بَيَّنَّ الْمُبَارِكْفُورِيُّ<sup>(٥)</sup> رحمته الله مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ أَلْفَ اللَّهِ بِهِ» قَالًا: «أَيُّ: فَلْيُطْلَبْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ مَا شَاءَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَوْ الْمَرَادُ أَنَّهُ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ رَحِمَهُ فَلْيَسْأَلْهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ بِآيَةٍ عَقُوبَةٍ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهَا.

وَأَمَّا أَنْ يَدْعُو اللَّهَ عَقِيبَ الْقِرَاءَةِ بِالْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَإِصْلَاحِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ»<sup>(٦)</sup>.

وَالْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ تَحْمِلُ فِي ثَنَائِهَا ذَمًّا لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْقُرْآنَ؛ لِلتَّكْسُبِ، وَالشُّهْرَةِ، وَطَلَبِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.

(١) أي: يقرأ القرآن.

(٢) أي: طَلَبَ الْقَارِيءُ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا مِنَ الرُّزْقِ لِقِرَاءَتِهِ الْقُرْآنَ.

(٣) أي: قَالَ عِمْرَانُ رضي الله عنه: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ» [البقرة: ١٥٦]؛ لِابْتِلَاءِ الْقَارِيءِ بِهَذِهِ الْمَصِيبَةِ، وَهِيَ سُؤَالُ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، أَوْ لِابْتِلَاءِ عِمْرَانَ رضي الله عنه بِمَشَاهِدَةِ هَذِهِ الْحَالَةِ الشَّنِيعَةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَاصِبِ.

انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري (٢٣٥/٨).

(٤) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في تعليم القرآن (١٧٩/٥) (ح ٢٩١٧). وقال: «حديث حسن». وحسنه الألباني أيضاً في «صحيح سنن الترمذي»: (١٠/٣) (ح ٢٣٣٠).

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بهادر المباركفوري، محدث ولد بقرية مباركفور - من توابع أعظم كدة - بالهند سنة (١٢٨٣هـ)؛ وقراً بالعربية وبالفارسية وبالأرومية، ورحل إلى البلاد القريبة منه، وقرأ على جماعة، كان ورعاً، إماماً في السنة، أودى في الله كثيراً فصبر، وقد أسس عدة مدارس، درس فيها بنفسه، ثم اعتزل في بيته، وانقطع للتأليف، وانتفع به خلق كثير. ومن آثاره: «تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذي»، وغيره من المؤلفات. توفي في موطنه مباركفور سنة (١٣٥٣هـ).

انظر: معجم المؤلفين (٣/٣٩٤). راجع ترجمته بتوسع في: مقدمة تحفة الأحوذى (ص ٦١٥ - ٦٣٤).

(٦) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٢٣٥/٨).

## المطلب الثاني

## عدم الانتفاع بقراءة القرآن

١ - حذر النبي ﷺ أصحابه من أفعال طائفة تأتي من بعدهم يقرؤون القرآن، غير أن القراءة لا تتعدى حناجرهم، وتبقى في حيز الأصوات بلا عمل فقال: «يَخْرُجُ»<sup>(١)</sup> في هذه الأمة - ولم يقل منها - قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتِكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، أَوْ حَنَاجِرَهُمْ<sup>(٢)</sup>، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.

والمراد بإخبار النبي ﷺ عن هؤلاء أن قراءتهم لا تجاوز حُلُوقَهُمْ أو حناجرهم:

قيل: إن قراءتهم للقرآن لا يرفعها الله تعالى ولا يقبلها، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. فأخبر الله تعالى أن العمل الصالح الموافق للقول الطيب، هو الذي يرفع القول الطيب<sup>(٤)</sup>.

وقيل: المراد أنهم لا يعملون بالقرآن فلا يُثابون على قراءتهم، فلا حظ لهم من القرآن إلا سَرَدَهُ<sup>(٥)</sup>.

ولذلك قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب»<sup>(٦)</sup>. والتعقل والتدبر يقود إلى العمل.

- (١) أجمع أهل العلم: على أن هؤلاء هم طائفة الخوارج الذين قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه، وذكر بعضهم: أنهم بهذا اللفظ سُموا الخوارج.
- انظر: تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، للسيوطي (١/١٦٢).
- (٢) الحناجر: جمع حنجرة، وهي آخر الحلق مما يلي الفم.
- (٣) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٤/٢١٦٤) (ج ٦٩٣).
- (٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/٢٩٩).
- (٥) انظر: تنوير الحوالك (١/١٦٢).
- (٦) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/١٠٥).



فرسول الله ﷺ يدعو الأمة إلى العمل بالقرآن بعد قراءته وفهمه، لا إلى الاقتصار على القراءة فحسب، فيفعلون كما فعل الخوارج، وكما فعل بنو إسرائيل من قبل، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُمُونَ أَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَايَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْتُونُ﴾ [البقرة: 178]. «والأماي: جَمْعُ أُمِّيَّةٍ وهي التلاوة»<sup>(١)</sup>.

وأكثر المسلمين اليوم - مع الأسف - لا حظ لهم من القرآن إلا تلاوته، وهذا من هجر القرآن الكريم ولا ريب.

٢ - وقد أكد النبي ﷺ في أكثر من مناسبة على أن السبب الرئيس في سرعة خروج هؤلاء الخوارج من الدين: هو عدم فقههم القرآن من جهة، وتركهم العمل بأوامره والنهي عن زواجره من جهة أخرى، ويحسبون أنهم على شيء؛ بسبب كثرة أعمالهم التي يعملونها، مع عدم ضبطها بضابط الشرع والحكمة والفقهاء في الدين، فكانهم لم يتفهموا بقراءتهم للقرآن، وبهذه الأعمال الكثيرة.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَحَمَلَكُمْ مَعَ حَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ<sup>(٢)</sup> كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ<sup>(٣)</sup>، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ<sup>(٤)</sup> فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرَّيْشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

والشاهد من الحديث: «إن هؤلاء يخرجون من الإسلام بغتة كخروج السهم إذا رماه رام قوي الساعد، فأصاب ما رماه، فنفذ منه بسرعة، بحيث لا يتعلق بالسهم، ولا بشيء منه من المرمى شيء، فإذا التمس الرامي سهمه لم يجده علق بشيء من الدّم ولا غيره»<sup>(٧)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٦/٢).

(٢) المروق: هو الخروج، وقيل: هو الخروج السريع.

(٣) الرميّة: هي الطريدة من الصيد.

(٤) القدح: هو خشب السهم.

(٥) يتمارى في الفوق: موضع الوتر من السهم. والمراد: يتشكك هل علق به شيء من الدّم.

(٦) رواه مسلم، كتاب الرّكاة، باب: التّحريض على قتل الخوارج (٧٤٨/٢) (ح ١٠٦٦).

(٧) تنوير الحوالك (١/١٦٢).

وهو تمثيل بالغ الوضوح منه ﷺ - الذي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً - لحال من هجر تدبر القرآن والعمل به، ولم تنفعه قراءة القرآن، ولو قرأه ليل نهار، نسأل الله العفو والعافية.

### المطلب الثالث

#### القرآن بيّن الجدل فيه والجدال عنه

الجدال والمراء في القرآن الكريم من أعظم مظاهر هجره، بل ربّما أدى ذلك إلى الكفر - عياداً بالله تعالى - كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُجِدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤].

فالمراء بآيات الله: هي القرآن. والمجادلة المذمومة: هي الطعن فيه، واستعمال المقدمات الباطلة للتوصل إلى دخضه وإبطاله.

قال أبو السعود<sup>(١)</sup> كَلَّمَهُ عند تفسيرها: ﴿مَا يُجِدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق. كقوله تعالى: ﴿رَجَدْنَا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]. ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بها، وأمّا الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها، فضلاً عن الطعن فيها<sup>(٢)</sup>.

ولذلك نجد أنّ النبي ﷺ كان يُحذّر من الجدل والمراء في القرآن العظيم، ويبيّن ﷺ في غير ما حديث أنّ ذلك يُؤدّي إلى الكفر؛ لأنّه سبيل إلى تفرقة المؤمنين، والتشكيك في أصل دينهم - كتاب الله تعالى - وصدّ الناس عن سبيل الله تعالى.

وفي ذلك حدة أحاديث، وهي على النحو التالي:

١ - عن أبي هريرة ؓ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «الجدال في

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ولد في قرية قرب القسطنطينية سنة (٨٩٣هـ). طلب العلم على جلة من العلماء منهم والده، واشتهر في تركيا ودرّس في مدارسها، وولي القضاء ببروسة وغيرها، ثم تولى منصب الإفتاء نحو ثلاثين سنة، وله عدة مصنفات أشهرها: تفسيره المسمّى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، توفي بالقسطنطينية سنة (٩٨٢هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢/٤٣٨).

(٢) تفسير أبي السعود (٧/٢٦٦).



القرآن كُفْرًا<sup>(١)</sup>.

قال ابن الأثير<sup>(٢)</sup> رحمته الله: «الجدال: مُقَابِلَةُ التَّحْجَّةِ بِالتَّحْجَّةِ. وَالمُجَادَلَةُ: المُنَاطَرَةُ وَالمُخَاصَمَةُ. وَالمَرَادُ بِهِ فِي الحَدِيثِ: الجِدَالُ عَلَى البَاطِلِ، وَطَلِبُ الغَالِبَةِ بِهِ. فَأَمَّا الجِدَالُ لِإِظْهَارِ الحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُودٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَدْلَهُمْ بِآيَاتِي مِمَّنْ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]»<sup>(٣)</sup>.

إِذَا هُنَاكَ تَوَعَّانَ مِنَ الجِدَالِ: جِدَالٌ مَحْمُودٌ، وَجِدَالٌ مَذْمُومٌ وَمُنْتَهَى عَنْهُ شَرْعًا.

فالتنازع في الأحكام بقصد إظهار الحق والوصول إلى الصواب في القول جائز إجماعاً.

إنما المنتهى عنه في الحديث: هو الجدال الذي يؤدي إلى المراء والوقوع في الشك، فهذا جدال لا يرجع إلى علم، إنما منشأ الهوى أو الجهل أو سوء الطوية، ولا دليل عليه بل الأدلة تمنع وتحذر منه، فهذا قد يؤدي - عياداً بالله - إلى الكفر<sup>(٤)</sup>.

٢ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تُجَادِلُوا فِي الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ جِدَالَ فِيهِ كُفْرٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک»، كتاب التفسير (٢/٢٤٣) (ح ٢٨٨٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/٥٩٦) (ح ٣١٠٦).

(٢) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزي (مجد الدين) أبو السعادات، كان فقيهاً محدثاً أديباً نحويًا، له تصانيف عديدة منها: «النهاية»، و«جامع الأصول في أحاديث الرسول»، و«الشافعي في شرح مسند الشافعي»، و«المصطفى المختار في الأدعية والأذكار»، وغيرها. توفي سنة (٦٠٦هـ).  
انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٥٣)؛ شذرات الذهب (٥/٢٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٤٧ - ٢٤٨).

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (٦/٢٨٨٥).

(٥) رواه الطيالسي في «مسنده» (١/٣٠٢) (ح ٢٢٨٦)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/٢٢٥٧)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/١٢١٠) (ح ٧٢٢٣)؛ و«السلسلة الصحيحة»: (٥/٥٤٥) (ح ٢٤١٩).

القرآن بيّن الجدال فيه والجدال عنه

جاء في (فيض القدير) عن الحلّيمي<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ: «هُوَ أَنْ يَسْمَعَ قِرَاءَةَ آيَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ؛ فَيَعْجَلُ عَلَيْهِ، وَيُحْطِئُهُ، وَيُنَسِّبُ مَا يَقْرُؤُهُ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ قُرْآنٍ، أَوْ يَجَادِلُهُ فِي تَأْوِيلِ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ وَيُضِلُّهُ، وَالْجِدَالَ رَبِّمَا أَزَاغَهُ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ وَجْهُهُ، فَلِذَلِكَ حَرَّمَ، وَسُمِّيَ كُفْرًا؛ لِأَنَّهُ يُشْرِفُ بِصَاحِبِهِ عَلَى الْكُفْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «نَهَى عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>.

فالمُنْهَى عَنْهُ فِي الْحَدِيثَيْنِ هُوَ الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ، مِنَ الطَّعْنِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَوْ بِكَوْنِ قَصْدِهِ مِنَ الْجِدَالِ نَصْرَةَ مَذْهَبِ الْبَاطِلِ، أَوْ إِظْهَارَ بَدْعَتِهِ وَإِخْفَاءِ الْحَقِّ، كَمَا حَكَى اللهُ تَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ بِالْمُجَادَلَةِ بِالْبَاطِلِ. وَالْقَصْدُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْمُجَادَلَةِ إِبْطَالُ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ الْكِرَامُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَرِزْقًا رِيبًا﴾ [الفرقان: ٢١].

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى ذَا مَآ جَدَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]<sup>(٤)</sup>.

أَمَّا الْجِدَالُ لِإِضْاحِ آيَةٍ مُلْتَبِسَةٍ، أَوْ حَلِّ مُعْضِلَةٍ، أَوْ مُنَاقَشَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي اسْتِنْبَاطِ مَعْنَى آيَةٍ مُخْتَلَفٍ فِيهَا؛ لِلرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الزَّيْغِ مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ الرَّاجِحِ مِنَ الْمَرْجُوحِ، وَالخَطَأَ مِنَ الصَّوَابِ. فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ، بَلْ هُوَ مِنَ النَّصِيحَةِ

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَلِيمِ، الْبَخَارِيُّ، الشَّافِعِيُّ، فَقِيهٌ، مُحَدِّثٌ، كَانَ مِنْ أَذْكِيَاءِ زَمَانِهِ، وَمِنْ فِرْسَانَ النَّظَرِ، لَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، صَاحِبٌ وَجْهِ حَسَنٌ فِي الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَصَارَ رَئِيسَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِلَدَانِ شَتَّى، تَوَفَّى سَنَةَ (٤٠٣هـ). لَهُ عِدَّةٌ مَصْنُوعَاتٍ، مِنْهَا: «مَنْهَاجُ الدِّينِ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ»، وَ«آيَاتُ السَّاعَةِ وَأَحْوَالُ الْقِيَامَةِ» وَغَيْرَهَا.

انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٣/١٠٣١)؛ طبقات الشافعية (٢/١٤٧).

(٢) فيض القدير (١٢/٦٣٨٩).

(٣) رواه السجزي (١/٢٨٣٩ كنز العمال)؛ وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/١١٥٩).

ح (٦٨٧٣).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٤/٣٤ - ٣٥).

لكتاب الله تعالى<sup>(١)</sup>.  
 ٣- وكما نهى النبي ﷺ عن الجدال في القرآن فقد نهى أيضاً عن المراء  
 - وهو صنو الجدال - للتأكيد على هذه المسألة المهمة، وذلك في عدة أحاديث،  
 منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المراء<sup>(٢)</sup> في القرآن كفر»<sup>(٣)</sup>.

معنى المراء:

مما قاله الخطابي<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه في بيان هذا الحديث: «اختلف الناس في تأويله.  
 فقال بعضهم: معنى المراء هنا: الشك فيه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ﴾  
 [هود: ١٧]. أي في شك، ويقال: بل المراء هو الجدال المشكك فيه.

وتأوله بعضهم على المراء في قراءته دون تأويله ومعانيه، مثل أن يقول  
 قائل: هذا قرآن قد أنزله الله تبارك وتعالى، ويقول الآخر: لم يُنزله الله هكذا،  
 فيكفر به من أنكره، وقد أنزل سبحانه كتابه على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ،  
 فنهاهم رضي الله عنهم عن إنكار القراءة التي يسمع بعضهم بعضاً يقرؤها، وتوعددهم بالكفر  
 عليها؛ لينتهوا عن المراء فيه والتكذيب به»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: فيض القدير (١٢/٦٢١٦).

(٢) المراء: هو الجدال. والتَمَارِي والمُمَارَاة: هو المُجَادَلَة على جهة الشك والريبة. ويقال  
 للمناظرة: مَمَارَاة؛ لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري  
 الحالب اللبن من الضرع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٢٢).

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب: النهي عن الجدال في القرآن (٤/١٩٩). (ح ٤٦٠٣)؛  
 وابن حبان في «صحيحه» (٤/٣٢٤) (ح ١٤٦٤)؛ وحسنه ابن القيم في «تهذيب سنن أبي  
 داود»: (٦/٧)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/١١٣٤) (ح ٦٦٨٧).

(٤) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، أبو سليمان الخطابي، الإمام،  
 الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف، ومنها: «معالم السنن في شرح سنن أبي داود»،  
 و«غريب الحديث»، و«شرح الأسماء الحسنى»، و«الغنية عن الكلام وأهله». توفي سنة  
 (٣٨٨هـ). انظر: معجم البلدان (١/٤١٥)؛ الأنساب، للسمعاني (٢/٢١٠)؛ وفيات  
 الأعيان (٢/٢١٤)؛ سير أعلام النبلاء (١٧/٢٣)؛ البداية والنهاية (١١/٢٣٦).

(٥) معالم السنن في شرح سنن أبي داود (٥/٩). وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن  
 (ص ٢٠٦)؛ مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/٣٠٢).



القرآن بَيْنَ الجَدالِ فيه والجَدالِ عنده

وجاء في (عون المعبود) عن الطَّيْبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هو أن يروم تكذيب القرآن بالقرآن؛ ليدفع بعضه ببعض، فيتبغى أن يجتهد في التوفيق بين المتخالفين على وجه يوافق عقيدة السلف، فإن لم يتيسر له فليكله إلى الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حبان<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إذا ماري المرء في القرآن أداه ذلك - إن لم يعصمه الله - إلى أن يرتاب في الآي المتشابه منه، وإذا ارتاب في بعضه أداه ذلك إلى الجحد، فأطلق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسم الكفر الذي هو الجحد، على بداية سببه الذي هو المراء»<sup>(٣)</sup>.

ما ينبغي عند الاختلاف:

وينبغي عند الاختلاف في المسائل العلمية - التي ظاهرها التعارض - أو القراءات مثلاً، أن يُحتَكَمَ إلى العلماء الراسخين، فقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَبِّي أصحابه على ذلك، ويحذّرهم من المراء في القرآن المؤدّي إلى الكفر.

فعندما اختلف رجلان في آية من القرآن، قال الأوّل منهما: تلقّيتها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الآخر: تلقّيتها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فسألا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «القرآن يُقرأ على سبعة أحرف»<sup>(٤)</sup>، فلا تُماروا في القرآن، فإنّ مراء في

(١) (٢٣١/٤٢).

(٢) هو الإمام الحافظ المجرّد، شيخ خراسان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي، ولد نحو (٢٧٠هـ)، كان من فقهاء الدين، وحفّاظ الآثار، عالماً بالطب والنجوم، ومن أشهر تلاميذه: الحاكم صاحب المستدرک. توفي بسجستان بمدينة بّست سنة (٣٥٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦).

(٣) صحيح ابن حبان (٣٢٤/٤).

(٤) المراد بالحرف: اللّغة. والمعنى: أنّ القرآن أنزل على سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن المراد: أنّ هذه السّبع اللّغات مُفرّقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وهكذا.

قال أبو عبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وليس معنى تلك السّبعة أن يكون الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات مُفرّقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، =



القرآن كُفْرًا<sup>(١)</sup>.

قال أبو عبيد<sup>(٢)</sup> رحمته الله في معنى الحديث: «ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل، ولكنه على الاختلاف في اللفظ، وهو أن يقول الرجل على حرف<sup>(٣)</sup>، فيقول الآخر: ليس هو هكذا، ولكنه على خلافه، وكلاهما منقول مَقْرُوءٌ به<sup>(٤)</sup>. فإذا جحد كل واحد منهما قراءة صاحبه، لم يؤمن أن يكون ذلك يُخْرِجُهُ إلى الكفر؛ لأنه نفى حرفاً أنزله الله على نبيه.

والتكبير في المراء إيداناً بأن شيئاً منه كُفْرٌ، فضلاً عما زاد عليه.

وقيل: إنما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذكُرُ القدر، ونحوه من المعاني، على مذهب أهل الكلام، وأصحاب الأهواء والآراء، دون ما تَضَمَّنَتْهُ من الأحكام، وأبواب الحلال والحرام؛ فإن ذلك قد جرى بين

والتالث بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة. وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذلك يُبين في أحاديث ترى.

فضائل القرآن، لأبي عبيد (٣٣٥). وانظر: جمال القراء، للسخاوي (ص ٦٥٥)؛ تفسير الطبري (١٨/١)؛ تفسير القرطبي (٤١/١)؛ فضائل القرآن، لابن كثير (ص ٤٤)؛ البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢١١)؛ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/١٩ - ٣١)؛ الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي (١/١٣١ - ١٤٢).

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٣٣٧، ٣٥٤)؛ وأحمد في «المسند» (٤/١٦٩) (ح ١٧٥٧٧). وقال محققو المسند (٨٥/٢٩) (ح ١٧٥٤٢): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي، الخزاغي بالولاء، الخراساني، البغدادي (أبو عبيد) ولد سنة (١٥٧هـ)، من كبار العلماء في الحديث، والأدب، والفقه. ولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، من كتبه: «الأموال»، و«أدب القاضي»، و«الإيمان ومعالمه وسننه، واستكمالها، ودرجاته» مخطوط في الظاهرية بدمشق. توفي بمكة سنة (٢٢٤هـ).

انظر: تهذيب التهذيب (٨/٣١٥ - ٣١٨)؛ تذكرة الحفاظ (٢/٥٦).

(٣) بمعنى: يقرأ على حرف.

(٤) يُعلم ذلك بحديث النبي ﷺ المشهور: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» الحديث. رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: ما جاء في المتأولين (٤/٢١٦٥) (ح ٦٩٣٦). وسبب الحديث: قصة عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما، في قراءة هشام في الصلاة على حروف كثيرة لم يسمِعها عُمَرُ من رسول الله ﷺ، فاحتكما إليه، فأقرَّ كلاهما على قراءته، ثم ذكُرَ الحديث.

## اتباع المتشابه وترك المحكم

الصَّحَابَةُ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَذَلِكَ فِيمَا يَكُونُ الْغَرَضُ مِنْهُ وَالْبَاعِثُ عَلَيْهِ ظُهُورَ الْحَقِّ لِيُسَبَّحَ، دُونَ الْعَلْبَةِ وَالتَّعْجِيزِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

## الوقاية من الجدل والمراء:

ومن أجل الوقاية من التَّورُّطِ في برائن الجدل والمراء كان النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّ أَصْحَابَهُ ﷺ إِلَى شَيْءٍ يَفْعَلُوهُ احْتِرَازًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْاِخْتِلَافِ الْمُؤَدِّيِّ إِلَى الْفُرْقَةِ فِي الدِّينِ:

فَعَنْ جُنْدِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اِخْتَلَفْتُمْ<sup>(٢)</sup> فَقُومُوا عَنْهُ<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

فقد أوصى النَّبِيُّ ﷺ أصحابه الكرام بالاستمرار في قراءة القرآن، ولزوم طريق الألفة بينهم، فإذا وقع الاختلاف، سواء في المعنى أو كيفية الأداء، فليتركوا القراءة، وليتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة، وليعرضوا عن المتشابه المؤدِّي إلى الفرقة في الدين.

ومن فوائد هذه الوصية النبوية العظيمة: الحُضْرُ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالْأَلْفَةَ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْاِخْتِلَافِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ حَقٍّ، حَتَّى لَا يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى هَجْرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ<sup>(٥)</sup>.

## المطلب الرابع

## اتباع المتشابه وترك المحكم

إِنَّ مِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ هَجْرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: اتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهِ وَتَرْكَ الْمُحْكَمِ، وَلَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ السَّيِّئِ:

(١) نقلًا عن: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٢٢)؛ عون المعبود (١٢/٢٣١).

(٢) في فهم المعاني، أو أداء القراءات.

(٣) أي: تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم (٣/١٦٢٩) (ح ٥٠٦١).

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/١٠٢).

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: «تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...أُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ، فَأَحْذَرُوهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

واختلف المفسرون، والأصوليون، وغيرهم في معنى المحكم والمتشابه اختلافاً كبيراً، فنقل ابن حجر رحمته الله جانباً من اختلافهم، ومن جملة ما قاله في شرحه للحديث: «المحكم من القرآن: ما وضع معناه، والمتشابه: نقيضه. وسُمِّيَ المحكم بذلك؛ لوضوح مفردات كلامه، وإتقان تركيبه، بخلاف المتشابه. وقيل: المحكم: ما عُرف المراد منه إماماً بالظهور وإمماً بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه؛ كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور. وقيل في تفسير المحكم والمتشابه أقوال آخر غير هذه، نحو العشرة، ليس هذا موضع بسطها، وما ذكرته أشهرها وأقربها إلى الصواب»<sup>(٢)</sup>.

ونقل النووي عن أبي حامد الغزالي<sup>(٣)</sup> قوله: «الصحيح أن المحكم يرجع

إلى معنيين:

أحدهما: المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال، والمتشابه: ما يتعارض فيه الاحتمال.

والثاني: أن المحكم ما انتظم ترتيبه مفيداً، إمّا ظاهراً وإمّا بتأويل. وأمّا المتشابه: فالأسماء المشتركة، كالقرء، وكالذي بيده عقدة النكاح، وكاللمس. فالأول: متردد بين الحيض، والظهور. والثاني: بين الولي، والزوج.

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ (٣/١٣٧٧) (ح ٤٥٤٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٢٦٥).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، الملقب بحجة الإسلام، ولد سنة (٤٥٠هـ) من فقهاء الشافعية، له مصنفات في الفقه وأصوله والفلسفة، ولولا اشتغاله بالفلسفة والتصوف لكان له شأن أعظم مما كان. من مصنفاته: «إحياء علوم الدين»، و«المستصفى»، و«الوجيز»، و«الخلاصة». توفي سنة (٥٠٥هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٤/٣١٦ - ٢١٩).



## اتباع المتشابه وترك المحكم

والثالث: بين الوطاء، والمسْر باليد<sup>(١)</sup>.  
 «ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي: ضلالٌ وخروجٌ عن الحقِّ إلى الباطل ﴿فَيَقْبَعُونَ مَا نَشَاءُ مِنْهُ﴾، أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يُحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ويُنزّلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يَصْرِفونه، فأما المحكم فلا نصيبَ لهم فيه؛ لأنه دائمٌ لهم وحُجّةٌ عليهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَتَبَعَاءَ أَلْفَتَوْا﴾، أي: الإضلال لأتباعهم، إيهاماً لهم أنهم يَحتجُونَ على بدعتهم بالقرآن، وهو حُجّةٌ عليهم لا لهم، كما لو احتجَّ النَّصارى بأنَّ القرآن قد نطقَ بأنَّ عيسى هو روح الله وكلمته ألقاه إلى مريم وروح منه، وتركوا الاحتجاجَ بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وغير ذلك من الآيات المُصرّحة بأنه خلقٌ من مخلوقات الله، وعَبْدٌ، ورسولٌ من رُسل الله<sup>(٢)</sup>.

ولذلك حذّر النبي ﷺ من الذين يتبعون ما تشابه من القرآن بمعنى أنهم يبحثون في الآيات المتشابهة، ويتركون المحكم منها؛ بقصد أن يفتنوا النَّاسَ عن دينهم ويضلّوهم، فهؤلاء هم الذين سَمّاهم الله تعالى أهلَ الزَّيغ، فأمرَ ﷺ بالحدِّل منهم والتَّوَقُّي من شرِّهم وضلالهم، وذلك بعدم مُجالستهم ومُؤاكلتهم ومُكالمتهم؛ فإنهم أهلُ الزَّيغ والبدع والفساد، فحُفُّهم أن يُهجروا في الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما صرّح به ابنُ القيم رحمه الله بقوله: «إذا سئِلَ أحدٌ عن تفسير آيةٍ من كتاب الله تعالى، أو سنّةٍ عن رسول الله ﷺ، فليس له أن يُخرِجها عن ظاهرها بوجوه التَّأويلات الفاسدة لموافقة نخلته وهواه، ومن فعل ذلك استحقَّ المَنع من الإفتاء والحجْر عليه، وهذا الذي ذكرناه هو الذي صرّح به أئمّة الإسلام قديماً وحديثاً<sup>(٤)</sup>».

ومن فوائد هذا الحديث: التحذير من مخالطة أهل الزَّيغ، وأهل البدع،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢٣٤/١٦) وانظر: المستصفى، لأبي حامد الغزالي (١/٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٢). (٣) انظر: عون المعبود (١٢/٢٢٧).

(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٤/٢٤٥).



وَمَنْ يَتَّبِعِ الْمَشْكَلاتِ لِلْفِتْنَةِ. وَمَنْ يَسْأَلُ كَذَلِكَ بِقِصْدِ الْفِتْنَةِ، فَهَذَا لَا يُجَابُ بِلِ  
مُزْجَرٍ، وَيُعْتَرَّزُ، كَمَا عَزَّرَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه صَيْغَ بِنِ عَسَلٍ حِينَ كَانَ يَتَّبِعُ  
الْمِشْتَابَةَ. بعضها وَأَمَّا مَنْ سَأَلَ عَمَّا أَشْكَلُ عَلَيْهِ لِلْإِسْتِشَادِ، وَتَلَطَّفَ فِي سَأَلِهِ فَلَا خَرْجَ  
عَلَيْهِ، وَجَوَابُهُ وَاجِبٌ <sup>(١)</sup>.

### المطلب الخامس

#### ترك قراءة القرآن في البيوت

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ. إِنَّ  
الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تَقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ» <sup>(٢)</sup>، <sup>(٣)</sup>.

أي: لا تجعلوا بيوتكم «خالية» عن الذكر والطاعة فتكون كالمقابر، وتكونون  
كالموتى فيها» <sup>(٤)</sup>.

ففيه التذنب إلى كثرة قراءة القرآن في البيوت، إذ الموتى لا يقرؤون القرآن،  
بل انقطع عنهم التكليف.

فالمعنى: لا يكون حالكم كحال الموتى الذين لا يقرؤون القرآن في بيوتهم  
- وهي القبور.

وقيل في معناه: لا تجعلوا بيوتكم وطناً للنوم فقط، لا حَظَّ فيها للذكر من  
قراءة القرآن والصلاة، فإنَّ النَّوْمَ أخو الموت، والميت لا يقرأ القرآن ولا  
يُصَلِّي <sup>(٥)</sup>.

\* ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللهُ

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٤٣٤/١٦).

(٢) حُصِّتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ بِذَلِكَ؛ لِطَوْلِهَا، وَكَثْرَةِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَالْأَحْكَامِ فِيهَا.

انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (١٤٦/٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته  
وجوازها في المسجد (٥٣٩/١) (ح ٧٨٠).

(٤) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (١٤٦/٨).

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٢٩/١).

فيه، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ<sup>(١)</sup>.

«إطلاق الحي والميت في وصف البيت، إنما يراد به ساكن البيت. فشبهه الذَّاكِرُ: بالحي الذي ظاهره متزيّن بنور الحياة، وباطنه بنور المعرفة. وغير الذَّاكِرُ: بالميت الذي ظاهره عاطل، وباطنه باطل»<sup>(٢)</sup>.

\* ويدلُّ على ذلك قوله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»<sup>(٣)</sup>.

فَمَنْ هَجَرَ الْقُرْآنَ وَتَرَكَ قِرَاءَتَهُ فَهُوَ كَالْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، وَكَفَى لَهُ ذِمًّا بِذَلِكَ.

### المطلب السادس

#### أحوال المنافق مع القرآن

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ<sup>(٤)</sup>، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ<sup>(٥)</sup>، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»<sup>(٦)</sup>.

فالمنافق بين حالين أحسنهما سيئ؛ لأنه سيئ الباطن ولو حاول التظاهر بصفات أهل الإيمان وشاركهم بقراءة القرآن، فإن هذه القراءة عمل ظاهري يقصد به خداع الناس والتّمويه عليهم، فمثله كمثّل الرّيحانة قد يعترّ الجاهل بطيب

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٥٣٩/١) (ح ٧٧٩).

(٢) المصدر السابق (٢١٠/١١ - ٢١١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب: فضل ذكر الله ﷻ (٢٠١٢/٤) (ح ٦٤٠٧).

(٤) الرّيحان: جنس من الثّبات طيب الرائحة من الفصيلة الشّفوية، وكل نبت طيب الرائحة، ويقال: للمرأة رّيحانة. انظر: المعجم الوسيط (ص ٣٨١).

(٥) الحنظل: نبت مفترش، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لبّ شديد المرارة.

انظر: المعجم الوسيط (ص ٢٠٢).

(٦) رواه البخاري، كتاب التّوحيد، باب: قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم لا تُجاوز حناجرهم (٢٣٦٣/٤) (ح ٧٥٦٠)؛ ومسلم، واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضيلة حافظ القرآن (٥٤٩/١) (ح ٧٩٧).

رائحتها فإذا أكل منها ذاق المرَّ والعلقم، وكذلك المنافق إن عاملته وعاشرته تَذَوَّقَتْ مرارته وكشفت حقيقته. (١) عن ابن بَطَّال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ قِرَاءَةَ الْفَاجِرِ وَالْمِنَافِقِ لَا تَرْتَفِعُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَزْكُو عِنْدَهُ، وَإِنَّمَا يَزْكُو عِنْدَهُ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهَهُ وَكَانَ عَلَى نِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَشَبَّهَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالرَّيْحَانَةِ حِينَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِبِرَكَةِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَفِزْ بِحَلَاوَةِ أَجْرِهِ، فَلَمْ يَجَاوِزِ الطَّيِّبُ مَوْضِعَ الصَّوْتِ وَهُوَ الْحَلْقُ، وَلَا أَتَّصِلَ بِالْقَلْبِ» (٢).

فالمنافق إذا سمعته يتلو القرآن تصوَّرت وراء هذه التلاوة صدراً يعمر بالإيمان، ولكنك لو تأملت أكثر عرفت حال وفساد عقيدته، عند ذلك ستنصرف عنه وتلقيه كما يُلقى بالثمرة إذا اخْتَبِرَ طَعْمُهَا فَوُجِدَتْ مَرَّةً خَيْبَةَ الطَّعْمِ.

وإذا كان هذا حال المنافق الذي يقرأ القرآن، فما الظنُّ بالمنافق الذي لا يقرأ القرآن؟ فقد جَمَعَ إلى مرارة الطَّعْمِ (أي فساد العقيدة) حُبَّتِ الرَّائِحَةُ، فقلبه فاسد بسوء معتقده، ورائحته فاسدة بإعراضه عن كتاب الله تلاوةً، فضلاً عن التدبُّر والتأثر والعمل، فهذا سيئ الباطن والظاهر، فمثله كمثل الحنظلة التي تنفر من منظرها وتعاफी حتَّى الإبل؛ لما فيها من مرارة وطعم خبيث. فهو في بحر لجيٍّ من الظلمات بعضها فوق بعض: ﴿وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] (٣).

### المطلب السابع

## ترك التَّغْنِي بِالْقُرْآنِ

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَسَّ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ» (٤).

(١) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بَطَّال البكري، القرطبي، المالكي، ويُعرف بابن اللجام (أبو الحسن)؛ محدث، فقيه، استقضي بحصن لورقة، وتوفي في آخر يوم من صفر سنة (٤٤٩هـ). من آثاره: «شرح الجامع الصحيح للبخاري» في عدة أسفار، و«الاعتصام في الحديث». انظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٥٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/٦٥٧).

(٣) انظر: أنوار القرآن (ص ٨٩ - ٩٢)؛ ورتل القرآن ترتيلاً (ص ١٦ - ١٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ =

## ترك التَّغْنِي بِالْقُرْآنِ

وقد ذكر ابن حبان رحمته الله أن: «معنى قوله رحمته الله ليس مِنَّا في هذه الأخبار، يُريد به: ليس مثلنا في استعمال هذا الفعل؛ لأننا لا نفعلها فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَّا»<sup>(١)</sup>.  
 واختلف أهل العلم في معنى يتغنى، هل هو من التَّغْنِي بمعنى: تحسين الصوت أو هو الاستغناء بالقرآن عن غيره؟  
 جاء في (الفتح) عن ابن الجوزي رحمته الله أنه قال: «واختلفوا في معنى قوله (يَتَغَنَّي) على أربعة أقوال: أحدها: تحسين الصوت. والثاني: الاستغناء. والثالث: التَّحْزُن، قاله الشافعي. والرابع: التَّشَاغُل به، تقول العرب: تغنى بالمكان أقام به»<sup>(٢)</sup>.

\* وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن المقصود بالحديث: هو تحسين الصوت بالقرآن.

قال النووي رحمته الله في شرحه للحديث: «معناه عند الشافعي، وأصحابه، وأكثر العلماء من الطوائف، وأصحاب الفنون: تحسين صوته به»<sup>(٣)</sup>.  
 وهو اختيار الطبري<sup>(٤)</sup>، والقرطبي<sup>(٥)</sup>، وابن كثير<sup>(٦)</sup>، وابن حبان<sup>(٧)</sup>.

\* وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالحديث: الاستغناء بالقرآن عن غيره، وهو اختيار أبي عبيد، وسفيان بن عيينة<sup>(٨)</sup>.

[الملك: ١٣] [٢٣٥١/٤] (ح ٧٥٢٧)؛ وأبو داود، باب: استحباب الترتيل في القراءة (٧٤/٢) (ح ١٤٧١)؛ وابن حبان في «صحيحه»، باب: ذُكِرَ الرَّجْرَجُ عَنِ الْإِسْتِغْنَاءِ بِالْقُرْآنِ، بما أوتي من كتاب الله جلَّ وعلا (٣٢٦/١) (ح ١٢).

- (١) صحيح ابن حبان (٣٢٦/١).
- (٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧٠/٩).
- (٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٧٨/٦). وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٣٥).
- (٤) تفسير الطبري (١٠٠/١٦٨).
- (٥) تفسير القرطبي (١٩/١).
- (٦) تفسير ابن كثير (٤/٥٥٥).
- (٧) صحيح ابن حبان (١/٣٢٦).

(٨) هو الإمام سفيان بن عيينة بن أبي عمران، مولى بني هلال (أبو محمد)، ولد سنة (١٠٧هـ) بالكوفة، وكان ثقةً، ثباتاً، كثير الحديث، حجةً، مُحدِّث الحجاز في زمانه في مكة، حتى قال فيه الشافعي: «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز». سكن مكة وتوفي بها عام (١٩٨هـ)، وعمره: (٩١) سنة. (٢٦٠ - ٢٦٨) سنة (١٩٧ - ١٩٨هـ).  
 انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥/٤٩٧).



قال سفيان: «تفسيره: يَسْتَغْنِي بِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وعند سفيان بن عيينة: يستغني به. قيل: يستغني به عن النَّاسِ. وقيل: عن غيره من الأحاديث والكتب.

قال القاضي عياض<sup>(٢)</sup>: القولان منقولان عن ابن عيينة. قال: يُقَالُ: تَغَنَّىتُ وَتَغَانَيْتُ بِمَعْنَى: اسْتَعْنَيْتُ»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قوله: (مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ) التَّغْنِي: هو الاستغناء والتَّعْفُفُ عن مسألة النَّاسِ واستكمالهم بالقرآن، وأن يكون في نفسه بحمله القرآن غنياً، وإن كان من المال مُعْدِماً»<sup>(٤)</sup>.

وقد صرَّح ابن حجر باختيار أبي عبيد بقوله: «وقد ارتضى أبو عبيد تفسير يَتَغَنَّي بِسْتغْنِي، وقال: إنه جائز في كلام العرب... فعلى هذا يكون المعنى: مَنْ لَمْ يَسْتغْنِ بِالْقُرْآنِ عَنِ الْإِكْتِثَارِ مِنَ الدُّنْيَا فَلَيْسَ مِنَّا، أي على طريقتنا»<sup>(٥)</sup>.

وعلى ما تقدَّم: فمن لم يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، أو لم يَسْتغْنِ بِالْقُرْآنِ عَنِ غَيْرِهِ، فَقَدْ هَجَرَ كِتَابَ رَبِّهِ تَعَالَى، وهو ليس على طريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام في هذا الهدى المبارك، فليحذر أشدَّ الحذر من ذلك، فَمَنْ حَذَرَكَ فَقَدْ أَنْذَرَكَ، وَمَنْ أَنْذَرَكَ وَقَاكَ شَرَّ الْخَطَرِ.



(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ (٣/١٦١٩) (ج ٥٠٢٤).

(٢) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي السبتي، إمام وقته ببلاد المغرب، في الحديث وعلومه والنحو واللغة، وله مصنفات جيِّدة، منها: «التنبيهات»، و«مشارك الأنوار»، و«شرح كتاب مسلم»، واشتهر بالذكاء وحُسن السيرة، توفي سنة (٥٤٤هـ)، وكانت ولادته سنة (٤٧٦هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/٤٨٣ - ٤٨٥).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٧٨). (٤) فضائل القرآن، لأبي عبيد (ص ٢١٠).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٨٨).



### المبحث الثالث

## آثار السلف في ذم هجر القرآن

وفيه

ذكر لبعض الآثار المنقولة  
عن السلف الصالح في ذم هجر القرآن

## آثار السلف في ذم هجر القرآن

شأننا شجيداً  
 إِنَّ الْآثَارَ الْوَارِدَةَ عَنْ سَلْفِنَا الصَّالِحِ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ فِي ذَمِّ هَجْرِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَمَتْنُوعَةٌ.

وهذه بعض الآثار المنقولة على لسانهم ﷺ تُحذِّرُنَا مِنْ هَجْرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتُبَيِّنُ لَنَا مَغَبَّةَ هَذَا الْفِعْلِ وَأَثَرَهُ السَّيِّئِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْأُمَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وسأذكر كل أثرٍ منها تحت عنوان يدلُّ عليه اجتهاداً مني، ودون تعليقٍ عليها؛ لأنها من الوضوح بمكان، إلا ما اقتضى الحال بيانه، وهي على النحو الآتي:

## ١ - ذمُّ التَّأْكُلِ بِالْقُرْآنِ:

\* عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا جِئْنٌ وَمَا نَرَى أَنْ أَحَدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا كَانَ هَا هُنَا بِأَخْرَةٍ، خَشِيتُ أَنْ رَجَالًا يَتَعَلَّمُوهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ وَمَا جِنْدَهُمْ، فَارِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ، وَإِذْ يُنَبِّئُنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْقَطَعَ الْوَحْيُ، وَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ، مَنْ أَعْلَنَ خَيْرًا حَبِيبَنَا عَلَيْهِ وَظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا، وَمَنْ أَظْهَرَ شَرًّا بَغْضَانَاهُ عَلَيْهِ وَظَنَّنَا بِهِ شَرًّا، سَرَّائِرُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الفريابي في «فضائل القرآن» (ص ٢٤٣) (رقم ١٧٣)؛ والأجري في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٤٦) (رقم ٢٢)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٨٠/١٠) (رقم ١٠٠٥٠) بلفظ مقارب. وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣/٣٨٣).



قال الأجرى (١) رحمته: «إِذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ خَافَ عَلَى قَوْمٍ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِيْلَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ الْيَوْمَ!؟ وَقد أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَكُونُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يُقِيمُونَهُ كَمَا تُقِيمُونَ الْقِدْحَ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ، يَطْلُبُونَ بِهِ عَاجِلَةَ الدُّنْيَا وَلَا يَطْلُبُونَ بِهِ الْآخِرَةَ» (٢).

\* وَعَنْ زَادَانَ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَأَكَّلُ بِهِ النَّاسَ» (٣). جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَظْمٌ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ» (٤).

ولما جعل أشرف الأشياء، وأعظم الأعضاء وسيلة إلى أذناها، وذريعة إلى أردتها، جاء يوم القيامة في أقيح صورة وأسوء حالة. قال بعض العلماء: استجرار الجيفة بالمعازف، أهون من استجرارها بالمصاحف، وفي الأخبار: مَنْ

(١) هو الإمام المحدث القدوة أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى، نسبة لأجر من قرى بغداد، فقيه، حافظ، صاحب سنة واتباع، قال ابن خلكان: «أخبرني بعض العلماء أنه لما دخل إلى مكة أعجبته، فقال: اللهم ارزقني الإقامة بها سنة، فسمع هاتفا يقول له: بل ثلاثين سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة، ثم مات بها». توفي بمكة سنة (٣٦٠هـ) وهو من أبناء الثمانين. ومن تصانيفه: «التهجدة»، و«تحريم الترد والشطرنج والملاهي»، و«آداب العلماء»، و«تحقيق رؤية الله في الآخرة». انظر: وفيات الأعيان (٢٩٢/٤)؛ سير أعلام النبلاء (١٧٨/١٠)؛ تاريخ بغداد (٢٤٣/٢).

(٢) أخلاق حملة القرآن (ص ٤٧).

(٣) (يتأكل به الناس): أي يطلب به الأكل من الناس. قال الطيبي: يعني يستأكل، كتعجل بمعنى استعجل. والباء في (به) للآلة. أي: أموالهم.

انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان القاري (٩٨/٥).

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» موقوفاً على زادان (ص ٢٠٨)؛ وكذا الأجرى في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٦٣) (رقم ٤٤)؛ وكذا أبو نعيم في «الحلية» (١٩٩/٤)؛ وكذا ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨/٢) (رقم ٧٧٤٩).

(تنبية): ولا يصح مرفوعاً. رواه ابن حبان في «المجروحين» (١٤٨/١) وقال: (١/١٤٩): «هذان حديثان - وقد ذكرتهما حديثاً آخر - لا أصل لهما من حديث رسول الله ﷺ. وذكره ابن الجوزي في «الغلل المنتهية» (١١٧/١ - ١١٨) ثم قال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وإنما يروى نحوه عن الحسن البصري. قال أبو حاتم ابن حبان: لا أصل لهذا من حديث رسول الله ﷺ.

وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعية، للكفائي (٣٠٩/١)؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (٣٠٦/١)؛ لسان الميزان، لأجن حجر (٣١٦/١)؛ فيض القدير (١٩٦/٦). وقال الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٤/٥) (ح ٥٧٧٥): «موضوع».

آثار السلف في ذم هجر القرآن

طَلَبَ بِالْعِلْمِ الْمَالَ، كَانَ كَمَنْ مَسَحَ أَسْفَلَ مَدَاسِهِ وَنَعَلَهُ بِمِحَاسِهِ لِيَنْظِفَهُ.

وروي عن الحسن البصري أنه قال: البهلوان الذي يلعب فوق الحبال، أحسن من العلماء الذين يميلون إلى المال؛ لأنه يأكل الدنيا بالدنيا، وهؤلاء يأكلون الدنيا بالدين، فيصدق عليهم قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِمَعْتَرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] (١).

٢ - وَيَلْ لِمَنْ تَبِعَهُ الْقُرْآنَ:

\* عن أبي كنانة، أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه جمع الذين قرؤوا القرآن، وهم قريب من ثلاثمائة، فعظم القرآن وقال:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَأَنَّ لَكُمْ دُخْرًا، وَكَأَنَّ عَلَيْكُمْ وَزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَّبِعُكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ رَخَّ بِهِ (٢) فِي قَفَاهُ فَقَذَفَهُ فِي النَّارِ» (٣).

٣ - دَمٌ مَنْ حَفِظَ حُرُوفَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ:

\* عن الحسن (٤) البصري رضي الله عنه قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩٨/٥).

(٢) (رَخَّ بِهِ): أي: دفعه. يقال: زخخته أزخه زخاً؛ إذا دفعته. انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد (١٧٣/٤)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩/١) و(٢٩٨/٢).

(٣) رواه الأجوّري في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٢٠) (رقم ٣). وقال محققه (فواز أحمد زمرلي): «سنده حسن». ورواه بنحوه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٨١ - ٨٢)؛ والدارمي في «سننه»، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن (٣٠٧/٢) (رقم ٣٣٢٨)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥٧/١)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤٢/٧) (رقم ٣٤٨٢١)؛ وسعيد بن منصور في «سننه» (٤٩/١) (رقم ٨).

(٤) هو الحسن بن يسار البصري (أبو سعيد)، من كبار التابعين، ولد سنة (٢١هـ) بالمدينة، وسكن بالبصرة، وكان حبر الأمة وإمامها في زمانه في الحديث والفقه والتفسير، وكان قد شَبَّ في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم حتى صارت له هيبة عظيمة، توفي سنة (١١٠هـ). انظر: وفيات الأعيان (٦٩/٢ - ٧٣) (ت ١٥٦)؛ وتهذيب التهذيب (٢/٢٦٣ - ٢٧٠) (ت ٤٨٨).

لَا عَلِمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ وَلَمْ يَنَالُوا الْأَمْرَ مِنْ أَوَّلِهِ<sup>(١)</sup>. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ لِذِكْرِهِ وَلِتَذَكَّرَ بِهِ أُولَاؤِكَ وَمَا تَدْبُرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتَّبَاعُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِحَافِظٍ حُرُوفِهِ، وَإِضَاعَةٍ حُدُودِهِ حَتَّىٰ إِنَّا أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللَّهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يَرَىٰ لَهُ الْقُرْآنَ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ حَتَّىٰ إِنَّا أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفْسٍ وَاحِدٍ، وَاللَّهُ مَا هُوَ إِلَّا بِالْقُرْآنِ، وَلَا الْعُلَمَاءُ، وَلَا الْحُكَمَاءُ، وَلَا الْوَرَعَةَ، مَتَىٰ كَانَتِ الْقُرْآنُ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟ لَا أَكْثَرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ<sup>(٢)</sup>.

قال الأجرى رحمه الله: «فأما من قرأ القرآن للدنيا، أو لأبناء الدنيا، فإن من أخلاقه أن يكون حافظاً لحروف القرآن، مضيئاً لحدوده، متعظماً في نفسه، متكبراً على غيره، قد اتخذ القرآن بضاعة يتأكل به الأغنياء، ويستقضي به الحوائج، يعظم أبناء الدنيا ويحقر الفقراء، إن علم الغني رفق به طمعاً في دنياه، وإن علم الفقير زجره وعنفه؛ لأنه لا دنيا له يطمع فيها<sup>(٣)</sup>.

#### ٤ - هجر تدبر القرآن:

\* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لقد عشتُ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِي وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِيلِ السُّورَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا. وَمَا يَتَّبِعُنِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدَهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ، مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

(١) يعني: لم يسلكوا سبيلاً يحصل لهم بسلوكة العلم بتأويله.

(٢) رواه الفريابي في «فضائل القرآن» (ص ٢٤٦ - ٢٤٧) (رقم ١٧٧)؛ والأجرى في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٥٠) (رقم ٢٨)؛ وسعيد بن منصور في «سننه» (٢/٤٢٠) (رقم ١٣٥) وقال: «سنده صحيح». وابن المبارك في «كتاب الزهد» (ص ٢٧٤)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/٣٦٤) (رقم ٥٩٨٤).

(٣) أخلاق حملة القرآن (ص ٤٣). (٤) الدقل: أزدأ التمر.

(٥) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/١٢٠) (رقم ٥٠٧٣)؛ والحاكم في «المستدرک» (١/

٩١) (رقم ١٠١) وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه» =



\* وعن أبي عبد الرحمن السلمي<sup>(١)</sup> رضي الله عنه قال: «أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم إذا تعلموا عشر آيات، لم يجاوزوهن إلى العشر الأخرى، حتى يعملوا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرت القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء، لا يجاوزون تراقيهم»<sup>(٢)</sup>.

### ٥ - القرآن يزيد الظالمين خساراً:

\* عن أنيس القرني<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه قال:

«إن هذا المجلس بعشائه ثلاثة نفر: مؤمن فقيه، ومؤمن لم يتفقه، ومناقق. وذلك في الدنيا مثل العيث، ينزل من السماء إلى الأرض، فيصيب الشجرة المورقة المورقة المورقة، فيزيد ورقها حسناً، ويزيدها إيناعاً، وكذلك يزيد ثمرها طيباً، ويصيب الشجرة المورقة المورقة، التي ليس لها ثمرة، فيزيدها إيناعاً ويزيدها ورقاً حسناً، وتكون لها ثمرة فتلحق بأختها، ويصيب الهشيم من الشجر، فيحطمه فيذهب به، قال: ثم قرأ الآية ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٥/٧). وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح». وانظر: مجمع البحرين بزوائد المعجمين (٤٨٢/١)، وحسنه المحقق.

(١) هو أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي، عبد الله بن حبيب بن ربيعة، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، محدث، ثقة، وقارئ مجوّد ماهر، وقد كان ثبتاً في القراءة وفي الحديث، حديثه مخرّج في الكتب الستة. توفي في سنة (٧٤هـ).

انظر: طبقات ابن سعد (١٧٢/٦)؛ حلية الأولياء (١٩١/٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٤).

(٣) هو أنيس بن عامر بن جزء المرادي القرني الزاهد المشهور. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. كوفي من خيار التابعين وعبادهم، ورد في فضله عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له: أنيس، لا يدع باليمن غير أم له، وقد كان به بياض فدعا الله فأذهب عنه إلا موضع الدرهم، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم...» الحديث، رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أنيس القرني (١٩٦٨/٤) (ح ٢٥٤٢)، وذكر أن عمر طلب منه أن يستغفر له، ففطن له الناس فهام على وجهه، ونزل الكوفة. توفي في صفين مع علي رضي الله عنه. انظر: لسان الميزان (٤٧١/١ - ٤٧٥)؛ ميزان الاعتدال (٢٧٨/١)؛ معرفة الثقات، للعجلي (٢٣٩/١).



لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء: ٨٢]. لَمْ يُجَالِسْ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدًا، إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَرِيادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ، فَقَضَاءُ اللَّهِ الَّذِي قَضَى، شِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا<sup>(١)</sup>.

\* وَعَنْ قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: «مَا جَالَسَ الْقُرْآنَ أَحَدًا فَقَامَ عَنْهُ إِلَّا بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]<sup>(٢)</sup>.

### ٦ - القلوب المرضى لا تجد لذة للقرآن:

\* عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: «سَبَّيْلَى الْقُرْآنَ فِي صُدُورِ أَقْوَامٍ كَمَا يَبْلَى الثَّوْبُ، فَيَتَهَافَتُ، يَفْرُؤُونَهُ لَا يَجِدُونَ لَهُ شَهْوَةً، وَلَا لَذَّةً، يَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّانِ عَلَى قُلُوبِ الذَّنَابِ، أَعْمَالُهُمْ طَمَعٌ لَا يُحَالِطُهُ خَوْفٌ، إِنْ قَصَرُوا قَالُوا: سَنَبْلُغُ، وَإِنْ أَسَاؤُوا قَالُوا: سَيَغْفِرُ لَنَا، إِنَّا لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>.

### ٧ - القلب الخرب كالبيت الخرب:

\* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةٌ لِلَّهِ، فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَضْفَرَ مِنْ خَيْرٍ مِنْ بَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ، وَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ خَرِبٌ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا سَاكِنَ لَهُ»<sup>(٤)</sup>.

- (١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٩٧/٢) (رقم ٢٣٨٦) وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. ورواه ابن المبارك في «كتاب الجهاد» (١٣٢/١) (رقم ١٥٩). قال ابن حجر في «الإصابة» (٢٢٢/١): «وهو صحيح السند».
- (٢) رواه الدارمي في «سننه»، كتاب فضائل القرآن، باب: في تعاهد القرآن (٣١١/٢) (رقم ٣٣٤٤)؛ والأجري في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٧٧) (رقم ٥٤)؛ ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص ٧٣)؛ والإمام أحمد في «الزهد» (ص ٢٧٢).
- (٣) رواه الدارمي في «سننه»، كتاب فضائل القرآن، باب: في تعاهد القرآن (٣١١/٢) (رقم ٣٣٤٦). وانظر: تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي (٩٧/٦٧).
- (٤) رواه الدارمي في «سننه»، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن (٣٠٢/٢) =

## ٨ - القلب الخبيث كالأرض الخبيثة:

\* عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨]، قَالَ: «الْبَلَدُ الطَّيِّبُ: الْمُؤْمِنُ سَمِعَ كِتَابَ اللَّهِ فَوَعَاهُ فَأَخَذَ بِهِ فَانْتَفَعَ بِهِ، كَمَثَلِ هَذِهِ الْأَرْضِ أَصَابَهَا الْعَيْثُ فَأَنْبَتَتْ وَأَمْرَعَتْ. ﴿وَالَّذِي خُبْتُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] عَسِرًا، مِثْلَ الْكَافِرِ قَدْ سَمِعَ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَعْقِلْهُ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، كَمَثَلِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْخَبِيثَةِ أَصَابَهَا الْعَيْثُ فَلَمْ تُنْبِتْ شَيْئًا وَلَا تُمْرَعُ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

\* وَعَنْ السُّدِّيِّ<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبْتُ﴾ قَالَ: هِيَ السَّيِّئَةُ ﴿لَا يَخْرِجُ﴾ نَبَاتُهَا ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾. وَالنَّكِدُ: الشَّيْءُ الْقَلِيلُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ، كَذَلِكَ الْقُلُوبُ لَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنَ، فَالْقَلْبُ الْمُؤْمِنُ لَمَّا دَخَلَهُ الْقُرْآنُ آمَنَ بِهِ، وَثَبَّتَ الْإِيمَانُ فِيهِ؛ وَالْقَلْبُ الْكَافِرُ لَمَّا دَخَلَهُ الْقُرْآنُ لَمْ يَتَعَلَّقْ مِنْهُ بِشَيْءٍ يَنْفَعُهُ، وَلَمْ يَثْبِتْ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ إِلَّا مَا لَا يَنْفَعُ، كَمَا لَمْ يُخْرِجْ هَذَا الْبَلَدُ إِلَّا مَا لَا يَنْفَعُ مِنَ النَّبَاتِ»<sup>(٣)</sup>.

\* وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبْتُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قَالَ:

= (رقم ٣٣٠٧)؛ وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣/٣٦٨) (رقم ٥٩٩٨)؛ وأورده السيوطي في «الدرر مجمع الزوائد» (٧/١٦٤) وقال: «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال هذه الطريق رجال الصحيح».

(١) رواه الأجرى في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٧٧) (رقم ٥٥)؛ وأورده السيوطي في «الدرر المنتور» (٣/٤٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ عن قتادة.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الحجازي الأعور السُّدِّيُّ أحد موالى قريش، وهو السُّدِّيُّ الكبير المفسر، ذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه غير واحد، وضعفه آخرون، قال العجلي: ثقة، عالم بتفسير القرآن، راوية له، وقد ذكره الطبري في تفسيره من طريق أسباط بن نصر الهمداني، وله تفسير، مات سنة (١٢٧هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤)؛ تاريخ الثقات، للعجلي، تحقيق: د. عبد المعطي قلنجي (ص ٦٦)؛ الثقات، لابن حبان (٤/٢٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/٢٦٨) (رقم ١٤٧٩٩).

«البلد الطيب ينفعه المطر فينبت، والذي حُبْتُ: السِّبَاخ، لا ينفعه المطر، لا يَخْرُجُ نباته إِلَّا نكدًا، قال: هذا مَثَلٌ ضربه الله لآدم وذريته كلهم، إنما خُلِقُوا من نَفْسٍ واحدة، فمنهم مَنْ آمن بالله وكتابه فطاب؛ ومنهم مَنْ كفر بالله وكتابه فَحَبِئْتُ»<sup>(١)</sup>.

#### ٩ - الجهل بالقرآن يؤدي إلى الاختلاف ثم الاقتتال:

\* عن إبراهيم التيمي<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه قال: «خَلَا عُمَرُ ذَاتَ يَوْمٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ كَيْفَ تَخْتَلِفُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَنَبِيِّهَا وَاحِدٌ، وَقِبَلْتُهَا وَاحِدَةٌ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ فَقَرَأْنَاهُ، وَعَلِمْنَا فِيهِ أَنْزَلَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَنَا أَقْوَامٌ يَمْرُقُونَ الْقُرْآنَ، وَلَا يَدْرُونَ فِيهِ أَنْزَلَ، فَيَكُونُ لَهُمْ فِيهِ رَأْيٌ، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ فِيهِ رَأْيٌ اخْتَلَفُوا، فَإِذَا اخْتَلَفُوا اقْتَتَلُوا»<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦٨/٥) (رقم ١٤٨٠٠).

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، من تميم الرباب، ويكنى أبا أسماء، الكوفي، العالم، العاقل. قال الذهبي: «كان من الثقات، وليس حديثه بكثير، احتج به أهل الكتب». قال الأعمش: «سمعتة يقول: ربما أتى عليّ شهران لا أطعم فيها، لا يسمعن هذا منك أحد». قتله الحجاج. وقيل: بل مات في حبسه ولم يبلغ الأربعين، مات قبل أنس بن مالك، سنة (٩٢هـ) رحمه الله تعالى.

انظر: تذكرة الحفاظ (٧٣/١)؛ الطبقات الكبرى (٢٨٥/٦).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٧٦/١) (رقم ٤٢)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٢٣٠)؛ وأورده علي بن حسام الدين الهندي في «كنز العمال» (١٤٥/٢) (رقم ٤١٦٧).





## الباب الثاني

# أنواع الهجر

وفيه تسعة فصول:

الفصل الأول: هجر الإيمان بالقرآن (الكفر به).

الفصل الثاني: هجر تعظيم القرآن (الاستهزاء به).

الفصل الثالث: هجر استماع القرآن.

الفصل الرابع: هجر تعلُّم القرآن وتعليمه.

الفصل الخامس: هجر تلاوة القرآن.

الفصل السادس: هجر حفظ القرآن.

الفصل السابع: هجر تدبُّر القرآن.

الفصل الثامن: هجر العمل بالقرآن.

الفصل التاسع: هجر التَّحاكم إلى القرآن.



أهل الكتاب

## مكتبة العالم الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

### الفصل الأول

# هجر الإيمان بالقرآن (الكفر به)

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الإيمان بالقرآن ومقتضياته.

المبحث الثاني: الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن.

المبحث الثالث: الوعيد على هجر الإيمان بالقرآن.

المبحث الرابع: أنواع التكذيب بالقرآن.

المبحث الخامس: حكم التكذيب بالقرآن.

المبحث السادس: أهل الكتاب وتكذيبهم بالقرآن.

## المبحث الأول

## وجوب الإيمان بالقرآن ومقتضياته

## أولاً: وجوب الإيمان بالقرآن:

الإيمان بالقرآن العظيم هو أحد أصول الإيمان وأركانه، أوجبه الله تعالى على العباد، فلا يتم إيمان أحدٍ إلا إذا آمن به تفصيلاً، وبالكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله إجمالاً، وأفضلها القرآن الكريم.

وقد أخبر الله تعالى أن الرسول ﷺ والمؤمنين آمنوا بما أنزل الله تعالى على رسوله - وهو القرآن العظيم - وبما أنزل على الرُّسل من قبله فقال تعالى في مقام الثناء عليهم: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومما يدلُّ على وجوب الإيمان بالقرآن: أن الله عزَّ وجلَّ أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بما أنزله على رسوله ﷺ في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

ومما يدلُّ على وجوبه أيضاً: أن الله تعالى أهلك الأمم السابقة بسبب تكذيبهم برسالاته، كما حكى الله سبحانه عن صالح عليه السلام قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ تَزِيلُ لَكُمْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

ومن لم يؤمن بالكتب السابقة - مع إيمانه بالقرآن العظيم - وأنه أفضلها بلا شك - فقد خرج عن طريق الهدى إلى الضلال والكفر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].  
والمؤمنون في هذا الأمر على دَرَجَاتٍ نَبِيَّهُمْ ﷺ حيث أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يعلن إيمانه بكل الكتب السابقة التي أوحاها الله عزَّ وجلَّ إلى



ورسله، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ مَآ أَنزَلْنَا إِلَهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥].

كيف بالكتاب الذي أنزل عليه.

القرآن رحمة الله بعباده:

إن أنزال القرآن الكريم من رحمة الله تعالى بعباده لحاجة البشرية إليه؛ لأن عقل الإنسان محدود، لا يدرك تفاصيل النفع والضّرر، وإن كان يدرك الفرق بين الضّار والنّافع إجمالاً، والعقل الإنساني أيضاً تغلب عليه الشّهوات وتلعب به الأغراض والأهواء، فلو وُكِلت البشرية إلى عقولها الفاصرة؛ لضلّت وتاهت.

فاقتضت حكمة الله تعالى ورحمته أن ينزل كتاباً من عنده على المصطفين من رسله؛ ليبيّنوا للناس ما تدلّ عليه هذه الكتب، وما تتضمنه من أحكامه العادلة، وروصايه النّافعة، وأوامره ونواهيه الكفيلة بإصلاح البشرية.

قال تعالى حين أهبط آدم أبا البشرية من الجنة: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِئْتُمْ مَنِي هُدَى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ إِمَّا يَا تَبِئْتُمْ رُسُلِي مَنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ مَا يَلِيْقَ فَمَن آتَقَىٰ وَسَلِحْ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى - أيضاً - أن تكون هذه الكتب السابقة لأجل معينته، ولأوقات محدّدة، ووكل حفظها إلى الذين استحفظوا عليها من البشر؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ آسَلَمُوا مِن قَبْلِ هَٰؤُلَاءِ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أمّا القرآن العظيم: فقد أنزله الله ﷻ لكل الأجيال من الأمم، وفي كل الأوطان إلى يوم القيامة، وتولّى حفظه بنفسه؛ لأنّ وظيفة هذا الكتاب لا تنتهي إلا بنهاية حياة البشر على الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَٰظِرُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان الفوزان (ص ١٧٣ - ١٧٥).

وما أوجح المسلمين في هذا الزّمن إلى القرآن؛ ذلك أنّهم لا يستطيعون أن يواجهوا قضايا عصرهم وزمانهم إلا بالقرآن العظيم، يعتصمون به في روابطهم، ويقيمون أحكامه في حياتهم، ويجاهدون به أعداءهم ويصلحون به دنياهم، ويستقبلون به آخرتهم، ولقد اقتضت سنة الله تعالى في خلقه أن يكون أتباعهم القرآن العظيم سبباً لنجاتهم، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم مَّبْعُودٌ إِلَيْنَا وَإِخْرَجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿المائدة: ١٥ - ١٦﴾<sup>(١)</sup>.

المزايا التي خصّ بها القرآن عن الكتب السابقة:

وبما أنّ القرآن العظيم هو آخر كتاب نزل من عند الله تعالى، فإنّ الله تعالى قد خصّه بمزايا تميّزه عن جميع ما تقدّمه من الكتب المنزّلة، ومن أهمّها:

١ - هو الكتاب الربّاني الوحيد الذي تكفّل الله تعالى بحفظه، وصيانته من عبث النّاس، ليبقى ما فيه حُجّة الله على النّاس، قائمة حتّى يرث الله الأرض ومنّ عليها.

٢ - أنزله الله سبحانه على رسوله محمد ﷺ للنّاس كافة، وليس خاصّاً بقوم معيّنين، كما هو حال الكتب السابقة. قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤].

٣ - تضمّن خلاصة التّعاليم الإلهية، فجمع كلّ ما كان متفرّقاً في الكتب السابقة من الحسنات والفضائل.

٤ - جاء مؤيداً ومصدّقاً لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته.

٥ - جاء مهيمناً ورقياً على ما سبقه من كتب، يُقرّ ما فيها من حقّ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

(١) انظر: عظمة القرآن الكريم، لمحمود بن أحمد الدوسري (ص ١٧).

لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيُكَ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيَّنَّا عَلَيْهِ ﴿[المائدة: ٤٨]﴾<sup>(١)</sup>.  
 ٦ - جاء بشريعة عامة للبشر، فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين<sup>(٢)</sup>.  
 ٧ - نسخ جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأتى بشريعة  
 مُرَبَّنَةٌ بزينة رفع الحرج والمشقة، حَتَّى تُحِبَّهَا النُّفُوسُ، وَتُقْبَلَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا دُونَ  
 كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ، يُفْضِي إِلَى انْقِطَاعِ، فَالسَّمَاةُ وَالْيَسْرُ مِنَ الْمَزَايَا الْخَاصَّةِ الَّتِي تَمَيَّزُ  
 بِهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ عَنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْتَزَلَةِ.

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]<sup>(٣)</sup>.

٨ - نزل بأفضل الألسنة، وأفصحها، وأوسعها، وهو اللسان العربي

المبين<sup>(٤)</sup>.

٩ - كتابٌ متجدد، لا تفنى عجائبه، ولا تنتهي نوادره، تجاوزَ حدود  
 المكان ليشمل آفاق الدنيا بأسرها، وتجاوزَ حدود الزمان، فلم يتوقف عند زمنٍ  
 معين، بل في كل زمنٍ تجده ملائماً له، مُتَّسِقاً معه، كأنما نَزَلَ لِهَذَا الزَّمَنِ،  
 وَخُصَّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ.

ثانياً: ما يقتضيه الإيمان بالقرآن:

والإيمان بالقرآن العظيم يقتضي عدَّة أمور، من أهمها:

١ - التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَصَدُوقٌ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى.

٢ - أَنَّ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورَ وَالْكَفَايَةَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

٣ - أَنْ نُوْمِنَ بِهِ كُلَّهُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نُؤْمِنَ بِبَعْضِهِ وَنَتَّبِعَهُ وَنَتْرِكَ الْبَعْضَ الْآخَرَ  
 وَلَا نَتَّبِعَهُ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُنَا بِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

(١) انظر: المصدر نفسه (ص ١١٦ - ١٢٧).

(٢) انظر: الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه، د. محمد نعيم ياسين (ص ٨١ - ٨٢).

(٣) انظر: عظمة القرآن الكريم (ص ٢٣٨ - ٢٤١).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٣/ ٤٨٥).



وقال تعالى في توبيخ بني إسرائيل والإنكار عليهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمٌ أَلِيمٌ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

والقرآن العظيم من باب أولى فهو منهاج عملي يتضمّن الأصول الموجهة لحياة الفرد، وعلاقته بربه تبارك وتعالى، وعلاقته بالكون والحياة من جوله، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بأسرته وحيوانه ومجمعه، وعلاقته بأقربته المسلمة، وعلاقته بغير المسلمين، ممن يسالمونه وممن يحاربونه<sup>(١)</sup>.

٤ - العمل به، والرضا به، والتسليم له، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها<sup>(٢)</sup>.

٥ - الإيمان بأنه الكتاب الوحيد الذي حفظ من التغيير والتبديل والتحريف، فصانه الله تعالى عن تقوّل الكاذبين، وحماه من تلاعب المشكّكين، بما هيأ له من وسائل الحفظ في الصدور والمصاحف، فجعله قطعي الثبوت، لا يتطرق إليه أدنى ريب، فهو كتاب خالد خلود الدهر، باق ما دامت السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وضمان العظمة تؤكد أنه غير قابل للاختراق.

٦ - أن نؤمن إيماناً قاطعاً بما فصله القرآن من حديث عن الكتب السابقة، لا نزيد ولا نقص<sup>(٣)</sup>.

٧ - أن نؤمن أن القرآن العظيم هو مصدر الشريعة، فلا شيء في حياة المسلم السياسيّة أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة أو الأخلاقيّة أو الفكريّة أو الروحيّة يرجع فيه إلى مصدر آخر غير هذا الكتاب<sup>(٤)</sup>.

٨ - أن شرح القرآن وتفصيله في سنة الرسول ﷺ، فهي المبيّنة للقرآن والموضحة له، ولا يفهم القرآن تفصيلاً وتوضيحاً إلاّ بها.

(١) انظر: المصدر السابق (ص ٥٣٢ - ٥٣٥). (٧٧١ - ٧٧٢) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) انظر: الإيمان بالكتب، لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص ٦ - ٧). (٧٠٠ - ٧٠١) سورة البقرة: ٨٥.

(٣) انظر: حق القرآن الكريم على الناس (ص ١٢ - ٢٣). (٧٠٠ - ٧٠١) سورة البقرة: ٨٥.

(٤) انظر: زكوات الإيمان (ص ٢١٠). (٧٠٠ - ٧٠١) سورة البقرة: ٨٥.



ثمرات الإيمان بالقرآن: له تعالى

والإيمان الصحيح بالقرآن العظيم يُثمر ثمراتٍ جليلاً، ومن أهمها:

١ - العلم بعناية الله تعالى بهذه الأمة، حيث أنزل لها أعظم كتاب يهدي

للتّي هي أقوم في الدنيا والآخرة، وهذا

٢ - العلم بحكمة الله تعالى، حيث شرع لكل أمة ما يناسبهم، ويلائم

أحوالهم.

٣ - التحرر من سيئات أفكار البشر بهدي الله تعالى ونوره.

٤ - السير على طريق مستقيمة واضحة لا اضطراب فيها ولا اعوجاج،

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَاكَ الْقُرْآنَ لَعَلَّكَ أَتَقْوَىٰ وَتُذَكِّرُ فَطَرَتَكَ وَأَنْتَ بَصِيرٌ﴾

الكهف: ١٧]. فالقرآن العظيم مستقيم في ذاته، مقبول للنفوس على جادة

الصواب؛ والخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين.

٥ - التحرر من الأوهام والتخبط العقدي.

٦ - الفرح بهذا الخير العظيم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ يُفْرَحُونَ هُوَ خَيْرٌ

مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

٧ - شكر الله تعالى على هذه التعمية العظيمة والمنة الكبيرة.

٨ - السعادة في الدارين؛ الدنيا باتخاذها دستوراً حاكماً في كل شؤون

حياتنا، والآخرة بالفوز بالجنة، والمعيشة الطيبة<sup>(١)</sup>.

وهذه الثمرات هي من ثمرات الإيمان بالقرآن العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

الأنعام: ١٠٧].

وهذه الثمرات هي من ثمرات الإيمان بالقرآن العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

الأنعام: ١٠٧].

وهذه الثمرات هي من ثمرات الإيمان بالقرآن العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

الأنعام: ١٠٧].

وهذه الثمرات هي من ثمرات الإيمان بالقرآن العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

الأنعام: ١٠٧].

وهذه الثمرات هي من ثمرات الإيمان بالقرآن العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

الأنعام: ١٠٧].

(١) انظر: الإيمان بالكتب (ص ٣٣ - ٣٤).

## المبحث الثاني

## الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن

إنَّ وجوب الإيمان بالقرآن الكريم أمرٌ في غاية الأهمية في حياة المسلمين؛ لأنَّ الإيمان به يتضمَّن الإيمان بسائر الكتب الإلهية التي نزلت قبله؛ لأنَّه هو المصدِّق لها جميعاً والمهيمن على ما جاء فيها، فالإيمان به إيمانٌ بها جميعاً<sup>(١)</sup>. وقد ورد وجوب الإيمان بالقرآن الكريم في آيات كثيرة منه، منها ما دلَّته على الوجوب صريحة، ومنها ما دلَّته على الوجوب ضمنية، ويكتفى هنا على ما كانت دلَّته فيه صريحة، وذلك خشية الإطالة، وهي على النحو الآتي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَسْمَأُ بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١].

الخطاب في قوله ﴿وَأَسْمَأُ﴾ لليهود الذين هم في عصر نزول القرآن، فقد دعاهم الله تعالى للإيمان بما أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ، وهو القرآن، فأمرهم بالإيمان به، وأتباعه<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ أي: أنَّ القرآن مُوافقٌ لما معكم من التوراة في التوحيد والنُّبوة والأخبار ونعتِ النَّبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: لا تكونوا أوَّلَ فريقٍ كافرٍ بالقرآن من أهل الكتاب، فيتَّبِعكم مَنْ جاء بعدكم فتنبؤوا بآثامكم وآثامهم؛ وذلك لأنَّ قريشاً كفرت قبل اليهود بمكَّة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التفسير الموضوعي للآيات القرآنية المتعلقة بالكتب السماوية، د. عبد العزيز الدردير موسى (ص ٤٣٥ - ٤٤٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٩٩)؛ تفسير السعدي (١/٥٥).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/٦٧).

مسألة: وهل يقتضي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ إباحة الكفر في ثاني الحال؟

جوابها: لا يقتضي هذا بحال من الأحوال؛ وذلك لأن النهي عن الكفر مطلقاً جاء صريحاً في عدة آيات، وهذا يُسميه العلماء مفهوماً معطلاً.

قال القرطبي رحمته الله: «المقصود من الكلام النهي عن الكفر أولاً وآخراً»<sup>(١)</sup>. وقال ابن عاشور رحمته الله: «القصود من النهي ألا يكونوا من المبادرين بالكفر، أي لا يكونوا متأخرين في الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

فنهاهم أن يكونوا أول كافر بالقرآن؛ لكون أول فريق كافر يسئ الكفر لمن بعده، فيكون إثمه أعظم، والعقوبة عليه أغلظ<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأمر الصريح لأهل الكتاب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بأن يؤمنوا بالقرآن، دليل صريح على وجوب الإيمان به.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

الأمر هنا: صادر من الله تعالى، والمخاطب: هو النبي صلى الله عليه وسلم. والمراد بما أوحى إليه: القرآن، وهو قول عامة المفسرين.

ويمتن صرح بذلك: القرطبي<sup>(٤)</sup> والبنغوي<sup>(٥)</sup>، والسمعاني<sup>(٦)</sup>، وابن عاشور<sup>(٧)</sup>.

وهذا أمر صريح باتباع القرآن، والإيمان به، والعمل بما جاء فيه. والخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن المراد به هو وأُمَّته، كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّبِعِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مِّنْ أَمْرِنَا مُبَارَكٌ فَأَتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

(١) تفسير القرطبي (١/٣٣٣).

(٢) التحرير والتنوير (١/٤٤٦).

(٣) انظر: التسهيل لتأويل التنزيل، مصطفى العدوي (١/٤٣٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٦٠).

(٥) انظر: تفسير البنغوي (٢/١٢١).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٢/١٣٤).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (٦/٢٥٨).



## الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن

المراد بالكتاب هنا: هو القرآن كما يقول المفسرون، وكما هو ظاهر من سياق الكلام.

ومعنى كونه مباركاً: أي كثير الفوائد والمنافع الدنيوية والأخرى. والفاء في قوله ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ للترتيب، أي يترتب على كونه مُتَزَلّاً من عند الله، وكونه نافعاً مباركاً أن تَتَّبِعُوهُ فتؤمنوا به، وتعملوا بأوامره، وتجتنبوا نواهيه؛ لعلكم تصلون بذلك إلى رحمة الله تبارك وتعالى، التي وسعت كل شيء، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبُ الَّذِينَ يَأْمَنُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وما أَحْسَنَ ما قرره السمرقندي<sup>(١)</sup> كَقَوْلِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا﴾ فقال: «يعني: القرآن، فيه بركة لمن آمن به، وفيه مغفرة للذنوب، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يعني: اقتدوا به. ويقال: اعملوا بما فيه من الأمر والنهي. ﴿وَاتَّقُوا﴾ يعني: واحشوا، ولا تتخذوا إماماً غير القرآن. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني: لكي تُرحموا، ولا تُعذبوا»<sup>(٢)</sup>. فما كان كذلك لا يتردد أحد في الإيمان به، واتباعه.

وهذا الأمر الصريح باتباع القرآن العظيم، دليل على وجوب الإيمان به، والاعتقاد الجازم بأنه مُتَزَلٌّ من عند الله تبارك وتعالى.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]. ظاهر اللفظ هنا يدل على أن ﴿مَا أَنْزَلَ﴾ مراد به القرآن، كما قرّر ذلك السيوطي<sup>(٣)</sup> والسعدي<sup>(٤)</sup>. بدليل ما قبله من قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ﴾ [الأعراف: ٢]. فالكتاب، والضماير العائدة إليه مراد بها القرآن.

- (١) هو صاحب الأقوال المفيدة والتصانيف المشهورة، المعروف بإمام الهدى (أبو الليث) نصر ابن محمد السمرقندي، تشبه إلى سمرقند، من تصانيفه: «تفسير القرآن العظيم»، و«تنبيه الغافلين»، و«النوازل في الفقه». توفي سنة (٣٧٥هـ). (٢) (٧١/٢) نأيقا، ولاه لا وجمنا: بقا (٣) انظر: طبقات المفسرين (٣٤٦/٢). (٤) انظر: تفسير السمرقندي (٥١٣/١). (٥) انظر: الدر المنثور (٤٩٣/٣). (٦) انظر: تفسير السعدي (٢٨٣/١).



وبعض المفسرين اعتمد أن المُنزَّل في الآية هو القرآن والسُّنة، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَأْتِكُمْ الرَّسُولُ فُحْشُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾ [الحشر: ٧] (١). وقد ذَكَرَ السَّمْعَانِي (٢) كَلِمَةَ أَنَّ السُّنَّةَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُنْزَلَةً فَهِيَ كَالْمُنْزَلَةِ بِحُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ (٣).

وَأَيَّامًا كَانَ فَالآيَةُ الَّتِي مَعْنَاهَا أَمْرٌ صَرِيحٌ بِاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْإِيمَانِ الْجَازِمِ بِأَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ إِيرَادِهَا. الْآيَةُ الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُضِّقَ اللَّهُ وَهَوَّءَ الْفٰكِرِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

الْأَمْرُ هُنَا بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ أَيْ الْقُرْآنِ، وَالْمُخَاطَبُ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ. فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فَإِنْ لَمْ يُصَدِّقْ فَاعْمَلْ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ وَتَمَسَّكْ بِهِ، وَاصْبِرْ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ، وَعَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِالْقُرْآنِ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٤).

فَهَذَا الْخُطَابُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ وَكُلُّ مُخَاطَبٍ، إِذِ الْمُنْزَلُ مَأْمُورٌ بِالتَّبْلِيغِ أَيْضًا، قَالَ أَبُو السُّعُودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ تَفْسِيرِهَا: ﴿وَأَتَّبِعْ﴾ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا وَتَبْلِيغًا (٥).

وَالْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَعَ الْجَزْمِ وَالْيَقِينِ بِأَنَّهُ وَحْيٌ

(١) وَمِمَّنْ قَالَ بِذَلِكَ: الرَّازِي فِي «تفسيره» (١٦/١٤)؛ وَالزَّمَخْشَرِيُّ فِي «تفسيره» (٨٣/٢)؛ وَالْبِيضَاوِيُّ فِي «تفسيره» (٤/٣)؛ وَالْقُرْطُبِيُّ فِي «تفسيره» (١٦١/٧)؛ وَالنَّسْفِيُّ فِي «تفسيره» (٣/٢).

(٢) هُوَ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ التَّمِيمِيِّ، الْمَرْوَزِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّمْعَانِيِّ (أَبُو الْمَظْفَرِ) مَفْسِّرٌ، مُجَدِّدٌ، مُتَكَلِّمٌ، فقيه، أَصُولِي، وَلِدَ سَنَةَ (٤٢٦هـ). وَتَفَقَّهَ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيْفَةَ، ثُمَّ وَرَدَ بَغْدَادَ وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَرَجَعَ إِلَى بِلْدِهِ فَلَمْ يَقْبَلُوهُ، وَقَامَ عَلَيْهِ الْعَرَاثُ فَخَرَجَ إِلَى طُوسَ، ثُمَّ قَصَدَ نَيْسَابُورَ، وَتَوَفَّى بِمَرْوِ سَنَةَ (٤٨٩هـ). مِنْ تَصَانِيفِهِ: «مَنْهَاجُ أَهْلِ السُّنَّةِ»، وَ«الْقَوَاطِعُ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ»، وَ«تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ»، وَ«الْإِنْتِصَارُ فِي الْحَدِيثِ». انْظُرْ: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ (٤/٢١ - ٢٦).

(٣) انْظُرْ: تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ (٢/١٦٤).

(٤) انْظُرْ: تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٢/٤٣٦)؛ تَفْسِيرُ السُّعْرَقَنْدِيِّ (٢/١٣٦).

(٥) تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ (٤/١٨١).

## الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن

من الله تعالى، أنزله على نبيه ﷺ، وهو المقصود من إيراد الآية .  
 الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٌ﴾  
 [القصص: ٨٥].

المُخاطَب في هذه الآية هو نبيُّنا محمدٌ ﷺ .  
 «معنى فَرَضَ: أَلْزَمَ وَأَوْجَبَ وَحَتَمَ»<sup>(١)</sup>. فالفرض هو الإيجاب، فالله تعالى  
 قد فرض وأوجب على نبيه ﷺ الإيمان بالقرآن، وتبليغَه للنَّاسِ كَافَّةً، وتلاوته،  
 والعملَ بما فيه .  
 قال أبو السعود رَحِمَهُ اللهُ في تفسيرها: «أوجب عليك تلاوته، وتبليغَه، والعملَ  
 به»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيرها: «أي إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن  
 لرأئك إليه، ومعيدك يوم القيامة، وسائلك عن أداء ما فرض عليك، هذا أحدُ  
 الأقوال، وهو مُتَّجِهٌ حَسَنٌ»<sup>(٣)</sup>.

وكما وَجَبَ القرآنُ العظيمُ على النَّبيِّ ﷺ فقد وجب على الأمة، وعلى كُلِّ  
 مَنْ بلغه أن يؤمنَ به، ويعملَ بما فيه من شرائعٍ وعقائد، فيمثل أمره، ويجتنب  
 نهيه، وهذا هو شاهدنا من إيراد هذه الآية، وقد وَضَحَ المرادُ، والحمد لله تعالى .  
 الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾  
 [الزمر: ٥٥].

المراد بـ ﴿أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ﴾ هو القرآن العظيم . كما قرَّر ذلك ابن كثير<sup>(٤)</sup>،  
 وأبو السعود<sup>(٥)</sup>، والبغوي<sup>(٦)</sup>، والثعالبي<sup>(٧)(٨)</sup>، والشوكاني<sup>(٩)</sup>.

- (١) تفسير الشعراوي (١١٠٣٩/١٨) . (٢) المصدر السابق (٢٨/٧) .
- (٣) تفسير ابن كثير (٥٨٣/٢) . (٤) انظر: المصدر نفسه (٦١/٤) .
- (٥) انظر: تفسير أبي السعود (٢٦٠/٧) . (٦) انظر: تفسير البغوي (٨٥/٤) .
- (٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (أبو زيد): مفسر، من أعيان  
 الجزائر، ولد سنة (٧٨٦هـ)، وزار تونس والمشرق. من كتبه: «الجواهر الحسان في  
 تفسير القرآن»، و«الأنوار»، و«روضة الأنوار ونزهة الأخيار»، و«الذهب الإبريز في غريب  
 القرآن العزيز». توفي سنة (٨٧٥هـ). انظر: طبقات المفسرين (٣٤٢/١) .
- (٨) انظر: تفسير الثعالبي (٦١/٤) . (٩) انظر: تفسير الشوكاني (٤٧١/٤) .

والوصف بصيغة التفضيل (أحسن) فيه تفصيل: *هذه الآية*

ف قيل: معناه أتبعوا ما فيه من أمرٍ بالطاعة، فجدّوا في تحصيلها، وكلُّ ما أحر القرآن بامثاله فهو حسن، وأمّا ما فيه من نهي عن القبائح فابتعدوا عنها.  
وقيل: معناه أتبعوا العمل بالناسخ، واجتنبوا العمل بالمنسوخ، ولا شك أن الحكم الجديد - الذي هو الناسخ - أحسن وأفضل للأمة من الحكم المنسوخ.  
وقال البغوي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: «يعني: القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته، واجتنبوا معصيته، فإن القرآن ذكر القبيح لتجنبته، وذكر الأذون لئلا ترغب فيه، وذكر الأحسن لتأثيره»<sup>(١)</sup>.

ولا ريب أن القرآن العظيم أحسن ما أنزل إلينا من ربنا تبارك وتعالى، فله الحمد والمنة، والسنة مبيّنة له وموضحة، لكن هذه النعمة الجليلة تستوجب الشكر العملي بالإضافة إلى الشكر اللفظي، فقد هُذِّدَ مَنْ لم يتبع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، ولم يؤمن به، بقوله تعالى: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعَثَ لَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> [الزمر: ٥٥].

وكما قال ابن عطية الأندلسي رحمته الله: «معناه أن القرآن العزيز تضمّن عقائد نيرة، وأوامر ونواهي منجية، وعِدَاتٍ على الطاعات والبر، وحدوداً على المعاصي، ووعيداً على بعضها، فالأحسن أن يسلك الإنسان طريق التفهم والتحصيل، وطريق الطاعة، والانتهاة والعفو في الأمور، ونحو ذلك، فهو أحسن من أن يسلك طريق الغفلة والمعصية، فيجد أو يقع في الوعيد»<sup>(٣)</sup>.

والأمر العام باتباع القرآن، والإيمان به، والعمل بما فيه، صريح الدلالة على وجوب الإيمان بالقرآن العظيم.

(١) تفسير البغوي (٤/٨٥).

(٢) انظر: أضواء البيان (٧/٣٠٠).

(٣) هو أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية، الغرناطي، القرطبي، علّم المفسرين، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير واللغة، ولي القضاء. من أهم مؤلفاته: «تفسير المحرر الوجيز». توفي سنة (٥٤٦هـ).

انظر: طبقات المفسرين (١/٢٦٠).

(٤) تفسير ابن عطية (٤/٥٣٧).



الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَمِعْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[الزخرف: ٤٣].

المخاطب هنا: رسول الله ﷺ، والذي أوحى إليه: هو القرآن، والأخذ به والاستمساك بحبله: هو الحقُّ الموصول إلى الصُّراطِ المستقيم، الموصول إلى الجنة.

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند تفسيرها: «أَيُّ خُذْ بِالْقُرْآنِ الْمَنْزِلَ عَلَى قَلْبِكَ فَإِنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، وَمَا يَهْدِي إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الْمُفْضِي إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمَوْصِلُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالْخَيْرِ الدَّائِمِ الْمَقِيمِ»<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي رَضِيَ اللهُ فِي قَوْلِهِ ﴿فَأَسْتَمِعْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾: «يُرِيدُ الْقُرْآنَ، وَإِنْ كَذَّبَ بِهِ مِنْ كَذَّبٍ»<sup>(٢)</sup>.

فالأمر من الله تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ بِالْإِسْتِمْسَاكِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَيُّ: الْأَخْذُ بِهِ، وَالْإِيمَانُ الْجَازِمُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعَمَلُ بِجَمِيعِ شَرَائِعِهِ - كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ - شَامِلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِأُمَّتِهِ.

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿فَاتَمُوا بِاللَّهِ وِرْسُوءَهُ وَالتَّوْرَ الَّتِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٤٨].

هذا أمر من الله تعالى لعباده أجمعين أن يؤمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وأن يؤمنوا بالقرآن الذي أنزله الله تعالى إليه، وقد سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ نُورًا؛ لِأَنَّهُ وَاضِحٌ فِي نَفْسِهِ مُوَضَّحٌ لِغَيْرِهِ، فَأَشْبَهَ فِي ذَلِكَ النَّورَ.

وقد دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نُورٌ يَكْشِفُ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ، وَيُظْهِرُ فِي ضَوْوِهِ الْحَقَّ، وَيُتَمَيِّزُ عَنِ الْبَاطِلِ، وَيُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْمَهْدَى وَالضَّلَالِ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ.

فيجب على كلِّ مسلم أن يؤمنَ بِهِ وَيَسْتَضِيءَ بِنُورِهِ، فَيَعْتَقِدَ عَقَائِدَهُ، وَيَحِلَّ حَلَالَهُ، وَيَحْرُمَ حَرَامَهُ، وَيُمَثِّلَ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبَ مَا نَهَى عَنْهُ، وَيَعْتَبِرَ بِقِصَصِهِ وَأَمْثَالِهِ<sup>(٣)</sup>.

ففي هذه الآية أمر صريح بالإيمان بالقرآن العظيم، المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالنُّورِ.

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٢٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/٩٣).

(٣) انظر: أضواء البيان (٧/٨٠).



## المبحث الثالث

## الوعيد على هجر الإيمان بالقرآن

كما أَنَّ التَّوَعُّيبَ فِي الشَّيْءِ وَتَرْتُّبَ ثَوَابِ عَلَى فِعْلِهِ، أَوْ تَدْحِ فَاعِلِهِ يَدُلُّ عَلَى أَمْرِيَّتِهِ، وَوَجُوبِ فِعْلِ هَذَا الشَّيْءِ أَحْيَانًا، فَكَذَلِكَ التَّحْذِيرُ مِنْ ضَلِّهِ، أَوْ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى هَذَا الضَّدِّ، أَوْ ذَمُّ فَاعِلِ هَذَا الضَّدِّ يَدُلُّ دَلَالَةً ضَمْنِيَّةً عَلَى وَجُوبِ الشَّيْءِ ذَاتِهِ.

ومحلُّ شاهدنا في هذا الأمر هو الإيمان بالقرآن العظيم، فإذا وجدنا - كما مرَّ بنا - من الآيات ما يوجب الإيمان به، ويحثُّ على ذلك بمدح فاعله، وبيان ثوابه في الدنيا والآخرة، فهذا يعني وجوب الإيمان بالقرآن، وكذلك إذا وجدنا من الآيات ما يُحذِّرُ من الكفر به، أو ما يُرتَّبُ عقاباً شديداً على الكفر به، أو ما يَدُلُّ على الذمِّ لمن كَفَرَ به، علمنا بطريق الدلالة الضمنية أنَّ الإيمان بالقرآن واجبٌ، وحثُّ لازمٌ.

وقد وردت في القرآن الكريم من الآيات ما يحذِّرُ من الجحود به، وما يَدُلُّ على العقاب أو الذمِّ لمن كَفَرَ به<sup>(١)</sup> ممَّا يحمل دلالةً ضمنيةً على وجوب الإيمان بالقرآن، ووعيداً على التَّكْذِيبِ والكفر به، ويكتفي هنا بذكر بعض من الآيات الدالة على التَّحْذِيرِ والوعيد والذمِّ لمن لم يؤمن بهذا الكتاب الحكيم، وهي على النحو التالي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩].

روى ابن كثير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال ابن صوريا الفطيويني

(١) انظر: التفسير الموضوعي للآيات القرآنية المتعلقة بالكتب السماوية (ص ٤٧٧ - ٤٨٥).

لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبّعك، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال أبو السعود رحمه الله عند تفسيرها: «﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحة الدلالة على معانيها، وعلى كونها من عند الله عز وجل» ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ أي: المتمردون في الكفر، الخارجون عن حدوده، فإن من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البيّنات»<sup>(٢)</sup>.

فالله تعالى ذم الكافرين بآيات الكتاب العظيم، وسجل عليهم أشنع الأوصاف، وهو الفسق. وفي هذا دليل ضمني على وجوب الإيمان بهذه الآيات، ويحثم التصديق بأنها من الله تبارك وتعالى، وإلا صدق عليه الحكم بالكفر، والنعت بالفسق.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٤ - ٢٥].

المقول لهم، والذين أجابوا بهذا الجواب: هم كفار مكة، وهم الذين تقدّم وصفهم: بأن قلوبهم منكّرة وهم مستكبرون، في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢].

وقد ذكر البغوي رحمه الله وغيره من المفسرين: أن هؤلاء الكفار كانوا يقسمون طرق مكة، فيقفون على مداخلها، فإذا جاء الحجيج ذكروا لهم أن بها رجلاً اسمه محمد كذاب، يدّعي أنه يوحى إليه، فلا تصدّقه، فإن ما يقوله هو أساطير الأولين<sup>(٣)</sup>.

والأساطير: هي الأباطيل. وهذا منهم تكذيب بالقرآن، وجحود لرسالة محمد ﷺ، فهم كفروا بالقرآن، وأرادوا حمل غيرهم على هذا الكفر، ولذلك

(٢) تفسير أبي السعود (١/١٣٤ - ١٣٥).

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٩٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/٦١٠).

استحقوا أَنْ يَحْمِلُوا وِزْرَهُمْ، أي: إثم تكذيبهم بكتاب الله، ووزر غيرهم ممن أضلّوهم.

ثم نبّه المولى جلّ ثناؤه على أنّ ما تحمّله القوم من إثم ضلالهم، وإثم إضلالهم قد بلغ الغاية في السوء، فقال تعالى: ﴿أَلَا سَكَّةَ مَا يَزْرُونَ﴾.

أي: بشئ شيئاً يَزْرُونَهُ ما ذُكِرَ، وهذا وعيدٌ لهم، وتهديدٌ بعذابهم يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

فالذم على التّكذيب بالقرآن، والوعيد الشّدِيد على الكفر به يوم القيامة، يقتضي وجوب الإيمان به حتماً.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٤].

يدلُّ سياق الكلام ولحافه على أنّ المراد بهؤلاء المكذّبين آيات الله تعالى هم الكفّار في عصر النبي ﷺ، وأنّ الآيات المُكذَّب بها هي آيات القرآن الكريم. فقَبِلَ هذه الآية مباشرة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. فهذا القول معروف عن كفار مكّة، والمُعَلِّم - في نظرهم - القرآن.

وبعدها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]. وهذه أيضاً أوصاف كفّار مكّة. وافتراؤهم قولهم: إنّ القرآن سحر، أو كهانة، أو أساطير الأولين، إلى غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد سجّل الله تعالى عليهم أقبح الصّفات - وهو الكذب - وأخبر أنه لا يهديهم، أي لا يوفّقهم لاختيار طريق الحقّ، وتوعّدهم بالعذاب الأليم المُوجع يوم القيامة، وذلك جزاء كفرهم بهذه الآيات، وفي ذلك ما يدلُّ دلالة واضحة على وجوب الإيمان بالقرآن العظيم، والتّصديق بأنّه كلام الله عزّ وعلّا.

(١) انظر: تفسير الشوكاني (١٥٧/٣).

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (٢٩٣/٢)؛ تفسير أبي السعود (١٤٢/٥).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩ - ١٠١].

المخاطب: هو رسول الله ﷺ. والذِّكْرُ: هو القرآن العظيم<sup>(١)</sup>.

«وإذا كان القرآن ذِكْرًا لِلرَّسُولِ وَأُمَّتِهِ، فيجب تَلَقُّيهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، والانقياد، والتَّعْظِيمِ، وأن يُهْتَدَى بِنُورِهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْ يُقْبَلُوا عَلَيْهِ بِالتَّعْلَمِ وَالتَّعْلِيمِ.

وَأَمَّا مِقَابَلَتُهُ بِالْإِعْرَاضِ، أَوْ مَا هُوَ أَعْمٌ مِنْهُ مِنَ الْإِنْكَارِ فَإِنَّهُ كُفْرٌ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعُقُوبَةِ.

ولهذا قال: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآيات الكريمة فيها التَّحْذِيرُ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْقُرْآنِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَتَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ كَذَبَ وَكَفَرَ بِهِ، بِأَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْكُثُ فِي أَوْزَارِهِ وَأَحْمَالِهِ الثَّقِيلَةِ. الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ آفَرْتَهُ وَأَعَانَتْ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

صُدِّرَتِ الْآيَةُ بِتَكْفِيرٍ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ الشَّنِيعَةَ، فَقَدْ سَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ؛ بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ، وَبِهْتَانِهِمْ، وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، حَيْثُ قَالُوا: ﴿إِنْ هَذَا﴾ يريدون بهذا التعبير الحط من شأنه.

وَالْإِفْكُ: هُوَ أَشَدُّ الْكُذْبِ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿آفَرْتَهُ﴾ اخْتَلَقَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

وقولهم: ﴿وَأَعَانَتْ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يريدون اليهود، أو بعض مَنْ كانوا يصنعون السُّيُوفَ بِمَكَّةَ، مِمَّنْ كَانُوا يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ<sup>(٣)</sup>. وَأَيًّا مَا كَانَ فَقَدْ دَمَغَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالظُّلْمِ فِي هَذَا الْقَوْلِ، وَوَصَفَهُمُ بِالتَّزْوِيرِ فِي هَذَا الْادِّعَاءِ.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/٥). (٢) تفسير السعدي (٣/٢٥٠ - ٢٥١).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/٨٥، ٣٦١)؛ زاد المسير (٤/٤٩٣)؛ التفسير الكبير (٢٤/٤٤).



وما أحسنَ ما قاله الزمخشري<sup>(١)</sup> عن ظلمهم وزورهم: «ظلمهم: أن جعلوا العربيّ يتلقن من الأعجمي الرومي كلاماً عربياً، أعجزَ بفصاحته جميعَ فصحاء العرب. والزور: أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه»<sup>(٢)</sup>.

فحكّم القرآن عليهم بالكفر؛ لأنهم ظالمون وكاذبون في هذا القول، وأنه كان يجب عليهم التصديق، والإيمان بأنه كلامُ الله تعالى، بدل الكذب والافتراء، فيه دليلٌ ضمنيٌّ على وجوب الإيمان بالقرآن بالنسبة لهم ولغيرهم.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَنَا سَمْعَهَا كَأَنَّ فِي آذَانِهِ وَقْرًا فَنَسَخْنَاهُ بِعَذَابِ الْإِيمَانِ﴾ [القمان: ٧].

المراد بـ (آياتنا) هو القرآن العظيم. ومعنى ﴿وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: أعرض عنها تكبراً وجحوداً، ﴿كَأَنَّ لَهَا سَمْعَهَا﴾ أي: كأنه لم يسمعها، فحذف ضمير الشأن.

ومعنى ﴿كَأَنَّ فِي آذَانِهِ وَقْرًا﴾ أي: صمم. والواقع أنه ما به صمم حقيقة، ولكنه تصامم عنها تكبراً. ﴿فَنَسَخْنَاهُ بِعَذَابِ الْإِيمَانِ﴾ أي: موجه يؤلمه، والتعبير بالبشارة من باب التهكم والسخرية منه<sup>(٣)</sup>.

فالله تعالى توعد المكذب بالقرآن بالعذاب الأليم، ووصفه بالتكبر والإعراض، وذلك دليل ضمنيٌّ على أن الإيمان بالقرآن أمرٌ واجب.

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي سَمْعِكَ مِنَ الذِّكْرِ بَلْ لَمْ يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨].

هذا النص هو مقول كفار قريش، والاستفهام للإنكار، أي كيف يكون

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، العلامة، النحوي، اللغوي، المفسر، كبير المعتزلة، يُلقب جار الله لمجاورة مكة زماناً، ولد سنة (٤٦٧هـ) بزمخشير من قرى خوارزم، كان رأساً في البلاغة والعربية، مجاهراً باعتزاله وداعية إليه، له تصانيف كثيرة منها: تفسير «الكشاف»، و«الفائق في غريب الحديث»، و«أساس البلاغة». توفي سنة (٥٣٨هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠)، طبقات المفسرين (٣١٤/٢).

(٢) الكشاف (٢٦٩/٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٩/٤)؛ تفسير أبي السعود (٦٩/٧).

ذلك، ونحن الرؤساء والأشراف. وهو نظير قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَبَائِلِ الْعِظِيمِ﴾ [الزخرف: ٣١].  
فالمراد بالذكر هنا القرآن، ومرادهم - في هذه الآية - إنكار كونه مُنَزَّلًا من عند الله تعالى.

وقوله: ﴿بَلْ لَّمْ يَكُن فِي سَبْكِ مِّنْ ذِكْرِي﴾ أي: من القرآن. فتارة يقولون: هو سحر، وتارة يقولون: أساطير الأولين، إلى غير ذلك.

﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِي﴾ أي: بل السبب أنهم لم يذوقوا عذابي، فاغترؤا بطول المهلة، ولو ذاقوا عذابي - على ما هم عليه من الشرك والشك - لصدقوا ما جئت به من القرآن، ولم يشكوا فيه<sup>(١)</sup>. والتعبير بـ «لَمَّا» إشارة إلى قرب وقوع ذلك. والمعنى: أنهم لا يُصدِّقون به حتى يمسه العذاب<sup>(٢)</sup>.

فتوعَّد الله تعالى الشاكين في القرآن بأن يمسه عذابه يوم القيامة جزاء تكذيبهم له، دليل على أن التصديق بالقرآن العظيم، والإيمان بأنه من الله تعالى أمر واجب.

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثَمٌّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ بمعنى: أخبروني ﴿إِنْ كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: مُنَزَّلٌ من قِبَلِهِ على عبده ورسوله محمد ﷺ. ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ مع علمكم أنه من الله تعالى، ومع تعاضد الأدلة والبراهين على حقيقته.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ﴾ أي: مَنْ أَضَلُّ مِنْكُمْ؟ والتقدير: لا أحد أضلُّ منكم؛ لِفِرْطِ شِقَاقِكُمْ وَعِدَاوَتِكُمْ<sup>(٣)</sup>.

فالتعبي والإنكار على مَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ، وَوَضَفَهُ بِأَنَّهُ لَا أَحَدٌ أَضَلُّ مِنْهُ، وبأنه في شِقَاقِ بَعِيدٍ عن الحق؛ بكفرهم بالقرآن، يقتضي حتمًا وجوب الإيمان بالقرآن العظيم.

(١) انظر: تفسير الشوكاني (٤/٤٢١). (٢) انظر: تفسير أبي السعود (٧/٢١٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٥/٣٧٤).

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَاءَلُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۗ﴾ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿ [محمد: ٨ - ٩].

تحدّث الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن تعاسة الكفّار.

والتّعسُّ: هو الهلاك والعتار والسُّقوط والشَّرُّ والبعد والانحطاط<sup>(١)</sup>.

والمعنى: قضى الله تعالى عليهم بالتّعاسة، وإحباط أعمالهم، فلم تعدّ صالحةً للانتفاع بها؛ وذلك لأنّ الأعمال بدون الإيمان لا تُغني عن صاحبها شيئاً.

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

والسبب الرئيس الذي أوصلهم إلى هذه التّعاسة، وهذا الإضلال: أنهم ﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهو القرآن، فكانت النتيجة الحتمية ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

وسبب كراهيتهم للقرآن: أنه جاءهم بالتوحيد، وإبطال عبادة الأصنام، التي ألفوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وجاءهم ببعض التكاليف التي فيها مشقّة على نفوسهم، ومخالفةٌ لآلئهم.

فالله تعالى ذمّ المكذّبين بالقرآن، الكارهين لما جاء به من توحيد وتكاليف، وقضى عليهم بالتّعاسة، وإحباط الأعمال.

وهذا يدل بوضوح على أنّ الإيمان بالقرآن العظيم، والتصديق بأنه من الله تعالى، والتسليم والرّضا بكلّ ما جاء به، أمرٌ واجب على كلّ مَنْ سَمِعَهُ وَمَنْ بَلَغَهُ.



(١) انظر: المصدر السابق (٨/٩٣).





أنواع التكميد بالقرآن

المبحث الرابع

أو تلفظ -

كمن كفر به

في قوله تعالى لا يظن بالله شيئا يشاء ويؤمن بالله ويؤمن بالله

بما قد بعثه به الله وأنواع التكميد بالقرآن

أنواع التكميد بالقرآن

أنواع التكميد بالقرآن

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الكفر الصريح بالقرآن.

المطلب الثاني: الاستكبار عن القرآن.

المطلب الثالث: التكميد الصريح بالقرآن.

المطلب الرابع: الجحود بالقرآن.

المطلب الخامس: طلبهم تبديل القرآن.

المطلب السادس: تبعض القرآن.

المطلب السابع: الإعراض عن القرآن.

أنواع التكميد بالقرآن

أنواع التكميد بالقرآن

أنواع التكميد بالقرآن

أنواع التكميد بالقرآن

## أنواع التكذيب بالقرآن

تمهيد:

مما سبق ذكره في المبحث الثالث، ومن خلال تتبع أكثر الآيات الواردة في القرآن العظيم والمتعلقة بترك الإيمان به، يتضح أن هناك مظاهر متعدّدة لهجر القرآن والحدّ المشترك فيها هو التّكذيب بالقرآن، وتُجمل فيما يلي:

الكفر بالقرآن، والاستكبار عنه، والشك فيه، والتّكذيب به، والجحود به، والاستهزاء به وبتعاليمه، وتبديله وتحريفه، والإعراض عنه ونبذه، وترك الاحتكام إليه، وكتمانه، والاختلاف فيه، والجدال فيه، والصدّ عنه، والتّهي عنه، والغفلة عنه، وترك العمل به، وأدعاء نسخه، وأدعاء نقصه، ومضاهاته ومعارضته.

ولقد فصل القرآن العظيم هذه الخصال المذمومة بالشرح والتّبيان، وعرض لها نماذج وأمثلة؛ حتى يحتاط المسلمون من الوقوع في إحداها.

ولئن امتدح الله تعالى الذين تعاملوا مع القرآن العظيم التّعامل الصّحيح حيناً، فإنه - جلّ ذكره - ذمّ الذين تعاملوا مع القرآن الكريم التّعامل الخاطئ في مواضع كثيرة من كتابه؛ ليتنبّه المسلمون حقّ التّنبّه، ويعوا تمام الوعي، وهم يقرؤون كلام الله تعالى، أو يسمعون.

وفيما يلي تفصيل لما أُجمل ممّا هو تكذيب بالقرآن المجيد نجده في المطالب الآتية:

## المطلب الأول

## الكفر الصريح بالقرآن

الكفر بالقرآن: هو اعتقادٌ بما يحمل معنى الكفر، أو تلفظٌ بما يحمل معنى الكفر، أو فعلٌ بما يحمل معنى الكفر. ويستوي في ذلك مَنْ كفر بالقرآن جملةً وتفصيلاً، ومَنْ كفر بآيةٍ منه.

ولقد توعد الله ﷻ مَنْ كفر بالقرآن العظيم بالعذاب والهوان والصغار في الدنيا والآخرة، ومما جاء في ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: ٤].

فهذا وعيد من الله تعالى بالعذاب الشديد لمن كفر بالقرآن العظيم.

قال ابن عاشور رحمه الله في تفسيرها: «وشمل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المشركين واليهود والنصارى في مرتبة واحدة؛ لأنَّ جميعهم اشتركوا في الكفر بالقرآن، وهو المراد بآيات الله - هنا - لأنَّه الكتاب الوحيد الذي يصحُّ أن يوصف بأنه آيةٌ من آيات الله؛ لأنَّه معجزةٌ. وعبر عنهم بالموصول إيجازاً؛ لأنَّ الصلَّة تجمعهم»<sup>(١)</sup>.

وقد فصل الله تعالى هذا العذاب الشديد في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

وهذا الكفر بالقرآن العظيم صدر منهم قولاً صريحاً، ذكره الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبا: ٣١]. فقد حكى الله عزَّ وجلَّ قولهم الشنيع، ثم ذكر عقوبتهم في الآخرة مباشرة<sup>(٢)</sup>؛ جزاء كفرهم بالقرآن وبالذي بين يديه من التوراة والإنجيل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْتُوا فَوَقَّوَتْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (٨٦/٣).

(١) التحرير والتنوير (١١/٣).

اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إلى قوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبا: ٣١ - ٣٣] (١).

### المطلب الثاني

## الاستكبار عن القرآن

من أمثلة الاستكبار عن القرآن الكريم ما حكاه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَيُّومَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ إِذِمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنواعاً من الاستكبار عن القرآن العظيم، ومن ذلك:

أ - افتراء الكذب على الله: والافتراء: هو الاختلاق، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣]. فالذين افتروا على الله الكذب هم المشركون؛ لأنهم حللوا وحرّموا بهواهم وزعموا أنّ الله أمرهم بذلك، وأثبتوا لله شفعاء عنده كذباً (٢).

ب - ادّعاء النبوة كذباً: ويدخل في ذلك كلُّ مَنْ ادّعى النبوة، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والمختار، وغيرهم ممّن اتّصف بهذا الوصف (٣).

ج - ادّعاء معارضة القرآن: ويدخل في ذلك كلُّ مَنْ يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، أو في إمكانه أن يأتي بمثله، كما فعل النضر بن الحارث؛ لأنّه عارض القرآن فقال: والطّاحنات طحناً. والعاجنات عجنناً. فالخابزات خبزاً.

(١) تأمل نماذج للكفر بالقرآن العظيم، والوعيد على ذلك، في أرقام آيات السور التالية: (الأنعام: ٧)، (الكهف: ١٠٥)، (الفرقان: ٣٢ - ٣٤)، (سبا: ٤٣)، (الزمر: ٦٣)، (فصلت: ٤١ - ٤٤)، (الجاثية: ١١)، (البلد: ١٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦/٢٢٠ - ٢٢١).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٢/٤٤).



فالألقامات لعماء. ذكر ذلك القرطبي في تفسيره<sup>(١)</sup> عن عكرمة<sup>(٢)</sup>، وابن عطية في تفسيره<sup>(٣)</sup> عن الزهراوي والمهدوي، وأبو حيان<sup>(٤)</sup> في تفسيره<sup>(٥)</sup>.

ثم ذكر الله تعالى العذاب الذي أعدّه لهؤلاء المستكبرين عن القرآن في قوله: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِيكَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ سَتَكِيرُونَ﴾ وقوله ﴿تُجْزَوْنَ﴾ أي: تُعْطَوْنَ جزاءً.

والجزاء: هو عوضُ العمل وما يُقَابَلُ به من أجرٍ أو عقوبة. كما قال تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ [النبا: ٢٦].

والهُون: هو الهوان والذلُّ<sup>(٦)</sup>. والمقصود به: العذاب المتضمن لشدة وإهانة وإذلال<sup>(٧)</sup>.

وسبب العذاب: قولكم على الله غير الحق، واستكباركم عن الإيمان بالقرآن الكريم، وعدم تصديقكم به<sup>(٨)</sup>.

وجزاء الاستكبار عن القرآن اليأس من كل خير؛ لأنهم مجرمون وظالمون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْلٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ لَمْ يَنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠ - ٤١].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٣/٧).

(٢) هو عكرمة البربري، أبو عبد الله، المدني، مولى ابن عباس، أصله من البربر، من علماء التابعين ومن المتبحرين بالتفسير، من كبار تلاميذ ابن عباس، اتهم ببدعة الخوارج الصُفَرِيَّة، ووثقه أئمة الحديث، قال ابن حجر: «ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذبه عن ابن عمر، ولا ثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة (١٠٧هـ)».

انظر: تقريب التهذيب (٣٠/٢)؛ تهذيب التهذيب (٧/٤٦٣ - ٢٧٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٢٨٧).

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي (أبو حيان) الأندلسي، الغرناطي، إمام العربية في عصره، مفسر، ومحدث، ومؤرخ، ومقري، اشتهر اسمه وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، ولد بقرطبة سنة (٦٥٤هـ)، ومات بالقاهرة سنة (٧٤٥هـ). من مصنفاته: «البحر المحيط» في التفسير، و«شرح كتاب سيويه»، و«تذكرة النحاة» و«ارتشاف الضرب من لسان العرب» وغيرها. انظر: طبقات المفسرين (٢/٢٨٧).

(٥) انظر: البحر المحيط (٤/١٨٠). انظر: التحرير والتنوير (٦/٢٢٤).

(٧) انظر: تفسير أبي السعود (٣/١٦٣). انظر: تفسير البغوي (٢/١١٦).

وأعظم اليأس لهم هو خلودهم في نار جهنم: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦].

### المطلب الثالث

### التكذيب الصريح بالقرآن

من أمثلة التكذيب بالقرآن قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

فهؤلاء الكفار كفروا بالرسل المرسله إليهم، وكذبوا بالآيات المنزلة عليهم<sup>(١)</sup>.  
قال البغوي رحمته الله في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: «بالقرآن»<sup>(٢)</sup>.  
وكذلك قال السمرقندي رحمته الله: «يعني جحدوا بالقرآن»<sup>(٣)</sup>. ومثله قال القرطبي رحمته الله:  
«يعني القرآن»<sup>(٤)</sup>.

فهم قد جمعوا بين الكفر بالله تعالى والتكذيب بالقرآن العظيم، والعطف  
يقتضي المغايرة<sup>(٥)</sup>.

وقيل: التكذيب بالقرآن كفر، وهو من باب عطف الخاص على العام<sup>(٦)</sup>.  
فقد توعد الله تعالى من كذب بالقرآن العظيم - سواء كان من الإنس أو  
الجن - بالعذاب الدائم، وهو الخلود في نار جهنم لا يخرجون منها ولا يموتون  
فيها، فقال عز من قائل: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

وبين الله تعالى في مواضع آخر جزاء التكذيب بالقرآن فقال: ﴿وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

«والجحيم»: النار الشديدة الإيقاد. ويقال: جَحَمَ فلان النار إذا شدَّ  
إيقادها»<sup>(٨)</sup>. فالتأثر ملازمة لهم ملازمة الصاحب لصاحبه<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: المصدر السابق (٩٣/١). (٢) تفسير البغوي (٦٦/١).

(٣) تفسير السمرقندي (٣٨٦/٣). (٤) تفسير القرطبي (١٣٩/١٨).

(٥) انظر: تفسير الشوكاني (٤٦٣/٣). (٦) انظر: المصدر نفسه (٦٨/٢).

(٧) انظر: تفسير البغوي (٦٦/١)؛ تفسير الرازي (٢٧/٣).

(٨) تفسير الشوكاني (٦٨/٢). (٩) انظر: تفسير السعدي (٢٢٤/١).

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ لَهُ عَذَابًا مَهِينًا يَهَانُ فِيهِ جِزَاءٌ وَفَاقًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الحج: ٥٧]. يهانون فيه من شدته وألمه وبلوغه للأفئدة، كما استهانوا بالقرآن أهانهم الله تعالى بالعذاب<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ كَذَلِكَ فَهُوَ فِي الْعَذَابِ مُّحْضَرٌ عَلَى الدَّوَامِ لَا يَغِيبُ عَنْهُ أَبَدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦].

قال الرَّازِي<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّحْضَرُونَ﴾: «يعني لَا غَيْبَةَ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَا فُتُورَ لَهُ عَنْهُمْ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]. وَقَالَ ﴿لَا يُفَعَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥]. أَي: الْعَذَابِ»<sup>(٣)</sup>.

وهناك معانٍ متقاربة في الآية ذكَّرها القرطبي رَضِيَ اللَّهُ فَقَالَ: «أَي: مقيمون، وقيل: مَجْمُوعُونَ، وقيل: معذبون، وقيل: نازلون؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠]. أَي: نزل به»<sup>(٤)</sup>.

والمراد: دوام عذاب مَنْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ، والعياذ بالله من هذه الحال.

#### المطلب الرابع

### الجحود بالقرآن

الجحود ضدُّ الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: المصدر نفسه (١/٥٤٣).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي، الطبرستاني الأصل، ثم الرَّازِي، المفسر، المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، ولد سنة (٥٤٤هـ)، صنَّف في فنون كثيرة، ومن تصانيفه: «التفسير الكبير» المعروف بـ «مفاتيح الغيب»، و«المحصول»، و«نهاية العقول»، قيل: إنه ندم في آخر حياته على دخوله في علم الكلام. توفي بهراة يوم الفطر سنة (٦٠٦هـ).

انظر: طبقات المفسرين (٢/٢١٦)؛ شذرات الذهب (٥/٢١).

(٣) التفسير الكبير (٢٥/٩٠).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/١٤).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/٢١٨).

يُقَالُ: جَحَدَ الأمرَ، وَجَحَدَ بالأمرِ جَحْدًا وَجُحُودًا: أَنْكَرَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ.  
 وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ٤١٤] (١).  
 \* وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْجُحُودِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّكَ لَلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ وَمَخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُ: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّكَ لَلَّذِي يَقُولُونَ﴾ أَي: قَدْ نَعَلِمُ أَنَّ الَّذِي يَقُولُ الْمَكْذُوبُونَ فِيكَ، يَحْزَنُكَ وَيَسُوؤُكَ، فَلَا تَنْظُرَنَّ أَنَّ قَوْلَهُمْ صَادِرٌ عَنِ اشْتِبَاهِ فِي أَمْرِكَ، وَشُكِّ فِيكَ.

﴿فَأِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ صِدْقَكَ، وَمُدْخَلَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَجَمِيعَ أَحْوَالِكَ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَهُ - قَبْلَ بَعْتِهِ - الْأَمِينُ (٢).

قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فِيكَوْنُ فِي الْآيَةِ احْتِبَاكُ، وَالتَّقْدِيرُ: فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَا يَكْذِبُونَ الْآيَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ بِالْآيَاتِ وَيَجْحَدُونَ بِصِدْقِكَ، فَحُذِفَ مِنْ كُلِّ لَدَلَالَةِ الْآخِرِ» (٣).

وَجُحُودُهُم بِالْقُرْآنِ كُفْرٌ عِنَادٍ وَمُكَابَرَةٌ (٤).

\* وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْجُحُودِ بِالْقُرْآنِ كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكُتُبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

وَهَذَا حَصْرٌ لِمَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ، أَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنْ أَحَدٍ قَصْدُهُ مِتَابَعَةَ الْحَقِّ (٥).  
 «وَالجَحْدُ - كَمَا قَالَ الرَّاعِبُ: نَفَى مَا فِي الْقَلْبِ ثِبَاتَهُ، وَإِثْبَاتُ مَا فِي الْقَلْبِ نَفِيَهُ. وَفُسِّرَ هُنَا بِالْإِنْكَارِ عَنِ عِلْمٍ. فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا يُنْكَرُ بِآيَاتِنَا مَعَ الْعِلْمِ بِهَا ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أَي: الْمَتَوَعَّلُونَ فِي الْكُفْرِ، الْمُصَمِّمُونَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْإِقْرَارِ وَالتَّسْلِيمِ» (٦).

وَكَمَا يَكُونُ جَاْحِدُ الْقُرْآنِ كَافِرًا، فَيَكُونُ أَيْضًا ظَالِمًا، عَلَيَّ حُدُّ قَوْلُهُ تَعَالَى:

- (١) انظر: المعجم الوسيط (ص ١٠٧). (٢) انظر: تفسير السعدي (١٧/١٢ - ١٨).  
 (٣) التحرير والتنوير (٧٤/٦).  
 (٤) انظر: تفسير ابن عطية (٢٨٦/٢)؛ تفسير الثعالبي (٥١٦/١).  
 (٥) انظر: تفسير السعدي (٦٦/٤). (٦) روح المعاني (٤/٢١).



﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

أي: وما يُكذَّب بالقرآن ويبخس حقه ويرده إلا الظالمون، أي: المعتدون المكابرون، الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧] (١).

والظالم: هو الذي يجري على خلاف الحق بدون شبهة. فهم يُنكرون القرآن مع علمهم بأنه الحق، وذلك هو الجحود. فشان الظالمين جحد الحق، فهم لا إنصاف لهم (٢).

ولقد بين الفخر الرازي رحمه الله الفرق بين الكفر والظلم في الآيتين السابقتين قائلاً: «قال ههنا: الظالمون، ومن قبل قال: الكافرون، مع أن الكافر ظالم، ولا تنافي بين الكلامين، وفيه فائدة: وهي أنهم قبل بيان المعجزة، قيل لهم: إن لكم المزايا فلا تبطلوها بإنكار محمد فتكونوا كافرين، فللفظ الكافر هناك كان بليغاً يمنعهم من ذلك؛ لاستنكافهم عن الكفر، ثم بعد بيان المعجزة، قال لهم: إن جحدتم هذه الآية لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلتحقون في أول الأمر بالمشركين حكماً، وتلتحقون عند هذه الآية بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين، أي: مشركين، كما بينا أن الشرك ظلم عظيم، فهذا اللفظ ههنا أبلغ، وذلك اللفظ هناك أبلغ» (٣).

### جزاء الجحود:

\* بين الله تعالى جزاء الجحود بالقرآن في قوله تعالى: ﴿قَالِيَوْمَ نَسْفَعُكُمْ﴾ كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا يحذرون﴾ [الأعراف: ٥١].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤١٨/٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٧٤/٦) - (١٨٧/٢٠).

(٣) التفسير الكبير (٦٨/٢٥).

ومعنى ﴿نَسْنَهُمْ كَمَا سَأُوا﴾ أي: تعاملهم معاملة مَنْ نسي، فَيُتْرَكُونَ فِي النَّارِ كَمَا فَعَلُوا هُمْ فِي جِحُودِهِمْ بِالْقُرْآنِ، فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى جِزَاءَ نَسْيَانِهِمْ بِالنُّسْيَانِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلَةٌ مِثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

والمراد من هذا النسيان: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُجِيبُ دَعَاءَهُمْ وَلَا يَرْحَمُهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ هَذِهِ التَّشْدِيدَاتِ بِسَبَبِ جِحُودِهِمْ بِالْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>.

\* ومن جزاء الجحود بالقرآن كذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لَنَا أَلْقَرْنَا وَآلَقْنَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جِزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخَالِدِ جِزَاءُ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحُودُونَ﴾ [فصلت: ٢٦ - ٢٨].

ولفظ الدُّوقُ إِنَّمَا يُذَكَّرُ فِي الْقَدْرِ الْقَلِيلِ الَّذِي يُوْتَى بِهِ لِأَجْلِ التَّجْرِبَةِ، فَإِذَا كَانَ الْقَلِيلُ مِنَ الدُّوقِ عَذَابًا شَدِيدًا، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْكَثِيرِ مِنْهُ؟

والمراد بـ ﴿أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أَي أَقْبَحِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>.

فإنَّهم لَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ تَعَالَى أَحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ، فَضَاعَتِ تِلْكَ الْأَعْمَالُ الْحَسَنَةُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ إِلَّا الْأَعْمَالُ الْقَبِيحَةُ الْبَاطِلَةُ، فَلَا جَرَمَ لَمْ يَتَحَصَّلُوا إِلَّا عَلَى جِزَاءِ السَّيِّئَاتِ.

وهذا العذاب الشَّدِيدُ الْمُخْلَدُونَ فِيهِ ﴿جِزَاءُ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحُودُونَ﴾: أَي جِزَاءُ مَا كَانُوا يَلْعَنُونَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى كَفْرَهُمْ بِالْقُرْآنِ جِحُودًا؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ بِالْغُيِّ إِلَى حَدِّ الْإِعْجَازِ، خَافُوا مِنْ أَنَّهُ لَوْ سَمِعَهُ النَّاسُ لَأَمَنُوا بِهِ، فَاسْتَخْرَجُوا تِلْكَ الطَّرِيقَةَ الْفَاسِدَةَ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى عِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ، وَمَعَ ذَلِكَ جَحَدُوا بِهِ حَسَدًا وَظُلْمًا وَعِنَادًا<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المصدر نفسه (١٤/٧٧).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/١١٣).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٧/١٠٤).

## المطلب الخامس

## طلبهم تبديل القرآن

لقد طلب الكفار من الرسول ﷺ أن يأتي بقرآن غير هذا، أو أن يبذله، وهم في طلبهم هذا لم يأتوا ببدع من القول، بل ساروا على نهج من سبقهم من أهل الكتاب، وهو عين ما حكاه الله تعالى عن اليهود بقوله: ﴿أَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

«فهذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم. وأخلاقهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يُحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني، ما أَرادها الله؛ ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله. فإذا كانت حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يُرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء»<sup>(١)</sup>.

فهاهم أولاء المشركون - الذين لا يرجون لقاء الله - يطلبون من النبي ﷺ أن يُبدل القرآن أو يغيره؛ لأنه لا يوافق أهواءهم وشهواتهم: ﴿وَإِذَا قُتِلَ عَلَيْهِمْ مَايَأْتَانَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْتَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

فقد طلبوا من رسول الله ﷺ - لما سمعوا ما غاظهم فيما تلاه عليهم من القرآن من ذم عبادة الأوثان، والوعيد الشديد لمن عبدها - أحد أمرين: إما الإتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله، وإما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض آياته أو كلها ووضع أخرى مكانها، مما يطابق إرادتهم، ويلائم غرضهم. فأمره الله تعالى أن يقول في جوابهم: ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ أي ما ينبغي لي، ولا يحل لي أن أبذله من تلقاء نفسي.

(١) تفسير السعدي (١/٦٩).

فنفى عن نفسه أحد القسمين، وهو التبديل؛ لأنه الذي يمكنه لو كان ذلك جائزاً، بخلاف القسم الآخر، وهو الإتيان بقرآن آخر، فإن ذلك ليس في وسعه، ولا يقدر عليه.

وهذا منه ﷺ من باب مجازاة السفهاء، إذ لا يصدر مثل هذا الاقتراح عن العقلاء بعد أن أمره الله سبحانه بذلك<sup>(١)</sup>.

وينفرد اليهود بما يلائم طبعهم الملتوي فيلؤون ألسنتهم بالكتاب، أي: يميلونها عن الصحيح إلى المحرف. فيُنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]. قال ابن الجوزي رحمته الله: «ومعنى ﴿يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم﴾: يقلبونها بالتحريف والزيادة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يشمل التحريف اللفظي، والتحريف المعنوي، ثم هم - مع هذا التحريف الشنيع - يوهمون أنه من الكتاب، وهم كذبة في ذلك، ويصرحون بالكذب على الله، وهم يعلمون حالهم، وسوء مغبتهم»<sup>(٣)</sup>.

### المطلب السادس

#### تبعيض القرآن

إنَّ الأخذ ببعض القرآن وترك بعضه الآخر هجرٌ له، ومعصيةٌ لله تعالى، بل هو من أنواع التكذيب بالقرآن العظيم.

\* وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمٌ الْقَبْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرُدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

قال عامة المفسرين - رحمهم الله تعالى: إنَّ الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل أربعة عهود: ترك القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، وقداء

(١) انظر: تفسير الشوكاني (٦٢٣/٢).

(٢) زاد المسير (٣٣٥/١).

(٣) تفسير السعدي (٢٥٤/١).



أَسْرَاهُمْ، فَأَعْرَضُوا عَنْ كُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ إِلَّا الْفِدَاءَ، فَوَيْخَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفْتَوْمَثُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؟<sup>(١)</sup>

فهذا استفهام إنكاري توبيخي، أي كيف تعمَّدتم مخالفة التَّوراة في قتالكم إخوانكم، واتَّبَعْتُمُوهَا فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ<sup>(٢)</sup>.

فالذي آمنوا به: فداء الأسارى. والذي كفروا به: قتل بعضهم بعضاً، وإخراجهم من ديارهم، فَوَيْخَهُمُ اللَّهُ تَوْبِيخاً يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ<sup>(٣)</sup>.

### جزاء تبعض الكتاب:

قال الله تعالى مُبَيَّنّاً جَزَاءَ تَبْعِيضِ الْكِتَابِ: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]. الخزي: هو الذُّلُّ والهوان.

وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به اليهود المتلاعنين بأوامر الله تعالى مؤفراً، فصاروا في خزي عظيم، بما ألصق بهم من الذُّلِّ والمهانة بالقتل والأسر وضرب الجزية والجلاء، وما قُدِّرَ لَهُمْ أَيْضاً مِنَ الذُّلِّ - فِي الْمُسْتَقْبَلِ - بَيْنَ الْأُمَمِ، هَذَا فِي الدُّنْيَا<sup>(٤)</sup>.

أمَّا فِي الْآخِرَةِ فإِنَّهُمْ: ﴿يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ جزاء ما كتّموه من كتاب الله الذي بين أيديهم، فقد جاءوا بذنب عظيم، وجُزِمَ جَسِيمٌ.

ولا ريب أنَّ أَشَدَّ الْعَذَابِ هُوَ الْخُلُودُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، عِيَاذاً بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْحَالِ.

قال ابن عاشور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وقد دلَّت هذه الآية على أن الله تعالى يُعاقب الحائدين عن الطَّرِيقِ بِعُقُوبَاتٍ فِي الدُّنْيَا، وَعُقُوبَاتٍ فِي الْآخِرَةِ»<sup>(٥)</sup>.

\* ومن تبعض القرآن ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقَسِّمِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ جَمَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿١١﴾ فَوَرِّكَ لَسَلَّاتُهُمْ أَمْعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩٣].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٢٧٢)؛ تفسير القرطبي (٢/٢٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١/٥٧٣). (٣) انظر: تفسير الثعالبي (١/٨٥).

(٤) انظر: تفسير الشوكاني (١/١٠٩). (٥) التحرير والتنوير (١/٥٧٤).

وقد مرّ بنا سابقاً أنّ الآية الكريمة تشمل كلَّ مَنْ اقتسم كتاب الله، بتكذيب بعضه وتصديق بعضه، وارتكب ما نهاه الله عنه. **﴿فَحَالَهُ هَذَا يُشْبِهُ حَالَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ قَسَمُوا كِتَابَهُمُ السَّمَاوِيَةَ أَقْسَامًا، وَجَزَّؤُهَا أَجْزَاءً، فَأَمَنُوا بِبَعْضٍ مِنْهَا وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ؛ اتَّبَاعًا لَشَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَاءِهِمْ﴾**.

### المطلب السابع

## الإعراض عن القرآن

إنَّ من أنواع التَّكْذِيبِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الإِعْرَاضُ عَنْهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾** ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا فَتَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿طه: ١٢٤ - ١٢٦﴾. **والمراد بالذِّكْر هنا: القرآن، في قول عامّة المفسِّرين.**

وقال الله تعالى - أيضاً - مُخَاطَباً النَّبِيَّ ﷺ وَمَمْتَنّاً عَلَيْهِ بِمَا أَكْرَمَهُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ إِلَيْهِ، وَمَبِيناً لَهُ جِزَاءَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ: **﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾** [طه: ٩٩ - ١٠٠].

قال ابن عاشور رحمته الله: «وتنكير ﴿ذِكْرًا﴾ للتَّعْظِيمِ، أَي: آتَيْنَاكَ كِتَابًا عَظِيمًا. وَقَوْلُهُ: **﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾**، وَتَنْوِيهُ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهُ عَطِيَّةٌ كَانَتْ مَخْزُونَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَخَصَّ بِهَا خَيْرَ عِبَادِهِ ﴿ﷺ﴾»<sup>(١)</sup>.

## جزء الإعراض عن القرآن:

أَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى، فَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ:

وَتَقَرَّرَ أَنَّ مَعْنَى الْمَعِيشَةِ الضَّنْكَ: هُوَ أَنْوَاعُ الْعَذَابِ الَّتِي يَصِيبُ الْمُعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ مِنَ الْهَمُومِ وَالْغُومِ وَالْآلَامِ، وَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَالْبَرْزَخِ، وَالْآخِرَةِ.

فَإِنَّ الْمُعْرَضِينَ عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي جَحِيمٍ قَبْلَ الْجَحِيمِ الْأَكْبَرِ.

وَأَمَّا حَشْرُهُ أَعْمَى: فَإِنَّهُ لَمَّا أَعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعَمِيَتْ عَنْهُ بَصِيرَتُهُ،

(١) التحرير والتنوير (١٦/١٧٩). وانظر: تفسير أبي السعود (٦/٤٠).

أعمى الله عزَّ وجلَّ بصره يوم القيامة، وتركه في العذاب كما ترك الذُّكْرَ في الدنيا، فجازاه على عمى بصيرته عمى بصره في الآخرة.

وأما الآية الثانية:

فقد بيّن الله تعالى شِدَّةَ الوعيد لمن أعرض عن القرآن، ولم يؤمن به ويتبعه، من عدَّةٍ وجوه:

- ١ - يَحْمَلُ يوم القيامة وزراً. والوزرُ: هو العقوبة الثَّقيلة. وَسُمِّيَتْ وزراً: لتشبيهها - في ثِقَلِهَا على المُعاقِبِ، وصُعوبَةِ احتمالِهَا - بِالْحِمْلِ الذي يَفدَحُ الحامل، وَيُنْقِضُ ظَهْرَهُ. فالمراد: حِمْلًا ثَقيلًا من الإثم<sup>(١)</sup>.
- ٢ - هو مُخَلَّدٌ في الوزر، لقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ [طه: ١٠١]. أي: مقيم أبداً في عذاب الوزر؛ بسبب إعراضه عن القرآن، وهجره له. وتخليده في الوزر العظيم؛ لأنَّ العذاب هو نَفْسُ الأعمال، تنقلب عذاباً على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - يئس الحمل الذي يحمله، والعذاب الذي يعذِّبه؛ بسبب إعراضه عن القرآن، فمعنى قوله: ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ١٠١]. أي: وما أسوأ هذا الوزر حِمْلًا بمعنى محمولاً<sup>(٣)</sup>. والمراد: يئس الحِمْلُ يحمله، والعذاب الذي يُعذِّبونه<sup>(٤)</sup>.
- قال أبو السعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فيه ضميرٌ مُبهم، يُفسَّرُه حِمْلًا، والمخصوص بالذمُّ محذوف. أي: ساء حِمْلًا وزرهم»<sup>(٥)</sup>.

### طوائف أعرضت عن القرآن:

هناك طوائف كثيرة أعرضت عن القرآن الكريم، ومنها على سبيل الاختصار<sup>(٦)</sup>:

- (١) انظر: التفسير الكبير (٩٨/٢٢)؛ تفسير البغوي (٢٣٠/٣)؛ تفسير أبي السعود (٤١/٦).
- (٢) انظر: تفسير السعدي (٢٥١/٣). (٣) انظر: التفسير الكبير (٩٩/٢٢).
- (٤) انظر: المصدر السابق، والصفحة نفسها.
- (٥) تفسير أبي السعود (٤١/٦).
- (٦) انظر: الإيمان بالكتب (ص ٣٤ - ٣٧).

١ - الرافضة: وذلك بادّعائها أنّ القرآن ناقصٌ ومجرّف، وأنّ القرآن الكامل مع الغائب الذي سيخرج في آخر الزّمان من سرداب سلّمراء<sup>(١)</sup>.

٢ - البابية والبهائية: وذلك بادّعائها نسخ القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية بشريعة الباب والبهاء<sup>(٢)</sup>.

٣ - التيجانية: وذلك بتفضيلها أورادها وأذكارها - كصلاة الفاتح - على القرآن العظيم.

فقد قالوا: إنّ قراءة صلاة الفاتح مرّة واحدة أفضل من قراءة القرآن ستّة آلاف مرّة<sup>(٣)</sup>.

٤ - غلاة الصّوفية: وذلك بادّعائهم العلم اللدني الذي يُوحى إليهم، ويغنيهم عن القرآن المجيد كما يزعمون، ثمّ إنّ مصدر التلقّي عندهم ليس القرآن والسنة بل يقوم على الرؤى والأحلام، والكشف، ونسخ الشريعة، ورفع التكاليف، وغير ذلك ممّا يخالف ما جاء في القرآن<sup>(٤)</sup>.

٥ - الفرق الباطنية: وذلك بانحرافهم في تأويل القرآن، وإغراقهم في التّأويل الباطني، وإخراج القرآن عن معانيه وحقائقها الصّحيحة، وأدعاء بعضهم نسخ الإسلام<sup>(٥)</sup>.

٦ - المشرّعون والقانونيون: الذين أعرضوا عن تحكيم شريعة القرآن وعارضوها بزبالات أفكارهم، زاعمين أنّها لا تناسب العصر الحديث، ولا تفي بحاجاته<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير (ص ٧٨)؛ مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري (١/٢١١ - ٢١٤).

(٢) انظر: البابية عرض ونقد، لإحسان إلهي ظهير (ص ١٠٤)؛ البهائية نقد وتحليل، لإحسان إلهي ظهير (ص ٢٢٢).

(٣) انظر: التيجانية، لعلي الدخيل (ص ١١٦ - ١٢٣).

(٤) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير (٢٦٠ - ٢٧٥). هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل (ص ٧٠).

(٥) انظر: كشف أسرار الباطنية، لابن أبي الفضائل الحمّاي اليماني (ص ٥٠)؛ الحركات الباطنية، د. محمد بن أحمد الخطيب (ص ٦٦، ٣٤٩).

(٦) انظر: تحكيم القوانين، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص ١ - ٢٠).





## المبحث الخامس

## حُكْم التَّكْذِيبِ بِالْقُرْآنِ

كيف وصل القرآن إلينا:

القرآن العظيم نُقِلَ إلينا بطريق التواتر كتابةً في المصاحف، وحفظاً في الصدور، فقد كان هناك كتبةٌ للوحي يكتبون ما نزل على رسول الله ﷺ فإذا أنزلت سورةٌ أو آيةٌ بلغها نبينا الكريم ﷺ أصحابه ﷺ، وتلاها عليهم، وكتبها كتبةٌ الوحي، وكتبها مَنْ كتب لنفسه.

وما تُوفِّي رسول الله ﷺ إلا وكلُّ آية من آيات القرآن العظيم مُدَوَّنة فيما اعتاد العرب أن يُدَوِّنوا فيه من الرِّقاع ونحوها.

وكلُّ آية من القرآن الكريم كذلك محفوظة في صدور المئات من الرجال الأذكياء الأماناء، وأصبح ما يحفظونه في صدورهم مرجعاً للمسلمين في تلقِّي القرآن وروايته، بالإضافة إلى المكتوب منه.

وقد جمع أبو بكرٍ ﷺ - بواسطة زيد بن ثابت، وبعض الصحابة المعروفين بالحفظ والكتابة ﷺ جميعاً - تلك المدونات وضمَّ بعضها إلى بعض وبالترتيب نفسه الذي كان رسولُ الله ﷺ يتلوها به وأصحابه في حياته، وصارت هذه الصُّحف وما في صدور الحفَّاظ هي مرجع المسلمين في تلقِّي القرآن وروايته. وقام على حفظ هذه المجموعة أبو بكرٍ ﷺ في حياته، وخلفه عليها عمر ﷺ.

ثمَّ تركها عمر ﷺ عند ابنته حفصة أم المؤمنين ﷺ، وأخذها من حفصة عثمانُ ﷺ في خلافته، ونسخ منها عدَّة نسخ أرسلت إلى أمصار المسلمين.

وتناقل المسلمون القرآن كتابةً من المصحف المدوَّن، وتلقياً من الحفَّاظ أجيالاً عن أجيالٍ في عدَّة قرون، وما اختلف المكتوب منه والمحفوظ، ولا اختلف في لفظه مسلمان من ملايين المسلمين في مختلف قارات العالم، وهم

يقرؤونه منذ أربعة عشر قرناً ونيّفاً، فلم يختلف فيه فرد عن فرد، ولا أمة عن أمة بزيادة ولا نقص، ولا تغيير ولا تبديل، تحقيقاً لوعده الله ﷻ في حفظ القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] (١).

### منزى التواتر:

ولا نزاع بين المسلمين في تواتر القرآن العظيم، ويترتب على كون القرآن متواتراً ثبوت حجّيته، أي أنّ القرآن الكريم قطعي الثبوت، فكلُّ نصّ نتلوه من نصوص القرآن المجيد هو النصّ الذي أنزله الله على نبيّنا محمد ﷺ من غير تحريف ولا تبديل.

ولذلك قال الآمدي (٢) **كَلَّمَ اللهُ: «اتَّقُوا عَلَى أَنْ مَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ نَقْلًا مُتَوَاتِرًا وَعَلِمْنَا أَنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ حُجَّةٌ»** (٣).

وبناء عليه: يجب الإيمان بالقرآن الكريم، وتصديقه، واتباعه، والانقياد له، ويجب الإيمان بأنه كلامُ الله تعالى وتنزيله، ولا يُشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحدٌ من الخلق إنهم وجنهم (٤).

### ما يعنيه إنكار القرآن:

إنّ الإيمان بالقرآن الكريم يتضمّن الإقرار به وتصديقه، ولا ريب أنّ إنكاره يُناقض هذا الإقرار والتصديق، فإنكاره يُناقض قول القلب وهو التصديق، كما يُناقض قول اللسان وهو الإقرار.

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن (ص ١٥٣ - ١٥٩).

مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص ١١٨ - ١٣٤)؛ المدخل للدراسة للقرآن الكريم، لمحمد أبو شهبة (ص ٢٦٠ - ٢٨١).

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي، الآمدي، من أصحاب القاضي أبي يعلى، ومن كبار فقهاء الحنابلة في عصره، له مؤلفات منها: «عمدة الحاضر»، و«كفاية المسافر»، توفي سنة (٥٤٦٧هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٨ - ٩).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٣٨).

(٤) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٩٧ - ٩٨).

## حُكْمُ التَّكْلِيبِ بِالْقُرْآنِ

وإنكاره كذلك يتضمَّن إنكاراً لصفة الكلام الإلهي، ونفي هذه الصِّفة من الإلحاد في أسماء الله تعالى، وسوء الظَّنِّ بالله تعالى، وعدم قَدْر الله تعالى حقَّ قدره.

كما أنَّ هذا الإنكار طعنٌ في الرِّسول ﷺ وتنقُّصٌ له، ومشاقَّةٌ له، واتِّباعٌ لغير سبيل المؤمنين، وقد توعدَّ الله تعالى مَنْ يفعل ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ أَجَاهُمْ وَسَاءَ مَا مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وهذا الإنكار أيضاً هو إنكار واستهزاء بشرائع الدِّين وأحكامه المتلقاة من هذا الوحي، والاستهزاء بالدِّين كُفْرٌ؛ لأنَّ أصل الدِّين قائمٌ على التَّعظيم<sup>(١)</sup>.

## الإجماع على كُفْرٍ مَنْ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ:

حكى أهل العلم الإجماع على كُفْرٍ مَنْ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَوْ بَعْضَهُ - ولو كانت آيةً واحدةً، أو حرفاً واحداً - وَمَعْنَى حِكْمِ الْإِجْمَاعِ:

١ - أبو عثمان الحدَّاد<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال: «جميعٌ مَنْ يَنْتَحِلُ التَّوْحِيدَ مُتَمَقِّنُونَ: أَنَّ الْجَحْدَ لِحَرْفٍ مِنَ التَّنْزِيلِ كُفْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

٢ - ابن عبد البر<sup>(٤)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحكي الإجماع قائلاً:

(١) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف (ص ٢٠١ - ٢٠٢).

(٢) هو أبو عثمان محمد بن صبيح الحدَّاد المغربي، من فقهاء المالكية، كان عالماً بالسُّنن ولغة العرب، له ردود على المبتدعة، وكان عابداً صالحاً، توفِّي سنة (٣٠٢هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٥/١٤)؛ شذرات الذهب (٢/٢٣٨).

(٣) الشُّفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/١١٠٥).

(٤) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التُّمري القرطبي المالكي، أبو عمر، الإمام، العلامة، حافظ المغرب، وصاحب التَّصانيف، ولد بقرطبة سنة (٣٦٨هـ). كان فقيهاً محدثاً عابداً دِيناً نَقِيّاً مُتَّبِعاً مُتَّبِعاً مُتَّبِعاً. صنَّف تصانيف كثيرة، منها: «التَّهْمِيدُ لِمَا فِي الْمَوْطَأِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَسَانِيدِ»، و«الاستيعاب في أسماء الأصحاب»، و«جامع بيان العلم وفضله»، و«الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار». توفِّي بمدينة شاطبة بالأندلس سنة (٤٦٣هـ). انظر: وفيات الأعيان (٧/٦٦)؛ سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٣)؛ تذكرة الحفاظ (٣/١١٢٨)؛ شذرات الذهب (٣/٣١٤).



«وأجمع العلماء: أن ما في مصحف عثمان بن عفان وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا، هو القرآن المحفوظ الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزَه، ولا تجلُّ الصلاةُ لمسلم إلا بما فيه...»  
 وإنما نَحَلَّ مصحفُ عثمان رضي الله عنه هذا المحل؛ لإجماع الصَّحابة وسائر الأُمَّة عليه، ولم يُجمعوا على ما سواه... ويُبيِّن لك هذا أن مَنْ دَفَعَ شيئاً مما في مصحف عثمان كَفَرَ<sup>(١)</sup>.

٣ - ابن قدامة المقدسي رحمته الله يحكي الإجماع أيضاً ويقول: «ولا خلاف بين المسلمين أجمعين: أن مَنْ جَحَدَ آيَةً، أو كلمةً مُتَّفَقاً عليها، أو حَرْفاً مُتَّفَقاً عليه أنه كافر»<sup>(٢)</sup>.

٤ - التَّووي رحمته الله يحكي الإجماع صراحة بقوله: «أجمعت الأُمَّة: على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتزيهه وصيَّاته. وأجمعوا: على أن مَنْ جَحَدَ منه حرفاً مُجمَعاً عليه، أو زاد حرفاً لم يقرأ به أحدٌ، وهو عالمٌ بذلك فهو كافر»<sup>(٣)</sup>.

٥ - القاضي عياض رحمته الله يحكي إجماع المسلمين على كفر مَنْ أنكر القرآن، أو شيئاً منه فيقول: «اعلم أن مَنْ استخفَّ بالقرآن أو بالمصحف، أو بشيء منه، أو سبَّهما، أو جَحَدَ حرفاً منه، أو كَذَّبَ بشيءٍ ممَّا صرَّحَ به فيه من حُكْمٍ أو خَبَرٍ، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبتَه، وهو عالمٌ بذلك، أو شكَّ في شيءٍ من ذلك، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين...»

- (١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٤/٢٧٨ - ٢٧٩).
- (٢) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ثمَّ الدمشقي الصَّالحي، الخنيلي، أبو محمد، مُوفِّقُ الدِّين، العَلَّامةُ المَجْتَهِدُ، كان - مع تبحُّره في العلوم - ورعاً زاهداً كثيرَ العبادة، حَسَنَ الأخلاق، له مؤلفات غزيرة مفيدة، منها: «المغني في الفقه»، و«روضة الناظر في أصول الفقه»، و«مسألة العلو»، و«ذمُّ التَّأويل»، و«فضائل الصَّحابة». توفي بدمشق سنة (٥٦٢٠هـ).
- انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/١٦٥)؛ البداية والنهاية (١٣/٩٩)؛ الدَّيْل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (٢/١٣٣)؛ شذرات الذهب (٥/٨٨).
- (٣) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة (ص ٣٣).
- (٤) المجموع (٢/١٩٣). وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٨٨)؛ التبيان (ص ٢٠٢).

وقد أجمع المسلمون: على أن القرآن المتلو في جميع الأقطار، المكتوب في المصحف الذي بين أيدي المسلمين مما جمعه الدفتان<sup>(١)</sup> من أول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] كلام الله تعالى ووحيه، المنزّل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حقٌّ.

وأن من نقص منه حرفاً، قاصداً لذلك، أو بدّله بحرفٍ آخر مكانه، أو زاد حرفاً آخر ممّا لم يشتمل عليه المصحف، الذي وقع عليه الإجماع، وأُجمِعَ عليه أنه ليس بقرآن، عامداً لكلّ هذا، فهو كافر<sup>(٢)</sup>.

٦ - ابن بطّة<sup>(٣)</sup> رحمه الله حيث يقول: «... وكذلك وجوب الإيمان والتّصديق بجميع ما جاءت به الرّسول من عند الله، ويجمع ما قاله الله عزّ وجلّ فهو حقٌّ لازم، فلو أنّ رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرّسول إلا شيئاً واحداً، كان يردّ ذلك الشّيء كافراً عند جميع العلماء»<sup>(٤)</sup>.

ويقول أيضاً: «من كذّب بآية أو بحرفٍ من القرآن، أو ردّ شيئاً ممّا جاء به الرّسول ﷺ فهو كافر»<sup>(٥)</sup>.

٧ - ابن حزم<sup>(٦)</sup> رحمه الله حيث قال: «... وإنّ القرآن الذي في المصاحف

(١) جاء في «لسان العرب» (٤/٣٧١): «دَفَّتَا المصحف: جانبا وضماتاه من جانبيه».

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/١١٠١ - ١١٠٥).

وانظر: الآداب الشّرعية (٢/٢٧٥)؛ كشاف القناع، لمنصور البهوتي (١/٤٣٣)؛ التّبيان في آداب حملة القرآن (ص٢٠٢ - ٢٠٣).

(٣) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، أبو عبد الله، المعروف بابن بطّة، أحد علماء الحنابلة، فقيه، محدّث، وله المصنّفات الكثيرة الحافلة في فنون من العلوم. وكان ممن يأمُر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن مصنّفاتة الكثيرة: «السّنن»، و«المناسك»، و«الإبانة عن شريعة الفرقة النّاجية ومجانبة الفرق المذمومة». توفيّ بعكبرا سنة (٣٨٧هـ). انظر: سير أعلام النّبلاء (١٠/٢٨٠)؛ البداية والنّهاية (١١/٣٢١ - ٣٢٢)؛ طبقات الحنابلة، لأبي يعلى (ص٣٤٦).

(٤) الإبانة الصّغرى (ص٢١١). (٥) المصدر نفسه (ص٢٠١).

(٦) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظّاهري، أبو محمد، عالم الأندلس، ولد بقرطبة =

بأيدي المسلمين شرقاً وغرباً فما بين ذلك، من أوّل أمّ القرآن، إلى آخر المعوّدتين كلام الله عزّ وجلّ ووحيه، أنزله على قلب نبيّه محمد ﷺ، مَنْ كَفَرَ بحرفٍ منه فهو كافر»<sup>(١)</sup>.

### وفصّل ابن حزم في مسألة إنكار القرآن قائلاً:

«مَنْ قال إنَّ القرآنَ نَقَصَ من بعد موت النبي ﷺ حرفٌ، أو زيد فيه حرف، أو بَدَّل منه حرف، أو أنَّ هذا المسموع أو المحفوظ أو المكتوب أو المُنزَّل ليس هو القرآن، وإنّما هو حكاية القرآن، وغير القرآن، أو قال إنَّ القرآن لم يَنْزِلْ به جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ، أو أنّه ليس هو كلام الله تعالى فهو كافرٌ، خارجٌ عن دين الإسلام؛ لأنّه خالف كلامَ الله عزّ وجلّ، وسننَ رسولِ الله ﷺ، وإجماعَ أهل الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

٨ - ابن تيميّة<sup>(٣)</sup> رحمه الله حيث قال: «مَنْ زَعَمَ أنَّ القرآنَ نُقِصَ منه، وزيد فيه، وكُتِمَتْ منه آيات، أو زعم أنَّ له تأويلاتٍ تُسْقِطُ الأعمالَ فلا شكَّ في كفره»<sup>(٤)</sup>.

سنة (٣٨٣هـ)، كانت له ولأبيه وزارةٌ تخلّى عنها زهداً فيها، وكان له آراءٌ انْتقِد من أجلها، وكان قويّ الحُجّة، سليطاً على مخالفيه، له مصنّفات كثيرة، منها: «المُغرب في تاريخ المغرب»، و«الفصل بين أهل الأهواء والنحل»، و«الأخلاق والسّير»، و«المُحلى». توفي بالأندلس سنة (٤٥٦هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٤/١)؛ وفيات الأعيان (٤٢٨/١)؛ تذكرة الحفّاظ (٣٢١/٣).  
(١) المُحلى بالآثار (٣٢/١)، مسألة (٢١).

(٢) الدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

(٣) هو أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السّلام الحرّاني الحنبلي، أبو العباس، تقي الدّين ابن تيميّة، الإمام المشهود له برسوخ القَدَم في علوم النّقل والعقل، ولد في حرّان سنة (٦٦١هـ) وتحوّل إلى دمشق، ونبغ واشتهر وأصبح مرجعاً في الفتوى، وأفتى بمسائل أودّي من أجلها، وسُجِنَ أكثر من مرّة، ومات في السّجن، كان آيةً في التّفسير والأصول، فصيح اللّسان، له مصنّفات كثيرة، منها: «درء تعارض العقل والنقل»، وقد جَمَعَ الشّيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله فتاواه في (٣٧ مجلداً)، توفي سنة (٧٢٨هـ).

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٣٧)؛ تذكرة الحفّاظ (٢/٣)؛ البداية والنهاية (١٤/١٣٢).  
(٤) الصّارم المسلول على شاتم الرّسول (٣/١١٢١).

حُكْمُ التَّكْذِيبِ بِالْقُرْآنِ

٩ - ابن نُجَيْمِ الحنفي<sup>(١)</sup> رحمته الله حيث كَفَّرَ مَنْ أَنْكَرَ آيَةَ فَقَالَ: «وَيَكْفُرُ مَنْ أَنْكَرَ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»<sup>(٢)</sup>.  
 أما بعد: فهذا هو إجماع علماء المسلمين على كُفْرٍ مَنْ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، أَوْ كَذَّبَ بِهِ، أَوْ جَحَدَ مِنْهُ حَرْفًا، أَوْ زَادَ فِيهِ حَرْفًا، أَوْ بَدَّلَ حَرْفًا مِنْهُ بِحَرْفٍ آخَرَ مَكَانَهُ، عَامِدًا لِكُلِّ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ.

وهنا يبرز سؤال: لماذا كان الحُكْمُ مُجْمَعًا عَلَيْهِ بِلا هَوَادَة، وَإِنْ أَنْكَرَ حَرْفًا؟ لَأَنَّ الْقُرْآنَ رُوحُ الْأُمَّةِ، وَالتَّسَاهُلُ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مُؤَدُّ لِاضْمِحْلَالِهَا.



١ - ابن نُجَيْمِ الحنفي، المجموع في بيان حكم الكفر، ص ١٠٠، رقم ١٠٠٠.  
 ٢ - ابن نُجَيْمِ الحنفي، المجموع في بيان حكم الكفر، ص ١٠٠، رقم ١٠٠٠.

١ - هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المصري، الحنفي، الشهير بابن نُجَيْمِ، فقيه أصولي، من تصانيفه: «الأشباه والنظائر»، و«شرح منار الأنوار في أصول الفقه»، و«البحر الرائق في شرح كثر الدقائق». توفي سنة (٩٧٠هـ) بمصر.  
 ٢ - انظر: الأعلام (٣/٦٤)؛ معجم المؤلفين (١/٧٤٠)؛ (١/١١٠) طبعته دار الفکر، بيروت.  
 (٢) البحر الرائق في شرح كثر الدقائق (٥/١٣١)؛ (٦/١١٠) طبعته دار الفکر، بيروت.





## المطلب الأول

## علماء أهل الكتاب يعلمون يقيناً أنّ القرآن حق

إنّ علماء أهل الكتاب يعلمون علماً يقيناً أنّ القرآن حقّ، وأنه مُنزَّل من الله تعالى على عبده ورسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ، ومع ذلك كفروا بالقرآن العظيم، وبرسالة خاتم النبیین ﷺ الذي أرسله الله تعالى للنّاس كافّة، بل وأخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتابعوه إذا بُعثَ وهم أحياء، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمْتُمْ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

عمران: [٨١].

ومع ذلك كتموا - أي: علماء أهل الكتاب - هذه الأخبار وأمثالها عن أتباعهم، وحرّفوا بعضها، محافظةً على سلطانهم، وبغياً وحسداً لأمة القرآن، فكانوا في كفرهم على بينة من أمرهم، فضلّوا وأضلّوا كثيراً، وتحملوا أوزارهم إضافة إلى أوزار من تبعهم إلى يوم الدين.

ومع ذلك فهم يحتجّون علينا ببعض آيات من القرآن ممّا يوافق أهواءهم أو يستدلّون بالمتشابهة - كعادتهم - ويتركون المحكم البيّن، وحديثنا عن آياتٍ مُحكماتٍ من القرآن العظيم تُوضّح وتبيّن وتُفصح أنّ علماء أهل الكتاب كانوا يعلمون يقيناً أنّ القرآن حقّ ومن عند الله تعالى، وفيما يلي بعض الأدلّة الدّالة على ذلك، وهي على النحو الآتي<sup>(١)</sup>:

الدليل الأوّل: قوله تعالى: ﴿يَبْنَؤُا إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نَبِيَّآ آتَىٰ أَمَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِمَهْدَىٰ أُوْفِ يَهْدِكُمْ وَإِلَىٰ قَارِهْتُونِ ﴿١٤١﴾ وَمَآ أَمْثُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا

(١) انظر: رد افتراءات المبشّرين على آيات القرآن الكريم، د. محمد جمعة عبد الله (ص ٢٠١ - ٢٠٤).

أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿البقرة: ٤٠ - ٤٢﴾.

وردت هذه الآيات الكريمة في سياق الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن كما سبق ذكره، ونأخذ منها ما له صلة بالموضوع الذي نحن بصدده.

فإن الله تبارك وتعالى قال لليهود - الذين هم في عصر نزول القرآن -: ﴿وَمَا آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ أي: من التوراة، وإنما عبّر عنها بذلك للإشارة إلى أن هؤلاء اليهود عرفوا التوراة وصاحبوها طويلاً، فهم إذاً على علم يقيني بما في تضاعيفها يؤدي إلى معرفة تصديق القرآن لها.

قال أبو السعود رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: لا تسارعوا إلى الكفر به، فإن وظيفتكم أن تكونوا أول من آمن به؛ لما أنكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الإلهية كما تعرفون أبناءكم، وقد كنتم تستفتحون به وتستبشرون بزمانه - كما سيجيء - فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدورهم عنكم من أول كافر به<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا تستبدلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم عرضاً يسيراً من الدنيا؛ «وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل يُصنّبونها من سفلتهم وجهالهم، يأخذون منهم كل عام شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم؛ فخافوا إن هم بيّنوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل؛ فغيّروا نعتهم وكنتموا اسمه، فاختراروا الدنيا على الآخرة<sup>(٢)</sup>. فهؤلاء الحمقى خالفوا أيسر قواعد الاقتصاد؛ لأنّ المعروف أن الإنسان يدفع الثمن ليأخذ ما هو أنفع له وأحز، وهؤلاء دفعوا الأكثر وأخذوا القليل» فوقعوا في البخس. ثمّ نهاهم الله تعالى عن شيئين: عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق: ﴿وَلَا تَلْسُوا<sup>(٣)</sup> الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ فنهاهم الله تعالى أن

(١) تفسير أبي السعود (١/٩٥ - ٩٦).

(٢) تفسير البغوي (١/٤٢).

(٣) اللبس: هو الخلط، يقال: لبس الثوب يلبس لبساً، ولبس عليه الأمر يلبس لبساً، أي:

خلط والمعنى: لا تخلطوا الحق بالباطل.

علماء أهل الكتاب يعلمون يقيناً أن القرآن حق

يخلطوا الحق الذي أنزله عليهم - من صفة محمد ﷺ - بالباطل الذي يكتبونه بأيديهم، من تغيير صفة محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

قال البغوي رحمه الله: «والأكثر على أنه أراد: لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا دليل على: أن أهل الكتاب يعلمون يقيناً أن القرآن حق، ومن عند الله تعالى، ومع ذلك تركوا الإيمان به، وهجروه، واستعاضوا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا فبئس ما يشترون.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْرَفُوا بِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة ٨٩ - ٩٠].

الكتاب: هو القرآن العظيم. وتنكيره: للتفخيم. ووصفه بأنه من الله تعالى: للتشريف<sup>(٣)</sup>.

ذكر المفسرون أن اليهود قبل مبعث النبي ﷺ كانوا يستنصرون على مشركي العرب، فكانوا يقولون - إذا حزبهم أمر، ودهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي نجد صمته في التوراة، فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ - يعني محمداً ﷺ - من غير بني إسرائيل، وعرفوا نعتة وصفته ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ بغياً وحسداً<sup>(٤)</sup>.

والشاهد: أن أهل الكتاب قد علموا سلفاً بمبعث النبي ﷺ، وتيقنوا ذلك لاستنصارهم بهذا النبي، وتوعدهم بخروجه، فلما جاءهم هذا الكتاب، والنبي

= انظر: تفسير الطبري (٢٥٤/١)، تفسير البغوي (٤٢/١).

(١) انظر: تفسير السعدي (٥٦/١). (٢) تفسير البغوي (٤٢/١).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (١٢٨/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤١٠/١)؛ تفسير ابن كثير (١٢٥/١)؛ تفسير البغوي (٧٦/١).



الذي عرفوا، كفروا به بغياً وحسداً؛ لأنه كان من غير بني إسرائيل.  
**الدليل الثالث:** قال تعالى - إفحاماً لهم: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠].

والمعنى: لأي سبب تكفرون بآيات الله تعالى، التي هي آيات القرآن، وقد بشرت التوراة والإنجيل بالرَّسُولِ ﷺ ودلَّت على نبوته، والحال أنكم تعلمون صدق هذه الآيات، وتشهدون أنها من عند الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وهذا يدلُّ بوضوح على أن علماء أهل الكتاب يعلمون علماً يقيناً أن القرآن حقٌّ ومن عند الله، فقامت الحُجَّةُ بذلك عليهم.

**الدليل الرابع:** قال تعالى - إنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم: ﴿أَفَظَرَ اللَّهُ أَتَيْتَنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

والمعنى: قل - يا محمد - لهؤلاء القوم: عجباً لكم! أأضلُّ عن الصُّراطِ المستقيم، فأطلبُ حكماً سوى الله ليحكم بيني وبينكم، ويفصلَ المُحَقَّ من المبطل، والحال أنه هو الذي أنزل إليكم القرآن مُبيناً فيه الحقَّ والباطل، وما أنتم في حاجة إليه في دينكم ودنياكم<sup>(٢)</sup>.

ثم أكَّد حقيقة نزول القرآن من عند الله تعالى، وحقيقة ما فيه، فدكر - وهو الشاهد معنا هنا - أن الذين أوتوا الكتاب من علماء اليهود والنصارى يعلمون علم اليقين أن هذا القرآن منزلٌ حقاً عليك من ربك، مشتقلاً على الحقِّ، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا﴾ [الإسراء: ١٠٥]. أي: نزل إلينا كما هو لم يتغيَّر فيه حرف.

وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: فلا تكوننَّ من الشَّاكِّين في أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن منزلٌ من عند ربك بالحق، ولا يُربك جحود أكثرهم وكفرهم به؛ لأنَّ عدم اعتراف بعضهم بذلك مردُّه البغي والحسد، والحرص على

(١) انظر: تفسير ابن عطية (٤٥٢/١).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (١٧٦/٣)؛ تفسير السعدي (٦١/٢).

علماء أهل الكتاب يعلمون يقيناً أنَّ القرآن حق

مظاهر الحياة<sup>(١)</sup>، وإذا نُهيَّ المؤيَّد بالوحي عن ذلك، فأولى بأمته .  
وهذا النهي زيادةً في التأكيد، وتثبيت اليقين كي لا يجوز في خاطره طائف  
من التردد في هذا اليقين، وإلا فهو - ﷺ - كإخوانه المرسلين على حجة واضحة  
من أمر ربّه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧].

الدليل الخامس: قال تعالى - مُقيماً الحجة عليهم من جنسهم: ﴿وَالَّذِينَ  
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الزهد: ٣٦].

قال أبو السعود ﷻ في تفسيرها: «هم المسلمون من أهل الكتاب  
كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما، ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلاً:  
أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثنا وثلاثون بالحبشة ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ  
إِلَيْكَ﴾ إذ هو الكتاب الموعود في التوراة والإنجيل ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي: من  
أحزابهم، وهم كفرتهم الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة نحو كعب بن  
الأشرف، والسيد العاقب، أسقفي نجران، وأتباعهما ﴿مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ وهو  
الشرائع الحادثة إنشاءً أو نسخاً، لا ما يوافق ما حرّفوه وإلا لنعى عليهم من أول  
الأمر، أنّ مدار ذلك إنّما هو جنایات أيديهم، وأمّا ما يوافق كتبهم فلم ينكروه،  
وإن لم يفرحوا به»<sup>(٢)</sup>.

فهذا يدلُّ بوضوح على أنّ الذين أعطوا علم الكتب المنزلة من شأنهم أنّ  
يفرحوا بالكتاب الذي أنزل بعد ذلك؛ لأنّه امتداد للرّسالة الإلهية، ولا يفرح  
بالشيء إلاّ من يعلم يقيناً أنه حق لا كذب. أمّا من يتخذون التدين تحزّباً وتعصباً  
ينكرون بعض ما أنزل عداوةً وعصبيّة، فقامت عليهم الحجة بذلك.

الدليل السادس: قال تعالى - مبشراً به: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَّْلَٰهُ يَكُنْ  
لَهُمْ ءَايَةٌ أَن يَلْعَمُوهُ عَلَّمَوْا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٦ - ١٩٧].

بشرت بالقرآن العظيم كتبُ الأولين وصدّقتها، فنزل طبق ما أخبرت به، ففي  
ذكر القرآن في كتب المُتقدِّمين دليل على صحّته، وأنّه من عند الله تعالى.

ثمّ أقام الحجة على قريش بقوله: ﴿أَوَّْلَٰهُ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ﴾ على صحّته، وأنّه

(١) انظر: تفسير البغوي (٥٧/٢). (٢) تفسير أبي السعود (٥/٢٥).

من الله تعالى: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الذين قد انتهى إليهم العلم، وصاروا أعلم الناس، وهم أهل الإنصاف. وكان الظنُّ الإيمان به؛ لأنَّ علماء بني إسرائيل يعلمون أنه الحق.

فإنَّ كلَّ شيء يحصل به اشتباه، يُرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية، فيكون قولهم حُجَّة على غيرهم. كما عَرَفَ السَّحرة - الذين مهروا في علم السُّحر - صدق معجزة موسى، وأنه ليس بسحر. فقول الجاهلين بعد هذا، لا يؤبه به<sup>(١)</sup>.

وفي الآية دليل على: أنَّ علماء بني إسرائيل يعلمون يقيناً أنَّ القرآن حقٌّ ومن عند الله تعالى، ومع ذلك تنكروا له، وتركوا الإيمان به، فَتَرَكَ أَكْثَرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْإِيمَانَ بِهِ وَهَجَرُوهُ، بَغْيًا وَحَسَدًا.

الدليل السابع: قال تعالى - مؤكداً ذلك: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤].

أخبر الله تعالى عن عظمة القرآن وصدقه وأنَّ أهل العلم بالحقيقة يعرفونه، ويؤمنون به، ويقرُّون بأنَّه الحقُّ.

فالمقصود بـ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ هم علماء أهل الكتاب، الذين لم يُعَيِّرُوا، ولم يُبدِّلُوا، بل آمنوا بالقرآن الكريم وبمن جاء به.

﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ استمعوا له، وأذعنوا وقالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾؛ لموافقته ما جاءت به الرُّسل، ومطابقتها لما ذُكِرَ في الكتب، واشتماله على الأخبار الصادقة، الموافقة للحكمة.

وهؤلاء هم الذين تنفع شهادتهم، وينفع قولهم؛ لأنَّهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة؛ لأنَّهم أهل الخبرة والدراية الحقَّة، وهو شاهدنا من إيراد الدليل.

وغيرهم لا يدُلُّ رُدُّهم ومعارضتهم للحقِّ على شبهة فضلاً عن الحُجَّة؛ لأنَّهم ما بين جاهل فيه، أو مُتجاهلٍ معاند للحقِّ.

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، للكليبي. تفسير السعدي (٤٨٦/٣).



علماء أهل الكتاب يعلمون يقيناً أن القرآن حق

كما قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧].

ولذلك قال أهل الخبرة والدراية من أهل الكتاب: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ فلذلك ثبتنا على ما مَنَّ اللهُ به علينا من الإيمان والإسلام، فصدقنا بهذا القرآن.

ولسان حالهم يقول: آمنا بالكتاب الأول، والكتاب الآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول.

ولذلك فإن الذين آمنوا بالكتابين ﴿يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ أجرأ على الإيمان الأول، وأجرأ على الإيمان الثاني؛ بسبب صبرهم على الإيمان، وثباتهم على العمل الصالح - وهذا من عظيم البلاء - ولذلك لم تُزعزعهم عن ذلك شبهة، ولم تشهم عن الإيمان، رياسة ولا شهوة؛ فاستحقوا هذا التكريم العظيم من رب العالمين<sup>(١)</sup>.

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني عن حالكم، إذا كان القرآن من عند الله - لا سحر، ولا مفترى كما تزعمون - وشهد شاهد عظيم الشأن من بني إسرائيل على أنه من عند الله تعالى، فآمن بلا تردّد، واستكبرتم عن الإيمان، فتطابقت أبناء الأنبياء وأتباعهم الثبلاء، واستكبرتم أيها الجهلاء الأغبياء، فهل هذا إلا أعظم وأشدّ الكفر؟ وهو الاستكبار عن الحقّ بعد التمكن منه<sup>(٢)</sup>.

فالمراد بالشاهد هنا: هو الجنس، فيشمل كلّ من كان على هذه الصفة من اليهود والنصارى<sup>(٣)</sup>. وإن قال سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه: «ما سمعتُ النبيّ صلى الله عليه وآله يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ:

(١) انظر: تفسير السعدي (٤/٣٠ - ٣١).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٨/٨٠)؛ تفسير السعدي (٥/٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/١٥٧).



قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ...﴾ [الاحقاف: ١١٠ (الآية) (١)].

فهذا لا يعني التَّخْصِيصَ، وإنما هو فرد من أفراد العموم، فيشمل لفظ «شاهد» كُلَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى صِفَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ فِي الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

### المطلب الثاني

## كُفْر مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ - مع جزم علمائهم بأنَّ القرآن حقٌّ، كما سبق ذكره - يفتكرون حسداً وبغياً نَسَخَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لِشَرِيعَتِهِمْ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ، أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فِي عَهْدِ الرُّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَنَاجٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَكْتَابَهُ الْكَرِيمَ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا افْتِرَاءٌ كَاذِبٌ، وَادِّعَاءٌ بَاطِلٌ، لَيْسَ لَهُ مُسْتَدٌّ مِنَ الصَّحَّةِ، بَلِ الْكُثْرَةُ الْكَائِرَةُ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ تُكْذِّبُهُ، فَقَدْ تَوَالَتْ الْبَيِّنَاتُ السَّاطِعَاتُ عَلَى أَنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكِتَابَهُ الْعَظِيمَ جَاءَ لِعُقْلَاءِ الْعَالَمِينَ عَامَّةً، وَلِلْبَشَرِ كَافَّةً، وَأَصْبَحَ ذَلِكَ مَعْلُوماً مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالضَّرُورَةِ، وَصَارَ مِنَ الْمَقْطُوعِ بِهِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ نَاسِخَةٌ لِلشَّرِيعَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِيْمَانٍ إِذْعَانٍ وَانْقِيَادٍ فَهُوَ كَافِرٌ وَمُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَفِيهَا يَلِي بَعْضُ النُّصُوصِ الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَهِيَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي (٢):

النَّصُّ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٨﴾ بِسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ نُنَزَّلَ

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب عبد الله بن سلام ﷺ (٣/١١٦٦).

(ح ٣٨١٢).

(٢) انظر: رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم (ص ٢١٣ - ٢٢٤).

كُفِرَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَهُمْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُوكَ بِمَا رَزَأَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴿٩٢﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩١].

لَمَّا كَانَ الْيَهُودَ الْمَعَاصِرُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَعْرِفُونَ حَقًّا أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي التَّوْرَةِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ حَسَدًا وَبَغْيًا، فَقَدْ بَاعُوا حَظَّهُمُ الْحَقِيقِي - وَهُوَ الْإِيمَانُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - وَاسْتَبَدَلُوا بِالْإِيمَانِ الْكُفْرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَهُمْ قَدْ اسْتَحَقُّوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى غَضَبًا جَدِيدًا عَظِيمًا؛ لِكُفْرِهِمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ فَضْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، أَضِيفَ هَذَا الْغَضَبُ فِي مِيزَانِ سَيِّئَاتِهِمْ عَلَى غَضَبِ اسْتِحْقَاقِهِ - مِنْ قَبْلِ - لِنُضْيِيعِ التَّوْرَةِ، وَالْكَفْرِ بِعِيسَى ﷺ.

«قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ: الْغَضَبُ الْأَوَّلُ بِتَضْيِيعِهِمُ التَّوْرَةَ وَتَبْدِيلِهِمْ، وَالثَّانِي: بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ.»

وَقَالَ قَتَادَةُ: الْأَوَّلُ بِكُفْرِهِمْ بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ، وَالثَّانِي بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>.

فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ غَضَبًا بَعْدَ غَضَبٍ؛ لكَثْرَةِ كُفْرِهِمْ، وَتَوَالِي شُكْهِمْ وَشُرْكَهِمْ.

وَوُصِفَ عَذَابُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ بِأَنَّهُ «مُهِينٌ» مَاخُودٌ مِنَ الْهَوَانِ، وَهُوَ الْخُلُودُ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَا يُخَلِّدُ مِنْ عِصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّمَا عَذَابُهُ كَعَذَابِ الَّذِي يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ، لَا هَوَانَ فِيهِ، بَلْ هُوَ تَطْهِيرٌ لَهُ، كَرَجْمِ الزَّانِي، وَقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ<sup>(٢)</sup>.

فَلَمَّا كَانَ كُفْرُهُمْ سَبَبَهُ الْبَغْيَ وَالْحَسَدَ، وَمِنْشَأُ ذَلِكَ التَّكْبُرَ، قُوبِلُوا بِالْإِهَانَةِ وَالصَّغَارِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

(١) تفسير البغوي (١/٧٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/٢٩)؛ تفسير الثعالبي (١/٨٨ - ٨٩).

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿[غافر: ٦٠]. أي: صاغرين حقيزين ذليلين راغمين﴾<sup>(١)</sup>.  
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
«يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَعْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ  
كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَثْيَارِ، يُسْقَوْنَ  
مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن تكبرهم أنهم إذا قيل لهم آمنوا بالقرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لا نؤمن به، ويدعون أنهم لا يؤمنون إلا بالذي أنزل عليهم، وهو التوراة، مع أن القرآن هو الحق المصدق لما في التوراة التي أنزلت عليهم. وشاهدنا في هذا النص: أن كفرهم بالقرآن كفرٌ بالتوراة نفسها؛ إذ الكلُّ من عند الله تعالى، والكافر بذلك مخلدٌ في النار.

النص الثاني: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿[البقرة: ٩٧ - ٩٩].

فاليهود لم يقتلوا الأنبياء، ويحرفوا التوراة، ويشتروا آيات الله ثمنًا قليلاً من حطام الدنيا فقط، بل زادوا على هذه الجرائم جريمة أخرى، وهي: عداوتهم للملائكة، فأضرموا العداوة لأقرب الملائكة إلى الله تعالى، جبريل عليه السلام، الذي نزل بوحى القرآن.

وقد أجمع المفسرون: على أن هذه الآيات نزلت جواباً لليهود، الذين زعموا أن جبريل عدوٌ لهم، وأن ميكائيل وليٌّ لهم، وذلك بعد مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة<sup>(٣)</sup>. ومما جاء في هذه المناظرة:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: يَا أَبَا

(١) تفسير ابن كثير (١/١٢٦).

(٢) رواه الترمذي (٤/٦٥٥) (ح ٢٤٩٢). وقال: «حديث حسن صحيح».  
وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: (٢/٣٠٤) (ح ٢٥٢٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/٥٦٦)؛ تفسير البغوي (١/٧٩)؛ تفسير ابن كثير (١/٢٨٧).

كُفِرَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

الْقَاسِمِ، إِنَّا نَسَأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ. فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ. فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ، إِذْ قَالُوا: اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ... .

[قَالَكَ يَهُودُ:] إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبِكَ؟ قَالَ: «جِبْرِيلُ  » قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوْنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ  : «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ   إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [البقرة: ٩٧]» (١).

ومعنى الآيات التي معنا: قل - يا محمد - لهؤلاء اليهود، الذين زعموا أنَّ الذي منعهم من الإيمان بك، هو وليُّك جبريلُ  ، ولو كان غيره من ملائكة الله لآمَنُوا بك وصدَّقوك: إنَّ هذا الرَّعْمُ منكم، تناقض وتهافت، وتكبر على الله تعالى.

فإنَّ جبريلَ   هو الذي نَزَلَ الْقُرْآنَ من عند الله عزَّ وجلَّ على قلبك، وهو الذي نَزَلَ على الأنبياء قبلك، والله تعالى هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو رسولٌ مَحْضٌ.

وهذا الكتاب الذي نزل به جبريل - مصدقاً لما تقدّمه من الكتب - غير مخالف لها ولا مناقض.

فالعداوة لجبريل، الموصوف بذلك، كفرٌ بالله وآياته، وعداوةٌ لله ورسله وملائكته. فإنَّ عداوتهم لجبريل لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله تعالى من الحقِّ على رسوله  .

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٧٨/١) (٢٥١٤) (٣١٠/١) (ح ٢٥١٤). وقال محققو المسند (٢٨٥/٤) (ح ٢٤٨٣): «حديث حسن». ورواه الترمذي مختصراً (ح ٣١١٧). وقال: «حسن صحيح». وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٤١/٨ - ٢٤٢): «رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات». وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» (ح ٢٤٨٣، ٢٥١٤)، و«تعليقه على تفسير الطبري» (ح ١٦٠٥). وله شاهد من حديث أنس بن مالك، رواه البخاري: (ح ٣٣٢٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠).



ف فعلهم وقولهم القبيح يتضمّن الكفرَ والعداوة: للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه (١).

قال الشوكاني رحمه الله: «العداوة من العبد: هي صدور المعاصي منه لله، والبغض لأوليائه. والعداوة من الله للعبد: هي تعذيبه بذنبه، وعدمُ التّجاوزِ عنه والمغفرة له» (٢).

وفي هذه الآيات توبيخ لليهود، وبيان لكفرهم لتكذيبهم بالقرآن العظيم، وفيها إخبار من الله عزّ وجلّ لهم: أن مَنْ كان عدواً لمحمدٍ ﷺ فالله له عدو، وهو من الكافرين بالله، الجاحدين بآياته، الخارجين عن دينه وشرعه وهديه، المتمردين على آياته وأحكامه (٣)، وهؤلاء هم أصحاب النار، وهم فيها خالدون.

النص الثالث: قوله تعالى: ﴿تَزَلَّ عَلَيكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِنَّاسٍ وَأَنزَلَ الْقُرْآنَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ [آل عمران: ٣ - ٤].

قال أبو السعود رحمه الله: «المراد بالموصول: إمّا أهل الكتابين، وهو الأنسب بمقام المُحاجة معهم. أو جنس الكفرة، وهم داخلون فيه دخولاً أولياً» (٤).

وقد أيّد ابنُ عاشور رحمه الله كلامَ أبي السعود، فقال: «وشمل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المشركين واليهود والنصارى في مرتبة واحدة؛ لأنّ جميعهم اشتركوا في الكفر بالقرآن، وهو المراد بآيات الله - هنا - لأنّه الكتاب الوحيد الذي يصحّ أن يُوصف بأنه آية من آيات الله؛ لأنّه مُعجزة. وعبر عنهم بالموصول إيجازاً؛ لأنّ الصلّة تجمعهم» (٥).

فأهل الكتاب كذبوا بالقرآن أصالةً، وبسائر الكتب الإلهية تبعاً؛ لأنّ التّكذيب بالمصدّق - وهو القرآن - موجبٌ لتكذيب ما يُصدّقه حتماً وأصالة وهو التّوراة والإنجيل - فعاد التّكذيب على جميع الكتب المُنزّلة.

ولذا حكّم الله تعالى عليهم بالكفر بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ فهم

(٢) تفسير الشوكاني (١/١٨٣).

(٤) تفسير أبي السعود (٢/٥).

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٧٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/٥٧٧).

(٥) التحرير والتنوير (٣/١١).

كُفْرَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

جحدوا القرآن وأنكروه وردّوه بالباطل، فاستحقّوا بهذا، الكفر في الدنيا، ولهم كذلك ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يوم القيامة، لا يقادر قدره. وحسبنا أن الله تعالى وصف عذابهم بأنّه شديد، فالجزء من جنس العمل.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ فهذا اعتراض تذييلي، مقررّ للوعيد، ومؤكّد له، كما قال تعالى: ﴿فَلَاخِذْنُمْ أَحَدَ عَزِيزٍ مُقَدِّرٍ﴾ [القمر: ٤٢]. فالله تعالى عزيز: أي منيع الجناب عظيم السلطان.

والله تعالى ذو انتقام: أي ممن كذب بآياته، وخالف رسله الكرام، وأنبياءه العظام<sup>(١)</sup>.

وفي الآية دليل على: أن الذي كذب بالمصدق - وهو القرآن - مكذب من باب أولى بما يصدّقه - وهو التوراة والإنجيل - فعاد تكذيبهم على جميع كتب الله تعالى، وهو عين الكفر، فاستحقّوا به هذا العذاب الشديد، من عزيز ذي انتقام سبحانه، فهو قادر لا يغلبه شيء، منتقم ممن يستحق الانتقام.

النص الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْوَعْدُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

والمعنى: إنّ الذين الحقّ المرضي عند الله تعالى هو الإسلام، ولا يقبل من أحد سواه، وهو أتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كلّ حين، حتّى ختموا بمحمد ﷺ، فمنّ لقي الله - بعد بعثه محمد ﷺ - بدين على غير شريعته فليس بمتقبّل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فانحصر الدّين المتقبّل عند الله في الإسلام: وهو التّوحيد الخالص من شوائب الشّرك، وإخلاص العبادة لله وحده، والتزام أوامره ونواهيه، وتشريعاته<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل ذلك ذمّ الله تعالى اليهود والنصارى لاختلافهم في أمر الإسلام،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٣٤٥). (٢) انظر: المصدر نفسه (٢/٢٨).

ورسالة محمد ﷺ، بعد أن علموا بالحُجَجِ الثَّيِّرَةِ والآياتِ الباهرة، والبراهين السَّاحِقَةِ<sup>(١)</sup>.

فعدم إسلامهم، وكفرهم بمحمد ﷺ، والكتاب الذي أنزل إليه، لم يكن عن جهالةٍ بذلك أو شبهةٍ، وإنما كان عن استكبارٍ وحسدٍ للرَّسُولِ خَاصَّةً وللعربِ عامَّةً، وحرصاً على الجاهِ والسُّلطانِ ومظاهر الحياة، فكانوا بذلك مِمَّنْ ضلَّ عن علمٍ وبيِّنةٍ.

ولذلك استحقُّوا أشدَّ العذابِ وأقساه، كما يُفهم ذلك من التَّهديدِ والنَّوعيدِ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ﴾ وهذا «تعريضٌ بالتَّهديدِ؛ لأنَّ سَريعَ الحسابِ إنما يبتدئُ بحسابِ مَنْ يكفرُ بآياته، والحسابُ هنا كنايةٌ عن الجزاء، كقوله: ﴿إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣]»<sup>(٢)</sup>.

والشَّاهد من إيراد هذا النَّصِّ: أنَّ أهلَ الكتابِ جحدوا القرآنَ العظيمَ وكفروا به، وسيجازيهم الله تعالى ويحاسبهم على هذا التَّكذيبِ في نارِ جهنَّمَ خالدين فيها أبداً.

النَّصُّ الخامس: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدُّخولِ في جميع شرائع الإيمان وشعبه، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره، والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كلِّ صلاةٍ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. أي: زدنا هدىً وتثبيتاً، فأمر بالإيمان الحقِّ بالله وبرسوله والدوامِ عليه، وبالكتابِ الذي أنزله على رسوله - وهو القرآن الكريم - وجنسِ الكتبِ الذي أنزله على رسله، كالنُّورِ والإنجيلِ<sup>(٣)</sup>.

فهذا كلُّه من الإيمان الواجب، الذي لا يكون العبد مؤمناً إلا به إجمالاً

(٢) التحرير والتنوير (٥٦/٣).

(١) انظر: تفسير السعدي (٢٣٥/١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٨٣/٢).



كُفْر مَنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

فيما لم يصل إليه تفصيله، وتفصيلاً فيما علم من ذلك بالتفصيل؛ وذلك لأن الكفر بشيء من هذه الأمور المذكورة، كالكفر بجميعها؛ لتلازمها، وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ﴾ في الآية الكريمة من صيغ العموم، فاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض الكتب، ويكفرون ببعضها، ويؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعضهم لا يُعتدّ بإيمانهم، إذ الكفر بكتاب أو برسول كفر بالكلِّ؛ لأنه لو آمن إيماناً صحيحاً بنبيّه وكتابه، آمنَ بمحمدٍ ﷺ وكتابه المُبشِّر به عندهم.

ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

فالإيمان واجب بكلِّ نبيٍّ بعثه الله إلى الثقلين، فمن كفر بنبوّة نبيٍّ - حسداً أو عصبيةً، أو طمعاً في حظوظ دنيويةً، أو حرصاً على جاه أو سلطان - فقد كفر بسائرهم.

فلو آمن اليهود بموسى حقيقةً لآمنوا بمحمدٍ ﷺ، ولو آمن النصارى بعميسى حقيقةً لآمنوا بمحمدٍ كذلك؛ فهو مذكور في كتبهم، ومُبشِّر به عندهم، ومصدّق لما معهم.

والشاهد الذي معنا: أن مَنْ يكفر بهذه الكتب أو ببعضها - وخاصّة القرآن الكريم - فقد ضلَّ عن الصراط المستقيم، وأوغل في الضلال وأبعد فيه، ولذلك جاء وصفه في نهاية الآية: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

ومعنى ﴿ضَلَّ﴾: «أي سار على غير هدى، فعندما يتوه الإنسان عن هدفه المقصود، يُقال: ضلَّ الطريق، والذي ﴿ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ هو مَنْ يذهب إلى متاهة بعيدة، والمقصود بها: متاهة الكفر.

وهناك ضلال عن الهدى يمكن استدراكه، أمّا الضلال البعيد والغرق في

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٤٢٥ - ٤٢٦).



متأمة الكفر فمن الصَّعب استذاركه<sup>(١)</sup>.  
 وأيُّ ضلالٍ أبعد من ضلال مَنْ ترك طريق القرآن، وسلك الطَّرِيقَ الموصلة  
 له إلى نار جهنم - وهو الكفر بالقرآن والعباد به - وهذا ما تورط فيه مَنْ كَفَرَ مِنْ  
 أهل الكتاب بالقرآن العظيم.

النَّصُّ السَّادِسُ: قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ  
 مُتَفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ ﴿١﴾  
 وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾ [البينة: ١ - ٤].  
 إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ  
 خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾ [البينة: ٦].

والمعنى: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى -  
 ومن المشركين الذين عبدوا الأوثان والأصنام متروكين هملًا بدون إرشادهم إلى  
 الحق، وإقامة الحجَّة الواضحة عليهم، وهذه الحجَّة الواضحة هي: ﴿رَسُولٌ مِنَ  
 اللَّهِ﴾ وهو محمد ﷺ، يتلو قرآنًا عن ظهر قلب - لأنه أمِّي لا يقرأ ولا يكتب -  
 صار فيما بعد مكتوبًا في صحف منزَّهة عن الباطل والتَّحريف، فيها آيات مستقيمة  
 لا عِوَجَ فيها.

فالمراد بالرَّسول هنا قطعاً هو محمد ﷺ؛ لأنه هو الذي أرسل إلى جميع  
 البشر من أهل الكتاب والمشركين، وما اختلف اليهود والنصارى في شأن  
 محمد ﷺ وكتابه، وصاروا في ذلك شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما جاءتهم الحجَّة  
 الواضحة الدالة على صدق رسالته ﷺ، وأنه الرَّسول الموعود به في كتبهم.

قال أبو السعود رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ...﴾  
 الخ كلامٌ مسوقٌ لغاية التَّشنيع على أهل الكتاب خاصَّة، وتغليظ جناباتهم ببيان أنَّ  
 ما نُسِبَ إليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباؤه في الأمر، بل كان بعد وضوح  
 الحق، وتبيُّن الحال، وانقطاع الأعذار بالكلية، وهو السُّرُّ في وصفهم بإيتاء  
 الكتاب المنبئ عن كمال تمكُّنهم من مطالعته والإحاطة بما في تضاعيفه من  
 الأحكام والأخبار، التي من جملة ما دعوت النَّبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الشعراوي (٥/٢٧١٦). (٢) تفسير أبي السعود (٩/١٨٤).

كُفْر مَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده! لا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ<sup>(١)</sup> يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنِ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أكد الله تعالى - في الآية السادسة من هذه السورة - أن الكافرين بالقرآن العظيم ورسالة محمد ﷺ من أهل الكتاب والمشركين خالدون في نار جهنم، وبئس القرار، جزاء كفرهم، بعد ما جاءتهم البيّنة، وأنهم شرُّ الخلائق؛ لأنهم عرفوا الحق وتركوه، فخسروا الدنيا والآخرة، وبذلك استحقوا أشد العذاب.

وهكذا نجد دعوة الإسلام قائمة بحججها الواضحة القويّة المتواترة على أهل الكتاب في مشارق الأرض ومغاربها، وأنهم مطالبون بالإيمان بمحمد ﷺ وبكتابه الذي هو حُجّة عليهم، كما هو حُجّة على غيرهم، وأن من لم يؤمن بذلك إيمان إذعانٍ وانقيادٍ فهو كافر ومخلد في النار.



(١) المقصود بهذه الأمة: أمة الدعوة.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة (١/١٣٤) (نح ١٥٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

## الفصل الثاني

# هجر تعظيم القرآن

(الاستهزاء به)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاستهزاء.

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم القرآن.

المبحث الثالث: أساليب الكفار في استهزائهم بالقرآن.

المبحث الرابع: حكم الاستهزاء بالقرآن والاستهانة بالمصحف.





# المبحث الأول

## تعريف الاستهزاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاستهزاء.

المطلب الثاني: الألفاظ القرآنية القريبة من معنى الاستهزاء.

والاستهزاء

هو الاستهزاء وهو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

والاستهزاء هو الاستهزاء بالشيء أو بالإنسان

## المطلب الأول

## تعريف الاستهزاء

أولاً: «الاستهزاء» لغة:

جاء الاستهزاء في اللغة مصدراً مشتقاً من الفعل (هزأ)، وقد ذُكر جماعةً من علماء اللغة لهذا الفعل ومشتقاته استعمالاً عديدةً، وسوف نعرض للمعاني التي تتعلق بموضوع البحث على النحو الآتي:

١ - السُّخْرِيَّة:

يقال: اسْتَهْزَأَ: سَخِرَ. والهُزْءُ والهُزُّؤُ: السُّخْرِيَّةُ<sup>(١)</sup>.

٢ - الإسراع:

يقول الزَّمخَشَرِي - في بيان أصل كلمة الاستهزاء: «والاستهزاء: السُّخْرِيَّةُ والاستخفاف، وأصل الباب الخِفَّةُ - من الهُزْءِ وهو القَتْلُ السَّرِيعُ - وهزأ يهزأ: مات على المكان... وناقته تَهْزَأُ به؛ أي تُسْرِعُ، وتَخِفُّ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - المَرْحُ فِي خُفْيَةٍ:

يقال: الهُزْءُ: مَرْحٌ فِي خُفْيَةٍ، وقد يُقال لما هو كالمزح<sup>(٣)</sup>.

وكلمة (استهزأ) تتعدى بـ (الباء) وتتعدى بـ (من)؛ فيقال: استهزأت به ومنه. ولذا جاء في مختار الصُّحاح: «هَزِيٌّ مِنْهُ وَبِهِ»<sup>(٤)</sup>.

خلاصة المعنى اللُّغَوِي:

بقول الزَّمخَشَرِي يتَّضح أصل الكلمة، ألا وهو: طلب الخِفَّةِ. والمعاني المذكورة - أنفأً - لا تخرج عن هذا الأصل:

(١) انظر: لسان العرب (٨٤/١٥)، مادة: (هزأ).

(٢) أساس البلاغة، للزَّمخَشَرِي (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٣) انظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف الحلبي (٢٨٩/٤).

(٤) مختار الصحاح (ص ٣٣٩).

فأما المعنى الأول: وهو السُّخْرِيَّة، فمقصدها الاستخفافُ ممَّن يسخر منه.  
وأما المعنى الثاني: وهو الإسراع، ومنه موت الفجأة، فلا يخرج عن أصل  
الهُزء: الخفة. فموت الفجأة موت سريع، يموت فيه الإنسان في مكانه في خِفةٍ  
وسرعة.

وأما المعنى الثالث: وهو المزح في خِفيَّة، فهو مزح غير واضح المعالم،  
لا يدري سامعه هل هو ملاطفة أم أذية؟ وذلك لأنَّ المستهزئ - أحياناً - يلجأ إلى  
أسلوب المزاح في استهزائه، لكنَّه مزاح خفي لا تتضح معالمه انضاحاً جلياً.  
وكذلك ما هو كالمزح<sup>(١)</sup>.

والفرق بين المزاح والاستهزاء: هو أنَّ المزاح يكون دون أذية، وأما  
الاستهزاء فهو بأذية<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ما تقدّم: يكون معنى الاستهزاء هو الاستخفاف.

### ثانياً: «الاستهزاء» اصطلاحاً:

بما أنَّ السُّخْرِيَّة مقارِبةٌ لمعنى الاستهزاء مقاربة كبيرة؛ فسأورد هنا قولَ أبي  
حامد الغزالي رحمته الله في تعريفه للسُّخْرِيَّة قائلاً: «ومعنى السُّخْرِيَّة: الاستهانة  
والتحقير والتّنبيه على العيوب والنقائص على وجهٍ يُضْحِكُ منه، وقد يكون ذلك  
بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء»<sup>(٣)</sup>.

ولقد اعتمد الألوسي رحمته الله تعريفَ الغزالي في تعريفه للاستهزاء<sup>(٤)</sup>.

علماً بأنَّ ما اعتمده الألوسي في تعريف الاستهزاء هو قول الغزالي السَّابِق  
في السُّخْرِيَّة، ولكن الألوسي جعله في الاستهزاء؛ لأنَّ السُّخْرِيَّة والاستهزاء  
يؤدِّيان معنى متقارباً.

«فالسُّخْرِيَّة إذن؛ أسلوب عدائي مصوغ بروح الفكاهة»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الآيات القرآنية الواردة في المستهزئين بالإسلام ودعواته، سامي بن وديع عبد الفتاح  
(ص ١٤).

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١١٧/٧).

(٣) إحياء علوم الدين (٢٧٧/٣). (٤) انظر: روح المعاني (١٤٦/١).

(٥) أسلوب السُّخْرِيَّة في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حنفي (ص ١٥).

## المطلب الثاني

## الألفاظ القرآنية القريبة من معنى الاستهزاء

وردت في القرآن العظيم ألفاظٌ تقرب من معنى الاستهزاء، فمنها ما هو قريب جداً من معنى الاستهزاء، ومنها ما هو أقلُّ قرباً، ولا يدلُّ على الاستهزاء إلاً بقرينة، والقصد من إيرادها هنا هو دلالتها المباشرة على معنى الاستهزاء، إذ الاستهزاء بكلام الله تعالى وأوامره ونواهيه ورَدَّ بصيغ وألفاظٍ مختلفة، الحدُّ المشترك فيها: هو ترك تعظيم الوحي المنزَّل من الله تعالى، والاستهانة بالمرسلين من عباده الذين اصطفاهم.

وتجمل هذه الألفاظ على النحو التالي:

١ - السُّخْرِيَّة.

٢ - الضُّحْك.

٣ - الغمز.

٤ - اللَّعْب.

٥ - الخوض.

٦ - اللَّمَز.

وفيما يلي عرض لهذه الألفاظ في ضوء السِّياق القرآني، والقصد منه هو بناء تصوُّر واضح حول معنى الاستهزاء من خلال آيات القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، ويتمُّ تسليط الضُّوء فيها على اللَّفظة القرآنية المرادة فقط خشية الإطالة<sup>(١)</sup>.

## أولاً: السُّخْرِيَّة:

\* يقول تعالى عن نوح عليه السلام مع قومه: ﴿وَصَنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ ﴿٣٨﴾ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: ٣٨ - ٣٩].

(١) انظر: الآيات القرآنية الواردة في المستهزين بالإسلام ودعائه (ص ١٠٦ - ٢٣).



والذي يراذ من الوقوف عند معنى الآية الكريمة - في هذا المقام - هو تسليط الضوء على عبارة: ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾.

ومعنى ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا به.

يقول الراغب الأصفهاني رحمته الله: «سخرت منه، واستسخرته، للهزاء منه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ﴾» (١).

فقوم نوح عليه السلام يستهزئون به؛ لأنه يصنع السفينة وينذرهم بأن الله تعالى سيغرق الكافرين.

وبالجهة المقابلة، نوح عليه السلام يقول لقومه: إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي وَمِنَ الَّذِينَ مَعِيَ لَظُنُّ أَنْ عَمَلْنَا غَيْرُ مَشْرُورٍ ﴿فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ﴾ مِنَّا الْآنَ؛ لِأَنَّ عَمَلَنَا مُنْجٍ، وَعَمَلِكُمْ لَيْسَ مَقْتَضِراً عَلَى الضِّيَاعِ، بَلْ هُوَ مُوجِبٌ لِمَا تَوَعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ (٢).

### ثانياً وثالثاً: الضحك والغمز:

\* يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [المطققين: ٢٩ - ٣٠].

هاتان الآيتان الكريمتان تعرضان صورتين من صور استهزاء الكفار بالمؤمنين.

فأما الصورة الأولى فهي: الضحك من المؤمنين:

إذ إن استهزاء الكفار بالمؤمنين قد تجاوز الشعور القلبي إلى ضحك يصدر نتيجة الاستهزاء المكنون في صدورهم.

فمجرد الضحك لا يدل على الاستهزاء دون قرينة؛ لأن أسباب الضحك تتعدّد، فخرج الاستهزاء هنا على شكل ضحك يُسمع صوته، ويُرى صاحبه فاكهاً. ولذا يقول الراغب الأصفهاني رحمته الله: «استعير الضحك للسخرية» (٣).

وأما الصورة الثانية فهي: الغمز استهزاء بالمؤمنين:

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٢٢٧).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي (٩/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٥٠١).

ويدلُّ له قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ﴾ [المطففين: ٣٠].

والغمز: هو الإشارة بالجفون والحواجب<sup>(١)</sup>.

فقد كان الكفار إذا مرَّ بهم المؤمنون - وهم في مجالسهم - يستهزئون بهم على طريق الغمز.

فمجرد الغمز لا يدلُّ على الاستهزاء دون قرينه؛ لأنَّ أسبابه تتعدَّد أيضاً كما هو الحال في الضحك، فخرج الاستهزاء هنا على شكل الغمز. فمن خلال هاتين الصورتين يتبيَّن أنَّ الضحك والغمز لفظان قريبان في معنهما لمعنى الاستهزاء.

رابعاً وخامساً: الخوض واللعب:

\* يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

تعرض هذه الآية الكريمة مشهداً من حادثة وقعت من المنافقين في غزوة تبوك، فقد أخرج الإمام الطبري رحمته الله بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قراننا هؤلاء، أرعب بطوننا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنتك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيتُه متعلقاً بحقب<sup>(٢)</sup> ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تنكبه الحجارة<sup>(٣)</sup>، وهو يقول: يا رسول الله، إنَّما كُنَّا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿أبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ﴾ ﴿١٥﴾ لَا تَمْنَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]»<sup>(٤)</sup>.

- (١) انظر: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي (٤١٧/٣)؛ فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق بن حسن القنوجي (ص ٣٩٤).
- (٢) (الحقب): بفتح الحاء والقاف، حبلٌ يُشدُّ به الرَّحْلُ في بطن البعير.  
انظر: لسان العرب (٢٥٢/٣)، مادة: (حقب).
- (٣) (نكبه الحجارة): أي لثمت الحجارة رجله وظفّره، أي آذته وأصابته.  
انظر: لسان العرب (٢٧٥/١٤)، مادة: (نكب).
- (٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٣٣/١٤ - ٣٣٥) (رقم ١٦٩١١، ١٦٩١٢، ١٦٩١٦).

لقد تغلّل المنافقون بأنّ ما فعلوه كان خوفاً ولعباً، فردّ عليهم النبي ﷺ بأنّ هذا هو عين الاستهزاء، قائلاً لهم: ﴿أَبَإِنَّهُ وَأَيْبِنَهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. والخوض: هو المشي في الماء، ثم استعمل في كلّ دخول فيه تلويث وأذى<sup>(١)</sup>.

واللَّعب: يُقارب معنى الاستهزاء، حيث يقول القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الهزاء: السُّخْرية واللَّعب»<sup>(٢)</sup>.

وكلمة «الخوض» تُشعرنا بمعنى في منتهى الدقّة؛ لأنّ الذي يخوض في الماء لا يدري إلى أيّ موقع تقع قدماه، وربّما وقعتا في هوة، أو ربّما وقعتا على شيء جارح، لكنّ الذي يسير على اليابسة، فالطّريق واضحة أمامه، يضع قدمه حيث يرى أماناً واستقراراً وثباتاً، ومن هذا الباب أصبح الخوض وصفاً للكلام في الباطل<sup>(٣)</sup>.

فهذا الخوض وهذا اللَّعب هو عين الاستهزاء، بقرينة أنّ النبي ﷺ لم يلتفت إلى ما اعتدروا به، بل أنزلهم منزلة المستهزئين بخوضهم ولعبهم. سادساً: اللَّمز:

\* يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

تعرض هذه الآية الكريمة استهزاء المنافقين بالمؤمنين المتصدّقين، فإذا جاء رجل من الصّحابة، فتصدّق بشيء كثير، قال المنافقون: هذا مُراءٍ، وإذا جاء آخر فتصدّق بصاع، قال المنافقون: إنّ الله لغنيّ عن صدقة هذا، فنزلت الآية.

\* عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا أَمْرُنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ»<sup>(٤)</sup>، فَجَاءَ أَبُو

= وقال محمود شاكر - في تعليقه على الطبري: «صحيح الإسناد».

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٨٢/٨)؛ لسان العرب (٢٤٦/٤)، مادة: (خوض).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠٧/١).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (٣٧٠٩/٦).

(٤) (نتحامل): أي نحمل الحمل على ظهورنا بالأجرة، ونتصدّق منها.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٤٣/١).

## الألفاظ القرآنية القريبة من معنى الاستهزاء

عُقِيلٍ بِنِظْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ الْمُتَأَفِّقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَعَنِي عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِثَاءً، فَتَزَلَّتْ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية<sup>(١)</sup> بمعناه: قال البخاري رحمه الله: «يَلْمِزُونَ: يَعْيُونَ»<sup>(٢)</sup>.

والمراد هنا تسليط الضوء على كلمة (اللمز): يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله في معنى اللمز: «الاغتيال وتتبع المعاب»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هو تتبع المعاب في الحضور، وقيل: هو تعييب الناس باللسان<sup>(٤)</sup>، وقيل هو: المواجهة بالعيب<sup>(٥)</sup>، وقيل هو: الطعن في الأنساب<sup>(٦)</sup>. وعلى كل حال، فمعنى اللمز: هو تعييب الناس، وهو نوع من أنواع الاستهزاء.



(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ (٣/١٤٣١) (ح ٤٦٦٨).

(٢) صحيح البخاري (٣/١٤٣١).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٥٤).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٤/٤٢٨).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/٤٧٢)، (٦) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/١٨١).



## المبحث الثاني

## مظاهر تعظيم القرآن

إذا كنّا في مَعْرِض الحديث عن مظهرٍ من مظاهر هجر القرآن العظيم، وهو ترك تعظيمه، والاستهزاء به، فإنّه من الضّروري - بعد استعراض معنى الاستهزاء - أن نبيّن موقف المؤمنين من القرآن وتعظيمهم له؛ ذلك ليتبيّن للجميع أنّ لكتاب الله تعالى المكانة العظيمة والمنزلة الجليلة في قلب كل مؤمن بالله، إذ هو كلام الله عزّ وجلّ، ولا يماثل شيئاً من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحدٌ من الخلق، وتعظيمه وإجلاله دليل على تعظيم الله سبحانه وخشيته، فليس فيما نرى ونسمع كتاب أحيط به من الإجلال والتّقديس والتّعظيم والاحترام من جميع الجوانب، وفي صور متعدّدة كالقرآن الكريم.

ولذلك أجمع أهل العلم - من السلف والخلف - على وجوب احترام المصحف وتعظيمه وتكريمه، كما أجمعوا على حرمة امتهانه، فيجب تعظيمه وإجلاله، والدّبّ عنه أمام تحريف الغالين وانتحال المبطلين<sup>(١)</sup>.

ولمّا كان المصحف الكريم أشرف كتاب في الوجود؛ لما تضمّنه بين دفتيه من كلام الخالق المعبود جلّ جلاله، تأكّدت في حقه جملة من الآداب المرعية المستلزمة لطائفة من مظاهر تعظيمه القولية والفعليّة، وهذه الآداب منها ما جاء به نصّ عن الشّارع الحكيم فالتزمه المؤمنون؛ لأنّه أصبح تكليفاً، ومنها ما وضعوه والتزموه دون نصّ؛ إمعاناً في تعظيمهم القرآن، ودليلاً على تمكّن حبّ القرآن في قلوبهم، وإذا كانت كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، فإنّ من شرف القرآن العظيم تعدّد هذه الآداب، وهي على النحو الآتي:

(١) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (ص ٣٩٢).

أولاً: ملاحظة آداب التلاوة والالتزام بها:

فمن الآداب المتأكدة حال التلاوة ما يلي:

- ١ - اشتراط الطهارة لملامسته، مع إحسان الجلسة والاستعداد التام لها بالسواك، وقطع المشغلات والملهيات، والبعد عن الصّوارف والمعوقات<sup>(١)</sup>.
- ٢ - اجتناب أكل الثوم والبصل قبل القراءة، فقد ذهب بعض السلف إلى كراهية أكل الثوم والكراث والبصل، والامتناع منه قبل قراءة القرآن، إكراماً وتقديراً لكلام الله تعالى.

قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أكلتُ الكراث منذ قرأت القرآن»<sup>(٢)</sup>.

- ٣ - يستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة؛ لأنّ تلاوة القرآن عبادة يُتقرب بها إلى الله تعالى، فناسب فيها استقبال القبلة، ولأنّ في ذلك تعظيماً لكلام الله تعالى، ويستحب كذلك أن يجلس متخشعاً بسكينة ووقار في أدب وخضوع، كجلوسه بين يدي مُعلّمه، هذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو على فراشه أو غير ذلك من الأحوال جاز، ولكن دون الأولى<sup>(٣)</sup>.

- ٤ - يستحب - أيضاً - عند إرادة الشروع في القراءة الاستعاذة والبسملة، في قول جمهور العلماء، امثالاً لأمر الله تعالى بقوله: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [النحل: ٩٨]<sup>(٤)</sup>.

- ٥ - أن يكظم الشخص ثناؤه ما استطاع، ولا يرفع به صوته، إذ هو قبيح لا يجمل بالعاقل، ويتأكد هذا في حق المسلم الذي يقرأ كلام الله عزّ وجلّ. عن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إذا ثنّأبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة حتّى يذهب ثناؤك»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: أخلاق حملة القرآن (ص ٧٣)؛ التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥٨ - ٦١، ١٥١ - ١٥٤).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٥٥).

(٣) انظر: التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٠٨).

(٤) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٣ - ٦٤).

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٥٦)؛ والأجري في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٧٥).

٦ - اجتناب الضحك واللَّغَط والحديث أثناء القراءة أو سماعها، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]<sup>(١)</sup>

٧ - حضور القلب عند التلاوة، وتدبُّر المقروء والمسموع، إذ لا خير في عبادة لا فقه فيها، وأن يقرأ كما يقرأ العبد كتاباً خصَّه به مولاه، يأمره فيه وينهاه.

وهذا ما أكد عليه ابن القيم رحمته الله بقوله: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: التآدب مع المصحف:

فمن الآداب المتأكدة في حقِّ المصحف ما يلي:

١ - تحاشي التصغير في اسمه ورسمه وحجمه، ويُطالب من يكتبه بتحسين خطه وتجميله، وأن يكتبه على ورق يليق بمقامه.

قال الحكيم الترمذي<sup>(٣)</sup> رحمته الله: «ومن حُرْمته: أن تُجَلَّلَ تخطيطه إذا خططه. وعن أبي حَكِيمَة: أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمرَّ عليّ صلى الله عليه وسلم فنظر إلى كتابه فقال له: أَجَلُّ قَلَمِكَ، فأخذتُ القلمَ فقططتُ<sup>(٤)</sup> من طرفه قطعاً، ثمَّ كتبتُ، وعليّ صلى الله عليه وسلم قائمٌ ينظر إلى كتابتي؛ فقال: هكذا، نُورُهُ كما نُورُهُ اللهُ تعالى»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم، د. بدر البدر (ص ١٧ - ٢٢).

(٢) الفوائد (ص ٣).

(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، الحافظ، الزاهد، كان ذا رحمة ومعرفة، له فضائل وحكم ومواعظ، تعرَّض لمحنة فأخرج من ترمذ. من مصنفاته: «علل العبودية»، و«ختم الأولياء»، و«الصلاة ومقاصدها». توفي سنة (٣٢٠هـ)، عاش نحواً من (٨٠ سنة).

انظر: طبقات الشافعية (٢/٢٠)؛ سير أعلام النبلاء (١٣/٤٣٩).

(٤) قَطَّ الشَّيْءُ: قَطَعَهُ عَرْضاً، وبابُه رَدٌّ. ومنه قَطَّ القَلَمَ.

انظر: مختار الصحاح (ص ٢٥٦)، مادة: (قطط).

(٥) نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (٣/٢٥٥ - ٢٥٦). وانظر: تفسير القرطبي (١/٤٤).

وقال القرطبي رحمته الله - معللاً وجوب العناية بكتابة المصحف:

«وذلك أشبه بالإجلال والتعظيم، ألا ترى إلى الناس إذا أرادوا مكتبة ملك أو سلطان تحروا لها من القراطيس أكبرها وأمتنها وأنقاها، ومن الخطوط أحسنها وأفخمها، ومن المداد أبرقه وأشدّه سواداً، وفرّجوا السطور، ولم يقرمطوها، لئلا يكون قد ضنّوا بشيء مما كانت الحاجة إليه في مكتبته، فيكونوا قد ضيّعوا قدره، فكتاب الله أولى بمثل ذلك التّجليل، وأيضاً فإنّ الكتاب كلّما كان أكبر كان من الضّيع أبعد»<sup>(١)</sup>.

٢ - الحذر من إضافة شيء إليه، أو زخرفته، أو تحليته، أو كتابته بأحد التّقدين، أو كتابته بالأعجمية، أو اتّخاذه متّعجراً.

فلم يكن من هدي سلفنا الصّالح - رحمهم الله تعالى - تزيين المصاحف وتحليتها بالذهب والفضّة، إذ هو مباهاة وتفاخر، وتبذير وإسراف، وبذل للأموال فيما لا فائدة فيه، كما أنّ في ذلك كسراً لقلوب الفقراء والمساكين وحرماناً لهم ممّا فيه منفعتهم وسدّ عوزهم وحاجتهم، وليس هذا هو الواجب تجاه كلام الله تعالى، بل الواجب تلاوته، وتدبيره، والتأثر به، والعمل بما فيه، والوقوف عند حدوده، والتّحاكم إليه<sup>(٢)</sup>.

والمروي عن السّلف في كراهية ذلك كثير:

\* فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا زَخَرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَحَلَيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالدِّبَارُ (٣) عَلَيْكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) التذكار في أفضل الأذكار (ص ١١٧).

(٢) انظر: منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم (ص ٢٩).

(٣) «يُقَالُ: دَبَّرَ الْقَوْمُ يَدْبُرُونَ دِبَارًا: هَلَكُوا. وَأَذْبُرُوا: إِذَا وُلِّيَ أَمْرُهُمْ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ». «لسان العرب» (٤/٢٧٣)، مادة: (دبر).

(٤) رواه الترمذي في: «نوادير الأصول» (٣/٢٥٦) عن أبي الدرداء، ووقفه ابن المبارك في: «الزهد» (١/٢٧٥)، رقم (٧٩٧)؛ وعبد الرزاق في «مصنّفه» (٣/١٥٤) (رقم ٥١٣٢).

انظر: فيض القدير (١/٣٦٦) (ح ٦٥٨)؛ كشف الخفا ومزيل الإلباس، للعجلوني (١/٩٥) (ح ٢٤٢).

وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/١٦٢) (ح ٥٨٥) بلفظ: «إِذَا زَخَرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ،



\* وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: «مُرَّ على عبدِ الله - يعني ابنِ مسعود - بمصحفٍ قد زُيِّنَ بالذهبِ فقال: إِنَّ أَحْسَنَ مَا زُيِّنَ بِهِ الْمُصْحَفُ تِلَاوَتُهُ بِالْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

\* وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى الْمُصْحَفَ قَدْ فُضِّضَ أَوْ ذُهِبَ قَالَ: أَتَغْرُونَ بِهِ السَّارِقَ، وَزَيْتَهُ فِي جَوْفِهِ»<sup>(٢)</sup>.

قال الحكيم الترمذي رحمته الله: «وَمِنْ حُرْمَتِهِ: أَلَّا يُحْلَى بِالذَّهَبِ، وَلَا يُكْتَبَ بِالذَّهَبِ، فَتَخْلَطُ بِهِ زِينَةُ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>.

٣ - الحذر من استنباره، أو توسده، أو رميه عند وضعه أو تناولته، أو مَدَّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْهِ، أَوْ التَّرْوَحَ بِهِ، أَوْ اسْتِعْمَالَ الشَّمَالِ فِي تَنَاوُلِهِ وَأَخْذِهِ، أَوْ تَصْغِيرِ اسْمِهِ. وَأَلَّا يُقَالَ: سُورَةٌ صَغِيرَةٌ.

قال الحكيم الترمذي رحمته الله: «وَمِنْ حُرْمَتِهِ: أَلَّا يَتَوَسَّدَ الْمُصْحَفَ، وَلَا يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ، وَلَا يَرْمِي بِهِ إِلَى صَاحِبِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُنَاقِلَهُ. وَمِنْ حُرْمَتِهِ: أَلَّا يُصَغَّرَ الْمُصْحَفَ»<sup>(٤)</sup>.  
ومن ذلك أنهم كرهوا تصغير كلمة (مصحف) لما قد يدلُّ عليه التَّصْغِيرُ مِنَ الْإِحْتِقَارِ وَالِامْتِهَانِ وَالضَّعْفِ.

فعن سعيد بن المسيب رحمته الله<sup>(٥)</sup> قال: «لَا تَقُولُوا مُصْحَفٌ وَلَا مَسِيحِدٌ، مَا

= وَحَلَيْتُمْ مُصَاحِفَكُمْ، فَالذَّمَّارُ عَلَيْكُمْ». و«السلسلة الصحيحة» (٣/٣٣٦) (ح ١٣٥١) بلفظ: «إِذَا زَوَّجْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَيْتُمْ مُصَاحِفَكُمْ، فَالذَّمَّارُ عَلَيْكُمْ».

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٦/١٤٩) (رقم ٣٠٢٣٥)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/١٧٠) (رقم ٨٨٤٦)؛ وعبد الرزاق في «مصنّفه» (٤/٣٢٣) (رقم ٧٩٤٧). وانظر: المصاحف، لابن أبي داود (ص ١٦٨)؛ التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٢٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٦/١٤٩) (رقم ٣٠٢٣٣). وانظر: المصاحف (ص ١٦٨)؛ التذكار (ص ١٢٠).

(٣) (٤) نواذر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (٣/٢٥٦). وانظر: تفسير القرطبي (٢/٤٥).

(٥) هو الإمام سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، من أئمة التابعين وعلمائهم الأثبات، ومن الفقهاء الكبار، قال ابن حجر: «من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل»، وقال ابن المدينة: «لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه». مات بعد التسعين هجرية، وقد ناهز الثمانين.

كان لله فهو عظيم حسن<sup>(١)</sup>.  
 وعن إبراهيم النخعي<sup>(٢)</sup> رحمته قال: «كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف،  
 وكان يقال عَظُمُوا كتابَ الله»<sup>(٣)</sup>.  
 وقال رجل لأبي العالية<sup>(٤)</sup> رحمته: «سورة صغيرة، فقال: أنت أصغر منها،  
 وأما القرآن فكلُّه عظيم»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية قال: «أنت أصغر وأأم، القرآن كلُّه عظيم»<sup>(٦)</sup>.

٤ - الحذر من وضع شيء فوقه، أو بين أوراقه، أو حمله حال دخول  
 الأماكن الممنهنة، أو السفر به إلى أرض العدو، أو تعريضه لأي نوع من أنواع  
 الأقدار، كأن يبُلَّ إصْبَعَهُ بالرَّيْقِ عند تَقْلِيْبِ ورقه. أو تعريضه لمظانِّ امْتِهَانِهِ أو النَّيْلِ  
 مِنْ قُدْسِيَّتِهِ، كأن يُمَكِّنَ مِنَ الصَّغَارِ أو المَجَانِينِ أو الكُفَّارِ.

قال الحكيم الترمذي رحمته: «وَمَنْ حُرِمَتْهُ: إِذَا وَضَعَ المَصْحَفَ أَلَّا يَتْرَكَه  
 منشوراً، وألَّا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً على سائر الكتب.  
 وأن يضعه في حجره إذا قرأه، أو على شيء بين يديه، ولا يضعه على الأرض.  
 وألَّا يمحوه من اللوح بالبزاق، ولكن يغسله بالماء. وإذا غسله بالماء أن يتوقَّى

= انظر: تقريب التهذيب (١/٣٠٥ - ٣٠٦) (ت ٢٦٠).

(١) رواه ابن سعد في: «الطبقات» (٥/١٣٧)؛ والذهبي في: «السير» (٤/٣٣٨)؛ وابن أبي  
 شيبة في «مصنفه» (٦/١٤٨) (رقم ٣٠٢٢٨).

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران، الكوفي الفقيه، ثقة إلا أنه  
 يرسل كثيراً، توفي رحمته سنة (٥٩٦هـ)، وعمره (٥٠) سنة.

انظر: تقريب التهذيب (١/٤٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/١٤٨) (رقم ٣٠٢٢٥).

وانظر: المصاحف (ص ١٥١).

(٤) هو رفيع بن مهران الرِّياحي، من بني تميم، بصري، وثقه يحيى بن معين، وأبو زرعة،  
 وقال في «تقريب التهذيب»: «ثقة كثير الإرسال»، توفي رحمته سنة (٥٩٠هـ).

انظر: تقريب التهذيب (١/٢٥٢).

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٥٩).

وانظر: التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٢١).

(٦) المصاحف (ص ١٧١)؛ غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجوزي (١/٢٨٥).

التنجاسات من المواضع، والمواضع التي تُوطأ؛ فإنَّ لتلك الغسالة حرمة، وأنَّ مَنْ كان قبلنا مِنَ السَّلف منهم مَنْ يَسْتَشْفِي بغسالته. وألَّا يَتَّخِذ الصَّحيفة إذا بليت ودرست وقايةً للكتب؛ فإنَّ ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء»<sup>(١)</sup>.

٥ - الحذر من كتابته على الأرض، أو حوائط المساجد وغيرها، أو الكتابة في حواشيه، أو جلده، كما يفعله كثير من طلاب المدارس.

قال الحكيم الترمذي رحمته الله: «وَمِنْ حُرْمَتِهِ: أَلَّا يُكْتَبَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا عَلَى حَائِطٍ، كَمَا يُفْعَلُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ الْمُحَدَّثَةِ...» ورأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط فضره»<sup>(٢)</sup>.

وقد عمد بعض الحاقدين من أعداء القرآن في الآونة الأخيرة، أن يطبعوا بعض الآيات القرآنية على الملابس الداخلية، أو الأحذية، أو الأوراق التي تُغْلَف فيها المشتريات كيداً بالمسلمين، ومحاولةً منهم لانتقاص قدر هذا الكتاب الكريم، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]<sup>(٣)</sup>.

٦ - الحذر من استعماله في غير ما جعل له، كالثَّقِيل به، أو تعليقه كحُرز، أو زينة، أو اقتنائه لمجرد التبرُّك به، إلى غير ذلك مِنْ أنواع الاستعمالات التي لم يأذن الشرع بمثلها»<sup>(٤)</sup>.



(١) نوادير الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (٣/٢٥٤). وانظر: تفسير القرطبي (١/٤٣).

(٢) المصدر نفسه (٣/٢٥٧). وانظر: تفسير القرطبي (١/٤٥).

(٣) انظر: كيف نحيا بالقرآن، نبيه زكريا عبد ربه (ص ٩٤ - ٩٥).

(٤) انظر: المُتَحَفُّ في أحكام المُصْحَف (ص ٢٢ - ٢٣).

## المبحث الثالث

## أساليب الكفار في استهزائهم بالقرآن

يَتَّبِعُنَا لَنَا مِمَّا سَبَقَ أَنْ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ تَعْظِيمَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَتَوْقِيرَهُ بِعَدِ  
 الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ، وَعَلَى النَّقِيزِ مِنْ ذَلِكَ نَجِدُ الَّذِينَ كَفَرُوا، حَيْثُ الْاسْتِخْفَافُ  
 وَالسُّخْرِيَّةُ وَالتَّهْكُمُ بِالْقُرْآنِ الْمُنْزَلِ، وَالرَّسُولِ الْمُرْسَلِ. فَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ اتَّخَذُوا  
 أَسَالِيبَ شَتَّى فِي اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: فَمَرَّةً يَضْحَكُونَ اسْتِهْزَاءً حَالِ سَمَاعِهِمْ  
 لِلْقُرْآنِ. وَمَرَّةً يَتَعَجَّبُونَ مِنْ عَدَمِ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَى أَعْيَانِهِمْ وَكِبْرَائِهِمْ.  
 وَمَرَّةً يَدَّعُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ إِفْكٌ مَفْتَرِي، وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.  
 وَمَرَّةً يَتَغَامَزُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ اسْتِهْزَاءً بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَاسْتِخْفَافاً بِهِ.  
 وَأَعْظَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ تَنْذَرُهُمْ بِاللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ.

وقد ذُكِرَتْ هَذِهِ الْأَسَالِيبُ الْكُفْرِيَّةُ الْاسْتِهْزَائِيَّةُ وَسُطِرَتْ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ؛  
 لِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، وَفِيمَا يَلِي يَتِمُّ تَسْلِيطُ الضُّوءِ عَلَى هَذِهِ الْأَسَالِيبِ  
 الْاسْتِهْزَائِيَّةِ بِالْتَفْصِيلِ.

## الأسلوب الأول: الاستهزاء والضحك حال سماع القرآن:

\* يُخْبِرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِالَّذِي يَتَنَاجَى بِهِ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ حِينَ  
 جَاؤُوا يَسْتَمْعُونَ قِرَاءَةَ الرَّسُولِ ﷺ سِرّاً فَقَالَ: ﴿مَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمْعُونَ  
 إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَبَيَّنَ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي يَتَلَقَّى بِهَا الْكُفَّارُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ  
 يَتَلَقُّونَهُ وَيَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِ اسْتِمَاعَ اسْتِهْزَاءٍ، وَتَلَقَّى اسْتِهْزَاءً؛ لَا سَمَاعَ إِيْمَانٍ، وَلَا  
 تَلَقَّى إِيْمَانٍ.



فالله تعالى أخبر نبيه ﷺ بالحالة التي يتلبس بها الكفار حين سماعهم القرآن العظيم: ﴿مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ أي: نحن أعلم وقت يستمعون إليك بما يستمعون به؛ إنهم يستمعون متلبسين بالاستهزاء. ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم وقت تناجيتهم؛ إنهم يتناجون بالاستهزاء بك<sup>(١)</sup>. وفي هذا وعيد لهم بقدر ما كان عزاء للنبي ﷺ.

وقولهم: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَشْحُورًا﴾ بيان للاستهزاء<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري في قوله تعالى ﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: «من الهُزء بك وبالقرآن»<sup>(٣)</sup>. ومثله قال الألوسي<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن جزي في قوله تعالى ﴿مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: «كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء»<sup>(٥)</sup>.

والخلاصة: أنهم كانوا يستمعون إلى القرآن وهم متلبسون بالاستهزاء والاستخفاف والسخرية والتهمك. فهذا الذي منعهم من الانتفاع بالقرآن عند سماعه؛ لأن مقاصدهم سيئة، ولم يكن استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق، ومن كان بهذه الحالة لم يفده الاستماع شيئاً<sup>(٦)</sup>.

### الضحك من القرآن:

قال تعالى - موبخاً الكفار ومنكراً عليهم: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي تَعْبُونَ ۗ وَهُمْ ضَحَّكُونَ وَلَا يَتُوبُونَ ۗ وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

تبين هذه الآية الكريمة - أيضاً - حال الكفار حين سماعهم للقرآن الكريم، أنهم يتعجبون استنكاراً له، ويضحكون استهزاءً وسخرية به.

فالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي تَعْبُونَ﴾ للتوبيخ<sup>(٧)</sup>.

والإشارة إلى القرآن، وتعجبهم منه: إنكاره<sup>(٨)</sup>.

- |                                    |                                    |
|------------------------------------|------------------------------------|
| (١) انظر: تفسير الشوكاني (٣/٣٣٢).  | (٢) انظر: روح المعاني (٥/١٧٧).     |
| (٣) الكشف (٢/٦٢٧).                 | (٤) انظر: المصدر السابق (٥/٩٧٦).   |
| (٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٣١٤). | (٦) انظر: تفسير السعدي (٣/١١٢).    |
| (٧) انظر: تفسير القرطبي (١٧/١٢٢).  | (٨) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/١٤٣). |

قال أبو السُّعود رحمته الله في قوله ﴿وَضَحَكُونَ﴾: «استهزاء، مع كونه أبعـد شيء من ذلك»<sup>(١)</sup>. وكذا قال الزَّمخشيري<sup>(٢)</sup>، والقرطبي<sup>(٣)</sup>، والشُّوكاني<sup>(٤)</sup>، والسُّمرقندي<sup>(٥)</sup>، وابن عاشور<sup>(٦)</sup>.

وكان حقاً عليكم أن تبكوا عند سماعكم للقرآن، فترَكْتُم ذلك وأتيتم بضده<sup>(٧)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ﴾ «أي: لاهون، أو مستكبرون، من سَمَدَ البعير إذا رفع رأسه، أو مغنون؛ لتشغلوا النَّاس عن استماعه، من السُّمود بمعنى الغناء على لغة حَمير»<sup>(٨)</sup>.

والشَّاهد: أن الله تعالى أنكر عليهم استهزاءهم بالقرآن وتعجبهم وضحكهم منه، مع أنه خيرُ الكلام وأفضلُه، وأشرفُه.

فهذا يدلُّ على جهلهم وضلالهم وعنادهم، وقلة عقولهم، وإلا فهو أحسن الحديث، إذا حدَّث صدق، وإذا قال قولاً، فهو القول الفضل، ليس بالهزل، هو القرآن العظيم، الذي لو أنزل على جبل، لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. بل ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون، سماعاً لأمره ونهيه، وإصغاء لوعده ووعيده، والتفاتاً لأخباره الصَّادقة الحسنة<sup>(٩)</sup>.

### الأسلوب الثاني: التَّعَجُّب من عدم نزول الوحي عليهم:

\* ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ كَفَّارَ مَكَّةَ أَنْكَرُوا أَنَّ اللهُ تَعَالَى خَصَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْزِلْهُ عَلَى أَحَدٍ آخَرَ مِنْهُمْ، فَحَكَى اللهُ تَعَالَى مَا قَالُوهُ اسْتِهْزَاءً وَحَسَدًا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

والاستفهام للإنكار، والتقدير: كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والأشراف<sup>(١٠)</sup>. ومنشأ هذا الإنكار هو التَّكْذِيب والاستهزاء بالقرآن، وبمن أنزل عليه.

(١) تفسير أبي السُّعود (١٦٦/٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٢٢/١٧).

(٣) انظر: تفسير السُّمرقندي (٣٤٨/٣).

(٤) انظر: تفسير أبي السُّعود (١٦٦/٨).

(٥) انظر: تفسير السُّمرقندي (٢٥/٢٩).

(٦) انظر: تفسير السُّمرقندي (١٣٣/٥).

(٧) انظر: تفسير الشُّوكاني (٤٣٠/٤).

(٨) انظر: تفسير الشُّوكاني (٤٢٢/٥).

(٩) انظر: تفسير الشُّوكاني (١٥٧/٢٧).

(١٠) انظر: تفسير الشُّوكاني (٤٢١/٤).

\* وقد حكى الله تعالى مقولتهم هذه في موضع آخر من كتابه العزيز، والتي تدلُّ على تكذيبهم بالقرآن الكريم واستهزائهم به: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢].

ويعنون بالقريتين: مكة والطائف. وبالرجلين من القريتين: الوليد بن المغيرة في مكة، وعروة بن مسعود الثقفي في الطائف، زاعمين أنهما أحقُّ بالنبوة؛ لكثرة أموالهما<sup>(١)</sup>.

والهمزة في قوله: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ للإنكار عليهم، وتجهلهم، والتعجب من اعتراضهم، وسخرتهم، وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة<sup>(٢)</sup>.

وفي الآية الكريمة دليل على أن أهواءهم لا تصلح لأن تكون متبعة؛ لأن القرآن لو أنزل على أحد الرجلين المذكورين - وهو كافر يعبد الأوثان - فلا فساد أعظم من ذلك<sup>(٣)</sup>.

فإذا كانت معاش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى، وهو الذي يقسمها بين عباده، بحسب حكمته، فرحمته الدينية، التي أعلاها النبوة والرسل أولى وأحرى.

مع العلم أن النبي ﷺ أعظم الرجال قدراً، وأعلاهم فخراً، وأكملهم عقلاً، وأغزرهم علماً، وأكملهم خلقاً، وأوسعهم رحمة، وأهداهم وأتقاهم، وأحسنهم رأياً وعزماً وحزماً، لكنَّه الاستهزاء بالقرآن العظيم، والتكذيب به، والحسد للنبي ﷺ هو الذي قادهم إلى هذا الاقتراح الساقط<sup>(٤)</sup>.

الأسلوب الثالث: ادعائهم بأنَّ القرآن إفك مفترى، وأساطير الأولين:

\* عندما يشتدُّ الحقد، ويعجز الظالم عن الرد المقنع، يتهم بالاختلاق: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

(١) انظر: أضواء البيان (٦/٣٣٧).

(٢) انظر: الكشاف (٤/٢٥٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥/٣٤٢).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٤/٤٤٥).

## أساليب الكفار في استهزائهم بالقرآن

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة استهزاء الكفار بالقرآن وبالرسول محمد ﷺ، الذي أوجب لهم كفرهم وتكذيبهم.

والإفك: الكذب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور: ١١].  
والافتراء: اختلاق الأخبار، أي: ابتكارها، وهو الكذب عن عمد.  
وقولهم: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ أرادوا بالقوم الآخرين اليهود.  
ومقصودهم من هذا الاستهزاء الكفري: أن القرآن المُخْتَلَق والمُبتَكَّر، لا يخلو من مجموع الأمرين، وهما:

أن يكون افتري بعضه من نفسه، وأعانه قوم على بعضه<sup>(١)</sup>.

وليتهم اكتفوا بذلك، بل أضافوا إليه استهزاء آخر لا يقلُّ كفرًا عن سابقه:  
﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].  
والأساطير: جمع أسطورة، وهي القصة المسطورة، ومقصودهم: أن القرآن  
فَصُّصُ الْأَوَّلِينَ وَأَسَاطِيرِهِمْ.

والاكتتاب: افتعالٌ من الكتابة. فيفيد قولهم: ﴿اكتتَبَهَا﴾ أنه تكلف أن يكتبها. والمعنى: أنه سأل مَنْ يكتبها له، أي: ينقلها، فكان إسناد الاكتتاب إليه إسناداً مجازياً؛ لأنه سببه.

والقرينة: ما هو مقررٌ لدى الجميع، مِنْ أَنَّهُ ﷺ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ، وَمِنْ قولهم: ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾ لأنه لو كتبها لنفسه لكان يقرأها بنفسه. فالمعنى: استنسخها.

وقولهم: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: تُمَلَّى عَلَيْهِ طَرْفِي النَّهَارِ، كناية عن كثرة الممارسة لتلقي الأساطير! فأى استهزاءٍ أعظم وأشدُّ من ذلك؟<sup>(٢)</sup>.

وهذا القول الاستهزائي الكفري فيه عدَّةُ عظام:

«منها: رميهم الرُّسُولَ، الذي هو أبرُّ النَّاسِ وأصدقهم، بالكذب، والجرأة

العظيمة.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٩/١٣ - ١٤). (٢) انظر: المصدر نفسه (٩/١٥).



ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن، الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله، بأنه كذب وافتراء. ومنها: أن في ضمن ذلك، أنهم قادرون على أن يأتوا بمثله، وأن يُضاهي المخلوق الناقص من كل وجه، للمخالق الكامل من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام. ومنها: أن الرسول، قد علّمت حاله، وهم أشدُّ الناس علماً به، أنه لا يكتب، ولا يجتمع بمن يكتب له، وهم قد زعموا ذلك<sup>(١)</sup>.

الأسلوب الرابع: استخدام أعضاء الجسم بقصد الاستهزاء:

\* قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً تَنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفُوا اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].  
هذه الأعضاء التي خلقها الله تعالى للإنسان؛ خلقها ليعبده بها، وكذلك ليشكر الإنسان ربه على نعمائه، ولكن عندما يكفر الإنسان يستخدم هذه الأعضاء في معصية الله تعالى، والاستهزاء بدينه.

فالآية الكريمة تعرض لنا مشهداً عملياً للمنافقين عندما تنزل سورة على النبي ﷺ حيث ينظر هؤلاء المنافقون إلى بعضهم؛ يتغامزون استهزاءً بالقرآن الكريم واستخفافاً به.

وهذا ما بيّنه الرازي رحمه الله بقوله: «هذا نوع آخر من مخازي المنافقين، وهو أنه كلما نزلت سورة مشتملة على ذكر المنافقين وشرح فضائحهم، وسمعوها تأدوا من سماعها، ونظر بعضهم إلى بعض نظراً مخصوصاً دالاً على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها وتحقير شأنها، ويحتمل ألا يكون ذلك مختصاً بالسورة المشتملة على فضائح المنافقين، بل كانوا يستخفون بالقرآن، فكلما سمعوا سورة استهزؤوا بها وطعنوا فيها، وأخذوا في التغامز والتضاحك على سبيل الطعن والهزاء»<sup>(٢)</sup>.

كانهم عند سماع تلك السورة يتأدون ويتضايقون ويريدون أن يخرجوا من

(١) تفسير السعدي (٣/٤٢٧ - ٤٢٨). (٢) التفسير الكبير (١٦/١٨٥).

المسجد، زاعمين أنهم لا يصبرون على استماع القرآن، ويغلب عليهم الضحك استهزاءً بالقرآن، فيخافون أن يُفتضح أمرهم بين المؤمنين، ولذلك يتناجون فيما بينهم: ﴿هَلْ يَرْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: هل يرى استهزاءكم وتغامزكم أحد فينقل ذلك إلى محمد؟<sup>(١)</sup>

والشاهد هنا: قوله تعالى: ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ فكأنهم تكلموا بأعينهم ونظراتهم، كلام استهزاء وسخرية.

قال الرّمخسري في قوله تعالى ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: «تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي وسخرية به»<sup>(٢)</sup>.

### الأسلوب الخامس: التندُّر بالله وآياته:

\* قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ ﴿٥٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا بَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَقِفْ عَنْ طَافِقٍ مِّنْكُمْ تُعَذِّبْ طَافِقَةً بِأَتْهَمَ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

ورد في سبب نزولها روايات في غزوة تبوك - كما تقدم ذكره - منها: قول بعض المنافقين الذين كانوا معه ﷺ: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرعب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبين عند اللقاء»<sup>(٣)</sup>.

يخبر الله تعالى رسوله ﷺ أنه لو سأل المنافقين عن استهزائهم به وبالقرآن - وهم سائرون معه إلى تبوك - لقالوا معتردين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: نلهو بالحديث؛ لنقطع به الطريق ولم نقصد الاستهزاء<sup>(٤)</sup>.

فويخهم الله تعالى على استهزائهم - بمن لا يصلح الاستهزاء به - بقوله: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ﴾ «والاستفهام للتفريع والتوبيخ»<sup>(٥)</sup>. فلم

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٨٨). (٢) الكشاف (٢/٣١٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/٣٣٣ - ٣٣٥) (رقم: ١٦٩١١، ١٦٩١٢، ١٦٩١٦)؛ وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، كما في «الدر المثور».

وقال محمود شاكر - في «تعليقه على الطبري»: «صحيح الإسناد».

(٤) انظر: زاد المسير (٣/٤٦٥)؛ تفسير الجلالين (١/٢٥١).

(٥) تفسير الشوكاني (٢/٣٧٧)؛ وانظر: التحرير والتنوير (١٠/١٤١).

يعبأ باعتذارهم، ولم يقبل هذا الاعتذار؛ لأنهم كانوا كاذبين فيه، فأنزلهم منزلة المعترف بهذا الاستهزاء، حتى وُبُحُوا بهذه الجريمة التَّكْرار<sup>(١)</sup>. ولذلك لم يقبل منهم هذا العذر المكذوب.

عاقبة الاستهزاء بالقرآن:

قال الله تعالى: ﴿لَا تَمْنَدِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

قال البغوي رحمته الله: «فإن قيل: كيف قال: كفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: معناه: أظهرتم الكفر بعدما أظهرتم الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن العربي رحمته الله: «لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًّا أو هزلًا، وهو كيفما كان كفر؛ فإنَّ الهزل بالكفر كفر، لا خلاف فيه بين الأمة. فإنَّ التَّحقيق أخو الحقِّ والعلم، والهزل أخو الباطل والجهل»<sup>(٣)</sup>.

وهو ما أكَّده ابن الجوزي رحمته الله بقوله: «وهذا يدلُّ على أنَّ الجِدَّ واللَّعب في إظهار كلمة الكفر سواء»<sup>(٤)</sup>.

ففي هذه الآيات الكريمات دليل على أنَّ مَنْ أسرَّ سريرةً - ولا سيَّما السَّرية التي يمكر فيها بدين الله تعالى، ويستهزئ به وبآياته ورسوله - فإنَّ الله تعالى يُظهِرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشدَّ العقوبة.

وأنَّ مَنْ استهزأ بكتاب الله أو بسُنَّة رسوله الثَّابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقَّصه، فإنه كافر بالله العظيم، وأنَّ التَّوبة مقبولة من كلِّ ذنب، وإن كان عظيمًا<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تفسير النسفي (٩٧/٢).

(٢) تفسير البغوي (٣٠١/٢).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر، المعروف بابن العربي الإشبيلي، المالكي، الإمام، العلامة، الحافظ، كان فقيهاً عالمًا زاهدًا عابدًا، له تصانيف.

منها: «أحكام القرآن»، و«عارضة الأحوزي في شرح جامع الترمذي»، و«المحصل في الأصول». توفي سنة (٥٤٣هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٩٦)؛ سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧).

(٤) أحكام القرآن (٢/٥٤٣)؛ تفسير القرطبي (٨/١٨٢).

(٥) زاد المسير (٣/٤٦٥). (٦) انظر: تفسير السعدي (٢/٢٦٢).







## المطلب الأول

## الفرق بين القرآن والمصحف

أولاً: معنى القرآن:

«القرآن» لغة:

اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ - رَحِمَهُمُ اللهُ - عَلَى أَنَّ لَفْظَ «قُرْآن» اسْمٌ وَلَيْسَ بِفِعْلٍ وَلَا حَرْفٍ، لَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ جِهَةِ الْاِشْتِقَاقِ أَوْ عَدَمِهِ، وَمِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مَهْمُوزًا أَوْ غَيْرَ مَهْمُوزٍ، وَمِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مُصَدَّرًا أَوْ وَضْفًا، عَلَى أَقْوَالٍ عِدَّةٍ، تُجْمَلُ فِيهَا يَلِي (١):

١ - أَنَّهُ «اسْمٌ عَلَمٌ غَيْرُ مَنْقُولٍ» أَي: جَامِدٌ.

٢ - أَنَّهُ «مَهْمُوزٌ» (٢) مُشْتَقٌّ مِنْ: «قَرَأَ» بِمَعْنَى: «تَلَا».

٣ - أَنَّهُ «مَهْمُوزٌ» مُشْتَقٌّ مِنْ: «الْقَرَأَ» بِمَعْنَى: «الْجَمْعُ».

٤ - أَنَّهُ «غَيْرُ مَهْمُوزٍ» مُشْتَقٌّ مِنْ: «قَرَنْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ».

٥ - أَنَّهُ «غَيْرُ مَهْمُوزٍ» مُشْتَقٌّ مِنْ: «الْقَرَأَيْنِ».

ويظهر - والله أعلم - أَنَّ أَرْجَحَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي؛ لِقُرْبِ اِشْتِقَاقِهِ مِنْ كَلِمَةِ الْقُرْآنِ لَفْظًا وَمَعْنَى (٣).

فَالْقُرْآنُ مُصَدَّرٌ «قَرَأَ» بِمَعْنَى: «تَلَا» كَالرُّجْحَانِ وَالْغُفْرَانِ، ثُمَّ نُقِلَ مِنَ الْمَصْدَرِ وَجُعِلَ اسْمًا لِلْكَلامِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لَهُ قَرِئًا﴾ [القيامة: ١٨].

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٩٦/٢)، المصباح المنير (ص ٢٥٩)، لسان العرب (١/

١٢٨ - ١٣١)، القاموس المحيط (ص ٦٢)، مختار الصحاح (ص ٢٤٩)، المفردات في

غريب القرآن (ص ٤٠٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٠ - ٣١).

(٢) معنى «مهموز»: أن الهمزة في لفظ «القرآن» أصلية، من: «قرأ».

(٣) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، أ. د. محمد أبو شهبه (ص ١٩ - ٢٣).

أي: قراءته.

وقول حسان بن ثابت يرثي عثمان رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

أي قراءة<sup>(١)</sup>.

«القرآن» اصطلاحاً:

ذَكَرَ العلماء - رحمهم الله - للقرآن الكريم تعريفاً اصطلاحياً يُقَرِّبُ معناه ويميزه عن غيره، فعرفوه بأنه: «كَلَامُ اللَّهِ، الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمُعْجَزُ بِلَفْظِهِ، الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ، الْمُنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ».

وإغاية العلماء من ذكر هذه القيود بشكل عام، هي تحديدُ المُعَرَّفِ، بحيث يكون التعريفُ دالاً عليه دلالةً واضحة، مانعاً من دخول غيره فيه<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: معنى المصحف:

«المصحف» لغة:

الأصل المشهور في ضبط كلمة: «مُصْحَفٌ» بضم الميم، ويجوز «مِصْحَفٌ» بكسرها، وهي لغة تميم.

والمصحف لغة: اسمٌ لكلِّ مجموعة من الصُّحُفِ المكتوبة صُمِّتَ بين دَفَّتَيْنِ، وجاء في (اللِّسَان) عن الأزهري<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه: «وإنما سُمِّيَ المصحفُ

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن (ص ١٣٧).

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (١/٤٤١)؛ المستصفى (١/٦٤)؛ مباحث في علوم القرآن (ص ٢٠)؛ فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن، د. أحمد سالم ملحم (٢١ - ٢٩).

(٣) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهرى الهروى، الشافعى (أبو منصور)، ولد في هراة بخراسان سنة (٢٨٢هـ)، عني بالفقه أولاً، ثم غلب عليه علم العربية، فرحل في طلبه وقصد القبائل وتوسّع في أخبارهم، فاشتهر بالعربية، وكان متفقاً على فضله وثقته ودرايته وورعه. ومن أشهر مصنّفاته: «تهذيب اللغة»، و«تفسير القرآن»، و«علل القراءات». توفي سنة (٣٧٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٢٢٦)؛ طبقات الشافعية (١٠/٢)؛ وفيات الأعيان (١/٦٣٥).

مصحفاً؛ لأنه أضحف، أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين<sup>(١)</sup> ومقتضى كلام الفيروزآبادي<sup>(٢)</sup> **كَلَّمَ**: أن المصحف (بالضم): اسم مفعول من أضحفه إذا جمعه. والمصحف (بالفتح): موضع الصحف، أي: مجمع الصحف. والمصحف (بالكسر): آلة تجمع الصحف<sup>(٣)</sup>.

### «المصحف» اصطلاحاً:

المصحف في اصطلاح العلماء - رحمهم الله: هو اسمٌ للمكتوب فيه كلام الله تعالى بين الدفتين<sup>(٤)</sup> ويصدق المصحف على ما كان حاوياً للقرآن كله، أو كان ممّا يُسمى مصحفاً عرفاً ولو قليلاً كخزب، على ما صرح به القليوبي<sup>(٥)</sup> **كَلَّمَ**، أو أقل من ذلك كورقة فيها بعض سورة، أو لوحاً، أو كتفاً مكتوبة<sup>(٦)</sup>.

«وقيل للقرآن مصحف؛ لأنه جُمع من الصحف المتفرقة في أيدي الصحابة، وقيل: لأنه جَمَعَ وحوى - بطريق الإجمال - جميع ما كان في كتب الأنبياء، وُصِّفهم، (لا) بطريق التفصيل»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب (٧/ ٢٩٠ - ٢٩١)، مادة: (صحف).

(٢) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي الشيرازي، الشافعي، لغويٌّ مشارك في عدة علوم، ولد بكازرون من أعمال شيراز سنة (٧٢٩هـ)، وله مصنفات كثيرة منها: «القاموس المحيط»، و«بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، و«البلغة في ترجمة أئمة النحاة واللغة»، و«المرقاة الوفية في طبقات الحنفية»، وغيرها. توفي بزييد سنة (٨١٧هـ). انظر: شذرات الذهب (٧/ ١٢٦).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٨٦).

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، لمجموعة من الباحثين (٣٨/ ٥).

(٥) هو أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي - نسبة لقرية قلوب بشرقية مصر - الشافعي (شهاب الدين أبو العباس) عالمٌ مشارك في كثير من العلوم. توفي في أواخر شوال سنة (١٠٦٩هـ). من مؤلفاته: «البدور المنورة في الأحاديث المشتهرة»، و«تعبير المناجات»، و«المصاييح السنية في طب خير البرية» وغيرها. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٩٤).

(٦) انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/ ١٢٥)؛ حاشية القليوبي على منهاج الطالبين (١/ ٣٥).

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٨٧).



الفرق بين القرآن والمصحف: من خلال الاستعراض اللغوي للفظ: «قرآن»، ولفظ: «مصحف». وما تبعه من تعريف اصطلاحى لهما، نستطيع أن ندرك الفرق بينهما، فيقال في الفرق بينهما إن «المصحف»: اسمٌ للمكتوب من القرآن الكريم، المجموع بين الدفتين، و«القرآن»: اسمٌ لكلام الله تعالى المكتوب في المصاحف<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني

#### حكم الاستهزاء بالقرآن

المسلمون كلهم مجمعون على وجوب احترام كلام الله تعالى، وتعظيمه، وصيانتته عن العيوب والنقائص. فالقرآن كلام الله عز وجل، وهو صفة من صفاته، والله تعالى لم ينزل متكلماً إذا شاء، كما دلّ عليه الكتاب، والسنة، وقاله علماء الإسلام. فلاستهزاء بكلام الله تعالى، أو كتابه، أو محاولة إسقاط حرمة ومهابته كفر صريح لا يُنازع فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ قَدْ كَفَرْتُمْ بَدِئًا لِمُنْكُرِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

هذه الآية الكريمة نصٌ في كفر من استهزأ بالله تعالى، وآياته، ورسوله، سواء استحل ذلك أو لم يستحل، فمجرد الاستهزاء بالمذكورات ردة عن الدين بإجماع علماء المسلمين، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء، كأن يكون مازحاً أو هازلاً.

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَبْتَيْنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَوْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني (٣/ ٨ - ٩).

(٢) رواد مسلم، كتاب الزهد والرفاق، باب: التكلّم بالكلمة يهوي بها في النار (٤/ ٢٢٩٠).

وعن بلال بن الحارث المُرزبي صاحب رَسولِ الله ﷺ يقول: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»<sup>(١)</sup>. وإذا كان هذا الوعيد المذكور في مجرد كلمة، فكيف بمن يستهزئ بكلمات الله تعالى!؟

### الإجماع على كفر الاستهزاء بالقرآن:

وقد أجمعت الأمة على كفر من استهزأ بالقرآن العظيم، أو بشيء منه، ولو كانت آية واحدة، وممن صرح بحكاية الإجماع: القاضي عياض، والإمام النووي، والقاضي ابن فرحون المالكي - رحمهم الله تعالى - وفيما يلي نقل أقوال العلماء في ذلك:

- ١ - القاضي عياض رحمته الله يحكي إجماع المسلمين على كفر من استهزأ بالقرآن العظيم، أو بشيء منه، فيقول: «اعلم أن من استخفَّ بالقرآن أو بالمصحف، أو بشيء منه، أو سبهما... فهو كافرٌ بإجماع المسلمين»<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - الإمام النووي رحمته الله يحكي الإجماع صراحةً بقوله: «وأجمعوا على أن من استخفَّ بالقرآن، أو بشيء منه... كفر»<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - القاضي ابن فرحون المالكي رحمته الله يحكي إجماع أهل العلم على كفر

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب: ما جاء في قلة الكلام (٣/٣٨٢) (ح ٢٤٢١). وقال: «حديث حسن صحيح».

وصحَّحه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: (٢/٢٦٩) (ح ١٨٨٨).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/١١٠).

(٣) المجموع (٢/١٩٣). وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٨٨).

(٤) هو إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري، المدني، المالكي (أبو الوفاء) ولد بالمدينة (٧١٩هـ)، وتفقه، وبرع، وصنّف، وجمع، وولي قضاء المدينة. توفي سنة (٧٩٩هـ). من مصنفاته: «شرح مختصر ابن الحاجب»، و«الديباج المذهب» في أعيان المذهب. انظر: الدرر الكامنة (١/٤٨)؛ شذرات الذهب (٦/٣٥٧).

من استخفَّ بالقرآن، قائلاً: «ومن استخفَّ بالقرآن، أو بشيء منه، أو جحدته، أو حرفاً منه، أو كذب بشيء منه، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبتته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر بإجماع أهل العلم»<sup>(١)</sup>.

٤ - الإمام الشافعي<sup>(٢)</sup> رحمه الله حيث قال:

«... مَنْ ذَكَرَ كِتَابَ اللَّهِ، أَوْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَوْ دِينَ اللَّهِ بِمَا لَا يَنْبَغِي... فَقَدْ نَقَضَ عَهْدَهُ، وَأَجَلَ دَمَهُ، وَبَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك نُقِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ عَمَّنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: هَذَا كَافِرٌ، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٤)</sup> لَا تَهْتَدُونَ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥ - ٦٦]»<sup>(٤)</sup>.

٥ - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:

«وليس لأحد استعمال القرآن لغير ما أنزل الله له... ثم إن أخرج مخرج الاستخفاف بالقرآن، والاستهزاء به، كفر صاحبه»<sup>(٥)</sup>.

٦ - نصوص علماء الحنفية رحمهم الله تعالى:

\* جاء في الفتاوى البزازية:

«ادخال القرآن في المزاح، والدُّعَابَةُ كُفْرٌ؛ لِأَنَّهُ اسْتِخْفَافٌ بِهِ»<sup>(٦)</sup>.

\* وفي تيمية الفتاوى:

«مَنْ اسْتِخْفَفَ بِالْقُرْآنِ، أَوْ بِالْمَسْجِدِ، أَوْ بِنَحْوِهِ مِمَّا يُعْظَمُ فِي الشَّرْعِ كُفْرٌ».

(١) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (٢/٢١٤).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المظلي الشافعي، إمام المذهب الشافعي، اتفق على ثقته وإمامته وعدالته وحسن سيرته، له أشعار كثيرة، من مؤلفاته: كتاب «الأم»، و«الرسالة». ولد سنة (١٥٠هـ)، وتوفي سنة (٢٠٤هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٤/١٦٣).

(٣) مختصر اختلاف العلماء، للخصاص (٣/٥٠٥).

(٤) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية (ص ٥١٤).

(٥) مختصر الفتاوى المصرية - لابن تيمية، اختصار: محمد بن علي البعلي (ص ٥٧٨).

(٦) الفتاوى البزازية، لابن البزاز (٣/٣٣٨).

\* وفي جواهر الفقه:

«مَنْ قِيلَ لَهُ: أَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، أَوْ أَلَا تُكْثِرُ قِرَاءَتَهُ؟ فَقَالَ: شَبِعْتُ أَوْ كَرِهْتُ، أَوْ أَنْكَرَ آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ عَابَ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ... كَفَرَ».

\* وفي الفتاوى الظهيرية:

«مَنْ قَرَأَ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى وَجْهِ الْهَزْلِ يَكْفِرُ»<sup>(١)</sup>.

أما بعد: فهذا هو المنقول عن علماء المسلمين على كفر مَنْ استهزأ بالقرآن العظيم، أو بشيء منه، عامداً متعمداً.

عقوبة المستهزئين بكلام الله تعالى:

من المنكر العظيم في القرن العشرين اتّخاذ آيات القرآن هزواً عن طريق الغناء والعزف عليها بالموسيقى، فالقرآن الكريم - الذي هو كلام الله تعالى - له قدره ومكانته في قلوب المسلمين، فالاستخفاف بحرمته، والاستهزاء بشيء منه جرم كبير، وذنب عظيم.

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ ﴿١٤﴾ وَمَا هُوَ بِالْقُرْآنِ ﴿١٣﴾﴾ [الطارق: ١٣ - ١٤]. فكل مَنْ اتّخذ شيئاً من آيات القرآن الكريم للهزل والغناء، والرّفص والطّرب، فقد اتّخذها هزواً ولعباً.

وقد توعدّ الله المستهزئين بكلامه وآياته، بالعذاب المهين، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُوّاً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الجاثية: ٩].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوّاً وَعْرَفْتُمْ الْحَبِيبَةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الجاثية: ٣٤ - ٣٥].

فينبغي أن يُحاسب كلُّ مَنْ يستخفُّ بالآيات الكريمة ويتّخذها للغناء والطّرب واللّعب، فإذا لم يُحاسب مَنْ يفعل ذلك، فقد يفتح باب واسع للتلاعب بشعائر الإسلام، والطّعن في الذات الإلهية، وصفات الله تعالى، والطّعن بأعظم شيء يفتخر به المسلمون.

(١) تهذيب رسالة البدر الرشيد في الألفاظ المكفّرات، لمحمد بن إسماعيل الرشيد (ص ٢٢ - ٢٣). وانظر: شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان، لملا علي قاري (ص ٢٥٠ - ٢٥٤).



## المطلب الثالث

## حكم الاستهانة بالمصحف

مرّ بنا سابقاً في الفرق بين القرآن والمصحف، أنّ المصحف: اسمٌ للمكتوب من القرآن الكريم، المجموع بين الدَّقَتَيْنِ. فينبغي أن يكون له من التَّقدير والاحترام والتَّعظيم والصِّيانة من العيوب والنَّقائص، لما يحتويه من كلام الله تعالى.

والاستهانة - عياداً بالله - بالمصحف، أو بشيء منه، لها صور متعلّقة: كأنَّ تأخذ الفأل منه، أو الاتِّكاء والتَّوسُّد عليه، أو إتلافه وتمزيقه، أو الكتابة عليه، أو إدخاله في أماكن التَّخْلِي، أو الوصِيَّة بدفنه مع الميِّت في قبره، أو إلقائه في القاذورات، أو بلِّه بالرِّيق، أو بلع شيء منه، أو تخطُّبه، أو تركه على الأرض، أو اتِّخاذه وتعليقه للبركة من غير قراءة فيه، أو تلوينه، أو جَحْد شيء منه، أو وطئه بالرجل أو مدها إليه، أو الجلوس عليه، أو وضع شيء فوقه، أو سبه، أو الاستخفاف به، إلى غير ذلك من الصُّور الكثيرة التي تكلم عنها أهل العلم، وأوردوها في مصنِّفاتهم، وحذروا من فعلها والاستهانة بها. وسيكون الحديث عن بعض هذه الصُّور الفعَّة، مع ذكر شيء من حكمها، فيما قاله أهل العلم في ذلك.

## صور من الاستهانة بالمصحف:

## \* الصُّورة الأولى: الاتِّكاء والتَّوسُّد على المصحف.

\* حُكْم الاتِّكاء: صرَّح غير واحد من أهل العلم بحرمه الاتِّكاء على المصحف؛ لكون ذلك امتهاناً وقلة احترام له، وهو الذي نصَّ عليه القرطبي في تفسيره<sup>(١)</sup> وتذكاره<sup>(٢)</sup>، وحكاه غير واحد من الحنابلة عن ابن عبد القوي رحمته الله<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩).

(٢) انظر: التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٨٥).

(٣) هو محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المقدسي، المَرْدَاوي (أبو عبد الله) فقيه، محدث، نحوي، ناظم. ولد سنة (٦٣٠هـ) بمردا من قرى نابلس، وأفتى وصنّف، وتوفي =

قال ابن مفلح<sup>(١)</sup> **كَلَّمَةُ**: «قال ابن عبد القوي في كتابه مجمع البحرين: إنه يحرم الاتكاء على المصحف، وعلى كتب الحديث، وما فيه شيء من القرآن، اتفاقاً»<sup>(٢)</sup>.

\* **حُكْمُ تَوْسُدِ الْمَصْحَفِ**<sup>(٣)</sup>: المستقرئ لنصوص العلماء في هذا الشأن يخلص إلى أن القول بتحريم تَوْسُدِ المصحف على سبيل الامتهان محلٌ وفاق بينهم؛ بل صرَّح بعضهم باعتبار قصد الامتهان للقرآن كفر وردة من فعله.

أما إذا انتفى عن التَّوسُدِ قصد الامتهان والابتذال، فلاهل العلم في حكمه ثلاثة أقوال: التَّحْرِيمُ، والكراهة، والإباحة<sup>(٤)</sup>.

**والرَّاجِحُ فِي التَّوَسُدِ**: أنه محرَّم على الإطلاق؛ لأنَّ صورة الامتهان في التَّوسُدِ حاصلَةٌ، ويستثنى من ذلك حال الضَّرورات؛ لكونها تُبيح المحظورات.

وقد صرَّح بالتَّحْرِيمِ جمع من أهل العلم: كالنَّووي<sup>(٥)</sup>، والرَّزْكَشِي<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>،

= بدمشق سنة (١٦٩٩هـ). ومن مصنفاته: «القصيدة الدَّالية في الآداب الشَّرعية»، و«المنتقى في شرح العمدة لابن مالك في النحو»، و«كتاب طبقات الأصحاب».

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٤٢).

(١) هو محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي، الدمشقي، الحنبلي (أبو عبد الله) فقيه، أصولي، محدث، ولد سنة (٧١٠هـ) ببيت المقدس، وأخذ عن المرزبي، والذهبي، والسبكي، وغيرهم. درس، وأفتى، وناظر، وحَدَّث، وناب في الحكم عن القاضي جمال الدين المرزداوي، وتوفي بدمشق سنة (٧٦٣هـ). ومن مصنفاته: «الآداب الشَّرعية»، و«شرح المتقى».

انظر: الدرر الكامنة (٤/٢٦١)؛ شذرات الذهب (٦/١٩٩).

(٢) الآداب الشرعية (٢/٢٩٧).

(٣) المقصود بتوسُّد المصحف هنا: جعله تحت الرأس عند النوم، أو تحت الوساد.

قال ابن الأثير **كَلَّمَةُ** في «النهاية» (٥/١٨٢): «الوسادُ والوسادة: المَحْدَّة. والجمع: وسائد، وقد وسَدْتُهُ الشيءَ فتوسَّدته، إذا جعلته تحت رأسه».

(٤) انظر تفصيل هذه الأقوال في كتاب: الْمُتَحَفُّ فِي أَحْكَامِ الْمَصْحَفِ (ص ٤٧٢ - ٤٧٣).

(٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٢٣٢).

(٦) هو محمد بن عبد الله بن بهادر المصري، الرَّزْكَشِي، الشَّافعي (أبو عبد الله) فقيه، أصولي، محدث، أديب، تركي الأصل، مصري المولد سنة (٧٤٥هـ)، رحل إلى الشَّام وسمع من علمائها، انقطع للعلم واشتغل بالتدريس والإفتاء. وتوفي بمصر سنة (٧٩٤هـ).

من تصانيفه: «النُّكْت على البخاري»، و«البحر المحيط في أصول الفقه». انظر: الدرر الكامنة (٣/٣٩٧)؛ شذرات الذهب (٦/٣٣٥).

(٧) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/١٠٧).

والهيتمي<sup>(١)</sup>، وابن قدامة<sup>(٢)</sup>، وغيرهم. \* الصورة الثانية: إتلاف المصحف وتمزيقه. \* حكمها: لا خلاف بين أهل العلم - رحمهم الله - في تحريم إتلاف المصاحف على وجه الاستخفاف، بل قد صرح بعضهم بكون ذلك باباً من أبواب الردة<sup>(٣)</sup>، والعياذ بالله من هذا الحال.

فإن كان الإتلاف لا على وجه الاستخفاف، ويمكن الانتفاع به، فلا يجوز إتلافه، صرح بذلك غير واحد من أهل العلم، كابن عبد الهادي الحنبلي<sup>(٤)</sup> حيث قال: «ولا يجوز دفن مصحف صحيح، ولا غسله»<sup>(٥)</sup>.

### الحالات التي يجوز فيها إتلاف المصاحف:

جوز أهل العلم - رحمهم الله - إتلاف المصاحف إذا تحقق فيها واحد من جملة أسباب<sup>(٦)</sup>:

- ١ - إذا كانت عتيقة بالية قد تعطل نفعها.
- ٢ - إذا تنجست بما يتعذر معه تطهيرها.
- ٣ - إذا دخلها خلل يخاف معه على الجهال من الضلال، إمّا لكثرة السقط فيها، أو كثرة اللحن، أو دسّ فيها ما ليس منها، أو كان رسمها مخالفاً لرسم المصحف الإمام.

(١) انظر: الفتاوى الحديشية (ص ١٦٣). (٢) انظر: المغني (٣/١٥٠). (٣) انظر: التبيين في آداب حملة القرآن (ص ٢٠٢)؛ مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/٣٨٢)؛ الآداب الشرعية (٢/٢٩٧).

(٤) هو جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي، الحنبلي، ولد سنة (٨٤٠هـ) من أهل الصالحية بدمشق. محدث، فقيه، نحوي، صرفي، مشارك في عدة علوم، وتوفي بدمشق سنة (٩٠٩هـ). من تصانيفه الكثيرة: «النهاية في اتصال الرواية»، و«الميرة في حلّ مشكل السيرة»، و«إرشاد السالك إلى مناقب مالك»، وغيرها. انظر: شذرات الذهب (٨/٤٣).

(٥) مغني ذوي الأفهام، لابن عبد الهادي (ص ٢٥).

(٦) انظر: الإتيقان في علوم القرآن (٢/١٧٢)؛ تفسير القرطبي (١/٥٤ - ٥٥)؛ الآداب الشرعية (٢/٢٩٦)؛ المعيار المغرب، للونشريسسي (١/٢٩ - ٣٠)؛ تحفة المحتاج وحواشيها، للهيتمي (١/٣٢٣ - ٣٢٤)؛ المثخف في أحكام المصحف (ص ٣٧ - ٤١).



- \* **الصورة الثالثة: إدخال المصحف في أماكن التخلي.**
- \* **حكمها:** لا خلاف بين أهل العلم في حظر إدخال المصحف في أماكن التخلي ونحوها لغير ضرورة؛ لكون الدخول بها مع انتفاء الضرورة ضرباً من الامتهان، وإخلاقاً بما يجب لها من التعظيم. وجمهور أهل العلم - رحمهم الله - على تحريم الدخول بالمصحف إلى الخلاء، وأماكن قضاء الحاجة، سواء كان ذلك في البنيان أو خارجها، ما لم تدع إلى ذلك ضرورة<sup>(١)</sup>.
- \* **الصورة الرابعة: إدخال المصحف في القبر.**
- \* **حكمها:** صرح غير واحد من أهل العلم بتحريم دفن المصحف مع الميت في القبر؛ لكون ذلك بدعة في الدين، إذ لم ينقل عن السلف الصالح أنهم فعلوه، وفيه تعريض المصحف للتلوث بصديد الميت إذا انفجر. وقد أفتى بعض أهل العلم بوجوب نيش القبر إذا دفن فيه مصحف، لا سيما إذا طُمع بالانتفاع بالمصحف، بأن يخرج سليماً، وأمن من كشف عورة الميت.
- وبعضهم أفتى بعدم انفاذ وصية من أوصى بدفن المصحف معه؛ لأنه يؤول إلى امتهان القرآن وتلوينه، وهو أمر محرّم<sup>(٢)</sup>.
- \* **الصورة الخامسة: بلع شيء من المصحف.**
- \* **حكمها:** الظاهر من كلام أهل العلم - رحمهم الله - أنه لا يجوز لأحد أن يتلع شيئاً من المصحف، لا على سبيل الاستشفاء، ولا غيره؛ لكونه بدعة في الدين، وامتهاناً للكتاب المبين، وذلك بتعريضه لأخلاق الجوف المستقذرة، وقد صرح غير واحد من أهل العلم بتحريم بلع قرطاس كتب فيه قرآن، أو اسم من أسماء الله تعالى، وممن صرح بذلك: الهيثمي<sup>(٣)</sup>.
- (١) انظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد، للمرداوي (١/٩٤)؛ حاشية ابن عابدين (١/١١٩)؛ المغني (١/١٥٨).
- (٢) انظر: تحفة المحتاج (٣/١٢٧)؛ حاشية ابن عابدين (١/٦٧٠)؛ المعيار المعرب (١/٣١٩).
- (٣) انظر: الفتاوى الحديثة (ص ١٦٥).



والرَّملي (٢٧١)، والعبَّادي (٣) (٤) من علماء الشَّافعية - رحمهم الله جميعاً. لهذا نقول:

\* **الصُّورة السَّادسة: التَّبْرُك بالمصحف.**

\* **حكمها:** إنَّ التَّبْرُك بالمصحف بوضعه في المنزل، أو المكتب، أو

السَّيَّارة، دُونَ القِراءة فِيهِ البَتَّة، يُعَدُّ ضَرْباً مِنَ البِدْع، وَصُورَةٌ فَجَّةٌ مِنَ صُورِ هِجْرِهِ وَالاِسْتِهَانَةِ بِهِ، وَاسْتِعْمَالُهُ فِي غَيْرِ مَا أَنْزَلَ لَهُ (٥).

فقد جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَعْرَتُّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ قَلْباً وَهِيَ الْقُرْآنُ» (٦).

وجاء في (الأدب الشَّرعية) عن ابن الجوزي رضي الله عنه: «وَلْيَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَصْحَفٌ أَنْ يَقْرَأَ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ آيَاتٍ يَسِيرَةٍ؛ لئَلَّا يَكُونَ مَهْجُوراً» (٧).

\* **الصُّورة السَّابعة: تلوِيث المصحف.**

\* **حكمها:** لا خلاف بين أهل العلم - رحمهم الله - في تحريم تلوِيث

المصحف بأيِّ نوعٍ من أنواع الملوِّثات؛ بل صرَّح بعض أهل العلم بأنه لا يحل تلوِيث المصحف بما هو مستقذر، ولو كان ذلك طاهراً، كالرِّيق أو البزاق مثلاً.

(١) هو محمد بن أحمد بن حمزة الرَّملي، المنوفي، المصري، الشَّافعي، ولد بالقاهرة سنة (٩١٩هـ) وولي إفتاء الشَّافعية، ومن تصانيفه: «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للتَّووي»، و«شرح العقود في النَّحو»، و«غاية البيان في شرح زبدة الكلام». توفي سنة (١٠٠٤هـ). انظر: معجم المؤلفين (٦١/٣).

(٢) انظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (١٢٦/١).

(٣) هو أحمد بن قاسم العبَّادي، القاهري، الشَّافعي (شهاب الدِّين) اعلم، فقيه. توفي بالمدينة سنة (٩٩٤هـ). من تصانيفه: «غاية الاختصار في فروع الفقه الشَّافعي»، و«الحواشي والنكات والفوائد»، و«المحجرات على مختصر السَّعد في المعاني والبيان» وغيرها. انظر: معجم المؤلفين (٢٣٠/١).

(٤) انظر: حاشية العبَّادي على تحفة المحتاج (١٥٥/١ - ١٥٦).

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٧٠/٢).

(٦) رواه الرازي في «فضائل القرآن وتلاوته» (ص ١٥٤) (رقم ١٢٥)؛ والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٨٧/١) (رقم ٢٧٣)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٣/٦) (رقم ٣٠٠٧٩)؛ والدَّارمي في «سننه» (٣٠٦/٢) (رقم ٣٣١٩)؛ وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (٧٩/٩).

(٧) الأدب الشَّرعية (٣٠٩/٢).

ولقد اشتد نكير بعض أهل العلم على مَنْ اعتاد بَلَّ الإصبع بريقه عند تقليب ورق المصحف ليسهل عليه ذلك، ولو لم يكن بصنيعه هذا قاصداً لتلوين المصحف<sup>(١)</sup>.

فإن توفّر قَصْدُ التَّلْوِينِ فالظاهر أَنَّ القول بتكفيره محلٌّ وفاق بين أهل العلم. ونصَّ أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي<sup>(٢)</sup> - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في فنونه - على أَنَّ مَنْ قَصَدَ كَتَبَ القرآن بنجس إهانةً له، فالواجب قتله<sup>(٣)</sup>.

\* الصُّورَةُ الثَّامِنَةُ: وطء المصحف.

\* حكمها: لا خلاف بين أهل العلم - رحمهم الله - في كفر مَنْ وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى المصحفِ مستخفاً به؛ وكون ذلك باباً من أبواب الرَّذَّةِ، وصنيعاً يُشْعِرُ بِإِسْقَاطِ حَرَمَةِ المصحفِ، وكذلك الجلوس مباشرة على المصحف استخفافاً به<sup>(٤)</sup>.

فإن كان مضطراً إلى وطء المصحف، أو الجلوس عليه فقد صرَّح بعدم كفره غير واحد من أهل العلم، إعمالاً للعمومات الدالة على رفع الإثم عن المضطر.



(١) انظر: حاشية الشرواني على تحفة المحتاج (١/١٥٣).

(٢) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، الحنبلي (أبو الوفاء) عالم فقيه، أصولي، مقرئ، واعظ. ولد ببغداد سنة (٤٣١هـ)، له مؤلفات كثيرة في الفقه وأصوله، من أشهرها: «كتاب الفنون في شتى العلوم - فيما يزيد عن مائتي مجلد»، و«الفصول»، و«المفردات»، و«عمدة الأدلة». توفي سنة (٥١٣هـ).

(٣) انظر: الذليل على طبقات الحنابلة (١/١٤٢)؛ سير أعلام النبلاء (١٢/١٠٣).

(٤) انظر: الفروع، لابن مفلح (١/١٩٣)؛ كشاف القناع عن متن الإقناع (٦/١٦٨).

(٥) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٣٠٤)؛ قواعد الأحكام، لابن عبد السلام (١/١٩)؛ التبيان، للنووي (ص ٢٠٢، ٢٣٢)؛ الفروع (١/١٩٣)؛ تحفة المحتاج وحواشيها (١/٦١، ١٦٠)؛ الفتاوى الهندية، للشيخ نظام وجماعة من علماء الحنفية بالهند (٥/٣٢٢)؛ حاشية ابن عابدين (٣/٥٦).

## الفصل الثالث

### هجر استماع القرآن

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف السَّماع وأنواعه.
- المبحث الثاني: مظاهر هجر استماع القرآن.
- المبحث الثالث: آداب استماع القرآن.
- المبحث الرابع: فضائل استماع القرآن.
- المبحث الخامس: حُكْمُ الاستماعِ للقرآن وحُكْمُ الإعراضِ عنه.
- المبحث السادس: الآثار الحسنة لاستماع القرآن.





# المبحث الأوّل

## تعريف السَّماع وأنواعه

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: تعريف السَّماع.**

**المطلب الثاني: أنواع السَّماع.**

**المطلب الثالث: أقسام النَّاس في سماع القرآن.**

(١) (ومنه) قوله (٢١/٦٢٦) في قوله (١١٠٧٥) فقالا سيديك... أيضا (٢)  
 (ومنه) قوله (١١/٦٢٦) في قوله (١١٠٧٥) فقالا سيديك... أيضا (٢)  
 (٥١/٦٢٦) ويشد لا يرفها به قاله (١١/٦٢٦) في قوله (١١٠٧٥) فقالا سيديك... أيضا (٢)  
 (١١/٦٢٦) (١١/٦٢٦) في قوله (١١٠٧٥) فقالا سيديك... أيضا (٢)

## المطلب الأول

## تعريف السَّماع

أولاً: «السَّماع» لغة:

جاء السَّماع في اللغة مصدراً مشتقاً من الفعل (سَمِعَ) الذي يدلُّ على إدراك الشيء بالأذن. كما في قوله تعالى: ﴿... أَوِ اللَّيْلِ أَسْمَعُ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].  
يقال: سَمِعَ الشيءَ - بالكسر - (سَمِعاً) و(سَمَاعاً)، وقد يُجمع على (أَسْمَاع) وجمع الأسماع (أَسَامِع) (١).

استعمالات «السَّمع» في القرآن:

ذكر عدد من علماء اللغة لهذا الفعل ومشتقاته استعمالات عديدة، وسوف نعرضُ للمعاني التي وردت في القرآن، وتتعلَّق بموضوع البحث على النحو الآتي:

- ١ - يأتي السَّمع بمعنى القبول والعمل كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١].  
أي: ما تُسمع إلا مَنْ يؤمن بها، وأراد بالإسماع ههنا القبول والعمل بما يسمع؛ لأنه إذا لم يقبل ولم يعمل فهو بمنزلة مَنْ لم يسمع (٢).
- ٢ - يأتي السَّمع بمعنى الاستجابة، كما في قول المصلي: (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ).  
أي: أجاب اللهُ حَمْدَهُ وتقبَّله، وكما في دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ» (٣). أي: لا يُستجاب ولا يعتدُّ به، فكأنه غير مسموع (٤).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٥٧٠)؛ لسان العرب (٦/ ٣٦٣)، مادة: (سمع).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ص ١٥٤)، مادة: (سمع).

(٣) رواه النسائي، كتاب الاستعاذة، باب: الاستعاذة من نفس لا تشبع (٨/ ٢٦٣).

(ح ٥٤٦٧)؛ وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»: (٣/ ١١١٢) (ح ٥٠٥٠).

(٤) انظر: لسان العرب (٦/ ٣٦٤).

٣ - يُعَبَّرُ بِالسَّمْعِ تَارَةً عَنِ الْأُذُنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]. أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، فلا يسمعون ما يفيدهم (١).

٤ - يُعَبَّرُ بِالسَّمْعِ تَارَةً عَنِ الْفِعْلِ (أي: إدراك الشيء بالأذن)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] (٢).

٥ - يُعَبَّرُ بِالسَّمْعِ تَارَةً عَنِ الْفَهْمِ، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: (لم تسمع ما قلت) أي: لم تفهم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]. أي: فهمنا وارتسمنا.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: ٢٣]. أي: أفهمهم بأن جعل لهم قوّة يفهمون بها (٣).

### ثانياً: «السَّماع» اصطلاحاً:

\* عَرَفَهُ الْمُنَاوِي (٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «السَّماع: فَهْمُ (السَّماع) مَا كُوشِفَ بِهِ مِنَ الْبَيَانِ» (٥). والمقصود هنا: سماع التدبّر والتّفكير لا مجرد السَّماع.

\* وذكر ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حقيقته بقوله: «وحقيقة السَّماع: تنبيه القلب على معاني المسموع، وتحريكه عنها طلباً أو هرباً، وحبّاً أو بغضاً» (٦).

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٣٥).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٢٤٨)، مادة: (سمع).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص ٢٤٩).

(٤) هو عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين بن يحيى بن محمد الحدادي ثم المناوي، القاهري، الشافعي، ولد سنة (٩٥٣هـ)، وتوفي سنة (١٠٢١هـ)، نبغ في العربية والتفسير والحديث والأدب، وقد خلط بعضهم بينه وبين ابنه محمد بن عبد الرؤوف المتوفى سنة (١٠٢٢هـ)، ولابنه هذا شرح على التائية الكبرى للفارضي. ولعبد الرؤوف المناوي تصانيف كثيرة منها: «الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور»، و«إتحاف الناسك بأحكام المناسك»، و«الجواهر المضية في الأحكام السلطانية» وغيرها.

انظر: مقدمة فيض التقدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (١/٩ - ١٠).

(٥) التوقيف على مهمّات التعاريف، للمناوي (ص ١٩٧).

(٦) مدارج السالكين (١/٥١٧).

فلاستماع إذاً: هو قصد السَّماع بغية فهم المسموع، أو الاستفادة منه<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: الفرق بين (السَّماع) و(الاستماع) و(الإنصات):

يتعين علينا - قبل الدُّخول في غمار مباحث «استماع القرآن» - أن نفرِّق بين السَّماع، والاستماع، والإنصات<sup>(٢)</sup>.

١ - السَّماع: هو مجرد استقبال الأذن للذبذبات صوتية من مصدر مُعيَّن، دون إعارتها انتباهاً مقصوداً. فقد يكون بقصد، أو بدون قصد. فالإنسان يسمع كلَّ ما يقال حوله، وقد يتبَّه إلى ما يسمع وقد لا يتبَّه.

٢ - الاستماع: هو مهارة يُعطي فيها المستمعُ اهتماماً خاصاً، واهتماماً مقصوداً لما تتلقَّاه أذنه من أصوات؛ ليتمكَّن من استيعاب ما يُقال.

فلنلاحظ هنا أنَّ مرتبة الاستماع أعلى من السَّماع؛ لأنَّ الاستماع لا بدُّ أن يتوقَّر فيه القصد، ولذلك أمرنا الله تعالى عند تلاوة القرآن علينا بقوله: ﴿فَأَسْتَمِعُوا﴾ ولم يقل: «اسمعوا».

٣ - الإنصات: هو المرتبة الأعلى؛ لأنَّ فيه تركيزاً أكبر، من الانتباه والإصغاء والسُّكون، من أجل هدف محدَّد.

### السَّمع أهمُّ حاسةً للتلقِّي:

ولا بدُّ من الإشارة إلى أنَّ الاستماع مهارةٌ تحتاج إلى درجة من التركيز وصفاء الذَّهن، وغالباً ما يلازمها سكوتٌ وإنصاتٌ؛ لإدراك المعاني المقصودة التي يتحقَّق بها غرض المُلقِّي، فالإحساس بالسَّمع مركز هامٌّ من مراكز الإدراك والفهم، لما يجري حول الإنسان من أحداث.

والإنسان الرَّاشد يتعلَّم عن طريق السَّمع، أكثر ممَّا يتعلَّم عن طريق آية حاسةٍ أخرى، وقد يكون ذلك عائداً لأسباب عدَّة، منها: أنَّ مدى السَّمع أكبر ممَّا تصل إليه آية حاسةٍ أخرى منفردة كالبصر مثلاً، وأنَّ أوَّل ما يعمل من حواسِّ عند

(١) انظر: المصباح المنير (ص ١٥٠)، مادة: (سمع)؛ الفروق في اللُّغة (ص ٨١)؛ حاشية القليوبي على شرح المنهاج (٣/٢٩٧).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (ص ٤٤٩).



الإنسان هو السَّمع، وهو أيضاً آخر حاسة تموت، وهو من ناحية التَّركيب الفيزيولوجي للدِّماغ أعمق في التَّركيب من الحواسِّ الأخرى كالبصر مثلاً، ولعلَّ هذا من أسرار تقديمه في مُعظم الآيات، إنَّ لم نُقلِّ جميع الآيات، التي جَمعت بين السَّمع والبصر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] (١).

### المطلب الثاني

### أنواع السَّماع

قسَّم العلامة ابن القيم رحمته الله «السَّماع» إلى ثلاثة أنواع، وأطال في ذلك وأجاد، وخلاصة هذه الأنواع فيما يلي (٢):

#### النوع الأول: السَّماعُ المرَضِيُّ:

فهذا السَّماع قد أمر الله به عباده، وأثنى على أهله، ورضي عنهم به، وذمَّ المعرضين عنه ولعنهم، وجعلهم أضلَّ من الأنعام سبيلاً، وهم القائلون في النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

فالله تعالى أوردهم النَّارَ؛ لأنَّهم أعرضوا عن سماع آياته المتلوة التي أنزلها على رسله عليهم السلام.

#### السَّماعُ المرَضِيُّ يَمُرُّ بثلاث مراحل:

##### المرحلة الأولى: سماع الإدراك.

وفي هذه المرحلة يكون السَّماع بحاسة الأذن، كما في قول مؤمني الجنِّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١ - ٢]. وقولهم: ﴿يَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

(١) انظر: أثر سماع القرآن الكريم على مستوى الأمن النَّفسي (رسالة ماجستير تخصص علم النَّفس التربوي) - جامعة اليرموك - الأردن) للباحثة: عندليب بنت أحمد عبد الله (ص ١٣ - ١٤).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥١٧ - ٥٢٣).

المرحلة الثانية: سماع الفهم.

وهذا السَّماع منفي عن أهل الإعراض والغفلة بقوله تعالى: ﴿فَأِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ ۚ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الروم: ٥٢].

كما أنه منفي عن الكفار بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]. أي: لو علم الله عز وجل في هؤلاء الكفار قبولاً وانقياداً لأفهمهم، ولأفهمهم قد سمعوا سَمْعَ الإدراك ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ أي: ولو أفهمهم لما انقادوا، ولا انتفعوا بما فهموا؛ لأنَّ في قلوبهم من داعي التَّوَلَّى والإعراض ما يمنعهم عن الانتفاع بما سمعوه.

المرحلة الثالثة: سماع القبول والإجابة.

ومن أمثلة ذلك: قول المؤمنين: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، فإنَّ هذا سَمْعٌ قبولٍ وإجابة، مثمرٌ للطاعة.

وسماع القبول والإجابة متضمَّن للمراتب الثلاث؛ لأنَّ المؤمنين أدركوا المسموع، وفهموه، واستجابوا له، فاستحقُّوا بذلك محبة الله لهم، ورضاه عنهم، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

فكلُّ سماع في القرآن مدح الله أصحابه، وأثنى عليهم، وأمر به أوليائه؛ فهو هذا السَّماع.

وهو سماع الآيات، لا سماع الأبيات، وسماع القرآن، لا سماع مزامير الشيطان، وسماع كلام ربِّ الأرض والسَّماء، لا سماع قصائد الشعراء، وسماع الأنبياء والمرسلين، لا سماع المغنِّين والمطربين. فحرام على قلب قد تربَّى على غذاء السَّماع الشيطاني، أن يجد شيئاً من ذلك في سماع القرآن.

فهذا السَّماع حادٍ يحدو القلوب، إلى جوار عَلام الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفراح، فليس في نعيم أهل الجنة أعلى من رؤيتهم وجه الله محبوبهم ﷻ عياناً، وسماع كلامه منه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: المصدر نفسه (١/٤٨٥).

النوع الثاني: السَّمَاعُ المنهِيٌّ عنه: نَقَفَ مَاءٌ تَهْتَابُ وَيُتَلَا سَمْعًا  
فهذا سماع يُبغضه الله ويكرهه، وقد نهى عنه، ومدح المعرضين عنه، وهو سماع كلِّ ما يضرُّ العبد في قلبه ودينه؛ كسماع الباطل كله، وكسماع اللغو الذي مدح التَّاركين لسماعه والمعرضين عنه بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَكَعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧].

واللغو في اللغة: كلُّ ما هو باطل، ولا يفيد فائدة<sup>(١)</sup>. ومعنى ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: أكرموا أنفسهم عن الدُّخول فيه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ الغناء بُنيت التَّفاق في القلب كما يبيت الماء البقل»<sup>(٢)</sup>.

### النوع الثالث: السَّمَاعُ المباح:

لم يتحدَّث ابن القيم رحمته الله عن أمثلة للسَّماع المباح، وقد فصل أبو حامد الغزالي رحمته الله أنواعه، وذكر منها: غناء الحجيج لأشعار تصف الكعبة، والمقام، وزمزم، وسائر المشاعر؛ لما في ذلك من تهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى، ومنها: ما يعتاده النَّاسُ لتحريض النَّاسِ على الغزو، ومنها: السَّماع في أوقات الشُّرور تأكيداً للشُّرور وتهيجاً له، إن كان ذلك الشُّرور مباحاً<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الثالث

### أقسام النَّاسِ فِي سَمَاعِ الْقُرْآنِ<sup>(٤)</sup>

انقسم النَّاسُ - مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم - في سماعهم للقرآن العظيم إلى أربعة أصناف، كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمته الله<sup>(٥)</sup>:

#### الصَّنْفُ الأوَّلُ: مُعْرَضٌ مُتَمَتِّعٌ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ:

وهؤلاء هم أئمَّة الكفر الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَىٰ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

(١) انظر: تفسير السمعاني (٤/٣٥). (٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٣٠٣).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٧٧ - ٢٧٩).

(٤) المقصود بسماع القرآن هنا: سماع القبول والإجابة.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٨ - ١٥).

**الصَّنْفُ الثَّانِي: سَمِعَ الصَّوْتِ وَلَمْ يَفْقَهُ الْمَعْنَى:**

وهؤلاء هم عامة الكفار، من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وأمثلة ذلك كثيرة في الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَوَّ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَنْوَبُوا إِلَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥].

ومثَّل هؤلاء - الذين يسمعون الصَّوت ولا يفقهون المعنى - كَمَثَلِ مَنْ يَعْلَمُ وصفاً مذموماً، ويكون هو متَّصفاً به، أو بعضاً من جنسه، ولا يعلم أنه داخل فيه.

وهؤلاء شرٌّ - عند الله تعالى - من شرار الدواب؛ لأنَّ الله أعطاهم أسمعاً وأبصاراً وأفئدة؛ ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه<sup>(١)</sup>؛ فهؤلاء لا خير فيهم بنصِّ كلام الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢ - ٢٣].

ودلَّت الآية الكريمة على أنه ليس كلُّ مَنْ سَمِعَ وفقه يكون فيه خير، بل قد يفقه ولا يعمل بعلمه، فلا ينتفع به ولا يكون فيه خير، ودلَّت أيضاً على أنَّ إسماع التَّفهيم إنما يُطلب لمن فيه خير؛ لأنَّه هو الذي ينتفع به<sup>(٢)</sup>.

**الصَّنْفُ الثَّلَاثُ: فَهِمَ الْمَعْنَى وَلَمْ يَقْبَلْهُ:**

وهؤلاء هم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَدَعْنَا لِيَأْ بِالسِّنِّينَمْ وَطَمَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْرَبَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]. وقال تعالى فيهم: ﴿أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ

(١) انظر: تفسير السعدي (٢/١٩٦).

(٢) تأمل نماذج أيضاً لهذا الصَّنْفِ من النَّاسِ في آيات السُّور الآتية، وأرقامها: (يونس: ٤٢ -

٤٤) (الإسراء: ٤٥ - ٤٧) (الكهف: ٥٧) (الأنفال: ٢٠).



قَرِيبٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٧٥﴾.

فاليهود وإن سمعت قلوبهم الخطابَ وفقهته لا تقبله، ولا تؤمن به، لا تصديقاً له، ولا طاعةً، وإن عرفوه، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَحَرِّفُونَهُ كَمَا يَحَرِّفُونَ آيَاتِنَا هُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ولا يقتصر الأمر على اليهود فقط، ففي عالمنا اليوم نجد طوائف من العلمانيين والعقلانيين وغيرهم الذين يفقهون المعنى ولا يقبلونه.

### الصَّنْفُ الرَّابِعُ: سَمِعَ الْقُرْآنَ سَمَاعَ فَحِهِ وَقَبُولٍ:

وهؤلاء هم المؤمنون بالقرآن العظيم، المنقادون له ظاهراً وباطناً، وقد أثنى الله تعالى عليهم في مواضع كثيرة من القرآن، منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَلَاوَةً إِيْمَانًا فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْعِبَرِ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأحاف: ٢٩ - ٣١].







## المطلب الأول

### مظاهر هجر استماع القرآن لدى الكفار

لولا أن الله ﷻ ذَكَرَ فِي كتابه الكريم أن أقواماً أعرضوا وامتنعوا عن استماع القرآن - طوعاً واختياراً - لما كان يتصوّر المؤمن، ذو الفطرة السليمة، أن أحداً من البشر يجرؤ على حرمان نفسه - في الدنيا - من التلذذ بكلام الله تعالى، وعلى هلاكها في الآخرة.

وهذا النوع من البشر - المعرض عن سماع القرآن - لا خير فيه، بل هو من شرار الدواب، الذين وهب الله تعالى لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ومع ذلك استعملوها فيما يعود عليهم بالضرر، وجحدوا نعمة الله وهم يعلمون.

وإعراض الناس عن استماع القرآن يأخذ مظاهر عديدة: فتارة بالتواصي بعدم السماع، وتارة بالإعراض والاستكبار عن السماع، وتارة بالتعامي والتصام عن السماع، وتارة بالاستهزاء حال السماع، وتارة بالضجر والتأفف، وتارة بالإزلاق بالعيون، وتارة بالتهاون والتغافل عن السماع، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل والبيان، من خلال بسط مظاهر هجر استماع القرآن لدى الكفار.

#### ١ - الإعراض عن سماع القرآن:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

فمن أكبر الجرم، وأعظم الظلم للنفس أن يُعرض الإنسان عن القرآن العظيم، الذي فيه سعادته في الدنيا، ونجاته يوم القيامة، فلم يفتح مسامعه للآيات البيّنات، ولم يتذكّر بما ذُكّر به، ونسي ما قدّمت يده من الكفر والمعاصي ولم يتفكّر في عاقبتها.

فجاءت عقوبته من جنس عمله: بأن سُدَّتْ عنهم أبواب الهداية، وجُعِلت



الأغطية المحكّمة على قلوبهم، وجعل الصّم في آذانهم يمنعهم من وصول الآيات، ومن سماعها على وجه الانتفاع بها، جزاء وفاقاً. وما ذاك زعماء الكفرة \* وحكى الله تعالى - في موضع آخر - إعراض الكفار عن القرآن العظيم بقوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَإِذَا نَادَيْنَا وَفَرُّوا مِنَّا وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَصِيُونَ ﴿٥﴾ [فصلت: ٤ - ٥].

تبيّن هذه الآية الكريمة أنّ أكثر الخلق معرضون عن القرآن الكريم، لا يسمعون له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعاً تقوم به الحجّة الشرعية عليهم<sup>(١)</sup>.

وتبجّع المعرضون: بأنّ قلوبهم في أغطية فلا تصل إليها الآيات، وآذانهم صماء فلا تسمع الآيات المتلوّة، وضربوا حجاباً معنوياً بينهم وبين النبيّ الكريم ﷺ؛ لقطع جميع منافذ الاتصال، إمعاناً في العناد من جهة، وبغية تبيسه ﷺ من جهة أخرى؛ ليكفّ عن دعوتهم بالقرآن العظيم، لما كانوا يجدونه في قلوبهم من وقع آياته عليهم، فأى إعراض أكبر من ذلك؟<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - الاستكبار عن سماع القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرْفًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ [لقمان: ٧].

فهذا أعظم من مجرد الإعراض؛ لأنّ إعراضه إعراض استكبار، لا إعراض تقريط في الخير وزهد فيه فحسب، ولذلك بُشّر هذا المستكبر المعرض عن القرآن الكريم، بالعذاب المؤلم لقلبه وبدنه في الآخرة، جزاء لاستكباره عن سماع القرآن في الدنيا.

\* ولا يليق بمنّ يُعرض عن القرآن، ويتكبّر عن سماع آياته إلاّ التّهديد والتّنكيل، والسّخرية منه، قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَمِيعُ مَا كَذَبَ اللَّهُ تَنَلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُبَشِّرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ [الجاثية: ٧ - ٨].

فُتصوّر هذه الآيات الكريمات جانباً من استقبال المشركين للقرآن،

(١) - انظر: تفسير السعدي (١/٧٤٤). (٢) - انظر: في ظلال القرآن (٥/٣١٠٨).

وإصرارهم على باطلهم، واستكبارهم عن سماع كلمة الحق المبين، ومكابرتهم في هذا الحق كأنه لم يطرق آذانهم.

وهذه الصورة البغيضة تتكرر في كل زمان ومكان، فكم في الأرض من يسمع آيات الله تتلى عليه، ثم يُصِرُّ مستكبراً كأنه لم يسمعها؛ لأنها لا تُوافق هواه، ولا تسير مع مآلوفه، ولا تعاونه على باطله، ولا تُقرِّه على شره، ولا تتمشى له مع اتجاه<sup>(١)</sup>.

### ٣ - التواصي بعدم سماع القرآن:

من أبرز مظاهر هجر سماع القرآن: ما دعا إليه أئمة الكفر - وصيَّة لأتباعهم - بعدم السَّماع للقرآن الكريم ابتداء، خشية أن يؤمنوا به بعد استماعهم له، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِنَدْبِ الْقُرْآنِ وَالْفَوَاقِرِ لَعَلَّكُمْ تَقْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ولكنَّ مكرهم ذهب أدراج الرياح وغلب القرآن العظيم؛ لأنه يحمل سرَّ الغلب، إنه الحق؛ والحقُّ غالب مهما جُهد المبطلون<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر التواصي فيما بينهم بعدم سماع القرآن: أن بعضهم يُعْتَفِ بعضاً ويلومه، ويعيب عليه، إذا ما حاول - قاصداً أو ناسياً - سماع القرآن، يقول الله تعالى حاكياً هذا التواصي فيما بينهم: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ تُخَذِّتْ إِلَّا آسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلَكُم مَّا أَفْتَأْتُونَكَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢ - ٣].

لقد نعتوا القرآن بالسُّحر، ونعتوا أنفسهم بالإبصار، وحقيقة الأمر على غير ذلك، فما القرآن إلا وحي مؤثِّر من خالقهم، وما ادَّعأوهم الإبصار إلا محاولة تبرير ضعيفة، وهروب منهزمة، يسترون تحتها ما في نفوسهم، من استكبار وعتو، وتواصي على عدم الانصياع للحقِّ، وحرص على استخدام كلِّ الأساليب الإعلامية، التي تمنع وصول أيِّ أثر لهذا البثِّ القرآني المؤثِّر في النفوس<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المصدر نفسه (٥/٣٢٢٤).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٥/٣١٢٠).

(٣) انظر: الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، د. محمد عطا أحمد يوسف، مجلة الشريعة =

## ٤ - البطش بمن يقرأ القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ [الحج: ١٧٢].

ومن أبرز مظاهر هجر سماع القرآن: أن تغضب النفوس، وتعبس الوجوه، ويصيب القلوب من الغم والحزن والكرهية لدى سماع القرآن.

فهذا هو حال الكفار عند سماعهم للقرآن العظيم، تكاد هذه الكراهية لسماع الآيات أن تتحول إلى البطش والفتك بمن يقرأ عليهم القرآن.

## ٥ - التعمي والتصام عن القرآن:

كان النبي ﷺ يجتهد في إيصال حقائق القرآن الإيمانية إلى قومه ولا يزيدهم ذلك إلا تصميماً على الكفر، وتمادياً في الغي، فقال تعالى مبيناً حالهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعْمُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْأَصْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ [يونس: ٤٢ - ٤٣].

فقد كان فريق منهم يستمعون إلى النبي ﷺ - وقت قراءته للوحي - لا على وجه الاسترشاد، بل على وجه التفرج والتكذيب، وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع، فقد انسَدَّ عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع.

فلو جهر النبي ﷺ بالقرآن، فإنهم لا يستمعون القول. فإذا كان من المحال إسماع الأصم، الذي لا يعقل الكلام، فهؤلاء المتصامون كذلك، ممتنع إسماعك إياهم إسماعاً ينتفعون به.

وحتى نظرهم إليك لا يفيدهم؛ لأنهم تعاملوا عن الحق، فكما أنك لا تهدي العمي، فكذلك لا تهدي هؤلاء. فإذا فسدت عقولهم، وأسماعهم، وأبصارهم - التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق - فأنى لهم أن يهتدوا؟<sup>(١)</sup>

والمقصود من ذلك: تسلية النبي ﷺ، بأن هؤلاء المتعامين المتصامين قد بلغوا في مرض العقل إلى حيث لا يقبلون العلاج. والطبيب إذا رأى مريضاً لا

(١) = والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت (عدد: ٣٦) (شعبان ١٤١٩) (ص ٦٩ - ٧٠).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٢/ ٣٢١).



يقبل العلاج أعرض عنه، ولم يستوحش من عدم قبوله للعلاج، فكذلك وجب عليك - أيها النبي الكريم ﷺ - ألا تستوحش من إعراضهم عن سماع القرآن<sup>(١)</sup>.

\* وبين الله تعالى - في موضع آخر - أن صممهم وعماهم كان بسبب كونهم في ضلال مبين: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠].

\* وفي موضع ثالث تبين أن حالتهم أعظم من الصمم؛ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صبح به، وهؤلاء زالت عنهم تلك الاستطاعة<sup>(٢)</sup>: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١].

## ٦ - الاستهزاء حال سماع القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا أَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

يُخبر تبارك وتعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا تلى عليهم أنهم يقولون - استهزاءً: ﴿قَدْ سَمِعْنَا أَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وفي قوله: ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾ قولان:

أحدهما: قد سمعنا منك ولا نطيعك. والثاني: قد سمعنا قبل هذا مثله»<sup>(٣)</sup>.

«ومن عجيب بُهتانهم أن الرسول ﷺ تحداهم بمعارضة سورة من القرآن، فعجزوا عن ذلك وأُفْحِمُوا، ثم اعتذروا بأن ما في القرآن أساطير الأولين، وأنهم قادرون على الإتيان بمثل ذلك»<sup>(٤)</sup>.

## ٧ - الضجر والتأفف.

يستشعر الكفار ثقل هذا القرآن على نفوسهم، ويتضجرون بما يجدون فيه.

(١) انظر: التفسير الكبير (١٧/٨١). (٢) انظر: المصدر نفسه (٢١/١٤٧).

(٣) زاد المسير (٣/٢٦٤). (٤) التحرير والتنوير (٩/٨٣).



من عجائب الخطاب وروائع البيان، فلا يسعهم إلا أن يُعرضوا عن سماعه، ويطلبوا النبي الكريم ﷺ أن يأتي بقرآن غيره، أو يبدله، ويسجل القرآن عَرْضَهُمْ هذا في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَتَنُنَزِّلَنَّ لَكَ آيَاتٍ أُخْرَىٰ أَوْ بَدِّلَ اللَّهُ قَوْلَ مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُؤْتِي إِلَهِي إِنَّ عَصِيَّتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

إنه طلب عجيب لا يصدر عن جد، إنما يصدر عن عبث وهزل، وعن جهل كذلك بوظيفة هذا القرآن العظيم وجدية تنزيله<sup>(١)</sup>.

فقبَّحهم الله، ما أجراهم على الله، وأشدَّهم ظلماً، وإعراضاً عن سماع كتابه! كيف يتجرؤون بهذه المقولة: ﴿أَنْتَ بِشَرِّهِمْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ؟﴾

فإذا كان الرسول العظيم ﷺ، يأمره الله تعالى أن يقول لهم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ أي: ما ينبغي، ولا يليق بي ذلك؛ فإنني رسول محض، ليس لي من الأمر شيء.

فهذا قول خير البرية، وأدبه مع أوامر ربه ووحيه. فكيف بهؤلاء السفهاء الضالين، أفلا يخافون عذاب يوم عظيم؟<sup>(٢)</sup>.

## ٨ - بُغْضُ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَكَرَاهِيَةُ قَارِئِهِ:

جارحة العين خلقها الله للرؤية، وقد يصدر عنها بعض الحركات، أو الإشارات التي تنبئ عن حالة صاحبها النفسية، والقرآن الكريم يسجل حركة حادة لجارحة العين، تصدر من المعاندين من أهل الكفر عند سماعهم للقرآن، يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنْ نَسْمِعَهُمْ أَلْفًا مَوْعُودًا إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

«وَالزَّلَقُ: بفتحين - زَلَلُ الرَّجُلِ مِنَ ملامسة الأرض من طين عليها أو دهن»<sup>(٣)</sup>. فالإزلاق - إذا - حركة في قَدَمِ الإنسان، تجعلها تزلق، وتفقد توازنها وثباتها على الأرض. وقيل في معنى يزلقونك: يصيبونك بأعينهم.

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣/١٧٧٠). (٢) انظر: تفسير السعدي (٢/٣٠٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/١٠٠).

وقيل: ليس المراد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك<sup>(١)</sup>.

«فهذه النظرات تكاد تؤثر في أقدام الرسول ﷺ فتجعلها تنزل وتزلق، وتفقد توازنها على الأرض وثباتها! وهو تعبير فائق عما تحمله هذه النظرات من غيظ وحقد، وشر وحسد، ونقمة وضغن، وحُمى وسُم، مصحوبة هذه النظرات المسمومة بالسب القبيح، والشتم البذيء، والافتراء الذميمة: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾»<sup>(٢)</sup>.

## ٩ - التهاون والتغافل عن سماع الوحي:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

يُخبر الله تعالى عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يحضرون عند النبي ﷺ فيسمعون كلامه وتلاوته ظاهراً، وفي حقيقة الأمر لم يُصغوا أسماعهم.

فإذا خرجوا قال بعضهم - لمن شاء من المؤمنين الذين علموا وانتفعوا: ماذا قال محمد ﷺ [آنفاً؟

فمنهم: مَنْ يقول هذا استخفافاً. أي: ما معنى ما قال، وما نفعه، وما قدره؟ ومنهم: مَنْ كان يقول ذلك جهالةً ونسياناً؛ لأنه كان في وقت الكلام مُقبلاً على الدنيا، فكان القول يمرُّ عليه صفحاً<sup>(٣)</sup>.

وهذا من أعظم مظاهر هجر سماع الوحي؛ لأنهم حضروا بأبدانهم، وغابت قلوبهم وعقولهم، فهم يسمعون الأصوات فقط، دون أن يعوا مضمون القول. فهؤلاء هم المنافقون الذين ختم الله على قلوبهم؛ لعدم توجُّههم نحو الخير أصلاً.

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/٤٥٦)، تفسير القرطبي (١٨/٢٤٤).

(٢) في ظلال القرآن (٦/٣٦٧١).

(٣) انظر: المحرر الوحي في تفسير الكتاب العزيز (٥/١١٤).

## المطلب الثاني

## مظاهر هجر استماع القرآن لدى المسلمين

لا يقتصر هجر استماع القرآن على الكفار أو المنافقين بل يتعداه إلى فئات من المسلمين الذين تشبَّهوا بهؤلاء بإعراضهم - في كثير من الأحيان - عن سماع القرآن العظيم، مع إيمانهم به، ونحن لا نقصد بعرضنا لمظاهر هجر استماع القرآن عند المسلمين - هنا - عقد مقارنة بينهم، وبين الكفار، أو الجمع بين الحدَّ المشترك بينهما في هجر السَّماع، فشتان بين هجر الكفار، وبين هجر المسلمين للسَّماع، فالمقصود: هو التَّنبيه على هذا السلوك الغير لائق من المسلم في التعامل مع القرآن، وأنه بذلك قد يتشبه بالكافرين، فهل يرضى لنفسه هذا الشَّبه؛ لعلَّه يرتدع ويعود إلى رشده!

وهذا الإعراض يأخذ عدَّة مظاهر: فربَّما يكون بالتشَّاعل بالغناء أو قنوات البثِّ الفضائي عن سماع القرآن، وربَّما يكون بالصَّياح والضَّوضاء في مجالس القرآن، أو يكون بالإعراض عن تفهِّم القرآن وتدبُّره حال سماعهم بأمر مباحة أو محرَّمة، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل والبيان، من خلال النقاط الآتية:

## ١ - التَّشاعل بالغناء عن استماع القرآن:

من أبرز المظاهر التي أدَّت بكثير من المسلمين - إلا مَنْ رحم الله - إلى هجر القرآن الكريم: استماع الغناء والموسيقى، ويلحق بذلك عكوف كثير من جمهور المسلمين أمام قنوات البثِّ الفضائي لمشاهدة ما حرَّم الله تعالى عليهم من ألوان الفسق والفجور، ولا أزيد في هذا المقام على كلام ابن القيم رحمته - الذي أجاد وأفاد بقلمه العذب السَّيال - وهو يصف لنا تأثير الغناء على النَّاس، في صدِّهم عن استماع القرآن العظيم، إذ يقول:

«ومن مكاييد عدوِّ الله ومصايدِهِ، التي كاد بها مَنْ قَلَّ نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المُكاء، والتَّصديَّة، والغناء بالآلات المحرَّمة، الذي يصدُّ القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان. فهو قرآن الشَّيطان، والحجاب الكثيف عن الرَّحمن، وهو



رُفِيَةُ اللُّوَاطِ وَالزَّنَا، وَبِهِ يَنَالُ الْعَاشِقُ مِنْ مَعْشُوقِهِ غَايَةَ الْمَنَى. كَادَ بِهِ الشَّيْطَانُ النَّفُوسَ الْمَبْطَلَةَ، وَحَسَّنَ لَهَا مَكْرًا مِنْهُ وَغُرُورًا، وَأَوْحَى إِلَيْهَا الشُّبُهَةَ الْبَاطِلَةَ عَلَى حُسْنِهِ فَقَبِلَتْ وَخِيَهُ وَاتَّخَذَتْ لِأَجْلِهِ الْقُرْآنَ مَهْجُورًا.

فلو رأيتهم عند ذِيَاكَ السَّمَاعِ وَقَدْ خَشَعَتْ مِنْهُمْ الْأَصْوَاتُ، وَهَدَّاتْ مِنْهُمْ الْحَرَكَاتِ. وَعَكَفَتْ قُلُوبُهُمْ بِكَلِمَتِهَا عَلَيْهِ. وَانصَبَتْ انصَابَةً وَاحِدَةً إِلَيْهِ، فَمَا يَلُوكَا لَهُ وَلَا كَتْمَايِلِ النَّسْوَانِ، وَتَكَسَّرُوا فِي حَرَكَاتِهِمْ وَرَقَصْتُمْ، أَرَأَيْتَ تَكْسُرُ الْمَخَانِيثَ وَالنَّسْوَانَ؟...

فِيَا رَحْمَةً لِلشُّقُوفِ وَالْأَرْضِ مِنْ ذَكِّ تِلْكَ الْأَقْدَامِ، وَيَا سَوَاتَاهُ مِنْ أَشْيَاءِ الْحَمِيرِ وَالْأَنْعَامِ، وَيَا شِمَاتَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ بِالَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ خَوَاصُّ الْإِسْلَامِ، قَضَوْا حَيَاتَهُمْ لَذَّةً وَطَرْبًا، وَاتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا. مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ اسْتِمَاعِ سُورِ الْقُرْآنِ، وَلَوْ سَمِعَ أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ لَمَا حَرَكَ لَهُ سَاكِنًا، وَلَا أَرْعَجَ لَهُ قَاطِنًا، وَلَا أَثَارَ فِيهِ وَجْدًا، وَلَا قَدَحَ فِيهِ مِنْ لَوَاعِجِ الشُّوقِ إِلَى اللَّهِ زَنْدًا، حَتَّى إِذَا تَلَّى عَلَيْهِ قُرْآنَ الشَّيْطَانِ، وَوَلَجَ مَزْمُورُهُ سَمْعَهُ، تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الْوَجْدِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى عَيْنَيْهِ فَجَرَّتْ، وَعَلَى أَقْدَامِهِ فَرَقَصَتْ، وَعَلَى يَدَيْهِ فَصَفَّقَتْ، وَعَلَى سَائِرِ أَعْضَائِهِ، فَاهْتَزَّتْ وَطَرِبَتْ، وَعَلَى أَنْفَاسِهِ فَتَصَاعَدَتْ، وَعَلَى زَفْرَاتِهِ فَتَزَايَدَتْ، وَعَلَى نِيرَانِ أَشْوَاقِهِ فَاشْتَعَلَتْ.

فِيَا أَيُّهَا الْفَاتِنُ الْمَفْتُونُ، وَالْبَائِعُ حَظَّهُ مِنْ اللَّهِ بِنِصْبِيهِ مِنَ الشَّيْطَانِ صَفْقَةً خَاسِرٍ مَغْبُونٍ، هَلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْجَانُ، عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؟<sup>(١)</sup>.

وَيُضِيفُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي مَوْضِعٍ آخَرَ - مَبْيِّنًا الْفَرْقَ بَيْنَ ذَوْقِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَالْمُتَمَثِّلِ فِي حُبِّ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَبَيْنَ ذَوْقِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَالْمُتَمَثِّلِ فِي حُبِّ سَمَاعِ مَزْمَارِ الشَّيْطَانِ، قَائِلًا:

«وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ كَانُوا يَجِدُونَ الْأَذْوَاقَ الصَّحِيحَةَ الْمُتَّصِلَةَ بِاللَّهِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْرُوعَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ وَاسْتِمَاعِهِ، وَفِي مُزَاحِمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ، وَفِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ،

(١) إغاثة اللّهفان من مصاديد الشيطان (١/٣٤٤ - ٣٤٥).



وفي الحبِّ في الله، والبغض فيه، وتوابع ذلك. فصار ذوق المتأخِّرين إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ في السِّراعِ<sup>(١)</sup> والدُّفِّ والمَواصِيل والأغاني المطرِبة، وفي الصُّورِ المستَحسنة والرَّقص والزَّغَمَات، وتعطيل ما يُحِبُّه اللهُ ويرضاه من عِبُودِيَّتِهِ المخالفة لهُوى النَّفوس.

فشتان بين ذوق الأَلحان وذوق القرآن، وبين ذوق العُود والطَّنْبُور، وذوق «المؤمنين» و«النُّور»، وبين ذوق الرُّمْرِ وذوق «الرُّمْرِ»، وبين ذوق النَّاي وذوق «أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْتَشَقَّ الْقَمَرُ»، وبين ذوق المَواصِيل والشَّبَابَات وذوق «يس» و«الصَّافَاتِ»، وبين ذوق غناء الشُّعر، وذوق سورة «الشُّعراء»، وبين ذوق سَماع المِكاء والتَّصدية، وذوق «الأنبياء»، وبين الذُّوق على سَماع تُذَكِّرُ فيه العُيون السُّود والخُصُور والقُدُود، وذوق سَماع سورة «يونس» و«هود»، وبين ذوق الواقفين في طاعة الشَّيطان على أقدامهم صَوافٍ؛ وذوق الواقفين في خدمة الرَّحمن في سورة «الأنعام» و«الأعراف»، وبين ذوق الواجدين على طرب المِثَالث والمِثَالِي، وذوق العارفين عند استماع «القرآن العظيم» و«السَّبْعِ المِثَالِي»، وبين ذوق أولي الأقدام الصَّافَاتِ في حظيرة سَماع الشَّيطان، وذوق أصحاب الأقدام الصَّافَاتِ بين يدي الرَّحمن<sup>(٢)</sup>.

رحم اللهُ ابنَ القِيمِ رَحمةً واسعة، كيف لو رأى تطوُّر هذه المعازف القديمة إلى آلات حديثة، كالكمنجة، والقانون، والأورج، والبيانو، والغيتار، وغيرها، بل إنَّها في الطَّرب والنَّشوة والتَّأثير أشدُّ أثرًا من المعازف القديمة التي ورد تحريمها في بعض الأحاديث.

وتتفاقم المصيبة ويعظم الجرم إذا عُرض الغناء اليوم بصورة فجَّة وفاضحة ومزرية في ما يُسمَّى بـ «الفيديو كليب»، فكيف لقلوب ترى وتسمع هذه الفضائح والمنكرات، أن تُقبل - بعد ذلك - على استماع القرآن العظيم؟!

(١) اليراع: القصة التي يُصفر بها الراعي. انظر: لسان العرب (٤٤٣/١٥)، مادة: (يرع).

(٢) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، لابن القيم (ص ١٠٧ - ١٠٨)، تحقيق: ربيع بن أحمد خلف.

## ٢ - سماع الطَّرب:

من مظاهر هجر استماع القرآن طَرَبُ السَّماع إلى صوت القارئ والانفعال بجماله وعذوبته والاشتغال به عن تدبُّر آياته والانتفاع به، فلا يَتَعَطَّون في مواضع العِظَة ولا ينتهون في مواضع النَّهي، بل الأشدُّ من ذلك تراهم ينفعلون برفع الأصوات بعباراتٍ من مثل: «الله»، «الله يفتح عليك»، «يا سلام»، «الله الله»، «زدنا يا سيدنا الشيخ زدنا» والشيخ يقرأ قوله تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]، فماذا يريد من الزيادة؟! وهذا السَّماع بدعة محدثة، وصارفة عن فهم وتدبُّر القرآن العظيم والانتفاع بمواعظه.

## جاء في (الفتاوى الهندية):

«رفع الصَّوت عند سماع القرآن والوعظ مكروه، وما يفعله الذين يدَّعون الوَجْدَ<sup>(١)</sup> والمحبة لا أصل له، ويُمْنَع الصُّوفية من رفع الصَّوت وتخريف الثَّياب»<sup>(٢)</sup>.

فأين نحن من سلفنا الصَّالح؟ وهم القدوة، وقد اتَّخذنا القرآن أغاني، فالقارئ يتفنَّن في التَّنغيم والتَّلحين، ويخرج به عن سنن التَّرتيل وقواعد التَّجويد، ويعيد الآية عند استحسان السَّامعين للنَّعمة وطلبهم الإعادة، والسَّامع يستخِفُّه الطَّرب، لا من معاني القرآن، بل من حسن التَّوقيع، وأفانين الألحان، ولو أنَّ أعجمياً - لا يعرف القرآن - سمع هؤلاء لحسب أنَّهم يردِّدون ألحان المطربين لا كلام ربِّ العالمين.

وهذا النَّوع من المستمعين عن آيات الله معرضون، لا يفقهون شيئاً ممَّا يسمعون، ولا يُحدث سماع القرآن في قلوبهم من الأثر إلا ما تُحدثه أغنية أو لحن. بل ربَّما تأثروا بكلمات بعض الأغاني أكثر من تأثرهم بسماع القرآن.

فكيف يرجون ثواباً، ويقصدون التَّعبُّد بالقراءة والسَّماع، والأمر على ما وصفنا - حال سماعهم: من حركات طائشة، وكلمات مبتدعة، وضياح

(١) المقصود بالوَجْد: المحبة والهوى. انظر: لسان العرب (١٥/٢١٨)، مادة: (وجد).

(٢) الفتاوى الهندية (٥/٣١٩).

وضَوْضَاء، واستحساناً للتَّعْمَات، وإغراءً بالمزيد منها، وطلب الإعادة للآية لحسن التَّوْقِيع، وانتهاك لحرمة المساجد، وتجاوز في القراءة للحدود المروية عن أئمة القراء رحمهم الله تعالى.

فأين خشية الله، والخوف منه عند سماع آيات العذاب التي تنخلع من هولها القلوب؟ وأين الإنصات والخشوع والتفكير؟ وأين التوبة والاستغفار من الذنوب عند استماع كلام رب العالمين؟<sup>(١)</sup>

### ٣ - التَّشَاغُلُ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ:

وهو حال كثير من المسلمين - إلا من رحم الله - حيث يستمعون إلى القرآن العظيم وقلوبهم مغلقة وأذانهم صمًا، فلا يفقهون شيئاً ممَّا يسمعون، ولا يُعَيِّرُونَهُ اهتماماً؛ لأنَّ المُعْرِضَ لَا يَسْمَعُ حَقِيقَةً، وَإِذَا سَمِعَ لَا يَعِي، أَجْسَامُهُمْ حَاضِرَةٌ، وَعُقُولُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ غَائِبَةٌ، يَسْمَعُونَ الْأَصْوَاتَ دُونَ أَنْ يَفْهَمُوا مَضْمُونِ الْقَوْلِ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ قَدْ حُجِبَتْ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ؛ مِنْ هَوَى، أَوْ لَهْوٍ مُحْرَمٍ، أَوْ انشغال بالدُّنْيَا عَلَى حَسَابِ الْآخِرَةِ، وَلَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ الْيَوْمِ﴾ [لقمان: ٧].

وتراهم يتحدَّثون ويضحكون، وربَّما تَلَفَّظُوا بِبِذْيِ الْكَلَامِ وَالْقُرْآنِ يَتْلَى عَلَى مَسَامِعِهِمْ، أَوْ لَعَبُوا النَّرْدَ أَوْ الْوَرِقَ وَالْقُرْآنَ يَتْلَى، أَوْ سَبَّ أَحَدَهُمْ وَفَجَّرَ وَشَتَمَ وَالْقُرْآنَ يُتْلَى عَلَى مَسَامِعِهِ، وَرَبَّما كَانُوا عَلَى حَالٍ تُعَاكِسُ حَالِ الْآيَةِ الَّتِي تَتْلَى عَلَيْهِمْ؛ فَتَرَى أَحَدَهُمْ يُلَاحِقُ امْرَأَةً بِنِظْرَاتِهِ وَالْقَارِئُ يَتْلُو: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. أَوْ يَسُبُّ وَيَشْتُمُ وَالْقَارِئُ يَتْلُو: ﴿خُذِ الْعَقْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. أَوْ يَسِيءُ لَجَارِهِ وَيُوذِيهِ وَالْقَارِئُ يَتْلُو: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦]<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: القرآن: آداب تلاوته وسماعه، لحسين محمد مخلوف (ص ٢٤ - ٢٦)؛ فقه قراءة القرآن الكريم (ص ٤٩).

(٢) انظر: أنوار القرآن (ص ١٥٦).

وقد حذر الله تعالى المؤمنين من الإعراض عن استماع القرآن؛ لئلا يكون حالهم - في هذا الإعراض - كحال الكفار الذين أعرضوا عن سماع كلام الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠ - ٢١].

إن سماع القرآن ليس بالتمني والتحلي، والادعاء بمجرد السماع، لكنه ما قر في القلوب وصدفته الأعمال. فهؤلاء الكفار ادعوا السماع، وهو مما حذر الله منه المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ فدعواهم فارغة لا حقيقة لها؛ لأنهم سمعوا بأذانهم فقط دون قلوبهم، فأخبر الله تعالى أنهم لا يسمعون سماع تدبر واتعاظ، ولذلك أنزلهم منزلة من لم يسمع أصلاً، بجعل سماعهم بمنزلة العدم. فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكون حالهم كحال هؤلاء في الإعراض عن استماع مواضع القرآن وحججه<sup>(١)</sup>.

وهو ما أكد عليه القرطبي رحمته الله بقوله: «فدللت الآية على أن قول المؤمن: سمعت وأطعت، لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال فعله. فإذا قصر في الأوامر فلم يأتها، واعتمد التواهي فافتحمها، فأبى سمع عنده وأبى طاعة! وإنما يكون حينئذ بمنزلة المنافق الذي يظهر الإيمان، ويسير الكفر؛ وذلك هو المراد بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يعني بذلك المنافقين، أو اليهود، أو المشركين»<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: تفسير القاسمي (٤/٢٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٧٠).





## آداب استماع القرآن

## أمرُ الله النَّبِيِّينَ والمؤمنين بالاستماع:

ذكر الله تبارك وتعالى حال المؤمنين عند استماع آيات القرآن المجيد، بأنهم يُلقون إليها الأسماع في إصغاء وخشوع، وأدب وخضوع، وصمت وأدكار، وتفكير واعتبار، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقبل ذلك أمر الله تعالى النَّبِيِّينَ بالاستماع للوحي عند تلاوته، ونهاهم عن الانشغال عن الاستماع لما يوحى بأي شيء، ولو بتلاوة الوحي نفسه، قال تعالى لموسى ﷺ: ﴿ وَأَنَا أَخَفَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ [طه: ١١٣]. وكان النبي ﷺ إذا قرأ عليه جبريل ﷺ القرآن تعجّل بالقراءة خلفه خشية النسيان، فقال الله له: ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَمِعْ قُرْآنَهُ ۗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]. وقال للمؤمنين: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. فقد جعل الله تعالى الاستماع والإنصات للتلاوة مناط الرحمة؛ ليعلم أن اللغو عند قراءته والتصدية والمكاء، والجلبة والضوضاء من موانع الرحمة، وهو يتنافى مع آداب الاستماع الذي يُحبه الله تعالى ويرضى عنه، من سكون الجوارح، وغيض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور القلب، والعزم على العمل<sup>(١)</sup>.

والاستماع الصحيح قد جعله سفيان الثوري<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللهُ بداية العلم المؤدّي إلى

(١) انظر: فتح الرحمن في بيان هجر القرآن (ص ٩٩ - ١٠١).

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، نسبة إلى (ثور) أحد أجداده، ولد سنة (٩٧هـ)، وكان إماماً من أئمة المسلمين في العلم والفقه والحديث، ثقة، حجة، ثباتاً، حتى قال عنه =

العمل، فقال: «أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر»<sup>(١)</sup>.

والقارئ والسامع شريكان في فضل التلاوة وآدابها، إلا أن القارئ لانشغاله ينطق الآيات ومخارج الحروف، وحرصه على النطق الصحيح، وخوفه الخطأ، وخاصة إذا كانت قراءته في جمع من الناس، فله آدابه...

فالقارئ آله اللسان، واللسان يُعبرُ عما في القلب والعقل، ومعنى هذا أن قلبه يسبق لسانه، وأما المستمع فألته الأذن التي تصبُّ في القلب والعقل، فأذنه تسبق قلبه، فلهذا الاعتبار له آدابه الخاصة به.

وبشكل عام فإن آداب الاستماع هي آداب التلاوة مع بعض الفروق بينهما بسبب ظروف السماع، واختلافها عن ظروف التلاوة أحياناً.

وقد حصر أبو حامد الغزالي رحمته الله: الآداب الباطنة لقارئ القرآن، في عشرة آداب<sup>(٢)</sup>، وأسهب في سردها، فقمّت باختصارها وتغيير سياقها إلى آداب الاستماع - باعتبار اشتراك السامع والقارئ في القرآن، هذا بسماعه، وهذا بقراءته - وأضفت إلى ذلك شيئاً من كلام العلامة ابن القيم، وبعض أهل العلم، وخرجت هذه الآداب في حلة جديدة تناسب وحال السماع، وهي على النحو التالي<sup>(٣)</sup>:

ابن معين وغيره: «أمير المؤمنين في الحديث»، توفي بالبصرة سنة (١٦١هـ).  
انظر: الطبقات الكبرى (٦/٣٧١ - ٣٧٤)؛ البداية والنهاية (١٠/١٣٤).  
(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٢٨٧). وانظر: سنن الدارمي (١٠٧١) (رقم ٣٣٠) بلفظ آخر.

(٢) هي:

- |                     |              |                             |
|---------------------|--------------|-----------------------------|
| ١ - فهم أصل الكلام. | ٢ - التعظيم. | ٣ - حضور القلب.             |
| ٤ - التدبّر.        | ٥ - التفهّم. | ٦ - التخلّي عن موانع الفهم. |
| ٧ - التخصيص.        | ٨ - التأثير. | ٩ - الترقّي.                |
| ١٠ - التبرّي.       |              |                             |

انظر: إحياء علوم الدين (١/٢٨٠ - ٢٨٨).

(٣) انظر: كيف نتأدّب مع المصحف، لمحمد رجب فرجاني (ص ٢١٧ - ٢٢٨)؛ كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي (ص ١٩٨ - ٢٠٨)؛ حقّ التلاوة، حسني شيخ عثمان (ص ٣٩٩ - ٤٠٠).

١ - تعظيم المتكلم: ينبغي لسامع القرآن أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، فهو ربُّ الأرباب، مالك كلِّ شيء، قيوم السماوات والأرض، ويستحضر صفات الكمال والجمال والجلال في قلبه، وهو يستمع إلى كلام ربِّ العزة، ويعلم أن ما يتلى ليس من كلام البشر، وكما أن ظاهر غلاف المصحف وورقه محفوظ عن ظاهر بشرة اللّمس إلّا إذا كان متطهراً، فكذلك معاني القرآن - بحكم عزّه وجلاله - محجوبة عن قلب الإنسان إلّا إذا كان متطهراً من كلِّ رجس، ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير.

وكما لا يصلح للّمس غلاف المصحف كلُّ يد، فلا يصلح لتلاوة حروفه كلُّ لسان، ولا لنيل معانيه كلُّ قلب، ولا لسامع آياته كلُّ أذن.

## ٢ - استشعار عظمة الكلام وعلوّه:

بمعنى أن يستشعر عظمة القرآن، وأن هذه العظمة هي من عظمة المتكلم به سبحانه، لذا فهو ليس كلام البشر، ولا يقاربه كلام أحد من البشر بوجه من الوجوه، وأنه يعلو ولا يُعلى عليه، وأنه منحكم النّظم، دقيق المعنى، لا تعارض فيه، ولا اختلاف، والسّعيد من وُفق إلى فهم واستشعار معانيه، وعلى مستمعه أن يتأمل في فضل الله تعالى ولطفه بخلقه، حيث خاطبهم بهذا الكلام العظيم الشّريف، وتكفل - تفضلاً منه ورحمةً - بتيسير إفهامهم إيّاه. ولولا ذلك لعجزت أفهام العباد عن إدراك كلام الله الذي تجلّى في شكل كلماتٍ وحروفٍ منطوقة ومسموعة أو مكتوبة.

ولولا تثبيت الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه، كما لم يُطق العجل تجلّي ذي العرش فصار دكّاً، وغيره من البشر - سوى الأنبياء - من باب أولى.

## ٣ - حضور القلب عند السّماع:

ومعنى حضور القلب: هو أن يكون القلب متأهباً في شوقٍ إلى تلقي ما تسمعه الأذن لا ينصرف عنه، فقد تكون الأذن سامعةً والقلب مشغولاً بهمومٍ أو



خواطر، ولذلك ينبغي على مستمع القرآن الكريم أن يطرد حديث النفس أثناء استماعه، ويتولّد هذا من التعظيم، فإنّ المعظم لكلام الله يستبشر به، ويأنس له، ولا يغفل عنه.

#### ٤ - تدبّر المسموع:

وهو وراء حضور القلب مباشرة، فإنّه ربّما لا يتفكّر في غير القرآن، ولكنّه يقتصر على سماعه دون تدبّر، والمقصود الأعظم من القراءة والسماع هو التدبّر، والله تعالى ما أمر القارئ بالتّرتيل ظاهراً بقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]. إلّا ليحصل التدبّر له، وللمستمع في الباطن، إذ لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا قراءة لا تدبّر فيها.

#### أحوال النَّاس في انتفاعهم بالقرآن:

ذكر ابن القيم رحمته الله حال النَّاس عند سماعهم للقرآن العظيم وانتفاعهم به، مسترشداً ومهتدياً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. قائلاً: «النَّاس ثلاثة:

الأول: رجل قلبه ميّت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست الآية ذكراً في حقّه.

الثاني: رجل له قلب حيّ مستعدّ، لكنّه غير مستمع للآيات المتلوّة... وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجل حيّ القلب مُستعدّ، ثلّيت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السَّمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، مُلقّي السَّمع، فهذا القسم هو الذي يتفح بالآيات المتلوّة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما

لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره،

وقابله على توسط من البُعد والقُرب، فهذا هو الذي يراه»<sup>(١)</sup>.

### ٥ - تفهّم الآيات المسموعة:

فيتأمّل معاني أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله؛ ليستدلّ بعظمة الفعل على عظمة الفاعل، ويتأسّى بأحوال الأنبياء والصّديقين والأولياء والصّالحين والمُتّقين، ويعتبر بأحوال الكافرين والمكذّبين والظّالمين والمنافقين والمتكبرين.

وبالجملة فإنّ القرآن يشتمل على ما تحتاج إليه البشريّة في الدُّنيا، وما ينتظرها في الآخرة، ففيه العقيدة، والتّشريع، والسُّلوك، فعلى المستمع - عندما يستمع شيئاً ممّا ذُكر - أن يتمثله في قلبه، ويتخيّله في نفسه، ويتصوّره في عقله، حتى يتأثر به في كلّ حال.

«إذا حصل المؤثر، وهو القرآن؛ والمحلّ القابل، وهو القلب الحي؛ ووجد الشّروط، وهو الإصغاء؛ وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر - حصل الأثر، وهو الانتفاع والتّدكّر»<sup>(٢)</sup>.

### ٦ - التّخلّي عن موانع الفهم:

إنّ أكثر النَّاس مُنعوا من فهم معاني القرآن المجيد لأسباب وحُجُب أسدلتها الشّيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن.

#### موانع فهم القرآن:

هناك موانع وحُجُب كثيرة تحول دون فهم السّامع لكلام الله تعالى، وقد تحدّث الغزاليّ عن أهمّها، وحصرها في أربعة أمور<sup>(٣)</sup>، وهي على التّحوّ التالي:

أولاً: أن تكون الهمة منصرفةً إلى تحقيق الحروف، وهو أن يستمع السّامع وهمةً منصرفةً إلى تتبّع القارئ، كيف يُخرج الحروف من مخارجها، يتربّص به وينتظر منه الخطأ ليشنّ عليه، وذلك دون الالتفات إلى معاني الكلمات، وهذه

(١) مدارج السالكين (١/٤٧٥).

(٢) الفوائد (ص١٦).

(٣) انظر: إحياء علوم الدّين (١/٢٨٤).

وسوسة من الشيطان الرجيم؛ ليصرف الناس عن تفهيم معاني الآيات والكلمات .  
ثانياً: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد، وجمد عليه، وثبت في نفسه  
التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع، من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة .  
كحال الفرق التي ضلت في جانب العقيدة، وأولت الأسماء والصفات إماماً  
بالتمثيل، أو التعطيل، أو غير ذلك .

ثالثاً: أن يكون مُصرّاً على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلى - في الجملة -  
بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالصدأ على  
المرآة يمنع انعكاس المرئيات عليها، وذلك يمنع الحق من أن يتجلى في القلب،  
وهو أعظم وأخطر حجاب .

رابعاً: أن يعتقد حصر معاني آيات القرآن العظيم فيما تلقنه من تفسير .

٧ - أن يُقدَّر - في نفسه - أنه المقصود بكل آية سمعها:

فإن سمع أمراً أو نهياً فليستشعر أنه المقصود بذلك الأمر أو النهي، وإن  
سمع وعداً أو وعيداً قدر كذلك أنه الموعود أو المتوعد، وإن سمع قصص  
الأولين قدر أنه المقصود بسياق العبر والعظات وحسن الأخلاق التي بها، فيقوم  
نفسه على هداها .

وقد أكد ابن القيم رحمته الله على هذا المعنى بقوله: «إذا أردت الانتفاع  
بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من  
يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان  
رسوله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

٨ - التأثر بالآيات المسموعة:

وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة باختلاف الآيات، فيكون له - بحسب كل  
فهم - حالة من الحزن والخوف والأمل والرجاء والاستبشار .  
فعلى سبيل المثال: يرتعد خوفاً عند الوعيد وذكر النار، ويستبشر فرحاً عند

(١) المصدر السابق (ص ١٥).

الرَّوْعُدُ وذكر الجنة، وَيُطَاطِئُ رأسه خضوعاً عند ذكر الله تعالى وأسمائه الحسنين وصفاته العلى، وَيَخْفِضُ صَوْتَهُ وينكسر في باطنه حياةً من قبح مقالة الكفار ما يستحيل على الله عزَّ وجلَّ، كذكرهم لله تعالى ولدأ وصاحبةً، وغير ذلك من الأمور الدالة على عدم تعظيمهم لله تعالى، وقلة أدبهم في دعاويهم.

## ٩ - التَّرَقِّي فِي اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ:

والمقصود بذلك: أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله تبارك وتعالى، لا من نفسه إن كان قارئاً، ولا من غيره إن كان سامعاً.

### درجات القراءة والسَّماع ثلاث:

**أدناها:** أن يقدر العبد كأنه يسمعه من الله تعالى، واقفاً بين يديه؛ والله ناظر إليه ويسمع منه، فيكون حاله حينئذٍ هو: التَّمَلُّقُ والتَّضَرُّعُ والابتهاال.

**الثَّانية:** أن يشهد بقلبه كأنَّ الله عزَّ وجلَّ يراه ويخاطبه بالطفاه، ويناجيه بإنعامه، فحاله هنا: الحياء والتَّعْظِيمُ، والإصغاء والفهم.

**الثَّالثة:** أن يرى في الكلام المتكلِّم، وفي الكلمات الصِّفَات، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى سماعه، ولا إلى تعلق الإنعام به، من حيث إنه مُنْعَمٌ عليه، بل يكون مقصورَ الهمِّ على المتكلِّم، موقوفَ الفكر عليه، كأنه مستغرقٌ بمشاهدة المتكلِّم عن غيره. وهذه درجة المقرِّبين، وما قبلها درجة أصحاب اليمين، وما خرج عن ذلك فهي درجات الغافلين.

وعن الدرِّجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: «والله لقد تجلَّى اللهُ عزَّ وجلَّ لخلقه في كلامه، ولكنَّهم لا يُبصرون»<sup>(٢)</sup>.

ففي مثل هذه الدرِّجة تعظم الحلاوة ولذَّة المناجاة. ولذلك قال بعض

(١) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، الشَّهير بجعفر الصادق؛ لصدقه في مقالته. ولد سنة (٥٨٠هـ)، فضَّله أشهر من أن يُذكر، وهو من الأئمَّة الثقات الفقهاء المشاهير، أخرج له البخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، توفي سنة (١٤٨هـ) ودفن بالبقيع.

انظر: تقريب التهذيب (١/١٣٢)؛ وفيات الأعيان (١/٣٢٧).

(٢) إحياء علوم الدين (١/٢٨٧). وانظر: فيض القدير (٦/٢٨٥).



الحكماء: «كنتُ أقرأ القرآن، فلا أجد له حلاوة، حتَّى تلوته كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه، ثمَّ رُفعت إلى مقام فوقه، كنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يُلقيه على رسول الله ﷺ، ثمَّ جاء الله بمنزلة أخرى، فأنا الآن أسمعه من المتكلِّم به، فعندها وجدتُ له لذَّةً ونعيمًا لا أصبر عنه»<sup>(١)</sup>.

### ١٠ - التَّبَرُّؤُ من الحَوْلِ والقوَّةِ حال السَّماعِ:

إذ لا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم، فيتحاشى النَّظْرُ إلى نفسه بعين الرُّضا والتَّزْكِيَةِ، فإذا سمع آيات الوعد والمدح للصَّالحين، فلا يشهد لنفسه بالصَّلاح، بل يتشوق إلى أن يُلحِقَه الله عزَّ وجلَّ بهم، وإذا سمع آيات المقت وذمِّ العصاة والمقصرين شهد على نفسه، وقدَّر أنه المخاطب خوفًا وإشفاقًا. قيل ليوסף بن أسباط<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال: بماذا أدعو!! استغفر الله عزَّ وجلَّ من تقصيري سبعين مرَّة»<sup>(٣)</sup>.



استماع القرآن من أحسن الطرق وكيفية الاستماع

(١) المصدر نفسه (٢٨٨/١).

(٢) هو يوسف بن أسباط بن واصل الشَّيباني الكوفي (أبو محمد)، الزَّاهد الصَّالح، له مواعظ وحكم، نَزَل قرية يُقال لها: سيلحين، بين أنطاكية وحلب، قال يحيى بن معين: ثقة. وقال العجلي: صاحب سنَّة وخبر. وقال الخطيب البغدادي: كان صالحًا عابدًا إلا أنه يغلط في الحديث كثيرًا. وقال البخاري: كان قد دَفَن كتبه فصار لا يجيء بحديثه كما ينبغي. كان من عبَّاد أهل الشَّام وقرائهم، توفِّي سنة (١٩٥هـ).

انظر: تهذيب التَّهذيب (٣٥٨/١١)؛ الوافي بالوفيات، للصفدي (٤٥/٢٩).

(٣) إحياء علوم الدِّين (٢٨٨/١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المبحث الرابع

### فضائل استماع القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استماع القرآن سبب لرحمة الله.

المطلب الثاني: استماع القرآن سبب لهداية الثقلين.

المطلب الثالث: استماع القرآن سبب لخشوع القلب وبكاء العين.

## فضائل استماع القرآن

القرآن مُتَعَبَّدٌ بِسَمَاعِهِ:

إذا كان القرآن العظيم يُتَعَبَّدُ بِتَلَاوَتِهِ؛ لِأَنَّهُ كِتَابٌ مَبَارَكٌ، فَإِنَّ مِنْ بَرَكَتِهِ أَنَّهُ مَصْدَرٌ لِلْخَيْرِ الْعَمِيمِ، فَهُوَ أَيْضاً يُتَعَبَّدُ بِسَمَاعِهِ.

وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَمْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنْ يقرأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَسْتَمِعُ لَهُ، فَخَشَعَ لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ، حَتَّى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ الشَّرِيفَتَانِ ﷺ كَمَا سَيَأْتِي مَعْنَى لَاحِقاً.

وطلَّبُ استماع القراءة من القارئ حَسَنَ الصَّوْتِ الَّذِي يَجِيدُ التَّلَاوَةَ أَمْرٌ مَتَّفِقٌ عَلَى اسْتِحْبَابِهِ، وَهُوَ عَادَةٌ الْأَخْيَارِ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلِلتَّلَاوَةِ الْمُتَقَنَّةِ أَكْبَرَ الْأَثَرِ فِي فَهْمِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

«وجه ذلك: أنهم يُلْقُونَ لَهُ السَّمْعَ، وَيُحْضِرُونَ قُلُوبَهُمْ لِتَدْبِيرِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ، يَزِيدُ إِيمَانَهُمْ»<sup>(١)</sup>. فَهؤُلاءِ الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِمْ لآيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ يُلْقُونَ إِلَيْهَا الْأَسْمَاعَ فِي إِصْغَاءٍ وَخُشُوعٍ، وَأَدَبٍ وَخُضُوعٍ، وَتَفَكُّرٍ وَاعْتِبَارٍ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَأَثَّرُ بِهِ، وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُهُ، بَلْ يَبْقَى مُسْتَمِراً عَلَى كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ وَجَهْلِهِ وَضَلَالِهِ إِلَّا مَنْ أَرَادَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاسْتَجَابَ لِلْقُرْآنِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَيَنْهَاهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِدَاةً أَيُّكُمْ زَادَتْهُ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٧٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى

(١) تفسير السعدي (١٨٨/٢).



وَجَسَّهِنَّ وَأَمَاتُوا وَهَمَّ كَافِرُونَ ﴿التوبة: ١٢٤ - ١٢٥﴾<sup>(١)</sup>. سبب ثالثة ربيانية  
 لعله ولا بد من التَّقْيِيدِ بهدي رسول الله ﷺ عند الاستماع من الإنصات،  
 والاستجابة له ثم التَّدْبِيرُ الذي يزيل الغشاوة، ويحرك القلوب للعمل. ففضائل  
 وفضائل استماع القرآن العظيم كثيرة ومتنوعة، سيكون الحديث عن أهمها  
 من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول

#### استماع القرآن سبب لرحمة الله

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾  
 [الأعراف: ٢٠٤].

لقد أمر الله سبحانه عباده بالاستماع للقرآن والإنصات له لينتفعوا به  
 ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح وليتوصلوا بذلك إلى رحمة الله تعالى.

«قال الليث: يقال: ما الرَّحْمَةُ إلى أحدٍ بأسرع منها إلى مستمع القرآن؛  
 لقول الله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.  
 و«لَعَلَّ» - من الله - واجبة»<sup>(٢)</sup>.

أي: لعلكم تنالون الرَّحْمَةَ وتفوزون بها بامثال أمر الله تعالى.  
 «والفرق بين الاستماع والإنصات: أن الإنصات في الظاهر، بترك التَّحَدُّثِ  
 أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له، فهو أن يُلقَى سَمْعُهُ،  
 ويحضر قلبه، ويتدبر ما يسمع.

فإنَّ مَنْ لَازَمَ على هذين الأمرين، حين يُتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً  
 كثيراً، وعِلْماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه.  
 ولهذا رتب الله حصول الرَّحْمَةِ عليهما.

فدلَّ ذلك، على أن مَنْ تَلَّى عليه الكتاب، فلم يَسْمَعْ له ولم يُنصِتْ، أنه  
 محروم الحظ من الرَّحْمَةِ، قد فاته خير كثير»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٣/٦) - (٢) تفسير القرطبي (٢٣/١).

(٣) تفسير السعدي (١٨٥/٢).

## استماع القرآن سبب لهداية الثقلين

وليس هناك سبب نزول يُخَصَّصُ الآيةَ بالصَّلَاةِ المكتوبة وغير المكتوبة، ذلك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبب. والأقرب أن يكون ذلك عاماً لا يُخَصَّصُه شيء، فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له هو الأليق بكتاب الله العظيم، وبجلال قائله سبحانه.

وحيثما قُرئ القرآن، واستمعت له النفس وأنصت، كان ذلك أرجى لأن تعي وتتأثر وتستجيب؛ فكان ذلك أرجى أن تُرَحَمَ في الدنيا والآخرة جميعاً<sup>(١)</sup>.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الاجتماع للقرآن وتدارسه واستماعه له فوائد عظيمة وجليلة، منها حصولهم على رحمة الله تعالى، في قوله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني

## استماع القرآن سبب لهداية الثقلين

لقد بيّن الله تعالى أن القرآن العظيم مصدر الهداية في الدنيا والآخرة، ومن تمسك به تلاوةً واستماعاً وتدبراً وعملاً فلن يضل ولن يشقى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمٌ وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

واستماع القرآن خاصة من الأعمال الصالحة الجليلة التي بشر القرآن أصحابها بالهداية، ووصفهم بأنهم أصحاب عقول سليمة وراشدة، في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

هذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسن الأقوال، و﴿القول﴾ في الآية

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣/١٤٢٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر (٤/٢٠٧٤) (ح ٢٦٩٩).

جنس، يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول، ليميزوا بين ما ينبغي إثارة، مما ينبغي اجتنابه. **ولا شك أن أحسن القول على الإطلاق هو كلام الله تعالى، ثم كلام رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].** وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله تعالى هذا القرآن العظيم.

وهنا فائدة مهمة وهي: أنه تعالى لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين، أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأن سائلاً يسأل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه، حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره على غيره فهو من أولي الألباب؟

قيل له: نعم، أحسنه ما نص الله تعالى عليه بقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا...﴾ الآية.

فهؤلاء الذين يستمعون القرآن العظيم ويتبعونه هم الذين هداهم الله تعالى لأحسن الأخلاق والأعمال الظاهرة والباطنة، وهؤلاء هم أولوا العقول الزكية. ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن وغيره، وآثروا ما ينبغي إثارة على ما سواه. وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين حسن الأقوال وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة. أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقى عقله تابعاً لها، فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل<sup>(١)</sup>.

والقرآن الكريم بوصفه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يحمل مقومات الهداية الذاتية، والتي إذا تجرد المستمع إليه من شوائب النفس وعبادة الهوى، تمكنت الهداية من قلب مستمعه.

ولذلك جعل الله تعالى سماع القرآن العظيم من أسباب هداية الكفار ودخولهم في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

(١) انظر تفسير السعدي (٤/٣١٥).

## استماع القرآن سبب لهداية الثقلين

وأثر استماع القرآن من الهداية غير مقتصر على الإنس فقط، بل يتعداهم إلى الجن أيضاً، فقد جعل الله تعالى استماع القرآن سبباً لهداية الجن ودخولهم في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

فهؤلاء نفر من الجن أراد الله تعالى لهم الخير فصرفهم إلى رسوله ﷺ، لسماع القرآن الكريم، ولتقوم عليهم الحجة، وتمم عليهم النعمة، ويكونوا منذرين لقومهم. وذلك: أنهم لما حضروه قالوا: أنصتوا. فلما أنصتوا، فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، ثم ولوا إلى قومهم منذرين ومبشرين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ۗ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَتَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحزاب: ٢٩ - ٣٠].

والناس يخسرون الخسارة التي لا يعارضها شيء بالانصراف عن هذا القرآن العظيم، وإن الآية الواحدة لتصنع أحياناً في النفس - حين تسمع لها وتُنصت - أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والطمأنينة والراحة، والنقلة البعيدة في المعرفة الواعية المستنيرة، مما لا يدركه إلا من ذاقه وعرفه<sup>(١)</sup>.

وتأمل معي هذه اللقطة الجميلة في قول الجن: ﴿أَنصتُوا﴾ وما توحى به من أهمية الإنصات حال السماع للقرآن، وأن الإنصات سبب في انفتاح القلب للمعاني القرآنية، فيكون الإنصات هو الخطوة الأولى في طريق الهداية، ولو أن كفار قريش وغيرهم أنصتوا كما أنصت الجن إلى القرآن لاهتدوا إلى الحق، ولكنهم رفضوا الإنصات ابتداءً، فامتنعت عنهم الهداية، وإلا، فكلام الله، قطعي الدلالة على أن كل من استمع إليه وأنصت تحققت له الهداية، بصريح قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فليت شعري، هل من منصت إلى كلام الله؛ لتحقق له الهداية!

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣/١٤٢٦).



## المطلب الثالث

## استماع القرآن سبب لخشوع القلب وبكاء العين

المؤمنون عند تلاوتهم لكتاب الله تعالى أو استماعهم له تخشع قلوبهم وتذرف عيونهم، ويُقبلون على ربهم راغبين راهبين، ومن ذنوبهم مستغفرين، وفي رضاه طامعين، ومن غضبه وعقابه ووجلين.

ذلك كان شأن الصحابة رضي الله عنهم عند استماعهم وتلاوتهم للقرآن العظيم وقدوتهم في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إمام الخاشعين الذي قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ عليّ» قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري». قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. قال لي: «كف، أو أمسك» فرأيت عينيه تذرفان<sup>(١)</sup>.

وعند مسلم: قال ابن مسعود رضي الله عنه: رفعت رأسي، أو عمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي، فرأيت دموعه تسيل. وفي رواية: فبكي<sup>(٢)</sup>.

«قال ابن بطال: يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ؛ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها»<sup>(٣)</sup>.

ومن الفوائد التي ذكرها النووي رحمته الله عند شرحه لهذا الحديث: «استحباب استماع القراءة، والإصغاء لها، والبكاء عندها، وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، وهو أبلغ في التفهم، والتدبر من قراءته بنفسه، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: البكاء عند قراءة القرآن (٣/١٦٢٧) (ح ٥٠٥٥)، وباب: من أحب أن يستمع القرآن من غيره (٣/١٦٢٥) (ح ٥٠٤٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبر (١/٥٥١) (ح ٨٠٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/١١٧).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٣٢٩).

استماع القرآن سبب لخشوع القلب وبكاء العين

وهذه هي سنة الأنبياء وطريقتهم جميعاً - عليهم السلام - عند استماعهم لكلام الله تعالى وآياته تفيض أعينهم بالدموع، وتخضع وتخشع قلوبهم وتأثر من كلام الرحمن جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

فهؤلاء الأنبياء العظماء من أبرز صفاتهم أنهم إذا سمعوا آيات الله تعالى تتلى عليهم تأثروا تأثراً عظيماً، يحصل لهم منه البكاء والسجود، وقشعريرة الجلد، ولين القلوب والجلود كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. ﴿وَبُكِيًّا﴾ جَمْعُ بَاكِ<sup>(١)</sup>.

عن أبي معمر قال: «قرأ عُمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه سورة مريم، فسجد، وقال: هذا السجود، فأين البُكي؟ يريد البكاء»<sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - ومن معهم ومن هدى الله تعالى واجتبي من الصالحين من ذريتهم، صفتهم البارزة إذا استمعوا لآيات الرحمن تتلى عليهم ﴿خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ لأنهم أتقياء أصحاب قلوب حيّة، ترتعش قلوبهم لذلك، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يُخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض أعينهم بالدموع ويخرون لعظمة الله وكلامه سُجَّدًا وبُكِيًّا<sup>(٣)</sup>.

وهذه هي صفة أهل العلم كذلك، أنهم إذا استمعوا لكلام الله تعالى تأثروا فبكوا وزادهم ذلك خشوعاً وعلماً و يقيناً، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ﴿٧٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٧٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ يَبْكَوْنَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

قال القرطبي رحمته الله: «هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم

(١) انظر: أضواء البيان (٤/٣٣٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٣/١٦ - ٧٤)، وأورده السيوطي في «الدّر المنثور» (٤/٢٧٧)، ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وابن جرير، والبيهقي في «الشعب»، عن عمر رضي الله عنه.

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤/٢٣١٤).

بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل. وفي مسند الدارمي أبي محمد<sup>(١)</sup> عن التميمي قال: مَنْ أوتي من العلم ما لم يُبَكِّه لَخَلِيقٍ أَلَّا يَكُونَ أوتى علماً [ينفعه]؛ لأن الله تعالى نعت العلماء، ثم تلا هذه الآية<sup>(٢)</sup>. ذكره الطبري رحمته الله أيضاً<sup>(٣)</sup>.

والأذقان جمع دقن، وهو مجتمع اللحيين. وقال الحسن رحمته الله: الأذقان عبارة عن اللحي، أي يضعونها على الأرض في حال السجود، وهو غاية التواضع<sup>(٤)</sup>.



(١) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي، الدارمي، الحافظ، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، طوَّف الأقاليم، ولد سنة (١٨١هـ)، ومن تصانيفه: «سنن الدارمي»، و«الثلاثيات»، توفي سنة (٢٥٥هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ (٢/١٠٥)؛ تهذيب التهذيب (٥/٢٩٤).

(٢) رواه الدارمي في «سننه»، كتاب المقدمة، باب مَنْ قال: العلمُ الخشيةُ وتقوى الله (١/٨٥) (رقم ٢٩١).

(٣) انظر: جامع البيان (١٥/١٢١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٤٧ - ٣٤٨). وانظر: تفسير البيضاوي (٣/٤٧١)؛ تفسير ابن كثير (٥/١٣٤).





### المبحث الخامس

## حُكْم الاستماع للقرآن وحُكْم الإعراض عنه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حُكْم الاستماع للقرآن.

المطلب الثاني: حُكْم الإعراض عن استماع القرآن.

## المطلب الأول

## حُكْم الاستماع للقرآن

الأصل أنَّ الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم - حين يقرأ - واجب، إن لم يكن هناك عذر مشروع لترك الاستماع، وهو قول عامة المفسرين ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قال أبو حيان الأندلسي رحمته في معنى الآية: «أمر باستماعه إذا شرع في قراءته، وبالإنصات، وهو السكوت مع الإصغاء إليه؛ لأنَّ ما اشتمل على هذه الأوصاف من البصائر والهدى والرَّحمة حريٌّ بأن يُصغى إليه، حتَّى يحصل منه للمنصت هذه النتائج العظيمة، وينتفع بها، فيستبصر من العمى، ويهتدي من الضلال، ويرحم بها»<sup>(١)</sup>.

(مسألة): اختلف أهل التَّأويل في الحال التي يجب على السَّامع استماع القرآن والإنصات له إلى عدَّة أقوال، أوصلها ابن الجوزي رحمته إلى خمسة أقوال<sup>(٢)</sup>، وأشهرها قولان:

القول الأوَّل: إنَّ ظاهر الآية يقتضي وجوب الاستماع والإنصات - عند قراءة القرآن - في الصَّلَاة وغيرها. وهو الرَّاجح إن شاء الله تعالى.

قالوا: صحيح أنَّ الآية نزلت لنسخ جواز الكلام أثناء الصَّلَاة، إلَّا أنَّ العبرة لعموم اللَّفظ لا لخصوص السَّبب، ولفظها يعمُّ قراءة القرآن في الصَّلَاة وغيرها، وهو قول أكثر أعلام المفسِّرين.

وممَّن ذهب إلى ذلك: القرطبي<sup>(٣)</sup>، والشوكاني<sup>(٤)</sup>، وأبو السعود<sup>(٥)</sup>، والثعالبي<sup>(٦)</sup>،

(١) البحر المحيط (٤/٤٥٢). (٢) انظر: زاد المسير (٣/٢٣٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٥٣).

(٤) انظر: فتح القدير (٢/٢٨٠).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣/٣١٠).

(٦) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/٧٨).

وابن جزى الكلبي<sup>(١)</sup>، والسعدي<sup>(٢)</sup>، رحمهم الله تعالى ونقل أبو حيان - في تفسيره - عن الحسن البصري رضي الله عنه قوله: «هي على عمومها، ففي أي موضع قرئ القرآن، وجب على كل حاضر استماعه، والسكوت عنده»<sup>(٤)</sup>.

ثم قال أبو حيان رضي الله عنه: «والظاهر استدعاء الاستماع والإنصات إذا أخذ في قراءة القرآن، ومتى قرئ»<sup>(٥)</sup>.

القول الثاني: إن المراد من ذلك الإنصات في الصلاة، وفي الخطبة. وهو اختيار الإمام ابن جرير الطبري<sup>(٦)</sup>، وتبعه في ذلك الحافظ ابن كثير<sup>(٧)</sup> رحمهما الله تعالى؛ لوجود الأدلة على وجوب الإنصات والاستماع لقراءة القرآن في هذين الموضوعين، وعدم وجوبه في غيرهما.

الرد على القول الثاني:

رد الشوكاني رضي الله عنه على من خص الإنصات في الصلاة دون غيرها بقوله: «قيل: هذا الأمر خاص بوقت الصلاة عند قراءة الإمام، ولا يخفك أن اللفظ أوسع من هذا، والعام لا يقصر على سببه، فيكون الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في كل حالة، وعلى أي صفة مما يجب على السامع»<sup>(٨)</sup>.

ورد الثعالبي رضي الله عنه - كذلك - على من قصر الإنصات على حالة الخطبة دون غيرها بقوله: «وأما قول من قال: إنها في الخطبة - فضعيف؛ لأن الآية مكية،

(١) هو محمد بن أحمد بن جزي الكلبي المالكي (أبو القاسم) من أهل غرناطة، ولد سنة (٦٩٣هـ) عكف على العلم واشتغل بالنظر والتدوين، كان فقيهاً حافظاً. نبغ في الأصول والقراءات، والحديث، والتفسير، والأدب. ألف الكثير في شتى الفنون، توفي وهو يمرض الناس يوم معركة طريف سنة (٧٤١هـ). من مؤلفاته: «تقريب الوصول إلى علم الأصول»، و«وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم»، و«أصول القراء الستة غير الإمام نافع» انظر: طبقات المفسرين (٨٥/٢).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٥٩/٢).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣١٤/١).

(٤) البحر المحيط (٤٥٢/٤). (٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) انظر: جامع البيان (١٦٢/٩). (٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٨١/٢).

(٨) فتح القدير (٢٩٦/٢).

والخطبة لم تكن إلا بعد الهجرة، وألغى الآية - على الجملة - تتضمن تعظيم القرآن وتوقيره، وذلك واجب في كل حالة<sup>(١)</sup>.

(مسألة): هل وجوب الإنصات للقرآن مطلق أم مقيد؟

قد يؤدي حمل هذه الآية على ظاهرها والقول بالوجوب إلى حرج، فقد يُقرأ القرآن بمحضر صانع في صنعه، أو مُدرّس في المدرسة، أو الجامعة أو نحوها، فلو وجب عليه الاستماع وجوباً مطلقاً لوقع الناس في الحرج. وخاصّة ما نراه في بعض الأحيان من قراءة القرآن في المساجد، وفي الشوارع، وعند بائعي أسرطة التسجيل. ثم قد يقرأ قارئ في الصلاة جهراً فهل يجب على الناس الاستماع له؟

وربما وقعت التلاوة بصوت مرتفع في أماكن الاشتغال، ويكون السامع في حالة اشتغال، كالأسواق التي بُنيت لتعاطي أسباب الرزق، والبيوت في حالة اشتغال أهل البيت في الكسب والطبخ والتنظيف وغير ذلك.

ومن الخطأ رفع قراءة القرآن في المآذن - خارج الصلاة - كما يفعل في بعض البلاد الإسلامية، وقد يوجد قرب المسجد المرضى والمشغولون، والنائمون.

وهكذا نجد صوراً كثيرة يُقرأ فيها القرآن جهراً، ولا يمكن الجمع بين استماع القرآن وأداء المصالح الأخرى - التي تقدّمت - في آن واحد، فلم يجعل الله قلبين في جوف البشر. لذلك فالآية ليست على عمومها الظاهر مطلقاً<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما أشار إليه ابن عاشور رحمته الله بقوله: «وقد اتفق علماء الأمة على أن ظاهر الآية بمجرّده في صور كثيرة مؤوّل، فلا يقول أحد منهم بأنه يجب على كل مسلم إذا سمع أحداً يقرأ القرآن أن يشتغل بالاستماع ويُنصت، إذ قد يكون القارئ يقرأ بمحضر صانع في صنعه، فلو وجب عليه الاستماع لأمر بترك عمله،

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/٧٨).

(٢) انظر: الأحكام الشرعية لقراءة القرآن الكريم، د. محمود أحمد الأطرش (ص ٦٣)؛ كيف تتوجّه إلى العلوم والقرآن الكريم مصدرها، د. نور الدين عتر (ص ٧٧).



ولكنهم اختلفوا في محلها تأويلها: فمنهم من خصها بسبب اراءه أنه سبب نزولها، ...

ومنهم من أبقى أمر الاستماع على إطلاقه القريب من العموم، ولكنهم تأولوه على أمر التدب، وهذا الذي يؤخذ من كلام فقهاء المالكية<sup>(١)</sup>. وأما فقهاء الحنفية فقد اختلفوا في وجوب الإنصات: هل هو وجوب عيني، أو وجوب كفائي؟ فقد جاء في حاشية ابن عابدين<sup>(٢)</sup>: «الأصل أن الاستماع للقرآن فرض كفاية؛ لأنه لإقامة حقه، بأن يكون مُلتفتاً إليه غير مُضَيِّع، وذلك يحصل بإنصات البعض؛ كما في ردِّ السَّلام، حين كان لرعاية حقِّ المسلم، كفى فيه البعض عن الكلّ...»

ونقل الحموي عن أستاذه قاضي القضاة يحيى، الشهير بمنقاري زاده: أن له رسالة حَقَّق فيها، أن سماع القرآن فرض عين<sup>(٣)</sup>.

وبناء على ما تقدّم: يُمكن الجمع بين الأقوال في مسألة الإنصات للقرآن، بأن يُقال: الاستماع والإنصات للقرآن الكريم يدور حكمه بحسب المقام الذي يقرأ فيه.

فإن كان في الصَّلَاة، أو كان المقام - الذي يقرأ فيه - مقام قراءة للقرآن، كان تنتفي عن السَّامع موانع الإنصات - المعتبرة شرعاً - فيجب عليه الاستماع والإنصات.

أمّا ما عدا ذلك من الأحوال المختلفة، التي يتنقل بينها المسلم من عمل، أو حديث أهل، أو جلوس على طعام، أو تدارس للفقهِ أو العلم في المساجد والمدارس والجامعات، أو ما أشبه ذلك - فالاستماع والإنصات يُستحب ولا

(١) التحرير والتنوير (٤١١/٨).

(٢) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، ولد سنة (١١٩٨هـ) ومن مصنفاته: «رد المحتار على الدر المختار» المعروف بحاشية ابن عابدين، و«عقود اللآلي في أسانيد العوالي»، و«الرَّحِيقُ الْمُخْتومُ فِي الْفَرَائِضِ». توفي بدمشق سنة (١٢٥٢هـ).

انظر: معجم المؤلفين (١٤٥/٣)؛ الأعلام (٤٢/٦).

(٣) حاشية ابن عابدين (٥٤٦/١).

## حُكْمُ الإِعْرَاضِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ

يجب. ويُعذر المستمع - والحالة هذه - بترك الاستماع لتلاوة القرآن الكريم، ولا يكون آثماً بذلك.

وإنما سقط إثم ترك الاستماع للقرآن في حالات الاشتغال دفْعاً للحرج عن الناس. قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ١٧٨] (١).

## المطلب الثاني

## حُكْمُ الإِعْرَاضِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ

الإِعْرَاضُ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِعْرَاضاً مَعَ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَعَدَمِ الْإِنْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ، وَعَدَمِ قَبُولِهِ. أَوْ إِعْرَاضاً عَنِ سَمَاعِهِ مَعَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ، وَقَبُولِهِ. فَلِكُلِّ حُكْمِهِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَا سَتَتَوَلَّاهُ بِالتَّفْصِيلِ فِي هَذَا الْمَطْلَبِ، مِنْ خِلَالِ النُّقَاطِ الْآتِيَةِ: نَأْ

أولاً: الإِعْرَاضُ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ مَعَ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِهِ:

هذا النوع من الإِعْرَاضِ هُوَ إِعْرَاضُ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ - التَّنَاقُضُ الْأَكْبَرُ الْمَخْرُجُ عَنِ الْمِلَّةِ، الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ سَمَاعِ الْقُرْآنِ بِالْكُلِّيَّةِ مَعَ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَعَدَمِ الْإِنْقِيَادِ لَهُ ظَاهِراً وَبَاطِئاً. وَبَدَأْتُ فِي بَدءِ يُقَالُ:

إِنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنُ طَاعَةً وَإِنْقِيَاداً، وَتَسْلِيماً وَقَبُولاً، كَمَا قَالَ الْمَرْوُزِيُّ (٢): «كَتَبَ اللَّهُ فِي مَعْنَى الْإِيمَانِ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: أَنْ تُؤَحِّدَهُ، وَتُصَدِّقَ بِهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَتَخْضَعُ لَهُ، وَتَسْمَعُ لَهُ، وَتُطِيعُ أَمْرَهُ، بِإِعْطَاءِ الْعِزْمِ لِلْأَدَاءِ لِمَا أَمَرَ، مَجَانِباً

(١) انظر: الموسوعة الفقهية (٤/٨٦)؛ فقه قراءة القرآن الكريم (ص ٥١).

(٢) هو الإمام أبو عبد الله، محمد بن نصر بن الحجاج المرزوي، فقيه، أصولي، محدث، حافظ. ولد ببغداد سنة (٢٠٢هـ)، ونشأ بنيسابور، وتفقه بمطهر على أصحاب الشافعي. قال الحاكم عنه: «إمام عصره بلا مُدَافِعَةٍ فِي الْحَدِيثِ». وقال الذهبي: «يقال: إنه كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق». سكن سمرقند إلى أن توفي بها سنة (٢٩٤هـ). من مصنفاته: «الصلاة»، «الوتر»، «الورع»، «قيام الليل»، «المسائل في النجوم» وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/١٤ - ٤٠).

للاستكفاف، والاستكبار، والمعاندة، فإذا فعلت ذلك لزمّت محابّه، واجتنبت مسأخطه»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الإيمان يُعدّ خضوعاً واستجابةً وقبولاً لدين الله تعالى، فإنّ الإعراض يُنافي ذلك ويضاده، ومنه الإعراض بالكليّة عن استماع القرآن، إمّا توامياً بعدم سماعه، أو إعراضاً واستكباراً عن سماعه، أو تعامياً وتعاماً عن سماعه، أو استهزاءً به حال السّماع بالضّجر والتأفّف، أو إزلاقاً بالعيون حال السّماع، أو تهاوناً وتغافلاً عن سماعه، على ما تقدّم تفصيل ذلك في: «مظاهر هجر استماع القرآن لدى الكفار».

فهذه المظاهر من الإعراض تُعدّ ناقضاً من نواقض الإيمان العملية، وهو الإعراض التامّ عن سماع القرآن العظيم، وتعدّ كذلك تكذيباً بالرّسول ﷺ، بل تولياً عن طاعته، وامتناعاً عن اتّباع ما أنزل إليه من الوحي، ومن ثمّ فهو كُفْرٌ مخرج عن الملة.

ويذكر ابن القيم رحمته الفرق بين المُعرض المُفرط وبين العاجز قائلاً: «كلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ بِالْوَحْيِ - الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ - فَلَا يَدُ أَنْ يَقُولَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّأَلُ الْقَرِيبُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

فإن قيل: فهل لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب أنّه على هدى، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

قيل: لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال، الذي منشأه الإعراض عن الوحي، وما جاء به الرّسول ﷺ، ولو ظنّ أنّه مهتدٍ، فإنّه مفرطٌ بإعراضه عن اتّباع داعي الهدى، فإذا ضلّ فإنّما أتى من تفريطه وإعراضه، وهذا بخلاف مَنْ كان ضلاله لعدم بلوغ الرّسالة، وعجزه عن الوصول إليها، فذاك له حُكْمٌ آخر، والوعيد في القرآن إنّما يتناول الأوّل، وأمّا الثّاني فإنّ الله لا يعذب أحداً إلّا بعد إقامة الحجّة عليه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن كثير رحمته عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٤٣ - ٤٤).

(١) تعظيم قدر الصلّة (١/٣٩٢).



## حُكْمُ الإِعْرَاضِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٥٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لِمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُذَكِّرْهُمْ بِهِ وَمَنْ يَلِكْ﴾ [الأنعام: ١١٩].  
فَكُلُّ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ نَذِيرٌ لَهُ وَدَاعٍ، فَمَنْ اتَّبَعَهُ هُدًى، وَمَنْ خَالَفَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَشَقِيَ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّارُ مَوْعِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.  
وَبِنَاءٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ: فَإِنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ بِالْكَلْبِيَّةِ يَنَافِي الإِيمَانَ وَيُضَادُّهُ، بَلْ هُوَ حَقِيقَةُ النِّفَاقِ الأَكْبَرِ، الَّذِي حَكَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَكَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

لِلَّذِي يَهْجُرُ الْقُرْآنَ، فَلَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا يَسْمَعُهُ، وَلَا يَصْنَعِي إِلَيْهِ، فَهُوَ كَالْمُخْرَجِ عَنِ مِلَّةِ الإِسْلَامِ.

ثَانِيًا: الإِعْرَاضُ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ مَعَ الإِيمَانِ بِهِ:

قَدْ يُعْرَضُ الْمُسْلِمُ - أحياناً - عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَعَ إِقْرَارِهِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى يَجِبُ اتِّبَاعُهُ؛ بِسَبَبِ تَكَاسُلٍ وَتَهَاوُنٍ، أَوْ ضَعْفِ إِيْمَانٍ، أَوْ تَشَاغُلٍ عَنْهُ بِمَالٍ، أَوْ بِنِينَ، أَوْ غِنَاءٍ وَنَحْوِهِ مِنْ مَتَابَعَةِ الْبُتِّ الْفَضَائِي.  
وَرَبَّمَا تَجَدَّ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَسْتَمِعُونَ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا نَادِرًا؛ عِنْدَ حُلُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ مَثَلًا، أَوْ عِنْدَ نَزُولِ مُصِيبَةٍ بِهِ، كَمَرَضٍ أَوْ وَفَاةٍ قَرِيبٍ لَهُ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُلْجِئُهُ إِلَى اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ.  
فَلَا رَيْبَ - وَالْحَالَةَ هَذِهِ - أَنَّهُ مُقْصَّرٌ وَمُواخِذٌ بِإِعْرَاضِهِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، لَكِنْ مِنَ الصُّعُوبَةِ بِمَكَانِ تَعْمِيمِ حُكْمٍ وَاحِدٍ وَتَنْزِيلِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي صُورَتِهَا، وَالْحَدُّ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَهَا هُوَ: هَجْرُ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ قَلَّةً أَوْ كَثْرَةً.  
وَمِنَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ - فِيهَا سَبَقَ - أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ لَلَّهِ، مُوَخِذٌ بِسَبَبِهَا؛ لِأَنَّهُ قَصَّرَ، وَأَعْرَضَ بِاخْتِيَارِهِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَتَوَقَّفُ كَوْنُ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً عَلَى نَوْعِ الْمُخَالَفَةِ ذَاتِهَا، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) تفسير ابن كثير (٢٢٣/٥).



لا يظن اننا نعلم

لا يظن اننا نعلم

### المبحث السادس

## الآثار الحسنة لاستماع القرآن

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الإعجاز التأثيري للقرآن.

المطلب الثاني: أثر استماع القرآن في الملائكة.

المطلب الثالث: أثر استماع القرآن في النبي ﷺ.

المطلب الرابع: أثر استماع القرآن في المؤمنين.

المطلب الخامس: أثر استماع القرآن في أعدائه وخصومه.

المطلب السادس: أثر استماع القرآن في النصارى.

المطلب السابع: أثر استماع القرآن في الجن.

## المطلب الأول

## الإعجاز التأثيري للقرآن

إنَّ المتأمل لوجوه الإعجاز القرآني يجدُه تعدَّى حدود المعاني والمعارف، فلا يقتصر إعجازه فقط على عظمة سبكه ونظمه، أو على ما يحويه من معارف غير متعارضة وعلوم ظاهرة، وما يتضمَّنه من أخبار ثابتة، بل مع كلِّ هذه الوجوه نجد وجهاً آخر غاية الأهميَّة، وهو تأثيره في سامعيه، فالقرآن له تأثير عجيب على سامعيه، يظهر في صور وأشكالٍ متعدِّدة، فيمجرِّد الاستماع إليه - وإن لم يفهم المقصود منه - تجد القلوب قد انفتحت، والنُّفوس قد اطمأنت، والهدوء والسكينة قد حلَّأ بمستمعه، وهذا الإعجاز التأثيري يتعدَّى مَنْ آمَن به إلى مَنْ أنكره أو كَفَّر به . ولهذا فقد اختار أبو سليمان الخطَّابي رحمته الله الإعجاز التأثيري للقرآن كأهمِّ وجِّه من وجوه الإعجاز فيه، فقال - في رسالته (بيان إعجاز القرآن):

«قلتُ: في إعجاز القرآن وجَّهٌ آخر، ذهب عنه النَّاس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعُه بالقلوب، وتأثيره في النَّفوس، فإنَّك لا تسمع كلاماً غير القرآن - منظوماً ولا منشوراً - إذا قرع السَّمع خلص له إلى القلب من اللذَّة والحلاوة في حالٍ، ومن الرُّوعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النَّفوس، وتنشرح له الصُّدور، حتَّى إذا أخذت حطَّها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعرُّ منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النَّفس ومضمراتها وعقائدها الرَّاسخة فيها؛ فكم من عدوٍّ للرَّسول صلَّى الله عليه وآله من رجال العرب وقتآكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم، أن يتحوَّلوا عن رأيهم الأوَّل، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاةً، وكفرهم إيماناً»<sup>(١)</sup>.

(١) بيان إعجاز القرآن، للخطَّابي (ص ٧٠ - ٧١)، ضمَّن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، =

إذاً في القرآن العظيم سِرٌّ خاصٌّ، يشعر به كلُّ مَنْ يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير. وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحسِّ بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض النَّاسِ واضحاً ويدركه بعض النَّاسِ غامضاً. هذا العنصر الذي ينسكب في الحسِّ، يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصُّور والظلال التي تُشعُّها؟ أهو التأثير القرآني الخاصُّ المتميِّز عن سائر القول المصوغ من اللُّغة؟ أهي هذه العناصر كلُّها مجتمعة؟ أم إنَّها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟<sup>(١)</sup>

دراسة معاصرة تُثبت تأثير القرآن:

في محاولة للكشف عن تأثير القرآن على سامعيه، استُعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية، المزودة بالحاسوب؛ لقياس أيِّ تغييرات فسيولوجية، عند عددٍ من المتطوعين الأصحاء، أثناء استماعهم لتلاوات قرآنية، وقد تمَّ تسجيل وقياس أثر القرآن الكريم، عند عددٍ من المسلمين المتحدِّثين بالعربية بالنسبة لغير المتحدِّثين بالعربية. مسلمين كانوا أو غير مسلمين. فقد تُليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللُّغة العربية، ثمَّ تُليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللُّغة الإنجليزية، وفي كلِّ هذه المجموعات أثبتت التجاربُ المبدئية وجود أثرٍ مهديٍّ للقرآن بنسبة (٩٧٪) لدى هذه المجموعات التجريبية، وهذا الأثر ظهر في شكل تغييرات فسيولوجية، تدلُّ على تخفيف درجة توتُّر الجهاز العصبي التلقائي.

ولقد ظهر من الدِّراسات المبدئية أنَّ تأثير القرآن على التوتُّر، يمكن أن يعزى إلى عاملين:

الأوَّل: صوت القرآن الكريم في كلماتٍ عربية، بَعْضُ النَّظَرِ عَمَّا إذا كان المستمع قد فهمها أو لم يفهمها، وبَعْضُ النَّظَرِ عن إيمان المستمع.

= للخطابي، والرماني، والجرجاني - تحقيق: د. محمد زغلول سلام وآخرين. دار المعارف - مصر ١٣٧٦ هـ.

(١) انظر: في ظلال القرآن (٦/٣٣٩٩).

الثاني: معنن المقاطع القرآنية، حتى ولو كانت مُقتضرة على التَّرجمة الإنجليزية، بدون الاستماع إلى الكلمات القرآنية باللغة العربية<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني

#### أثر استماع القرآن في الملائكة

تحبُّ الملائكة الكرام ﷺ استماع القرآن الكريم، وتحفُّ مجالسه، وتنزل أحياناً لاستماعه وللإنصات له، وقد وضَّحت الأدلَّة - من الكتاب والسنة - هذا الأمر، وبيته بياناً شافياً، فمن ذلك:

\* قوله تبارك وتعالى: ﴿أَفِرَّ الصَّلَاةَ لَدُوْكَ السَّمِيسَ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

والمقصود بقوله ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: «قال مجاهد: صلاة الفجر»<sup>(٢)</sup>. أي أن القرآن الذي يتلوه الإمام في صلاة الفجر تشهد به وتحضره الملائكة (ملائكة الليل وملائكة النهار)<sup>(٣)</sup>.

وإنما عبَّر عن صلاة الصُّبح بقرآن الفجر؛ لأنَّ القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها، وهذا هو هَدْيُ النبي ﷺ في إطالة القراءة في صلاة الفجر أكثر من غيرها في سائر الصَّلوات المفروضة، فكان يقرأ فيها ما بين السَّتين إلى المائة آية<sup>(٤)</sup>.

\* عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «فَضَّلَ صَلَاةَ الْجَمْعِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسَ وَهَشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ». يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: افرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: أثر سماع القرآن الكريم على مستوى الأمن النفسي (ص ١٢ - ١٣)، نقلاً عن: المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية العلمية الإسلامية بأمریکا الشمالية، ١٩٨٤م.

(٢) صحيح البخاري (٣/١٤٦١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٥)؛ تفسير القرطبي (٢/٢٩٨).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٧٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٣/١٤٦١).

(ح ٤٧١٧).



\* ومن أثر استماع القرآن في الملائكة الكرام ﷺ استغراقهم في السَّماع حتَّى كادوا يظهرون للنَّاس وذلك عندما تنزَّلت ودنت من الصَّحابي الجليل أسيد بن حُضير ؓ وهو يقرأ في صلاة اللَّيل، والشَّاهد من الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ - بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ أُسَيْدٌ ؓ بِمَا حَصَلَ لَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَّتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد الحديث: فضيلة الجهر بقراءة القرآن في صلاة اللَّيل، وأنها سبب لحضور الملائكة ودنوِّها من القارئ.

وأشار قوله ﷺ: «لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ» إِلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ - لِاسْتِغْرَاقِهِمْ فِي الاسْتِمَاعِ - كَادُوا يظهرون للنَّاسِ عَلَى خِلافِ جِبَلَّتِهِمْ مِنَ الْاِخْتِفاءِ، الَّذِي هُوَ مِنْ شَأْنِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

\* وعن عليٍّ ؓ أَنَّهُ أَمَرَ بِالسُّوَاكِ، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ، فَيَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ، فَيَدْنُو مِنْهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلِكِ، فَطَهَّرُوا أَفْوَاهَهُمْ لِلْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>.

\* ومن أثر استماع القرآن في الملائكة كذلك، أَنَّهَا تَحْفُفُ مَجَالِسَ الْقُرْآنِ لِتَسْتَمِعَ وَتَنْصِتَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ،

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن (١٦١٧/٣) (ح ٥٠١٨).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨١/٩).

(٣) رواه المنذري في «الترغيب»، واللفظ له، كتاب الطهارة، باب: الترغيب في السواك وما جاء في فضله (١٠٢/١) (ح ٢١٥)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى»، باب: تأكيد السواك عند القيام إلى الصلاة (٣٨/١) (ح ١٦١)؛ وعبد الرزاق في «مصنّفه»، باب: حسن الصّوت (٤٨٧/٢) (ح ٤١٨٤)؛ وابن أبي شيبة في «مصنّفه»، باب: ما دُكِرَ فِي السُّوَاكِ (١٥٦/١) (ح ١٧٩٩)؛ وصحّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢٠٤/١) (ح ٢١٥)؛ و«السلسلة الصحيحة»: (٢١٤/٣) (ح ١٢١٣).

إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ<sup>(١)</sup>، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث

#### أثر استماع القرآن في النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يحبُّ استماع القرآن العظيم؛ وتطيب نفسه حين استماعه له، ويظهر أثر الاستماع عليه بالتأثر والخشوع والبكاء. ولا عجب من ذلك فهو أرقُّ النَّاسِ قلباً، وأسرعهم دمعة، وأعظمهم تأثراً بالقرآن الكريم، فقد كان أعرف الخلق بالله، وأشدَّهم له خشية. ومن هذه المواقف المباركة ما يلي:

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَأُ عَلَيَّ» قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» [النساء: ٤١]. قَالَ لِي: «كُفِّ، أَوْ أَمْسِكْ» فَرَأَيْتَ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ<sup>(٣)</sup>.

وعند مُسلم: قال ابن مسعود رضي الله عنه: رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَبَكَى<sup>(٤)</sup>.

٢ - قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ<sup>(٥)</sup> لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ! لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً<sup>(٦)</sup> مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ<sup>(٧)</sup>».

(١) حَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ: أي دارت حولهم.

انظر: النهاية في غريب الحديث (١/٤٠٨)، مادة: (حفف).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر (٤/٢٠٧٤) (ح/٢٧٠٠).

(٣) رواه البخاري (٣/١٦٢٧) (ح/٥٠٥٥)، وتقدّم تخريجه في المبحث الرابع.

(٤) رواه مسلم (١/٥٥١) (ح/٨٠٠)، وتقدّم تخريجه في المبحث الرابع.

(٥) قوله: (لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ) الواو فيه للحال. وجواب لو محذوف، أي: لأعجبك ذلك.

(٦) المراد بالمزمار هنا: الصّوت الحسن. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٨٠).

(٧) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصّوت بالقرآن (١/٥٤٦) (ح/٧٩٣).

٣ - عن عائشة، رَوِّجَ النَّبِيُّ ﷺ، قالت: أبطأتُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ ليلةً بعد العِشاءِ. ثُمَّ جِئْتُ فقال: «أَيْنَ كُنْتِ؟». قلتُ: كنتُ أستمعُ قراءةَ رجلٍ من أصحابك لَمْ أسمعَ مثلَ قراءتهِ وَصوتهِ مِنْ أَحَدٍ. قالتُ: فَقَامَ وَقُمْتُ معه حتَّى استمعَ له. ثُمَّ التفتَ إليَّ فقال: «هَذَا سَالِمٌ، مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا»<sup>(١)</sup>.

٤ - ولا أدلُّ على محبَّة النبي ﷺ لاستماع القرآن الكريم من قول فاطمة رضي الله عنها: «أَسْرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلِّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ حَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي»<sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر رحمه الله: «والمُعَارِضَةُ: مفاعلة من الجانبين، كأنَّ كلاً منهما كان تارة يقرأ والأخر يستمع»<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول: إنَّ المواقف والمواضع التي تُبرز تأثر النبي ﷺ عند استماعه للقرآن كثيرة، بيد أن ذلك لا غرابة فيه، إذ كيف لا يتأثر الرسول ﷺ بالقرآن وهو أنقى الخلق، وعليه أنزل القرآن؟ وقد رأى الملائكة، وعُرج به إلى السماء، وسمع صرير الأقلام، وراى من آيات ربِّه ما رأى؟ فتأثره بالقرآن أمر لا يحتاج إلى دليل أو برهان.

### المطلب الرابع

#### أثر استماع القرآن في المؤمنين

إنَّ أثر القرآن العظيم فيمن يسمعه ليس خاصاً بالملائكة الكرام، أو بالنبي ﷺ فقط، بل يمتدُّ ليشمل سائر البشر؛ مؤمنهم وكافرهم، ولكن الأثر يختلف باختلاف الشَّخص نفسه؛ فإذا كان القرآن يُحدث أثراً في قلب ونفس

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب: في حسن الصَّوت بالقرآن (٤٢٥/١) (ح ١٣٣٨)؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٢٣/١) (ح ١١٠٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كان جبريلُ يُعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (٣/١٦١٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٥/٩).



الكافر، إلا أن هذا الأثر لا ينعكس على حياته، ولا على سلوكه، بل يُحاول أن يكتم هذا الأثر كي لا يظهر على ملامحه، ويفتضح أمره، فيتلاشى أثر القرآن أمام عناده واستكباره، أمّا المؤمنون فقد امتثلوا آيات الله تعالى، لتعمل في قلوبهم عملها من التأثير والخوف والخشوع وزيادة الإيمان، ويظهر هذا التأثير جلياً في انفعالاتهم وملاحظتهم عند سماعهم للقرآن، وكذلك يظهر في سلوكهم وحياتهم، ولتتبع بعض الآيات التي عبّرت عن ذلك وأظهرته، ومنها:

١ - يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا فَنَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون عند قراءة القرآن أو سماعه، لرفقة في قلوبهم، وخشوعاً وخضوعاً عند كلام الله تعالى، مع ما يكون من الوجع والخوف والبكاء، فعن عبد الله بن عمرو بن العروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «كيف كان أصحاب رسول الله يفعلون إذا قرئ القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعروا جلودهم»<sup>(١)</sup>.

وكثير من العلماء الذين تناولوا قضية إعجاز القرآن بالبحث والتصنيف، يستشهدون بهذه الآية على ما للقرآن من تأثير في نفوس سامعيه، وخاصة إذا كانت مؤمنة بالله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وقد أجرى ابن كثير رحمته الله مقارنة بين نوعين من المتلقين لهذه الآية، فقال: «هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعروا منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الآيات،

(١): تفسير البغوي (٤/٧٧)؛ الدر المنثور (٧/٢٢٢).

(٢) انظر: الإعجاز التأثري للقرآن الكريم، د. محمد عطا أحمد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت (عدد ٣٦) (شعبان ١٤١٩). (ص ٥٣).



من أصوات القينات<sup>(١)</sup>.  
 الثاني: أنهم إذا قُليت عليهم آيات الرَّحْمَنِ خَرُّوا سَجْدًا وَبِكْيًا، بأدب وخشية، ... لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مُصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله - من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم - تقشعروا جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ويتكلمون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقدح المَعْلَى في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

٢ - ومن الآيات التي تُظهر أثر استماع القرآن في المؤمنين، قوله تعالى:  
 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

لقد حاز المؤمنون - عند ربهم - درجة سامقة رفيعة؛ لتأثرهم بالقرآن المجيد، تأثراً عملياً صادقاً، له نتائجه في واقع حياتهم وحياة مجتمعهم.

وقد وصف الصحابيُّ الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه هذا الوجَل المذكور في الآية، بقوله لشهر بن حوشب: «الوجَلُ في القلب كإحراق السَّعْفَةِ، أما تجد له قشعريرة؟ قال (شهر بن حوشب): بلى. قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادعُ الله، فإنَّ الدعاء يُذهب ذلك»<sup>(٣)</sup>.

فهذا الوجَل ارتعاشةٌ قلبيةٌ تنتاب المؤمن حين يُتلى عليه القرآن العظيم، بما فيه من أوامر ونواهٍ وزواجر، فيغشاه جلاله، ويتنفض منه مهابةً، ويتمثل عظمة الله إلى جانب تقصيره، فينبعث إلى العمل والطاعة<sup>(٤)</sup>.

ولقد واجه سيّد قطب رحمته الله مثل هذه الحالة فقال: «كنت بين رفقة نسمر

(١) القينات: المَعْنِيَات.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٢/٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/٢٢٤) (رقم ١٥٧٠٥)؛ والسيوطي في «الدر المثور» (٤/١١).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٣/١٤٧٥).

حينما طرَقَ أسمعنا صوت قارئ للقرآن من قريب، يتلو سورة النجم. فانقطع بيننا الحديث، لنستمع وننصت للقرآن الكريم. وكان صوت القارئ مؤثراً وهو يرتل القرآن ترتيلاً حسناً.

وشيئاً فشيئاً عشتُ معه فيما يتلوه...

فلما سمعتُ: ﴿فَاعْبُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]. كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقاً إلى أوصالي، واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته. فظلَّ جسми كله يختلج، ولا أتمالك أن أثبتته، ولا أن أكفكف دموعاً هاتئة، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة<sup>(١)</sup>.

٣ - ونختم بهذه الآية الكريمة التي تُظهر أثر استماع القرآن في المؤمنين، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْهِمْ مَائِدَاتُ الرِّحْمَنِ خَرُوعًا سَجْدًا وَبِكَاكًا﴾ [مريم: ٥٨].

فهذا ثناء من الله تعالى على المؤمنين، الَّذِينَ من وَصِفِهِم التَّائِبُ والبكاء عند سماعهم لآيات الرَّحْمَنِ، ولم يكونوا كَالَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا آيَاتِ اللَّهِ خَرُّوا عَلَيْهَا صَمًا وَعُمِيَانًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المراد به القرآن خاصّة، وأنهم كانوا يسجدون ويكفون عند تلاوته»<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي رحمته الله: «البكاء عند تلاوة القرآن صفة العارفين، وشعار الصّالحين»<sup>(٣)</sup>. ولهذا قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم فسجد، وقال: «هذا السُّجود، فأين البكي؟» يريد: فأين البكاء<sup>(٤)</sup>.

وكان عبد الأعلى التيمي رحمته الله يقول: «مَنْ أوتي من العلم ما لا يُبْكِيه لخليق ألا يكون أوتي علماً؛ لأن الله نعت العلماء، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِلآذَانِ سَجْدًا﴾ (١٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَجِرُونَ لِلآذَانِ يَكُوتَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]»<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه (٦/٣٤٢١). (٢) تفسير القرطبي (١١/١٢٧).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٤٤)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/١٢٩) (رقم ٢٣٧٧٩)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٤١٢).

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٤١) (رقم ١٢٥)؛ والطبري في «تفسيره» (٩/٢٢٣).

(رقم ٢٢٨٠٠).

## المطلب الخامس

## أثر استماع القرآن في أعدائه وخصومه

بلغ تأثير القرآن العظيم مبلغاً خرق به العادة المعهودة من تأثير الكلام في النفوس، واستيلائه على قلوب المخاطبين استيلاءً كالقهر وما هو بالقهر، وفعله في قلوبهم كالسحر وما هو بالسحر، لا يختص ذلك بالأنصار دون الخصوم، ولا بمخالفه دون مخالفه، ولقد أثر في الأعداء كما أثر في الأتباع، وبينان ذلك على النحو التالي:

## ١ - تأثر عتبة بن ربيعة بالقرآن:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليات هذا الرجل الذي فرّق جماعتنا، وشئت أمرنا، وعاب ديننا، فليكنمه ولبنظر ماذا يرؤ عليه.

فجاءه عتبة بن ربيعة<sup>(١)</sup> وكلّمه كلاماً طويلاً، حتّى إذا فرغ عتبة، قال له النبي صلى الله عليه وآله: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمِّمٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي مَا آذَانُنَا وَقَدْ أُنزِلَتْ مِنَّا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلًا ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ١ - ٥].

واستمر النبي صلى الله عليه وآله يقرأ حتّى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَافِحَةً مِثْلَ صَافِحَةَ عَادٍ وَقَوْمِ﴾ [فصلت: ١٣].

فأمسك عتبة على فيه، وناشده الرّحم أن يكفّ عنه، ثم قام عتبة إلى أصحابه.

فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

(١) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، كان من عتاة المشركين، وأشدّهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى المؤمنين حرباً وإيذاء، كان ممن دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بأعيانهم. انظر: البداية والنهاية (٣/٢٧٣).



- وكان فيما قال لهم: يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلُّوا بين هذا الرَّجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُ نبأ... قالوا: سَحَرَكَ اللهُ يا أبا الوليد بلسانه<sup>(١)</sup>.

هكذا كان أثر سماع القرآن في أعدائه يُعتبر مفاجأة مذهلة، لم تعتدها آذانهم ولا عقولهم، ولم يعهدوا في ثقافتهم مثل هذا الخطاب الذي فاق في بلاغته وتأثيره - كلُّ ما سمعته آذانهم من قبل - شعراً كان أو نثراً.

## ٢ - تأثر زعماء المشركين بالقرآن:

زعماء المشركين مع عنادهم كان يُسارق بعضهم بعضاً، فربَّما خرج أحدهم في جُحج الليل المظلم ما يُخرجه إلا استيلاء القرآن على مشاعره، يبحث عمَّن يتلو القرآن في هدأة الليل، وقد أرخى سدوله؛ فهذا أبو صفيان ابن حرب، وأبو جهل بن هشام، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة؛ ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلِّي من الليل في بيته، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه، وكلُّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتَّى إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو وآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثمَّ انصرفوا... وحصل في الليلة الثانية ما حصل في الأولى... وحين التقوا في الليلة الثالثة، قال بعضهم لبعض: لا نبرح حتَّى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثمَّ تفرَّقوا.

هكذا كان تأثير القرآن في الأعداء، يخلع منهم القلوب، فيطير النُّوم من عيونهم، ويبحثون عن سكن لها حتَّى إذا ما وجدوه وكادوا أن يستكينوا له.

(١) انظر: دلائل النبوة، لإسماعيل بن محمد الفضيل التيمي الأصبهاني (٢/ ٢٢٠ - ٢٢٢) (رقم ٢٥٨)؛ ومسنَد أبي يعلى (٣/ ٣٥٠) (رقم ١٨١٨)؛ ومصنَّف ابن أبي شيبة (٣٣٠٧) (رقم ٣٦٥٦٠). وقال عنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٠): «رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وثقه رجاله ثقات». وفي رواية أخرى: أن الذي سمع من النبي ﷺ سورة فصلت وحدثت معه هذه القصة هو الوليد بن المغيرة. انظر: تفسير الطبري (٢٨/ ١٥٥ - ١٥٧)؛ الدرر المشور (٧/ ٣٥٨).



أخذتهم العزلة بالإثم، فارتدوا على أديارهم ما يمتنعهم إلا العناد. ولهذا حين ملأ الأحنس أبا جهل عن رأيه فيما سمعه من النبي ﷺ قال: ماذا سمعت!! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا جبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى نذكر مثل هذه!! والله لا نؤمن أبداً ولا نصدقه<sup>(١)</sup>.

### ٣ - تأثر الطفيل بن عمرو بالقرآن:

تحكي لنا كتب السيرة قصة رجل من اليمن من قبيلة دوس قدم مكة في العام الحادي عشر من النبوة، ألا وهو الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ، فاستقبله أهل مكة قبل وصوله إليها، وبذلوا له أجلاً تحيةً وأكرم تقدير، وقالوا له: «إِنَّكَ قَدِمْتَ بلادنا، وإنَّ هذا الرَّجُلَ - وهو الذي بين أظهرنا - فرَّق جماعتنا، وشئت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يُفرِّق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد حلَّ علينا، فلا تكلمه، ولا تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بي، حتى أجمعتُ ألا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه حتى حشوتُ في أذني - حين غدوتُ إلى المسجد - كُرْسُفاً؛ فرَقاً من أن يبلِّغني شيء من قوله. قال: فغدوتُ إلى المسجد، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصَلِّي عند الكعبة، فقمْتُ قريباً منه، فأبى الله إلا أن يُسمِعني بعضَ قوله، فسمعتُ كلاماً حسناً، فقلتُ في نفسي: واثكل أمياه، والله إنِّي لرجلٌ لبيبٌ شاعر، ما يخفي عليَّ الحسنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرَّجُل ما يقول؟ فإن كان ما يقولُ حسناً، قبلتُ، وإن كان قبيحاً، تركتُ. قال: فمكثتُ حتى انصرف رسولُ الله ﷺ إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه، فقلتُ: يا محمد! إنَّ قومك قد قالوا لي: كذا وكذا، فوالله ما برحوا يُخوفوني أمرَكَ حتى سدَدتُ أذني بِكُرْسُفٍ لثلاً أسمع قولك، ثمَّ أبى الله إلا أن يُسمِعني، فسمعتُ قولاً حسناً، فاعرض عليَّ

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (٤/١٦٩)؛ والسيرة النبوية، لابن هشام (٢/١٥٧)؛ ودلائل النبوة (٢/٢٠٦)؛ الدر المنثور (٥/٢٩٩)؛ وتفسير ابن كثير (٣/٤٥)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/٣٧٩)؛ والخصائص الكبرى، للسبوطي (١/١٩٢).

أثر استماع القرآن في أعدائه وخصومه

أمرك، فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه، ولا أمراً أعدلَ منه، فأسلمتُ، وشهدتُ شهادة الحقِّ»<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - تأثر جُبَيْر بن مُطعم بالقرآن:

عن جُبَيْر بن مُطعم رضي الله عنه، قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أَمْ خَلَقُوا أَلْسِنَتَهُ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣١﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمْ الْمُهَيَّبُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]. كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير رضي الله عنه: «وكان جُبَيْرٌ - لما سمع هذا - بعدُ مشركاً على دين قومه، وإنما كان قديمٌ في فداء الأسارى بعد بدر، وناهيك بمن تَوَثَّرَ قراءته في المشرك المِصْرُ على الكفر، فكان هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوعٍ من القلب»<sup>(٣)</sup>.

#### ٥ - حادثة سجود المشركين مع المسلمين:

إذا كنا قد عرضنا لأثر القرآن على أعدائه في صور فردية، تصدر عن أفراد بعينهم، فليس أبلغ ولا أعمق في الدلالة على مدى أثر القرآن على سامعيه من أعدائه من تلك الصورة الجماعية، حيث ضرب لنا كَفَّار قريش مثلاً واقعياً يبيِّن أثر القرآن العظيم على قلوبهم - رغم كفرهم - فلم يتمالكوا أنفسهم عندما قرأ رسول الله ﷺ «النَّجْم» وسجد، فسجدوا وهم مشركون، وهم يمارون في التوحي والقرآن، وهم يجادلون في الله ورسوله، وإنما سجدوا تحت وطأة القرآن، وسلطانه على الكون كله.

فعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: «سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٢٤ - ٦٢٥). وانظر: السيرة النبوية، لابن هشام

(٢) (٢/ ٢٢٦)؛ ودلائل النبوة، للبيهقي (٥/ ٣٦٠)؛ ودلائل النبوة، للأصبهاني (١/ ٢١٢)؛

وتاريخ مدينة دمشق (٢٥/ ١٣)؛ والبداية والنهاية (٣/ ٩٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة الطور (٦/ ٥٨). (ح ٤٨٥٤).

(٣) فضائل القرآن (ص ١٩٤).

والمُشْرِكُونَ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ»<sup>(١)</sup> .  
٦ - تأثر أهل المدينة بالقرآن:

صدق القائلون: «فُتحت الأمصار بالسيف، وفتحت المدينة بالقرآن»<sup>(٢)</sup> .  
فقد كان القرآن الكريم هو السلاح الحاسم في تحويل أهل المدينة - خزرجهم وأوسهم - من الشرك والوثنية إلى الإسلام والقرآن.

ففي بيعة العقبة الأولى دار هذا الحوار بين النبي ﷺ، ونفر من خزرج المدينة - وكانوا ستة نفر: قال لهم رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْتُمْ؟» قالوا: نفر من الخزرج.

قال: «من موالى اليهود؟» - أي: حلفائهم - قالوا: نعم. قال: «أفلا تجلسون أكلّمكم؟» قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله تعالى، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فأمنوا وصدّقوا<sup>(٣)</sup>.

وبعد ذلك أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير، وعبد الله ابن أم مكتوم ﷺ إلى المدينة؛ ليعلمّا النَّاسَ القرآن<sup>(٤)</sup>.

### المطلب السادس

## أثر استماع القرآن في النَّصَارَى

أخبر الله تبارك وتعالى بأنَّ بعض النَّصَارَى استمعوا للقرآن العظيم، وتأثروا به، ممَّا دفعهم إلى الإيمان بالرَّسُولِ ﷺ والدُّخُولِ في الإسلام، بعد ما فاضت أعينهم بالدَّمْعِ ممَّا عرفوا من الحقِّ.

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿فَأَنذَرْنَا لَكُمْ وَيَوْمَ نَأْتِيكُمْ﴾ (٣/١٥٤٥) (ح ٤٨٦٢).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٢١٧).

(٣) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٢٧٧)؛ دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٤٣٤)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/٢٢٠)؛ تاريخ الإسلام، للذهبي (١/٢٩٠)؛ صفة الصفة، لابن الجوزي (١/١٢٠).

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٤٣٤)؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٢/٦٧)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/٢٦٠).



ولم يُسمَّ الله تعالى لنا أسماء هؤلاء القوم من النصارى، ويمكن أن يُراد بهم النَّجاشي وأصحابه، أو غيرهم ممَّن أثر فيهم استماع القرآن، وذلك بأنهم أقرب النَّاسِ وِدَاداً للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِكِ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٥].

اللام في قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ لام القسم، والمقصود منها التأكيد، وزادته نون التوكيد تأكيداً. والتقدير: فسمًا إنك تجد اليهود والمشركين أشدَّ النَّاسِ عداوةً للمؤمنين.

والسبب في ذكر اليهود مع المشركين: هو اجتماع الفريقين على عداوة المسلمين، فقد أُلِفَ بينهم بغير الإسلام؛ فاليهود: للحسد على مجيء النبوة من غيرهم، والمشركون: للحسد على أن سبَّهم المسلمون بالهداية إلى الدين الحق ونبذ الباطل.

وذكر الله تعالى أن النصارى ألينُ عريكةً من اليهود وأقرب إلى المسلمين منهم في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾.

والمقصود: أن النصارى أقرب النَّاسِ من أهل الملل المخالفة للإسلام. فهذان طرفان في معاملة المسلمين: ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ و﴿أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾.

وبين الطرفين فرقٌ متفاوتة في بغض المسلمين، مثل المجوس والصابئة وعبدة الأوثان أو المعطلة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: التفسير الكبير (٥٦/١٢)؛ التحرير والتنوير (١٨٣/٥).



والسبب في اقتراب مودة النصارى من المسلمين: هو وجود القسيسين<sup>(١)</sup> والرهبان<sup>(٢)</sup> بينهم، لما هو معروف بين العرب من حُسن أخلاق القسيسين والرهبان، وتواضعهم وتسامحهم. وكانوا منتشرين في جهات كثيرة من بلاد العرب يعمرّون الأديرة والصوامع والبيع، وأكثرهم من عرب الشام، الذين بلغتهم دعوة النصرانية عن طريق الروم، فقد عرفهم العرب بالزهد ومسألمة الناس، فوجدوا هؤلاء فيهم، وكونهم رؤساء دينهم، كان سبباً في صلاح أهل ملّتهم<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري<sup>رحمته الله</sup>: «والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكّره أخبر عن النّفر الذين أتى عليهم من النصارى بقرب مودّتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله، أنّ ذلك إنّما كان منهم؛ لأنّ منهم أهل اجتهاد في العبادة وترهيب في الديارات والصوامع، وأنّ منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحقّ إذا عرفوه، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه؛ لأنّهم أهل دين واجتهاد فيه ونصيحة لأنفسهم في ذات الله، وليسوا كاليهود الذين قد درّبوا بقتل الأنبياء والرسل ومعاندة الله في أمره ونهيه، وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه»<sup>(٤)</sup>.

ويعضد هذا: ما ذكره الطبري<sup>(٥)</sup>، والواحدي<sup>(٦)</sup>، وكثير من المفسرين. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أنّ المعنّي في هذه الآية ثمانية من نصارى الشام، كانوا في بلاد الحبشة، وأتوا المدينة سنة سبع للهجرة، مع اثنين وستين راهباً من الحبشة، مصاحبين للمسلمين الذين وجعوا من هجرتهم بالحبشة، وسمعوا القرآن وأسلموا.

(١) القسيسون: هم خطباء النصارى وعلمائهم، وأخذهم: قسيس وقس أيضاً، وقد يُجمع على قسوس. انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٤٠٤)، مادة: «قسس». تفسير الطبري (٣/٧).

(٢) الرهبان: جمع راهب، مثل رُكبان جمع راكب، وقُرسان جمع فارس. والراهب من النصارى: المنقطع في دَيْرٍ أو صومعة للعبادة. مشتق من الرهبة، وهي الخوف. انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٢٠٩)، مادة: «رهب». تفسير الطبري (٣/٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٨٤/٥)؛ (٤) تفسير الطبري (٤/٧).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٢/٧)؛ (٦) انظر: تفسير الواحدي (١/٣٣٢).

فالإشارة إليهم في هذه الآية تذكير بفضلهم، وهي من آخر ما نزل<sup>(١)</sup>.

تأثر القسيسين والرهبان بسماع القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

إذا سمع هؤلاء القسيسون والرهبان القرآن العظيم يتلى عليهم اهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيراً عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه. والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاءً من التعبير إلا الدمع الغزير - وهي حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول، فيفيض الدمع؛ ليؤدّي ما لا يؤدّيه القول؛ وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق<sup>(٢)</sup>.

المقصود بفيض العين:

وفيض العين من الدمع فيه وجهان:

- ١ - أن أعينهم تمتلئ من الدمع حتى يسيل منها، كفيض النهر. وفيض الإناء، وهو سيلانه عند شدة امتلائه.
  - ٢ - أن المراد المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم، كأنها تفيض بأنفسها<sup>(٣)</sup>.
- وسبب فيضها: «ما عرفوا عند سماع القرآن من أنه الحق الموعود به»<sup>(٤)</sup>.

تأثر النجاشي وأساقفته بسماع القرآن:

حصلت قصة أخرى - قبل ذلك - للنجاشي وأساقفته عند استماعهم للقرآن يتلى عليهم:

فعن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت في شأن هجرتهم إلى الحبشة، (بلاد

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٨٦/٥). (٢) في ظلال القرآن (٩٦٢/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/٧)؛ التفسير الكبير (٥٧/١٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٨٧/٥).

النَّجَاشِي). . . فقال النَّجَاشِي<sup>(١)</sup>: فهل معكم شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته، فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال لهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم، فقرأ عليهم صدراً من: سورة كهيعص. فبكى - والله - النَّجَاشِي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم<sup>(٢)</sup>.

### المطلب السابع

#### أثر استماع القرآن في الجن

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يُعَلِّمَ المسلمين وغيرهم بأن الله عزَّ وجلَّ أوحى إليه وقوعَ حَدِيثٍ عَظِيمٍ في دعوته المباركة، أقامه الله تَكْرِيمًا لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ صلى الله عليه وسلم، وتَوثيقًا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وهو أن سَخَّرَ لَهُ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ لِاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَالْإِهْتِدَاءِ بِهِ؛ وَهُوَ مِنَ الْأَدَلَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجِنَّ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَانْقَادُوا لَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُرْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الْرُشْدِ فَآمَنَّا بِهِ. وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

وَبَعْدَ إِيمَانِ الْجِنِّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَتَأَثُّرِهِم بِالْقُرْآنِ، تَأَيَّدُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ

(١) النَّجَاشِي: لَقِبٌ يُلقَّبُ بِهِ مَلُوكُ الْحَبَشَةِ، كَمَا يُقَالُ لِمَلِكِ الْفُرْسِ: كَسْرِي، وَلِمَلِكِ الرُّومِ: قَيْصَرٌ، وَنَجَاشِي الْحَبَشَةُ الْمَعْنِي هُنَا هُوَ: أَصْحَمَةُ بْنُ أَبِحْرٍ، وَكَانَ مَلِكًا صَالِحًا، لَبِيبًا ذَكِيًّا، وَعَالِمًا عَادِلًا، شَهِدَ لَهُ الرُّسُولُ صلى الله عليه وسلم بِالْإِسْلَامِ وَالصَّلَاحِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ حِينَ مَاتَ، وَهُوَ الَّذِي أَوَى الْمُسْلِمِينَ فِي هِجْرَتِهِمْ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَأَكْرَمَهُمْ، وَدَفَعَ عَنْهُمْ أذى قَرِيشٍ، تَوَفَّى ﷺ سَنَةَ (٥٩هـ)، وَقِيلَ: قَبْلَ ذَلِكَ.

انظر: السيرة النبوية، لابن كثير (٢٩/٢ - ٣٠).

(٢) قِطْعَةٌ مِنْ خَبَرِ مُطَوَّلٍ، رَوَاهُ: ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «الْمَغَازِي» (٢١١/١)؛ وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ» (٢١٧/١)؛ وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٠١/١) (ح ١٧٤٥) (٢٩٠/٥ - ٢٩٢) (ح ٢٢٦٤٥)؛ وَأَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (٢٤/٦ - ٢٧). وَقَالَ: «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالسَّمَاعِ».

وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ: الْأَبَانِيُّ فِي «تَخْرِيجِ فَهْمِ السُّنَّةِ» (ص ١٥٤)، وَالْأَرْنَؤُوطُ فِي «تَخْرِيجِ زَادِ الْمَعَادِ» (٢٩/٣).



الكريم ﷺ، حيث جعله مُصَدِّقاً عند الثَّقَلَيْنِ، ومعظماً في العالمَيْنِ، وذلك لم يحصل لرسولٍ قبله.

### الحكمة من نزول القرآن بخبر الجن:

أشار ابن عاشور رحمته الله إلى الحكمة من نزول القرآن بخبر الجن قائلًا: «والمقصود من نزول القرآن بخبر الجن: توبيخ المشركين بأنَّ الجنَّ - وهم من عالمٍ آخر - عَلِمُوا القرآنَ، وأيقنوا بأنَّه من عند الله، والمشركون - وهم من عالمِ الإنس، ومن جنس الرسول ﷺ المبعوث بالقرآن، وممن يتكلم بلغته القرآن - لم يزالوا في ريب منه، وتكذيب وإصرار، فهذا موعظة للمشركين بطريق المضادة لأحوالهم»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمته الله في موضعٍ آخر: «والذين أمرَ الرسول ﷺ بأنَّ يقول لهم إنه أوحى إليه بخبر الجن: هم جميع النَّاس الذين كان النبي ﷺ يبلغهم القرآن، من المسلمين والمشركين، أراد الله إبلاغهم هذا الخبر؛ لما له من دلالة على شرف هذا الدين، وشرف كتابه، وشرف مَنْ جاء به، وفيه إدخال مسرة على المسلمين، وتعريض للمشركين؛ إذ كان الجنُّ قد أدركوا شرف القرآن، وفهموا مقاصده، وهم لا يعرفون لغته، ولا يدركون بلاغته، فأقبلوا عليه، والذين جاءهم بلسانهم، وأدركوا خصائص بلاغته، أنكروه، وأعرضوا عنه»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء مثل ذلك عن الرَّازي رحمته الله، وأشار إليه بقوله: «وفيه فوائد.

إحداها: أن يعرفوا بذلك أنه ﷺ كما بُعث إلى الإنس، فقد بُعث إلى الجنِّ. وثانيها: أن تعلم قريش أن الجنَّ - مع تمردهم - لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه، فأمنوا بالرسول. وثالثها: أن يعلم القوم أن الجنَّ مكلفون كالإنس. ورابعها: أن يعلم أن الجنَّ يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا. وخامسها: أن يظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان، وفي كل هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها النَّاس»<sup>(٣)</sup>.

(١) - التحرير والتنوير (٢٦/٤٨ - ٤٩). (٢) - المصدر نفسه (٢٩/٢٠٥ - ٢٠٦).

(٣) - التفسير الكبير (٣٠/١٣٦).



وعلى كل حال: فهؤلاء النَّفَر من الجن حصل لهم شرف توحيد الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته، وصدق رسوله ﷺ، وصدق القرآن، والتأثر بسماعه، فصاروا من خيرة المخلوقات، فأكرموا - في الدنيا - بشرف الدَّعوة إلى الله تعالى، وأكرموا - في الآخرة - بالفوز بالجنة، فلم يكونوا مِمَّن ذرأ الله لجهنم من الجن والإنس.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ مَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِيقَ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوْمَنَا آبِئْنَا دَاعِيَ اللَّهِ وَمَا وُثِقُوا بِهِ يَفْتَرُونَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَمِنْ ذُنُوبِكُمْ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ وَإِن لَّا يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَالْتَمِسْ يَمْحِجِرْ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

\* وأما الأدلة من السنة: فهناك الأحاديث الكثيرة والروايات المتكاثرة التي ثبتت تأثر الجن بما سمعوه من القرآن، وأقتصر في هذا الصدد على رواية - في صحيح البخاري - وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال:

«انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة<sup>(١)</sup> إلى رسول الله ﷺ بنحلة<sup>(٢)</sup>، وهو عامد إلى

(١) (تهامة): اسم لكل مكان غير عالٍ من بلاد الحجاز، سميت بذلك لشدة حرها اشتقاقاً من التَّهْم بفتحين، وهو شلة الحر وسكون الليل.

(٢) (نحلة): موضع بين مكة والطائف، قال البكري: على ليلة من مكة. وهي التي يُنسب إليها بطن نخل. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٨٦٠).

سُوقِ عُكَاظٍ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ يُضَلِّي بِأَضْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ لَسَمِعُوا لَهُ<sup>(٢)</sup>، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي خَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهَنَّا لِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلَ آتَا عَجَبًا﴾ ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢]. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]. وَإِنَّمَا أَوْحَى إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ<sup>(٣)</sup>.

ومن الفوائد التي ذكرها ابن حجر رحمته الله - بعد شرحه للحديث - قوله: «وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن، وأنها لمسمى واحد، وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان،... وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حُسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر، ولو بلغ ما بلغ؛ لأن هؤلاء الذين بادرُوا إلى الإيمان، بمجرد استماع القرآن، لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر، ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدّث الحادث من جهتها. ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون<sup>(٤)</sup>».

وقد عقّب ابن كثير رحمته الله - بعد أن أورد الطُّرُقَ والرِّوَايَاتِ، التي تفيد استماع الجن للقرآن وتأثيرهم به - قائلاً: «فهذه الطُّرُق كلها تدلُّ على أنه ﷺ ذهب إلى الجنَّ قَصْداً، فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله ﷻ، وشرع الله لهم على

(١) (سُوقِ عُكَاظٍ): هو موسم معروف للعرب. بل كان من أعظم مواسمهم، وهو نخل في وادٍ بين مكّة والطائف، وهو إلى الطائف أقرب، بينهما عشرة أميال، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن. وقال البكري: أول ما أحدثت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، ولم نزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة، فخرج الخوارج الحرورية فنهبوا فتركت إلى الآن، وكانوا يُقيمون به جميع شوال، يتبايعون ويتفاخرون، وتشد الشعراء ما تجدد لهم، وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان: سَأَنْشُرُ إِنْ حَيِّتْ لَكُمْ كَلَاماً يُنْشَرُ فِي الْمَجَامِعِ مِنْ عُكَاظٍ انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٨٥٥).

(٢) (تَسَمِعُوا لَهُ): أي قصدوا لسماع القرآن، وأصغوا إليه.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الجن: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ﴾ (٣/١٥٧٣) (ح ٤٩٢١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٨٦١).

لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت. وقد يحتمل: أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما. ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود.

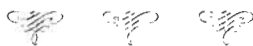
وأما ابن مسعود رضي الله عنه فإنه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم، وإنما كان بعيداً منه، ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد سواه، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة، هذه طريق البيهقي.

وقد يحتمل: أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ابن مسعود ولا غيره، كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام أحمد، وهي عند مسلم. ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

\* ومما يدل - كذلك - على صدق إيمان الجن وتأثرهم بسماع القرآن العظيم، أنهم قابلوا الآيات التي تلى عليهم بالشكر القولي.

فعن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال:

«لَقَدْ قَرَأْتَهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ، فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُوداً مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]»<sup>(٢)</sup>، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد<sup>(٣)</sup>.



(١) تفسير ابن كثير (٢٩٧/٧). (٢) وتكررت بعدها (٣٠) مرة.

(٣) رواه الترمذي (٣٩٩/٥) (ح ٣٢٩١)؛ والحاكم في «المستدرک» (٥١٥/٢) (ح ٣٧٦٦) وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: (١١٢/٣) (ح ٢٦٢٤). و«الصحيححة»: (١٨٣/٥) (ح ٢١٥٠).





## الفصل الرابع

# هجر تعلم القرآن وتعليمه

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر هجر تعلم القرآن وتعليمه.

المبحث الثاني: آداب مُعلِّم القرآن ومُتعلِّمه.

المبحث الثالث: فضائل تعلم القرآن وتعليمه.

المبحث الرابع: أحكام تعلم القرآن وتعليمه.

المبحث الخامس: همّة السلف في تعلم القرآن وتعليمه.

## المبحث الأول

## مظاهر هجر تعلُّم القرآن وتعليمه

الإعراض عن تعلُّم القرآن وتعليمه - في الواقع المُعاصر - يأخذ مظاهر عدّة، فربّما كان تشاغلاً بأمر من أمور الدُّنيا، أو كان زهداً في تعلُّم القرآن وتعليمه، أو كان تكاسلاً عن التَّعلم والتَّعليم، أو جهلاً بفضائل تعلُّم القرآن وتعليمه، أو غير ذلك.

وفي هذه المُجالاة سنُجمل مظاهر هجر تعلُّم القرآن وتعليمه في النُّقاط الآتية:

أولاً: مظاهر هجر تعلُّم القرآن:

- ١ - قلة احتساب الأجر، وضعف النية في تعلُّم القرآن.
- ٢ - العَبَث والفوضى في مجلس التَّعليم، وعدم الانضباط.
- ٣ - الانتظام لفترة وجيزة من الوقت، ثمَّ ترك حلقة التَّعليم بلا رجعة.
- ٤ - كثرة الغياب أو التَّأخُّر في المجيء إلى حلقة التَّعليم.
- ٥ - عدم وضوح الهدف والغاية من تعلُّم القرآن.
- ٦ - عدم التزام الأدب في حمل المصحف ووضعه، أو الكتابة عليه، أو تمزيق بعض أوراقه من قِبَل صغار المتعلِّمين.
- ٧ - التَّقصير في الحفظ والمراجعة والأداء، وعدم الحرص على تحسين المستوى في ذلك.
- ٨ - عدم تخصيص أوقات لمراجعة القرآن.
- ٩ - الانقطاع عن حلقة التَّعليم لفترات طويلة، ثمَّ العودة.
- ١٠ - التَّسرُّب من حلقة التَّعليم، وإيهام الأهل بالذهاب إليها والانتظام فيها، مع أنَّ الواقع خلاف ذلك.

- ١١ - اعتناء المتعلمين بالكلم دون الكيف أثناء عملية التعليم.
- ١٢ - انحراف أذهان الطلاب، بل وأجسادهم إلى مواطن اللُّعب واللَّهو نتيجة قربها من مكان حلقة التَّعليم<sup>(١)</sup>.
- ١٣ - جعلُ تعلُّم القرآن وسيلةً لنيل جوائز مسابقات تحفيظ القرآن، أو للتعيين في وظيفة إمام مسجد، أو للتدريس في مدرسة أو حلقة تحفيظ، أو للقبول في جامعة أو كلية، أو للقراءة في الملتئم والعزاء، أو لعلماً باليدوية.
- ١٤ - عدم استشعار فضائل تعلُّم القرآن بنتهما به نيلهما باليدوية.
- ١٥ - جعلُ تعلُّم القرآن مقتصرًا على المراحل الدَّرَاسِيَّة النظامية مع عدم كفايتها.
- ١٦ - تعلُّم الفقه والحديث وعلوم الشريعة الأخرى قبل القرآن الكريم.
- ١٧ - تقدُّم السن مع عدم تعلُّم القرآن حياءً أو تكبرًا.
- ١٨ - الحصول على شهادات عالية في مختلف التخصصات مع عدم إتقان القرآن الكريم.
- ١٩ - الزُّهد في تخصصات علوم القرآن والتَّجويد.
- ٢٠ - تبوُّء المناصب المختلفة في الوزارات والشركات والمؤسسات والهيئات مع ضعف العناية بتعلُّم القرآن.
- ٢١ - بعض الفُسَّاق يتعلَّمون التَّجويد لتحسين مخارج الحروف من أجل أداء أفضل في الغناء، زعموا!!

### ثانياً: مظاهر هجر تعليم القرآن:

- ١ - إقبال المعلم على تعليم القرآن لدافعٍ ماديٍّ بحت، واعتبار التدريس مجرد أداء وظيفي لا غير.
- ٢ - استعمال معلِّم القرآن طلابه في نيل مآربه ومصالحه الخاصة.

(١) انظر: نحو أداء متميز لحلقات تحفيظ القرآن الكريم، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي (ص ٥٢ - ٥٦).

## مظاهر هجر تعلم القرآن وتعليمه

- ٣ - الإقبال على تعليم أبناء الأغنياء دون الفقراء .
- ٤ - قلة احتساب الأجر في تعليم القرآن، وضعف النية .
- ٥ - عدم استشعار فضائل تعليم القرآن .
- ٦ - عدم تفرغ المعلم للحلقة ذهنياً أو زمنياً، أو إتيانه إليها مُنْهَك القوى، خائراً الجسد .
- ٧ - كثرة غياب المعلم أو تأخره في المجيء إلى حلقة التعليم .
- ٨ - تصدر المعلمين غير المتقنين لتدريس القرآن .
- ٩ - سوء الخُلُق مع المتعلمين، وعدم الرِّفق بهم، وعدم الصَّبْر على أخطائهم .
- ١٠ - ألا يكون المعلم قدوة حسنة لطلابه في المظهر، أو السلوك .
- ١١ - سوء القيام بتأديب المتعلمين إفراطاً أو تفریطاً .
- ١٢ - عدم وضوح الهدف والغاية من تعليم القرآن .
- ١٣ - ازدياد شخصية معلم القرآن في وسائل الإعلام .



مجلد دوم، باب اول، آیت ۱۰۱

### المبحث الثاني

## آداب مُعَلِّم القرآن ومُتَعَلِّمه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آداب مشتركة بين مُعَلِّم القرآن ومُتَعَلِّمه.

المطلب الثاني: آداب مُعَلِّم القرآن.

المطلب الثالث: آداب مُتَعَلِّم القرآن.

## المطلب الأول

## آداب مشتركة بين معلّم القرآن ومتعلّمه

معلّم القرآن ومتعلّمه شريكان في المسؤوليةّ الجسيمة الملقاة على عاتقهما، وهي حمل كتاب الله تعالى؛ وهذه نعمة عظيمة، ومِنَّة جليلة، تستوجب الشكر الدائم، وهي في الوقت ذاته حُجّة لهما أو عليهما، فلا بدّ لهما من التّحلّي بمجموعة من آداب؛ للمحافظة على هذه النّعمة الكبيرة، مع الأخذ في الاعتبار أنّ معلّم القرآن مُضاعف المسؤوليةّ.

وسأقتصر في هذا الشّأن على ذكر أدبين مهمّين، بل هما أصلان عظيمان يجب العمل بهما؛ لأنهما كالأساس للبناء، فلا يقوم الفرع إلّا بأصل، وهما على النحو الآتي:

١ - التمسك بمنهج السلف في الاعتقاد:

١ - التمسك بمنهج السلف في الاعتقاد:

يعدّ الالتزام بأصل الاعتقاد الذي كان عليه السلف الصّالح، وبراءة المرء من المُحدثات والبدع من أكبر منن الله عليه.

وسلامة الاعتقاد مطلب شرعي، ومن أوّل الصّفات التي ينبغي أن يتحقّق بها معلّم القرآن ومتعلّمه.

ذلك أنّ رجل العقيدة السلفية سهم يندفع في تحقيق أهدافه، قد أنارت عقيدته بصيرته، فهو يعيش ويموت من أجلها، ويرضى بكلّ أذى في سبيلها، ويذل جهده ووقته وكلّ غالٍ ونفيس في ظلّها، فرجل العقيدة السلفية أعظم دُخِر لها، وأكبر رصيد نُعِدّه في سبيل نصرتها<sup>(١)</sup>.

وسلامة الاعتقاد من المقومات الأساسية لمعلّم القرآن، الذي يتصدّى للتّعليم والتّربية في حلقات القرآن؛ لأنّ ذلك يُثمر الاستقرار القلبي، فيصبح اعتقاده

(١) انظر: المسؤوليةّ، د. محمد أمين المصري (ص ٤٠).

القلبي متوافقاً مع قوله اللفظي، وسلوكه العملي<sup>(١)</sup>.  
ورجل العقيدة الصحيحة يستطيع أن يحقق أهداف الحلقات القرآنية، بغرس بذرة الإيمان في نفوس الناشئة، وبناء لبنة عقيدة التوحيد الخالصة، بحيث يجتمع تعلّم القرآن مع نقاء الفطرة، فتنمو الثمرة، وتؤتي أكلها، فيحصل النفع بإذن الله<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان أئمة القراء الأوائل على هذا المنهج الواضح في التمسك بمنهج السلف في الاعتقاد، والتحذير من البدع والضلالات.

فعلى سبيل المثال نجد أن الإمام المقرئ عثمان بن سعيد (أبا عمرو الداني رحمته الله)<sup>(٣)</sup> ألف: (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات)، التي تنضح بمعتقد أهل السنة والجماعة، وتمتاز بسبك الأدلة في مواضعها، كما أنها خلت من علم الكلام<sup>(٤)</sup>.

وفي منظومته الموسومة بـ (الأرجوزة المنبهة) - وهي قصيدة رجزية تقع في نحو (١٣٠٠) بيت - أوضح أصول القراءة ومرتبطاتها، وأصول الدين، فذكر من صفات الشيوخ الذين يؤخذ عنهم العلم ما يلي<sup>(٥)</sup>.

فَأَقْصِدْ شُيُوخَ الْعِلْمِ وَالرُّوَايَةَ وَمَنْ سَمَا بِالْفَهْمِ وَالِدِّرَايَةَ

(١) انظر: مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، د. علي بن إبراهيم الزهراني (ص ٦٨).

(٢) انظر: المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم، د. حازم سعيد حيدر (ص ٩).

(٣) هو عثمان بن سعيد (أبو عمرو الداني) المالكي، ويقال له: ابن الصيرفي، وعُرف بالداني لسكناه دانية، ولد سنة (٣٧١هـ)، كان أحد الأئمة في علم القرآن وروايته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه. قال الذهبي رحمته الله: «وما زال القراء محترفين ببراعة أبي عمرو الداني وتحقيقه وإتقانه، وعليه عمدتهم فيما ينقله من الرسم والتجويد والوجوه». توفي سنة (٤٤٤هـ). له أكثر من مائة مصنف، منها: «التيسير في القراءات السبع»، و«المقنع في رسم المصحف ونقطه»، و«البيان في عدّ آي القرآن».

انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي (١/٤٢٨)؛ سير أعلام النبلاء (١٨/٧٧).

(٤) انظر: الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني - مقدمة المحقق: (ص ٨ - ٩).

(٥) انظر: الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات، تحقيق: محمد بن محقق الجزائري (ص ١٦٨).

آداب مشتركة بين معلّم القرآن ومتملّمه

مِمَّن رَوَى وَقَيَّدَ الْأَخْبَارًا  
وَفَهِمَ اللُّغَاتِ وَالْإِعْرَابِيَا  
وَحَفِظَ الْخِلَافَ وَالْحُرُوفَا  
وَجَمَعَ التَّفْسِيرَ وَالْأَحْكَامَا  
وَصَحَّبَ النَّسَاكَ وَالْأَخْيَارَا  
وَاتَّبَعَ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ

وقال أيضاً<sup>(١)</sup>:

وَجَانِبِ الْأَرَادِلِ الْمُبْتَدِعَةَ  
وقال في بيان بعض مسائل العقيدة<sup>(٣)</sup>:

وَمِنَ عُقُودِ السُّنَّةِ الْإِيْمَانُ  
وَبِالْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ الْمَرْوِي  
فَمِنَ صَحِيحِ مَا أَتَى بِهِ الْأَثَرُ  
نُزُولُ رَبِّنَا بِلَا امْتِرَاءِ  
مِنَ غَيْرِ مَا حَدُّ وَلَا تَكْيِيفِ  
وَرُؤْيَةُ الْمُهَيْمِنِ الْجَبَّارِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلَا اِزْدِحَامِ

## ٢ - الإخلاص لله تعالى:

يجب على كلِّ مكلف أن يُخلص قصده لله تعالى في سائر أعماله الظاهرة والباطنة، فكيف بمن ارتبط بكتاب الله تعالى تعلماً وتعليماً؟

وقد أمر الله تعالى بإخلاص العمل له - وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره - في قوله: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

(١) انظر المصدر نفسه: (ص ١٧٤).

(٢) وهم أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية من أهل الحديث، المتبعون لما كان عليه صدر هذه الأمة.

(٣) انظر: المصدر نفسه: (ص ١٧٨، ١٩٤ - ١٩٥).



قال القشيري<sup>(١)</sup> **كَلِمَةٌ: «الإخلاص: إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يُريد بطاعته التَّقَرُّبَ إلى الله سبحانه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب صفة حميدة عند النَّاسِ، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التَّقَرُّبِ إلى الله تعالى.**

ويصح أن يُقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين<sup>(٢)</sup>.

والله تبارك وتعالى ابتلى عباده بالشريعة؛ ليظهر منهم حسن العمل، فقال تعالى: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾** [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض **كَلِمَةٌ: «أخلصه وأصوبه، وإنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً وصواباً. والخالص: إذا كان لله عزَّ وجلَّ، والصَّواب: إذا كان على السنَّة»**<sup>(٣)</sup>.

وقد يؤدي عدم الإخلاص في تعلُّم القرآن وتعليمه إلى إلقاء صاحبه في النَّار، والعباد بالله:

فقد جاء عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتَيْتُ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ كَذَّبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِي حَتَّى أَلْقَيْتُ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَيْتُ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَّبْتَ، وَلَكِنَّكَ**

(١) هو أبو القاسم، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، القشيري، الشافعي، صوفي، مفسر، فقيه، أصولي، محدث، واعظ، ولد سنة (٣٧٦هـ)، وتوفي بنيسابور سنة (٤٦٥هـ). من تصانيفه: «التيسير في التفسير»، و«الفصول في الأصول»، و«الجواهر الثمينة».

انظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٩٨)؛ طبقات الشافعية (٣/٢٤٣).

(٢) الرسالة القشيرية، لعبد الكريم القشيري (ص ٢٠٧ - ٢٠٨). وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٤٢).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (١/٢٤)؛ تفسير البغوي (٨/١٧٦).

تَعَلَّمَتِ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأَتِ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أَمْرٌ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْفِيَ فِي النَّارِ... الحديث<sup>(١)</sup>.

ولذلك يعدُّ العمل الخالي من النيّة الصّالحة كالجنّة الهامدة، التي لا روح فيها، وقد فرض الله عزّ وجلّ عبوديّةً على المسلم في كلِّ عمل يعملُه، وممّا لا مرء فيه أنّ تعلّم القرآن وتعليمه من أجلّ القربات وأعظمها أجراً، وكلّمّا أخلص المرء لله لم يتعثّر في سيره، وأعطى توفيقاً بقدر ما في قلبه من الصّدق والإخلاص<sup>(٢)</sup>.

ولِعِظْمِ هَذَا الْأَمْرِ وَأَهْمِيَّتِهِ فِي مَقاصد المكلّفين، وفيما يتعبّدون به ربّهم، تمنّى ابن أبي جمرة الأندلسي<sup>(٣)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَتَفَرَّغَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ كَيْ يَعْلَمَ النَّاسَ مَقاصدهم، فقال: «وددت أنّه لو كان من الفقهاء مَنْ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ النَّاسَ مَقاصدهم فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيَقْعَدَ لِلتّدْرِيسِ فِي أَعْمَالِ النَّيِّاتِ لَيْسَ إِلَّا، فَإِنَّهُ مَا أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ تَضْيِيعِ ذَلِكَ»<sup>(٤)</sup>.

ويرتبط بهذا بالضرورة: ألا يقصد بتعلّم القرآن وتعليمه توفيقاً إلى غرض من أغراض الدُّنيا من مال، أو رياسة، أو وجاهة، أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عند النَّاسِ، أو صرف وجوه النَّاسِ إليه، أو نحو ذلك<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. وقال: ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَمْ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُتَنَقَّى بِهِ

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب: مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالشُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ (٣/١٥١٤) (ج ١٩٠٥).

(٢) انظر: المقومات الشخصية لمعلّم القرآن الكريم (ص ١٢).

(٣) هو عبد الله بن أبي جمرة السبتي، المالكي، خطيب غرناطة (أبو محمد) توفي وهو على المنبر يوم الجمعة سنة (٧١٠هـ).

انظر: ذيل التقييد في رواية السنن والمسائيد، أبي الطيب الفاسي (٢/٧٠).

(٤) المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيّات، لابن الحاج (١/٣).

(٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٤٦).

وَجْهَ اللَّهِ ﷻ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي: رِيحَهَا<sup>(١)</sup>.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»<sup>(٢)</sup>.

قال الذهبي<sup>(٣)</sup> رحمته الله: «قد يكون طلب العلم - الذي هو الواجب والمستحب المتأكد - مذموماً في حق بعض الرجال كمن طلب العلم ليجاري به العلماء، ويماري به السفهاء، وليصرف به الأعين إليه، أو ليعظم ويقدم، وينال من الدنيا المال والجاه والرفعة، فهذا أحد الثلاثة الذين تُسَجَّرُ بهم النار»<sup>(٤)</sup>.

وتأتي أهمية تصفية النية من الشوائب، وإخلاصها لله تعالى في فاعلية العملية التعليمية والتربوية من كونها أساساً لقبول عمل المعلم والمتعلم ورفع عملهما الصالح، ومن الجانب الآخر فإن معلم القرآن قدوة لطلابه، فإذا كان خالي الوفاض أو مُكَدَّر المورِد في هذه الصفة، فكيف يُؤثِّر في المتعلمين، ويحقِّق أهدافه التعليمية والتربوية؟<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه أبو داود، كتاب العلم، باب: في طلب العلم لغير الله (٣/٣٢٣). (ح ٣٦٦٤)؛ وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: (٢/٦٩٧) (ح ٣١١٢).

(٢) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب: فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٥/٣٢) (ح ٢٦٥٤)؛ وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: (٢/٣٣٧) (ح ٢١٣٨).

(٣) هو الإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الذهبي، الشافعي (أبو عبد الله) مُحدِّث، مُؤرِّخ، ولد بدمشق سنة (٧٥٩هـ)، وسمع بها وبحلب وبنابلس وبمصر، وسمع منه خلق كثير، كان إماماً في الحفظ، والجرح والتعديل، توفي بدمشق سنة (٨١٩هـ) ودفن بمقبرة الباب الصغير. وله تصانيف كثيرة منها: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، و«طبقات الحفاظ»، و«الإعلام بوقيات الأعلام»، و«تجريد أسماء الصحابة»، و«سير أعلام النبلاء».

انظر: طبقات الشافعية (٥/٢١٦)؛ الدرر الكامنة (٣/٣٣٧).

(٤) طلب العلم وأقسامه، للذهبي (ص ٢١٠ - ٢١١).

(٥) انظر: المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم (ص ١٣).



## المطلب الثاني

## آداب معلّم القرآن

من المعلوم بداهة أن الفرع يتبع الأصل، وأنه لا يستقيم الظلّ والعودُ أعوج، وأن لكلّ مقتدٍ مثلاً يحتذيه.

والمعلّمون بعامة، ومعلّمو القرآن بخاصة هم القدوة لطلابهم، فالواجب على معلّم القرآن أن يسلك مسلكاً حسناً في تعليم من يعلمهم، فلا يريهم من نفسه ما ينفرهم، ويتحلّى بصفات الحلم والرّافة والأمانة، والصّدق والإخلاص، وأن يحنو عليهم كما يحنو على أبنائه.

وقد اعتنى معلّمو القرآن من السلف الصّالح بطلابهم، فأولّوهم كلّ رعاية وعناية، وكانوا قدوة صالحة لهم في حبّ كلام الله تعالى وتعظيمه والإقبال عليه، مع التّحلي بأخلاقه، والتأدّب بأدابه، ورعاية حقوقه، وأقبلوا على طلابهم بكلّ حفاوة وترغيب، وشملوهم بكلّ عطف ولين، ومَحَضُوا لهم النّصيحة وتابعوهم بالتّوجيه والتّسديد والإرشاد.

ومن هنا كان اهتمام علماء المسلمين بوضع عدد من القواعد والضوابط أو الآداب التي يجب أن يلتزم بها معلّمو القرآن الكريم أثناء قيامهم بهذه المهمّة الشريفة المباركة، ومن هؤلاء: الأجرّي<sup>(١)</sup>، وأبو حامد الغزالي<sup>(٢)</sup>، والنّوّوي<sup>(٣)</sup> وغيرهم، رحمهم الله تعالى.

فلا بدّ لمعلّم القرآن أن يلتزم جملةً من الآداب؛ ليكون على قدر المسؤولية، والمهمّة الجسيمة الملقاة على عاتقه، والتي منها:

## ١ - الاستقامة على دين الله تعالى:

المقصود من ذكر صفة الاستقامة لمعلّم القرآن، التّنبية على أن يواطى قوله

(١) انظر: أخلاق حملة القرآن (ص ٣٥ - ٦٥).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤٨/١) وما بعدها.

(٣) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٤١ - ٥٩).



وعمله ما يحمل من كلام الله؛ ليكون القرآن العظيم حجةً له، لا عليه، وليرفعه الله به، وينفع بتعليمه.

والاستقامة صفة تجعل من معلّم القرآن أنموذجاً كريماً، وقدوةً صالحةً في نظر طلابه، والمقصود بالاستقامة هنا هو الصدق والأمانة، والعدل والوفاء، والالتزام بأحكام الشرع الحنيف، والتمسك بالكتاب والسنة ظاهراً وباطناً.

فقد ذكر العلماء أنّ من شرط معلّم القرآن وصفته أن يكون ثقةً مأموناً، ضابطاً، متزهماً عن أسباب الفسق، ومُسقطات المروءة<sup>(١)</sup>.

وينبغي له كذلك أن يكون ملتزماً بالفرائض والواجبات، ومحافظةً على المندوبات بحسب الاستطاعة، معجّزاً للمحرّمات، مبتعداً عن المكروهات بقدر الطاقة، محاسباً نفسه على هفواته وزلاته، حريصاً على ما يصلح دينه<sup>(٢)</sup>.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ينبغي الحامل القرآن أن يُعرف بليته إذا الناس نائمون، وبهاره إذا الناس مُفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، ويتواضعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون»<sup>(٣)</sup>.

ومما ينبغي لمعلّم القرآن الاعتناء به، أن يُحافظ ويدوم على تلاوة القرآن، دون الاكتفاء بالتّسميع للطلّبة عند المراجعة، فيقتصر على سماع القرآن دون تلاوته، ممّا يوقعه في هجر تلاوة القرآن.

وممّا يجب على المعلّم أن يأخذ نفسه به، وينشئ طلابه عليه، التّبعد عن الأساليب المبتدعة في القراءة، التي أحدثت بعد القرون المُفضّلة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري (ص ٥٨).

(٢) انظر: المدارس والكتاتيب القرآنية وفتات تربوية وإدارية، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي (ص ١٣).

(٣) رواه أحمد في «كتاب الزهد» (ص ١٦٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٢٩)؛ والسخاوي في «جمال القراء» (ص ٢٨)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفة» (٧/٢٣١) (رقم ٣٥٥٨٤)؛ والنووي في «التبيان» (١/٢٩)؛ والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/٢١)؛ والأجوري في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٥٠).

(٤) انظر: المشوّمات الشّخصية لمعلّم القرآن الكريم (ص ١٣ - ١٤).

## ٢ - حسن الخلق مع المتعلّمين :

من المبادئ المهمّة التي ينبغي لمعلّم القرآن أن يعتني بها، ويعرف حدودها وثمارها الأخرويّة والدنيويّة هو حسن الخلق، ويتأكّد هذا - في حقّ معلّم القرآن - من جانبين :

أ - أنّه من حملة كتاب الله، فهو من العلماء، والعلماء هم ورثة الأنبياء في العلم، وكذلك ينبغي عليهم أن يرثوهم في الأخلاق، وقد أثنى الله تعالى على نبيّه الكريم ﷺ بأعظم خلة يتحلّى بها بشر، فقال: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ب - أنّ من تصدّى لتعليم النّاس ومخالطتهم، ينبغي أن يتحلّى بحسن السّياسة وتدبير الأمور؛ لأنّه سيواجه منهم ما يكره في بعض الأحيان<sup>(١)</sup>. وقد اعتنى السلف الصّالح بهذا وامثلوه قولاً وعملاً، وسيرهم العطرة مع طلابهم خير شاهدٍ على ذلك<sup>(٢)</sup>.

\* فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه كان يقول: «تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والجلّم، وتواضعوا لمن تُعلّمون، ولا تكونوا جبارة العلماء، فلا يقوم عملكم مع جهلهم»<sup>(٣)</sup>. فإذا كان العلم هو: القرآن، فالمسؤوليّة أعظم.

\* وهم بهذا الصّنيع يسرون على هدي القرآن، ويمثلون أمره: «كان أبو العالية رضي الله عنه إذا دخل عليه أصحابه وطلّابه ليقرئهم رَحَبَ بهم، ووطأ كنفه لهم، وألان القول معهم، ثمّ يقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]»<sup>(٤)</sup>.

\* وقد ذكر من ترجم للإمام المقرئ نافع بن أبي نعيم المدني رضي الله عنه - أحد

(١) انظر: المصدر نفسه (ص ١٥).

(٢) انظر: منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم (ص ٩٨ - ١٠٠).

(٣) رواه أحمد في «الزهد» (ص ١٧٧)؛ والأجري في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٦١)؛ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٣٥).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٢١). وانظر: سير أعلام النبلاء (٤/٢١١).

القراء السبعة - أن من أسباب إقبال الطلاب على أخذ القراءة عنه وملازمته، ما كان عليه من حسن الخلق، وصباحة الوجه وطلاقته، وكرمه وجوده على طلابه وغيرهم، يقول عيسى بن مينا قالون: «كان نافع من أطهر الناس خلقاً، ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهداً جواداً»<sup>(١)</sup>.

وجاء أيضاً عنه: «كان يُسهّل القرآن لمن قرأ عليه»<sup>(٢)</sup>.

فلا غرابة - بعد ذلك - أن نجد من أهل العلم من يُعنى بهذا الجانب، ويؤكد عليه في مواضع مختلفة من مصنفاته؛ لما له من أثر إيجابي في تقوية الروابط الاجتماعية بين المعلم والمتعلم، ومن ذلك:

\* ما قاله الماوردي<sup>(٣)</sup> رحمته الله: «ومن أدبهم: ألا يُعنفوا متعلماً، ولا يُحقرّوا ناشئاً، ولا يستصغروا مُبتدئاً، فإن ذلك أدعى إليهم وأعطف عليهم، وأحسّ على الرغبة فيما لديهم»<sup>(٤)</sup>.

\* ومن الآداب التي ذكرها النووي رحمته الله في حقّ معلّمي القرآن:

«وينبغي ألا يتعاطم على المتعلمين بل يلين لهم، ويتواضع معهم، فقد جاء في التواضع لأحد الناس أشياء كثيرة معروفة، فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده، مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن، مع ما لهم عليه من حقّ الصُحبة وترددهم عليه»<sup>(٥)</sup>.

(١) معرفة القراء الكبار (ص ٦٥)؛ غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٣٣٣).

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٣٣٣).

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد المشهور بالماوردي الإمام الفقيه، قيل له الماوردي؛ لعمل عائلته بصناعة ماء الورد وبيعه، ولد سنة (٣٦٤هـ) بالبصرة، وطلب فيها العلم على المذهب الشافعي، ثم رحل إلى بغداد وتلمذ على يد رئيس الشافعية هناك الشيخ الإسفرايني، ثم تقلد رئاسة الشافعية بعده، وله مؤلفات عديدة منها: «الحاوي الكبير»، و«الأحكام السلطانية» وغيرها. توفي سنة (٤٥٠هـ).

انظر: البداية والنهاية (١٢/٨٥)؛ طبقات الشافعية (٥/٢٦٧).

(٤) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص ٩١).

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥٤).



٣- بذل النصيحة للمتعلمين: ربه بالكفا بالإنسان بما به رجا فمما اتقانا  
ينبغي لمعلم القرآن أن يتصح المتعلمين، وببذل لهم كل ما عنده من علم،  
فالنصيحة من صفات الأنبياء ﷺ قال الله تعالى مُخْبِرًا عَنْ هودٍ ﷺ: ﴿وَأَنَا لَكَ  
نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، وقال عن نوحٍ ﷺ: ﴿وَأَصْحُ لَكَ﴾ [الأعراف: ٦٢].  
وأصل النصيحة: إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة؛ بخلاف

الغش<sup>(١)</sup>

\* وعلى المعلم أن يبادر إلى سؤال المتعلمين، ويستدثهم بالفائدة، ويحرضهم  
على أخذ ما عنده من علم، كما فعل علي بن أبي طالب ﷺ مع طلابه حيث قال  
لهم: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به،  
وسألوني عن كتاب الله؛ فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم  
بسهل أم بجبل... أيها الناس تعلموا العلم، واعملوا به، ومن أشكل عليه شيء  
من كتاب الله فليسألني عنه»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن سعيد بن جبيرة<sup>(٣)</sup> كلفه قال: «إن منّا يهْمُنِي، أني وكذت أن  
الناس، قد أخذوا ما معي من العلم»<sup>(٤)</sup>.

ومن وصايا المعلمين لطلابهم والأمة من بعدهم - إضافة لما سبق<sup>(٥)</sup>.  
\* عن ابن مسعود ﷺ قال: «إنما هذه القلوب أوعى، فلا تغلوا بالقرآن،

(١) انظر: حق القرآن الكريم على الناس (ص ١٧٣).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٤/١ - ١١٥).

وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٥٩٩).

(٣) هو سعيد بن جبيرة بن هشام الأسدي، مولاهم، الكوفي، أبو عبد الله، وقيل: أبو  
محمد، من أئمة السلف، من الطبقة الثالثة، ومن الفقهاء والعلماء الصالحين الثقات،  
وكان عالماً فاضلاً ورعاً، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج والي بني أمية، فلما تمكن  
منه الحجاج قتله، وذلك سنة (٩٥هـ)، وعمره (٤٩)، وقيل (٤٧) سنة.

انظر: تهذيب التهذيب (٤/١١ - ١٤).

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١١٦٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/

٢٨٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٠/٣٦٧).

(٥) انظر: منهج السلف في العناية بالقرآن (ص ٩٢ - ٩٣).



ولا تشغلوا بغيره»<sup>(١)</sup> ولعلنا ربما نقتربها منه لما لينا رحمتنا ورحمتها بقية بقية

\* وكان أبو العالية رضي الله عنه يقول لطلابه: «تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء، وعليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفرقوا»<sup>(٢)</sup>.

\* وقال مالك بن دينار رضي الله عنه: «ماذا زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض»<sup>(٣)</sup>.

\* وفي حث المتعلمين على تعاهد الحفظ، يقول الضحَّاك بن مزاحم رضي الله عنه: «ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يُحْدِثُهُ؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مَّصِيْبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٢٠]، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب»<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ - التدرُّج في التَّعليم والتَّربية:

البداية بتعليم الأصول والكتليات قبل الفروع والجزئيات، بعد السلم السوي في مراتب التعليم، وهو أدعى لثبات العلم ورسوخه لدى المتعلم.

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٣١). (٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٢١٨).

(٣) هو مالك بن دينار البصري (أبو يحيى) من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالماً زاهداً، كثير الورع، قنوعاً، له مناقب عديدة، وأثار شهيرة، قال ابن حجر رضي الله عنه: «صدوق عابد، من الخامسة». توفي سنة (١١٣١هـ) بالبصرة قبل الطاعون بيسير. انظر: وفيات الأعيان (٤/١٣٩)؛ تقريب التهذيب (١/٥١٧).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٣٥٨). (٥) (١/٦٢)؛ تقريب التهذيب (١/١٠٨٧).

(٥) هو الضحَّاك بن مزاحم الهلالي، الخراساني، تابعي، جليل، إمام في التفسير، قال الثوري رضي الله عنه: «خذوا التفسير عن أربعة: مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحَّاك». قال في تقريب التهذيب: «صدوق، كثير الإرسال». وثقه ابن حبان وأحمد وضعفه يحيى بن سعيد القطان، توفي سنة (١٠٥هـ).

انظر: البداية والنهاية (٩/٢٢٣)؛ تقريب التهذيب (١/٣٧٣).

(٦) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠٤)؛ وابن المبارك في «الزهد» (ص ٨٥)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/٤٧٨)؛ وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢٢٢)؛ (ص ٥٥).

وقد قرّر المنهج النبوي المبارك هذه الطريقة في التعليم:

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ<sup>(١)</sup>، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا»<sup>(٢)</sup>.

وسرى هذا المنهج على الصحابة الكرام عموماً، فقد أخبر ابن عمر رضي الله عنهما وهو من صغار الصحابة - فقال: «لقد عشتُ بُرْهَةً من دهري وإنَّ أحدنا يُؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على رسول الله ﷺ فتتعلّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن نقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم القرآن...»<sup>(٣)</sup>.

ثم بين ابن عمر رضي الله عنهما أن هذا المنهج طرأ عليه تغيير في جيل التابعين، فقال عن بعض من شاهد طريقته في تعلم القرآن:

«... ثم لقد رأيتُ رجلاً يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، ما يدري ما أمره، ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل»<sup>(٤)</sup>،<sup>(٥)</sup>.

وهذه حقيقة مرّة نلاحظها اليوم في بعض رواد حلق القرآن، ومن يحفظ القرآن، فتجد الواحد منهم من أبعدهم الناس خُلُقاً وأدباً وسلوكاً عما يحفظه في صدره من القرآن، وما ذاك إلا للتحوّل عن المنهج الصحيح في الأخذ والتلقي، فأصبح الأمر مجرد ألفاظ يرددها ويحفظها، دون أن يكون لها مسلك إلى قلبه. ولهذا يجب على كل معلّم للقرآن أن يكون حكيماً في تعليمه، متفهماً لما

(١) (حزّاورَة): جمع حَزْوَرٍ وحَزْوَرٍ، وهو الذي قارب البلوغ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٨٠).

(٢) رواه ابن ماجه في «المقدّمة» (١/٢٣) (ح ٦١).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط». انظر: مجمع البحرين في زوائد المعجمين، للهيتمي (١/٤٨٢)، وحسنه المحقق؛ والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/٦٩)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/١٢٠) (رقم ٥٠٧٣)؛ والحاكم في «المستدرک» (١/٩١) (رقم ١٠١). وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علّة، ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «على شرطهما ولا علّة له».

(٤) (الدقل): رديء الثمر وبائس. النهاية في غريب الحديث (٢/١٢٧).

(٥) تمة الحديث نفسه.

يعطيه، قال تعالى: ﴿كُونُوا رَئِئِنَ بِمَا كُنْتُمْ تُكَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَئِئِنَ﴾: «حُلَمَاءُ فُقَهَاءُ»<sup>(١)</sup>. وقال الإمام البخاري<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه: «ويقال: الرَّبَّانِيُّ الذي يُرَبِّي النَّاسَ بصغار العلم قبل كِبَارِهِ»<sup>(٣)</sup>.

فالمعلّم اللّيب هو الذي يبدأ بالأمر السّهلة الواضحة، قبل المسائل الدّقيقة الشّائكة<sup>(٤)</sup>، فيراعي مدارك المتعلّمين، ومستوياتهم، وأعمارهم، ويعطي كلّ ما يناسبه<sup>(٥)</sup>.

وعلى ضوء ما سبق فإنّه يتعيّن على معلّم القرآن استخدام أسلوب التّدرج في التّعليم والتّأديب؛ لأنّ الوصول بالمتعلّم إلى الكمال التّربوي لا يتمّ إلّا بالتّدرج، وأيّ استعجالٍ في التّعليم، أو التّربية في الحلقات القرآنية، دون مراعاة هذه القاعدة، فإنّه يعني الفشل التّربوي، والإخفاق في تحقيق الأهداف التّربويّة<sup>(٦)</sup>.

## ٥ - الرّفق بالمتعلّمين:

يُعَدُّ الرّفق من الأصول المهمّة في التّعليم والتّربية؛ لأنّ الرّفق ما كان في شيء إلّا زانه، وما نُزِعَ من شيء إلّا شانه، والله تعالى رفيق يحبّ الرّفق: عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «بِأَعْيُنِنَا إِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ رَفِيقٌ يُحِبُّ

(١) صحيح البخاري (٥٠/١).

(٢) هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (أبو عبد الله) صاحب أصحّ كتاب بعد كتاب الله، وهو صحيح البخاري، اتّفقت الأئمة على إمامته في الحديث، قال ابن حجر: «جَبَلُ الحَفِظِ، وإمام الدُّنيا في فقه الحديث». توفي سنة (٢٥٦هـ)، وعمره (٦٢) سنة. انظر: تقريب التهذيب (١٤٤/٢).

(٣) صحيح البخاري (٥٠/١).

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢١٣/١).

(٥) انظر: المقوّمات الشّخصية لمعلّم القرآن الكريم (ص ٣٥ - ٣٦).

(٦) انظر: مهارات التّدريس في الحلقات القرآنية (ص ٢٢٢)؛ نحو أداء متميّزٍ لحلقات تحفيظ القرآن الكريم (ص ٤٥ - ٥٧).



الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ<sup>(١)</sup> مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ<sup>(٢)</sup>.

وعلى معلّم القرآن أن يسلك بالمتعلّمين سبيل الرّفق في التّعليم، فلا يشدّد عليهم، ولا يلقاهم بما يكرهون؛ لئلاّ ينفروا من قول الحقّ وأتباع الهدى. ١٧٠  
ولأهميّة الرّفق في التّعليم أوصى به النبي ﷺ في قوله: «عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدَكُمْ فَلْيَسْكُتْ»<sup>(٣)</sup>.

وتزداد أهميّة التّعليم برفق لدى الصّغار، الذين يحملون في حناياهم أحاسيس مرهفة، أو لدى غلاظ الطّباع، الذين لم يتأدّبوا بعلم، أو مجالسة، ممّا يُحمّل المعلّم عبئاً كبيراً ومسؤوليّة زائدة، يحسب أجراها عند الله تعالى. ويعتبر النبي ﷺ أكبر المعلّمين، وأعظمهم في العالم؛ إذ ساهم - برفقه وحلمه وحسن خلقه - في ضبط سلوك الكبار والصّغار، والعرب والعجم، وأهل المدن والبادية، مستخدماً أساليب التّربية والتّعليم التّدرّجي، والرّفق، واليسر، والرّحمة، ممّا أدّى إلى ضبط سلوك ملايين البشر ضبطاً ذاتياً، فكوّن المعلومات والمهارات، والعقائد الصّحيحة، والاتّجاهات الرّاسخة، على مدى الزّمن<sup>(٤)</sup>.

ومن صور رفق المعلّم بالمتعلّم: ألاّ يُرَدَّ لكونه غير صحيح النّيّة بطلبه القرآن، قال النووي ﷺ: «قال العلماء: ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النّيّة، فقد قال سفيان وغيره: طلبهم للعلم نية. وقالوا: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلاّ الله. معناه: كانت عاقبته أن صار لله تعالى»<sup>(٥)</sup>.

(١) (ويُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ): أي يُثِيبُ عَلَيْهِ مَا لَا يُثِيبُ عَلَى غَيْرِهِ. وقيل: يتأتّى به من الأغراض، ويسهل من المطالب، ما لا يتأتّى بغيره. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٥/١٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصّلة والآداب، باب: فضل الرّفق (٢٠٠٤/٤) (ح ٢٥٩٣).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٥/١) (ح ٢٤٥)؛ وأحمد في «المسند» (٢٨٣/١) (رقم ٢٥٥٦)؛ وصحّحه الألباني في «السلسلة الصّحيحة»: (٣٦٤/٣) (ح ١٣٧٥)؛ و«صحيح الأدب المفرد»: (ص ١٠٩) (ح ١٨٤).

(٤) انظر: حق القرآن الكريم على الناس (ص ١٧٤ - ١٧٥).

(٥) التّبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥٨). وانظر: تذكرة السامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم (ص ٤٧)؛ منجد المقرّئين ومرشد الطالبين (ص ٦٣).



ومن صور الرفق كذلك: أن يتحوّل المعلّم الرّد اللطيف على المتعلّم حين خطئه، قال الأجزري رحمته الله - في أخلاق المقرئ: «ويبغى لمن قرأ عليه القرآن فأخطأ فيه، أو غلط ألا يعنّفه، وأن يرفق به، ولا يجفو عليه، فإني لا آمن أن يجفو عليه فينفر عنه، وبالحرّي ألا يعود إلى المسجد»<sup>(١)</sup>.

وهذا كلام دقيق من عالم حكيم مجرب، فالعنف من أسباب الثفور والابتعاد، فلا بد أن يكون رّد المعلّم على المتعلّم بطريقة لطيفة، لا تعنيف فيها ولا زجر، ولا استعجال، ويتمنى بقلبه أن يفتح الله تعالى على الطالب ليأتي بالصواب، فإن عجز أرشده بأن يأتي بآية قبلها، فهو أدعى لاستذكاره واستحضاره، فإن غلب عليه الخطأ أرشده إلى التوبة من الذنوب، والمراجعة المتقنة، والبعد عن كل سبب يؤدي لضعف الحفظ<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - الصبر على المتعلّم:

خُلِقَ الصّبر من الأخلاق العظيمة التي من تحلّى بها نال العلا، ومعلّم القرآن يحتاج إلى الصّبر في رسالته العظيمة، فهو من الهداة إلى الله تعالى، المتمسكين بكتابه، فهو من أئمة الذين الذين يحتاجون للصّبر واليقين، وهما ركنا الإمامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْتَدُونَ بِآيَاتِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال عنه النبي صلى الله عليه وآله: «والصّبر ضياء»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن رجب<sup>(٤)</sup> رحمته الله: «والضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإشراق كضياء الشمس، بخلاف القمر فإنه نور محض، فيه إشراق بغير إحراق،

(١) - أخلاق حملة القرآن (ص ٦٠).

(٢) - انظر: المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم (ص ٣٨ - ٣٩).

(٣) - رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء (١/٢٠٣) (ح ٢٢٣).

(٤) - هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (أبو الفرج) الحافظ، المحدث، الفقيه، الواعظ، ولد ببغداد سنة (٧٣٦هـ)، يعدّ أعرف أهل عصره بالعلل، وتتبع الطرق. توفي سنة (٧٩٥هـ). وله مصنفات عديدة، منها: (شرح جامع الترمذي)، و«لطائف المعارف»، و«ذيل طبقات الحنابلة».

انظر: شذرات الذهب (٦/٣٣٩)؛ طبقات الحفاظ (ص ٥٤٠).

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]. ولمّا كان الصّبر شاقاً على النفوس، يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها، وكفّها عمّا تهواه، كان ضياءً<sup>(١)</sup>.

والمراد أنّ الصّبر كلّه خير، وهو محمود، ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصّواب<sup>(٢)</sup>. فلا بدّ للمعلّم من الصّبر على الجلوس الطويل للتّعليم والقراءة، والصّبر على أخلاق المتعلّمين وما يصدر عنهم - أحياناً - من نقائص، فهو محتاج دائماً للصّبر.

وقد حثّ النووي ﷺ المعلّمين على الصّبر على جفاء بعض المتعلّمين وسوء أدبهم فقال: «وينبغي أن يحنّو على الطّالب، ويعتني بمصالحه، كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه، ويُجري المتعلّم مجرى ولده في الشّفقة عليه، والاهتمام بمصالحه، والصّبر على جفائه، وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان، فإنّ الإنسان مُعرّض للنّقائص، لا سيّما إذا كان صغير السن»<sup>(٣)</sup>.

ومن صور الصّبر على جفاء المتعلّمين وشدّتهم أحياناً: ما جاء عن أبي بكر شعبة بن عيّاش<sup>(٤)</sup> ﷺ أنه قال: «تعلّمت من عاصم<sup>(٥)</sup> القرآن، كما يتعلّم الصبيّ من المعلّم، فلقي مني شدّة، فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أحدثك به من القراءات، إنّما تعلّمت من عاصمٍ تعلّماً»<sup>(٦)</sup>.

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٥٨٠ - ٥٨١).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٠١).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥٣).

(٤) هو أبو بكر بن عيّاش بن سالم الأسديّ الكوفيّ، المقرئ، الحنّاط، مشهور بكنيته، والأصحّ أنّها اسمه. وقد اختلف في اسمه على عشرة أقوال. ثقة، عابد، إلاّ أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح. توفّي سنة (١٩٤هـ) وقد قارب المائة. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٦٢٤).

(٥) هو عاصم بن بهدلة، وهو ابن أبي النّجود، الأسديّ بالولاء، الكوفيّ (أبو بكر) المقرئ. صدوق له أوهام، حُجّة في القراءة. توفّي سنة (١٢٨هـ).

انظر: تقريب التهذيب (١/ ٢٨٥).

(٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠٢)؛ معرفة القراء الكبار (١/ ١٣٧).

من دواعي الصبر: فلا غنى للمعلم عن الصبر، فربما كان المتعلم بطيء الفهم، ضعيف الحفظ - وهي حالة لا يد له فيها، فهي خارجة عن إرادته - فإن استعجله فلن يحقق معه هدفاً، وربما أربكه، فيكون سبباً في اضطرابه وتلججه بالقراءة، وبذلك يتعسر عليه الحفظ والفهم<sup>(١)</sup>.

ومما يؤكد ضرورة الصبر على المتعلمين في الحلقات القرآنية في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى: ما أفرزه التقدم المعرفي، والتقني، وانتشار وسائل الاتصال التي جعلت العالم كقرية واحدة، فأدى ذلك إلى اتساع ثقافة التلاميذ، وزيادة حجم التناقض السلوكي عند الجماعات المرجعية للمتعلم، كل هذا أوجد عنده مشكلات وسلوكيات متنوعة غير التي كانت بالأمس.

وهذا يتطلب جهداً من المعلم في الحلقات القرآنية، ويحتاج إلى الحلم، والصبر، والتدرج؛ لينجح في معالجة تلك المشكلات، ويغرس في نفوسهم الأخلاق الحسنة، ويحقق أهداف الحلقات التربوية، وبدون هذا الخلق قد يتسرب التلاميذ من الحلقات، فلا يعودون إليها؛ لأن المعلم إذا لم يحلم ويصبر كان ما يُفسد أكثر مما يصلح<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث

#### آداب متعلم القرآن

سبق الكلام عن جملة من الآداب التي ينبغي أن يلتزمها معلم القرآن الكريم أثناء تصديبه لهذه المهمة العظيمة، وهناك - كذلك - آداب لا بد أن يتحلّى بها متعلم القرآن، لا تقل أهمية عن آداب معلمه؛ لتساعد المعلم على المضي في تعليمه.

وقد أشار بعض العلماء الأجلاء إلى جملة من الآداب التي ينبغي للمتعلم

(١) انظر: كيف نتأدب مع المصحف (ص ١٣٢).

(٢) مهارات التدريس في الحلقات القرآنية (ص ٧٥ - ٧٦). وانظر: المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم (ص ٣٩ - ٤٠).



أن يضعها نصب عينيه، ويلزم نفسه بتطبيقها أثناء قيامه بعملية التعلم، ومن هؤلاء: الأجرى<sup>(١)</sup>، وأبو حامد الغزالي<sup>(٢)</sup>، والنووي<sup>(٣)</sup> وغيرهم رحمهم الله تعالى، وهي على النحو الآتي:

### ١ - تطهير القلب:

هذا شرط أساس في تعلم القرآن الكريم، فهو كالزَّرْع لا ينبت إلا في تربة خصبة صالحة، أما الأرض السَّخِة أو المريضة فلا ينبت فيها زرع، وإن نبت بعض الشيء لا ينمو، وإن نما لا يُثمر، وإن أثمر لا يأتي بجيد الثمر، فالقرآن الكريم لا ينمو ولا يُثمر إلا في القلب الطيب الصالح الطاهر، فلا بد أن يكون المتعلم نظيفاً طاهراً من رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف والعيادات؛ لأن تعلم القرآن عبادة القلب، وصلاة السر، وكما لا تصح الصلاة إلا بالطهارة الظاهرة للبدن والملابس والمكان، فكذلك لا تصح العبادة الباطنة - عبادة القلب - إلا بطهارته من النفاق والمكر والخبث، والحقد والحسد والعداوة والبغضاء<sup>(٤)</sup>.

ومن أجل ذلك أكد النبي ﷺ على أهمية صلاح القلب لإصلاح الأعضاء كلها في قوله: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٥)</sup>.

### ٢ - الزَّهْد في الدنيا:

فلا تكون الدنيا ومطالبها أكبر همِّه، وكلَّ شُغله، فيتخفف منها ما استطاع؛ وذلك لأنه جند نفسه وعقله لطلب أشرف العلوم - علم القرآن - وما دام كذلك ينبغي أن يكرس جهده، ويجمع همته على التحقيق والإجادة حتى يحصل له حفظ

(١) انظر: أخلاق حملة القرآن (ص ٦٧ - ٧١).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤٨/١) وما بعدها.

(٣) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦١ - ٦٩).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤٨/١)؛ التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه (٤١/١) (ج ٥٢)؛ ومسلم،

كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) (ج ١٥٩٩).



القرآن وفهمه والعمل به<sup>(١)</sup> يقول الإمام الشافعي رحمته: «لا يُفلح في هذا الشأن - يعني بلوغ شرف العلم - إلا من أتكل أبويه، وأتلف ماله، وجعل المسئلة أعلامه، وأغلق دُكانه، وأحرق قلبه الجوع، وتعلق في شعره القبل، ولم يقل واغريته»<sup>(٢)</sup>.

وأنشد بعضهم: «يا من طلب العلم لا يحصل إلا باستناد الحجر، واقتراض المدر، وإدمان الجوع والسهر، فما أنت إلا نائم، وما أنت إلا نائم، وما أنت إلا نائم»<sup>(٣)</sup>. وقال آخر: لن يدرك العلم من لا يطيل درسه، ولا يكف نفسه<sup>(٤)</sup>.

### ٣ - التواضع للمعلم:

\* قديماً قالوا: (ضاع العلم بين كبرياء وحياء). فالكبرياء والغرور يمنعان صاحبهما عن السؤال والاستفادة، والحياء كذلك يمنعه، فالأول منعاً من إظهار جهله، والثاني خجلاً وخوفاً، وكلاهما من آفات العلم. إلا أن الكبرياء أشد وأعظم، ففيه سوء أدب. وإذا كان المعلم مطالباً بالتواضع، فالمتعلم أولى أن يطلب منه ذلك، وإذا كان يتصادف أحياناً أن يكون المعلم أصغر من المتعلم، أو أقل منصباً، فإن هذا لا يسقط هذا المطلب، ولذا قيل:

العِلمُ حَرْبٌ لِفَتَى الْمُتَعَالِي كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِمَكَانِ الْعَالِي<sup>(٥)</sup>

يقول أبو حامد الغزالي رحمته: «فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة، إلا من المرموقين»

- (١) انظر: إحياء علوم الدين (١/٥٠٧). (١٢٣٢) - نسخة من نسخة المخطوط.
- (٢) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، لجمال الدين محمد الجيشي، (ت ٧٨٢هـ) (١/١٨٧ - ١٨٨). (١٧٧) - نسخة من نسخة المخطوط.
- (٣) انظر: ديوان الإمام الشافعي (١/٩٠). (٤) المصدر السابق (١/١٨٧). (٥) المصدر السابق.
- (٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٢). (٦٢) - نسخة من نسخة المخطوط.

المشهورين، وهو عين الحماسة، فإن العلم هو سبب النجاة والسعادة، ومن يطلب مهرباً من سبع ضارٍ يقتصره، لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب، مشهور أو خامل، وضراوة سباع النار بالجهال بالله، أشد من ضراوة كل سبع<sup>(١)</sup>.  
ومن صور تواضع المتعلمين مع مشايخهم، وتذللهم لأجل الإفادة منهم:

\* ما جاء في سيرة التابعي الجليل عمرو بن قيس الملائني<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه، كان إذا أتى الرجل من أهل العلم جنى على ركبته، ثم يقول: «علمني ممّا علمك الله»، يتأول قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمِينَ مِمَّا عَلَّمَتْ رُسُلَنَا﴾ [الكهف: ٦٦]<sup>(٣)</sup>.  
\* وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه يُجلُّ شيخه ابن عباس رضي الله عنه، ويعرف له قدره، ولو دأ أن قبل رأسه احتراماً له، يقول: «كنت أسمع الحديث من ابن عباس، فلو أذن لي لقبك رأسه»<sup>(٤)</sup>.

\* ومن تواضع سفيان الثوري رضي الله عنه، واعترافه لشيخه (الإمام عمرو بن قيس الملائني رضي الله عنه) بالفضل في تعليمه، وتوجيهه، وصبوره على ذلك، ما قاله: «عمرو بن قيس هو الذي أدبني، وعلمني قراءة القرآن، وعلمني الفرائض»<sup>(٥)</sup>.

#### ٤ - الدعاء للمعلم والاعتراف بفضله:

ينبغي للمتعلم أن يعترف بفضل معلمه عليه، وأن يُقرَّ بأن العلم الذي أفاده إنما كان من جهة معلمه، فمن حقّه عليه أن يدعو له، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ قَدْ كَفَّاتُمُوهُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين (١/٥٠).

(٢) هو الإمام المقرئ عمرو بن قيس الملائني، سُمِّي بذلك؛ لأنه كان يبيع الملاء (أبو عبد الله) من عبّاد أهل الكوفة وقرائهم، قال أبو زرعة: «ثقة، مأمون»، وقال ابن حجر: «ثقة، متقن، عابد، من السادسة، مات سنة بضع وأربعين».

انظر: تقريب التهذيب (١/٤٢٦)؛ سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/١٠٢).

(٤) حلية الأولياء (٤/٢٨٣)؛ طبقات ابن سعد (٢/٣٧٠).

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/١٠١)؛ وانظر: سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٠).

(٦) رواه أحمد في «المسند» (٦٨/٢) (ح ٥٣٦٥)؛ والبخاري في «الأدب المفرد»، باب: =

قال السُّعدي<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وينبغي للمتعلّم أن يُحسِنَ الأدبَ مع معلّمه، ويحمدَ اللهَ إذ يسَّرَ له مَنْ يَعْلَمُه من جهله، ويُحييه من موته، ويوقظه من سِنته، وينتهز الفرصة كلَّ وقت في الأخذ عنه، ويكثر من الدُّعاء له حاضراً وغائباً»<sup>(٢)</sup>.

### ومن صور الدُّعاء للشُّيوخ:

\* ما جاء عن يحيى بن سعيد القطان<sup>(٣)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أنا أدعو الله للشَّافعي، أخضه به»<sup>(٤)</sup>.

### ومن صور الدُّعاء للشُّيوخ، والاعتراف لهم بالفضل:

\* ما قاله الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هذا الذي ترون، كلُّه أو عامّته من الشَّافعي، وما بثّ منذ ثلاثين سنة إلّا وأنا أدعو الله للشَّافعي، وأستغفر له»<sup>(٦)</sup>.

= مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيُكَافِئْهُ (٨٥/١) (ح ٢١٦)؛ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» (ص ٩٨) (ح ٢١٥٨)؛ وَالصَّحِيحَةُ (١١٠/١) (ح ٢٥٤).

(١) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، نشأ في بلاد القصيم، ودرس على علماء الحنابلة هناك، وكان ذا معرفة تامّة في الفقه، وكان مشغولاً بكتب ابن تيمية وابن القيم واستفاد من ذلك خيراً كثيراً. له كتاب: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، و«القول السديد في مقاصد التوحيد» وغيرهما. توفي سنة (١٣٧٦هـ). انظر: مقدّمة كتاب «تيسير الكريم الرحمن».

(٢) الفتاوى السعدية (ص ١٠١).

(٣) هو يحيى بن سعيد القطان، إمام الحديث والجرح والتعديل، ثقة، متقن، حافظ، وإمام قدوة، من كبار الطّبقة التاسعة، توفي سنة (١٩٨هـ)، وعمره (٧٨) سنة. انظر: تقريب التهذيب (٢/٢٤٨).

(٤) تاريخ مدينة دمشق (٣٢٤/٥١)؛ معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٥/٢١٠)؛ تاريخ الإسلام (٣١٤/١٤).

(٥) هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (أبو عبد الله) ولد سنة (١٦٤هـ) ببغداد، وحل إلى سائر الأقطار، اشتهر بالحفظ والإتقان، مع التقي والصلاح، والقوة في الحقّ وأتباع السنّة، وبلغت شهرته الآفاق، خاصّة بعدما وقف وقفته المشهورة أمام بدعة القول بخلق القرآن، وبها أعزّ الله أهل السنّة إلى اليوم، توفي سنة (٢٤١هـ). انظر: البداية والنهاية (١٠/٣٢٥).

(٦) تهذيب التهذيب (٩/٢٥)؛ تهذيب الكمال (٢٤/٣٦٥).

## ٥ - اختيار المعلم الأصلح والأعلم:

ليتخير المتعلم المعلم الأكثر ديانة وصلحاً، فلا ينبغي له أن يقصد من المعلمين إلا من ثبتت أهليته العلمية وظهرت ديانته<sup>(١)</sup>.

\* عن محمد بن سيرين<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه قال: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»<sup>(٣)</sup>.

\* يقول أبو العالية رضي الله عنه: «كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أتفقّد من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها، أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها، رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع»<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة اختيار المعلم الأعلم:

\* ما جاء عن أبي بكرٍ شعبة بن عياش رضي الله عنه، أنه قال: «ما رأيتُ أحداً أقرأ من عاصم، فقرأتُ عليه، وما رأيتُ أحداً أفقه من المغيرة - يعني: ابن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي<sup>(٥)</sup> - فلزمته»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٢).

(٢) هو محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري، أبو بكر، إمام وقته. مولى أنس بن مالك. قال الذهبي: «كان فقيهاً، إماماً، عزيز العلم، ثقة، ثبتاً، علامة في التعبير، رأساً في الورع». توفي سنة (١١٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦)؛ تذكرة الحفاظ (١/٧٧)؛ تهذيب التهذيب (٩/٢١٤).

(٣) رواه مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/٢٤).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٢٠). وانظر: تاريخ مدينة دمشق (١٨/١٧٦)؛ الرحلة في طلب الحديث، لأبي بكر البغدادي (ت ٤٦٣هـ) (١/٩٣)؛ صفة الصفوة (٣/٢١٢).

(٥) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله المخزومي، من الطبقة الأولى من أصحاب مالك من أهل المدينة، ولد سنة (١٢٤هـ). قيل: لا بأس به، خرج عنه البخاري. وقال يحيى: هو ثقة. كان فقيه المدينة بعد الإمام مالك، عرض عليه الرشيد القضاء بالمدينة فأبى، وقال: والله - يا أمير المؤمنين - لأن يختقني السلطان أحب إلي من القضاء فأعفاه. ولو كتب فقه قليلة، توفي سنة (١٨٨هـ).

انظر: اللديج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (١/٣٤٧).

(٦) انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٣٨)؛ سير أعلام النبلاء (٨/٥٣).



٦ - التَّكْبِيرُ إِلَى مَجْلِسِ الدَّرْسِ : فَمَنْ سَأَلَكَ وَلَمْ يَسْأَلْكَ فَتَلَمَّ ذَلِكَ رَجُلًا  
الأصل في المتعلم أن ينجد ويجتهد في تعلم القرآن الكريم، بل كان السلف  
الصالح يتسابقون إلى مجالس العلم ويكثرون في الحضور إليها، ومن أمثلة ذلك:  
\* قول محمد بن علي السلمي رحمته الله: «قمت ليلة للأذان الأكبر لأخذ التوبة  
على ابن الأخرم<sup>(١)</sup>، فخرجت إلى مسجد معاوية، فوجدت قد سبقني ثلاثون  
قارئاً، فلم تلحقني التوبة إلى العصر»<sup>(٢)</sup>.

٧ - التَّحَلِّيُ بِالْأَدَبِ فِي مَجْلِسِ التَّعْلِيمِ :  
من الأفضل للمتعلم: ألا يجيء إلى القرآن إلا وهو في كامل الحال،  
متطهراً نظيفاً، ولا يتخطى رقاب الناس، بل يجلس حيث ينتهي به المجلس، إلا  
أن يأذن له المعلم في التقدم أو يعلم من حالهم إثارة ذلك.  
والتأدب ليس مطلوباً من المتعلم تجاه معلمه فقط: بل هو مطلوب منه تجاه  
زملائه، وحاضري مجلس العلم، فهذا جزء أساس من تأدبه مع المعلم وصيانة مجلسه.  
ومن مظاهر هذا التأدب: ألا يرفع صوته من غير حاجة، ولا يضحك، ولا  
يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبت بيده ولا غيرها، ولا يلتفت يميناً ولا  
شمالاً بلا داع، بل يكون متوجهاً إلى المعلم مصغياً إلى كلامه.  
وعلى المتعلم: أن يكون على درجة من دقة الملاحظة، بحيث لا يقرأ على  
المعلم إذا لاحظ انشغال قلبه، وملله، وضيعه وحزنه وجوعه وعطشه ونعاسه  
وقلقه، ونحو ذلك مما يحول بينه وبين الوفاء بمهمة التعليم، وفقاً لما يجب أن  
يكون من كمال النشاط وعلو الهمة<sup>(٣)</sup>.

(١) هو محمد بن النَّصْر بن مرَّ بن الحرِّ الرُّبَيْعِي الدَّمَشْقِي بن الأخرم (أبو الحسن) كانت له  
حلقة عظيمة بجوامع دمشق، يقرؤون عليه من بعد الفجر إلى العصر، قال الشَّيْبُوذِي:  
«قرأت عليه فما رأيت أحسن معرفة منه بالقرآن، ولا أحفظ، وكان يحفظ تفسيراً كثيراً  
ومعاني». توفي رحمته الله سنة (٣٤١هـ)، وعمره (٨١ سنة).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٥٦٤).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٥٦/١٢٣). وانظر: معرفة القراء الكبار (١/٢٩٢).

(٣) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٥).

ومن أمثلة مراعاة المتعلم ظروف معلّمه وعدم إزعاجه، والحرص على راحته \* ما قاله الأعمش<sup>(١)</sup> رحمته الله: «ما رأيت مثل طلحة - يعني ابن مصرف الياامي<sup>(٢)</sup> - إذا كنت قائماً فقعدت قطع القراءة، وإن كنت محتبياً فجللت حبوتي قطع القراءة، كراهية أن يكون قد أمّني»<sup>(٣)</sup>.

\* وقال أيضاً: «كان طلحة بن مصرف يجيئني فأقريه، فلا يظلمني حتى أخرج، فإن تنحنحت أو سعلت قام»<sup>(٤)</sup>.

\* وحكى أيضاً أدب هذا المتعلم معه، فقال: «كان طلحة يجيء فيجلس على الباب فتخرج الجارية وتدخل، لا يقول لها شيئاً، حتى أخرج فيجلس ويقرأ، فما ظنكم برجل لا يخطئ ولا يلحن، فإن استندت على الحائط - أي: من الجهد والتعب - قال: السّلام عليكم، ويذهب»<sup>(٥)</sup>.

ويرتبط بهذا: أن يتحمّل المتعلم ما قد يظهر من المعلم من جفوة، ويلتمس له العذر، بحيث لا تصدّه هذه الجفوة عن تقبّل ما يُلقيه عليه من معلومات، وإذا جافاه المعلم، ابتداءً هو بالاعتذار إليه، وأظهر أنّ الذنب له، والعتب عليه، فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة، وأبقى لقلب المعلم له<sup>(٦)</sup>.

وقيل في هذا الشأن: مَنْ لم يصبر على ذلّ التعلّم بقي عمره في عماية الجهالة، ومَنْ صبر عليه آل أمره إلى الآخرة والدنيا.

(١) هو سليمان بن مهران الكاهلي (أبو محمد)، المشهور بالأعمش، ولد سنة (٦٠هـ)، من الأئمة الثقات، قال ابن سعد: «وكان الأعمش صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث». وعده ابن سعد في الطبقة الرابعة، من الكوفيين، وثقه ابن معين وأبو حاتم، وقال أبو زرعة: إمام، توفي سنة (١٤٨هـ).

انظر: الطبقات الكبرى (٣٤٢/٦)؛ الجرح والتعديل (١٤٦/٤ - ١٤٧).

(٢) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الياامي (أبو عبد الله) كوفي، تابعي، من الخامسة، ثقة، كان من أقرأ أهل الكوفة وخيارهم، وهو أحد الثلاثة الذين ختموا القرآن على الأعمش. توفي رحمته الله سنة (١١٢هـ).

انظر: معرفة الثقات (٤٧٩/١)؛ تقريب التهذيب (٢٨٣/١).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٨/٥). وانظر: صفة الصفوة (٩٦/٣).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٨/٥). (٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) انظر: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص ٩١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذلك طالباً، فعزّزتُ مطلوباً<sup>(١)</sup>.

وقد أحسن مَنْ قال:

مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْمَذَلَّةِ سَاعَةً قَطَعَ الزَّمَانَ بِأَسْرِهِ مَذْلُولاً<sup>(٢)</sup>  
وغنيّ عن البيان: أنّ من أهمّ واجبات المتعلّم، أن يكون حريصاً على  
التعلّم، مواظباً في جميع الأوقات التي يتمكّن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع  
قدرته على الكثير، ولا يُحمّل نفسه ما لا يُطيق مخافة الملل، وضياح ما استوعبه  
وحصّله، وهذا يختلف باختلاف النَّاس والأحوال<sup>(٣)</sup>.

وإذا كنّا نركّز على واجبات المتعلّم؛ فإنّنا نذكّره بأنّ ذلك - أوّلاً وآخرأً -  
لمصلحته، بالحفاظ على المعلّم هادئ البال، وصافي الذّهن؛ ليُخرِجَ أثمن ما  
عنده.



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٤٨)؛ مفتاح دار السعادة (١/١٦٨)؛ كشف الخفا ومزيل  
الإلباس (١/٥٠٥)؛ إحياء علوم الدين (١/٩).

(٢) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٦).

(٣) انظر: القرآن الكريم: رؤية تربوية، د. سعيد إسماعيل علي (ص ٤٧٣ - ٤٧٤)؛ منهج  
السلف في العناية بالقرآن الكريم (١٠٤ - ١١١).







## فضائل تعلم القرآن وتعليمه

### ترغيب الإسلام في العلم:

لقد رَغِبَ الإسلامُ في تعلُّم العلم وتعليمه بعامَّة، وحثَّ عليه؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ففي الآية دعوة إلى طلب العلم والحرص عليه، وقد جعله الله تعالى معياراً للتفاضل بين النَّاس، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ولا غرابة في ذلك، بالعلم يُعبد الله تعالى، وبه يُعرف، وبه تستقيم الدُّنيا؛ لذا جعله ذلك من أفضل العبادات التي يتقرب بها المرء إلى ربِّه جلَّ جلاله؛ ففي الحديث عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

وثواب العلم يصل إلى الإنسان بعد موته مادام يُنتَفَعُ به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: «وهذا من أعظم الأدلة على شرف العلم وفضله وعظم ثمرته؛ فإنَّ ثوابه يصلُ إلى الرَّجُلِ بعدَ موته مادام يُنتَفَعُ به، فكأنَّه حيٌّ لم ينقطع عمله مع ما له من حياة الذكرِ والثناءِ، فَجَرِيَانُ أُجْرِهِ عَلَيْهِ إِذَا انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ

(١) رواه مسلم، كتاب العلم، باب: مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ (٤/٢٠٦٠) (ح ٢٦٧٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب: مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (٣/١٢٥٥) (ح ١٦٣١).

ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ حَيَاةً ثَانِيَةً<sup>(١)</sup>.

وتفاوتت درجات العلم ومنازله بحسب الموضوع الذي تتناوله، ولا شك أن أشرف العلوم وأجلها هو العلم بكتاب الله تعالى، فيكون مَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ لغيره أشرف ممن تَعَلَّمَ غير القرآن، وإن عَلَّمَهُ.

وقد حرص سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم على تعلُّم القرآن وتعليمه، وعرف هذا الحرص في سلوك خيارهم وأصفيائهم، وقدوتهم في ذلك مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ وَهَادِي الْإِنْسَانِيَّةِ، رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن، وهو أعرف الناس بمنزلته. والحديث عن فضائل تعلُّم القرآن العظيم وتعليمه يتمثل في المطالب الآتية:

## المطلب الأول

## مُعَلِّمُ الْقُرْآنِ وَمُتَعَلِّمُهُ مُتَشَبِّهُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ

كفى معلِّمُ القرآن ومُتَعَلِّمُهُ شرفاً وفخراً أنهم متشبهون بالملائكة والرسل الكرام، فقد بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥].

فها هو معلِّمُ الرُّسُولِ الْأَوَّلِ جبريل عليه السلام، أفضلُ الملائكة الكرام وأقواهم وأكملهم، نزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وجبريل عليه السلام شديد القوى الظاهرة والباطنة. فهو قويٌّ على فعل ما أمره الله تعالى، قويٌّ على إيصال الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه إياه، ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو زيادتهم فيه ما ليس منه، وهذا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لُوْحِيهِ مِنْ جِهَةٍ، ومن عناية الله تعالى برسوله محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَلِّمًا كَرِيمًا قَوِيًّا أَمِينًا<sup>(٢)</sup>.

وَمَدْحُ الْمُعَلِّمِ مَدْحٌ لِلْمُتَعَلِّمِ فَلَوْ قَالَ عَلَّمَهُ جبريل، وَلَمْ يَصِفْهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الْعَظِيمَةِ مَا كَانَ يَحْصُلُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَذِهِ الْفَضِيلَةُ الظَّاهِرَةُ<sup>(٣)</sup>.

«وهذه الآية الكريمة قد تضمّنت أمرين:

أحدهما: أن هذا الوحي الذي من أعظمه هذا القرآن العظيم، علّمه جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من الله.

(٢) انظر: تفسير السعدي (٥/١٢٢).

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٧٥).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٨/٢٤٥).

خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ

والثاني: أَنَّ جبريل شديد القوة.

وهذان الأمران جاءا مَوْضَحِينَ في غير هذا الموضع.

أما الأول منهما: وهو كون جبريل نزل عليه بهذا الوحي وعَلَّمَهُ إِيَّاهُ، فقد جاء مَوْضَحاً في آياتٍ من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا رَبِّي الْمَلَائِكَ ﴿١٣٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

... وأما الأمر الثاني: وهو شدة قوة جبريل النَّازِل بهذا الوحي، فقد ذَكَرَهُ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٧١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٠] (١).

### المطلب الثاني

خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ

إِنَّ تَعَلُّمَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالْقِيَامَ بِتَعْلِيمِهِ وَبَيَانِ مَعَانِيهِ وَأَحْكَامِهِ لِلنَّاسِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَجَلِّ الْقُرْبِ، يَحْظَى مَتَعَلِّمُهُ وَمُعَلِّمُهُ بِالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ تَحْضُرُ عَلَى تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ اشْتَغَلَ بِهِ، وَمَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ:

١ - عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (٢).

٢ - وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (٣).

(١) أضواء البيان (٧/٧٠٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٣/١٦٢٠) (ح٥٠٢٧)؛ وأبو داود، كتاب الصلاة، باب: في ثواب قراءة القرآن (٢/٧٠) (ح١٤٥٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٣/١٦٢٠) (ح٥٠٢٨).



«وقد سُئِلَ الثوري عن الجهادِ وإِقراءِ القرآنِ»<sup>(١)</sup>، فرَجَّحَ الثانيَ واحتجَّ بهذا الحديثِ<sup>(٢)(٣)</sup>.

فهذه شهادةٌ حقٌّ لأهل القرآن بأنهم خيرُ النَّاسِ وأفضلهم، فلم يقل خيركم أو أفضلكم أكثركم مالا أو أولاداً، ولا أوسعكم عقاراً أو نحو ذلك من حطام الدنيا الزائل.

وهذه هي صفات المؤمنين الصادقين المتبعين للرسول ﷺ، فهم يحرصون على تعلم القرآن وتركية نفوسهم به، كما يحرصون على تعليم الآخرين وإرشادهم لهديه والدعوة إليه فيكون نفعاً متعدياً.

«ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدّي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى ﷺ بقوله: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» [فصلت: ٣٣]. والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى: «فَنَنْظُرُ مَنْ كَذَّبَ بِكَايِبَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا» [الأنعام: ١٥٧]»<sup>(٤)</sup>.

وخير الناس وأفضلهم من تعلم القرآن حقَّ تعلمه، وعلمه حقَّ تعليمه، ولا يَتِمُّكَنُّ من هذا إلا بالإحاطة بالعلوم الشرعية أصولها وفروعها، ومثل هذا الإنسان يُعَدُّ كاملاً لنفسه مكماً لغيره فهو أفضل المؤمنين مطلقاً، وقد ورد عن عيسى عليه السلام: «من عَلَّمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ يُدْعَى فِي الْمَلَكُوتِ عَظِيماً» والفرد الأكمل من هذا الجنس هو النبي ﷺ، ثم الأشبه فالأشبه<sup>(٥)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله: «قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال؛ لأن فيه

(١) أي: تعليمه للناس.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩٧/٩).

(٣) كلام الإمام سفيان الثوري رحمه الله ينسحب على الجهاد غير المتعنين، أما إذا انتهكت حرمت المسلمين وتعين الجهاد فقدم على إقراء القرآن.

(٤) المصدر نفسه (٩٦/٩).

(٥) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٢٩/٤).

خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ

إِعَانَةً عَلَى الدِّينِ، فَهُوَ كَتَلِقِينَ الْكَافِرَ الشَّهَادَةَ لِيُسَلِّمَ»<sup>(١)</sup> وبما أن الله تعالى  
وبعض أهل العلم حَمَلَ الحديثين بخير الناس وأفضلهم باعتبار التَّعَلُّمِ  
والتَّعْلِيمِ: قَالَ الطَّبِيبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّ خَيْرِ النَّاسِ بِاعْتِبَارِ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ مَنْ تَعَلَّمَ  
الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٢)</sup>.  
معنى التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ:

«تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَتَعْلِيمُهُ يَتَنَاوَلُ تَعَلُّمَ حُرُوفِهِ وَتَعْلِيمَهَا، وَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ وَتَعْلِيمَهَا،  
وَهُوَ أَشْرَفُ قِسْمَيْ تَعْلَمِهِ وَتَعْلِيمِهِ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى هُوَ الْمَقْصُودُ، وَاللَّفْظُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ،  
فَتَعَلَّمَ الْمَعْنَى وَتَعْلِيمُهُ تَعَلُّمُ الْغَايَةِ وَتَعْلِيمَهَا، وَتَعَلَّمَ اللَّفْظَ الْمُجَرَّدَ وَتَعْلِيمُهُ تَعَلُّمُ  
الْوَسَائِلِ وَتَعْلِيمُهَا، وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ الْغَايَاتِ وَالْوَسَائِلِ»<sup>(٣)</sup>.

\* وَهَذَا مَسْأَلَتَانِ مِنَ الْأَهْمِيَةِ بِمَكَانٍ أَوْرَدَهُمَا الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ  
شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ، وَأَجَابَ عَلَيْهِمَا:

(المسألة الأولى): «فإن قيل: فيلزم على هذا أن يكون المقرئ أفضل من  
الفقيه.

قلنا: لا؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل  
اللسان، فكانوا يدرّون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدرّونها من بعدهم  
بالاكتساب، فكان الفقه لهم سجية، فَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ شَأْنِهِمْ شَارِكُهُمْ فِي ذَلِكَ،  
لَا مَنْ كَانَ قَارِئًا أَوْ مُقْرَأًا مَحْضًا لَا يَفْهَمُ شَيْئًا مِنْ مَعَانِي مَا يَقْرُؤُهُ أَوْ يُقْرَأُ»<sup>(٤)</sup>.

(المسألة الثانية): «فإن قيل: فيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم  
غناءً في الإسلام بالمجاهدة والرِّبَاط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً.

قلنا: حرفُ المسألة يدور على النَّفْعِ الْمُتَعَدِّيِّ، فَمَنْ كَانَ حَصُولُهُ عِنْدَهُ أَكْثَرَ  
كَانَ أَفْضَلَ، فَلَعَلَّ «مِنْ» مُضْمَرَةٌ فِي الْخَبَرِ، وَلَا بَدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ مِرَاعَاةِ الْإِخْلَاصِ  
فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْخَيْرِيَّةُ وَإِنْ أُطْلِقَتْ لَكِنَّا مَقِيلَةٌ بِنَاسٍ

(١) التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٤٤). (٢) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٧٤).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٩٦).

مخصوصين خُوطبوا بذلك كان اللّائق بحالهم ذلك، أو المراد خير المتعلّمين مَنْ يُعلّم غيره لا مَنْ يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثيّة؛ لأن القرآن خير الكلام، فمتعلّمه خيرٌ مِنْ مُتعلّم غيره بالنسبة إلى خيريّة القرآن، وكَيْفَمَا كان فهو مخصوص بِمَنْ علّم وتعلّم بحيث يكون قد علّم ما يجبُ عليه عَيْنًا<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث

## تَعَلُّمُ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ كُنُوزِ الدُّنْيَا

١ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ<sup>(٢)</sup>. فَقَالَ: «أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُو<sup>(٣)</sup> كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ<sup>(٤)</sup> أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ<sup>(٥)</sup> فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ<sup>(٦)</sup>، فِيهِ غَيْرُ إِنْثَمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعَلِّمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) الصُّفَّةُ: موضعٌ مُطلَّلٌ من المسجد النبوي الشريف كان فقراء المهاجرين يأوون إليه، وهم المسنون بأصحاب الصُّفَّة، وكانوا أضياف الإسلام.

انظر: لسان العرب (٤/٢٤٦٤)، مادة: (صف).

(٣) (يغدو): أي: يذهب في الغدوة وهي أول النهار.

(٤) (بطحان): بضم الباء وسكون الطاء، وقيل: بالفتح والسكون، وقيل بالفتح والكسر، وهو أحد أودية المدينة الثلاثة، وهي: بطحان والعقيق وقناة.

انظر: معجم البلدان (١/٥٢٩).

وسمّي بطحان بذلك: لسعته وانساطه من البطح، وهو البسط.

انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤/٢٣١).

(٥) (العقيق): قيل: أراد العقيق الأصغر، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين من المدينة، وخصّهما بالذكر؛ لأنهما أقرب المواضع التي يُقام فيها أسواق الإبل إلى المدينة، والظاهر أنّ (أو) للتنويع.

انظر: عون المعبود (٤/٢٣١).

(٦) (كوماوين): مثنى كوما، فقلبت الهمزة في التثنية واوًا، وناقية كوما: عظيمة السنم طويلته وأصل الكوم العلو، أي: فيحصل ناقتين عظيمتي السنم، وهي من خيار مال العرب.

انظر: لسان العرب (٥/٣٩٥٨)، مادة: (كوم)؛ عون المعبود (٤/٢٣١).



تَعْلَمُ الْقُرْآنَ وَتَعْلِمُهُ خَيْرٌ مِنْ كُنُوزِ الدُّنْيَا

خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ. وَثَلَاثَ خَيْرٍ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ. وَأَرْبَعَ خَيْرٍ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ. وَمِنْ أَعْدَائِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ ٤،<sup>(١)</sup>

٢ - وعند أبي داود بلفظ:

«أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بَطْحَانَ، أَوْ الْعَقِيقِ، فَيَأْخُذُ نَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ<sup>(٢)</sup> بِغَيْرِ إِثْمٍ<sup>(٣)</sup> بِاللَّهِ ﷻ وَلَا يَقْطَعُ رَحِمَ<sup>(٤)</sup> ٤»، قَالُوا: كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَإِنْ ثَلَاثَ فَثَلَاثٌ مِثْلَ أَعْدَائِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»<sup>(٥)</sup>.

لقد صرّب النبي ﷺ هذا المثل بصورة عجيبة معبرة في الحث على تعلم القرآن العظيم والحث على قصد بيوت الله تعالى لتعلم القرآن؛ لما فيها من السكينة والطمأنينة، ولقطع علائق القلب عن شواغل الدنيا، وبيّن أن آية واحدة يتعلمها المسلم خير من الدنيا وما فيها.

«والحاصل أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم من الفانيات فذكره هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى، أو بثوابها من الدرجات العلى»<sup>(٦)</sup>.

وسبب التمثيل بالإبل: أنها كانت أعزّ وأثمن أموال العرب في صدر الإسلام، لا يملكها إلا الأغنياء منهم، فرغب النبي ﷺ أصحابه إلى ما هو أفضل

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (٥٥٢/١) (ح ٨٠٣)؛ وابن حبان في «صحيحه»، كتاب العلم، باب: الحث على تعليم كتاب الله (٣٢١/١) (ح ١١٥).

(٢) (زهراوين): أي: سميتين مائلتين إلى البياض من كثرة السمن.

(٣) (بغير إثم): كسرة و غَضْبٍ، سُمِّيَ موجب الإثم إثمًا مجازًا.

(٤) (ولا قطع رحم): أي: بغير ما يوجبه، وهو تخصيص بعد تعميم. انظر: عون المعبود (٢٣١/٤).

(٥) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب: في ثواب قراءة القرآن (٧١/٢) (ح ١٤٥٦)؛ وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٧٣/١) (ح ١٢٩٢).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٣١/٤).



من ذلك، بأن يكون لهم رصيد من الحسنات عند الله ﷻ أعظم من الإبل عند أصحابها في الدنيا، وذلك بأن يتعلّموا كلام الله تعالى، فكلُّ آية يتعلّمها المسلم هي في ميزان حسناته أفضل من ناقةٍ عظيمة السنام، سالمة من العيوب لو تصدّق بها<sup>(١)</sup>

قال ابن حبان رحمته - بعد أن أوردَ هذا الحديث في صحيحه: **هذا الحديث أضمير فيه كلمة، وهي: (لو تصدّق بها) يريد بقوله: فيتعلّم آيتين من كتاب الله خير من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث لو تصدّق بها؛ لأن فضل تعلّم آيتين من كتاب الله أكبر من فضل ناقتين وثلاث وأعدادهن من الإبل لو تصدّق بها؛ إذ محال أن يُشَبَّه مَنْ تعلّم آيتين من كتاب الله في الأجر بمن نال بعض حطام الدنيا<sup>(٢)</sup>.**

وهذا الذي ذكره ابن حبان هنا حسنٌ وجميل، يُدكّرنا بأجر التّبكير إلى صلاة الجمعة، وفيه قال النبي ﷺ: **(مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَانَ نَمًا قَرَبَ بَدَنَةٍ... الحديث<sup>(٣)</sup>.**

ولا شك أن أجر تعلّم آية من كتاب الله تعالى عظيم كبير إذا قسناه على ما جاء في الحديث الأنف الذّكر من أن المسلم إذا حضر صلاة الجمعة في السّاعة الأولى فكانما تصدّق ببدنة، أي: بناقة.

وفي الحديث وصفت الناقة بأنها كوماه زهراء، أي: عظيمة السنام، كثيرة اللحم، ماثلة إلى البياض من عظم السمن، هي من خيار أموال العرب آنذاك. وهذا الفضل من التصدق بمجرد ناقة، كما جاء في حديث التّبكير إلى صلاة الجمعة، والله تعالى أعلم.

وقد رغب النبي ﷺ في تعلّم الخير وتعلّمه للناس، وعده كاجر حاجّ، تاماً حجاجته في قوله: **(مَنْ غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلّم خيراً أو يُعلّمه، كان له**

(١) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن (ص ٣١ - ٣٢). (١٤٤٢هـ)

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/٣٢٢).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ: فَضْلِ الْجُمُعَةِ (١/٢٦٤) (ح ٨٨١).

تعلّم القرآن وتعلّمه خيرٌ من كنوز الدنيا

كأجرٍ حَاجٍ، نَامًا حَجَّتَهُ<sup>(١)</sup>.  
ولا ريب أن تعلّم القرآن وتعلّمه يأتي في مقدّمة الخير الذي يُعلّم أو يُتعلّم؛  
ذلك أنه كلام الله جلّ جلاله.

وفي حديث آخر أخبر النبي ﷺ أن متعلّم الخير ومُعلّمه بمنزلة المجاهد في  
سبيل الله تعالى بقوله: «مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِحَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ،  
فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَنْ جَاءَ لِعَيْرٍ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى  
مَتَاعٍ غَيْرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وجديرٌ بِمُتَعَلِّمِ الْقُرْآنِ ومُعلّمه أن يُنَزَلَ منزلة المجاهد في سبيل الله تعالى؛  
ذلك أنه جاهد نفسه وهواها، وجاهد الشيطان، وصبر وصابر ورباط في هذه  
الحلقة المباركة، وترك الدنيا وزينتها، فاستحق هذا الشرف العظيم تفضلاً من الله  
تعالى ومِنَّةً.

وكان الصّحابة وتابعوهم أحرصّ الناس على تعلّم وتعليم كتاب الله ﷺ  
وحثّ الناس وتشجيعهم على احتساب الأجر في ذلك، وفيما يأتي طائفة من  
أخبارهم المباركة:

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَوْ جُعِلَ لِأَحَدٍ خَمْسُ قَلَانِصٍ<sup>(٣)</sup>؛ إِنْ  
صَلَى الْغَدَاةَ بِالْقَرْيَةِ لَبَاتَ يَقُولُ لِأَهْلِهِ: لَقَدْ آتَى لِي أَنْ أَنْطَلِقَ. وَاللَّهِ لَا يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ  
فَيَتَعَلَّمُ خَمْسَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَلَهُنَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ خَمْسِ قَلَانِصٍ وَخَمْسِ قَلَانِصٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٩٤/٨) (ج ٧٤٧٣)؛ والمنذري في «الترغيب والترهيب»؛  
كتاب العلم، باب: الترغيب في الرحلة في طلب العلم (ح ٣)، وقال: «رواه الطبراني في  
الكبير بإسناد لا بأس به». وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٥/١)  
(ح ٨٦): «حسن صحيح». والحاكم في «المستدرک» (١٦٩/١) (ح ٣١١) بلفظ: «... أجر  
معتمر تام العمرة» وصحّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن ماجه في «المقدّمة»، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨٢/١)  
(ح ٢٢٧)، وصحّحه الألباني في «صحيح ابن ماجه»: (٤٤/١) (ح ١٨٦).

(٣) (القلائص): جنم قلوب، وهي الناقة الشائبة، وتُجمَعُ على قلاص وقُلُص أيضاً.  
انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١٠٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (١٣٣/٦) (رقم ٣٠٠٧٥).

٢ - عن أبي عبيدة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّهُ كَانَ يُقْرَى الْقُرْآنَ، فَيَمُرُّ بِالآيَةِ، فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ: خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَهِيَ خَيْرٌ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>.

٣ - وعن الأعمش قال: مَرَّ أَعْرَابِيٌّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَهُوَ يُقْرَى قَوْمًا الْقُرْآنَ، أَوْ قَالَ: وَعِنْدَهُ قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَمَا يَضْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «يُقْتَسِمُونَ مِيرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وَأَجْرُ تَعْلَمٍ وَتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَيْسَ حَكْرًا عَلَى الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ وَتَابِعِيهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ لِكُلِّ مَنْ يَحْذُو حَذْوَهُمْ وَيَسِيرُ عَلَى أَسْطَاهُمْ الْمُبَارَكَةِ فِي تَعْلَمِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ وَمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌّ كَرِيمٌ.

#### المطلب الرابع

### مَنْ عَلَّمَ آيَةً كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلَيْتُ

لا ريب أن تعليم الناس القرآن العظيم من النفع المتعدّي، وهو مما يلحق المَعْلَمُ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو عبيد القاسم في «فضائل القرآن» (ص ٥٢). وانظر: فضائل القرآن، لابن الضريس (ص ٤٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٦/٧): «رواه الطبراني، ورجاله ثقات».

(٢) رواه أبو عبيد القاسم في «فضائل القرآن» (ص ٥١)؛ وأورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٣/١ - ١٢٤)، باب: فضل العالم والمتعلم، من رواية الطبراني في «الأوسط» وقال: «إسناده حسن».

وانظر: جامع الأصول (١/٢٩١ - ٢٩٢)، وهو فيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.  
(٣) رواه ابن ماجه، في «المقدمة» واللفظ له، باب: ثواب معلم الناس الخير (١/٨٨) =



مَنْ عَلَّمَ آيَةً كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تَلَيْتَ

وتعليم النَّاسِ القرآنَ داخلٌ في قوله ﷺ: «عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ».

وكذلك فإنَّ تعليم النَّاسِ القرآنَ العظيمَ داخلٌ في عموم الدَّلالة على الخير، والمشار إليه في قوله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي رحمته الله: «فيه فضيلة الدَّلالة على الخير والتَّنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم. والمراد ب (مثل أجر فاعله) أن له ثواباً بذلك الفعل كما أن لفاعله ثواباً، ولا يلزم أن يكون قدرُ ثوابِهما سواء»<sup>(٢)</sup>.

«وذهب بعضُ الأئمة إلى أن المثل المذكور في هذا الحديث ونحوه إنما هو بغير تضعيف.

وقال القرطبي: إنَّه مثله سواء في القدر والتَّضعيف؛ لأنَّ الثَّواب على الأعمال إنما هو بِفَضْلِ من الله يهبه لمن يشاء على أيِّ شيءٍ صَدَرَ منه، خصوصاً إذا صَحَّت النية التي هي أصل الأعمال في طاعةٍ عَجَزَ عن فِعْلِهَا لِمَانِعٍ مَنَعَ منها، فلا بُعْدَ في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر والفاعل، أو يزيد عليه»<sup>(٣)</sup>.

وفي رأي القرطبي رحمته الله ما يُضاعف الأمل في الدَّلالة على العمل.

وقد جاء أجر تعليم القرآن منصوصاً عليه صراحة حتى لو كانت آيةً واحدةً في قوله ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تَلَيْتَ»<sup>(٤)</sup>.

= (ح ٢٤٢)؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢١/٤) (ح ٢٤٩٠)؛ وحسنه المنأوي في «فيض القدير» (٥٤٠/٢) (ح ٢٤٩٧)؛ ووافقه الألباني في: «صحيح ابن ماجه» (٤٦/١) (ح ١٩٨)؛ و«صحيح الجامع» (٤٤٣/١) (ح ٢٢٣١)؛ و«أحكام الجنائز» (١٧٦)؛ و«الإرواء» (١٠٧٩).

- (١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله (١٥٠٦/٣) (ح ١٨٩٣).
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٤١/١٣ - ٤٢).
- (٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٦/١٤ - ٢٧).
- (٤) صحَّحه الألباني في «السُّلسلة الصَّحيحة» (٣٢٣/٣) (ح ١٣٣٥) وقال: «أخرجه سهل القَطَّان في: «حديثه عن شيوخه» (٢/٢٤٣/٤).

ثم ساق رجالَ الإسناد وقال: «وهذا إسناد جيّد عزيز، رجاله ثقات، رجال مسلم، غير محمد بن الجهم، وهو ابن هارون، الكاتب السمرقي، ترجمه الخطيب (١٦١/٢) برواية جماعة من الثقات عنه، وقال: «وقال الدارقطني: ثقة، صدوق».



وهذا من الآثار الحسنة التي تكتب في ميزان معلّم القرآن؛ لأنه كان السبب المباشر في تعليمها.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَنُكِّتُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرْتَهُمْ﴾ [يس: ١٢].  
 «فالمراد بـ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ ما عملوا من الأعمال قبل الموت؛ شُبِّهَتْ أعمالهم في الحياة الدنيا بأشياء يُقَدِّمونها إلى الدَّارِ الآخرة كما يُقَدِّم المسافر ثقله وأحماله.

وأما الآثار فهي آثار الأعمال وليست عَيْنِ الأعمالِ بقريته مقابلته بـ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ مثل ما يتركون من خير أو يثير بين الناس وفي النفوس (١).  
 وللمفسرين قولان في قوله تعالى: ﴿وَأَثَرْتَهُمْ﴾:

القول الأول: فُكِّبَ أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي آثروها من بعدهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ويشهد له قوله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» (٢).

«فكلُّ خَيْرٍ عَمِلَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، بسببِ عِلْمِ الْعَبْدِ، وتعليمه، أو نُصَحَهُ، أو أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، أو نَهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أو عِلْمِ أَوْدَعَهُ عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِينَ، أو فِي كُتُبٍ، يُنْتَضَعُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، أو عَمِلَ خَيْرًا، مِنْ صَلَاةٍ، أو زَكَاةٍ، أو صَدَقَةٍ، أو إِحْسَانٍ، فَاقْتَدَى بِهِ غَيْرُهُ، أو عَمِلَ مَسْجِدًا، أو مَحَلًّا مِنَ الْمَحَالِّ، الَّتِي يَرْتَفِقُ بِهَا النَّاسُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّهَا مِنْ آثَارِهِ، الَّتِي تُكْتَبُ لَهُ، وَكَذَلِكَ عَمَلُ الشَّرِّ» (٣).

(١) التحرير والتنوير (٢٢/٢٠٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة (٢/٧٠٥) (حج ١٧/١٠١).

(٣) تفسير السعدي (٤/٢٣٠)، (١/٢٣٧)، (٢/٢٣٧)، (٣/٢٣٧).

ثَوَابٌ مَنْ يُعَلِّمُ الصَّغَارَ الْقُرْآنَ

القول الثاني: إنَّ المرادَ بذلك آثارَ خطأهم إلى الطَّاعة أو المعصية.

ويشهد له قولُ جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه، قال: خَلَّتِ البِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ. فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ، قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلَمَةَ! دِيَارَكُمْ، تُكْتَبُ آثَارُكُمْ<sup>(١)</sup>، وَدِيَارَكُمْ، تُكْتَبُ آثَارُكُمْ<sup>(٢)</sup>».

قال ابن كثير رحمته الله: «وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكْتَبُ، فَلَأَنْ تُكْتَبَ تلك التي فيها قُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى<sup>(٣)</sup>».

### المطلب الخامس

#### ثَوَابٌ مَنْ يُعَلِّمُ الصَّغَارَ الْقُرْآنَ

أولى النَّاسِ بتعليم القرآن العظيم هم أولادنا الصَّغار، وهذا التَّعليم سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ عند بَنِيهِ الصَّالِحِ رضي الله عنه أَجْمَعِينَ:

١ - فعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قال: إِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ الْمُفْصَلُ هُوَ الْمُحْكَمُ. قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ<sup>(٤)</sup>.

٢ - وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: جَمَعْتُ الْمُحْكَمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا الْمُحْكَمُ؟ قَالَ: أَيُّ ابْنِ عَبَّاسٍ - الْمُفْصَلُ<sup>(٥)</sup>.

(١) (دياركم، تُكْتَبُ آثَارُكُمْ): معناه أَلْزَمُوا دِيَارَكُمْ، فإنكم إذا لزمتموها كُتِبَتْ آثَارُكُمْ وخطاكم الكثيرة إلى المسجد. «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٦٩/٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلَاة، باب: فضل كثرة الخطا إلى المساجد (١/٤٦٢) (ح ٦٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٩١/٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: تعليم الصَّغِيرِ الْقُرْآنَ (١٦٢٢/٣) (رقم ٥٠٣٥).

(٥) رواه البخاري، الكتاب نفسه، والباب نفسه، (١٦٢٢/٣) (رقم ٥٠٣٦).

قال ابن كثير رحمته الله: «فيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصِّبَا، وهو ظاهر، بل قد يكون مُستحبّاً أو واجباً؛ لأنَّ الصِّبْيَ إذا تعلَّم القرآن بلغ وهو يعرف ما يُصَلِّي به، وحفظه في الصِّغَرِ أولى من حفظه كبيراً، وأشدُّ عُلوّاً بخاطره، وأرسخٌ وأثبت، كما هو المعهود من حال الناس»<sup>(١)</sup>.

جزاء الوالدين:

أما أجر الوالدين اللذين يعلمان أولادهما كتاب الله سبحان ويصبران على ذلك، فهو أجر عظيم يتناسب وتعبهما وصبرهما وتحملهما المشقة في ذلك، بأن يكسوا حُلَّتَيْنِ لا يقوم لهما أهل الدنيا:

فعن بُريدة بن الحُصَيْبِ رضي الله عنه قال: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنِ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ»<sup>(٢)</sup>، فيقول له: هَلْ تَقْرَفُنِي؟ فيقول: مَا أَعْرَفُكَ، فيقول: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَظْمَأْتِكَ فِي الْهَوَاجِرِ<sup>(٣)</sup>، وَأَسَهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمَلِكَ بِبَيْتِهِ، وَالخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لِهَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا، فيقولان: بِمِ كَسِينَا هَذَا؟ فيقال: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ، وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَحَرِّفْهَا، فَهُوَ فِي صُعُودِ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذَا<sup>(٤)</sup> كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا<sup>(٥)</sup>،<sup>(٦)</sup>

(١) فضائل القرآن (ص ٢٢٦).

(٢) (الشَّاحِبِ): هو المتغير اللون لعارض من مرض، أو سفر، أو نحوهما.

(النهاية في غريب الحديث والأثر) (٤٤٨/٢)، مادة: (شحب).

(٣) (الهُوَاجِرِ): جمع هاجرة، وهو نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، عند اشتداد الحر.

انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/٢٤٤)، مادة: (هجر).

(٤) (هَذَا): الهذ والهذذ بفتح الهاء: هو سرعة القراءة وسرعة القطع، يقال: هَذَا الْقُرْآنَ يَهْذُهُ هَذَا: إِذَا أَسْرَعَ فِي قِرَاءَتِهِ وَسَرَّوَهُ.

انظر: لسان العرب (٦/٤٦٤٣)، مادة: (هذ).

(٥) (ترتيلًا): ترتيل القراءة: هو التاني فيها والتأمل وتبيين الحروف والحركات.

(النهاية في غريب الحديث والأثر) (٢/١٩٤)، مادة: (رتل).

(٦) رواه مطولاً أحمد في «المسند» (٥/٢٣٨) (ح ٢٣٠٠) وقال محققو المسند (٣٨/٤٢) =



نَوَابٍ مِّنْ يُعَلِّمُ الصِّغَارَ الْقُرْآنَ

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «... وَيُكْسَى وَالذَّاهُ حُلَّتَيْنِ، لَا تَقُومُ لَهُمُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ! آتِنَا هَذَا؟» فَيَقَالُ: بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ... الحديث (١).

وَحَقٌّ لِهَٰذَيْنِ الْوَالِدَيْنِ أَنْ يَعْجَبَا وَيَذَهَبَا مِنْ هَٰذَا الْإِنْعَامِ الْعَظِيمِ الَّذِي حَصَلَا عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبَانِ، فَعِنْدَمَا يُكْسَى هَٰذَانِ الْوَالِدَانِ حُلَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ حُلِّ الْحِجَةِ أَعْلَى وَأَثْمَنِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، يَتَسَاءَلَانِ فِي دَهْشَةٍ: مِنْ أَيْنَ لَنَا مِثْلُ هَاتَيْنِ الْحُلَّتَيْنِ وَلَيْسَ لَنَا - فِيمَا نَعْلَمُ - مِنَ الْعَمَلِ وَالطَّاعَاتِ مَا يُوَهِّلُنَا لِلْفَوْزِ بِهَٰذِهِ الْكِرَامَةِ الْعَظِيمَةِ؟

فَيُجَابَانِ: بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ وَصَبْرِكُمَا عَلَيْهِ وَإِخْلَاصِ التَّوْحُّدِ لَهُ. وَهَكَذَا فَإِنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ مِنْ أَبْرِّ النَّاسِ بِوَالِدِيهِ، وَلَوْ عَلِمَ كُلُّ الْوَالِدَيْنِ مَا يَحْصُلُ لَهُمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكِرَامَةِ وَالرَّفْعَةِ بِأَخْذِ وَلَدِهِمَا لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِإِدْرَاكِ دَفْعِ أَوْلَادِهِمَا دَفْعًا، وَحَثِّهِمْ حَثًّا عَلَى تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَلَاوَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ (٢).

وقد أحسن الشَّاطِطِيُّ (٣) رحمته الله حينما قال:

(ح) (٢٢٩٥٠): «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ فِي الْمُنَابَعَاتِ وَالشَّوَاهِدِ، مِنْ أَجْلِ بَشِيرِ بْنِ الْمُهَاجِرِ الْعَمْرِيِّ، وَبِاقِي رِجَالِهِ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشُّيْخِينَ، وَحَسَنُهُ الْجَاهِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٦٢/١)، وَبَعْضُهُ شَوَاهِدٌ يَصِحُّ بِهَا».

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (١٢٩/٦) (ح) (٣٠٠٤٥)؛ وعبد الرزاق في «مصنّفه» (٣/٣٧٤) (ح) (٦٠١٤).

وذكره البوصيري في «مصباح الرُّجَاجَةِ» (١٨٧/٣) (ح) (١٣٢١)، وقال: «هَذَا إِسْنَادُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ». وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٩/٧)، وقال: «رَوَى ابْنُ مَاجَةَ مِنْهُ طَرَفًا، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

ورواه مُخْتَصَرًا الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٧٤٢/١٦) (ح) (٢٠٤٣) وقال: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ»، وَوَافِقُهُ الذَّهَبِيُّ. وَابْنُ مَاجَةَ (١٢٤٢/٢) (ح) (٣٧٨١)؛ وَأَجْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٥٢/٥) (ح) (٢٣٠٢٦).

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٥١/٦) (ح) (٥٧٦٤)؛ وَأُورِدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّيَلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٧٩٢/٦) (ح) (٢٨٢٩) وَقَالَ: «الْحَدِيثُ حَسَنٌ أَوْ صَحِيحٌ لِأَنَّ لَهُ شَاهِدًا مِنْ حَدِيثِ بَرِيدِ بْنِ الْحَصْبِيِّ مَرْفُوعًا بِتَمَامِهِ».

(٢) انظر: أنوار القرآن (ص ١٨١ - ١٨٢) (ح) (٢٠٣٦١).

(٣) هو القاسم بن فيزة - ومعناه: بلغته عميم الأندلس - الحديث: بن خلف بن أحمد الشَّاطِطِيُّ



فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِكاً      مُجِلاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاً  
هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا      مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنْ التَّاجِ وَالْحُلَا  
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ      أَوْلَيْتُكَ أَهْلُ اللَّهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلَا<sup>(١)</sup>

وهذا مِنَ الآثارِ الحسنة التي تُكتب في ميزان الوالدين، لأنهما السبب المباشر في تعليم هذا الولد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. كما مرَّ بنا في المطلب الرَّابِع من هذا المبحث.

فليتنافس في هذا الآباء ما دام صلاح الأولاد راجعاً إليهم في النِّهاية، ثمَّ لما يترتب على ذلك من البعد عن مواطن الشرِّ إلى مجال الخير.



= الرَّعِينِي الأندلسي، ولد ضريراً سنة (٥٤٨هـ) بشاطبة، من الأندلس، كان أعجوبة في الذكاء، كثيرَ الفنون، غايةً في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، شافعي المذهب. قال ابن خَلِّكان: «كان إذا قُرئَ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ، تُصَحَّح السُّنخ من حِفْظِهِ». توفي بمصر سنة (٥٩٠هـ)؛ انظر ترجمته بتوسُّع في مقدمة كتابه: حرز الأمانِي ووجه التَّهاني في القراءات السَّبْع (ص ٣ - ١٠).  
(١) انظر: حِرْزُ الأمانِي ووجه التَّهاني في القراءات السَّبْع (ص ١٢ - ١٣).





## أحكام تعلم القرآن وتعليمه

ثبت عنه ﷺ أنه حرص على تعليم أصحابه القرآن، إما بنفسه، وإما بتوكيل بعض أصحابه للقيام بهذه المهمة العظيمة.

ومن النوع الأول ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا القرآن، فإذا مرَّ بسجود القرآن سجدَ وسجدنا معه»<sup>(١)</sup>.

ولاشتهار هذا الأمر عن رسول الله ﷺ صار أصلاً يُقاس عليه غيره، ومن هذا القبيل قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن»<sup>(٢)</sup>.

فإذا طرأ ما يمنع رسول الله ﷺ من مباشرة ذلك بنفسه وكُلَّ بعض أصحابه للقيام بمهمة تعليم القرآن - وهذا من النوع الثاني -

ومنه ما ورد عن عبادة بن الصّاميت رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يشغل، فإذا قديم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي موسى رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، فأمرهما أن يعلما الناس القرآن»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٥٧/٢) (ح ٦٤٦١)، وقال محققو المسند (٤٨٧/١٠) (ح ٦٤٦١): «حديث صحيح». ورواه مسلم بنحوه في: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة (٤٠٥/١) (ح ٥٧٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب التهجّد، باب: ما جاء في التطوع مثني مثني (٣٤٦/١) (ح ١١٦٢).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٣٢٤/٥) (ح ٢٢٨١٨)، وقال محققو المسند (٤٢٦/٣٧) (ح ٢٢٧٦٦): «إسناده حسن».

والحاكم في «المستدرک» (٤٠١/٣) (ح ٥٥٢٧)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». والطبراني في «مسند الشافعيين» (ح ٢٢٣٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤٤٤/١).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣٩٧/٤) (ح ١٩٥٦٢)، وقال محققو المسند (٣١٥/٣٢) =



وعلى هذا النَّهْجِ سارَ السَّلَفُ الصَّالِحُ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، بحيثَ لم يَخُلْ عصرٌ من مُعَلِّمي القرآنِ الحزبيِّينَ على تبليغِهِ للنَّاسِ، وقد أثمرتَ جهودُهُ هؤلاءِ الأَخيارَ وأدَّتْ إلى تواترِ القرآنِ جيلاً بعدَ جيلٍ حتى وصلَ إلينا - بحمدِ اللهِ تعالى - عَضاً طرياً<sup>(١)</sup>.

والحديثُ عن حُكْمِ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ يَتِمُّثَلُّ فِي الْمَطالِبِ الآتيةِ:

### المطلب الأول

#### حُكْمُ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ

تَعَلُّمُ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمُهُ فَرَضٌ كفايَةٌ على المسلمين، فإذا قامَ به البعضُ سقطَ الإثمُ عن الباقيين، إلا ما نصَّحَ به الصَّلَاةُ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْإِجْماعِ<sup>(٢)</sup>، وهو الفاتحة؛ لأنَّ من القواعدِ المتقرَّرةِ في الشَّرِيعَةِ أَنَّ ما لا يَتِمُّ الواجبُ إلاَّ به فهو واجبٌ، والصَّلَاةُ واجبةٌ ولا تَتِمُّ إلاَّ بقراءةِ الفاتحةِ<sup>(٣)</sup>.

وأما ما سوى الفاتحةِ فتعلَّمُهُ فرضٌ كفايَةٌ على الجميعِ، ومستحبٌ بالإجماعِ<sup>(٤)</sup>، والأدلةُ على ذلك - بالإضافة لما تقدَّم - متوافرةٌ، فمنها:

١ - عن عثمان بن عفَّانٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٥)</sup>.

٢ - وعن عثمان بن عفَّانٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ

(ح ١٩٥٤٤): «إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير طلحة بن يحيى - وهو ابن طلحة بن عبيد الله التيمي - فمن رجال مسلم».

(١) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم (ص ٢٤ - ٢٦).

(٢) انظر: مراتب الإجماع، لابن حزم (ص ١٥٦)؛ الإقناع، للحجاوي (١/١٤٨)؛ منتهى الإرادات، لابن النجار (١/١٠٤)؛ حاشية الروض المربع، لابن قاسم (٢/٢٠٧).

(٣) انظر: الأحكام الفقهية الخاصَّة بالقرآن الكريم (ص ١١ - ١٢).

(٤) انظر: المصادر السابقة، والصفحات نفسها.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٣/١٦٢٠) (ح ٥٠٢٧)؛ وأبو داود، كتاب الصلاة، باب: في ثواب قراءة القرآن (٢/٧٠) (ح ١٤٥٢).

الْقُرْآنُ وَعَلَّمَهُ<sup>(١)</sup>

٣ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

«خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذٍ، وَأَبِي إِبْنِ

كَعْبٍ»<sup>(٢)</sup>. وهذا الحديث يُبَيِّنُ لَنَا أَهْمِيَّةَ أَخْذِ الْقُرْآنِ مِنْ مَصْدَرِهِ الْأَوْثَقِ.

٤ - ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ - بَعْدَ مُحَادَثَةِ جَرَتْ

بَيْنَهُمَا، فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْفِتَنِ: «يَا حَذِيفَةَ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللَّهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>(٣)</sup> الْحَدِيثِ.

٥ - عن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ

شَافِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَعَلَّمُوا الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، تَعَلَّمُوا الزَّهْرَاوِينَ...»<sup>(٤)</sup> الْحَدِيثِ.

وَمَنْ صَرَّحَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّ تَعَلُّمَ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمَهُ فَرَضٌ كِفَايَةُ النَّوَوِيِّ

وَالسُّيُوطِيِّ<sup>(٥)</sup>.

\* قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله: «تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِينَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ يَصْلُحُ

لَهُ إِلَّا وَاحِدٌ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ جَمَاعَةٌ يَحْصُلُ التَّعْلِيمُ بِبَعْضِهِمْ: فَإِنْ

امْتَنَعُوا كُلُّهُمْ أَثِمُوا، وَإِنْ قَامَ بِهِ بَعْضُهُمْ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِنْ طُلِبَ مِنْ

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٣/١٦٢٠) (ح٥٠٢٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: الفراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣/١٦١٣) (ح٤٩٩٩)؛ وكتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه (٣/١١٦٥) (ح٣٨٠٨).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها (٤/٩٦) (ح٤٢٤٦)؛ وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: (٣/٨٠٠) (ح٣٥٧١).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٤/٢٥١) (ح٢٢٢١١)؛ وعبد الرزاق في «مصنّفه» (٣/٣٦٥) (ح٥٩٩١)؛ والطبراني في «الكبير» (٨/٢٩٦) (ح٨١١٨)؛ وقال محققو المسند (٣/٤٨١) (ح٢٢١٥٧): «حديث صحيح، رجاله ثقات، رجال الصحيحين».

(٥) هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير، المصري، الشافعي، نشأ في القاهرة يتيمًا، وقرأ على جماعة من العلماء، وهو كثير المؤلفات، ومن أشهر مؤلفاته: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، و«الجامع الصغير في الحديث» وغيرهما. توفي سنة (١١١هـ).

انظر: شذرات الذهب (٨/٥١)؛ البدر الطالع (١/٣٢٨).

أحدهم وامتنع، فأظهر الوجهين أنه لا يَأْتِمُ، لكن يُكْرَهُ له ذلك إن لم يكن له عذر<sup>(١)</sup>. \* وهو ما قرره السيوطي رحمه الله حيث قال: «اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة... وتعليمه أيضاً فرض كفاية»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني

#### حُكْمُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ

اختلف الفقهاء - رحمهم الله - في حُكْمِ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: الْجَوَازُ، وَعَدْمُهُ، وَالكَرَاهَةُ. وَالرَّاجِحُ فِي ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ: جَوَازُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ إِذَا رُجِيَ إِسْلَامُهُ، وَعَدَمُ جَوَازِ تَعْلِيمِهِ إِذَا لَمْ يُرَجَّ إِسْلَامُهُ. وَبِهَذَا قَالَ الْحَنْفِيَّةُ<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ<sup>(٤)</sup>. وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْمَعْقُولِ:

أولاً: من القرآن:

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فإقامة المشرك المستجير - الذي طلب الجوار - عند النبي ﷺ لا تخلو من عرض الإسلام عليه، وإسماعه القرآن، وتعليمه إيَّاه<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: من السنة:

ما جاء في الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ إلى ملك الروم هرقل: «بِسْمِ اللَّهِ

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥٦). (٢) الإتيان في علوم القرآن (١/٢٦٤).

(٣) انظر: فتاوى قاضي خان (١/١٣٦)؛ الفتاوى الهندية (٥/٣٢٣).

(٤) انظر: المهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي (٢/٧٢)؛ التبيان في آداب حملة

القرآن (ص ٧)؛ المجموع (٢/٧١)؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي (٥/١٩٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٠/٢٥ - ٢٦).



حُكْمُ اخْتِذَاكَ الْأَجْرَةَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلٍ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ  
الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِمْ يُوْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ  
مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّا عَلَيْنَا إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ  
سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَسْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آوِيَاتًا  
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]،<sup>(١)</sup>.

وجه الدلالة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد بعث إلى الكفار بهذا الكتاب؛ ليعرفوا ما فيه  
ويتدبروه ليسلموا، وهو مُشتمل على آية من كتاب الله تعالى، فذَلَّ على جواز  
تعليم القرآن لغير المسلم إذا رُجِّي إسلامه.

ثالثاً: من المعقول:

إِنَّ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لغير المسلم دعوة له للإسلام، وترغيباً له في الدُّخُولِ  
فيه، والاطِّلاع على محاسنه وأحكامه السَّامحة، أمَّا إذا لم يُرَجَّ إسلامه فلا فائدة  
في ذلك، بل ربَّما أدَّى ذلك إلى تعرُّض القرآن للإهانة فلا يجوز<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث

#### حُكْمُ اخْتِذَاكَ الْأَجْرَةَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ

بادئ ذي بدءٍ يُقال: الأصل أن رواتب الموظفين الذين يحتاج إليهم  
المسلمون في أمورهم العامَّة، من القضاة، والمحتسبين، ومَنْ ينفذون الحدود،  
والمفتين، والأئمَّة، والمدرِّسين، ونحوهم من كلِّ مَنْ فرَّغ نفسه لمصلحة  
المسلمين، فيستحقُّ الكفاية من بيت المال له ولمَنْ يعوله. ويختلف ذلك  
باختلاف الأعصار والبلدان لاختلاف الأحوال والأسعار.

وعليه فلا خلاف بين الفقهاء في جواز أخذ الرِّزْق من بيت المال على تعليم  
القرآن؛ لأنَّ هذا الرِّزْق ليس أجرَةً من كلِّ وجه بل هو كالأجرة<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوَامٍ...﴾ الآية (٣/١٣٨١) (ح ٤٥٥٣).

(٢) انظر: الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم (ص ٥٨٧ - ٥٨٩).

(٣) انظر: حاشية ابن عابدين (٣/ ٢٨٠ - ٢٨٢)؛ المغني (٦/ ٤١٧)؛ مطالب أولي النهى =



وإنما وقع الخلاف في الاستئجار لتعليم القرآن والحديث والفقه ونحو ذلك من العلوم الشرعية على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن:

وبهذا قال المتقدمون من الحنفية<sup>(١)</sup>، والإمام أحمد في رواية عنه، وبها أخذ أكثر أصحابه<sup>(٢)</sup>.

واستدلوا على ذلك بأدلة من الكتاب، والسنة، والمعقول:

أولاً: من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا وَكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾

[الأنعام: ٩٠].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

قال الشنقيطي رحمته الله: «ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة: أن الواجب على أتباع الرسل من العلماء وغيرهم أن يبذلوا ما عندهم من العلم مجاناً من غير أخذ عوض عن ذلك، وأنه لا ينبغي أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله تعالى، ولا على تعليم العقائد والحلال والحرام»<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا بِمَا بَيْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤٦].

قال القرطبي رحمته الله: «وهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تناول

= في شرح غاية المنتهى، لمصطفى السيوطي الرحباني (٣/ ٦٤١)؛ الموسوعة الفقهية (٨/ ٢٥٢) (١٤/ ١٣).

(١) انظر: الميسوط، للمنوخسي (٣٧/ ١٦)؛ تحفة الفقهاء، لعلاء الدين السمرقندي (١/ ٣٥٧)؛ فتاوى قاضي خان (٢/ ٣٢٥)؛ الهداية (٣/ ٢٤٠)؛ المختار، للموصلي (٢/ ٥٩)؛ الفتاوى البرازية (٣٧/ ٥)؛ مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لداما أفندي (٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) انظر: الكافي، لابن قدامة (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤)؛ المغني (٦/ ١٣٩ - ١٤٠)؛ الفروع (٤/ ٤٣٥)؛ الإنصاف (٦/ ٤٥)؛ الإقناع (٢/ ٢٩٤ - ٣٠١)؛ دليل الطالب، لمروعي الحنبلي (١٤٢).

(٣) أضواء البيان (٣/ ١٨).

## حُكْمُ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ

مَنْ فَعَلَ فَعَلَهُمْ، فَمَنْ أَخَذَ رَشْوَةً عَلَى تَغْيِيرِ حَقٍّ أَوْ إِطْلَالِهِ، أَوْ امْتَنَعَ مِنْ تَعْلِيمِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ، أَوْ آدَاءِ مَا عَلَّمَهُ وَقَدْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ أَجْرًا فَقَدْ دَخَلَ فِي مَقْتَضَى الْآيَةِ<sup>(١)</sup>.

ثَانِيًا: مِنَ السُّنَّةِ:

١ - ما جاء عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا. فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ لَا تَيِّنَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَأَسْأَلُنَّهُ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا، مِمَّنْ كُنْتُ أَعَلَّمُهُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: «إِنْ كُنْتُ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوَقًا مِنْ نَارٍ، فَاقْبَلْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ عُبَادَةُ رضي الله عنه: مَا تَرَى فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «جَمْرَةٌ بَيْنَ كَفَيْكَ تَقْلَدُتْهَا» أَوْ «تَعَلَّقَتْهَا»<sup>(٣)</sup>.

٢ - ما جاء عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: عَلَّمْتُ رَجُلًا الْقُرْآنَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «إِنْ أَخَذْتَهَا أَخَذْتَ قَوْسًا مِنْ نَارٍ فَرَدَدْتُهَا»<sup>(٤)</sup>.

٣ - ما جاء عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَخَذَ عَلَيَّ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ قَوْسًا، فَلَدَّهُ اللَّهُ قَوْسًا مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٤٥).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الإجارة، باب: في كسب المعلم (٣/٢٦٤). (ح ٣٤١٦) - والحاكم في «المستدرک» (٢/٤٨) (ح ٢٢٧٧)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: (٢/٦٥٥) (ح ٢٩١٥).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٥/٣٢٤) (ح ٢٢٨١٨)؛ وأبو داود (٣/٢٦٥) (ح ٣٤١٧)؛ وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: (٢/٦٥٥) (ح ٢٩١٦).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب: الأجر على تعليم القرآن (٢/٧٣٠) (ح ٢١٥٨)؛ وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/٨) (ح ١٧٥١).

(٥) رواه البيهقي في «السنن»، باب: من كره أخذ الأجرة عليه (٦/١٢٦) (ح ١١٤٦٥)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٨٦)؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/١٠٣٦) (ح ٥٩٨٢)؛ و«الصحيح» (١/١١٣) (ح ٢٥٦).

ثالثاً: من المعقول:

إنَّ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ لَا يَقَعُ إِلَّا قَرِيبَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَجْزِ أَخْذَ الْعَوَظِ عَلَيْهِ كَالصَّلَاةِ<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن:

وبهذا قال بعض المتأخرين من الحنفية<sup>(٢)</sup>، وبه قال المالكية<sup>(٣)</sup>، والشافعية<sup>(٤)</sup>، والإمام أحمد في رواية عنه<sup>(٥)</sup>، وابن حزم<sup>(٦)</sup>.

واستدلوا على ذلك بأدلة من السنة، والمعقول:

أولاً: من السنة:

١ - ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَرُّوا بِمَاءٍ، فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ، فَقَالَ، هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ، إِنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ»<sup>(٧)</sup>.

- (١) انظر: الكافي (٣٠٤/٢)؛ المغني (١٤١/٦)؛ كشاف القناع (١٢/٤).
- (٢) انظر: المبسوط (٣٧/١٦)؛ فتاوى قاضي خان (٣٢٥/٢)؛ الهداية شرح بداية المبتدي، للمرغيناني (٢٤٠/٣)؛ المختار (٥٩/٢)؛ الفتاوى البرازية (٣٧/٥)؛ مجمع الأنهر (٢/٣٨٤)؛ حاشية ابن عابدين (٥٥/٦).
- (٣) انظر: المدونة الكبرى، للإمام مالك (٤١٩/٤)؛ الكافي في فقه أهل المدينة، لابن عبد البر (٧٥٥/٢)؛ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد (٢٢٣/٢)؛ الفواكه الدواني، للنفراوي (١٦٤/٢)؛ بلغة السالك لأقرب المسالك، للصاوي (٢٤٧/٢).
- (٤) انظر: روضة الطالبين (١٨٧/٥)؛ التبيين في آداب حملة القرآن (ص ٤٥)؛ فتح الجواد بشرح الإرشاد، للهبثي (٥٩٠/١)؛ مغني المحتاج، لمحمد الشربيني (٣٤٤/٢)؛ إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، للسيد البكري (١١٣/٣).
- (٥) انظر: الكافي (٣٠٣/٢)؛ المغني (١٤٠/٦)؛ مجموع الفتاوى (٢٠٥/٣٠)؛ الفروع (٤/٤٣٥)؛ الإنصاف (٤٥/٦).
- (٦) انظر: المحلى (١٩٣/٨).
- (٧) زواه البخاري، كتاب الطب، باب: الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب (١٨٣٣/٤) (ح ٥٧٣٧).



## حُكْمُ اخْتِذَاكَ الْجُزْءِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ

٢ - ما جاء عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اتَّوَا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُؤُهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِعَ سَيْدٌ أَوْلِيكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُؤْنَا، وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُفْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَمَلَ يَقْرَأُ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتَفَلُّ، فَبَرَأَ فَاتَّوَا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»<sup>(١)</sup>.

وجه الدلالة: دلَّ الحديث على جواز أخذ الجُعل على تعليم القرآن، وإذا جاز أخذ الجُعل جاز أخذ الأجر؛ لأنه في معناه<sup>(٢)</sup>.

٣ - ما جاء في حديث الواهبة المشهور، الذي رواه سَهْلُ بْنُ سَعِيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لِلرَّجُلِ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ». قَالَ: مَعِيَ سُورَةٌ كَذَا وَسُورَةٌ كَذَا، عَدَدَهَا، فَقَالَ: «تَقْرُؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اذْهَبْ فَقَدْ مَلَكَتْكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>.

وجه الدلالة: دلَّ الحديث على جواز تعليم القرآن عوضاً في النكاح، وقائماً مقام المهر، وإذا جاز ذلك جاز أخذ الأجرة عليه في الإجارة<sup>(٤)</sup>.

٤ - ما رواه خَارِجَةُ بْنُ الصَّلْتِ عَنْ عَمِّهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَاسْتَلِمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوتِقٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ أَمَلُهُ: إِنَّا حُدُّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا<sup>(٥)</sup>، قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب: الرقي بفاتحة الكتاب (١٨٣٢/٤) (ج ٥٧٣٦).

(٢) انظر: المنغني (١٤٠/٦). - السَّاعِدِيُّ: حُدُّثْنَا: عَلَّمْنَا، فَعَلَّ (٢١٣٢/١) (ج ٥٧٣٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب: تزويج المُعَسَّرِ (١٦٣٨/٣) (ج ٥٠٨٧)؛ ومسلم، كتاب النكاح، باب: الصَّدَاقِ وَجَوَازِ كَوْنِهِ تَعْلِيمَ قُرْآنٍ وَخَاتِمَ جَدِيدٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ (١٠٤٠/٢) (ج ١٤٢٥).

(٤) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها. (٣١٠٤١) (ج ٢١٣٠٦) (ج ١٥٤١).

(٥) قال ابن حجر رحمته الله: «قيل اسمه: علاقة بن صحار، وقيل: عبد الله بن عثير» (٥٧٣٦).

انظر: تقريب التهذيب (٥٧٣/٢).

(٦) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم.



شيءٌ تُداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فَبَرَأَ، فأعطوني مائة شاةٍ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «هَلْ إِلَّا هَذَا<sup>(١)</sup>؟» وقال مُسَدِّدٌ في موضعٍ آخَرَ: «هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا! قال: «خُذْهَا، فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةٍ بَاطِلٍ<sup>(٢)</sup>، لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةٌ حَقًّا<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: من المعقول:

إِنَّهُ يَجُوزُ اخْتِذَاكَ الرُّزْقِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، فَجَازَ اخْتِذَاكَ الْأَجْرَةَ عَلَيْهِ، كِبْنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْقَنَاطِرِ<sup>(٥)</sup>.

القول الثالث: يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن عند الحاجة:

وهذا وَجْهٌ في مذهب الحنابلة<sup>(٦)</sup>، وهو اختيار ابن تيمية رحمته الله<sup>(٧)</sup>.

\* ولعلمهم قالوا بذلك جمعاً بين الأدلة السابقة.

\* وعملاً بعموم قول الله تعالى - في وليِّ اليتيم: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

قال الشنقيطي رحمته الله: «الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أنَّ الإنسان إذا لم تدعه الحاجة الضرورية فالأولى له ألا يأخذ عوضاً على تعليم القرآن، والعقائد، والحلال والحرام للأدلة الماضية. وإن دعت الحاجة أخذ بقدر الضرورة من بيت مال المسلمين؛ لأنَّ الظاهر أنَّ المأخوذ من بيت المال من قبيل الإعانة على

(١) أي: هل قُلْتَ إِلَّا فاتحة الكتاب.

(٢) جواب الشرط محذوف، تقديره: فعليه وزرُّه وإثمُه.

(٣) أي: فلا وزرَّ عليك. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٧٧/٩).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب: كيف الرُّقِيَّة؟ (١٣/٤) (ح ٣٨٩٦)؛ وأحمد في «المسند» (٢١٠/٥) (ح ٢١٨٨٤)؛ والحاكم في «المستدرک»، كتاب فضائل القرآن، باب: أخبار في فضائل القرآن جملة (٧٤٧/١) (ح ٢٠٥٥)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٧٣٧/٢) (ح ٣٢٩٧)؛ و«الصَّحِيحَةُ» (٤٤/٥) (ح ٢٠٢٧).

(٥) انظر: المغني (١٤١/٦).

(٦) انظر: الفروع (٤٣٥/٤)؛ الاختيارات الفقهية (ص ١٣٥)؛ حاشية الروض المربع (٣٢٠/٥).

(٧) انظر: الاختيارات الفقهية (ص ١٥٣ - ١٥٤)؛ مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٠ - ١٩٣ - ٢٠٥).

## حُكْمُ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ

القيام بالتَّعْلِيمِ لا من قبيل الأجرة. والأولى لمن أغناه الله أن يتعَفَّفَ عن أخذ شيء في مقابل التَّعْلِيمِ للقرآن والعقائد والحلال والحرام»<sup>(١)</sup>.

الترجيح:

يبدو أن أغلب الأدلة في المسألة لم تعلم من ورود مناقشات عليها، وأقرب الأقوال إلى الصواب - والله أعلم - هو القول الثالث، القائل: بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن عند الحاجة، وعدم جواز الأخذ عند عدمها؛ لما في ذلك من الجمع بين الأدلة وإعمالها جميعاً<sup>(٢)</sup>.

ضوابط أخذ الأجرة على تعليم القرآن:

١ - الأصل في تعليم القرآن هو الاحتساب، وعدم أخذ العوض عليه، وهو عمل الأنبياء عليهم السلام.

قال ابن تيمية رحمته الله: «أما تعليم القرآن والعلم بغير أجرة، فهو أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وهذا ممَّا يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هذا ممَّا يخفى على أحد ممَّن نشأ بديار الإسلام. والصَّحابة والتَّابعون وتابعو التَّابعين، وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأئمة بالقرآن والحديث والفقهِ، إنَّما كانوا يعملون بغير أجرة، ولم يكن فيهم من يعمل بأجرة أصلاً... وتعليم القرآن والحديث والفقهِ وغير ذلك بغير أجرة لم يتنازع العلماء في أنه عمل صالح، فضلاً من أن يكون جائزاً»<sup>(٣)</sup>.

٢ - إذا كان معلِّم القرآن ميسور الحال ترك أخذ الأجرة، عملاً بأحاديث المنع، وجعل تعليمه زكاةً لعلمه. أمَّا إذا كان المعلِّم غير ميسور الحال وذو عيال - كما هو عليه واقع أكثر معلِّمي القرآن اليوم - فلا بأس أن يأخذ على ذلك الأجرة، عملاً بأحاديث الجواز<sup>(٤)</sup>.

(١) أضواء البيان (٢٢/٣).

(٢) انظر: الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم (ص ٧٣٢ - ٧٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠٤/٣٠ - ٢٠٥).

(٤) انظر: الثمر الداني من صحيحة الألباني في فضائل القرآن وأحكامه، إبراهيم المُنْأَوِي (ص ٨٧).

سئل قال ابن تيمية رحمته الله: «وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْمَحْتَاجِ وَغَيْرِهِ - وَهُوَ أَقْرَبُ - قَالَ: الْمَحْتَاجُ إِذَا اكْتَسَبَ بِهَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَنْوِيَ عَمَلَهَا لِلَّهِ، وَيَأْخُذُ الْأَجْرَةَ لِيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّ الْكَسْبَ عَلَى الْعِيَالِ وَاجِبٌ أَيْضاً، فَيُؤَدِّي الْوَاجِبَاتُ بِهَذَا»<sup>(١)</sup>.

٣ - إذا كان معلّم القرآن من الفقراء الذين يتكسّبون بما لا يكفي معاشهم من أي عمل آخر - وهم كثير - فخير لهم أن يستغنوا بتعليم القرآن عن سؤال الناس.

وقد نقل ابن تيمية عن الإمام أحمد رحمته الله قوله: «أَجْرَةُ التَّعْلِيمِ خَيْرٌ مِنْ جَوَائِزِ السُّلْطَانِ، وَجَوَائِزِ السُّلْطَانِ خَيْرٌ مِنْ صِلَةِ الْإِخْوَانِ»<sup>(٢)</sup>.

٤ - إذا جاز للمعلّم أن يأخذ الأجرة على تعليمه القرآن مع حاجته إلى هذه الأجرة، فليس معناه أن يستغلّ ظروف الناس وحاجتهم إليه، كأن يكون وحيداً في قرية، أو منطقة ما، ولا منافس له من المعلمين، ويجد إقبال الراغبين في تعلّم القرآن شديداً فيطلب ويغالي في طلبه، ولكن يأخذ بعفاف، ويقنع بالكفاف، ولا يعرض القرآن للمساومة.

٥ - ومن ناحية أخرى ينبغي ألاّ يظنّ راغبو التعلّم بأموالهم ولا يستكثروا ما ينفقون، بل ينبغي أن يوجهوا نيّاتهم في العطاء إلى إقراض الله قرصاً حسناً، ويكون اعتقادهم هو قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَيْتَتْ سَمْعَ سَائِلٍ فِي كُلِّ سَائِلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدْبَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦١ - ٢٦٢].

وبهذا يكون تعليم القرآن ميداناً تجتمع فيه فضائل العفة والقناعة من المعلمين، والإنفاق بكرم وسخاء في سبيل الله من الراغبين في التعلّم<sup>(٣)</sup>.

٦ - إن القول بجواز الاستتجار على تعليم القرآن وأخذ الأجرة على ذلك ضرورة تقتضيها مصلحة المحافظة على كتاب الله، وتعليمه لمن لا يحسنون

(١) المصدر السابق (٢٠٧/٣٠).

(٢) المصدر السابق (١٩٣/٣٠).

(٣) انظر: كيف تعادب مع المصحف (ص ١٢٦ - ١٢٩).







## المطلب الأول

## علوُّ همّةِ المعلِّمين

الهمّة رزق من الله تعالى، والله يبسط رزقه لمن يشاء ويقدر، ومن حكمته سبحانه أن فاضل بين خلقه في قواهم العملية، كما فاضل بينهم في قواهم العلميّة.

ولقد فقه السلف الصّالح عن الله تعالى أمره، وتدبّروا حقيقة الدُّنيا، ومصيرها إلى الآخرة، فاستوحشوا من فتنها، وتجاغت جنوبهم عن مضاجعها، وتناءت قلوبهم من مطامعها، وارتفعت همّتهم على السّفاسف، ولقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشي بعلوِّ همّتهم في الثّبات على دين الله، وقوّة عزيمتهم في حمل راية الدّين، وتبليغ العلم الشرعي لطلّابه<sup>(١)</sup>.

وجلوس معلّمي القرآن السّنين الطّوال لتعليم النّاس القرآن وتبيين معانيه وأحكامه ليس بالشّيء اليسير، فهو يحتاج إلى توضّحاتٍ جسام، وهمّةٍ عالية، وتفرّغٍ للأوقات، وصبرٍ ومصابرة، ورغم ازدحام أوقاتهم بأعباء ومسؤوليّات كثيرة يحتاجون إليها، كان تعليمهم القرآن شغلهم الشّاغل.

وهذه بعض النّماذج المنقولة عن السلف الصّالح تُبيّن شيئاً من علوِّ همّتهم في تعليم كتاب الله. سأذكر كلّ واحد منها تحت عنوان يدلُّ عليه اجتهاداً منّي، ودون تعليق عليها؛ لأنّها من الواضوح بمكان، إلّا ما اقتضى الحال بيانه أو أهمّيّته، وهي على التّحو الآتي:

## ١ - تَرُكُ الأوطان لأجل تعليم القرآن:

من مهامّ ولاة الأمر القيام بتوجيه الأئمّة القراء لتعليم النّاس كتاب الله تعالى، أداء للأمانة وقياماً بحقّ الرّعاية لهم.

(١) انظر: علوُّ همّة، لمحمد أحمد المقدم (ص ٢٠٩).

فَدَعَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ <sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «جَمَعَ الْقُرْآنَ خَمْسَةَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَبِيٌّ، وَأَبُو أَيُّوبَ. فَلَمَّا كَانَ زَمَنَ عُمَرَ، كَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ: إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ قَدْ كَثُرُوا، وَمَلَّوْا الْمَدَائِنَ، وَاحْتَاجُوا إِلَى مَنْ يَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ وَيَفْقَهُهُمْ، فَأَعْنِي بِرِجَالٍ يَعْلَمُونَهُمْ. فَدَعَا عُمَرَ الْخَمْلَةَ، فَقَالَ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ اسْتَعَانُونِي مَنْ يَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ وَيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ، فَأَعِينُونِي - يَرَحِمَكُمُ اللَّهُ - بِثَلَاثَةِ مِنْكُمْ إِنْ أَحْبَبْتُمْ، وَإِنْ انْتَدَبَ ثَلَاثَةٌ مِنْكُمْ فَلْيَخْرُجُوا. لَمَّا نَبَّحَ بِأَمْرِهِمْ أَمَرَ بِأَنْ يُسْفَخَ رَأْسُهُ لَدَى قَدَمَيْهِمْ، فَخَرَجَ مُعَاذٌ، وَعُبَادَةُ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ. مَا كُنَّا لِنَتَسَاهَمَ، هَذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ - لِأَبِي أَيُّوبَ - وَأَمَّا هَذَا فَسَقِيمٌ - لِأَبِيٍّ - فَخَرَجَ مُعَاذٌ، وَعُبَادَةُ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ.

فَقَالَ عُمَرُ: ابْدُؤُوا بِحَمَصٍ، فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ النَّاسَ عَلَى وَجْهِهِ مَخْتَلِفَةً، مِنْهُمْ مَنْ يَلْقَنُ <sup>(٢)</sup>، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَوَجِّهُوا إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَضِيتُمْ مِنْهُمْ، فَلْيَقِمْ بِهَا وَاحِدٌ، وَلْيَخْرُجْ وَاحِدٌ إِلَى دِمَشْقَ، وَالْآخَرُ إِلَى قَلَسْطِينَ. قَالَ: فَقَدِمُوا حَمَصَ فَكَانُوا بِهَا، حَتَّى إِذَا رَضُوا مِنَ النَّاسِ أَقَامَ بِهَا عُبادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَخَرَجَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى دِمَشْقَ، وَمُعَاذٌ إِلَى قَلَسْطِينَ، فَمَاتَ فِي طَاعُونَ عَمَّوَسَ <sup>(٣)</sup>. ثُمَّ صَارَ عُبادَةُ بَعْدَ إِلَى قَلَسْطِينَ وَبِهَا مَاتَ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَدْمَشْقَ حَتَّى مَاتَ <sup>(٤)</sup>.

## ٢ - تَأْسِيسُ مَدَارِسٍ وَحَلْقِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ:

يَعْتَبَرُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُؤَسِّسًا لِمَدَارِسِ وَحَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَدْ تَصَدَّرَ لِلإِقْرَاءِ - كَمَا سَبَقَ - فِي دِمَشْقَ وَهَنَّاكَ أَسَّسَ هَذَا الْعَمَلَ الْعَظِيمَ:

- (١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ بْنِ سَلِيمِ (أَبُو أَسْعَدِ) الْقُرْظِيُّ، الْمَدَنِيُّ. وَوُلِدَ سَنَةَ (٤٠هـ)، كَانَ قَدْ نَزَلَ الْكُوفَةَ مَدَّةً. ثَقَّةً، عَالِمًا. تُوُفِيَ سَنَةَ (١٢٠هـ).  
انظر: تقريب التهذيب (١/٥٠٤).
- (٢) يَلْقَنُ: يَفْقَهُمْ وَيَحْفَظُ. انظر: القاموس المحيط (٤/٢٦٨)، مادة: (لقن).
- (٣) عَمَّوَسَ: مَدِينَةٌ قَرِبَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَكَانَ الطَّاعُونَ بِهَا سَنَةَ (١٨هـ). انظر: معجم البلدان (٤/١٥٧).
- (٤) سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ (٢/٣٤٤)؛ وَانظر: الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى (٢/٣٥٧)؛ التَّارِيخُ الصَّغِيرُ، لِلْبُخَارِيِّ (١/٤١).

عن سويد بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: «كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك»<sup>(١)</sup>.

وعن مسلم بن مشكم رضي الله عنه قال: قال لي أبو الدرداء رضي الله عنه: «اعدد من في مجلسنا. قال: فجاؤوا ألفاً وستمائة وثيقاً فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلى الصبح، انفتل وقرأ جزءاً فيحدقون به يسمعون ألفاظه»<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - لم تشغله الإمارة عن تعليم القرآن:

فهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه (أمير البصرة في عهد عمر)، لم تمنعه إمارة البصرة، وكثرة مسؤولياته، من تعليم الناس القرآن.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بعثني الأشعري إلى عمر، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت: تركته يعلم الناس»، فقال عمر رضي الله عنه: «إنه كئيس، ولا تُسمعها إياه»<sup>(٣)</sup>.

### ٤ - جلس لتعليم القرآن أربعين سنة:

عن سعد بن عبيدة قال: «وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج رضي الله عنه»<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

ومعنى ذلك: أنه علّم الناس القرآن في مسجد الكوفة أربعين سنة، فقد بدأ

(١) معرفة القراء الكبار (٤١/١). (٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٤٦).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٣٤٥). وانظر: سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٠)؛ كنز العمال (١٣/٢٦٠) (رقم ٣٧٥٥٢).

(٤) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن قسي - وهو ثقف - الثقيفي، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، كان حازماً قوياً ظالماً، وأمه: الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفني، مات مريضاً مسلطاً عليه الزمهرير سنة (٨٩٥هـ)، وشهد مرضه الحسن البصري، وله: (٥٤ سنة).

انظر: وفيات الأعيان (١/٢٩ - ٥٤)؛ سير أعلام النبلاء (٤/٣٤٣).

(٥) صحيح البخاري (٣/١٦٢٠).



يَعْلَمُ الْقُرْآنَ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَيَّامِ الْحَجَّاجِ، وَهُوَ الَّذِي رَوَى  
عَنْ عَثْمَانَ حَدِيثَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: «وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا»<sup>(٢)</sup>.  
وَمَعْنَى قَوْلِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ: «وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا»  
«أَيُّ: أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَ بِهِ عَثْمَانُ فِي أَفْضَلِيَّةِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ حَمَلَ  
أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ قَعْدَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ لِتَحْصِيلِ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ»<sup>(٣)</sup>  
وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنَّنِي عَلَيْهِ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ فَقَالَ:

«كَتَلَّهٗ وَأَثَابَهُ، وَأَتَاهُ مَا طَلَبَهُ وَرَاعَاهُ، آمِينَ»<sup>(٤)</sup>.  
٥ - عِلْمُ الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً:

(الإمام المُقَرَّرِيُّ نَافِعُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَعِيمٍ الْمَدَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَحَدُ الْقُرَّاءِ  
السَّبْعَةِ، أَقْرَأَ النَّاسَ دَهْرًا طَوِيلًا يَزِيدُ عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً؛ لِأَنَّهُ مِمَّنْ طَالَ عَمْرُهُ<sup>(٥)</sup>.  
وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِدَدًا مِمَّنْ أَقْرَأَهُمْ نَافِعٌ فَقَالَ: «وَأَقْرَأَ النَّاسَ دَهْرًا  
طَوِيلًا، فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَدَمَاءِ: مَالِكٌ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَيْسَى بْنُ وَرْدَانَ  
الْحَدَّاءَ، وَسَلِيمَانَ بْنَ مُسْلِمٍ بْنِ جَمَازٍ. وَمِمَّنْ بَعْدَهُمْ: إِسْحَاقُ الْمَسِيْبِيُّ،  
وَالوَاقِدِيُّ، وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَقَالُونَ، وَوَرِشٌ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي  
أُوَيْسٍ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ مَوْتًا»<sup>(٦)</sup>.

٦ - لَقِّنَ الْعَمِيَانَ دَهْرًا طَوِيلًا:  
(الإمام أَبُو مَنْصُورٍ الْخِطَّاطُ الْبَغْدَادِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) تَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ عِدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (٣/١٦٢٠)  
(ح ٥٠٢٧)

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

(٣) فَتْحُ الْبَارِيِّ شَرْحُ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ (٩/٩٧).

(٤) فَضَائِلُ الْقُرْآنِ (ص ٢٠٧).

(٥) انظُرْ: مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ (١/٦٤).

(٦) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ (١/١٠٧ - ١٠٨).

(٧) هُوَ الْإِمَامُ الْقُدُورَةُ الْمُقَرَّرِيُّ (أَبُو مَنْصُورٍ) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْبَغْدَادِيِّ الْخِطَّاطِ الرَّاهِدِ.

## علو همة المعلمين

قُرَأَ القرآن، وقد وصفه الذهبي رحمته الله بقوله: «جلس لتعليم كتاب الله دهرًا، وتلا عليه أم»<sup>(١)</sup>.

وقد لَقِّنَ العميانَ دهرًا لله، وكان يُنفق عليهم، حتَّى بلغ عدد مَنْ أقرأهم مِنْ العميان سبعين نفسًا. قال الذهبي: «ومَنْ لَقِّنَ القرآنَ لسبعين ضريبًا، فقد عمل خيرًا كثيرًا»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في «السِّير» عن السَّمعاني رحمته الله قال: «رُوِيَ (أبو المنصور) بعدَ موته، فقال: غَفَرَ اللهُ لي بتعليمي الصِّبيانَ الفاتحة»<sup>(٣)</sup>.

## ٧ - احتساب أجر التَّعليم عند الله تعالى:

بلغ ورع معلِّمي القرآن - من السَّلف الصَّالح - مبلغًا عظيمًا في عدم أخذ الأجرة على تعليم القرآن، ومن ذلك:

\* ما جاء عن أبي عبد الرَّحمن السُّلمي رحمته الله، أَنه جاء وفي الدَّار جلال وجُزُر، فقالوا: بعث بها عمرو بن حُرَيْث رحمته الله<sup>(٤)</sup>، لأنَّك علَّمت ابنه القرآن. فقال: «رُدَّه، إِنَّا لا نأخذ على كتاب الله أجرًا»<sup>(٥)</sup>.

\* وما جاء عن ابن عُقْدة رحمته الله<sup>(٦)</sup> أَنه كان يودِّب ابن هشام الخَزَّاز، فلمَّا حدق الصَّبي وتعلَّم، وجَّه إليه أبوه بدنانير، فردَّها، فظن ابن هشام أَنها استقلَّت

= قال السَّمعاني: «صالح، ثقة، عابد، مُلقَّن، له وِزْدٌ بين العشاءين بسُّنَّع، وكان صاحب كرامات». توفي سنة (٤٩٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٢٢٢ - ٢٤٤).

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/٢٢٢). (٢) المصدر نفسه (١٩/٢٢٢٣).

(٣) المصدر نفسه (١٩/٢٢٤). وانظر: معرفة القراء الكبار (١/٤٥٨).

(٤) هو الصَّحابي الجليل: عمرو بن حُرَيْث بن عمرو بن عثمان القرشيَّ المَخْزوميَّ (من صغار الصَّحابة) قيل: بآته ولد قبل الهجرة بستين، ولي إمارة الكوفة أيام زياد وابنه عبيد الله، وتوفي رحمته الله بها سنة (٨٥هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة، لابن حجر (٢/٥٣١).

(٥) انظر: الطُّبقات الكبرى (٦/١٧٣)؛ سير أعلام النبلاء (٤/٢٦٩)؛ معرفة القراء الكبار (١/٥٥).

(٦) هو أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرَّحمن (أبو العبَّاس) الكوفي، المعروف بالحافظ ابن عُقْدة، ولد سنة (٢٠٩هـ)، وعقْدة لَقَّبَ لأبيه النَّحوي؛ لعلمه بالتصريف والنَّحو، توفي سنة (٣٣٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٣٤١)؛ تاريخ بغداد (٥/١٥).

فأضعفها له، فقال: «ما ردّذتها استقلالاً، ولكن سألني الصّبي أن أعلمه القرآن، فاختلط تعليم النّحو بتعليم القرآن، ولا أستحلّ أن أخدمه شيئاً، ولو دَفَع إليّ الدُّنيا»<sup>(١)</sup>.

\* وما رواه فضيل بن جعفر، قال: «خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقرّاء على الباب، فقال: ما أجلسكم ها هنا، تريدون الدّخول على هؤلاء، أما والله ما مخالطتهم بمخالطة الأبرار، تفرّقوا، فرّق الله بين أرواحكم وأجسادكم، خصّفتهم نعالكم، وشمّرتهم ثيابكم، وجززتم رؤوسكم، فضخّمت القرّاء فضحكهم الله تعالى، أما والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم، فأبعد الله من أبعده»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني

#### علو همة المتعلمين

إنّ عالي الهمة يجود بالنّفس والنّفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته؛ لأنه يعلم أنّ المكارم محفوفة بالمكاره، وأنّ المصالح والخيرات، واللذات والكمالات كلّها لا تُنال إلّا بحظّ من المشقّة، ولا يُعبّر إليها إلّا على جسر من التّعب.

لولا المشقّة ساد النّاس كلّهم الجود يُفقر، والإقدام قتال<sup>(٣)</sup>

ويدلّ على تفاوت الهمم أنّ من النّاس من ينشط للسّهر في سماع سمر، ولا يسهل عليه السّهر في تعلّم القرآن العظيم، ومنهم من يحفظ بعض القرآن، ولا يتوق إلى التّمام، ومنهم من يعرف قليلاً من الفقه، ومنهم أنواع يصلّاة ركعتين في اللّيل، ومنهم من يطلب معالي الأمور، دون أن تكون له إرادة وسعي في

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٥/١٥)؛ سير أعلام النبلاء (١٥/٣٤٤).

(٢) رواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٧٨/١) (رقم ٤٦١)؛ وأبو نعيم في

«الحلية» (٢/١٥١)؛ وأبو القاسم في «تاريخ مدينة دمشق» (٤٥/٣٧٧)، وانظر: سير

أعلام النبلاء (٤/٥٨٦).

(٣) البيت للمتنبي.



تحقيقها، فهذا مغترّ بالأمانى الكاذبة<sup>(١)</sup>. ولا تقتصر الهمة على ما لا يتحقق، وما نيل المطالب بالتمني، ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً، وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركاباً<sup>(٢)</sup> يقول العلامة ابن القيم **كلُّهُ** في هذا الشأن.

وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن من أتر الرّاحة، فاتته الرّاحة، وأن بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً، استراح طويلاً، وإذا تحمّل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان، ولا قوة إلا بالله<sup>(٣)</sup>.

وتعلم القرآن الكريم أشرف ما رغب فيه الرّاعب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، والمقصود من ذلك كله هو لفت الأنظار إلى علو همة السلف الصّالح في تعلم القرآن الكريم وبذل الغالي والنّفيس من أجل ذلك، وهذه بعض التّماذج العالية من سيرتهم العطرة، وهي على التّحوّل الآتي:

## ١ - الرّحلة من أجل تعلم القرآن:

\* جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله، إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله، إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل، لركبته إليه»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: علو الهمة (ص ٢٥). (٢) البيهقي لأحمد شوقي. (٣) مفتاح دار السعادة (٢/١٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣/١٦١٣).

(ح ٥٠٠٢)؛ ومسلم بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه صلى الله عليه وسلم (٤/١٩١٣) (ح ٢٤٦٣).



\* وجاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لو أعيتني آية من كتاب الله تعالى، فلم أجد أحداً يفتحها عليّ إلا بيّزك الثماد<sup>(١)</sup> لرحلت إليه»<sup>(٢)</sup>.

\* وجاء أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لو أعلم أن أحداً تبلغنيه الإبل أحدث عهداً بالعرضة الأخيرة<sup>(٣)</sup> مني لأتيته، أو لتكلفت أن آتية»<sup>(٤)</sup>.

## ٢ - ملازمة الشيوخ وعرض القراءة عليهم:

من علو همة المتعلمين ملازمة شيوخهم وعرضهم القراءة عليهم عدّة مرّات مع العلم بتفسير الآيات وفقه أحكامها ومسائلها، والأمثلة على هذا من سيرهم العطرة كثيرة جداً، ومنها:

\* ما اشتهر من ملازمة التابعي الجليل مجاهد بن جبر رضي الله عنه لشيخه جبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه ملازمة شديدة.

قال مجاهد رضي الله عنه: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أوقفه عند كل آية أسأله، فيمن نزلت، وكيف كانت»<sup>(٥)</sup>.

\* وقال عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة: «رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواح، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله»<sup>(٦)</sup>.

\* واشتهر عنه أنه أخذ التفسير أيضاً عن جملة من الصحابة، كابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وغيرهم رضي الله عنهم.

(١) برك الثماد: بكسر الباء وفتحها، وكسر العين وضمها. وهو موضع أقصى مَجْر باليمن. انظر: معجم البلدان (١/٣٩٩ - ٤٠٠).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠١). وانظر: سير أعلام النبلاء (٢/٣٤٢).

(٣) العرضة الأخيرة: هي التي عرضها النبي صلى الله عليه وآله عام توفّي، على جبريل رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠٢)؛ وسعيد بن منصور في «سننه» (١/٢٤٦) (رقم ٥٩).

(٥) انظر: سنن الدارمي (١/٢٥٤) (رقم ٢١٢٠)؛ تفسير الطبري (١/٨٥)؛ حلية الأولياء (٣/٢٨٠)؛ الطبقات الكبرى (٥/٤٦٦)؛ معرفة القراء الكبار (ص ٣٧)؛ سير أعلام النبلاء (٤/٤٥٠).

(٦) تفسير الطبري (١/٩٠)؛ مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦٩/٤٣).

روى السمرقندي في مقدمة تفسيره بسنده... عن ابن لمجاهد قال: «قال رجل لأبي: أنت الذي تُفسر القرآن برأيك، فبكى أبي ثم قال: إني إذا لجرىء، لقد حملتُ التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

\* ومن الأئمة الذين اشتهروا بطول ملازمة الشيوخ والإفادة من علومهم، نافع بن أبي نعيم المدني رحمته الله، حيث قال: «قرأتُ على سبعين من التابعين»<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - الإقبال على الشيوخ والإفادة منهم:

\* جاء في ترجمة علي بن حمزة الكسائي<sup>(٣)</sup> رحمته الله، ما قاله خلف بن هشام البزار: «كنت أحضر بين يدي الكسائي، وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم»<sup>(٤)</sup>.

\* وقال أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري: «كانوا يُكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم، ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه، حتى المقاطع والمبادئ»<sup>(٥)</sup>.

### ٤ - تحمُّل الشدائد والصَّعاب بغية تعلُّم القرآن:

\* جاء عن أبي بكر شعبة بن عياش رحمته الله أنه قال: «اختلفتُ إلى عاصم -

(١) تفسير السمرقندي (١/٣٦). وانظر: التفسير والمفسرون (١/١٠٧).

(٢) السبعة في القراءات، لابن مجاهد البغدادي (١/٦١)؛ العبر في خبر من غير، للذهبي (١/٢٥٧)؛ معرفة القراء الكبار (١/١٠٧)؛ سير أعلام النبلاء (٧/٣٣٦).

(٣) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز (أبو الحسن) الأسدي، مولاهم الكوفي، إمام في النحو واللغة والقراءات، ولد سنة (١٢٠هـ) ولقب بالكسائي: لكساء أحرم فيه، وقيل: لأنه ألتق في كساء وهو يتلو على حمزة. قال ابن الأنباري: «اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وواحدهم في علم القرآن». قراءته هي إحدى القراءات السبع المتواترة. ومن مصنفاته: «معاني القرآن»، و«مختصر في النحو». توفي سنة (١٨٩هـ).

(٤) انظر: وفيات الأعيان (٣/٢٥٩)؛ سير أعلام النبلاء (٩/١٣١).

(٥) السبعة في القراءات (١/٧٨)؛ نَقَط المصاحف، لأبي عمرو الداني (١/١٣)؛ معرفة القراء الكبار (١/١٢٢).

(٥) الوافي بالوفيات (٢١/٤٨)؛ معرفة القراء الكبار (١/١٢٣).

يعني: ابن أبي التَّجُود - نحواً من ثلاث سنين، في الحرِّ والشتاء والمطر، حتَّى ربَّما استحييت من أهل مسجد بني كاهل<sup>(١)</sup>.

\* وجاء عن محمد بن علي السُّلَمي رحمته الله أنه قال: «قمت ليلة سحراً لأخذ التَّوبَةَ على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً»، وقال: «لم تدركني التَّوبَةَ إلى العصر»<sup>(٢)</sup>.

مَنْ يُطِيقُ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَهُ السُّلَمِي فِي زَمَانِنَا؟ وَمَنْ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ وَلَدَهُ مِنَ السَّحَرِ وَظِلْمَةِ اللَّيْلِ؛ لِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَعُودُ إِلَّا بَعْدَ الْعَصْرِ؟!

٥ - تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ قَبْلَ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ الْآخَرَى:

\* جاء عن ابن خزيمة<sup>(٣)</sup> رحمته الله أنه قال: «استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتَّى أذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتَّى تصلي بالخمسة، ففعلت، فلما عيَّدنا، أذن لي، فخرجتُ إلى مرو، وسمعتُ بمرور الرُّوذ من محمد بن هشام، صاحب هشيم، فنعي إلينا قتيبة»<sup>(٤)</sup>.

فهذا من علوِّ همة السلف الصالح أنهم لا يعلمون الحديث والفقهِ إلا لمن حفظ القرآن أولاً؛ لأنَّه أهمُّ العلوم وأساسها.

٦ - تَرَكِ الْوَطْنَ وَالْمَالَ مِنْ أَجْلِ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ:

\* جاء في سيرة يحيى بن وثاب الأسدي<sup>(٥)</sup> رحمته الله أنه دخل هو وأبوه

(١) سير أعلام النبلاء (٥٠٢/٨). (٢) المصدر نفسه (٥٦٥/١٥).

وانظر: تاريخ مدينة دمشق (١٢٣/٥٦)؛ معرفة القراء الكبار (٢٩٢/١).

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة، الحافظ الحجة الفقيه (أبو بكر) السُّلَمي النيسابوري الشافعي، صاحب التَّصانيف. ولد (سنة ٢٢٣هـ) وعُني في حدائمه بالحديث والفقهِ حتَّى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان. وكان له عظمة في الثُّموس وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه واتباعه السُّنة. توفِّي (سنة ٣١١هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٢٥٩/٢).

(٤) تاريخ الإسلام (٤٢٤/٢٣)؛ سير أعلام النبلاء (٣٧١/١٤)؛ تذكرة الحفاظ (٧٢٢/٢).

(٥) هو الإمام يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، شيخ المقرئين في زمانه، ثقة، عابد، من الرَّابِعة. قال الأعمش رحمته الله: «يحيى بن وثاب من أحسن النَّاسِ قِراءَةً، وربَّما اشتُهِت =

الكوفة، وكانت يومئذ حاضرة العلم والعلماء، فطلب من أبيه الفاء بها، فبُعثت  
كتاب الله ﷻ، وسنة نبه ﷺ، سلاسة حلقي أهل العلم فيها، مؤثراً ذلك على  
الدُّهات إلى بلدته برفقة أهله، فبالأولاد أليه، وبألسنة إني آتت العلم على المال.  
فأذن له وأنه في المنقام بالكوفة، فأقبل على القرآن الكريم، فقرأه على أصحاب  
عبد الله بن مسعود ﷺ، حيث لم يدركه، فقرأ على عتقة بن قيس، والأموي بن  
بريد، وأبي عبد الرحمن السُّلمي، وغيرهم<sup>(١)</sup>

#### ٧- حفظ القرآن بالروايات العشر:

كثيراً ما قرأ في سير العلماء الكبار أن الواحد منهم قد حفظ القرآن فتد  
سن العاشرة أو بعدها بقليل، ولكن أنه يُحفظ القرآن بالروايات العشر لهذا من  
اشتهر، ويدل على عتق في عتق المتعلم.

• جاء في ترجمة زيد بن الحسن الكندي<sup>(٢)</sup> كُتِبَ أنه: «حفظ القرآن وهو  
صغير مُعْتَمِر، وقرأه بالروايات العشر، وله عشرة أعوام، وهذا شيء ما نهيلاً لأحد  
لبنه، ثم عاش حتى انتهى إليه ظلُّ الإسماعيل في القراءات والحديث<sup>(٣)</sup>»



(١) الميبل رأسه، لحسن لمرامته، وكان إذا قرأ لم يحسن في المسجد حركة، كأن ليس في  
السجد أحده، وقال أيضاً: «كنت إذا رأته قلت فلما قد وقف للحساب».

انظر تقريب التهذيب (١/٥٩٨)، معرفة القراء الكبار (١/١١١).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٤/٣٧٨).

(٣) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسين بن سعيد الكندي (أبو اليشمق) الملقب بفتح الثنين،  
الصادق المولد سنة ٥٤٠هـ، الفعالي النُّادر والوطنه لسة ٥٩٧هـ، المقرئ، النحوي،  
المحدث، الفاضل، كان أرواحه حاضرة في ليل الأواب، وعلو السماع، قال الذهبي عليه  
«قرأ القرآن تلقياً على أبي محمد، بنط العباط، وله نحو من سبع سنين، وهذا ما مر».

انظر وفيات الأعيان (٢/٣٣٩)، معرفة القراء الكبار (١/١٥٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٣٧٨).



## الفصل الخامس

### هجر تلاوة القرآن

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر هجر تلاوة القرآن.

المبحث الثاني: أسباب هجر التلاوة.

المبحث الثالث: آداب وأحكام تلاوة القرآن.

المبحث الرابع: فضائل تلاوة القرآن.



## المبحث الأول

### مظاهر هجر تلاوة القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مظاهر هجر التلاوة.

المطلب الثاني: بدع التلاوة.

## المطلب الأول

## مظاهر هجر التلاوة

هجر تلاوة القرآن الكريم في الواقع المعاصر - يأخذ مظاهر عدّة، وتتفاوت هذه المظاهر فيما بينها من حيث درجة تعاطفها حسب الحالة ذاتها، وحسب صاحبها؛ فربما كان تشاغلاً بأمر من أمور الدنيا، أو كان زهداً في أجر التلاوة، أو تكاسلاً عنها، أو جهلاً بفضائلها الكثيرة وثمارها البانعة، أو غير ذلك.

ومظاهر هجر التلاوة تُجمل في نقاطٍ عدّة، وهي:

- ١ - الانقطاع عن التلاوة لفترات طويلة، فبعضهم لا يتلو القرآن إلا يوم الجمعة، أو في شهر رمضان، أو في الحجّ أو العمرة، أو عند نزول مصيبة، أو فقد قريب.
- ٢ - قلة التلاوة والزهد في أجرها.
- ٣ - هجر التلاوة في البيوت، أو في وسائل التثقل المريحة أثناء السفر، كالطائرات، والسيارات، والقطارات، والسفن.
- ٤ - اعتناء القارئ بالكمّ دون الكيف أثناء التلاوة.
- ٥ - الجهل بأحكام التجويد، وعدم الحرص على تعلّمها وتطبيقها.
- ٦ - عدم الخشوع أثناء التلاوة، فكثيراً ما يجول الفكر في كلّ مكان عند تلاوة القرآن.
- ٧ - ترك الالتزام بآداب التلاوة، ومنها: اختيار الزمان والمكان المناسبين، والاستعاذة قبلها، وحسن الوقف والابتداء، والوقوف عند رؤوس الآيات، والتسبيح عند آيات التسبيح، والتعوذ عند آيات العذاب، وسؤال الرّحمة عند آيات الرّحمة، والسجود عند المرور بآية سجدة، وهكذا.
- ٨ - عدم التزام الأدب في حمل المصحف أو وضعه أثناء التلاوة، وبعض صغار القراء ربّما كتبوا على مصاحفهم أو مرّقوا بعض أوراقها.



٩ - عدم تخصيص أوقاتٍ لتلاوة القرآن، بل رُفِعَ كانت التلاوة في الأوقات المفضولة.

١٠ - عدم استشعار فضائل وثمرات تلاوة القرآن.

١١ - قلة احتساب الأجر وضعف النية في التلاوة.

١٢ - ضعف الهمة وعدم الصبر على هذه العبادة العظيمة.

١٣ - عدم وضوح الهدف والغاية من قراءة القرآن.

١٤ - جعل تلاوة القرآن وسيلة ومطيةً لنيل حظوظ دنيوية، كالقراءة في

المنائم والعزاء، وافتتاح الحفلات، وسائر المناسبات الشرعية كشهر رمضان.

١٥ - الحصول على شهادات عالية في مختلف التخصصات العلمية والأدبية

مع عدم إتقان تلاوة القرآن.

١٦ - تبوء المناصب القيادية في الوزارات والشركات والهيئات والمؤسسات

مع عدم إجادة التلاوة.

١٧ - ما يفعله بعض الفساق من تلاوة القرآن بقصد تقوية مخارج الحروف؛

لأداء أفضل في الغناء!!

١٨ - القراءة بقصد التبرُّك بالقرآن دون أن يتبع ذلك عمل وتطبيق لما يتلوه.

## المطلب الثاني

### بدع التلاوة

ابتدع بعض القراء في قراءة القرآن أشياء كثيرة لا تحلُّ؛ لأنها إمَّا زيادة على الحدِّ المتفق عليه في تلاوة القرآن، وإمَّا نقص عن ذلك.

ومن هذه الأمور المبتدعة في التلاوة ما يلي:

١ - التَّنطُّع في القراءة، والوسوسة في مخارج الحروف:

ومعنى ذلك: التَّعَسُّف والإسراف المتكئف في القراءة، وعدم القراءة

بسهولة واستقامة، كما أمر تعالى بقوله: ﴿وَرَتَّلْ أَلْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وقوله

تعالى: ﴿وَزَلَّلْنَاهُ نَهْيًا﴾ (النمذان: ١٣٢). وعدم إعطاء الحروف حَقًّا من الضمات والأحكام، والحروج بذلك كله إلى التجويد المتكلف

ومما ذكره ابن القيم كُتِفَ في سياق حديث عن مصائد اللُّطْفَانِ لبعض الفُرَّاءِ: «ومن ذلك الوسوسة في محارج الحروف، والشَّلْعُ فيها... ومن تأمل هُدْيَ رسول الله ﷺ وإفرازه أهل كلِّ لسان على قراءتهم يتسَّنَّ له أن الشَّلْعَ والشَّدْقَ، والوسوسة في إخراج الحروف ليس من شأنه»<sup>(١١)</sup>

## ٢ - الحروج بالفرازة عن لحن العرب<sup>(١٢)</sup> إلى لحن العجم

قال ابن القيم كُتِفَ: «قال محمد بن قتيبة في (مشكل القرآن): وقد كان الناس يقرؤون القرآن بلغاتهم، ثم حَلَفَ من بعدهم قوم من أهل الأماص وأبناء العجم ليس لهم طَعْمُ النَّعْمِ، ولا عَلْمُ التَّكْنُفِ، ففهموا من كثير من الحروف، ودلُّوا وأخلُّوا، وحسبهم رجل ستر الله عنه عند العوائم بالصلاح، وفرَّه من القلوب بالخير. فم أرَ فيمن تنعَّتْ في وجوهه أمانة أكثر تخلطاً ولا أشدَّ اضطراباً، لأنه يستعمل في الحرف ما يدغم في نظيره، ثم يواصل أصلاً ويحالفه إلى غيره بغير علَّة، ويختار في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة، هذا إلى نَيْدِهِ في قراءته مناهج العرب وأهل الحجاز، بما رواه في المتدبِّرِ، والهمز والإشباع، وإفحاشته في الإضجاع والإدغام، وحشيشته المنعَّمين على المنهج الضعيف، وتفسيره على الأئمة ما يشوه الله تعالى، وتضييقه ما فسحه ومن العجب أنه يقرئ الناس بهذه الملهاب، ويكروه الصلاة بها في أي موضع

(١١) إعانة المفهِّد من مصابيح الشُّبْحَانِ (١/٢٥١ - ٢٥٤)

(١٢) معرر اللحن جزء في المسائل العرب (١٢/٢٥٥) «اللحن، واللحن، واللحن، واللحن»، واللحنية تركب الضوابط في القراءة، وجاء في «الشرح» في تريب القرآن (ص ١٢٥): «اللحن صرف انكلام من سنه الحارث عليه - إثم يؤوله الإعراب، أو التضييق، وهو المسموم»، وجاء في «النهاية من تريب الحديث والآثر» (١١/٢٤٢) «اللحن: الميل عن جهة الاستقامة بخلاف لحن فلان في كلامه، إذا مال عن صحيح المشفق»  
فمعنى لحن العرب، أو لحن العرب، من قراءة الإنسان بحسب جبلته وطبيعته على طريقة العرب العرواء التي نزل القرآن بلغتهم  
أجر القرآن الكريم تلاوته وقراءة إبراهيم علي عير (ص ٢٠١)

نستعمل هذه القراءة، إذ كانت الصلاة لا تجوز بها<sup>(١١)</sup>.

### ٣ - القراءة بالبحان أهل الفسق والفجور<sup>(١٢)</sup>:

وصف أبو بكر الطرطوشي<sup>(١٣)</sup> كثرة حال أصحاب الألبان - الذين ظهروا في القرن الرابع - أن مفصودهم من قراءة القرآن وسماحه هو الوصول إلى القرب والتعلمات والألبان، لا تنبئ القراء، وتفهم معانيه، فقال: «فالثاني منهم والسماع لا يفيدون<sup>(١٤)</sup> فهم معانيه من أمر، أو نهي، أو وعيد، أو وعيد، أو وعظ، أو تخويف، أو ضرب مثلي، أو اقتضاء حكم، أو غير ذلك مما أنزل به القرآن، وإنما هو لذّة القرب والتعلمات والألبان» ككفر الأوثان، وأصوات العزائم كما قال الله ﷻ بدم فريشاً. «فوما كان صلاتهم عند البيت إلا مكافأة وتصويله» الآثار ١٣٥<sup>(١٥)</sup>.

ولذلك لا نتعجب ولا تأخذك الدهشة والخيرة عندما نجد في تراجم بعض مشاهير القراء - في زماننا - بأن عارف بالبحان الموسيقي والغناء، حتى صرح بعضهم في الإذاعة عندما كان يسأل عن سبب شهرته؟ فأجاب: الفضل في ذلك يرجع إلى تعلم الألبان الموسيقية! ولقد تعلمت السلم الموسيقي من بعض الفنانين<sup>(١٦)</sup>.

(١١) إغاثة الملهتان من مصابيح الألبان (١/١٥٢ - ١٥٣).

(١٢) لابن الكيال الدمشقي رحمه الله المتوفى سنة ٩٦٩هـ رسالة باسم الأجم الزوامر، في حرم القراءة بلعول أهل الفسق والكفرا وهي مطروقة على تصحيح الدعاء (ص ٢٦٥).

(١٣) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن جعفر بن سليمان الأندلسي، انظر طوشي، عالم الإسكندرية، وطرطوشة؛ هي آخر حد المسلمين من شمالي الأندلس. ولد سنة (٤٥١هـ) قال ابن تيمكوال رحمه الله: «كان زماناً، عالماً، زاهداً، ورعاً، شياً، متواضعاً، متفتحاً، متفلاً من الدنيا، راضياً باليسيرة، توفي سنة ٥٢٠هـ. ومن مصنفاته: تحريم العباد، ومير الوالدانية، والفرقة على اليهود».

انظر وقفات الأعيان (١/١٦٢)، الشوم الزاهرة (٥/٢٣١).

(١٤) أي لا يفيدون (٥) الحوادث والبدع (ص ٨٧).

(١٦) انظر فتح الرحمن في بيان حجر القرآن (ص ٣٠).

## ٤ - قراءة الأنغام والتعطيط:

وتسمى أيضاً: «قراءة الترقيص»؛ لأنه يُدْخِلُهَا أحياناً ركضاً وركل - أي: ضرباً بالقدمين.

وقيل: معنى الترقيص: أن الشخص يُرْقِصُ صوته كالمتمكسر الذي يفعل الترقص. وقال بعضهم: هو أن يروم السكوت على الساكن، ثم ينفجر عنه مع الحركة في «عَدُوٍّ وَهَرُولَةٍ»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ بكر أبو زيد<sup>(٢)</sup> - حفظه الله - عن بدعة الترقيص: «وكنت أظنها ممّا انقرض، لكنني شاهدتها لدى بعض الطرقية، في ساحة مسجد الحسين بمصر عام (١٣٩١هـ)، وهم في غاية من الاستغراق، والاعتزاز بمشاهدة الناس لهم، فلما ناصحت أحدهم وجدته في غاية من الجهل، والانصراف عن النصح»<sup>(٣)</sup>.

## ٥ - قراءة التحزين والتطريب:

وهو أن يترك القارئ طباعه وعاداته في التلاوة، ويأتي بها على وجه آخر، كأنه حزين يكاد أن يبكي من خشوع وخضوع. وإنما نُهي عن قراءة التحزين والتطريب لما فيها من الرياء من جهة، ومن ترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات من جهة أخرى<sup>(٤)</sup>.

## ٦ - قراءة التحريف:

وهو أن عدداً من القراء يقرؤون بصوت واحد، ويُقَطِّعُونَ القراءة، فيأتي

(١) انظر: القرآن الكريم: تاريخه وأدابه (ص ٢٠٢).

(٢) هو بكر بن عبد الله أبو زيد، ينتهي نسبه إلى سويد بن زيد القضاعي، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام (١٣٦٥هـ). وبجانب دراسته النظامية، لديه نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وأفريقيا وغيرها. ومن أبرز مشايخه العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله، حيث لازمه نحو عشر سنين، وله مشاركات قيمة في التأليف بلغت وهاء السبعين مؤلفاً.

انظر: فنارى اللجنة الدائمة (١٥/٧ - ٢٣).

(٣) تصحيح الدعاء (ص ٢٦٦).

(٤) انظر: جمال القراء، للسخاوي (٥٢٨/٢).



بعضهم بعض الكلمة والأخر بعضها للأخر، فيقولون في قول تعالى: ﴿لَقَدْ أَتَيْنَاكَ﴾ (أهل نطقون) حذف الألف، و(قال آمناً) بحذف الواو، ويمثلون ما لا يبدأ ليستقيم لهم الطريق التي سلكوها  
فهؤلاء المتعمقة يحافظون على مراعاة الأصوات، ولا ينظرون إلى ما يترتب على ذلك من الإحلال بالثواب، فضلاً عن الإحلال بتعظيم كلام الحجة<sup>(١)</sup>

### ٧ - قراءة الترحيد:

ومعناه أن الشخص يُرعد صوته بالقرآن، كأنه يرعد من برد أو ألم أصابه ومن المناسب أن أسوق كلاماً نبيهاً وحامهاً تنفعني ثقلاً وهو ينسب حال أكثر المقرء في عصره، حيث يقول:

أما المقرء المشجوة فيهم تنطع ونحرير زائد بوقتي إلى أن التمجود القارئ  
ينفي تصروف الهبة إلى مراعاة الحروف والشطع في تحريكها، بحيث يشقته ذلك عن تذكر محتاتي كتاب الله تعالى، ويصرفه عن الحشوع في التلاوة لله، ويغلبه قوي النفس مزعوماً بحفاظ كتاب الله تعالى، فينظر إليهم بعين المكنت، ويأمن المسلمين يلتحنون، وأما المقرء لا يحفظون إلا شواذ القراءة، فليت شعري لمت ماذا عرفت، وما جعلك؟! أما عملك غير صالح، وأما تلاوتك فتقبله عزيمة عن الحشية والخرد والحرف، والله يوقفت ويضرك وتلك، ويوظفك من رقة الجهل والزياد

وطبئهم قرأه النقم والتعطيط؛ وهؤلاء من قرأ منهم بقلب وحرف، قد ينسج به في الحمسة، فقد رأيت من يقرأ صحباً، ونظوب وينكي، ورأيت من إذا قرأ قس الغنوب، وأسرهم النفوس، وسأل كلام الله تعالى، وأستواهم حالاً الجازية.

وأما القراءة بالروايات وبالجمع، فأبعد شيء عن الحشوع، وأقدم شيء على التلاوة بما يخرج عن القصد، وتعارهم في تكثيب وجوه حمرة، وتغليظ نلت اللامسة، وترقيق الروايات

أقرأ بها رجل وأعفا من الشغلطة، والثرفيتي، وفرط الإمانة، والمدود،  
ووقوف حمزا، فلأني كم هذا<sup>١</sup>

وأحر منهم إن حضر من حنمة، أو تلا في محراب؛ جعل يذفه إحصاء  
عرائس الوجوه، والسكت. والشهوع بالشهيل. وأتى بكل حلاف، وتلدى عنى  
نفسه أنا أبو فلان، فاعرفوني فإني عارف بالشع.

إيش يُعمل بك؟ لا ضحكك الله نحيبر، إنك حجر منحيتي، ورماس عنى  
الأفنة<sup>٢</sup>.

ولذلك أثار بعضهم فقال:

حدود حروف الذكر في لفظ فارى	سحلر ونحفيقي ودور مُرتلا
فلأني رأيت البعض ينلو القرآن لا	بُراعي حدود الحرف وزناً ومثلاً
فمنهم ينرفيعر ولحي وصجفة	ومنهم بشرعيدي ونوح تبدلاً
فما كل من ينلو القرآن يهينه	ولا كل من يقرأ محملاً
فأز تطلق أعدام وما اخترعوا به	وحد نطق مخرب بالنفصاحة سؤلاً
عيا قارئي القرآن أحمل آثاه	تضاعف لك الرحمن أجراً فأجزلاً <sup>٣</sup>

٨ - هذه كهذه الشعر:

أما هذه «خندراً» بمعنى إدراج القراءة مع مراعاة أحكامها وسرعتها بما  
يوافق طبعه، ويحفظ عليه، فلا تدخل تحت النهي، بل هذه من أنواع القراءة  
المشروعة.

٩ - القراءة بالإدارة:

وهي تناوب المحتمعير في القراءة جماعةً آيةً، أو آيات، أو سورة، أو  
سوراء، إلى أن يتكاملوا بالقراءة، وهذا بخلاف الاجتماع المشروع للدارس  
القرآن.

(١) بيان، عل العلم والطب، للنهي (ص ٦٥ - ٦٧)

(٢) القرآن الكريم، تاريخه وتناوله (ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

١٠ - قراءة القرآن في مجلس شُرُوبِ الدُّخَانِ -

استدّ نكير العتماء على من قرأ القرآن الكريم وهو يشرب الدُّخَانِ، أو في مجلسٍ يُشْرَبُ فيه، وأوردت فيه رسائل لبعض علماء مصر

١١ - القراءة والإقراء شواذ القراءات:

ومما قاله ابن الجوزي رحمته الله في سياق ذكر تلبس إبليس على بعض القراء بعض ذلك: أنّ أحدهم يشغل بالقراءات الشاذة ونحصيلها، فيقضي أكثر عمره في جمعها، وتصنيفها، والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فرُبما رأيت إماماً مسجداً يتصدى للإقراء، ولا يعرف ما بعد الصلوة، ورُبما سمعت حياً الصنعة، حتى لا يرى بعين الجهل - عني - ألا يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكروا تعلموا أنّ المراد حفظ القرآن وتقوم الفاطة، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفع ويظهر أحلاقتها، ثم الشاغل بالمهم من علوم الشرع.

ومن العين الفاحش: تضييع الزمان فيما غيره الأهم، فإن الحسن البصريّ أزال القرآن ليُعمل به، فأتخذ الناس تلاوته عملاً، يعني أنهم اقتصروا على التلاوة، وتركوا العمل به <sup>(١)</sup>.

١٢ - جمع القراءات في مجلس واحد.

يقع بعض القراء في سوح من الزمان والشصعة والمعاهاة حين يجمع بين قراءتين فأكثر - في أية واحدة، في الصلوة أو خارجها في مجامع الناس وليس من ذلك سبأها في دروس التفسير، وإظهار وجوه القراءات من المتعلمين للمتعلمين <sup>(٢)</sup>.

وهذا ما صرح به ابن تيمية رحمته الله بقوله: وإنما جمعها - القراءات - في الصلوة، أو في التلاوة فهو سذعة مكروهة. وإنما جمعها لأجل الحفظ والنس

(١) تلبس إبليس (ص ١١٣)

(٢) انظر: صحيح الدعاء (ص ٢٦٩ - ٢٧٢).

فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة<sup>(١)</sup>.

وقال الحُصْرِي<sup>(٢)</sup> **كَتَلَهُ: «فَلْيَعْلَمِ إِخْوَانُنَا الْقُرَّاءَ - وَفَقَّهَمُ اللَّهَ - أَنْ اللَّهَ تَعَالَى** قد حَمَلَهُمْ أمانة تلاوة كتابه، وألزمهم فيها التَأَدُّب بِأَدَابِهِ، وَالِاتِّبَاعَ لِسُنَّةِ رَسُولِهِ فيها، وَالنَّهْيَ عَمَّا فِيهِ إِخْلَالٌ بِحَقِّهَا، أَوْ ابْتِدَاعٌ فِيهَا، وَالْقِرَاءَةَ سُنَّةً مَأْثُورَةً، وَجَعَلَ جزءاً تَقْصِيرُهُمْ فِي ذَلِكَ مُضَاعَفًا بِقَدْرِ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَحْكَامِ التَّلَاوَةِ؛ لِذَلِكَ أَدَعَوْهُمْ - هِدَانِي اللَّهُ وَلِيَأْتَهُمْ - إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّ كِتَابِهِ وَتَرْكِ مَا اعْتَادُوهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْقِرَاءَاتِ فِي الْمَحَافِلِ، فَإِنَّهُ - كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْأَثْمَةُ الثَّقَاتِ، وَهُمْ الْقِدْوَةُ فِي هَذَا الشَّانِ - بَدْعَةٌ مُسْتَحْدَثَةٌ، غَيْرٌ مَعْرُوفَةٌ، لَا عِنْدَ السَّلَفِ، وَلَا عِنْدَ الْخَلْفِ»<sup>(٣)</sup>.

### ١٣ - قول السَّامِعِ لِلْقَارِئِ «اللَّهُ، اللَّهُ»:

فهذه ألفاظ شريفة ينبغي ألا يوظفها السَّامِعُ لِلْقَارِئِ، والمطلوب هو التَّدْبِيرُ وَالِاسْتِمَاعُ وَالِانْصَاتُ، كما قال تعالى: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الأعراف: ٢٠٤].

### ١٤ - التزام قول «صدق الله العظيم» بعد التَّلَاوَةِ:

قول القائل: «صدق الله العظيم» في نفسها حقٌّ، لكن لم يثبت عن النبي ﷺ، أَنَّهُ قَالَهَا بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مَعَ كَثْرَةِ قِرَاءَتِهِ وَسَمَاعِهِ لِلْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ لَمْ يُعْهَدَ عَنِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَلَفَّظُونَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ تِلَاوَتِهِمْ، وَلَمْ يُعْرَفْ ذَلِكَ عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٤٠٤).

(٢) هو محمود بن خليل الحُصْرِي، شيخ المقارئ المصرية، وُلِدَ سَنَةَ (١٣٣٥هـ) وَكَانَ صَاحِبَ مَخَارِجٍ قَوِيَّةٍ، وَذَا صَوْتٍ رَزِينٍ، وَكَانَ مَثْنٍ يَتَّبِعُ السَّلَفَ الصَّالِحَ فِي طَرِيقَتِهِمْ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَا يَجِيدُ عَنْهُ قَيْدَ أَنْمَلَةٍ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَجَّلَ الْمَصْحَفَ الْمَرْتَلُ لِلِإِذَاعَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَوْفَدَ بَعَثَاتٍ دِينِيَّةً بِالْخَارِجِ، لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. تُوُفِّيَ سَنَةَ (١٤٠١هـ). انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإفراء والنحو واللغة (٣/٢٥٩٢ - ٢٥٩٣).

(٣) القرآن: آداب تلاوته وسماعه (ص ٢٩).

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤/١٤٩)، غنوى رقم: (٣٣٠٣).



فالتزام هذا الذكر «صدق الله العظيم» بعد قراءة القرآن التزام مُخترع مُحدث لا دليل عليه، وكلُّ مُحدث في العبادات فهو بدعة<sup>(١)</sup>.

### ١٥ - بدع قراءة الفاتحة:

هناك بدع كثيرة ومتنوعة تتعلق بقراءة الفاتحة، ومن ذلك:

- \* قراءة الفاتحة بينة قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وهلاك الأعداء!
- \* قراءة الفاتحة عند شرط خطبة للزواج، واعتقادهم أن قراءتها عهد لا يُفرض، أو أنها تعدل أربعة وأربعين يمينا<sup>(٢)</sup>.
- \* قول بعضهم - بعد قراءة القرآن: الفاتحة<sup>(٣)</sup>.
- \* قول بعضهم: الفاتحة على روح فلان عند أي مناسبة<sup>(٤)</sup>.
- \* قراءة الفاتحة بعد الدعاء من البدع<sup>(٥)</sup>.
- \* قراءة الفاتحة بعد صلاة الفريضة<sup>(٦)</sup>.
- \* قراءة الفاتحة جهراً بعد التسليم من صلاة الجنازة، وعند رأس الميت، والمناداة بقراءة الفاتحة عند المرور بالمقابر<sup>(٧)</sup>.

### ١٦ - قراءة القرآن عند القبر:

قال ابن تيمية رحمته الله: «والقراءة على الميت بعد موته بدعة»<sup>(٨)</sup>.

وأكد ذلك تلميذه ابن القيم رحمته الله بقوله: «وكان من هديه ﷺ، تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء، ويُقرأ له القرآن، لا عند قبره ولا

(١) انظر: تصحيح الدعاء (ص ٢٩١ - ٢٩٢).

(٢) انظر: السنن والمنتدعات، لمحمد بن أحمد بن عبد السلام الشقيري (ص ١٩١ - ١٩٢)؛ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/٥٣٨)، فتوى رقم: (٨٩٤٦).

(٣) انظر: بدع الفراء القديمة والمعاصرة، د. بكر أبو زيد (ص ٢١).

(٤) انظر: أحكام الجنائز وبدعها، للألباني (ص ٧).

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/٥٢٨)، فتوى رقم: (٥٨٨١).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٢/٥٣٩)، فتوى رقم: (٩٥٠٩).

(٧) انظر: تصحيح الدعاء (ص ٢٧٦). (٨) الاختيارات الفقهية (ص ٩٢).

غيره، ولكن هذا مدعى حادثة مكروهة<sup>(١)</sup>

وأورد هنا كلاماً نسباً للآلئكي يظن أنه حيث يقول في السياق نفسه «وقراءة القرآن عند زيارة المقابر، أو صلوات، لا أصل له في السنة، إذ لو كانت القراءة مشروعاً لفعلها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه، لا سيما وقد سألت عائشة رضي الله عنها - وهي من أحدث أناسه إليه - عما تقول إذا زارت المقابر، فعلمها السلام والدعاء، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن، فلو أن القراءة كانت مشروعاً لما كنتم ذلك عنها، كيف وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز كما تقرر في علم الأصول، فكيف بالكتمان»<sup>(٢)</sup>



(١) إراد المعاد في هدي حبر النجاد (١/٢٧٧).

(٢) أحكام الجنائز وبدعها (ص ٢٤١).

## المبحث الثاني

### أسباب هجر التلاوة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الانشغال بالدُّنيا.

المطلب الثاني: ضعف الهمة.

المطلب الثالث: الجهل بشمات قراءة القرآن.

المطلب الرابع: تقديم العلوم الأخرى على القرآن.

المطلب الخامس: الحرب المعلنة على القرآن واللُّغة.

## أسباب هجر التلاوة

تمهيد:

كثير من المسلمين هجروا تلاوة القرآن هَجْرًا لم تعرفه الأمة من قبل، فربما تمرُّ الأيام والأسابيع بل الشهور على بعض أبناء أمة القرآن، وأمة اقرأ، من غير أن يفتح مصحفاً، أو يقرأ آيات من كتاب الله، سوى التلاوة أثناء الصلاة، على الرغم من حرصهم الشديد على قراءة الصحف والمجلات، ومتابعة الفضائيات بلهف وشوق، والتي تعرض أخبار أهل اللُهو والفساد، وكلم من بيوت بحرية، وصدور جوفاء تعيش بيننا، ولا تدري عن هذا الخراب شيئاً.

وهذه المظاهر المتنوعة لهجر تلاوة القرآن - التي تقدّم ذكرها - لها أسباب كثيرة ومتعددة تختلف من شخص لآخر، وسأبرز - في عجالة - أهم الأسباب التي تؤدّي إلى هجر التلاوة، من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول

#### الانشغال بالدنيا

لقد انشغل النَّاس بالدنيا انشغالاً أدى بهم إلى مواصلة الليل بالنهار؛ لسبب حاجاتهم الكمالية فضلاً عن الضرورية، وقلماً يجد أحدهم وقتاً يقرأ فيه القرآن أو يستمعه، فما أن يعود إلى بيته فيجد نفسه منهكاً متعباً يتمنى رؤية الفراش، جرّاء لهائه وراء المصالح الدنيوية.

ولا أجد لهذا الصنف من النَّاس مثلاً إلا ما قاله رسول الله ﷺ: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْسَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْسَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتَلْهَيْكُمْ كَمَا أَلْهَيْتَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري واللفظ له، كتاب المرفاق، باب: ما يُحَدِّثُ مِنَ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا =



ولو يعلم هؤلاء الغاية التي خلقوا من أجلها، فتغير حالهم، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ مَا لَكُمْ بَيْنَهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا لَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا ﴿٥٢﴾

إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا نَارًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَلَاقَتْ فِيهَا السُّجُودُ فَاصْبُغُوا بِهِ نَارَ الْإِبْرَاهِيمَ فَخَطَتْ بِهَا رَأْسَهُمْ وَفَضَّلْنَا إِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْعَثُ عَنْ خَلْقِهِ إِذْ قَالَ يَا قَوْمِ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ الْكُرْآنِ ﴿٥٤﴾﴾ [الشورى: ٥١ - ٥٤].

هذا تصريح بأن الله تعالى خلقهم لعبادته، فحق عليهم أن يعبدوا بما خلقوا من أجله، وأن يحرصوا عن خطوط الدنيا بالمراد فيها، فإنها دار عبادة لا محل لإخلاق، ومركب عبور لا منزل حبور، فسلكتها بقى، وجعلتها بئس، وكثيرها بئس، وعزيبها بئس، وحشها بصوت، وخبرها بصوت، ونهادا كان الأبقاط من أهلها عم العباد، وأصل الناس فيها هم الرُعُود، وصديق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ نَصْرًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا خَلَقْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا يُعَذِّبُ بِهَذَا الْكُتُبِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الكهف: ١٤٥].

فينبغي للمعاقل أن يعمل للأخرة ويسعى لها، وأن يأخذ من الدنيا بقدر ما يوصفه إلى الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَتَسْبُحُ مِنْهَا لَبًا لَبًا لَبًا ﴿١٧٧﴾﴾ [التكوير: ١٧٧].

ولقد أحسن القائل

يُنْذِرُ اللَّهُ عِبَادًا مُطِئِينَ	مُتَلَفُوا الْقُبَا وَخَافُوا الْعَتَا
سَقَرُوا فِيهَا فَنَمًا عَلَمًا	أَسْهًا لَيْسَتْ لِحِي وَطَا
جَمَلُوهَا لِحْيَةً وَأَسْحَبُوا	صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِيهَا نَمًا

المطلب الثاني

### ضعف الهمة

ضعف الهمة من الأمراض التي تكاد تعصف بالكثير من المصلحين، فلا يكاد نجد من يحافظ على شيء، أو يهتم به، لضعف الهمة، فما أن يمست المرء المصحف يوماً حتى يتوكله إماماً.

(١) (٢٠١٩/١) ج ١، ٢٤٢٥، وسلم، كتاب الرُّهْدِ وَالرَّقَائِي (٢٠٢٣/١) ج ١، ٢٩٦١

(٢) اعلم (١١١) رياض الصالحين للنووي (ص ١٢٣) فتح الرحمن من بيان عم القرآن (ص ٢٣ - ٢٤)

وقد تُضَعَّف الهمة عن مطلبٍ من مطالب الدنيا، أمّا عن مطلبٍ من مطالب الآخرة فلا، وهذا ابن القيم رحمته يتحدث عن ضعف الهمة بقوله: «لا شيء أفتح بالإنسان أن يكون غافلاً عن الفصائل الدنيوية، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، فمن كان كذلك فهو من الهنج الرعاع، الذين يُكذِّرون انباء، ويغفلون الأسعار، إن عاش عاش غير حميد، وإن مات مات غير فقيد، فقد هم راحة للبلاد والعباد، ولا تبكي عليهم السماء، ولا تستوحش لهم الغبراء...»

وهذا الضنف شرُّ البرية، يضيِّقون الدُّبار، ويغنون الأسعار، وعند أنفسهم أنهم يعلمون، ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون، ويعلمون ولكن ما يضُرُّهم ولا ينعمهم، ويتطقون ولكن عن الهوى يتطقون، ويتكلمون ولكن بالجهل يتكلمون... (١)

ومن الأدوية النبوية لعلاج ضعف الهمة: المداومة على الأعمال الصالحة والاستمرار عليها، وإن قلتَ

فمن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْتَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: «فُلَانَةٌ - نَذَكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا - قَالَ: «مَنْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، قَوْلَ اللَّهِ لَا يَخُلُفُ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتُوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبَةٌ» (٢)

قال ابن الجوزي رحمته: «إِنَّمَا أَحَبُّ الدِّائِمِ لِمَعِينٍ أَحَدُهُمَا - أَنَّ الْمُقْبِلَ عَلَى اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْعَمَلِ، إِذَا تَرَكَهُ مِنْ غَيْرِ عَدْرٍ، كَانَ كَالْمُفْرَصِ بَعْدَ الْوَصْلِ، فَهُوَ مُعْرَضٌ لِلذَّمِّ، وَلِهَذَا وَرَدَ الْوَعِيدُ فِي حَقِّ مَنْ حَفِظَ آيَةَ ثُمَّ نَسِيَهَا» (٣)، وإن كان قبل

(١) مفتاح دار السعادة (١/١١٠ - ١١٤).

(٢) رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب: أحب النبي إلى الله أتومته (١/٣٨) (ج ٤٣)

(٣) الحديث الوارد في ذلك ضعيف، ولقطة عن أس بن مالك رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُعْرَضٌ عَلَى الْجُوزِ أَمْتِي، حَتَّى تُنْقَذَ بِخُرْجِهِ الرَّجُلُ مِنَ الْمَشْجِيِّ، وَمُعْرَضٌ عَلَى دُنُوتِ أَمْتِي، فَلَمْ أَرْ دُنُوتًا أَكْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ آيَةٍ أَوْتِنَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا». رواه الترمذي (١٧٨/٥) (ج ٢٩١٦) وقال «هذه حديث غريب، لا يعرفه إلا من هذا الوجه. وذاكرت به محمد بن إسماعيل (أي: البخاري) فلم يعرفه واستغربه». وفي الحديث المقلَّب (الراوي عن أس) لم يعرف له سماعاً من الضحمة، كما صرح بذلك البخاري وابن المنيب رحمهما الله.

حفظها لا يتعين عليه الحفظ، ولكنه عرض بعد المواصلة، فلاق به الوعيد، وكذلك يكره أن يؤثر الإنسان بمكانه من الصف الأول؛ لأنه كالرأغب عن القرب إلى الله ﷻ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام - لعبيد الله بن عمرو: «لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل»<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، فكأنه يتردد إلى باب الطاعة كل وقت، فلا ينسى من البر لتردده، وليس كمن لازم الباب يوماً دائماً ثم انقطع شهراً كاملاً<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث عدة فوائد ذكرها النووي ﷺ بقوله: «وفي هذا الحديث كمال شفقتك ﷻ ورأفته بأمتك؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشراحاً فتتم العبادات، بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق، فإنه يصدد أن يتركه، أو بعضه، أو يفعله بكلفة، وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم...

وفيه الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع. وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة، والذكر، والمراقبة، والنية، والإخلاص، والإقبال على الخالق ﷻ، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كان علماؤنا - رحمهم الله - أعرف بدقائق النفس الإنسانية من علماء النفس اليوم.

= وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (ص ٣٥١) (ح ٥٥٨)؛ و«ضعيف الجامع الصغير» (٩/٤) (ح ٣٧٠٢).

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب: ما يُكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه (١/ ٣٤٣) (ح ١١٥٢)؛ ومسلم، كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر... (٤١٨/٢) (ح ١١٥٩).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٢٧٨ - ٢٧٩).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٧١).

## المطلب الثالث

## الجهل بثمرات قراءة القرآن

إنَّ جهل الكثير من أساء المسلمين بثمرات تلاوة القرآن، وفساتلها من  
 اثواب المشرِّك على ذلك، والمصالح الدُّنيويَّة والأخرويَّة، لمن أكبر الدُّواعي  
 لهجر التلاوة، وعدم الاعتناء بها والحرص عليها

ولو يعلم المسلم ما هي تلاوة القرآن العظيم من الفصل العظيم، واثواب  
 الحريل، ومنزلة قارن في الدنيا والأخرى، لجمعه آية آاء الليل وأطراف النهار،  
 وما عفل عنه طرفه عيين.

ومن ثمرات التلاوة التي جاءت بها الأحاديث الصَّحيحة، والآثار الواردة عن  
 الصَّحابة والتَّابعين ﷺ ما يلي

١ - أن قارئ القرآن في مصافِّ العظماء، ومن أفضل الناس، وأعلام  
 درجة.

٢ - يكتب للقارئ عن كلِّ حرب حسنة، والحسنة عشر أمثالها.

٣ - تشمل القارئ خلفه الرِّحمة، ويحاط بالملائكة، وتزال عليه الشُّكبة

٤ - يضيء الله قلب القارئ، ويقيه ظلمات يوم القيامة، ويُعد عنه الشُّفاة.

٥ - القارئ رائحة زكية، ومدافقه خلوة لا تُنزع، ومن هنا فهو جليس  
 صالح يقرب إليه الصَّالحون العاملون، يُشْمُوا من عطره، ويصحوا من شداه.

٦ - قارئ القرآن لا يحزبه الطزع الاكبر، لأنه في حماية الله، ولأنَّ القرآن  
 يسمع له

٧ - قارئ القرآن سب في رحمة والديه، وإعداقهما بالتَّعيم، جراء قراءة  
 ابهما

٨ - قارئ القرآن يرفق إلى قنة المعالي في الجسم، ويصعد إلى ذرورة التَّعيم.

٩ - يخط الصَّالحون قارئ القرآن ويتمنون أن يكونوا في درجته السَّامية  
 عند الله تعالى، ويؤدُّون أن يعملوا مثله

١٠ - قارئ القرآن تدعو له الملائكة الكرام بالرحمة والمغفرة.



- ١١ - قارئ القرآن مُستمسك بالعروة الوثقى، ويتمتع بالشفاء النَّاجع، ويُعصم من الزَّيغ، وينجو من الشَّدائد.
- ١٢ - قارئ القرآن من أهل الله وخاصته المتقربين إليه، ومن العاملين الشُّعوفين بطاعة الله والقانتين له<sup>(١)</sup>.
- ١٣ - قارئ القرآن يرتفع به درجات في الدنيا أيضاً، إذ يرفع الله به أقواماً، ويخفض آخرين، ممن أعرضوا عنه أو هجروه.
- ١٤ - قارئ القرآن يُكتب عند الله من الذَّاكرين الله كثيراً والذَّاكرات، والقانتين والقانتات.
- ١٥ - الماهر بالقرآن يُبعث يوم القيامة مع الشُّفرة الكرام البررة.
- ١٦ - قارئ القرآن يتعد عنه الشَّياطين، وتخرج من بيته.
- ١٧ - قارئ القرآن يستنير عقله، ويمتلئ قلبه بالحكمة، وتتفجر منه ينابيع العلم.
- ١٨ - قارئ القرآن فيه قبس من النُّبوة، غير أنه لا يُوحى إليه.
- ١٩ - حامل القرآن لا يجهل مع مَنْ يجهل؛ لأنَّ القرآن في جوفه، يحميه من الحدة والغضب.
- ٢٠ - بتلاوة القرآن الكريم تحمر القلوب والبيوت، ويُعْمها الخير والبركة.
- ٢١ - تلاوة القرآن تُورث القلب خشوعاً، والتُّقس صفاءً.
- ٢٢ - قارئ القرآن يسأل الله تعالى به فيجيبه، ولا سيِّماً عند دعاء الحَقْم، فضلاً عن الله تعالى وكرماً.
- ٢٣ - أهل القرآن يذكروهم الله ﷻ فيمن عنده، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً.
- ٢٤ - في تلاوة القرآن غنى لأهله، تَسعدُ به قلوبهم كما يَسعدُ صاحب الأموال بماله، وهو غنى لا دَخَلَ فيه<sup>(٢)(٣)</sup>.

(١) انظر: تعليق مصطفى محمد عمارة على «الترغيب والترهيب»، للمنطوي (٢/٣٥٨).

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم (٤/١١٨٣).

(٣) انظر: المبحث الرابع - فضائل تلاوة القرآن، من هذا الفصل.

## المطلب الرابع

## تقديم العلوم الأخرى على القرآن

من فليس إبليس على بعض الناس أن يشغله بطلب شئ العلوم سوى علم الكتاب والسنة، ويوهمه أنه على سبيل نجاته ما دام يطلب العلم، فأني علم حصل من لمانه عنم الكتاب والسنة؟ وأي خير فانه<sup>١</sup> عن القرآن العظيم مقدم من الطلب حتى على تعلم السنة

قال حليفة عليه السلام خلقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جنم للوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة»<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر بطلقة: «قوله (ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة) كنا في هذه الرواية بإعادة (ثم)، وفي إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والبراهن بالنس ما يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم واحياً كان أو سدياً»<sup>(٣)</sup>

فعدم المنهجية لدى كثير من طلاب العلم، وعدم التكلم عن العلماء بحملهم يتخلطون في الطلب حتى يقدموا كلام البشر على كلام رب البشر، ويقتلوا على حفظ المنون من شئ المنون، وما حفظوا كلام الله الذي هو أساس العلوم وأمنها وأمنها، وما هكذا فعل السلف الصالح، ولا هذه طريقة في طلب العلم، ولم يكن هذا هديهم المبارك<sup>(٤)</sup>

قال شعبة بن الحجاج<sup>(٥)</sup> كقوله - لأصحابه: «يا قوم إنكم كلنا تقدمتم في

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: إذا بقي في مخالفة من الشار (١٧/١٢٢) (ج ٨٦-٨٧)

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/٥٠)

(٣) انظر التكملة الحسان (ص ٥)

(٤) هو شعبة بن الحجاج بن أنور العنكي، مولاهم، النواصي، ثم المصري، أبو سطاوة من الثقات الأئمة الحفاظ المنقبين، قال ابن حجر بطلقة، «قال الثوري يقول هو لمؤسس من الحديث، وهو أول من فتن بالعراق من الرجال - وقت من السنة، وكان عادياً من الشامة» توفي سنة (١٦٠هـ) انظر تحريم الشهادة (١/٣٥١).

الحديث فأخرتم في القرآن<sup>(١)</sup>.

ودخل عصر فقهاء مصر على الإمام الشافعي تكلف المسحود، وبني عليه المصحف، فقال لهم: «شغلكم الفقه عن القرآن، إني لأحلي العنفة وأصح المصحف في يدي، فما أطفه حتى أصبح»<sup>(٢)</sup>.

لما الذي شغلنا - في هذا الزمان - عن القرآن؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، تنوبنا إلى الله من ضياع الأوقات والأعمار.

وسئل ابن تيمية تكلفه عن النبي يُقَدِّم في الطلب: حفظ القرآن أو العلم؟ فأجاب قائلاً: «أما العلم الذي يحب على الإنسان غنياً كعلم ما أمر الله، وما نهى الله عنه، فهو مُقَدِّم على حفظ ما لا يحب من القرآن، فإن قلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مُقَدِّم على المستحب».

وأما طلب حفظ القرآن فهو مُقَدِّم على كثير مما تُسَمِّيه الناس علماً: وهو إما باطل، أو قليل النفع، وهو أيضاً مُقَدِّم في التعلُّم في حق من يريد أن يتعلم علم النزين من الأصوك والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأماجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم من الكلام، أو الجدال، والخلاف، أو الفروع الباردة، أو التقليد الذي لا يحتاج إليه، أو حرات الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها، وكثير من الرهبانيات التي لا تقوم عليها حجة، وينترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله<sup>(٣)</sup>.

وليس في هذا دعوة إلى التكاثر أو التباطؤ عن تحصيل العلم النافع، وتخصُّص العلم المدني الذي يعمل على تقدم الأمة ورفيها، فحسن مع الذمير إلى الأحذ بأساس الحياة والزمن بالأمة، ولكننا نعت على من يُحاولون بهامنا - طلباً وهداناً - أن هذه العلوم تكفي، محاولين تصيف العلم إلى شرعي، وغير شرعي، وأن لكل طلابه ودارسه، بل إننا نرى أن دراسة هذه العلوم ضرورة شرعية نأتم

(١) سير أعلام النبلاء، (٧/١٢٢٣) بذرة الحفاظ (١/١٩٦) حلية الأولياء (٧/١٤٥).

(٢) الزهد في علوم القرآن (١/١٤٦) وانظر إحياء علوم الدين (١/٢٧٩).

(٣) معجم فتاوى ابن تيمية (٢٤/٥٤ - ٥٥).

الأمة إذا لم يكن فيها من يعلم هذه العلوم، ولكن على طلاب هذا العلم أن يتزودوا من القرآن وينهلوا من معينه الذي لا ينضب.

### المطلب الخامس

#### الحرب المعلنة على القرآن واللغة

لَمَّا عَجَزَ أعداء الله عن السَّيطرة على بلاد المسلمين عن طريق الغزو العسكري، إذا بهم يلجأون إلى حيلٍ مأكرة، وطرق ملتوية؛ للقضاء على الإسلام والمسلمين عن طريق الغزو الفكري، وعملوا على إبعاد المسلمين عن كتابهم - القرآن الكريم - الذي منه يستمدون منهجهم وأسلوب حياتهم، ويتضح ذلك من خلال تصريحاتهم المعلنة.

تصريحات الأعداء ضدَّ القرآن ولغته:

\* ما قاله جلادستون - رئيس وزراء إنجلترا - وقد وقف في أواخر القرن الماضي في مجلس العموم البريطاني، وقد أمسك بيده القرآن المجيد، وصاح في أعضائه البرلمان، قائلاً: «إنَّ العقبة الكنود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي - شيان، ولا بدَّ من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر: أولهما: هذا الكتاب، وسكت قليلاً، بينما أشار بيده الأخرى نحو الشرق، وقال: هذه الكعبة»<sup>(١)</sup>.

\* وقال أيضاً: «ما دلم هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السَّيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»<sup>(٢)</sup>.

\* وقال أيضاً: «لن تستقيم حالة الشرق ما لم يُرفع الحجاب عن وجه المرأة، ويُعطى به القرآن»<sup>(٣)</sup>.

ولقد لفتت العلاقة المتينة والرابطة القويَّة بين اللغة العربيَّة وعلوم الإسلام المختلفة أنظار أعداء الإسلام، فقاموا بالتخطيط والتدبير للهجوم على لغة القرآن بكلِّ ما أوتوا من قوَّة، مستخدمين كلَّ الوسائل الممكنة من أجل القضاء على هذه

(١) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية، لمحمد فهمي عبد الوهاب (ص ٧).

(٢) الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد (ص ٣٩).

(٣) المرأة ومكانتها في الإسلام، لأحمد عبد العزيز الحضين (ص ١٢).



اللغة العظيمة - لغة القرآن - واللبل منها، لا لتكونها لغة من اللغات الحية التي يتكلم بها قوم أو جنس معين، بل لتكونها لغة القرآن الكريم، ولغة المسلمين التي يتوقف عليها فهم الدين، واستيعاب أحكامه وتعاليمه.

وكان هناك الوحدة بين المسلمين مما يفلق أعداء الإسلام، وبما أن هذه اللغة من العوامل الرئيسية في توحيد الأمة الإسلامية، رأى أعداؤها أن تحطم هذه اللغة بساعد بلا شك في نعتيت الوحدة الكبرى المأمولة بين الشعوب الإسلامية، ويضعف الأمل في تحقيقها في العصر الحاضر<sup>(١١)</sup>.

• وما هو أحد الغربيين يقول: «منى نواري القرآن ومدبنة مكة من بلاد العرب، بنكنا حينئذ أن يرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة، التي لم يبعده عنها إلا محمد ﷺ وكتابه، ولا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته<sup>(١٢)</sup>».

إذن هدف هؤلاء الأعداء هو إقصاء القرآن عن التأثير في حياة الأمة، لا ليندرجوا في سبيل الحضارة كما يزعمون، ولكن ليهل عليهم إذلال هذه الأمة، وضمان نعتيتها للعرب.

• وهذا الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول - في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر - «بما لن ينتصر على الجزائريين ما قاموا بقراون القرآن، ويتكلمون العربية، فيح أن ينزل القرآن العربي من وجودهم، وتقتلع اللسان العربي من السهم<sup>(١٣)</sup>».

• وهذا اللورد كرومر يقول: «جئت لأمحو ثلاثاً: القرآن، والكعبة، والأزهر<sup>(١٤)</sup>».

• وكان الجندي الإيطالي: برندي لسان الحرب قادماً لاحتلال بلاد الإسلام، وهو يشد<sup>(١٥)</sup> بأعلى صوته «يا أماء! أنمي صلاتك... ولا تبكي...».

(١١) انظر لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها، د. إبراهيم أبو عدا.

(١٢) المعصر لغة القرآن، لأبور الجندي (ص ١٦٦)، أماطيل وأسماء - لمحمود شاكر (ص ١١٥٩).

(١٣) قادة العرب يقولون: دعوا الإسلام أبداً أهله، لعلال العالم (ص ٣١).

(١٤) الخبز المسموم الذي تلمز به المسلمون، لأبور الجندي (ص ٢٩).

(١٥) هذه الأثوية المشهورة نُسبت لأغيا العائيشة كانت حوش الطليان الجزائرية تترجم بها =

بل اصحكي ونائمني... الا تعلمين اني يطالبنا ندهوني .. وانا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً... لا ينزل في في سبيل سحق الأتمة الملعونة... ولا حارب الدنيا الإسلامية... سأقاتل بكل قوتي لسحق الفرنك...<sup>(١)</sup>

### أساليب الأعداء في محاربة القرآن ولغته

اتحلوا في ذلك أساليب شتى، منها:

- ١ - الإبراء بحفظه القرآن الكريم، والعلماء، والأدباء، وتصويرهم بصورة قبيحة حتى يُحال بهم ويرى مجتمعانهم.
  - ٢ - الشخيرة من اللغة العربية - لغة القرآن الكريم -، ومهاجمتها من حين لآخر، والدعوة إلى العامية، وإحياء اللهجات المحلية، ورفع شأن اللغات الأخرى، مما أدى إلى إهمال تدريس اللغة العربية في المراحل التعليمية المختلفة، حتى نشأ جيل من أبناء المسلمين يجهل القراءة في المصحف، ولا يكاد يقرأ سطرًا صحيحًا، على الرغم من حصوله على أعلى الشهادات، وإنفاذه العديد من اللغات الأخرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
  - ٣ - إغراق المجتمعات المسلمة بالهند الهائل من الصحف والمجلات، التي تُعد عن الله، وتُقرَّب من الشيطان، ونشر الفاحشة والزُّديلة، وأصدق وصف لها أنها: حمالة للكذب، قتالة للوقت.
  - ٤ - تدعيم عقيدة المسلمين وأخلاقهم وذلك من خلال البيئات المباشرة، والقنوات الفضائية التي تُعرض على شاشات التلفاز<sup>(٢)</sup>
- وقد كان لهذه الأساليب العاكرة أثر كبير في انشغال المسلمين عن كتاب ربهم بتنايحتهم لهذه القنوات الفضائية، وتلك الصحف والمجلات؛ فهجروا تلاوته، فطُلا عن فجر أحكامه، وآدابه، والعمل بما فيه.

<sup>١</sup> برقة بصوت واحد، وهي تسير متجهة بالشلح في طرفات طرابلس.

انظر عودة المحاب - محمد بن أحمد المصم (ص ٩٣).

(١) الجامعات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسن (١٩٧٢/٢).

وانظر القومية والعزيم الفكري (ص ٢٠٨).

(٢) انظر: فتح الرحمن في بيان هجر القرآن (ص ٢٩).

المبحث الثالث

آداب وأحكام تلاوة القرآن

## آداب وأحكام تلاوة القرآن

تمهيد:

من حقّ كتاب الله علينا أن نُدّأوم على تلاوته، ونُكثّر من قراءته، ذلك أنّ القلوب يغشاها الرّينُ بمباشرة المعاصي والآثام، فيذهب بصفائها كما يغشى الصّدا وَجّه المرآة والسّيف، وقراءة القرآن تُزيل هذا الغطاء وتُعيد القلب المؤمن إلى حالة الإيمان والنّقاء، وتُجدّد فيه محبّة العمل الصّالح والرّغبة في اكتسابه.

وما تقرب المتقربون إلى ربّهم الكريم بأفضل من تلاوة كتابه المجيد، والوقوف عند معانيه وحدوده؛ فحريّ بنا أن نُضرب بسهم وافر من ذلك، ومن رحمة الله بعباده وفضله عليهم: أن شرّع لهم ما يتعبّدون به إليه سبحانه.

ولقد جاء الإسلام بآداب عامّة شملت جوانب الحياة، فبعدما رسخت العقيدة الصّحيحة في قلوب النّاس ناداهم القرآن العظيم وندبهم الرّسول الأمين ﷺ إلى هذه الآداب العالية.

ومن تلك الآداب: آداب الاستئذان، والسّلام، والمجالس، والكلام، والنّوم، والأكل والشّرب، والجوار، والعطاس والتّثاؤب، وعشرة النّساء، وغير ذلك في كلّ ميادين الحياة الدّنيا، وهناك آداب الشّعائر الإسلاميّة، كآداب الصّلاة، والزّكاة، والصّوم، والحجّ، وغيرها من العبادات.

ومن هنا: كان من باب أولى أن تكون للقرآن آدابه، فهو أحقّ بالأدب، وأجدر أن يتأدّب معه النّاس؛ لأنّه كلام الله تعالى، والقارئ يتلو كلام ربّه العالمين، فكان من الأليق أن يكون المسلم في حالة المناجاة لربّه في أحسن هيئة وأكمل صورة، ولا يكون ذلك إلّا بسلوكة هذا المسلك.

وقد أولى سلفنا الصّالح هذا الأمر عنايةً بالغة، معتمدين في ذلك على نصوص الوحيين: الكتاب والسّنة، وما أدّاه إليه اجتهادهم وحرصهم على تعظيم



القرآن وإجلاله، فالتمزوا آداباً في التعامل معه، وسلكوا طرفاً شتى تدلُّ على احترامه وتوقيره عندهم، يذعرون غيرهم إلى ذلك إذ أنهم المنعوتة والأسوة، ويحذرون من كل قول أو تصرف به نكصه، أو الإحلال يمسركه، بل يتكروا على من يجمل بأدابه، وبما يجب تحامه، أو يتهاون في ذلك، وهذا الاحترام والإجلال موصول كحملكه وأهيه المعنير به، فهم أهل الله وخاصته.

ولكي تكون التلاوة نافعة تُعطي ثمارها من الثبته والتأثر والاستقامة، وتؤدي كما كان يؤديها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، فلا بد من ملاحظة آدابها وأحكامها، والالتزام بذلك قبيل التلاوة وأثناءها<sup>(١١)</sup>، وهي على النحو الآتي:

## ١ - إخلاص النيّة لله تعالى:

ببعض أد يكون لمادى القرآن الكريم مُخلصاً في نفسه، متجرداً من كل غرض دنيوي، ينبغي الآخر والثواب من الحولى تبارك وتعالى، وأن يحلر الرباء والإعجاب بالنفس، لأن التلاوة أحد أفعال المكلف التي يُشترط لصحتها وقبولها عند الله تعالى النيّة الخالصة لوجهه الكريم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ قَائِدٌ أَلْمُتَمَّكَ الْبَرِّ﴾<sup>(١٢)</sup> الآية القائلين للقرآن ٢ - ١٣.

قال الشوي نكك في سياق كلامه عن آداب قارئ القرآن: «وينبغي ألا يقصد به توطئاً إلى غرض من أغراض الدنيا من مال، أو رياسة، أو وجاهة، أو ارتفاع على المرادة، أو تثناء عند الناس، أو صرف وجوه الناس إليه، أو نحو ذلك»<sup>(١٣)</sup>.

(١١) من أشهر الذين تعطلوا عن آداب تلاوة القرآن الكريم: أبو بكر الأجرى في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٧٣ - ١٨٣)، وأبو حامد الغزالي في «إحياء علوم القيين» (١/ ٩٨٠ - ١٢٨٨)، والقرطبي في «التذكار في أفضل الأذكار» (ص ١٧١ - ١١٨٩) والشوي في «الفتيان في آداب حملة القرآن» (٩٥ - ١١٩٥)، و«الأذكار» (ص ١٥٣ - ١١٦٦)، وابن مفلح في «آداب الشرعية» (٢/ ٢٠١ - ٣١٢)، وابن قدامة العنفس في «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٥١ - ١٥٧) والشوي في «الإلفان في علوم القرآن» (ص ٢٥٩ - ٢٨٩).

(١٢) البيان في آداب حملة القرآن (ص ١٨ - ١٩).

## ٢ - العمل بالقرآن :

وذلك بتحليل حاله، وتحريم حرامه، والوقوف عند نهيه، والامثال بأمره، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، وإقامة حدوده وحروفه.

ولقد ورد نهي شديد، ووعيد أكيد، فيمن آتاه الله القرآن ثم لم يعمل به، فقد جاء من حديث سمرّة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي صلى الله عليه وآله الطويلة: «... قَالَ: انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا، حَتَّى آتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٍ قَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ، أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدْمَدَمَ الْحَجِيرُ، فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِیَاخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا، حَتَّى يَلْتَمِمَ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: انْطَلِقْ...».

(ثمَّ بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ صلى الله عليه وآله)

«... وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدِخُ رَأْسَهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...» الحديث<sup>(١)</sup>.

## ٣ - إجلال القرآن وتعظيمه :

يجدر بقارئ القرآن الكريم أن يراعي أثناء تلاوته لكتاب الله تعالى ما يتناسب وعظمة القرآن وجلاله فيستشعر أنه يُناجي الله تبارك وتعالى، وأن الله يُناجيه، ويجتنب كل ما من شأنه أن يُخِلَّ بِأدب المناجاة كالضحك، والحديث، والعبث باليد، والنظر إلى ما يُلْهِي، أو لا يجوز النظر إليه، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

## ٤ - تلاوة القرآن على طهارة :

يُستحب للمقارئ أن يقرأ القرآن وهو على وضوء وطهارة، وهذا أيضاً من إجلال القرآن الكريم:

\* عن أبي الجهم رضي الله عنه قال: «أَقْبَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله مِنْ نَحْوِ بَشْرٍ جَمَلٍ، فَلَقِيَهُ

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين (٤١١/١)، (ج ١٣٨٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٢٠).

وَجُلٌ نَسِنَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ نَهْيٌ ۖ حَتَّىٰ آتَىٰ عَلَى الْجِدَارِ، لَمْ يَسْخُ بِوَجْهِهِ  
وَتَدْبِيهِ. ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١١)</sup>.

لماذا كان هذا في تحريم ردة السلام؟ فلان يكون في تلاوة كتاب الله تعالى  
- التي هي اعظم الذكر - من باب اولي<sup>(١٢)</sup>.

• وعن المهاجر بن قنفذ: اِنَّ اَمْرَ الشَّيْءِ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى، فَسَلَّمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ  
يَزِدْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ نَوَسًا، ثُمَّ اغْتَلَزَ اِلَيْهِ. فَقَالَ:

«إِنِّي كَرِهْتُ لِمَا أَذْكَرُ لَكَ ۖ إِلَّا عَلَى طَهْرِهِ»<sup>(١٣)</sup>.

قال النووي يظنك: «فإن قرأنا نحبنا جاز فلك باجماع المسلمين،  
والأحاديث فيه كثيرة معروفة. قال إمام الحرمين: ولا يقال ارتكب مكروهاً، بل  
هو تارك للأفضل<sup>(١٤)</sup>».

• - اختيار الوقت المناسب:

تلاوة القرآن العظيم حازه في كل الأوقات، ولا تُكروه في شيء منها بسبب  
ذلك الوقت نفسه، وهناك أوقات لها أولوية يتجلى الله تعالى فيها على عباده،  
وتنزل فيها بوضوح رحمنه، وأفضلها ما كان في الصلاة. ثم ما كان في الثلث  
الآخر من الليل وقت السحر، ثم قراءة الليل، ثم قراءة الفجر، ثم قراءة الفصح،  
ثم باقي أوقات النهار<sup>(١٥)</sup>.

وتزاد المشوية مع ازدياد المشقة في قراءة القرآن والاستعداد لها، قال الله  
تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٧] ومع وجود أولوية

(١١) رواه البخاري، كتاب النهم، باب النهم في الخطر. إن لم يجد الماء وحاف فموت  
الصلاة (١٢٦١) ج (٢٣٧)  
(١٢) انظر الكلمات الحسان (ص ٢٠٢).  
(١٣) رواه أبو داود (٥/١) ج (١٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١) ج (١٣).  
(١٤) انبيا - في آفات حملة القرآن (ص ٩٧).  
(١٥) انظر المنصم عنه (ص ١٨٩)، المحجوج (١٩١/٢٦) الأفتار (ص ١٤٤٩)، الانتقال في  
علوم القرآن (١/١١٢٢)

بعض الأوقات في قراءة القرآن، فإن المسلم يدعو إلى قراءة القرآن في أي وقت ينسرى له ذلك. سواء كان في عمله، أو بيته، أو سفره، أو حضره، أو وقت راحته.

ومع كثرة مشاغل الحياة الدنيا وضغوطها في العصر الحاضر، يجتهد المسلمون أن يتهدوا كل فرصة لهذه العبادة الجليلة، وقد تيسر ذلك ما لم يتيسر من قتل قراءة واستماعاً، بما قدمه العلم من مصاحف بأحجام متنوعة، أو أشرطة معروفة من القرآن، أو تسجيلات مسجلة أو مرئية<sup>(١)</sup>.

#### ٦ - اختيار المكان المناسب:

يُستحب أن تكون التلاوة في مكان نظيف مُختار، ولهذا استحب جماعة من أهل العلم أن تكون قراءة القرآن في المسجد، لكونه جامعاً للتقافة وشرف النعمة<sup>(٢)</sup>، وحللاً لو حضر المسلم ركناً في بيته يفرغه من المولع والشواغل والتشويش، ويُبعد عنه الضجيج والنضاب والكلام الدنيوي ونعب الأطفال وعينهم<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر القرطبي<sup>(٤)</sup> من آداب تلاوة القرآن: «ألا يُقرأ في الأسواق، ولا في مواطن اللغو واللغو، ومجمع السفها». ألا ترى أن الله تعالى ذكر عام الرحمن وأثنى عليهم بأنهم: «وَلَا يَرْوُونَ الْقُرْآنَ سُخْرًا وَحِكْرًا» (الفرقان ١٧٦). علماً بالحرور بنفسه، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهري أهل اللغو ومجمع السفها<sup>(٥)</sup>.

وأما التلاوة في الطريق، وعلى الرحلة، وسحو ذلك، فالصحيح أنها جائزة، غير مكروهة إذا لم يشغل القارئ عن قراءته.

فمن عبد الله في مغفلٍ ﷻ قال: فرأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، وهو

(١) انظر كيف توجه إلى العلوم والقرآن الكريم معصوماً (ص ٢٩).

(٢) انظر النيار في آداب حنة القرآن (ص ١٠٠).

(٣) انظر مفاتيح لتعامل مع القرآن (ص ٤١).

(٤) التذكار في الصل الأذكار (ص ١٨٢ - ١٨٥).



يقرأ على رءسها سورة الفتح<sup>(١)</sup>

وهي سنة لا بد من إحياها في ركوبنا لمختلف وسائل التنقل المريحة في هذا الزمان خصوصاً أن بعض رحلات المشغل البرية، أو البحرية، أو البحرية تستغرق الساعات الطوال وزئماً الأيام المتتابعة.

فإن اشغل عنها كانت مكروهاً محافظة الحفظ، كما نكره القراءة على الأماكن المستحبة، مثل الحمام وغيرها<sup>(٢)</sup>.

وعلى كل حال فيبغي أن يكون المكان حالياً من كل ما يشغل اليأس، ويحصل من وجود الوسواس والاشغال، فإن ذلك أقرب إلى حصول القلب، وأبعد عن الرية، والمساهة، وأعود على ندر ما يتلو، من الآيات، ولا ريب أن هذه الحالة مذبذبة<sup>(٣)</sup>

#### ٧ - حُسْنُ الْجَمَلَةِ وَاسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ:

لا بد للقارئ من جلسة مناسبة ومهيئة صالحاً فظهر فيها عيوبه. ويزيد فيها تدلله وحصوه؛ ليكون ذلك آموناً على الاستماع بالتلاوة

قال القرطبي<sup>(٤)</sup>: «يستحب أن يستوي له قاعدته إن كان في غير صلاة، ولا يكون متكئاً<sup>(٥)</sup>»

#### أفضل أحوال استقبال القبلة:

ويستحب للقارئ أن يستقبل القبلة<sup>(٦)</sup>، لأن هذا أفضل اتجاه، والقبلة هي الجهة التي يتوجه إليها العابدون، والداعون، والمنفردون إليه تعالى، كيف وقد حثهم على ذلك بقوله: ﴿فَرِحْ وَنَهَلْكَ فَطَرَ السَّجِدَ الرَّأْسَ وَتَبَّتْ مَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَتُورِكُمْ شَرًّا﴾ [الفرج: ١٢٢]

قال النووي<sup>(٧)</sup>: «وهذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً، أو مضطجماً، أو في

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: القراءة على الناقة (٣/١٦٢٦) ج ٥٠٣٤

(٢) انظر النيبان في آداب حملة القرآن (ص ١٠٢)

(٣) انظر الكلمات الحسنة (ص ١٠٣)، (٤) الشكوك في فضل الألفاظ (ص ١٧٢)

(٥) انظر المصدر نفسه (ص ١٧٢)، النيبان في آداب حملة القرآن (ص ١٠٢)

فراشه، أو نحو ذلك من الأحوال حارة، وله أجر، ولكن دون الأولى<sup>(١١)</sup>.  
 وملك لأن الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِحُسْنِ ذِكْرِهِمْ  
 وَيَقُومُونَ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِفِينَ﴾ والآخرة ﴿اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كنا نرسل الله صلى الله عليه وسلم ينكسر في حجرني وأنا  
 خائفة، فيقرأ القرآن»<sup>(١٢)</sup>.

وهذه من الأفعال التي كان يعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا لبيان جوارها،  
 ولكن يؤخذ منها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن في سائر أحواله.

وقد نت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أني لأقرأ جزئي<sup>(١٣)</sup> وأنا مضطجعة  
 على سريري»<sup>(١٤)</sup>.

٨ - استحباب تطيب الفم بالشواك:

يستحب للمفارق أن يتطبخ فاه بالشواك<sup>(١٥)</sup>، نادياً مع كلام الله وإجلالاً له،  
 وتطهيراً للفم، وإرضاء لربه، ولأن التلاوة عبادة لسانه فتطيب الفم وتطيبه عند  
 ذلك أدب حسن.

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشواك مطهرة للفم - مرضاة للرب»<sup>(١٦)</sup>.  
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأذب مع كلام ربه تعالى، ويطلب فاه بالشواك في نيابه  
 لصلاة الليل: عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل، يشوص فاه  
 بالشواك»<sup>(١٧)</sup>.

(١١) التبيان في أفعال حسنة القرآن (ص ١٠٤).

(١٢) إرواه مسلم، كتاب الحج، باب الاحتطاع مع الحائض في لحاف واحدة (١/٣٤٦).

(ص ٣٠١).

(١٣) هو مقدار معلوم من القرآن تواظب عليه فقرأه يوماً.

(١٤) إرواه الترمذي في معصّل القرآن، (ص ٢٣٠) رقم (١٠٤١)، وأبو عبد الله في معصّل القرآن  
 (ص ١١٩) رقم (١٩١)، (ص ١١٩).

(١٥) انظر الأثر (ص ١٦٠)، التبيان (ص ٩٥).

(١٦) إرواه الترمذي (١٠/١) (ص ٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٢/١)  
 (ص ١٥)، والأردب (١٠٤/١) (ص ٦٥)، وفي صحيح الجامع (١/٦٨٨) (ص ٣٦٩٥).

(١٧) إرواه البخاري، كتاب الوصوء، باب: الشواك (١/١٩٨) (ص ٢٤٥).

ونستأنس لذلك أيضاً بقول علي بن أبي طالب عليه السلام : **إِذَا أَقْرَأْتُمْ عَرَفْتُمْ** يقرأون، فطوبوا بالتواضع<sup>(١)</sup>

### ٩ - الاستعاذة عند افتتاح التلاوة

يُسَنُّ للقارئ الاستعاذة قبل التلاوة، امتثالاً لقوله تعالى: **﴿عِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾** (الزلزال ٩٨)

فهذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعملوا بالله من الشيطان الرجيم، وهو أمر نبيه وليس بواجب<sup>(٢)</sup>، والاستعاذة ليست أبة عن القرآن بالإجماع

والحكمة منها ظاهرة، وهي ألا يكسب الشيطان على القارئ فزاعته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكير<sup>(٣)</sup>

• وجاء عن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا قام من الليل كثر ثم يقول

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَبِإِذْنِكَ أَسْأَلُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا ثَلَاثًا، أَلْعَزُودُ بِاللَّهِ السُّجُودِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ عَمْرٍو<sup>(٤)</sup> وَتَقْبِيهِ<sup>(٥)</sup>، ثُمَّ يَقْرَأُ<sup>(٦)</sup>

(١) رواه ابن ماجه (١٠٦/١) (ج ١٢٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١) (٥٣) (ج ٢٣٦) (٢١٩/٣) (ص ١٩٥٣)

(٢) النظر الشهاد في أدب حملة القرآن (ص ٦-١١)، اللذكار في أفضل الأذكار (ص ١٧٣) لإيمان في علوم القرآن (١/٢٦٢).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١١/٦٠٨)

(٤) عمدة السلفان الإنسان عتقاً غرض في قلبه وسواساً وهزات الشيطان: عطرته التي يُخطرها بقتل الإنسان انظر لسان العرب (١٥/١٣٢) مادة: (عمز)

(٥) (لفظه): التقيح الكثرة لأن المتكرر يتعاقب ويجمع عليه (الفتح، فيحتاج أن يقع، انظر لسان العرب (١٥/٢٢٨) مادة: (تقيح)

(٦) (لفظه): التفت الشكر، وشي التفت شعراً لأنه كالشيء، يفتقه الإنسان من فيه، مثل لؤيه انظر لسان العرب (١٤/١٢٣) مادة: (تفت).

(٧) رواه أبو داود (١/٢٠٦) (ج ٧٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود -

الآية والحديث فهما صفتان للاستعانة:

الأولى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ومفعله  
وحته، صحتُ للقارئ أن يعمل بهذه وعنده.

البدء بالاستعانة عامراً بالقرآن الكريم

لا تُشرع الاستعانة بين يدي كلام محبوب غير قراءة القرآن العظيم، فعرض  
الناس بذكر الاستعانة عند البدء بذكر حديث أو موعظة، ونحو ذلك، فهذا لا  
أصل له<sup>(١)</sup>، وهو مقتضى ما به عليه ابن القيم لظلاله في ميثاق فوائد الاستعانة - إذ  
قال: «ومنها أن الاستعانة قبل القراءة إعلام بأن السائل به بعدد القرآن، ولهذا  
لم تُشرع الاستعانة بين يدي كلام غيره، بل الاستعانة مفدّمة وتبهيه للمستمع أن  
الذي يأتي بعدها هو التلاوة، فبدأ سمع السامع الاستعانة استعداداً لسماع كلام الله  
تعالى، ثم شرع ذلك للقارئ، وإن كان وحده، بما ذكرنا من هذه الحكيم  
وغيرها»<sup>(٢)</sup>.

١٠ - السُّمْلَةُ<sup>(٣)</sup>:

ودليل سُمْلَتِهَا ما جاء عن أبي بصير رضي الله عنه قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ  
نَتِينٍ أَظْهَرِيًّا، إِذْ أَغْمَسَ إِعْقَامَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَسَمِّئًا، فَقُنْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً سَوْدِيَّةً، فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،  
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ الْكُورْثِ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْصِرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَهِدْتَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾  
[الكورثي الحديث]<sup>(٤)</sup>.

(١) = (١/١٤٨) (ج ٧٠١)

(٢) انظر تصحيح الدعاء (ص ٢٧٣)

(٣) إعانة اللهفان من مصابيد الشيطان (١/٩٢).

(٤) جاء في كتاب تصحيح الدعاء (ص ٢٧٤): «آية السُّمْلَةِ، نَحْوُ نَقُولُكَ بِسْمِ اللَّهِ  
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بِحَلَفٍ: «السُّمْلَةُ» فِي حَادِثٍ عَنِ لَوْلٍ، هَسَمَ اللَّهُ وَلَجِلٌ، مِنْ ذَكَرَ اللَّهُ،  
بِأَيِّ لَفِيظٍ كَانَ، وَحَصَلَ سَمْعٌ فِي «الإطالة».

(٥) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب أحقة من قال: السُّمْلَةُ هِيَ سِرُّ لَوْلٍ عَلَى سُورَةِ...



ومعنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: أي بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته. وهذه تعليم من الله تعالى لعباده ليدكروا اسم الله تعالى عند افتتاح القراءة وغيرها حتى يكون الافتتاح ببركة اسم الله <sup>(١١)</sup>. فلا يتباهى بالسمنة من باب التبرك والتيسر بذكر اسم الله <sup>(١٢)</sup>.

ينبغي للفارئ أن يحافظ على قراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول كل سورة، سوى سورة (التوبة) فإن أكثر العلماء قالوا: (إنها آية، حيث كتبت في المصحف، وقد كتبت في أوائل السور كلها إلا سورة (التوبة))، وذلك لأن لشحاة الكرام <sup>(١٣)</sup> احتلفوا فيما بينهم هل هي تنمة لسورة الانفال أو أنها سورة مستقلة بذاتها، قرأوا أن يفصلوها في المصحف ولا يصعدوا قبلها السمنة <sup>(١٤)</sup>.

### ١١ - خضر الفكر أثناء التلاوة:

لا بد من الإقبال بالكلية على القراءة، وتفريغ النفس من شواغلها، قبل البدء بالتلاوة، وذلك لأن المهليات تلج على النفس وتعرض لها كذلك ينبغي أن يخضر الفكر على القرآن وحده. ويشتغ من الشرود والشجوال في مغربات الحياة الدنيا.

ومن تفرغ النفس من شواغلها ألا يكون الفارئ جائعاً، أو عطشاً، أو مهموماً قلقاً مضطرباً، أو يعيش في برد شديد، أو حر مؤدٍ، أو جالساً في مكان

(١١) سوى برائة (٣٠٠/١) (ج ١١٠٠).

(١٢) تيسر السرفندي (١٣٧/١) تيسر الفرطني (٢٩٨/١).

(١٣) ذكر العرمن عند السلام تلك فائقة جامعة فقال: أفعال العباد على ثلاثة أقسام: ما شئت فيه التسمية كالوصوء، والغسل، والتيمم، وضيع المناسك، وقراءة القرآن، وعت أهباً مباحات كالأكل والشرب والجماع، وما لم يسر فيه كالصلاة، والأذان، والخطب، والعمرة، والأذكار، والنفوس، وما تكروه، وهي المحرمات، لا تبدأ العرمن من التسمية، التبرك في العمل المشتمل عليه، والحرام لا تقرأ كثيره وبركته، وكذلك المكروه.

بطلاً عن: تصحيح الدعاء (ص ٢٧١).

(١٤) انظر: الشبان في آداب حنيفة القرآن (ص ١١١) التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٧٣).

الإيمان في علوم القرآن (٢٠٣/١).

عالم ينظر فيه للعاديين والرائحين وينشغل بهم، أو حائساً أمام النظارة، عينا، في القرآن، وأذناه تستمع إلى التلفاز.

فإذا ما حصر القارئ فكره أثناء التلاوة وجعله مع القرآن، فسبحرج بزاو عظيم من التلاوة<sup>(١)</sup>

## ١٢ - استحباب الترتيل وكرهية السرعة المفرطة.

اتفق العلماء - رحمهم الله - على استحباب الترتيل<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ رَتِيلًا﴾ (المرسل: ١٤).

أي: يتي القرآن إذا قرأه تبيناً، وترتل فيه ترسلًا<sup>(٣)</sup> والتبيين يحصل بعدم الاستعجال في القراءة، وذلك بتوفيتها حقها من الإتيان<sup>(٤)</sup>

قال العمري رحمه الله: «ترتيل القراءة: الثاني والثمهل، وتبيين الحروف والحركات، شيئاً بالتحرر المرتل، وهو المشي بتوز الأحرار»<sup>(٥)</sup>.

وقال الزاري رحمه الله: «الترتيل هو أن يذكر الحروف والكلمات شيئاً ظاهرة والغائبة فيه: أنه إذا وقعت القراءة على هذا الوجه فهم من نفسه معاني تلك الأنفاط، وأهمهم غيره تلك المعاني، وإذا قرأها بالسرعة لم يفهم، ولم يفهم، فكان الترتيل أولى»<sup>(٦)</sup>

وجاء في (التسهيل لعلوم التنزيل): «الترتيل: هو التمهّل، والمد، وإتيان الحركات، وبيان الحروف، وذلك مُعين على التفكّر في معاني القرآن، بخلاف الهد الذي لا يفقه صاحبه ما يقول»<sup>(٧)</sup>

(١) انظر مفاتيح للتعامل مع القرآن (ص ٥٣ - ١٤٤).

(٢) انظر البيان في آداب حملة القرآن (ص ١١٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤٣/١٤٣) وجاء في (مختار الصحاح) (ص ١٩٨) «وللترتيل في القراءة الترتيل على غير يلمى»

(٤) انظر نساء العرب ١١٤/١٢٦٥، مادة: رتل.

(٥) شرح المشي (١٦٥/٢).

(٦) التفسير الكبير (٦٠/١).

ومما تقدم بيننا لنا أن الترتيل أقرب إلى الإجلال والتقدير، وأشد تأثيراً في القلوب، فكيف وقد أير به وأكد عليه في الشرع، ففعله التزام بهدي النبي ﷺ في تلاوة القرآن.

وقد امتثل ﷺ أمر ربه فرتل القرآن ترتيلاً:

• فعن قتادة تكلمة قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كان يمدّ مدّاً»<sup>(١)</sup>.

• وعن قتادة تكلمة قال: سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟

فقال: «كانت مدّاً، ثم قرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يمدُّ بِسْمِ اللَّهِ، ويمدُّ بِالرَّحْمَنِ، ويمدُّ بِالرَّحِيمِ»<sup>(٢)</sup>.

• وتصف حفصه ﷺ قراءة النبي ﷺ فتقول: «كان يقرأ بالسورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول بينها»<sup>(٣)</sup>.

التحذير من الاستعجال في التلاوة:

كره كثير من السلف من الصحابة ومن بعدهم؛ العجلة المفرطة في تلاوة القرآن الكريم، ولو كان الباعث على ذلك الحصول على قدر أكبر من الحسان؛ لأن الاستعجال يفتقر مصلحة كبرى، وهي تدبر آيات القرآن، والتأثر بها.

• وللصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ كلام في ذم الإسراع في تلاوة القرآن: فقد جاءه رجل فقال له: إني لأقرأ المفضل في رجة.

فقال عبد الله: «هَذَا كَهَذَا الشُّعْر»<sup>(٤)</sup>، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوزوا

(٢)(١) رواهما البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: مدّ القراءة (١٦٢٥/٣) (ح ٥٠٤٥)، (٥٠٤٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز الناقلة قائماً وقاعداً (٥٠٧/١) (ح ٧٣٣).

(٤) (هَذَا كَهَذَا الشُّعْر): نضبه على المصدر. أي أنهذا القرآن هذا، فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٥٤/٥). وقال النووي ﷺ: «قوله (كهذا الشعر) معناه: في حفظه ودرواينه لا في إنشاده وترنمه؛ لأنه يُرتل في الإنشاد والترنم، في العادة». صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٥/٦).

تَرَأَيْهِمْ<sup>(١)</sup> . وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ، نَفَعَ . . .<sup>(٢)</sup> .

\* وعن أبي جهمرة<sup>(٣)</sup> كَلَّمَهُ قَالَ: «قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ، وَإِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ، فَقَالَ: لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ فَأَدْبِرَهَا وَأَرْتَلَهَا؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ»<sup>(٤)</sup> .

وفي رواية: «فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا لَا بُدَّ، فَاقْرَأْ قِرَاءَةً تُسْمِعُ أذُنَيْكَ وَيَعْبَهُ قَلْبُكَ»<sup>(٥)</sup> .

\* وَسُئِلَ مُجَاهِدٌ كَلَّمَهُ عَنْ رَجُلَيْنِ: قَرَأَ أَحَدُهُمَا الْبَقْرَةَ، وَقَرَأَ الْآخَرُ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ رُكُوعُهُمَا وَسُجُودُهُمَا وَجُلُوسُهُمَا سَوَاءً. أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: الَّذِي قَرَأَ الْبَقْرَةَ. ثُمَّ قَرَأَ مُجَاهِدٌ: «وَقَوْمًا نَا فَرَقَتْهُ لِنَقْرَأُ عَلَى الْآتِينَ عَلَى مَكِّي وَنَزَلَتْهُ نَزِيلًا» [الإسراء: ١٠٦]<sup>(٦)</sup> .

قال القرطبي كَلَّمَهُ: «يُسْتَحَبُّ أَنْ يُؤَدِّيَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ مِنَ الْأَدَاءِ حَتَّى يَبْرُزَ

(١) (لَا يُجَاوِزُ تَرَأَيْهِمْ): أَي لَا يَجَاوِزُ الْقُرْآنَ تَرَأَيْهِمْ لِيَصِلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ، فَلَيْسَ حَظُّهُمْ مِنْهُ إِلَّا مَرُورُهُ عَلَى أَسْتِهِمْ. وَالْقَرَأِيُّ: جَمْعُ تَرْقُوعَةٍ، وَهِيَ الْعِظَمُ الَّذِي بَيْنَ ثَغْرَةِ الشَّحْرِ وَالْعَاتِقِ، وَهِيَ تَرْقُوعَتَانِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٨٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: ترتيب القراءة واجتناب الهدأ، وهو الإقراط في السرعة (١/٥٦٣) (ح ٨٢٢).

(٣) هو نصر بن عمران الطَّبَعِيُّ البَصْرِيُّ، أَحَدُ الْأَثَمَةِ الثَّقَاتِ، لَقِيَ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالبصرة شهرين. توفي سنة (١٢٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٤٣).

(٤) رواه ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢٣٦). وقال محققه (أبو إسحاق الحويني): «إسناده صحيح». ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٧٤)؛ والأجزي في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٨٩).

(٥) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٣٩٦) (رقم ٣٨٧٦) و(٣/١٣) (رقم ٤٤٩١)؛ وفي «شعب الإيمان» (٢/٣٩٢) (رقم ٢١٥٩)؛ وابن المبارك في «البرهان» (١/٤٢٢) (رقم ١١٩٨). وقال محقق «الفضائل» (أبو إسحاق الحويني): «إسناده صحيح». انظر: حاشية الفضائل (ص ٢٣٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/٢١٩) (رقم ٢٢٧٨٣)؛ وابن أبي شيبه في «مصنفه» (٢/٢٥٦) (رقم ٨٧٣٥)؛ والأجزي في «أخلاق حملة القرآن» (ص ٩٠)؛ وابن عبد البر في «الاستذكار» (٢/٤٧٨).



الكلام بالنلفظ تملأ... وإذا كان له بكل حرفه عشر حركات، فبشيء له إلا يهمل حرفاً البته إمام. فيكون قد أتى على جميع القرآن، ولم يبق شيئاً، فنكون حتماً أصح من حنفة إذا ترخص بحذف ما لا يضر حذفه، إلا ترى أن صلاة من استوى في جميع شرائطها أنتم ممن ترخص بترك ما يجوز تركه؟<sup>(١)</sup>

(مسألة) أيهما أفضل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها؟

قال بعضهم: إن نواب قراءة الترتيل أحلُّ قديراً، وثواب الكثرة أكثر عدداً، لأن لكل حرف عشر حركات<sup>(٢)</sup>

ولقد تناول ابن حجر تلك هذه المسألة بالتحقيق وفضل فيها قائلاً: والتحقيق أن لكل من الإسراع والترتيل جهة فضل، شرط أن يكون المستمع لا يحلُّ بشيء من الحروف والحركات والشكوك الواحبات، فلا يمنع أن يعطل أحدهما الآخر وأن يستويا، لأن من رتل وتأمل كمن تصدق بجمهورية واحداً متعدياً، ومن أسرع كمن تصدق بمئة حواري فكثر قيمتها الواحدة، وقد يكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأحراب. وقد يكون بالعكس<sup>(٣)</sup>.

١٣ - استحباب تحسين الصوت بالقرآن:

قل النووي تلك الإجماع على ذلك، فقال: «أجمع العلماء رضي الله عنهم من التلف والحنف من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن»<sup>(٤)</sup>.

يدل على ذلك ما رواه النووي رضي الله عنه قال: «سئلت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿وَالْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النبي (١) في العشاء، وما سئلت أحداً أحسن صوتاً منه، أو لزاماً»<sup>(٥)</sup>.

(١) التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٧٤)

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١٠٨/١)، الإنقاذ في علوم القرآن (ص ٢٦٦).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨٩/٩).

(٤) النيبان في آداب عملة القرآن (ص ١٤٤).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب القراءة في العشاء (١١/٣٤٦) (ص ٧٣٩).

وفي استحباب تحسين الصوت بالقرآن وردت أحاديث عدة، منها:

• ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمْ يَأْخُذِ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ يَنْتَلِي بِالْقُرْآنِ»<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير رحمته الله: «ومعناه أن الله تعالى ما استمع نسيءاً، كما استماعه لقراءة من يجهل غرامه ويحسها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتعام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو ﷺ يسمع أصوات العباد كلهم برهم وناجرهم»<sup>(٢)</sup>.

• وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه - أيضاً - قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَتَّقِنِ بِالْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>.

• وما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَرَّتْهُوَ الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

«والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريه، ونحزيه، والنحشع به»<sup>(٥)</sup>.

وذكر ابن القيم رحمته الله الحكمة من استحباب تزيين القرآن بالصوت، فقال: «الآن نريسه، ونحسين الصوت به، والتطريه غرامه أوقع في القوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، فيه تبعاً لفظه إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب، وذلك عزون على المصنوع، وهو بمنزلة الحلوة التي تجعل في الدواء يثبتها إلى موضع الشفاء... لا يخرج الكلام عن وضعه، ولا تحول بين السامع وبين نفسه، ولو كانت منصتة لزيادة الحروف كما ظن المايغ منها؛ لأنها خبت الكلمة عن مواضعها، وحالت بين السامع وبين فهمها، ولم يذر ما معناها، والواقع بخلاف ذلك»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن (١/١٦٦٩) (ج ٢٢ - ٥٠).

(٢) فضائل القرآن (ص ١٧٧ - ١٧٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، ص: «وَأَيْتُوا وَلَكُمْ لِرُتَبَتِهِمْ» (أصلها: ١١٣/٤).

(٤) (ج ٢٣٧ - ٧٥٢٧).

(٥) رواه أبو داود (٢/٧٤) (ج ٤٦٨ - ١٥١) وصححه الألباني في صحيح مسد أبي داود (١/١٧٧).

(٦) فضائل القرآن، لابن كثير (ص ١٩٠).

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٤٥٩ - ٤٦٠).

قال النووي رحمته الله: «يستحب تحسين الصَّوت بالقراءة وترتيبها، ما لم يخرج عن حدِّ القراءة بالتَّمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفاً، أو أخفاه فهو حرام»<sup>(١)</sup>.

بين التَّغني المحمود والملموم:

قال ابن القيم رحمته الله: «وَفَضَّلُ التَّرَاعُ، أَنْ يُقَالَ: التَّطْرِبُ وَالتَّغْنِي عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: ما اقتضته الطَّبيعة، وسمحت به من غير تكلف، ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا جُلِّي وطَبَّعَه، واسترسلت طبيعته؛ جاءت بذلك التَّطْرِبُ وَالتَّلْحِينُ، فذلك جائز، وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتجسين، كما قال أبو موسى رحمته الله للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِحَبْرَتِهِ لَكَ تَحْيِيرٌ»<sup>(٢)</sup>،... فهذا هو الذي كان السَّلَفُ يَفْعَلُونَهُ، ويستمعونه، وهو التَّغْنِي الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به الثَّالِي وَالسَّامِعُ،...

الوجه الثَّانِي: ما كان من ذلك صِنَاعَةً من الصَّنَاعِ... كما يُتَعَلَّمُ أصواتُ الغناء بأنواع الألحان البسيطة، والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزانٍ مخترعة، لا تحصل إلا بالتَّعَلُّمِ وَالتَّكَلُّفِ، فهذه هي التي كَرِهَهَا السَّلَفُ، وعابوها، وذمُّوها، ومنعوا القراءة بها...

وكلُّ مَنْ له عِلْمٌ بأحوال السَّلَفِ، يعلم قطعاً أنَّهم بُرِّئُوا من القراءة بالألحان الموسيقي المُتَكَلِّفَةِ التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أنقَى اللهُ مِنْ أَنْ يَقْرَؤُوا وَيُسَوِّغُوهَا، ويعلم قطعاً أنَّهم كانوا يقرؤون بالتَّحْزِينِ وَالتَّطْرِبِ، وَيُحَسِّنُونَ أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بِسَجْوَةٍ تارة، وبَطَرْبٍ تارة، وبِشَوْقٍ تارة، وهذا أمر مركوزٌ في الطَّبَاعِ تقاضيه، ولم يَنْهَ عَنْهُ الشَّارِعُ، مع شدَّةِ تقاضِي الطَّبَاعِ لَهُ، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن سماع الله لَمَنْ قرأ به»<sup>(٣)</sup>.

والمقصود الأعظم من تحسين الصَّوت: هو أن يكون قنطرة إلى تدبُّر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطَّاعة.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٤٥ - ١٤٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٦٩/١٦) (ح ٧١٩٧)، والحاكم في «المستدرک» (٣/ ٥٢٩) (ح ٥٩٦٦). وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقهُ النَّعْمِي.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٩٢ - ٤٩٣).

١٤ - النهي عن القراءة بالألحان المطرّبة<sup>(١)</sup>:

القرآن الكريم ينزه ويجلّ ويعظم عن تلاوته بالأصوات والنغمات المُحدثة، المركّبة على الأوزان، والأوضاع المُلهية وأصوات المزامير<sup>(٢)</sup>.

ولقد حذّر النبي ﷺ من زمان يأتي يتخذ الناس فيه القرآن للغناء والمزامير:

فمن عَلِمَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ خِصَالاً سِتّاً:

إِمْرَةَ السُّهْمَاءِ، وَكَثْرَةَ الشَّرْطِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافاً بِاللَّمِّ، وَتَشْوِياً يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ لَيْسَ بِأَفْقَهُمْ وَلَا أَهْلَهُمْ، مَا يُقَدِّمُونَهُ إِلَّا لِيَتَّعِبَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام مالك<sup>(٤)</sup> رحمه الله: «ولا تُعْجِبُنِي الْقِرَاءَةُ بِالْأَلْحَانِ، وَلَا أَجِبُهَا فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ يُشْبِهُ الْغِنَاءَ، وَيُضْحِكُ بِالْقُرْآنِ، فَيُقَالُ: فَلَانٌ أَقْرَأَ مِنْ فَلَانٍ»<sup>(٥)</sup>،<sup>(٦)</sup>.

(١) المراد بالألحان المطرّبة: هي التي تشبه الغناء، وربما وقع ذلك من بعض أئمة المساجد في زماننا هذا، علموا أم لم يعلموا، فيخيّل لك عند سماع قراءتهم أنك تسمع أغنية، من قلب الصوت، وتغيير النغمات، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

انظر: كتاب الآداب، فزاد الشلهوب (ص ٢٥).

(٢) انظر: فضائل القرآن، لابن كثير (ص ٦٩٥).

(٣) رواه أحمد في «المسنند» (٣/٤٩٤) - (ح ١٦٠٨٣)؛ وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٦٦)؛ وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ١٩٧)؛ وابن أبي شيبة في «مصنف» (٧/٥٢٩) - (ح ٣٧٧٣٦)؛ وابن عبد البر في «المتهجد» (١٨/١٤٧) و«الاستذكار» (٣/١١٨)؛ وصححه الألباني في «الصّححة» (٢/٧٠٩) - (ح ٩٧٩)؛ و«صحيح الجامع» (١/٥٤٣) - (ح ٢٨١٢).

(٤) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي (أبو عبد الله) الإمام الفقيه، والمحدث الحافظ، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، يُنسب إليه المذهب المالكي، روى عن كثير من التابعين، وروى عنه خلق كثير من المحدثين الحفاظ، وكان في غاية الدقة والثقة في الحديث، ويُعدّ في الطبقة السابعة من التابعين من أهل المدينة، له مصنفات أشهرها: «الموطأ»، توفي سنة (١٧٩هـ) وعمره (٨٥) سنة.

انظر: تقريب التهذيب (٢/٢٢٣)؛ البداية والنهاية (١٠/١٧٤).

(٥) أي: يصير فيه نوع تناقض قد يُفضي إلى العداوة!

(٦) المدخل إلى كتاب الإكليل، لأبي عبد الله الحاكم (٣/١١٠)؛ الحوادث والبدع (ص ٨٣).



وجاء في (الأدب الشرعية) مذكراً أحمد قوله للألحان، وقال: هي بدعة<sup>(١)</sup>، وقد مثل الإمام أحمد ثلاثة عن القوم يجتمعون، ويقرأ لهم القارئ قراءة حريفة<sup>(٢)</sup> فقال: «إن كان يقرأ بقراءة أبي موسى رضي الله عنه فلا بأس» - وقال في قراءة الألحان: «وأخذوها من الغناء لا تسمع منهم»<sup>(٣)</sup>.

### أسباب تحريم الألحان المقترنة

ذكر أهل العلم عدة أسباب في تحريم الألحان المقترنة، منها<sup>(٤)</sup>:

- ١ - تشبيه القرآن الكريم بدمار الشيطان.
- ٢ - تشويه القرآن الكريم عن محاولة لحريفة.
- ٣ - القرين معجز بلفظه ونظمه، والألحان تشويه.

وجاء في (مطالب أولي النهي) «فإن حصل معها (أي الألحان) تغيير نظم القرآن، كتحفل الحركات حروفاً حُرِّمَ ذلك. وسئل الإمام أحمد عن ذلك؟ أي عن تغيير نظم القرآن فقال للسائل: ما أسكت؟ فقال: محمد فقال أسرك أن يقال يا موحلاً؟ فقال: لا»<sup>(٥)</sup>.

### ٤ - القرب وتهيج الطباع

ذكر ابن الجوزي ثلاثة شياً من تليس إبليس على الوقاظ والقصاص فقال: «ومنهم من ينحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التي أخرجوها اليوم مشابة للغناء، فهي إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة، والمقارن بطرب، والقاصُّ يند العز»<sup>(٦)</sup>.

### ٥ - تلهي عن تدبير القرآن

٦ - تغيير الكلمات والحركات الصَّحِيحة إلى غير ذلك، كزيادة حرفية، أو نقصان، وإدغام ما لا ينبغي أن يدغم، واستخدام المد في غير موضعه، وإسقاط الهمز، وهكذا.

(١) (٣٠١/٢)

(٢) انظر: القصاص والتدبير، عبد الأحسن بن علي العرشي (ص ٣٦١)

(٣) انظر: مطالب أولي النهي (١/٥٩٨)، القصاص والتدبير (١/٣٦١)

(٤) (١/٥٩٨)

(٥) تليس إبليس (ص ١٤١)

قال الطُّرَيْحِيُّ تَلْفُظًا مِمَّنْ مَفْرُوضٌ حَدِيثُهُ عَنِ أَصْحَابِ الْأَلْحَانِ وَتَعْبِيرُهُمْ  
لِلْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ. إِلَى مَا يُرَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَأَدْوَابَهُمُ الْفَاسِدَةَ. فَتَلْفُظُوا الْقِرَاءَةَ إِلَى  
أَوْسَاعِ لُحُونِ الْأَعَانِي، فَصَوُّوا الْمَقْصُورَ، وَفَضَرُوا الْمَسْدُودَ، وَحَرَّكُوا السَّائِمِ،  
وَسَكَّنُوا الْمُتَحَرِّكَ، وَزَادُوا فِي الْحَرْفِ، وَنَقَصُوا مِنْهُ، وَجَزَمُوا الْمُتَحَرِّكَ، وَحَرَّكُوا  
الْمَجْزُومَ، لِاسْتِيفَاءِ نِعَمَاتِ الْأَعَانِي الْمُطَرَّبَةِ<sup>(١١)</sup>.

### ما أشبه اللُّهْلَه بِالْبَارِحَةِ:

بعض قراء الإناجات بقرؤون القرآن على ألبان الأغانى (الآلوة الموسيقية)،  
بل تدبهم قواعد نفوس من خلالها الموسيقى والألبان من طلعات ونبرات  
يلزمونها للتطريب والتلحين بالقرآن، فكيف يحصل الحشوع في مجلس كهذا<sup>(١٢)</sup>  
فإنشامع إما أن يكون ماعرفاً بجمال النغمات، أو متفرجاً من شدة التكلف!

وبعضهم يحضر حفلات الغناء في النصف الأول وعينهم العمائم، من أجل  
أن يلفظوا النغم المناسب كي يقرؤوا به في الإنازة. ولذلك عم النبي الكريم ﷺ  
هولاء نغماً عظيماً، وأحمر - وهو الضائق المصدوق - أنه سيأتي يوم في آخر  
الزمان بقرؤونه بهذه الطمعة، يجعلهم القرآن مثل الأغانى.

فبالخلاصة - أن هذا العمل الذي يقصد به التطريب والعت بالمدود وزيادة  
الحركات أو التناؤهات، مفهوم وصاحبه أتم<sup>(١٣)</sup>

### ١٥ - وجوب تدبر القرآن

تدبر القرآن الكريم هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم من التلاوة، وبه  
نشرح الصدور، ونستير القلوب، ونقد تضامرت النصوص على وجوب تدبر آيات  
الكتاب العزيز، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لَذِينَ هُمْ عَلَيْهَا غَافِلُونَ﴾ (ص: ١٢٩).

قال الشبوطي تَلْفُظًا: فوصفة ذلك. أن يشغل منه بالتدبر في معنى ما يلفظ  
به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قول ذلك؛ فإذ كان

(١١) المواويذ والذبح (ص: ٨٥).

(١٢) انظر: من القصص السوي، محمد صالح المنجد (ص: ٨١ - ٨٢).

مِمَّا قَصُرَ عَنْهُ فِيمَا مَضَى اعْتَبِرْ وَاسْتَغْفِرْ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةِ اسْتَبْشِرْ وَسْأَلْ، أَوْ عَذَابٍ أَسْفَقْ وَتَعَوَّذْ، أَوْ تَنْزِيهِ نَزَّهٍ وَعَظْمٍ، أَوْ دَعَاٍ تَضَرَّعٍ وَطَلَبٍ»<sup>(١)</sup>.

وقد نَدَّدَ اللهُ تَعَالَى بِصُورَةِ الاسْتِفْهَامِ بِمَنْ لَا يَفْتَحُ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ لِنَفْهِمِ الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ إِدْرَاكِ مَا فِيهِ مِنْ حِكْمٍ وَأَسْرَارٍ وَمَوَاعِظٍ وَتَشْرِيعَاتٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَزْ عَلَيْنَ قُلُوبِ أَفْقَالِهِمْ﴾ [محمد: ٢٤].

فليست العبرة - في التلاوة - أن يقرأ القرآن مرّات متعدّدة دون أن يصاحبها إدراك لما يقرأ، والترتيل والتدبّر مع قلة مقدار القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها؛ لأنّ المقصود الأعظم من التلاوة هو الفهم والتدبّر.

والإسراع في التلاوة يدلّ على عدم الوقوف على المعنى بصورة كاملة، وبالشكل المطلوب، ومن أجل ذلك كانت القراءة يتمهّل خطوة نحو التدبّر، ثمّ العمل<sup>(٢)</sup>.

## ١٦ - استحباب البكاء أثناء التلاوة:

يستحب للقارئ أن يبكي أثناء تلاوته للقرآن، فإن لم يكن يبكاء فليتبك، والبكاء من خشية الله تعالى، وعند تلاوة آياته، من صفات العارفين، وشعار عباد الله الصّالحين، قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَرْبُّدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]<sup>(٣)</sup>.

\* وروى عبد الله بن الشّحير رضي الله عنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِجَوْفِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمَرْجَلِ»<sup>(٤)</sup> - يعني: يبكي<sup>(٥)</sup>.

(١) الإتقان في علوم القرآن (ص ٢٦٥).

(٢) انظر: دعوة إلى تدبير القرآن الكريم (ص ٤١).

(٣) انظر: تفسير اليفوي (٣/١٤١)؛ النبيان في آداب حملة القرآن (١/٢٨٥)؛ الإتقان في علوم القرآن (١/٢٨٥).

(٤) (المَرْجَلُ) قِدْرٌ مِنْ نَحَاسٍ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى قِدْرٍ يُطْبَخُ فِيهَا، وَلَعَلَّهُ الْمُرَادُ فِي الْخَبَرِ. قَالَ الطَّبْرِيُّ نَفَثَهُ: «أَرِيزِ الْمَرْجَلِ صَوْتُ غَلِيَانِهِ، وَمِنْ الْأَرِزِ، وَهُوَ الْإِزْعَاجُ».

انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣/١٢١).

(٥) رواه النسائي (٣/١٣) (ح ١٢١٤)؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (٣/٥٣) (ح ٩٠٠)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٢/٤٣٩) (ح ٦٦٥)؛ والحاكم في «المستدرک» (١/٣٩٦) (ح ٩٧١) =

• وفي رواية أخرى: «ولم يصفوه أبداً كما وصف المرخص»<sup>(١)</sup> ابن  
الكثير<sup>(٢)</sup>.

• وقال عبد الله بن شداد<sup>(٣)</sup>: «سبغت شبح غمراً»<sup>(٤)</sup>، وأما في خبر  
الطبري، يقرأ: «إِنَّمَا تَشْكُرُونَنِي وَتَحْتَرِفُونَ إِلَيَّ»<sup>(٥)</sup> يوسف<sup>(٦)</sup>.

• وقال الحسن الصري<sup>(٧)</sup> رحمه الله: «والله يا ابن آدم، لئن قرأت القرآن لم آت  
به، لبطول في الثنبا حزنتك، ولتشدت في الدنيا خوفك، وليكثر في الثنبا  
كذلك»<sup>(٨)</sup>.

• وقال: «صحيح على شرط مسلم» ولم يقرئناه، والله أعلم. وصححه الألباني في  
صحيح سنن النسائي<sup>(٩)</sup> (٢٦٠/١) (ج ١١٥٦)

(١) (أبواب الزحى) صحتها وجرحها

(٢) (من الكناه) أي من أخذ. انظر: عون المعبود (٣/١٢٢).

(٣) رواه أبو داود (٢٣٨/١) (ج ١١٩٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١١٧٠) (ج ٧٩٩)

(٤) هو عبد الله بن شداد بن الهاد، تابعي كبير - له (٧) رواية - وأبوه شعبة

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/٢٦٧).

(٥) الشئخ: حال ابن فارس رحمه الله: «شخ الباقى» فعل بالكناه في حلقه من غير استعاب  
فمعهم مقاييس اللغة (٢/٥٦٠). وقيل الشئخ صوت معه ترجيع كما يرد الضي  
بكاهن من مذكور.

وقيل هو أمثد الكناه. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/٢٦٧).

(٦) رواه البخاري تعليقاً، كتاب الأذان، باب: إذا نكر الإمام في الصلاة (١/٢٦٥)

قال ابن حجر رحمه الله: «وهذا الأثر وضعه سعيد بن منصور عن أبي حنيفة عن إسحاق بن  
محمد بن سعد سمع عبد الله بن شداد هذا» (رواه: (في صلاة الضحى).

فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/٢٦٧).

وانظر: سنن سعيد بن منصور (١٠٥/١٥) (ج ١١٢) ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه  
(١/٣١٢) (رقم ٣٥٦٥)، (٩/٢٢٤) (رقم ٣٥٥٦)، وعبد البرقاني في مصنفه (٢/١١٤)

(رقم ٣٧١٦)

(٧) رواه أبو حنيفة في «الحنيفة» (٢/١٦٣) والعمري في «تهذيب الكمال» (٦/١١٢) والدمي  
في «تاريخ الإسلام» (٧٠/٥٧) و«سير أعلام النبلاء» (٤/٥٧٥) وأحمد في «المؤلف»

(١/٢٥٩).



وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ضَوْئًا بِالْقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا عَلِمْتُمُوهُ يَلْزَمُ، حَيْثُمُوهُ يَخْشَى اللَّهَ»<sup>(١)</sup>

قال أبو حامد العراقي رحمته الله: «السكاه مستحب مع القراءة . . . وإنما طريق تكلف السكاه أن يحصر فيه الحزن، فمن الحزن ينشأ السكاه . . . ووجه إحصار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والعرائق والمعهود، ثم يتأمل قصيره في أواخره وزواجره، فيحزن لا محالة ويكفي، فإذا لم يحضره حزن وسكاه كما يحضر أرباب القلوب الضاربة عليك على قلد الحزن والسكاه، فإن ذلك أعظم المصائب»<sup>(٢)</sup>.  
وليس المقصود بالسكاه - الذي حث عليه السلف - ما يعلمه بعضهم من سراج وعويل وحجب، فهذا خروج عن الطريق القويم.

فأين هؤلاء من عدي النبي ﷺ في السكاه، وسكاه الضحى الكرام ﷺ الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: «اللَّهُ زَلَّ لُحْنَهُ لَقَدِيتَ كِتَابًا مُمْتَنِبَهَا ثَنَانًا نَقَشَرًا مِنْهُ حُلُودٌ أَلْدَيْنَ بَحْثُونَكَ وَهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ حُلُودَهُمْ وَلَقُودَهُمْ إِلَى دَاكِرِ الْقَوْمِ الزَّمْرُ ١٢٢»<sup>(٣)</sup>

قال ابن تيمية رحمته الله: «وما يحصل عند السماع والذكر المنسروح من وجل القلب، ودمع العين، واقتعوار الجسوم، فهنا أفضل الأحوال التي تنطق بها الكتاب والسنة».

أما الاضطراب الشديد والغشي والموت والضيقات فهنا إن كان صاحبه معلوماً عليه لم يلم عليه، كما قد يكون في التامعين ومن يعلمهم، فإن منشاء قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب والقوة»<sup>(٤)</sup>

### ١٧ - استحباب الجهر بالقرآن إذا لم ترتب عليه مضلة:

وردت أحاديث نفثني استحباب رفع الصوت بالقراءة، والجرى تفنضي الأسرار وحضر الصوت:

(١) رواه ابن ماجه (١٢٦/١) (١٢٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٥)  
(١٢١) (١٥٠٢)

(٢) إحياء علوم الدين (١/٢٧٧) وانظر البيان في أدب حملة القرآن (١٥/١)

(٣) انظر كتاب الألبان (ص ٢٧) (١) مجموع الفتاوى (٢٢٢/٢٢٢)

## قصر الأول

ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجع النبي ﷺ يقول: «ما أذن الله لئلين؛ ما أذن لئيمي حسن الصوت بالقرآن يخهر به»<sup>(١)</sup>  
ومن الثاني

ما جاء عن عفة بن عامر الجهني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «البحاهر بالقرآن كالبحاهر بالصدقة، والنسب بالقرآن كالنسب بالصدقة»<sup>(٢)</sup>

## الجمع بين الحديتين

يكون الجهر أفضل لأن فائدته تمتد إلى السامعين، فالحمل فيه أكثر، ويوقف قلب القارئ، ويصح عنه إلى الفهم، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويريد في النشاط، بشرط ألا يؤدي غيره من مصل أو سائم أو غيرهما فمعتى حصره شيء من هذه الليكات للجهر أفضل ويكون الإسرار أفضل إذا خاف على نفسه الزيادة، أو تأذى مصلون، أو ينام بجهر.<sup>(٣)</sup>

وستدل لهذا الجمع: ما جاء عن أبي سعيد، قال: اخشع رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يخفون بالقراءة، فكشف الشتر وقال:  
«ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يوفين بفضلكم نطقاً، ولا يرفع بفضلكم على ينص في القراءة، أو قال: «في الصلاة»<sup>(٤)</sup>

- (١) رواه البخاري - كتاب التوحيد - باب المدح بالقرآن (٣٣٥٩/١) (ج ١٤/١٤٤)  
(٢) رواه أبو داود (٣٨٠٢) (ج ٣٣٣٣)، والترمذي (١٨٠١٥) (ج ٣٩٩٩)، والبيهقي (٨٠/٥١) (ج ١٢/٥٦٦) وصححه الألباني في صحيح سير أبي داود (٢٧٥/١) (ج ١١٨٤)،  
وإصحاح سير الترمذي (١٠/٣١) (ج ١٣٣٦)، وإصحاح سير البيهقي (٥٤١/٢) (ج ٢٤٠١).  
(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (ص ٢٧١)، البيان في آداب حملة القرآن (ص ١٣٥)، المجموع (١٨٩/٢)، فيض القلوب (٤٥٧/١).  
(٤) رواه أبو داود (٣٨٠٢) (ج ٣٣٣٣)، وابن حزيمة في صحيحه (١٩٠/١) (ج ١١٦٢)، وأحمد في المسند (١٩٤/٣) (ج ١١٩١٥).  
وصححه الألباني في صحيح سير أبي داود (٢٤٧/١) (ج ١١٨٤).

وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسراء بعضها، لأن الضمير قد يعمل قياساً بالجهر، والجاهر قد يكلّف ويستريح بالإسراء<sup>(١١)</sup>.

ومن المقاسد المترتبة على الجهر في غير موضعه ما حكاها ابن الجوزي<sup>(١٢)</sup> بقوله: «وقد نُسِ إليّ على قوم من الغمراء أنهم يقرأون القرآن في صلاة المسجد بالنيل بالاصوات الممجعة المزعجة، الحرة والجرأين، فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم، وبين الشغرض للرباء، ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان، لأنه حين اجتماع الناس في المنسجحة»<sup>(١٣)</sup>.

### أجر التلاوة مترتب على التلقظ بها

لا بدّ من التلقظ بالقراءة، والتلقظ بالتلاوة للحصول الأجر، فبعض الناس يقرأ القرآن بدون تحريك الشفتين، قراءة صامتة، فلا يحصل بذلك على فضيلة القراءة. ولا بأس من النظر في القرآن الكريم من غير قراءة وذلك لتعريفه وتعلّمه وفهم معانيه، لكنه لا يعتبر قارئاً، إلا إذا تلقظ بالقرآن، وحرك شفتيه، عند ذلك ثبت له أجر التلاوة، ولو لم يُشيع من حوله، لما جاء عن أبي أمامة الباهلي<sup>(١٤)</sup>، قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»<sup>(١٥)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود<sup>(١٦)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «التم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»<sup>(١٧)</sup>.

ولا يحير قارئاً إلا إذا تلفظ بذلك، كما نص عليه أهل العلم<sup>(١٨)</sup>.

(١١) الإتيان في علوم القرآن (ص ٢٧١). (٢) تبيين إلهي (ص ١٤٣).

(١٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسامير والمصراها، باب: فصل قراءة القرآن ومبارة الخمر (١/٥٥٣) (ص ٥٠٢).

(١٣) رواه الترمذي (١/١٧٥) (ص ٢٩١) وقال: حسن صحيح عريب، وصححه الحداد، وأقره الذهبي. وصححه الألباني في صحيح سنن الشرمطي (٩/٣) (ص ٢٣٢٧) (ص ٢١٠٣/٢) (ص ١٤٦٩).

(١٤) انظر: من فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مجلة البحوث الإسلامية بالرياض =

## ١٨ - استحباب اتصال القراءة وعدم قطعها.

من الأدب التي ينصح للفائز أن يأخذ بها، عدم قطع القراءة إلا لتعذر عارضٍ معبرٍ شرعاً، كالرُّد على السُّلام، أو نشيت العاطس، أو إصابة المؤدِّ إذا سمع النداء، أو حمد الله عند العطاس. أو إسائك عن القراءة إن حصل منه تناوب أثناءها.

ولا يقطع التلاوة لأجل أمور الدنيا نائبةً مع كلام الله واحتراماً له. ومن ذلك احتساب الضحى والتعط والتعبد والحديث خلال القراءة، إلا كلام يضطر إليه، ولتته من كيد الشيطان الذي يلس عليه فرائته، أو يتخله عنها<sup>(١)</sup>.

إذا يكره قطع التلاوة بدون عذرٍ معتبرٍ لما يدلُّ عليه من عدم لعظيم كلام الله تعالى. قال الخليلي رحمه الله: «لأنَّ كلام الله لا ينبغي أن يؤثَّر عليه كلام غيره»<sup>(٢)</sup>.

وقال الفرطيني رحمه الله: «يستحبُّ إذا أخذ في سورةٍ لم يشغل عنها حتى يقرأ منها إلا من ضرورة». وكذلك إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة، ولا يجللها بكلام الأدميين من غير ضرورة، فإنَّ فيه استخفافاً بالقرآن كما لو قطع مكالمه أحد، فبحث غيره، مثراً هو دونه، فإنَّ فيه استخفافاً بملك، ولأنَّ في إتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الإتيان، ويخفى عند التفتيح، وهي سلب رتبة قراءة القرآن. فلذلك كان مكروهها»<sup>(٣)</sup>.

ويُناس في استحباب اتصال القراءة وعدم قطعها: بما رواه الثَّابِثِي الجليل بائع رحمه الله. حيث قال: «كان ابنُ عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآنَ ثمَّ يتكلَّم حتى يقرَّع منه، فأحسَّت عليه يوماً، فقرأ سورةَ القُرَّة، حتى انتهى إلى مكانٍ قال: تلبَّي فيم أنزلتُ لمت. لا، قال: أنزلت في كذا وكذا، ثمَّ مضى»<sup>(٤)</sup>.

- اعداد (٥) (ربيع أول ١١١٨ هـ) (ص ١٣٩ - ١٤٠).

(٦) انظر البيان في أدب حملة القرآن (ص ١٢٠).

(٧) الإقناع في علوم القرآن (ص ٢٧٤). (٨) التذكار في أفضل الأذكار (ص ١٧٤).

(٩) رواه البخاري. كتاب التفسير، باب «بأنَّكم ترونَّ لكم». (السنن، ١٢٣) (٣).

(١٠) ١٣٦٨، ج ١، ص ١١٢٦.



لهذه عادة ابن عمر رضي الله عنهما أنه لا يقطع تلاوة القرآن إلا بأمير جليل، ومصلىحة راححة، كثر علم وسجود.

١٩ - أن يُحسِّنَ الابتداء والوقف أثناء التلاوة:

قال النووي رحمته الله «يُسحب للقارئ إذا ابتداء من وسط السورة أن يندى من أول الكلام المرتبط بحقه ببعض، وكذلك إذا وقف يقف على المرتبط وعدم انتهاء الكلام، ولا يفتقد في الابتداء ولا في الوقف بالأجزاء والأحزاب والأعشار، فإن كثيراً منها في وسط الكلام المرتبط، ولا يقتر الإنسان بكثرة التفاعلين لهذا الذي نهينا عنه ممن لا يراعي هذه الآداب، وامتلأ ما قاله الشهد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض رحمته الله لا نستوحش طرق الهدى لقلّة أهلها، ولا نعتز بكثرة الشائكين الهالكين»<sup>(١)</sup>. ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة بكمالها أفضل من قراءة قدرها من سورة طويته، لأنه قد يحض الارتباط على كثير من الناس أو أكثرهم في بعض الأحوال والمواضع<sup>(٢)</sup>.

٢٠ - من التَّنْة الوقوف عند رؤوس الآيات:

يسئ لقارئ القرآن أن يقف عند رأس كل آية، افتناء برسول الله ﷺ فمن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته، يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ثُمَّ يَقِفُ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ثُمَّ يَقِفُ. وَكَانَ يَقْرَأُهَا: ﴿مَنْ لَكَ يَوْمَ الْقَرِيبِ﴾»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى - قالت أم سلمة رضي الله عنها: «يُقطع قراءته آية آية»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الآداب الشرعية (١/١٦٨١) (٢) الأذكار (ص ٩٦٣).

(٣) رواه الترمذي (١٨٥/٥) (ح ٢٩٢٧) واللفظ له. والمعاصم في المستطرف (٢/٢٥٢) (ح ٢٩١٠). وقال الحديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وله شاهد بإسناد صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (١٢/٣) (ح ١٣٣٦).

(٤) أي: يقف عند كل آية. انظر: حود المعبود (١٩/١٢٤).

(٥) رواه أبو داود (١١/٣٧) (ح ١٤١٠٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٧٥٦) (ح ٣٣٧٩).

فالموقوف على رؤوس الآي من كمال القراءة، ولو تلا يقطع آيات تنفس  
واحد صح وجر<sup>(١)</sup>

٢١ - من السنة أن يسبح عند آية التسيب، ويتعوذ عند آية العذاب،  
ويسأل عند آية الرحمة

وطويل لك ما ورد في حديث حديفة رضي الله عنه وصلاته مع رسول الله ﷺ -  
قال: ... ثم افتتح آل عمران فقرأها، بقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح،  
وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ<sup>(٢)</sup> الحديث<sup>(٣)</sup>

قال النووي رحمته الله: أهمية استحباب هذه الأمور لكل قارئ في الصلاة  
وطهرها، ومذهباً استحباب للإمام والمأموم والمنفرد<sup>(٤)</sup>

بل هذا ملعب جماهير أهل العلم - رحمهم الله - أن هذا السؤال  
والاستعاذة والتسبيح منحة لكل قارئ سواء كان في الصلاة أم في خارجها.  
وخالف في ذلك أبو حنيفة رحمته الله، فقال: يكره ذلك في الصلاة، والضوابط  
قول الجمهور<sup>(٥)</sup>

قال الحسين بن علي الكرايسي<sup>(٦)</sup> رحمته الله: أتت مع الشافعي غير ليقة، فكان  
يعبثني بحر ثبت الليل، لما رأته يزيد، عني خمسين آية، فإذا أكثر صلاة، وكان لا  
يعمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللجوامين أحسنين، ولا يعمر بآية عذاب إلا  
تعوذ منها وسأل الشجاعة لنفسه ونصح المسلمين قال: فكأنما يجوع له الرجاء

(١) انظر: فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن (ص ٢٩١)

(٢) روى مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة  
الليل (١/٥٣٦) (ج ٧٧٢)

(٣) صحيح مسلم شرح النووي ١١٢/٦٤

(٤) انظر: النيان في آداب جملة القرآن (ص ١١٩)

(٥) هو الحسين بن علي بن يزيد الكرايسي، البغدادي (أبو علي الفقيه صاحب الشافعي،  
قال ابن حجر رحمته الله «صديق، فاضل» تكلم فيه شعبة لسأله اللفظ كان من عبور  
العلم، ذكياً، فطناً، فصيحاً أيضاً ولم يتوسر الإمام أحمد حين سب مسألة اللفظ  
بالقرآن، فحجراً لذلك المعنى... تولى سنة ٢٤٨هـ.

انظر: تقريب التهذيب (١/١١٧) سير اعلام النبلاء (١٢١/٧٩ - ٨٢)

والرُهنة جميعاً<sup>(١١)</sup>.

٢٢ - من السنّة: الإمساك عن القراءة عند غلبة الثعاس:

« والأصل فيه: ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قام أحدكم من الليل، فاستنجم القرآن<sup>(١٢)</sup> على لسانه، فلم يدر ما يقول، فليضطجع<sup>(١٣)</sup>»

« وعلة الإمساك عن القراءة: بثها الشيطان في حديث عائشة رضي الله عنها - حيث قال: «إذا نعت أحدكم في الصلاة، فليزقها حتى يلعق غنة الثوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناصب، لعنته يلعق يستغفر<sup>(١٤)</sup> فيسب نفسه<sup>(١٥)</sup>»

وهو إرشاد لطيف منه صلى الله عليه وسلم، وفيه تنبيه سماحة الإسلام ونسب تكاليفه، وفيه درة مفصلة عظيمة من فرائض القرآن، أو المعصلي حتى لا يدمو على نفسه من حيث أراد الخير وهو لا يشعر بذلك، وفيه عناية للقراء الكريمة عن الهلوسة والكلام المنعجم<sup>(١٦)</sup>.

٢٣ - من السنّة: السجود عند المرور بآية سجدة

من آيات تلاوة القرآن أن يسجد عند تلاوة الآيات التي فيها سجود اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان الوقت وقت نهي أم غيره، لأن سجود التلاوة من ذوات الآيات.

(١١) تهذيب الكمال (٣٤/٣٧٦) تاريخ بغداد (٣/١٦٣) تاريخ مشيخنا دمشق (١/٢٩١) تاريخ الإسلام (١٤٠٩/٣٠٩) سير أعلام النبلاء (١٠١/٣٥).

(١٢) «فاستنجم القرآن»: أي استغلق ولم يتطرق به لسانه، لعلة الثعاس. «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/٧٥).

(١٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: «أمر من نكس في صلته، أو استنجم فيه القرآن، أو التكر بأن يرفق» (١/٥١٢) (ج ٧٨٧).

(١٤) «يضطجع» معنى يستغفر هنا بدم. «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧٤/٧).

(١٥) رواه مسلم، الكتاب والآيات فصلها (١/٥١٢) (ج ٧٨٦).

(١٦) انظر كتاب الآداب (ص ٣٢).

## فضائل سجود التلاوة:

مما ورد في فضائل سجود التلاوة: ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السُّجْدَةَ<sup>(١)</sup> فَسَجَدَ اغْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَمِيْنِي. يَقُولُ: يَا وَيْلَةَ<sup>(٢)</sup>». (وفي رواية أبي كريب: يَا وَيْلِي). أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت قلبي الثائر<sup>(٣)</sup>.

## الذكر الوارد في سجود التلاوة:

مما ورد عن النبي ﷺ في سجود التلاوة ما يلي:

\* ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ، يقول في سجود القرآن بالليل، يقول في السجدة مراراً: «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ»<sup>(٤)</sup>.

\* وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) (إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السُّجْدَةَ) معناه: آية السجدة.

(٢) (يَا وَيْلَةَ): قال النووي رحمته الله: «هو من أدب الكلام. وهو أنه إذا عَرَضَ في الحكاية عن الغير ما فيه سوء وانقضت الحكاية رجوع الضمير إلى المتكلم، صرف الحاكِم الضمير عن نفسه تصاوفاً عن صورة إضافة السوء إلى نفسه». صحيح مسلم بشرح النووي (٧١/٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٧/١) (ح ٨١).

(٤) رواه أبو داود (٦٠/٢) (ح ١٤١٤) واللفظ له. وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٣/١) (ح ٥٦٣)؛ والحاكم في «المستدرک» (٣٤٢/١) (ح ٨٠٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».

وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٥/١) (ح ١٢٥٥).

(٥) رواه الترمذي (٤٧٢/٢) (ح ٥٧٩) واللفظ له. وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٢/١) (ح ٥٦٢)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٣/٦) (ح ٢٧٦٨)؛ والحاكم في «المستدرک» (٣٤١/١) (ح ٧٩٩) وقال: «حديث صحيح، رواه مكبُون، لم يذكر واحد منهم بجرح، وهو من شرط الصحيح، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».



• وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرويهاً: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ كَفَرْتُ، وَلَكَ اسْتَلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَهَوَّاهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْعَالَمِينَ»<sup>(١)</sup>.

حكم سجود التلاوة:

١ - جمهور أهل العلم على أن سجود التلاوة مستحب وليس بواجب، على اختلاف بينهم في أعداد هذه الآيات التي يسجد عنها.  
ودليل سنية سجود التلاوة:

• ما جاء عن (يحيى بن ثابت رضي الله عنه) قال: «قُرِئَ عَلَيَّ الشَّيْخِ رضي الله عنه» **﴿وَالْحَمْدُ﴾** لَقَدْ سَجَدَ بِهَا»<sup>(٢)</sup>.

• وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قرأ يوم الجمعة على الناس سورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد، وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القادمة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة، قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا نَعُرُّ بِالسُّجُودِ، فَمَنْ سَجَدَ قَلَّدَ أَضَابَ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلَا إِنَّمْ عَلَيْهِ». وَلَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ رضي الله عنه.

وزاد نافع، عن أبي عمر رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِصِ السُّجُودَ إِلَّا أَنْ تَسَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

٢ - وضع أبو حنيفة تكلفاً إلى أن سجود التلاوة واجب.

ودليل وجوبه: قوله تعالى: **﴿فَمَا لَمْ لَا يَكُونُوا ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ قَرِيبٌ عَلَيْهِمُ الْغُرُبَاتُ لَا يَسْجُدُونَ﴾** [الأنشقاق: ٢٠ - ٢١].

١ - وحسن الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/١٨٠) (ح ١٧٣).

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/٥٣٥) (ح ٧٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب سجود القرآن، باب: من قرأ السجدة ولم يسجد (١/٣٦٦) (ح ١٠٧٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب سجود القرآن، باب: من رأى أن الله تعالى لم يوجب السجود (١/٣٦٦) (ح ١٠٧٧).

وردة النووي رحمته على ما استدل به أبو حنيفة لائتلاف: «وأما الجواب عن الآية التي احتج بها أبو حنيفة رحمته فظاهره لأن السجدة معهم على ترك السجود تكديماً. كما قال تعالى بعد: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (الاشفاق ١٢٢)»<sup>(١)</sup>.

### سجود المستمع تبعاً لسجود القارئ.

من استمع إلى قارئ، فقرأ آية فيها سجدة، فالمستجب ألا يسجد هذا المستمع حتى يسجد القارئ، لأنه بمثابة الإمام في هذا السجود ودليل ذلك

• ما جاء عن أبي عمر رحمته قال: «كأن الشجر رحمته يقرأ علينا السورة ليها الشجفة، فيسجد وتسجد، حتى ما نجد أخذنا موضع جنته»<sup>(٢)</sup>.

• وقال ابن مسعود رحمته نسيم بن خديم<sup>(٣)</sup> - وهو غلام - فقرأ عليه سجدة، فقال: «سجدت، فأنت إمامنا فيها»<sup>(٤)</sup>.

قال النووي رحمته: «إذا سجد المستمع مع القارئ، لا يرتبط به، وله الرفع من السجود فله»<sup>(٥)</sup>.

(١) البيان في أدب حملة القرآن (ص ١٧٦).

(٢) رواه البحاري، كتاب سجود القرآن، باب من سجد لسجود القارئ (١/٣٣٣) (ج ١٠٧٥).

(٣) هو نسيم بن خديم النخعي الكوفي (أبو سلمة) قال ابن حجر رحمته «نقلاً من الثابتة» أدرك التحاكية، ووفد في عهد أبي بكر رحمته. من أصحاب عبد الله بن مسعود، أدرك أبا بكر وعمر رحمتهما. وسمع منهما.

انظر: تقريب التهذيب (١/١٣٠): الإصانة في تبيين الفحاة (١/٣٧٧).

(٤) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، كتاب سجود القرآن، باب من سجد لسجود القارئ (١/٣٣٣)، قال ابن حجر رحمته: «هذا الأثر وصله سعيد بن منصور» من رواية عميرة عن إبراهيم. وقد زوي مرفوعاً، أخرجه ابن أبي شيبة من رواية ابن عميلان عن يزيد بن أسلم. ورجاله ثقات إلا أنه مرسل». «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٢/٥١٨).

وانظر: بغليق، الشعليق، لأبى حجر (٢/٤١٠)، مصنف بن أبي شيبة (١/٣٧٩) أدركه ١٤٣٦، الغرامل، لأبي حازم (١/١١٢).

(٥) البيان في أدب حملة القرآن (ص ١٨٢).

لا يلزم السامع أن يسجد مع القارئ.

\* عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه مر بقاصراً فقرأ سجدة لیسجد معه عثمان، فقال عثمان رضي الله عنه «إنما السجود على من استمع، ثم مضى ولم يسجد»<sup>(١)</sup>.  
قال الكرماني رحمته الله والفرق بينهما: أن المستمع من كان قاصداً للمسمع نصعباً إليه والسامع: من يُفوق سماعه من غير قصد إليه<sup>(٢)</sup>.  
\* وعن أبي عبد الرحمن الشافعي قال مرّ سلمان رضي الله عنه على قوم فعمدوا لقراءة السجدة فسجدوا، فقبل له؟ فقال «ليس لهذا عدونا»<sup>(٣)</sup>.  
أي: ما عدونا لأهل السماع، فكأنه أراد بيان أنما لم نسجد، لأنما ما كنا قاصدين السماع<sup>(٤)</sup>.

٢٤ - القدر المنحط في حتم القرآن:

وردت عدة أحاديث في مدة حتم القرآن، فأقل ذلك ثلاثة أيام، وأوسطه سبعة أيام أو عشرة، وأكثره قبل أربعين يوماً، وقيل في السنة مرتين، وذلك لأن السنة رضي الله عنه عرس على حيريل رضي الله عنه في السنة التي قبض فيها مرتين<sup>(٥)</sup>.  
ومن هذه الأحاديث:

\* ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أضوم النعرة، وإنما الفراد كل ليلة، فقال لي رسول الله ﷺ: «ألم أحبزك أنك تصوم النعرة وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى يا سيدي الله! ولم أزد بذلك إلا الخير. ثم أحسرت من الحيام. ثم قال رسول الله ﷺ: «وأقرأ القرآن في كل شهر»<sup>(٦)</sup>. قال: قلت يا

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣١٤/٣١) رقم (٥٩٠٦).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠٨/٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣١٥/٣١) رقم (٥٩٠٩) قال ابن حجر رحمته الله: فؤاداه

صحيح، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٥٨/٦) وانظر صحيح البخاري (١١/

١٣٦٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٧/١١) رقم (٤٢٢٣).

(٤) المصدر السابق (١٠٨/٧).

(٥) انظر: الإنقاذ في علوم القرآن (ص ٢٦٠).

(٦) أي أحبه.

سُبِّحَ اللهُ إِنِّي أُلْقِيَتُ الْفُضْلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «مُفْتَرَّةٌ فِي كُلِّ صَبْرٍ». قَالَ: قُلْتُ:  
 يَا سُبِّحَ اللهُ إِنِّي أُلْقِيَتُ الْفُضْلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «مُفْتَرَّةٌ فِي كُلِّ صَبْرٍ». قَالَ: قُلْتُ:  
 يَا سُبِّحَ اللهُ إِنِّي أُلْقِيَتُ الْفُضْلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «مُفْتَرَّةٌ فِي كُلِّ صَبْرٍ. وَلَا تَزِدْ عَلَيَّ  
 ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

• وعن عبد الله بن عمرو: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَمَّةٍ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ قَالَ:  
 «فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا»، ثُمَّ قَالَ: «فِي شَهْرٍ»، ثُمَّ قَالَ: «فِي خَمْسِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «فِي  
 خَمْسِينَ شَهْرًا»، ثُمَّ قَالَ: «فِي خَمْسِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «فِي سَنَةٍ»<sup>(٢)</sup>.  
 ولذلك قال إسحاق بن إبراهيم رحمته الله: «وَلَا نَحْبُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ  
 مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَمْ يَقْرَأِ الْقُرْآنَ؛ لَهَذَا الْحَدِيثُ»<sup>(٣)</sup>.

• وعن عبد الله بن عمرو أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، فِي ثَمَّةٍ أَلْقَى الْقُرْآنَ قَالَ:  
 «فِي شَهْرٍ» قَالَ: «إِنِّي أَلْقَيْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَتَنَافَسُوا خَشِيَ قَالَ: «الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ» قَالَ:  
 «إِنِّي أَلْقَيْتُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «وَلَا يُلْفَعُ مِنْ قِرَاءَةِ فِي أَكْثَلِ مِنْ ثَلَاثٍ»<sup>(٤)</sup>.

أومنا نمر صريح في أنه لا نحتم القرآن في أقل من ثلاثة أيام<sup>(٥)</sup>.  
 حلة النبي عن الختم في أقل من ثلاث  
 حلل النبي ﷺ ذلك بعثتين  
 الأولى: عن الفقه.

(١) روى البخاري - كتاب معاني القرآن، باب: في ثَمَّةٍ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ (١١٢٧/٣) (ص ٥١٥١) ومسلم، والمُفْتَرَّةُ، كتاب الصيام، باب: الشهر من صوم الشهر (٨١٣/٢) (ص ١١٥٩)

(٢) روى أبو داود (٥٦/٢) (ص ١٣٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١١٢٢) (ص ١٢٢٣)

(٣) أرواه الرملي عليه عقيب رقم: (٢٩٤٦) (١٩٢/٥)

(٤) روى أبو داود (٥١/٦) (ص ١٣٩٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢١١) (ص ١٢٣٩)

(٥) عون المصنوع (١١٨٧/١١)



الثانية: قوله لعبيد الله بن عمرو رضي الله عنه: «فإن يزوجك حليتك حقاً، ويؤورك حليتك حقاً، ولجنتك حليتك حقاً»<sup>(١١)</sup>.

والرجل عليه مسؤولية تجاه أسرته ومنزله وضبعه، وكذلك عليه الرفق بنفسه، وختم القرآن في أقل من ثلاث على حساب ذلك عالياً.

بل هناك وظائف شرعية أخرى كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وإصلاح الناس، والتي هي من فروع الكفاية، ومن أفضل الأعمال الصالحة، والأمة لا تستغني عن جهود أبنائها في ذلك.

ففي الشرح لتلاوة القرآن على هذا النحو تعطيل لهذه الوظائف، خاصة في هذا العصر<sup>(١٢)</sup>. ولتقريباً - أيضاً - في النفس بقية من الطاقة تنجز بها مبادئ القرآن.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في ختم القرآن:

لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قرأ القرآن كله في ليلة، ولم يقرأه كذلك في أقل من

ثلاث

• من عائشة رضي الله عنها قالت: «... ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة...»<sup>(١٣)</sup>

• وصها رضي الله عنها قالت: «كان صلى الله عليه وسلم لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث»<sup>(١٤)</sup>

قال الأنباسي<sup>(١٥)</sup> رحمته الله: «ختم القرآن في أقل من ثلاث بخلاف

(١١) رواه مسلم (٨١٣/٢) (ج ١/١٥٩) وقد تقدم تحريمه لمربياً

(١٢) تحزيب القرآن، لصحبه بن عبد الله الدويش، مجلة البيان (عدد ١٢) (صفر ١٤١١هـ) (ص ٥١ - ٥٢).

(١٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل (٥١٤/١) (ج ٤/٧٤٦).

(١٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٣٧٦/٦) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (ص ١٢٨) وأورد الأنباسي في «السلسلة لطحطا» (٥/٦٠٠) (ج ١/٢٦٦) وقال عن إسناده «وهذا إسناده ضعيف». لكن يشهد الحديث: (أنه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يخطئ» واحتج به في «صحة الصلاة» (ص ١٦٠)، وصححه في «مصباح الجامع» (٨٧٨/٢١) (ج ١/٨١٦).

(١٥) هو المحدث محمد ناصر الدين بن موح الأنباسي نسط إلى أصله، من عظمة الحديث المعاصرين المشهورين. ولد في أنطون - عاصمة ألمانيا - سنة (١٩٣٣هـ) والله كان

السُّنْفُ<sup>(١١)</sup>. ونحن متعلِّمون بالبيع شَيْئَهُ ﷺ وهدية، الموصول إلى رضوان الله ومحنته، مع ما نكته - في نفوسنا - من تقدير وإكبار وإجلال لسلف الأئمة.

ولما ذكر النووي ﷺ عادات السُّنْفِ في حتم القرآن الكريم، وذكر من كان يَحْتَمُه في سَبْعِ قَالٍ: فهذا فعلُ الأكثرين من السُّنْفِ<sup>(١٢)</sup>.

ومثله قال الشُّبُوطِيُّ ﷺ: فهذا أوسط الأمور وأحسنها، وهو فعلُ الأكثر من الصُّحابة وغيرهم<sup>(١٣)</sup>.

تخرج فعل من حتم القرآن في أقل من ثلاث -

وردت آثار في حتم القرآن عن بعض السُّنْفِ الطَّاهِرِ من الصُّحابة وتابعهم في حتمهم في أقل من ثلاثة أيام، كعثمان بن عفان ﷺ، حيث قرأ القرآن في ركعة يؤتى بها، وذوي عن نعم القاري ﷺ، وسعيد بن جبير ﷺ، وكثرة آتئها حتم القرآن في ركعة في جوف الكعبة، وغيرهم من العلماء والفضالحين<sup>(١٤)</sup>.

فهذا وأمثاله نحمل على ما ذكره من كثير نكته حيث قال: فهذا وأمثاله من الصحيح عن السُّنْفِ محمول. وإنَّ على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مُدَّ تَقْدِمُ<sup>(١٥)</sup>، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يفرقونه مع هذه الشريعة<sup>(١٦)</sup>، أو أن ذلك كان في فترة حماس وكثرة نشاط، أو ولدت فاضلي كرمضان ونحوه، فأرادوا استتماره لا أن يكون ذلك عادة لهم في سائر العمر

\* عالماً في المذهب الحنفي، وقد فوّت أسرته بدتها من تحريم الملك أحمد زوجه، واستقرت في دمشق، وفيها تفرغ للعلوم الشرعية. بالإضافة إلى أخذ من والده، ثم إنه عكف على دراسة الحديث النبوي غير فيه أخصاً بالعلاج المنطقي، وله أكثر من مائة كتاب، توفي في مدينة عسقلان سنة (١٢٠١هـ).

نظر: إتمام الأعلام - د. راز المطلة وسعيد دباس الملاح (ص ١١٦)

(١١) المسئلة الصحيحة (٥/٦٠٠).

(١٢) الأفكار (ص ١٥٢)

(١٣) الإيقان في علوم القرآن (ص ٢٥٩)

(١٤) نظر: سنن الترمذي (٥/٩١٩٦)، طب حديث رقم (٢٩٤٦)

(١٥) وهو الذي اختاره الألباني ﷺ لفظاً فقال: «ولا يُشكَلُ على هذا ما ثبت عن بعض السُّنْفِ مثلاً هو خلاف هذه السُّنْفِ الصحيحة، فإنَّ الظاهر أنها لم يُتَّفَقْ عليها»

المسئلة الصحيحة (٥/٦٠١)

(١٦) فضائل القرآن (ص ٢٦٠)

ولذلك قال ابن رجب رحمته : وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك ، فأما في الأوقات الفاضلة كشهر رمضان ، خصوصاً النبالي التي تطلب فيها ليلة القدر ، أو في الأماكن المفضلة كمكة تحرن دخلها من غير أهلها ، يستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اختتاماً لفصله الزمان والمكان ، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة ، وعليه يدل عمل غيرهم رحمهم .

وقال الشوكلي رحمته : وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة رحمته .

وقال الألباني رحمته : أحسن الإمام الثرمذي برواية هذا الخبر ، والذي بعده (خبر عثمان بن عفان ، سعيد بن جبارة) بصيغة التضعيف ؛ لأن الركعة مهما طالت لا يمكن أن يقرأ فيها القرآن الكريم كاملاً ، فضلاً عما في ذلك من معانٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود والقيام ، وحاشا لسيدنا عثمان أن يفعل مثل ذلك رحمته .

### الجمع بين رواية (السنج) ورواية (الثلاث) في الختم :

قد يشكل على البعض ورود بعض الأحاديث - في تحديد مدة حتم القرآن - بسعة أيام ، وبعضها ثلاثة أيام ، وإزالة هذا الإشكال المستوفع ، من المناسب جداً أن أورد كلاماً نصياً لا يبرئ تيمية رحمته ، حيث قال في هذا الشأن : وأما رواية من روى : (من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته) فلا تأتي رواية السبع ، فإن هذا ليس أمراً تعبد الله بن عبده ، ولا فيه أنه جعل فرائضه في ثلاث دائماً سنة مشروعة ، وإنما فيه الإخبار بأن من قرأه في أقل من ثلاث لم يفته ، ومعهومه مفهوم العدد ، وهو مفهوم صحيح ، أن من قرأه في ثلاث فصاعداً فتحكمه بنفس ذلك ، والتناقض يكون بالمخالفة ، ولو من بعض الوجوه .

فإذا كان من يقرأه في ثلاث أحياناً قد يفته حصل مفسود الحديث . ولا

١٤١ - لصاحب المعارف (ص ١٦٦)

١٤٢ - الأذكار (ص ١١٥)

١٤٣ - صيف من الثرمذي (ص ١٣٥٧)

يلزم إذا شُرع بفعل ذلك أحيداً لبعض الناس أن تكون المتداومة على ذلك مستحبة؛ ولهذا لم يعلم في الضحابة على عهد من دارم على ذلك، أعني على قراءته دائماً فيما دون الشُّبُع، ولهذا كان الإمام أحمد رحمته الله يقرؤه في كل شُبُعٍ واحد.

### التفصيل العَنَن في مقدار الختم

ذَكَرَ بعضُ المحققين من أهل العلم قواعد وضوابط عامة في مسألة ختم القرآن الكريم، ولعلوا في ذلك ما يتناسب وحال القارئ، من جهة الأعباء والمسؤوليات المنفاة على عاتقه، وقدراته العلميَّة، والوقت المتبقي له للقراءة، وغير ذلك من الأمور، وصفا جاء في ذلك: ما ذكره الغزالي رحمته الله حيث قال: فلفي الختم أربع درجات: الختم في يوم وليلة، وقد كرهه جماعة، والختم في كل شهر، كل يوم جزء من ثلاثين جزءاً، وكأنه مبالغة في الاقتصار، كما أن الأول مبالغة في الاستكثار، وبينهما درجتان مختلفتان؛ إحداهما: في الأسبوع مرَّة، والثانية: في الأسبوع مرَّتين، تقريباً من الثلاث.

والتفصيل في مقدار القراءة: أنه إن كان من العاصين السالكين طريق العمل، فلا ينبغي أن يُنْفِص عن ختمين في الأسبوع، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر، أو من المشتغلين بنشر العلم، فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرَّة، وإن كان نابذ الفكر في معاني القرآن، فقد يكتفي في الشهر بمرَّة؛ لكثرة حاجته إلى كثرة الترفيد والتأمل والله أعلم.

ثم أتى بما قاله النووي رحمته الله حيث قال: هو المختار: أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له تدفق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له كمال لهم ما يقرأ، وكلما من كان مشغولاً بنشر العلم، أو فضل الحكومات من المسلمين، أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين، فليقتصر على قدر لا يحصل له سببه إخلال بما هو مرصده، ولا هون كماله، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه، من غير



خروج إلى حد السُّل أو الهلزمة في القراءة<sup>(١١)</sup>.

ولمختم بما جاء في (مختصر منهاج القاصدين) : «ومنهم - يعني السُّلف - من كان يختم في ثلاث، ومنهم من كان يختم في أسوع، ومنهم من كان يختم في كل شهر، اشتغالاً بالثَدِير أو بشر العلم، أو تعلية، أو سوع من التَّعْد غير القراءة، أو غيره من الحساب الشَّي.»

وأولى الأمر: ما لا يمنع الإنسان من اشتغاله المهتمَّة، ولا يُؤدبه في سنة، ولا يموت معه الترنيل والفهم<sup>(١٢)</sup>.

٢٥ - مشروعية «تحزيب القرآن» :

تحزيب القرآن من السُّنن المهجورة - بل المجهولة - عند كثير من طلاب العلم، فضلاً عن عامة النَّاس. في حين كان الأمر متواتراً ومعلومًا عند السُّلف الصالح، فقلما نقرأ في ترجمة أحدهم إلا وجد أنه كان يختم القرآن في كذا وكذا<sup>(١٣)</sup>.

تعريف «الجزب» :

قال ابن فارس تكلَّة: «الحاء والزَّاء والياء أصل واحد، وهو نطح الشيء. ومن ذلك: الجزب. الجماعة من النَّاس، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ جَزِيٍّ بِنْدَ لَقَبِهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون ٥٣] والطَّائفة من كلِّ شيء جزب<sup>(١٤)</sup>.

وقال ابن الأثير تكلَّة: «الجزب: ما يجعله الرَّاحل على نفسه من قرابة، أو صلاة، كالورد والجزب. التوبة في وُزود الماء<sup>(١٥)</sup>».

ومضى ذلك: أن يجعل المسلم نفسه نصيباً يومياً بقراءة وتعاهد نفسه عليه، بحيث يختم القرآن في كلِّ أربعين يوماً، أو في شهر، أو عشرين يوماً، أو خمسة عشر، أو عشرة، أو سبعة، أو غير ذلك

(١١) الأذكار (ص ١٥١)

(١٢) مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن محمد الطنسي (ص ٥٥).

(١٣) انظر: تحزيب القرآن (ص ١١٠).

(١٤) معجم مقاييس اللغة (٢٩١/١)، مادة (جزب).

(١٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٧٦/١)، مادة: (جزب).

• والأصل في مشروعية تحزيب القرآن: الزوايات المتقدمة في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وتقدم أيضاً أن أكثر السلف المتصلح يحتمون القرآن في (سبع).

• وجاء لتحديد هذا التحزيب في قول أوس بن حنيفة الثقفي رضي الله عنه. فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وحسن، وسبع، وسبع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب الفضل وخلفه<sup>١١</sup>.

وهي (عون الممرد) في شرح الحديث: «كيف تحزبون القرآن»: كيف تحملونه المزار والجزب. هو ما يحمله الرجل على نفسه من قراءة. (قالوا: ثلاث) أي الطرة، وآل عمران، والنساء. فهذه السور الثلاثة تنزل واحد من سبع مازل القرآن (وحسن) من العائنة إلى الصلاة (وسبع) من يؤنس إلى النحل (وسبع) من بني إسرائيل إلى المرفان (واحدى عشرة) من الشعراء إلى يس (وثلاث عشرة) من الإضافات إلى الحجرات (وحزب الفضل وخلفه) من فاف إلى آخر القرآن فقلتم من هذا أن في عصر الصحابة كان ترتيب القرآن مشهوراً على هذا النمط المعروف الآن<sup>١٢</sup>.

### التحزيب بالسور لا بالأجزاء:

تحدث ابن نعيمه رضي الله عنه عن هذه المسألة بإسهام. واحتمار أن يتحزيب

(١) التحزيب: من التحزب وهو تجزئة القرآن، والجماع كل جزءاً له.  
 (٢) رواه أبو داود (٢/٤٥٥) أح (١٢٩٣). واللفظ له. وابن ماجه (١/١٢٧) (١٩٣٥) وأحمد في المسند (١٩/١١) أح (١٦٦١١) وفي مسنده. عثمان بن عبد الله ابن أوس الثقفي قال: من حجر في التقريب المقول: وقال الشعبي في الميزان: أمثلة الضيق وذكره ابن حبان في الثقات. وحسن العراقي في تحزيب الأجزاء (١/٢٧٦). وابن حجر كما في الفتوحات، لابن علقم (٣/٢٢٩) وأصحح في أثر نسخة. في حديثه عن التحزيب. كما في مجموع الفتاوى (١٣١/٢٠٨، ١٠٩). وانظر تحزيب الأجزاء في جامع الأصول (١٦/١٧٥). ولتحزيب المواضع في تفسير ابن كثير (١/١٨١) ومسئله الألباني في ضعيف سنن أبي داود، (١٣٦) أح (٢٩٩) وضعيف سنن ابن ماجه (ص ١٠٠) أح (٢٨٣)

المشروع هو أن يكون بالشور وليس بالأجزاء، أو الأحزاب. وذلك للأمر الآتي:

أولاً: أن المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم هو التخریب بالشور، لا بالأجزاء، واستدل لذلك بما جاء عن أوس بن حذيفة الشفي رضي الله عنه، وهذا يؤمن معنى حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، في أن المسود عندهم فرأته في سنع، ولهذا جعلوه سبعة أحزاب، ولم يجعلوه ثلاثة، ولا خمسة <sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن الأجزاء والأحزاب مختلفة، وفي حديث أوس أنهم حزبوا القرآن بالشور، فإن ابن تيمية رحمته الله وهذا معلوم بالتواتر، فإنه قد علم أن أول ما حزب القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين. هذه التي تكون رؤوس الأحزاب والأحزاب في أثناء الشورة، وأثناء القصة وبحو ذلك، كان في زمن الحجاج وما بعده، وزوي أن الحجاج أمر بذلك. ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك <sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أن هذه التخریبات المتعددة تتعشرون - دائماً - الوقت على بعض الكلام المتصل بما بعده، وتتصنن أيضاً الوقت على المعطوف دون المعطوف عليه، ثم يأتي القارئ - في اليوم الثاني - مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿وَالنَّصْنَعُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾ [النساء: ١٦١] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ يَكْفُرْ بِمَا وَعَدَ﴾ [الأحزاب: ٤٣١] وأمثال ذلك.

وننصنر كذلك الوقت على بعض القصة دون بعض - حتى في كلام المنخاطبين - ثم يحصل الإثناء - في اليوم الثاني - كلام المحيبي. كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذْرٌ إِنَّكَ كَآنَ تَفْتَحُ﴾ [الكهف: ١٧٠].

ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا حال الفصل بينهما بأحبي، ولهذا لو ألحق بالكلام عطف، أو استثناء، أو شرط، وبحو ذلك - بعد قول الفصل بأحبي - لم يسلح ذلك إلا نزاع <sup>(٣)</sup>.

(١) وقد تقدم تحريمه مراراً.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٤٠٨ - ١١٠٩).

(٣) المحقق نفسه (١٣/٤٠٩).

(٤) انظر: المصنف عنه (١٣/٤١٠ - ٤١١).

رابعاً أن النثرية ﷺ كانت عادته الغالبة أن يقرأ - في الصلاة - بسورة كاملة ك: ق، وسجود، وكذا عادة أصحابه ﷺ، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ - برس، وهود، وفاتح، وأما القراءة بأواخر السور وأواسطها فلم يكن غالباً عليهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: وإذا كان تحريبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحسيد. كان ذلك من جنس تجزئته بالسور أيضاً تقريباً، لأن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف، وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما اختتم به، وتكميل المقصود من كل سورة بما نيس في ذلك التحزيب.

وهو أيضاً من زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب ما تقدم التنبه على بعضها<sup>(١١)</sup>

وعلى كل حال: لا يلبث بطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى - الذين يحملون في صدورهم هم الإصلاح، والتغيير، ودعوة الناس للخير - ألا يكون لهم نصيب من كتاب الله تعالى يلتزمونه قل أو أكثر.

وبما أذهى الواحد منهم كثرة المشاغل، فهي دعوى تحتاج إلى بيته، وهو ذليل على قلة اعتناهم بتركية نفسه، وانثروا بالتقوى. همتى كانت تلاوة القرآن، وإصلاح النفس، ومهاداة الله ﷻ ما لا يفعل إلا وقت الفراغ<sup>(١٢)</sup>

ثمرات التحزيب:

• في التحزيب تحليق لهدية ﷻ في المتداومة على العمل الصالح، وكان يقول: «أحبب الأتصال إلى الله تعالى أتقونها وإن قل<sup>(١٣)</sup>». وقبه تأمن بالسلف الصالح ﷻ

• وفيه أن العبد يكتسب به حرمة إذا شغله به مرض، أو سفر، لقوله ﷻ:

(١١) انحصر عنه (١٤١، ١٤٢)

(١٢) الظن - تحزيب القرآن (ص ٥٣ - ٥٤).

(١٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل القائم من قيام الليل وغيره (١/ ١٤٤١، ح ٦٨٣)



«إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كَتَبَ لَهُ بِمِثْلِ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُخِيماً صَاحِحاً»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه تعاهد للقرآن العظيم، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهَوَ أَشَدُّ نَقْصَاباً مِنَ الْإِبِلِ مِنَ عُقْلِهَاهَا»<sup>(٢)</sup>.

## ٢٦ - مشروعية «دعاء ختم القرآن»:

الأصل في دعاء ختم القرآن ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان إذا ختم القرآن جمع أهله فدعا»<sup>(٣)</sup>. وجاء مثل ذلك عن عدد من الصحابة والتابعين، فدعاء ختم القرآن مأثور من عمل السلف الصالح.

ولا يوجد دعاء بالفاظ مخصوصة عند ختم القرآن، وكثرة أدعية ختم القرآن المنتشرة والمتداولة بين الناس ليست دليلاً على مشروعيتها، وليس هناك نص مرفوع إلى النبي ﷺ تقوم به حجة في التزام دعاء يقال عند ختم القرآن الكريم.

ومن أشهر الأدعية المنتشرة بين الناس (دعاء ختم القرآن العظيم) لابن تيمية، وهو منسوب إليه، ولا يصح نسبه إليه بحال<sup>(٤)</sup>.

## موضع دعاء الختم خارج الصلاة:

لقد استقصى الشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله - مرويات دعاء ختم القرآن، وأقوال أهل العلم فيها، بما قد لا يوجد في مكان آخر، وقال - في خلاصة ما توصل إليه:

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: يُكْتَبُ لِلْمُسَافِرِ بِمِثْلِ مَا كَانَ يَفْعَلُ فِي الْإِقَامَةِ (٩٢٦/٢) (ح/٢٩٩٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده (١٦٢١/٣) (ح/٥٠٣٣).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهدة» (ص٢٧٩) (رقم ٨٠٩)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/١٢٨) (رقم ٣٠٠٣٨)؛ وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٠٩)؛ والدارمي في «سننه» (٢/٥٦٠) (رقم ٣٤٧٤)؛ وسعيد بن منصور في «سننه» (١/١٤٠) (رقم ٢٧)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (١/٢٤٢) (رقم ٦٧٤)؛ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٧٢): «رجالها ثقات» وقال ابن عثان في «شرح الأذكار» (٣/٢٤٤): «بإسناد الصحيحين».

(٤) انظر: الأجزاء الحديثية، د. بكر بن عبد الله أبو زيد (ص٢٣٩).

او عليه: فإن خلاصة النتيجة الحكمية في هذين المقامين تتكوّن في أمرين:  
الأول: أن دعاء القارئ لختم القرآن خارج الصلاة، وحضور الدعاء في ذلك، أمر مأثور من عمل السلف الصالحين من صدر هذه الأمة...

الثاني: أن دعاء ختم القرآن في الصلاة، من إمام أو منفرد، قبل الركوع أو بعده، في (التراويح) أو غيرها لا يُعرف ورود شيء فيه أصلاً عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من صحابه مُسنداً...  
أمور لا تُشرع عند الختم:

ذكر الشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله - سبعة أمور تتعلق بالختم، لا يصح فيها شيء عن النبي ﷺ، ولا عن صحابه ﷺ، وهي على النحو التالي:

١ - إكمال الختم وتتمته. ومعناه: أن يقرأ المأموم ما فات الإمام من الآيات، وأن يعيد الإمام - بعد الختم - ما فاته من الآيات.

٢ - استحباب ختمه في مساء الشتاء، وصباح الصيف.

٣ - وضئ ختمه بأخرى بقراءة الفاتحة، وخمس آيات من سورة البقرة.

٤ - تكرار سورة الإخلاص ثلاثاً.

٥ - التكبير في آخر سورة الضحى إلى آخر سورة الناس داخل الصلاة وخارجها، ولم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ.

٦ - صيام يوم الختم.

٧ - دعاء الختم داخل الصلاة<sup>(١)</sup>.

فكل هذه الأمور وأمثالها مما لا تقوم به حجة، فالصحيح عدم مشروعيتها.



(١) الأجزاء الحديثية (مجلد)، ضمن خمس مسائل، منها: مرويات دعاء ختم القرآن الكريم (ص ٢٩٠).

(٢) انظر: تصحيح الدعاء (ص ٢٩٠ - ٢٩١).

## المبحث الرابع

### فضائل تلاوة القرآن

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التلاوة تجارة رابحة.

المطلب الثاني: تَنْزُلُ السَّكِينَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْمَلَائِكَةَ لِلتَّلَاوةِ.

المطلب الثالث: اغتباط صاحب التلاوة.

المطلب الرابع: التلاوة حلية لأهل الإيمان.

المطلب الخامس: التلاوة كلُّها خير.

## فضائل تلاوة القرآن

تمهيد:

كان رسول الله ﷺ يُكثر من تلاوة القرآن العظيم، فكان يقرؤه قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، ومتوضئاً، ومُخْدِئاً، وفي سيره وركوبه، وسائر أحواله. وهذه من الأفعال التي كان يعملها رسول الله ﷺ أحياناً لبيان جوازها، ولكن يُؤخَذُ منها أنه ﷺ كان يقرأ القرآن في سائر أحواله. وقد حثَّ النبي ﷺ أصحابه على قراءة القرآن بصفة فردية أو جماعية، وفي البيوت، وفي المساجد.

وكان رسول الله ﷺ يدعو أصحابه إلى قراءة القرآن في الطرقات بلسان حاله، فنلاحظ أن آيات كثيرة نزلت عليه ﷺ في طريق سفره فكان يقرأ بها، وهي دعوة غير مباشرة منه ﷺ إلى الاقتداء به في القراءة حتى في الطريق. وأما دعوته ﷺ إلى القراءة بورد يومي، فنجدها في قوله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا دعوة منه ﷺ إلى ملازمة الورد اليومي من قراءة القرآن العظيم. وَكُلُّ هذا يريد به ﷺ حثَّ أُمَّتِهِ على الإكثار من قراءة القرآن الكريم؛ ليعيش معهم في كل شؤون حياتهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً<sup>(٢)</sup>. وفضائل تلاوة القرآن العظيم كثيرة ومباركة، تعود بالخير على صاحبها في الدنيا والآخرة، ولو يعلم المسلمون ما في التلاوة من الفضائل والمغانم لما

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل (١/٥١٥) (ح٧٤٧).

(٢) انظر: يعلمهم الكتاب التعامل مع القرآن الكريم (ص٤٢ - ٤٣).



تركوا كتاب الله تعالى من بين أيديهم، يتلونه آناً الليل وأطراف النهار، والمحدث  
عن أهم هذه المضائل حده في المطالب الآتية

### المطلب الأول

#### التلاوة تجارة رابحة

١ - يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا  
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْزُقُونَ كَهَيئَةِ كَلْبٍ لَّيْسَ لَهُ كَفْرٌ ۖ يَتَوَلَّىٰ ۗ وَيُوبِئُهُمْ  
مِنْ قَضِيَّوِهِمْ إِنَّهُمْ سَعِيدُونَ فَكَفِّرُوا﴾ (فاطر ٢٩ - ٣٠) فهذا شأن من الله تعالى حتى  
قراء القرآن العظيم

قال القرطبي رحمه الله: هي آية القرءان العالمين العالمين<sup>(١)</sup> فقد أخبر الله  
ببارك وتعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه،  
من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً أنهم يرجون  
عند الله تعالى ثواباً لا يد من حصوله.

وكان مطرف بن عبد الله<sup>(٢)</sup> كذلك، إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية  
القرءان<sup>(٣)</sup>.

ومعنى ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي يداومون على تلاوته وهي شأنهم  
ودينهم، حتى صارت سعة لهم وعنواناً<sup>(٤)</sup>.

فهذا شأن من الله تعالى على قراء القرآن العظيم أنهم يسلمون على تلاوته  
ويداومون عليها، فهم يتلون الفاظه بدراسة، ومعانيه تتبها واستخراجها<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (١٤/٣٤٥)

(٢) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير (أبو عبد الله) الحرشي العامري المصري، أحد أئمة  
التأثير، فقيه، عابد، نجاب الذمومة، له فضل وورع وحمل وأدب، قال العجلي: «كان  
تقياً لم ينح بالصره من عهد ابن الأشعث إلا هو وابن سيرين» توفي سنة (٩٥هـ) - انظر:  
سير أعلام النبلاء (٤/١٨٧ - ١٩٥)

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦/٥٦٧)

(٤) انظر الكشاف (٣/٦٢٦)، تفسير أبي السعود (٧/١٥٩)

(٥) انظر فتح الصغر (٤/٣٤٨)، تفسير السعدي (١/٢١٦)

فهؤلاء الضالكون، يرجون بأفعالهم الضالحة: ﴿مَجْتَرَةً لَنْ تَكُونُوا﴾ أي لن تكسبوا ولن تهلكوا.

يقال: بارزت الشوق إذا كسبت، وبارز الطعام إذا قند<sup>(١)</sup>.

وحامت صفة هذه التجارة الرباحة بأنها: ﴿لَنْ تَكُونُوا﴾ أي: لن تهلكوا بالحرصان أصلاً، نذلاً لانه على أنها ليست كسائر التجارات الميسورة الناتجة بين الربح والحرصان، لأنه اشتراء باقى بقاء، والاحيار بأنهم يرجون ذلك من أكرم الأكرمين - وقد مفرطون ومضمون حصول مخرجهم<sup>(٢)</sup>.

فهذه تجارة من أجل التجارات، وأعلهاها وأفضلها، ألا وهي رضا الرحمن حلّ حلاله، والفوز بحزب نوابه، والشدة من سحقه وعقابه<sup>(٣)</sup>.

فهو من مشتمر إلى الجنة بالإكثار من تلاوة القرآن، فبها تجارة رابحة ومضمومة عند أكرم الأكرمين القائل في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَتَبْنَا لَهُمْ هُدًى مِنْ قَبْلِهَا أَذْيَبًا الْأَنْهَارُ حَتَّى يَدْرُوا فِيهَا كَيْفًا وَتَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَسَدَقَ مِنْ اللَّهِ قَبْلًا﴾ الساء، ١١٢.

ولهذا قال تعالى: ﴿لِيُؤْتِيَهُمُ الْخَيْرَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمِنْ فَضْلِهِ﴾، أي: ليؤتيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بربادات لم تحطوا بهم، ﴿إِنَّهُمْ عَاقِبُونَ﴾، أي: لدمومهم، ﴿تَشْكُرُونَ﴾ للفنيل من أصلهم<sup>(٤)</sup>.

فإنه سبحانه وعد أهل الفرق العاطلين به بعظيم الأجر وإن يزيدهم من لذة عطشاً وتكرماً، وهذه الزيادة لا يعلم مقدارها إلا الله ذو الفضل العظيم.

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، لَا الْقَوْلُ «أَنْزَلَ» حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَوَاوٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر تفسير الصوري (٢٢١/١١٣٦) تفسير السمرقندي (٥٥٢/٢).

(٢) انظر عبر أمر السوء (١٥١/٢٧) (١٢): انظر تفسير السعدي (٢١٧/٤).

(٣) عبر ابن كثير (٥٦٧/١٦).

(٤) رواه ابن العربي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن حاله من الأجر (١٧٥/١٥١) (١٢) وقال: أحسن صحيح عربي، وصححه الحاكم، ووافقه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «تَمَلَّعُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَإِنَّكُمْ تَلْجُرُونَ بِتِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرِيمٍ عَشْرَ حَسَابٍ، أَنَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الزَّيْمُ﴾ وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَا مٌ وَمِيمٌ»

وفي رواية أخرى أنه قال: «الْفُ وَلَا مٌ وَمِيمٌ تَلَاوُزٌ حَقٌّ»

قال الصبار كغوري كلمة «والحرف يُقْلَقُ عَلَى حَرْفِ الْمَجَاءِ، وَالْمَعْنَى، وَالْحَمَلَةُ الْعَلِيَّةُ- وَالْكَلِمَةُ الْمُخْتَلَفُ فِي قِرَائَتِهَا، وَعَلَى مُطْلَقِ الْكَلِمَةِ»

ويشير هذا الحديث العظيم إلى عذة شور:

أولاً: أن في تلاوة كل حرف من كتاب الله صلى الله عليه وسلم عشر حسبات، وهذا هو أقل التصاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿لَنْ نَسَى بِالْحَسَنَةِ لَمْ نَسْأَلْهَا﴾ [الاعلام ١١٦].  
 ﴿وَأَنَّ يُكْتَفَى لِمَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ [الفرد ١٢٦]. ولاشك أن زيادة الأجر ومضاعفته تناسب وحال انفراق من الإخلاص والحشوع والتبكير والتأدب مع كتاب الله تعالى.

ولذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة، لفة عشر أمثالها وأريد. ومن جاء بالسبقة، فجزاؤه سنة مثلها. أو المهقرة» (٣)

١- الذهبي- وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٩/٣٦) ج ٢٢٢٦، أو صحيح الجامع: (١٠٠٣/١٦) ج ٦٤٦٩.

٢١- رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب: فصل فراءة القرآن والاستماع إليه (ص ٢٥).  
 وانقاري في أمته، كتاب فضائل القرآن، باب: فصل من قرأ القرآن (٢١/٢٣٠٢) رقم ١٣٣٠٨ والمطري في المعجم الكبير (٩: ١٤٠) رقم (١٨٦٥٤) والعرباني في فضائل القرآن (ص ١٦٩) رقم (٦٢) وانظر أي شيء في «مصحة» كتاب فضائل القرآن، باب: توسع من قرأ حروف القرآن (١٠١/٤٦٦) رقم ١٩٩٨٣ وأورد الألباني في «اللسنة الصحيحة» (١١/٢٦٧) رقم (٦٦٠).

وقال د إبراهيم علي السيد في كتابه «الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم» (ص ١٠) «إن شاء حسن» فيه عمر بن عبد المنوف، وطلبه رجاله ثقاة»

(٢) نسخة الأحرفي (٨/١٨٢)

٣١- رواه مسلم- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الذكر والتعباد- والقرن إلى الله (١١/١٩٠٨) ج ٢٦٨٧

قال النووي تظلم: فمعناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لا نداهه بظلم الله، ورحمته، ووعده الذي لا يخلف، والزيادة بعد كثرة التضعيف إلى سبعين ضعف، وإلى أضعاف كثيرة، يحصل لحض الناس دون بعض على حسب منتهى عقابهم.

ولا تكاد تجد يقرأ ينال صاحبه بشئ هنا الأجر به كما ينال من يتلو القرآن. فكم من الحسرات ينالها من قرأ سطرًا أو حرفًا أو جزءًا من كتاب الله ١٩٤ وإذا غنمنا أن الناس ينسارعون يوم القيامة على حسنة واحدة يُلقنون بها موارثهم أدركنا عظمة هذا الأجر الذي ينتظر من يتلون كتابه الله حتى تلاوته.

فيا عجباً لهذا الطالب الذي يستغرق - صابراً أو متصبراً - في دراسة كتاب مقرر عليه عشرات الساعات، وربما العديد من الأيام والأسابيع ثم يُعبدته ويُلخصه ويراجعه، وقد يحفظ مُعظنه غيباً أو شبه غيباً، ليحصل على الدرجة الكاملة بحقق بها جزءاً من النجاح في أمر دنيوي. وقد لا يجمع في مساعاه، ثم تجده زاهداً في كتاب الله، غير صابر على قراءته وتلاوته معاه، ألس من الجهل وصحى البصيرة - إدد - أن ينصرف المسلم عن تلاوة القرآن العظيم، وفيه من الحيرات والبركات السوية والأحرورية ما فيه؟ وهي مضمونة ومكتوبة له عند رب العالمين.

ثانياً يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَسْتَكِبِينَ الَّذِينَ الشَّيْطَانُ﴾ [مريم: ١١٤]. ويقول في الثائيبين العاصيين: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]. فبفضل ما يتلوه المسلم من كتاب الله تعالى، وما يكتبه من حسانت مصاعفه، قد يمحى الله ما اكتسب من أوزار ومعاصي.

فكلُّ ابن آدم خطاء، ولا أحد ينجو من الزنكابات سينة أو سينات، أو الوفوع في ذنب صغير أو كبير، فالمسلم بحاجة دائمة ليكفر عن ذنبيه، بل ويسئل الله الكريم مباته حسانت، خاصة إذا توافرت منه شروط التوبة من جهل، وشروط التلاوة المطلوبة من جهة أخرى.



ثالثاً. كلما ازداد المؤمن استكثاراً من التلاوة ازداد رزقاً عند الله ﷻ وتحوّل من صفة ومترلة إلى مترلة أعلى وأعظم.

فمن جسم القاري ﷺ قائم، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِحَالَةِ آيَةٍ فِي تِلْكَ كُتِبَ لَهُ مِثْرُ كَيْلَيْهِ»<sup>(١)</sup>

قال السنوي تلمذة: «أي: بآياتها»<sup>(٢)</sup>

وعزّ عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قائم، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بِمَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» وَمَنْ قَامَ بِحَالَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَمَنْ قَامَ بِالْقَبْلِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُفْتَطِرِينَ»<sup>(٣)</sup>

ومعنى: «كُتِبَ مِنَ الْفَائِزِينَ» أي: من الفائزين الخاشعين المعصّلين. ومعنى «كُتِبَ مِنَ الْمُفْتَطِرِينَ» أي: المانكين مالا كثيراً، والمراد كثرة الأجر. وليل: من أعطى أجراً عظيماً»<sup>(٤)</sup>

وقد يبدو لأول وهلة أنّ قراءة ألف آية في اليوم من الأمور الضعيفة، ولكن عندما نعلم أنّ تلاوتها لا تستغرق من أحدنا أكثر من ساعة ونصف تقريباً بتلاوة متأنية ندرك أنّ ذلك يسر من الضعوبة في شيء.

فأحرّ حزمين في القرآن الكريم (تبارك وعظم) قراءة ألف آية»<sup>(٥)</sup>

رابعاً إنّ تلاوة القرآن العظيم تزداد وتعمق إذا كانت في الصلاة، كما مرّ بنا في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ الآية المذكور

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٠٣/٤) ج ١١٦٥٥٥، والدارمي في «مسنده» (٣٣٧/٢) ج ١٣٤٥٠، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٥٣) - وهو في «مصلّي اليوم والليلة» (٧١٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٣/٢) ج ١٤٤٦٨.

(٢) فيض القدير (١١٦/١٤٩٥)

(٣) رواه ابن جرير في «صحيحه» (٦/١١٨١) ج (١١٤٤) ١، وابن حبان في «صحيحه» (٦/١٣١٠) ج (٢٥٧٢) ١، وأبو داود في «مسنده» (٢١/١٥٧) ج (١٣٩٨) ١، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١١٣/١) ج (١٢٤٦).

(٤) انظر: عون العمود شرح سنن أبي داود (٤/١٩٢)

(٥) بلغ عنه آيات جريري «تبارك وعظم» برواية حفص عن عاصم الكوفي ﷺ: (١٩٩٥)، فإذا أضفنا هذه آيات سورة الفاتحة - وهي ركعتان في الصلاة - تجاوز العدد (١١٠٠٠) آية ولا يعني ذلك أنّ يقتصر المسلم على تلاوتها في صلاة دون غيرها.

ذَلِكَ أَنَّ التَّائِبِي فِي الصَّلَاةِ يَجْمَعُ أَكْثَرَ مِنْ أَجْرٍ فِي وَفْتٍ وَاحِدَةٍ، عَلَيْهِ أَجْرُ الصَّلَاةِ، وَأَجْرُ الذِّكْرِ، وَأَجْرُ التَّلَاوَةِ، وَيَتَضَاعَفُ ذَلِكَ مَعَ التَّسْبِيحِ وَالْحَشْوِجِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ.

وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَجْرَ الْكَبِيرَ الَّذِي يَفُورُ بِهِ الْغَزَائِيُّ فِي صَلَاتِهِ بِمَثَلِ حَمَلِي مُعْتَرٍ:

مَعْرُ أَبِي مُرَيْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّجِبُ أَخَذَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَعْلَاهُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خِلْفَاتٍ»<sup>(١)</sup> عِظَامُ سَبَانٍ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «فَتَلَاثُ آهَاتٍ يَخْرُأُ بِهِنَّ أَخَذَكُمْ لِمِ صَلَاتِي». خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خِلْفَاتٍ عِظَامُ سَبَانٍ»<sup>(٢)</sup>.

فَلَا يَخْرُأُ الْمُسْلِمُ آهَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِنَاقَةٍ حَامِلَةٍ عِظَامَةٍ سَبِيَّةٍ، وَأَبْيَرِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ. وَكَأَنَّمَا تَلَدَ الْحَسَابُ الْحَسَابَ، وَاللَّهُ يُضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. نَسَأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ»<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني

#### تَنْزِيلُ السُّكِينَةِ وَالرِّاحَةِ وَالْمَلَائِكَةُ لِلتَّلَاوَةِ

مِمَّا وَرَدَ فِي فَصْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَعَلُّمِهِ وَمَدَارَسَتِهِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْعَسْكَرِ الَّذِي هُوَ مَهْوًى أَفْتِنَةِ الْمُؤْمِنِ، حَقِيقَتُ أَمْرِ حَرِيرَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي تَيْبَةٍ مِنْ بَيِّنَاتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ»<sup>(١)</sup> بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السُّكِينَةُ»<sup>(٢)</sup>، وَكَهَيِّبَتُهُمْ

(١) (خِلْفَاتٍ): الْخِلْفَاتُ الْحَوَامِلُ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى أَنْ يَبْطِي عَلَيْهَا عَفْ أَمْدَحًا ثُمَّ فِي عَشْرِ وَأَبْوَابِ خِلْفَةٍ وَعَشْرًا. انظر صحيح مسلم شرح النووي (٥٩/٦).

(٢) رَوَاهُ مُسْنَدُ كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ، بَابُ: فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ (١١/١٠٥٢) (ج ١٠٩).

(٣) انظر أنوار القرآن (ص ٧٩ - ٨٢).

(١) (يَتَذَكَّرُونَ): يَقْرَأُونَهُ وَيَتَعَلَّمُونَ تِلَاوَتَهُ. وَقِيلَ: انْتَدَارَسُوا قِرَاءَةً بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَضَحِيحًا لِأَلْفَاظِهِ، أَوْ كَشَفًا لِمَعْنَاهِ. انظر: تحفة الأحمدي (٢٦٨/٨١) النهاية في معرفت المعنى (١١٣/٢١)، مناقفة (درس).

(٢) (السُّكِينَةُ): الْوَقَارُ وَالْقَانِي وَالشُّكُونُ وَقِيلَ: الرِّاحَةُ. وَقِيلَ: حَقْنُ رِقَبِ كَالرِّيحِ وَالْهَوَاءِ.

الرَّحْمَةَ<sup>(١١)</sup> وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ<sup>(١٢)</sup>، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ لِيَمُنَّ مِنْهُمُ<sup>(١٣)</sup>.

هذا الحديث من أعظم الشارات التي يُشِيرُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُحْتَمِلِينَ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَدَارِسِهِ، فَقَدْ رَوَاهُمْ فِي مَدَارِسِهِ وَحَفَّتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَعَلَّهَا مِنْ مَرْاهِمُ وَشُرْفِهِمْ، وَصَلَّاحِ أحوالِهِمْ، وَلَعَلَّهَا مِنْ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، سِوَاهُ أَكَّانِ اجْتِمَاعِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ أَمْ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَدَارِسِ أَوْ الْبُيُوتِ.

فَالِ التَّوْرِيُّ ﷺ: أَوْفَى هَذَا دَلِيلٌ لِفَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَسْجِدِ وَفِي مَعَسَا، وَمَذَاقِ الْحَمِيمِ، وَتَلَحُّقِ بِالْمَسْجِدِ فِي تَحْصِيلِ الْعُضْبَةِ الْاجْتِمَاعِ فِي مَدْرَسَةٍ، وَرِطَاطِ، وَحَوْطِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(١٤)</sup>.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي مُرَّةٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْحَدَرِيِّ ﷺ: «أَتَتْهُمَا شَهْدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: لَا يَفْعَلُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَوَعْبَتَهُنَّ الرُّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ التَّكْبِيَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ لِيَمُنَّ مِنْهُنَّ<sup>(١٥)</sup>».

وَمَا أَقْرَبُ مَجْلِسًا مِنْ مَحَالِّ الْحَيْرِ تَنَكَّرَ فِيهِ السَّرَكَاتُ، وَتَنَهَّرَ عَلَيْهِ الرُّحْمَاتُ، وَيَعُودُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْأَجْرِ الْحَزِيلِ، وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، كَمَجْلِسِ قُرْآنِهِ فِيهِ تَدَارُسٌ وَتَعَاهُدٌ وَتَعَلُّمٌ وَتَعْبِيرٌ، وَمَنْ حَضَرَ بِلِ أَرْبَعِ حَوَائِزِ عَظِيمَةٍ، وَهِيَ كَالْآنِي.

الْحَقْلَةُ الْأَوْفَى: نَبْوُلُ التَّكْبِيَةِ عَلَيْهِ.

إِنَّ أَوَّلَ مَا يُشْخَفُ بِهِ مَوْلَا- الْمُحْتَمِلُونَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَدَارِسِهِ. نَبْوُلُ

(١١) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (٣٨٦/٢)، مَادَّةُ: (سَكْر).

(١٢) (عَبَسَهُمُ الرُّحْمَةُ): أَيِ عَطَلَهُمُ الرُّحْمَةُ، وَغَشَاءَ تَلْشِيَةً إِذْ عَطَا، وَعَشِي الشَّرِيءَ إِذَا لَاسَ.

النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (٣٦٩/٣)، مَادَّةُ الْخَسْرَا.

(١٣) (حَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ): أَيِ عَارَتِ حَرَمَهُمْ.

النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (١٠٨/١)، مَادَّةُ أَحْضَا.

(١٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالذَّمِّ وَالنُّوْبَةِ وَالِاسْتِعْمَارِ- بَابُ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَنِ الذِّكْرِ (١١٠٧١/١) ج ٢٦٩٩.

(١٥) انْظُرْ صَحِيحَ مُسْلِمٍ يَشْرَحُ التَّوْرِي (١٧١/١٢٢).

(١٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالذَّمِّ وَالنُّوْبَةِ وَالِاسْتِعْمَارِ- بَابُ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَنِ الذِّكْرِ (١٢٠٢٤/١) ج ٢٧٠.

السُّكِينَةُ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ الْعَطْمَانِيَّةُ وَالرَّاحَةُ التَّعْسِيفُ، فَلَا يَصِيبُهُمْ مِنْهَا بِمَلَأَ قُلُوبِ  
الْأَشْرَعِينَ مِنْ قَلْبٍ وَاضْطِرَابٍ وَأَمْرٍ أَوْ نَفْسِيَّةٍ وَغَلْبٍ وَمَجَافٍ جَمَلَتْ حِيلَهُ مَوْلَاهُ  
جَمِيعاً لَا يُطَاقُ<sup>(١)</sup>

وَمَعْنَى السُّكِينَةِ: السُّكُونُ وَالْعَطْمَانِيَّةُ الَّتِي يَطْمَتُّ إِلَيْهَا الْقَلْبُ وَيَسْكُنُ بِهَا عَنِ  
الرُّعْبِ وَقِيلَ: هِيَ الرَّاحَةُ. وَقِيلَ: الْوَقَارُ. وَقِيلَ: هِيَ مَلَائِكَةُ الرَّاحَةِ<sup>(٢)</sup>.

فَالْأَبْنُ حَجَرَ تَطَلَّ. وَالَّذِي يَطْهَرُ أَنَّهَا مَقُولَةٌ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي،  
فِيحْتَمِلُ كُلَّ مَوْضِعٍ وَرَدَتْ فِيهِ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ تَطَلَّ: «الْمَحْتَارُ أَنَّهَا تَسْمَى مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لِمَا لَهَا مِنْ عَطْمَانِيَّةٍ وَرَحْمَةٍ  
وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(٤)</sup>.

وَلَمَّا تَنَزَّلَتِ السُّكِينَةُ لِأَحَدِ الصُّحَابَةِ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ:

فَعَنِ الرَّاءِ بْنِ عَرَابٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ  
جِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطْنَيْنِ<sup>(٥)</sup>، فَتَفَثَتْ<sup>(٦)</sup> شَعَابَةً، فَجَمَلَتْ نَذْوُهُ وَتَذْوُوهُ، وَجَعَلَ مَرْسَةً  
يَنْفِرُ<sup>(٧)</sup>، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمَرُ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «يَهْلِكُ السُّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ  
بِالْقُرْآنِ»<sup>(٨)</sup>.

وَفِي نَعْيِهِ قَالَ الرَّاءُ بْنُ عَرَابٍ رضي الله عنه: قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وَرَمَى الشَّامَ دَائِمَةً،  
فَجَمَلَتْ تَفَثُهُ، فَظَفَرَ فَإِذَا حَسَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ عَشِبَتْ. قَالَ: فَذَكَرْتُكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ.  
فَقَالَ: «اقْرَأْ، فَلَمَّا قَرَأَتْهَا السُّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ حَتَّى الْقُرْآنِ، لَوْ تَنَزَّلَتْ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ»<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: ورتل القرآن تزيلاً (ص ١١٥) (٢) انظر: نسخة الأحادي (١١٥٦/٨)

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٧١٩).

(٤) صحيح مسلم شرح النووي (٨٢/٦١)

(٥) اشطنين: يفتح الشين المصعقة والغاء، تشبه شطن. وهو الحبل القوي، وإسما تشبه  
شطنين لقوته وقبضته. النهاية في غريب الحديث (٢/١٢٧٤ - مادة اشطن)

(٦) انقشمت: أي غلته وقرت به. النهاية في غريب الحديث (٣/٣٦٩)، منتفا: (غشا).

(٧) ينفر: أي يتب ويحول. صحيح مسلم شرح النووي (٦/٥٩٢).

(٨) روى البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل سورة الكهف (٣/١٦٢١٥)، ج ١٠٠١١.

(٩) روى مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: نزول السُّكِينَةِ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ (١/٥٤٨)، ج ٧٩٥.

جاء في (تحفة الأحوذى) عن الطَّيْبِيِّ كَقَوْلِهِ: «فإن المؤمن تزداد طمأنينته بأمثال هذه الآيات إذا كُوِّشِفَ بها»<sup>(١)</sup>.

وهذا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَيْلًا: هُوَ أَسِيدُ بَنِي حَضِيرٍ رضي الله عنه، كما سيأتي حديثه قريباً أنه كان يقرأ سورة البقرة، وفي هذا الحديث كان يقرأ سورة الكهف، وهذا يدل على تعدُّدِ الْقِصَّةِ<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما يمتنُّ اللهُ جَلَّ جلاله على رسوله صلى الله عليه وآله وعلى عباده المؤمنين بتنزيل السَّكِينَةِ عليهم؛ لأنها فضلٌ عظيم من الله تعالى، وراحةٌ عظيمة للمؤمن، مثال ذلك ما كان في صلح الحديبية، قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» [الفتح: ٤].

فقد امتنَّ اللهُ تعالى على عباده المؤمنين بإنزال السَّكِينَةِ في قلوبهم. وهي: السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ، والنَّباتُ عند نزول المَحْنِ الْمُقْلِقَةِ التي تُشَوِّشُ الْقُلُوبَ وَتُضْعِفُ النُّفُوسَ. فَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يُثَبِّتَهُ، وَيَرْبِطَ عَلَى قَلْبِهِ، وَيُنزِلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه. فالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم، لَمَّا جَرَى بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ الَّتِي ظَاهَرَهَا أَنَّهَا غَضَاضَةٌ عَلَيْهِمْ وَحَطٌّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، وَتِلْكَ لَا تَكَادُ تُصْبِرُ عَلَيْهَا النُّفُوسُ.

فَلَمَّا صَبَرُوا عَلَيْهَا، وَوَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ لَهَا، أَزْدَادُوا بِذَلِكَ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

والقلوب كثيراً ما تمتلئ بالهموم والأحزان والاضطرابات، فإذا ما جلس المؤمن مع إخوته يتخلقون حول كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم زال كل ذلك عنهم ونزلت عليهم السَّكِينَةُ.

فأين أولئك الذين يلتجئون إلى العبادات النَّفْسِيَّةِ؛ ليتخلصوا من همومهم وآلامهم النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تُحَاصِرُهُمْ، أين هم من المجالس التي تنزل على أصحابها

(١) تحفة الأحوذى (١٥٦/٨).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٧/٩).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٤٤/٥).



السَّكِينَةَ، فليفروا من مجالس المعاصي والآثام والموبقات إلى مجالس الثور والسَّكِينَةَ؛ ليغسلوا قلوبهم، وَيُطَهَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، ويرتاحوا من آلامهم<sup>(١)</sup>.

الجائزة الثانية: تغشاهم الرَّحْمَةُ:

الرَّحْمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، بل تغشاهم في مجالسهم، وأهل هذا المجلس هم من المحسنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُتْحَسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وجزاء أهل الإحسان عند الله عظيم، فإن: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]. ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤].

والله تعالى يُجِبُّهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتْحَسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ورحمة الله تعالى خير لهم مما يجمعه أهل الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. عند ذلك نعلم يقيناً أن ما يجنيه أهل مجلس التلاوة والمدارسة من الخير العظيم لا يوازيه كل شيء يجمعه أهل الدنيا من الحطام الزائل.

وقد سَمَّى اللهُ تعالى وحيه إلى أنبيائه بالرَّحْمَةَ، كما قال تعالى مُخْبِرًا عَنْ نوحٍ ﷺ: ﴿قَالَ يَقُولُ آرَبَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ يَتَنَزَّلُ مِنْ رَبِّي وَأَنَا نَذِيرٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [هود: ٢٨]. يشير إلى ما اختصه الله تعالى من الوحي والعلم والحكمة.

وكذلك قال صالح ﷺ: ﴿وَأَنَا نَذِيرٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٣].

ومن باب أولى أن يُسَمَّى الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ بِالرَّحْمَةِ، فقد قال الله تعالى لِنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت رحمة الله قد وسعت كل شيء، وأحاطت بكل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فهي بَأَنْ تَسَعَ أَهْلَ الْقُرْآنِ

(١) انظر: أنوار القرآن (ص ١٠٧ - ١٠٨).

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٧٨).

ثَلَاثَةٌ أَحْرٌ وَأَجْرٌ<sup>(١)</sup>

الجائزة فنائلة - لحقهم الملائكة -

منحهم الملائكة الكرام بأجنتها تسرياً وعظيماً لهم، ولما اجتمعوا عليه  
ولقد نزلت الملائكة الكرام وودت من الصحابي الجليل أسيد بن حضير رضي الله عنه  
وهو يقرأ القرآن الكريم. فمن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة  
البقرة، وفرسة مزبوطة عنده، إذ خالت الفرس، فسكت فسكت، فقرأ فجالت  
الفرس<sup>(٢)</sup>، فسكت وسكب الفرس، ثم قرأ لخالت الفرس، فأنصرفت، وكان أنة  
يخى قريباً منها، فأشفق أن تصبه، فلما اخبرته<sup>(٣)</sup> رفع رأته إلى السماء حتى ما  
يراعا، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «قرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن  
حضير». قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ نخي، وكان منها قريباً، فرفعت  
رأسي فأنصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإفا مثل القملة<sup>(٤)</sup> فيها أمثال  
المضايح، فخرجت حتى لا أراها، قال: «ونفسي ما ذاك». قال: لا، قال:  
«تلك الملائكة دنت لوضوئك، ولو قرأت لأصبحت بنظر الناس إليها، لا تتوازي  
منهم»<sup>(٥)</sup>.

قال أبو حنيفة رضي الله عنه قال النووي: في هذا الحديث حوار روية أحاد الأمة

- (١) انظر المصدر السابق (ص ١٠٩ - ١١٠).
- (٢) (بخالت الفرس): أي وثبت واضطربت. قال في هذه الرواية: «حاشته ما أت الفرس وهو صحيح لأن الفرس يطلق على الذكر والأنثى».
- (٣) انظر صحيح مسلم شرح النووي (٦/٨٣).
- (٤) (فلما أخبرته): حليم ومثاء روية ثليلة، والضمير لولده أي. احترأ ولده من المكان الذي هو به حتى لا تطأ الفرس. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٦١).
- (٥) (القملة): هي ما يقى من الشمس كصحاب أو سقف بيت. صحيح مسلم (٥٤٨/١).
- (٥) روى البخاري، وانظر له كتب فضائل القرآن، باب نزول السكبة والملائكة عند قراءة القرآن (٣/١٦٦٧) ح ١٨٠٥٠، ومسلم، كتاب صلاة العساكر، باب نزول السكبة لقراءة القرآن (١/٥٤٧) ح (٧٩٦).

للملائكة، كما أظن، وهو صحيح، لكن الذي يظهر التَّفْيِيدُ بِالضَّالِحِ مَثَلًا  
وَالْحَسْرَةُ الْقَوِيَّةُ، قَالَ وَجِهَةٌ مُضِيئَةٌ وَأَنَّهَا سَبَبُ نَزْوِ الرَّحْمَةِ وَحُضُورِ  
الْمَلَائِكَةِ طَلَّتِ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ أَحَدُ مِنَ الدَّلِيلِ، فَالَّذِي فِي الرَّوَايَةِ إِنَّمَا نَشَأَ عَنْ  
فِرَاقِ حَاضِرَةٍ مِنْ سَوَادِ حَاضِرَةٍ بَصْفَةٍ حَاضِرَةٍ، وَحَسْمَلُ مِنَ الْحَصُوصِيَّةِ مَا لَمْ يُذَكَّرْ،  
وَأَلَّا لَوْ كَانَ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِحْصَلِ ذَلِكَ لَكُلِّ قَارِئٍ<sup>(١١)</sup>

وَنَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ لِيُؤَدِّيَ الرُّسُولَ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِ  
الْكَافِرِينَ، وَهِيَ مِنَ الْأَكْرَمِ الْمَوَاقِفِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُنزِّلُ لِيَنْزِلُوا وَتَلْمُذُوا وَتَلْمُذُوا بِرُؤُوسِهِمْ  
مَوْرَعَهُمْ هَذَا بِتِلْكَ بِرُؤُوسِهِمْ بِرُؤُوسِهِمْ، الْغُرُوبُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٤٦٥  
وَكَذَلِكَ نَسَزَلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، أَعْظَمَ أَنْبِيَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿نَزَلَ السُّكْبَةُ  
وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ القدر: ٤.

وهي كذلك تنزل لتتحف المؤمنين، وهم يتلون القرآن العظيم ويتدبرونه  
فيما بينهم، وتنزل معها المغفرة والرحمة ورضى الله تعالى<sup>(١٢)</sup>.

الجزارة الرابعة: يَذْكُرُهُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ:

وَمَنْ مَنَّى فَوَدَّكَ اللَّهُ فِيمَنْ جَنَّتَهُ، أُنْسَ عَلَيْهِمْ، أَوْ أَتَاهُمْ فِيمَنْ عِنْدَهُ مِنَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ<sup>(١٣)</sup>.

وَأَيُّ مَكَانَةٍ أَكْرَمَ وَأَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهُ حَلَّ حِلَالِهِ وَتَفَلَّسَتْ أَسْمَاءُهُ عِنْدَ  
الْمَغْفِيرِ الضَّعِيفِ فِيمَنْ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ابْقُوا لِلَّهِ ﷻ: أَنَا جِنْدُ  
ظَنِّ عَيْدِي، وَأَنَا مَنَعَةٌ جَبِينٌ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَّرَنِي فِي نَفْسِي، ذَكَّرْتُهُ لِي نَفْسِي، وَإِنْ  
ذَكَّرَنِي لِي مَلَأَ ذَكَّرْتُهُ لِي مَلَأَ خَيْرَ مَنَعَةٍ<sup>(١٤)</sup>.

(١١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨١/٩).

(١٢) انظر أنوار القرآن (ص ١١٠).

(١٣) انظر حود المعبود شرح سني أبي داود (٢٣٠/١١).

(١٤) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والفحص (٤).

ولقد سبب الله عباده المؤمنين إلى ذكوه فقال تعالى: ﴿اذكروا الذكوة﴾<sup>(١)</sup>  
 [القرة: ١٥٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الله إياكم أكثر من ذكركم إياه.  
 وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: اذكروني بطاعني أذكركم بمعفوني<sup>(٢)</sup>  
 فإذا علم المسلم أن عطيماً من العظماء ذكره أمام حاشيته أو خاصته بحبر  
 وأنى عليه، ألا تملئ نفسه غبطة وسروراً، ويستبشر بذلك؟  
 وبالله المثل الأعلى في السماوات والأرض، فكيف إذا علم أن الله حل  
 جلاله بيني عليه في الملا الأعلى؟ ألا يستبشر وتُسّر؟!  
 فإن هذا من أعظم الحوافز والذوافع إلى المسارعة إلى مجالس القرآن  
 المباركة تلاوة وتدارساً وتدبراً وصلواً.  
 فهبتاً لأهل القرآن بهذا الفضل العظيم والمترلة الرقيقة، وتجنباً عن يده  
 ويتكامل أو يعرض عن مجالس القرآن العظيم<sup>(٣)</sup>

### المطلب الثالث

#### احتياط صاحب التلاوة

##### ١ - احتياط التالي للقرآن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا حسنة إلا هي التثني»<sup>(١)</sup>  
 رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ بِتَوْءَاتِهِ اللَّيْلِ وَأَتَاهُ النَّهَارُ، فَسَجَدَ جَارِلُهُ فَطَالَ: لَيْتِي  
 أُوَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانٌ، فَمِثْلُ مَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي  
 الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتِي أُوَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانٌ، فَمِثْلُ مَا يَفْعَلُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٨٩).

(٢) انظر: أمهات القرآن (ص ١١١)، ورتل القرآن مرتلاً (ص ٢٥).

(٣) «ألا حسنة إلا هي التثني» الحسد أن يرى الرجل لأخيه حمة فيمنى أن تزول عنه وتكون  
 له حبة، والقبض أن يمنى أن يكون له مثنها ولا ينسى زوالها، والعمران بالحسد هنا  
 المعنى «النهاية» في حريب الحديث (١/١٣٨٣، مادة «حسد»).

(٤) روى البحاري، كتاب فضائل القرآن، باب احتياط صاحب التلاوة (١/١٦١٩، ج ١٥٠٢٦).

وهي لفظة آخر مرموحاً **ألا تحسد إلا في التين** رجل آتاه الله القرآن. فهو  
بتلوة آتاه اللبيل والنهار ١٠ الحديث ١١.

ومعنى: **ألا حسد إلا في التين**.

أي: لا رخصة في الحسد إلا في حصلتين. أو لا يحسن الحسد إن  
حسن، أو أطلق الحسد مبالغة في الحث على تحصيل الخصلتين. كأن قيل: لو  
لم يحصل إلا بالطريق المعلوم لكاد ما فيها من الفضل حاملاً على الإقدام على  
تحصيلها به، فكيف والطريق المعلوم يمكن تحصيلهما به ١٢.

قال النووي رحمه الله: **قال العلماء**: الحسد قسمان: حقيقي، ومجازي.  
فالحقيقي: تمني زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع  
التفويض الصحيحة، وأما المجازي فهو العبة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي  
على غيره من غير زوالها عن صاحبها. لأن ثابت من أمور الدنيا كانت مباحة،  
وإن كانت حدة فهو منحة والعرف بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين  
الحصلتين، وما في معانيها ١٣.

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن صاحب القرآن - الذي يتلوه آتاه  
اللبيل وآتاه النهار - في غبطة. أي في فرح وحسب حال. فبمعي أن يكون شديد  
الاعتباط بما هو فيه، ويستحب تعبيته بذلك، بقا غبطة بغبطة بكر آتاه  
غبطاً؛ إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا خلاف الحسد المعلوم، وهو  
تمنى زوال نعمة المحسود منه سواء حصلت لذلك العاصد أم لا، وهذا معلوم  
شريعاً، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم على ما منحه الله تعالى من  
الكرامة والاحترام والإعظام ١٤.

والغبطة ليست بحرام، بل ربما كانت واحدة أحياناً، أو مندوبة، أو مباحة  
في أحيان أخرى. والله تعالى يقول: **﴿وَلَيْكَ الْغَنَاءُ الْمُنْفُوسُونَ﴾** المطففين ١٢٦.

١١ روى البحاري، كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم ١١/٢٢٦٦ (ج ٧٢٣)

١٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٩١/٨١

١٣ صحيح مسلم شرح النووي ٣٢٨/٦

١٤ نظر مصنف القرآن، لآس كتبه (ص ١٢٠)



ويقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]. والمسابقة منافسة، والمناصفة غبطة.

ولكن مجرد التمني والغبطة لا يكفي بحال من الأحوال مادام المسلم قادراً على أن يكون خيراً مما هو فيه، وآتاه الله تعالى من الوسع والطاقة والأسباب التي تُعيّنه على تحصيل القرآن والعلم الشرعي، ثم فقد يتمنى فقط فهذا التمني لا يُقدّم ولا يؤخر<sup>(١)</sup>.

## ٢ - اغتياب القائم بالقرآن:

فمن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَخْطَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن يزيد بن الأختس رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَنَافَسَ بَيْنَكُمْ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَخْطَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ، فَيَقُولُ رَجُلٌ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَخْطَانِي بِمِثْلِ مَا أَخْطَىٰ فَلَنَا، فَأَقُومَ بِهِ كَمَا يَقُومُ بِهِ...» الحديث<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر رحمته الله: «والمتراد بالقيام به العمل به مطلقاً، أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها، ومن تعليمه، والحكم والفحوى بمقتضاه»<sup>(٤)</sup>.

وهذا يُذكرنا بقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِلَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

(١) انظر: أنوار القرآن (ص ٢٥٢ - ٢٥٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: اغتياب صاحب القرآن (١٦١٩/٣) (ح ٥٠٢٥).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١٠٤/٤) (ح ١٧٠٠٧).

وقال مُحَقِّقُو الْمَسْنَدِ (١٦٨/٢٨) (ح ١٦٩٦٦): «صحيح لغيره».

وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٠٥/١) (ح ٦٣٦٦): «حسن صحيح».

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٢١٩ - ٢٢٠).

والمتهور عند كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت فيمن آمن من أحياء أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وأسد بن عبيد، وثعلبة بن سعيد، وغيرهم، أي لا يستوي من تقدم ذكرهم بالدم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين استموا وللهذا قال تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، أي ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِئَافًا أَهْلِ الْكِتَابِ إِنَّهُ فَلْيَسَّ﴾، أي: قائمة بأمر الله، مطبعة لشرعه، فتعنه بني الله وهي ﴿فَلْيَسَّ﴾، أي: مستقيمة عادلة من قولك: أفتت العود فقام، أي استقام

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَسَاءُوا﴾ أي ساءوا، واحدها: إسي بمعنى: أو أتوا كفتوا، أو إسي كنجس. والمقصود أنهم يقومون الليل، ويكثرون التهجد ويقتلون القرآن في صلواتهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور **نقطة**: «وَحَمَلَةٌ» وحملة «وَعَمَّ يَتَجَدُّونَ» حال، أي يتعبدون في الليل بتلاوتهم بكتابتهم، ففقدت تلاوتهم الكتاب بحالة سجودهم. وهذا الأسلوب أبلغ وأبين من أن يقال: يتعبدون، لأنه يدل على صورة فعلهم<sup>(٢)</sup>.

ولقد أتى النبي ﷺ على جماعة الأشعرين لكثرة قراءتهم القرآن بالليل، فعن أبي موسى **نقطة**، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصَوْتَكُمْ وَرُفْقَ الْأَشْعَرِيِّينَ<sup>(٣)</sup> بِالْقُرْآنِ، حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ، بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ. وَإِنِّي كُنْتُ لَمْ أَرُ مَنَازِلَهُمْ حِينَ تَزَلُّوا بِالنَّهَارِ»<sup>(٤)</sup>.

قال النووي **نقطة**: «فبه دليل لفصيلة الأشعرين، وفيه أن الجهر بالقرآن من

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١١٤)، تفسير السفي (١/١٧٧) السهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١٦)

(٢) التحرير والتنوير (٣١/١٩٥)

(٣) (رُفْقَةُ الْأَشْعَرِيِّينَ) الرُّفْقَةُ بضم الراء وكسرهما والأشعر الضم، وهم الجماعة المترافقون انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/٢٨٧)

(٤) متفق عليه ورواه البخاري- كتاب المغازي، باب غزوة حبر (٣/١٧٨٤) ج ١-٢٢٢٢ ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعرين (١/١٩١١) ج (٢٤٩٩).

الليل فضيلة. إذا لم يكن فيه إهداء لناظم، أو لمصل، أو غيرهما، ولا رياء<sup>(١١)</sup>.  
وقال أيضاً: «وما زججت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد  
عن الشغلات والملهيات، والتصرف في المعاشات، وأصولك من الرياء وغيره من  
المحيطات، مع ما جاء الشرح به من إحياء الحيرات في الليل، فإن الإسراء  
يرسول الله ﷺ كان ليلاً<sup>(١٢)</sup>».

فهنيئاً لمن يُكثِرُ فِرَاقَةَ الْقُرْآنِ، وَليستشر بمحيي القرآن العظيم يوم القيامة  
حين يشهد له بالحير وينصحه له عند رب العالمين: عن زُهَيْلَةَ بْنِ الْحَصْبِ ﷺ  
قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَسْبُغَتِهِ يَقُولُ: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّاحِلِ الشَّاحِبِ، يَقُولُ لَهُ: «هَلْ تَعْرِفُنِي؟» يَقُولُ: «مَا أَحْرَقْتُكَ،  
فَيَقُولُ: «أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَطْعَمْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَشْرَفْتُكَ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتُ  
عَاجِزٌ مِنْ وِزَامٍ يَجَارِيهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وِزَامٍ كُلِّ بَحَارَةٍ، فَيُعْطِي الْمُلْكَ بِيَوْمِيهِ،  
وَالْحُلَّةَ بِسَمَائِهِ، وَيُؤْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ»<sup>(١٣)</sup>.

فالفرق لا يتخلّى عن صاحبه الذي ضجبه في الليل والنهار، وفي الطيب  
والنساء، فإذا هو يبرز له يوم القيامة حين ينشق عنه قبره، وكأنه يتعلّق بصورة  
قارانه الذي اتعب نفسه بالشر في الليل، والطموع في النهار. وفي ذلك دلالة على  
مدى ما أنفق صاحبه القرآن من جهده، فأصابه من ذلك التعب والشحوب<sup>(١٤)</sup>.

### المطلب الرابع

#### التلاوة جليّة لأهل الإيمان

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ  
الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَمْزُجَةِ»<sup>(١٥)</sup>، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي

(١١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦١/١٦١) (١١) التيسار في أدب حملة القرآن (ص ١٨٨)

(١٢) رواه أحمد في المسند (١٢٣٨/٥) (ح ٢٣٠٠٠)، وإسناده حسن في المتابعات والشواهد،

وقد سبق تخريجه وشرح الفاظه الغريبة (ص ١٠٤ - ١٠٥)

(١٣) انظر: شرح سنن ابن ماجه (ص ٢٦٨)، أنوار القرآن (ص ١٧٩)

(١٤) الأمزج: نظم العذرة والراء، بينهما مشابة سائلة، وأخره جيم ثقيل، شح يعطو، ناعم -

لا يقرأ القرآن مثل الثمرة، لا ريح لها وطعمها خلوا...<sup>(١)</sup> الحديث.

ما أروع بلاغة الرسول الأعظم ﷺ في حثه الناس على قراءة القرآن والعمل به عن طريق ضرب الأمثلة المحسوسة التي تقرب المعنى وتحفز الانتباه.

قال ابن حجر تلمذ: قيل: خصل صفة الإيمان بالقلم وصفة التلاوة بالريح، لأن الإيمان الرُّم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة، وكذلك القلم الرُّم للمؤمن من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه.

ثم قيل: الحكمة من تخصيص الأثرجة بالتمثيل دون غيرها من العلكة التي تصنع طيب الطعم والريح كالشاحنة، لأنه يُندادى بقشرها وهو مفرج بالخامشية، ويُستخرج من حبيها عسل له منافع، وقيل: إنه الجرس لا تقرب البيت الذي فيه الأثرج. فتناسب إذ يُمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فتناسب قلب المؤمن، وفيها أيضاً من المزايا كبر جزمها وحسن منظرها ونفريح لونها ولين ملمسها، وهي أكلها مع الانتعاش طيب نكهتها، ودباغ مغلقة، وجودة طعمها<sup>(٢)</sup>.

لنحوال المؤمن مع القرآن:

المؤمنون - كما يعترفهم الحديث - درجات، وحالهم مع القرآن متفاوتة، فالذي يقرأ القرآن طيب الظاهر والباطن، كالأثرجة في طيب طعمها ورائحتها، وكما أن المؤمن يستريح ونسراً بتلاوة القرآن فكذلك الناس من حوله يسرور بصوته والامتثال له.

- الأعصاد والورق والشمس - ونسره كالتيسون الكباد - وهو ذهب اللون - وهي الأثرجة - حاضن الماء انظر لسان العرب (٨٤/٩)، المعجم الوسيط (ص ٤) ووجه في القاموس المحيط (٣٦٤/١): الأثرج والأثرجة والفرجة والتربح معروف، وهي أحسن الثمار الشجرية وأضيقها عند العرب.

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قراءة العاقر والصافي، وأصولهم وتلاوتهم لا يحاد حاجرهم (٢/٢٣٦٣) (ج ١/٧٥٦٠) وسلمه والمفرد له، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة حافظ القرآن (١٦/٥١٩) (ج ١/٤٩٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٩/٤٨٤)، وانظر: نعمة الأحويدي (٨/١٦٨) حاشية الشفي على سنن الشافعي (٨/١٢٥).

أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فإنه يفقد صفة هامة وهي طيب الظاهر، فمثل كمثل التمرة طعمها طيب ولا ربح لها، وهذا نقص في شخصية المسلم لا بد من تداركه بالإقبال على القرآن العظيم تلاوة وحفظاً وتدبراً.

وطيب الطعم هنا كناية عن قوة الإيمان في قلب المؤمن وصحة المعتقد، لكن بعض المؤمنين رغم نقاء قلوبهم وصحة اعتقادهم، يبقى عطره محتبساً في قلبه وصدره، لا يتعدى أثره إلى غيره، وما ذلك إلا لإعراضه عن تلاوة القرآن وتدبره كما ينبغي.

فالمؤمن الحق يتميز بالقرآن ويرتقي بالقرآن إذا تلاه بشروطه، وعمل به، والتزمه منهج حياة، وسبيل دعوة وإرشاد، فعند ذلك يتكامل الباطن والظاهر، كما يتكامل في الأثرجة طيب طعمها، وطيب رائحتها، وحسن منظرها.

وكما لا يتصور أن ينفصل في الأثرجة طيب طعمها عن طيب نشرها وعطرها - في الأعم الأغلب - كذلك لا يتصور أن ينفصل إيمان المؤمن عن عمله وسلوكه، ومنه تلاوة القرآن والتزامه منهج حياة.

وكذلك لا يتصور أن ينفصل القرآن عن المؤمن أبداً، فيصبح القرآن في وادٍ والمؤمن في وادٍ، ومن هنا يمكن أن نفهم الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]؛ فما بين الهجرة إلى القرآن، والهجرة عن القرآن، يظهر التفاوت بين طيب الطعم مع طيب الرائحة، وبين طيب الطعم وغياب الرائحة.

ففي هذا الحديث الشريف دعوة منه ﷺ إلى كل مؤمن ومسلم أن يتكامل باطنه مع ظاهره، ومخبره مع مظهره، واعتقاده مع سلوكه، ولا يتحقق ذلك إلا بملازمة المؤمن لتلاوة القرآن وتدبره والعمل به<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: أنوار القرآن (ص ٨٩ - ٩٢)؛ ورتل القرآن ترتيلاً (ص ١٦ - ١٧).



## المطلب الخامس

## التلاوة كلها خير

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن»<sup>(١)</sup> مع السفرة<sup>(٢)</sup> الكرام البررة<sup>(٣)</sup>، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه<sup>(٤)</sup>، وهو عليه شاق له أجران<sup>(٥)</sup>،<sup>(٦)</sup>.

وفي لفظ آخر من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه، فله أجران»<sup>(٧)</sup>.  
ومن ظاهر الحديث يتبين أن القراء صنفان من حيث جودة التلاوة وإتقانها، ومن حيث الثواب المترتب عليها، وهما:

## ١ - الماهر بالقرآن:

فالحديث يحمل بشارة عظيمة لمن تعلم القرآن وأتقن تلاوته وأكثر منها حتى أصبح ماهراً فهو مع السفرة وهم الرسل الذين أرسلهم الله ﷻ لهداية الناس، أو

(١) (الماهر بالقرآن): هو الحاذق الكامل الحفظ، الذي لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة، لجودة حفظه وإتقانه.

(٢) (مع السفرة): السفرة جمع سافر، ككتابة وكاتب. والسافر: الرسول. والسفرة: الرسل؛ لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله. وقيل: هم الملائكة، سمو بذلك؛ لأنهم ينزلون بوحى الله وما يقع به الصلاح بين الناس، كالتفسير يوصل بين القوم، وكذلك أهل القرآن يوصل الله بهم المجتمع.

(٣) (البررة): أي المطيعون لله، مأخوذة من البر وهو الطاعة.

(٤) (ويتتبع فيه): هو الذي يتردد في تلاوته؛ لضعف حفظه.

(٥) (له أجران): أجر بالقراءة، وأجر بتتبعه في تلاوته ومشقته.

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٨٤ - ٨٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٦٩٣)؛ شرح السنة، للبغوي (٤/٣٠).

(٦) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه (١/٥٥٠) (ح ٧٩٨).

(٧) رواه أبو داود، كتاب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه، باب: في ثواب قراءة القرآن (٢/٧٠) (ح ١٤٥٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٧٢) (ح ١٢٩٠).

الملائكة المقربين؛ لانتصافه بصفتهم التي تشرفوا بها، وهي حمل كتاب الله تعالى وتبليغه، والإكثار من ذكر الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وبقي لنا أن نعرف من هو الماهر؟

هل الماهر بالقرآن الذي يُجيد تلاوته فقط، ولا شيء وراء ذلك؟ وهل من فعل ذلك يستحق هذه المنزلة العظيمة؟

لنستمع إلى القرطبي رحمته الله وهو يصف لنا الماهر بالقرآن، لنذكر أن نيل هذه المرتبة الرفيعة يحتاج إلى مشقة وصبر وعمل متواصل حتى ينالها، فيقول: «ولا يكون ماهراً بالقرآن حتى يكون عالماً بالقرآن، وذلك بأن يتعلم أحكامه، فيفهم عن الله تعالى مراده وما فرض عليه، ويعرف المكي من المدني، ليُفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما نذبه لهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض في أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، ويعرف الإعراب والغريب، فذلك الذي يشهل عليه معرفة ما يقرأ، ويُزيلُ عنه الشك فيما يتلو، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله فبها يصل الطالب إلى مراد الله تعالى وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً<sup>(٢)</sup>».

٢ - الذي له أجران:

من فضل الله تعالى وكرمه ونيسيره القرآن للمسلمين أن كل من يقبل على القرآن العظيم فيتلوه ويتدبره فإن له أجراً عظيماً عند الله تعالى، سواء أكان ماهراً بالقراءة أم مُتَعَمِّراً فيها قد جاهد نفسه واشتدَّت عليه التلاوة فله أجران: أجر على التلاوة، وأجر على المشقة.

وهل يعني هذا أن من له أجران أكثر ثواباً من الماهر بالقرآن؟

يُجيبنا على هذا السؤال النووي رحمته الله حيث يقول: «وليس معناه الذي يتتبع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل، وأكثر أجراً؛ لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة».

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٨٥)؛ ورتل القرآن ترتيلاً (ص ١٩).

(٢) التذكار في أفضل الأذكار (ص ٨٣ - ٨٤).

ولم يذكر هذه المسئلة لغيره، وكيف يتلوه من لم يفتن بكتاب الله تعالى وحفظه، وإتقانه، وكثرة تلاوته وزوايته، كاعتاده حتى مهر فيه<sup>(١)</sup>.

والحاصل أن المضاعفة للماهر لا تُعصى، فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى ستمائة ضعف وأكثره، والأجر شيء مُفدّر، وهذا له اجران من تلك المضاعفة<sup>(٢)</sup>.

والماهر نفسه كان القرآن مُتَغَنِّمًا عليه لم ترفى بعد ذلك إلى أن شبة بالملائكة<sup>(٣)</sup>.

وبعد هذا كله هل يرضى المسلم أن يكون القرآن عليه شاقًا، وأن يلقى على التوام صعبة في تلاوته، ويستمتع فيه؟

إذا كانت التلاوة شاقًا عليه فهذا يؤجر على مجاهدته، ويُقبلُ منه ذلك، فإنه قد بذل جهده ووسعه وحافظه، والله تعالى لا يكلف عبداً إلا وسعها، وما أتاه، ولكن لا ينبغي للمسلم أبداً أن يرضى لنفسه بهذه الحمان ويضع مصعبه إذا كان قادراً على بدل المزيد.

والغنى كل العيب على أولئك الذين يتغنون في تلاوة القرآن وهو عليهم شاقٌ باختيارهم، ذلك بأنهم على درج من العلم، وإحادة القراءة، أو أنهم ممن حصل شهادات علمية عالية.

لا ريب أنهم مقرطون بذلك، ومزود قريرطهم يرجع إلى أمرين أحسنهما سن:

١ - إما أنهم أعملوا كتاب الله ابتداءً، وأعرضوا عنه، فصعبت عليهم التلاوة وأصبحت شاقّة، لأن ما فاد الشيء، لا يُعطي لهم لم يتعلموه البتة.

٢ - لو أنهم تعلموا التلاوة ثم اصبروا عنها وخجروها، لظال عليهم الأمد فزهدوا في الأجر وشقت عليهم التلاوة بعد ذلك، وهؤلاء على خطب كبير إذا لم يتداركوا أنفسهم، ولهم أوفر النصيب من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان ٣٠].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣٢٦/٦)

(٢) حود المعود شرح سنن أبي داود (١٢٠/٤)

(٣) نظر: التذكار في أصل الألفاظ (ص ٨٢)

وإذا كان هذا حال أهل العربية الذين أكرمهم الله تعالى بها، ونزل القرآن بلسانهم، فلا عَتَبَ، ولا عجب إذاً على غير العرب من المسلمين إذا شَقَّ عليهم القرآن وتَعَتَّعُوا في تلاوته.

لكنَّ الواقعَ خلاف ذلك، فإن كثيراً من إخواننا المسلمين من غير العرب في بقاع الأرض كُلِّهَا، يتلون كتاب الله تعالى، وهم مَهْرَةٌ في ذلك، والآلاف من هؤلاء يحفظونه عن ظهر قلب، بل أصبحوا معلِّمين له، وربما أتوا إلى بلاد عربية ليعلموا أولاد العرب القرآن الكريم، وهو فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء.

وفي هذا الحديث إحصاء قويٌّ، بأنَّ المسلم لا ينبغي له في أيِّ حال كان، أن ينصرف عن تلاوة القرآن العظيم، سواء أكان من المَهْرَةِ الْمُتَّقِينَ المتمكِّنين من التلاوة، أم كان ضعيف القُدرة على تحصيل ذلك، فيتَّخَذَ ضَعْفَهُ حُجَّةً في الإعراض عن التلاوة.

ولا ريب أن كثرة الممارسة والمحاولة الجادَّة ستؤدِّي إلى حُسْنِ التلاوة، ورُبَّما حُسْنِ الحفظ فيما بَعْدَ، وهو أمر مُجْرَبٌ، وسير على مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليه، ووفَّقَهُ لذلك<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: أنوار القرآن (ص ٩٣ - ٩٨).

1

2



## الفصل السادس

### هجر حفظ القرآن

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حفظ القرآن وتيسيره.

المبحث الثاني: آداب حفظ القرآن.

المبحث الثالث: فضائل حفظ القرآن.

المبحث الرابع: حُكم حفظ القرآن ونسيانه.



## المبحث الأول

### حفظ القرآن وتيسيره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف حفظ القرآن.

المطلب الثاني: تيسير حفظه على جميع الألسنة.

## المطلب الأول

### تعريف حفظ القرآن

#### أولاً: «الحفظ» لغة:

جاء الحِفظُ في اللغة مصدرًا مشتقًا من الفعل «حَفِظَ»، وقد ذكر عدد من علماء اللغة لهذا الفعل ومشتقاته استعمالات عديدة، وهي على النحو التالي:

\* قال ابن فارس كَلَّمَهُ: «الحاء والفاء والطاء أصل واحد، يدلُّ على مراعاة الشيء»<sup>(١)</sup>.

\* والحِفظُ: نقيض النسيان، وهو: التَّعاهُدُ وَقَلَّةُ الغفلة. يُقال: حَفِظَ الشَّيْءَ حِفْظًا، ورجل حافظ من قوم حُفَاطٍ<sup>(٢)</sup>.

\* وحفظ الشيء حِفْظًا: حَرَسَهُ، وَحَفِظَهُ: اسْتَظْهَرَهُ.

والتَّحَفُّظُ: التَّيَقُّظُ وَقَلَّةُ الغفلة. وَتَحَفَّفَ الكِتَابُ: اسْتَظْهَرَهُ شَيْئًا بعد شيء<sup>(٣)</sup>.

\* والحفظ - بمعنى عدم النسيان - له مرادفات عدة:

يُقال: قرأ فلان القرآن على ظَهْر لسانه، وعن ظَهْر قلبه، أي: حَفِظَهُ. وَظَهْرُ اللِّسَانِ وَظَهْرُ القَلْبِ كناية عن الحفظ من غير كتاب، ولهذا يُقال: اسْتَظْهَرَهُ، أي: حَفِظَهُ وقراه ظاهرًا<sup>(٤)</sup>.

#### حفظ القرآن يتضمَّن أموراً ثلاثة:

١ - ضَبْط الصُّورَة المُدْرَكَة<sup>(٥)</sup> بحيث يمكن أداؤها من غير كتاب.

(١) معجم مقاييس اللغة (١/٣٠٩)، مادة: (حَفِظَ).

(٢) انظر: لسان العرب (٣/٢٤٢)، مادة: (حَفِظَ).

(٣) انظر: مختار الصحاح (ص٧٦)، مادة: (حَفِظَ).

(٤) انظر: لسان العرب (٨/٢٧٩)، مادة: (ظَهَرَ)؛ المعجم الوسيط (ص٥٧٨)، مادة: (ظَهَرَ).

(٥) انظر: التعريفات، لعلي الجرجاني (ص١٢٠)، مادة: (حَقَطَ).

٢ - المواظبة والمعاهدة للمحفوظ.

٣ - عدم النسيان<sup>(١)</sup>.

استعمالات الحفظ في القرآن:

سوف نعرض للمعاني التي تتعلق بموضوع البحث على النحو الآتي:

١ - يأتي الحفظ بمعنى التعمد والضيافة والرعاية، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُغْفِرُونَ﴾ [التحرى: ١٦] وقول إسماعيل بن يوسف: ﴿وَمَنْعَ آتَانَا﴾ [يوسف: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُغْفِرُونَ﴾ [التوابع: ٢٤].

٢ - يأتي الحفظ بمعنى الأمانة، ومنه قول يوسف عليه السلام: ﴿أَتَمَنَّى عَلَى خَرَابَيْنِ الْأَرْضِ أَنْ يَحْتَبَسَ عَلَيَّ﴾ [يوسف: ١٥٥].

٣ - يأتي الحفظ بمعنى الرقابة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَمْنَنُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [التحرى: ١٦].

ثانياً: حفظ القرآن اصطلاحاً:

من خلال الاستعراض اللغوي لسادة الحفظ<sup>(٢)</sup>، ومشتقاتها في الآيات القرآنية، وما ذكره بعض أهل العلم في هذا الشأن، نستطيع أن نفرز بأن حفظ القرآن يعني:

حمله، واستظهاره، وقراءته عن ظهر قلب، وعلى ظهر اللسان، والمواظبة والمعاهدة للمحفوظ، وصيانته ورعايته من الغلظة أو النسيان.

تميز حافظ القرآن عن غيره من الحفظة:

بتميز حافظ القرآن عن غيره من حفظة الحديث، أو حفظة الأشعار، أو الحكم، أو الأمثال، أو النصوص الأدبية وغيرها. بأمرين أساسيين الأول: استكمال القرآن كله حفظاً ووسطاً.

فلا يُسمى من حفظ نصف القرآن أو ربعه - مثلاً - حافظاً إلا إذا أكمل

(١) انظر: كعب تحفة القرآن الكريم، د. عبد الوهاب العيين (ص: ٤٠).

(٢) انظر: المعجمات في عرب القرآن (ص: ١٣١)، مادة: (حفظ).



حفظه. وإلا صح أن يُسنى جميع المسلمين حفظه للقرآن، إذ لا يخلو مسلم من حفظ شيء من كتاب الله.

### الثاني عبارة المحفوظ من النسيان:

لمن حفظ القرآن ثم نسي أو نسي شمله أو بعضه إهمالاً وغفلةً نغير عنده - تكبر أو مرض - لا يُسنى حافظاً، ولا يستحق لقب (حامل القرآن الكريم) لأنه إذا صح رواية الحديث بالمعنى، وجاز تحوير بعض الشعر والنص الأدبي - مثلاً - فبطل علمه متى لم يحفظ القرآن العظيم<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني

### تيسير حفظه على جميع الألسنة

إن من أعظم ما امتن به الله ﷻ على المسلمين أن يسر حفظ القرآن والتفكير على ألسنتهم. يشاوي في ذلك العالم الذي وصل إلى أرقى درجات العلم، والإنسان العاظم الذي بحث القرآن وتعلق به، كما يشاوي في ذلك أبهى العرب المصبح، والأعجمي إذا تروحه إلى حفظ كتاب الله، ولولا لطف الله تعالى بالناس، وتيسير القرآن للمذكر بلسان رسول الله ﷺ، لما استطاع أحد أن يتحمل حفظ آية من كتاب الله تعالى، وأتى له الإضافة لأنوارها وإشعاعاتها<sup>(٢)</sup> ولولا ذلك لما ذكر الله تعالى مسألة تيسير القرآن العظيم بلسان النبي الكريم ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ بِنُحُوتِهِ بِإِذْنِكَ يَتَسَوَّى بِهِ الْقَتُوبُ وَيُؤَدِّبُ بِهِ عُمُومًا لَدُنَّا﴾<sup>(٣)</sup>

كما أشار الله تعالى إلى عظم نعمه على عباده بأن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَذَا مِن تَذَكُّرٍ﴾ (الفجر - ١٧ - ٢٢، ١١٠، ١٢٢)

قال مجاهد الخليلي: «يسرنا: هوئنا قرآنه»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: كيف تحفظ القرآن الكريم (ص ٤٠ - ٤٤).

(٢) انظر: تيسير القرآن بلسان سيدنا محمد ﷺ، د. عبد بن علي الحارث، مجلة الأسملية، العدد ٢١٥ (رمضان ١٤٢٤ هـ) (ص ٢٢٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التصريح (١٥٤٧/٣).

«أَي سَهَّلْنَاهُ لِلْحَفِظِ وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ مِنْ أَرَادَ حَفِظَهُ، فَهَلْ مِنْ طَالِبٍ لِحَفِظِهِ  
فِيغَانُ عَلَيْهِ؟»<sup>١١</sup>

وقوله تعالي: ﴿مَهَلْ مِنْ تَلْكَرٍ﴾ أي فهل من مُتْعِطٍ به. حامطاً له؟  
والاستفهام هنا بمعنى الأمر. أي احفظوه واتعظوا به. وليس يُحَفِّظُ مِنْ كُتِبَ اللهُ  
عَنْ غَلَرِ قَلْبٍ غَيْرِهِ»<sup>١٢</sup>

والتيسير إيجاد البسر في الشيء، سواء كان فعلاً، كقوله تعالي ﴿بُرِيدٌ  
لَقَدْ بِحَقِّكَ الْبَسْرُ﴾ الفراء (١٨٥). أم قولاً كقوله تعالي: ﴿إِنَّمَا يَنْتَرِكُ بِلسَانِكَ لِمَأْتُمْ  
بِتَلْكَرُونَ﴾ (المحذون: ٤٥).

وسبب تيسيره. أنه نزل بأفصح اللغات وأبسطها، وجاء على لسان أفضل  
الرؤس ﴿﴾

ومعنى تيسيره: يرجع إلى تيسير ما يراد منه، وهو فهم الشامع المعاني التي  
عابها المتكلم به بدون كلفه على هذا الشامع ولا إغلاق، كما يفونون. بدخل  
الغادر بلا إنب.

وهذا البسر يشمل الألفاظ والمعاني.

فأما الألفاظ لأنها في أعنى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التراكيب،  
أي فصاحة الكلام، وانتظام مجموعها. بحيث يحفظ حفظها على الألسنة  
وأما المعاني. فيبوضوحها ووفرته، ويتولد معاني من معاني آخر قلماً كقول  
المتنبيّ نديراً في فهمها<sup>١٣</sup>

والمنازل في هذه الآية الكريمة يجد أن الله تبارك وتعالى أكد تيسير حفظ  
كتابه بمؤكدات متعددة قوية، منها: القسم ﴿وَلَقَدْ يَنْشَأُ﴾، ومنها: التعبير سون  
العظمة ﴿يَنْشَأُ﴾، ومنها: تكرار هذه الآية أربع مرات في سورة الفجر  
والواقع المشهد يصدق هذا التيسير، فقد حفظ القرآن حفاظ لا يحصون  
عدداً في كل حين ومن كل قبيل، لا يُحَطُّرُ أحدهم في كلمة ولا حرف، سواء

١١) تفسير القرطبي (١٧١/١١٣١)

١٢) تفسير القرطبي (١٧١/١١٣١)

١٣) انظر: التحرير والتنوير (١٥٥/٣٤٤) (١٨٠/٢٧١) (١٨١/١٨١)

كانوا عَرَبِيًّا أم عَجَمًا، وأكثرُ الحَقَاطِ الْعَجَمَ لا يعرفون من العربية شيئاً، وربما قرأ الواحد منهم القراءات السَّبْعَ والعشر عن ظهر قلب<sup>(١)</sup>.

وقد عدَّ أبو الحسن الماوردي رحمته الله هذا الأمر وَجْهًا من وجوه إعجاز القرآن العظيم وخصائصه التي تَمَيَّز بها عن سائر كتب الله تعالى، فقال: «من إعجازه تيسيره على جميع الألسنة، حتى حَفِظَهُ الأعجميُّ الأبيكم، ودار به لسان القبطيِّ الألكن، ولا يُحَفِظُ غيره من الكتب كحفظه، ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به، وما ذاك إلا بخصائص إلهية فَضَّلَهُ بها على سائر كتبه»<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا التيسير فإنَّ حِفْظَ القرآن من السَّهْلِ الممتنع، سهلٌ حَفِظَهُ، ممتنعٌ ثباته في القلب بسهولة ويُسر، فلا بدَّ من تعاهده حتَّى لا يضيغ حِفْظُهُ من الصُّدور. فأين المتعاهدون لكتاب الله تعالى؟ هذه هي المشكلة!

حِفْظُ القرآن ميسرٌ دون سواه من الكتب السابقة:

قال الرَّاظي رحمته الله: «ولم يكن شيء من كتب الله تعالى يُحَفِظُ عن ظهر القلب غير القرآن»<sup>(٣)</sup>.

وروي: «أنَّ كُتِبَ أهل الأديان - نحو التَّوراة والإنجيل - لا يتلوها أهلها إلا نظراً، ولا يحفظونها ظاهراً كما القرآن»<sup>(٤)</sup>، «غير موسى، وهارون، ويوشع بن نون، وعزير رحمته الله ومن أجل ذلك أفتتنوا بعزير لما كُتِبَ لهم التَّوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت»<sup>(٥)</sup>.

قال سعيد جبير رحمته الله: «ليس من كُتِبَ الله تعالى كتاب يُقرأ كلُّه ظاهراً إلا القرآن»<sup>(٦)</sup>.

والذي يؤيد هذا التَّوجُّه ويؤكدُه: أنَّ الكتب الرِّبانيَّة نزلت كاملةً دفعةً واحدة، ولم يُؤمر أهلها بحفظها كما أمرت هذه الأمة بحفظ القرآن، ولم يتعهد الله تعالى بحفظها لهم كما تعهد بحفظ القرآن.

(١) انظر: كيف تتوجه إلى العلوم والقرآن الكريم مصدرها (ص ٨٣ - ٨٤).

(٢) أعلام النبوة (ص ٦٩). (٣) التفسير الكبير (٣٨/٢٩).

(٤) الكشاف (٤/٤٣٦). وانظر: تفسير النسفي (٣/١٧٢٦)؛ تفسير القرطبي (١٧/٨٣٤).

(٥) تفسير القرطبي (١٧/١٣٤). (٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ومقتضيات الحفظ: أن يُحفظ في الصدور والسطور، وكُلِّما كان الحفظ في الصدور والسطور كان أوثق وأدعى للبقاء، ولذلك اجتمعت في القرآن العظيم كلُّ أسباب الحفظ.

ولولا أن يسَّر الله حِفْظَ القرآن الكريم في الصدور لما حُفِظَ عن ظهر قلبٍ على مَرِّ العصور، وكَرَّرَ الدهور، وتعاقبِ الأجيال، ولما وُجِدَ حافظٌ لكتاب الله تعالى، بل ولا سورة من سوره أو آية من آياته<sup>(١)</sup>.

هجر الحفظ نوعان:

وأما هجر حفظ القرآن، فهو نوعان:

الأول: هجره ابتداءً: بعدم حفظه، وبالزُّهد في تعلُّمه، والمسؤولية تقع فيه على وليِّ الأمر؛ وذلك لأنه لا بدَّ من أن يوجِّه أبناءه لحفظ القرآن، خاصَّة في بداية مراحل العمر.

كما أن هناك مسؤولية عامَّة تقع على ولاة أمور المسلمين - والمقصود: حكومات الدول الإسلامية - وذلك برصد الميزانيات الماليَّة، وفتح مدارس تحفيظ القرآن، ومتابعتها، تعظيماً لكتاب الله، وأنَّ التَّفَاعُص في هذا الشَّأن هو من هجر القرآن.

الثاني: هجره بعد حفظه: وذلك بالانشغال عنه، وعدم تعاوده فيؤدِّي إلى تفلُّته، وهي مسؤولية كلِّ فردٍ عن نفسه.



(١) انظر: تيسير القرآن بلسان سيدنا محمد ﷺ (ص ٢٢٤ - ٢٢٥).





المبحث الثاني

## آداب حفظ القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آداب أثناء الحفظ.

المطلب الثاني: آداب بعد الحفظ.

## آداب حفظ القرآن

## تمهيد:

إحتملة القرآن الكريم آداب ينبغي أن يُراعىها، وعليهم واجبات يجب أن يُفعلوها، حتى يكونوا من أهل القرآن حقاً، ولذا حذر أهل العلم من عدم اتّرام حفظه كتاب الله بالأخلاق الحسنة، والآداب المرعية، والواجبات الشرعية؛ لتلا يكونوا مئة لعبرهم من الجهّال من حيث لا يشعرون، وفي ذلك يقول الأجرى بثقة: «فمن كانت هذه أخلاقه صار فتنة لكل منبونه لأنه إذا عمل بالأخلاق التي لا تُخسر بمثله اقتدى به الجهّال».

فإذا عب عن الجاهل، قال: فلان الجامل نكّاب الله تعالى فعلى هذا، فمن أولى أن نعمله، ومن كانت هذه حانه فقد تعرّض لعظيم، وثبت عليه انجبه، ولا عذر له إلا أن ينوب، وإنما حداني على ما بيّت من فيج هذه الأخلاق تصبحة مني لأهل القرآن ليتحلّقوا بالأخلاق الشريفة، ويتحلّقوا عن الأخلاق الذمينة، والله يوفقنا وإناهم للمُستدفة<sup>١١</sup>

ومن جملة هذه الآداب ما ورد في قول الضحائي التحليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «سعي لحامل القرآن أن يُعرف بليته إذا الناس نائمون، وبتهاره إذا الناس نائمون، وبورعه إذا الناس بخفطون، وبثواضعه إذا الناس بخنازون، وبحرته إذا الناس بمرحون، وبكناكه إذا الناس بضحكون، وبصفته إذا الناس بخوضون»<sup>١٢</sup>.

١١) أخلاق حسنة القرآن (ص ٤٥ - ٤٦).

١٢) رواه أحمد في المرند (ص ١١١)، وأبو حنيم في الحلقة (١/١٢٩) والسحاوي في أحسن القراءة (ص ٢٨)، وأبو شيبة في المصنف (٧/٢٣١) (رقم ١٣٥٥٨١) والبودي في اللبابة (١/٢٩٦) والسيوطي في القدر المشهور (٧/٢١٧) والأجرى في أخلاق حملة القرآن (ص ٢٥) (رقم ٢٠).

ونظراً لسلوك كثير من الحفّاظ مسلماً غير صحيح أثناء مرحلة الحفظ أو بعده، فتمت بتقسيم هذه الآداب إلى قسمين، وهي على النحو التالي.

### المطلب الأول

#### آداب أثناء الحفظ

##### ١ - الإخلاص لله تعالى:

لا يخفى إن الإخلاص وإرادة وجه الله تعالى شرطاً لصحة العمل وقبوله إن كان عبادةً محضاً؛ كالصلاة والصيام والحج وغيرها، كما أنه شرط للثواب ونيل الأجر في الأمور المباحة؛ كالنوم والأكل وحسن معاشرته الخلق وغيرها في حال احتسابها.

وبما أن قراءة القرآن وحفظه من الأمور العبادية المحضة؛ فإنها لا تقبل عند الله تعالى إلا بالإخلاص، وهي داخلية في مثل قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مِنِّي قَبْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»<sup>(١)</sup>.

فيجب على الراغب في حفظ كتاب الله تعالى أن يخلص نيته في طلبه، وليراقب كل نفسه، هل أراد بحفظه للقرآن وجه الله تعالى أم أراد به أعراضاً دنيوية فانية؟ وقد تساءل - عن ذلك - أبو حامد الغزالي رحمه الله قائلاً:

«كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتَهَا بِتَكَرُّرِ الْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ، وَحَرَمْتِ عَلَى نَفْسِكَ النَّوْمَ؛ لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ الْبَاعِثُ فِيهِ؟ إِنْ كَانَ نَيْلَ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَجَذِبَ حُطَامُهَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا، وَالسَّابِقَةَ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالْأَمْثَالِ، فَوَيْلٌ لَكَ ثُمَّ وَيْلٌ لَكَ، وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ إِحْيَاءَ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَهْدِيبَ أَخْلَاقِكَ، وَكَسْرَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، فَطَوَّبَى لَكَ ثُمَّ طَوَّبَى لَكَ، وَلَقَدْ صَدَّقَ مَنْ قَالَ شِعْرًا:

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب: مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ غَيْرِ اللَّهِ (٤/٢٢٨٩) (ح ٢٩٨٥).

سَهْرَ الْعُيُونِ لَعْمٍ وَجْهَكَ ضَانِعٌ وَتَكْنَأُ مِنْ لَعْمٍ لَمَلِكٍ نَاطِلٍ<sup>(١)</sup>

فلا بد من تصحيح العمل قبل الشروع به

وأوضح ابن جماعة<sup>(٢)</sup> تلك كيفية تحسين التوبة بقوله: «حسن التوبة في طلب العتق، بأن يقصد به وجه الله تعالى، والعمل به، وإحياء الشريعة، وتوهم قلبه، وتعلية ناطقه، والهرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعده الله لأهله من عذابه وعظيم فضله»<sup>(٣)</sup>.

ويبين الشوكاني<sup>(٤)</sup> تلك تأثير حسن التوبة والإخلاص في تسهيل الأمور على طلاب العلم بقوله: «إن لحسن التوبة وإخلاص العمل تأثيراً عظيماً في هذا المعنى، فمن تعكست عليه بعض أموره من ظنبة العليم، أو ضعف عليه مقاصده، فيعلم أنه يذمه أصيب، ويعدم إخلاصه خوف، أو أنه أصيب بشيء من ذلك محنة له وإشغالة واختاراً، لينظر كيف صبره واحتماله، ثم يعيثر الله عليه بعد ذلك من حرائر الخير ما لم يكن بحسنه، ولا يقع إليه تصور، فليخص على العلم باحده، ويشد عليه يده، ويشرح به صدره، فإنه لا مخالفة واحتمل إلى مراده إن شاء الله»<sup>(٥)</sup>.

### ثبته الإخلاص على النفس

الإخلاص شهيد على السعوس. ولذلك لما قيل لسهل بن عبد الله الشنري<sup>(٦)</sup> تلك أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص. إذ ليس لها فيه عيب<sup>(٧)</sup>.

(١) أي الوند المحت، للقرظي (ص ١١).

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن حارم الكاشي، الحموي، الشافعي (تلم اندلس) مفسر، فقيه، أصولي، متكلم، محدث. ولد بجمادى سنة (٦٣٩هـ)، وولي القضاء بالقدس، والديار المصرية، وبدمشق، وجمع بين القضاء، واتباع الشيوخ والحطاب. توفي بالقاهرة سنة (٧٣٣هـ). ودفن قريباً من الإمام الشافعي ومن تصانيفه الكثير، «السهل الروي في علوم الحديث السوي»، و«بصاح القلب في قطع صحيح أهل التعليل»، و«تحرير الأحكام في تفسير جيش الإسلام» وغيرها.

انظر التذكرة الخامسة (٣٢) - ١٨٠ - ١٧٨٣.

(٣) تذكرة السمع والتمكلم (ص ١٦٨) (١) أود الطلغ ومشهور الأصب (ص ١٣٣).

(٤) إحصاء علوم العرب (١٤) (١٣٨٦) مدارج السالكين (١٩٢/٢).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «ما عالجت شيئاً أشد عليّ من شيءٍ إلاّ نفلت عني»<sup>(١١)</sup>.

ومن علامات الإخلاص: «استواء المدح والمدم من المعائفة، وسبباً روية العمل في الأعمال، وانقطاع»<sup>(١٢)</sup> ثواب الأعمال في الآخرة»<sup>(١٣)</sup>.

ويبين الغزالي رحمه الله أنّ العمل بغير لُبّة صلاة، فقال: «مطهر بالأدلة والعبادة، أنّه لا وصول إلى السعادة (ألا بالعلم والعادة) فالعمل بغير لُبّة عبادة، واللبّة بغير إخلاص وبها، وهم للمنافق كفاءة، ومع العصبان سواء. والإخلاص من غير صدق وتحقّق بهاء» وقد قال الله تعالى في كلّ عملٍ كاذبٍ طراداً غير الله مشوّباً معموراً: ﴿وَلَقَدْ إِنَّمَا إِلَىٰ مَا عَمِلْتُمْ مِنْ شَيْءٍ مَّصْرَفَةٌ فَكَمْ لَسْتُؤْتُمْ﴾ [الفرقان: ١٢٣]<sup>(١٤)</sup>.

الحذر من الانقطاع عن الحفظ لعدم خلوص النيّة:

إنّ من تلبس بلبس عني من أراد أن يستعمل يحفظ القرآن أن يسأل له الانقطاع عمّا هو فيه من الخير بسبب عدم خلوص النيّة، فإنّ خُسن النيّة مرحوبٌ لمن استغل بحفظ كتاب الله - إن شاء الله - ببركة هذا الحفظ.

وقد ورد عن الحسن الصوري وسفيان الثوري - رحمهما الله - أنّهما قالا:

«طلبنا العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة»<sup>(١٥)</sup>.

وقال ابن المبارك رحمه الله: «طلنا العلم للدنيا فدننا على ترك الدنيا»<sup>(١٦)</sup>.

وقال حبيب بن أبي ثابت رحمه الله: «طلنا هذا العلم وما لنا فيه نيّة. ثمّ

(١١) الجامع لأخلاق الروي وآداب السامع، للحطّيب البغدادي (١١/٢٣١٧) رقم ١٦٤٢.

(١٢) الانقضاء: التلبّس.

(١٣) إحياء علوم الدين (١١/٣٢٦).

(١٤) فتح سمعت شرح أبيه الحديث، للشحاذي (١١/٣١٧).

(١٥) هو (إمام التحليل) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم، العمري (أبو عبد الرحمن) إمام أهل عصره في العلم والفكر والصلاح والفضل والزُهامة، ومن مشاهير أئمّة الحديث الحفاظ الثقات، وضعه ابن عسّا قاتلاً، كان معها عالماً حليماً راعياً شجاعاً شامخاً شامخاً، توفي - اعتناً تشرفه من الغزوة سنة (١٨١هـ)، وعمره:

١٦٣ - نظر تهذيب التهذيب (١٥/٢٣٨٢).

(١٦) معجم الصوفى (٢١/١٥٥).

(١٨) هو حبيب بن أبي ثابت ليس من ديار الأسديّ بالولاء (أبو يحيى) الكوفي - تابعه ثقة طيبة -



جاءت التَّوْبَةُ والعملُ نَعْدَةً<sup>(١)</sup>.

فهذه الآثار ونحوها تُحْتَمَلُ - في معناها - على ما ذكره ابن جماعة **قوله**:  
 «قبل معناه: فكان عاقبته أن صار لله<sup>(٢)</sup>، ولأن إخلاص النِّيَّةِ لو شَرِطَ في تعليم  
 المبتدئين فيه - مع خسره على كثير منهم، لا أدى ذلك إلى نفويت المعلم على كثير  
 من التَّاسِرِ<sup>(٣)</sup>، فكيف بهذا الزَّمان الذي نعيش فيه، مع ندرة الإخلاص وقلَّة أهله،  
 وقلَّة الرَّاغِبِينَ في طلب العلم الشرعي وحفظ القرآن؟»

٢ - استشعار عظمة القرآن ومعرفة منزلته:

على من أراد أن يحفظ القرآن أن يستشعر عظيمته، ويستحضر عظمة الله في  
 نفسه، فيقبل على القرآن العظيم محبباً له، ومؤثراً له على غيره، لذا فعلى من قرَّح  
 في حفظ القرآن أن يراعي الأمور التالية:

• الشعور بأن القرآن كلام ربِّ العالمين غير مخلوق؛ كلامٌ من ليس كمثل  
 شيء - سبحانه - له مبلغ الأثر في الإقبال على حفظه، لعظمة القرآن ماخوذة من  
 عظمة المتكلم به، ولا أعظم من الله تعالى، وبالتالي فلا أعظم ولا أقدس من  
 كلامه سبحانه<sup>(٤)</sup>.

• وتذكر أن القرآن يهدي للطريقة التي هي أسدُّ وأعدلُّ وأصوب في العقائد  
 والأخلاق والأعمال، والسياسات، والضمانات، والأعمال الدنيوية والدنيوية<sup>(٥)</sup>،  
 كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَذَا الْقُرْآنَ أَنبِئُكَ بِهِ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ إِنَّكَ إِسْرَءِيلُ﴾ (١٩).

• وإدراك الأمر الذي برز من أحده القرآن العظيم، وهو هداية التَّاسِرِ  
 وإحراجهم من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُ لِرَبِّهِمْ إِذْ  
 يُصَلُّونَ﴾ (المقرة: ١٢) وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَكْفُرُ لِرَبِّهِمْ إِذْ يُصَلُّونَ﴾ (المقرة: ١٢)  
 ﴿إِنَّا هَذَا الْقُرْآنَ أَنبِئُكَ بِهِ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ إِنَّكَ إِسْرَءِيلُ﴾ (١٩).

١ - جليل، كان معنى الكوفة قبل حماد بن أبي سليمان - توفي سنة ١١٩هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١/١١٥٠، سير أعلام النبلاء ٥١/٢٨٨.

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢١/٢١٧، رقم (١٨٨).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم (ص ٢٧ - ٢٨).

(٣) انظر التنكير في أصل الأذكار (ص ٤٥).

(٤) انظر القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص ١٢٦ - ١٢٧).

• وتذکر أن القرآن کتابٌ مبارک، كما وصفه الله تعالى بأنه مبارک في أربعة مواضع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. فهو مبارک في أصله؛ لأنه كلام الله، ومبارک في حامله - جبريل - ومبارک في محلّه - قلب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، ووجوه البركة فيه شملت منافع الدارين، وعلوم الأولين والآخريين<sup>(٢)</sup>.

• استشعار مدى الحقاوة بهذا القرآن العظيم، ويكلّف ما يحاط به من زمانٍ ومكان، فمن عظمة القرآن عظمة الشهر الذي أنزل فيه (شهر رمضان)، فهو أفضل الشهور، وعظمة الليلة التي أنزل فيها (ليلة القدر)، فهي خير الليالي، وعظمة الرسول الذي أنزل عليه (إمام الأنبياء والمرسلين، سيّد ولد آدم). ولعظمة القرآن الكريم عظمٌ حامله في صدره، وفُضِّل على غيره، ويكفي في بيان مقدار عظمة القرآن، وصف الله تعالى له بالعظمة في مثل قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ مَآبِتُكَ سَمَاءٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾ [الحجر: ٨٧].

٣ - معرفة أن الأصل في تلقّي القرآن حفظه:

حفظ القرآن العظيم هو الأصل في تلقّيه، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي سُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَوْرَاقًا أَلْوَعًا﴾ [العنكبوت: ٤٩]. فقد أكرم الله تعالى هذه الأمة بأن جعل قلوب صالحها أوعيةً لكلامه، وصدورهم مصاحف لحفظ آياته.

وقال الله ﷻ لنبيه محمدٍ ﷺ - كما جاء في الحديث القدسي: «إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْنِيكَ وَأَبْنَتِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَفْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ»<sup>(٣)</sup>. فمعنى ذلك: أن القرآن العظيم محفوظ في الصدور، لا يتطرّق إليه الدُّهَاب، بل يبقى على مرّ الزمان<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الجوزي<sup>(٥)</sup> رحمه الله: «ثُمَّ إِنَّ الْأَعْتِمَادَ فِي نَقْلِ الْقُرْآنِ عَلَى حِفْظِ

(١) انظر: في ظلال القرآن (٢/١١٤٧). (٢) انظر: روح المعاني (٧/٢٢١٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٤/٢١٩٧) (ح ٢٨٦٥).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/٢٠٤).

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي النمشقي، ثم الشيرازي، الشافعي (أبو الخير)، =

القلوب والصُّدُور، لا على حفظ المصاحف والنكث، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة<sup>(١١)</sup>.

وحفظ القرآن العظيم فيه تأسُّرٌ بالسُّلف الصَّالح، فهو أصل الأصول، والمتموِّل عليه في جميع الأمور. وهو مرجعٌ أساس لسائر المناهج والعلوم. فكانوا لا يبتدؤون إلَّا به، وما إن نقرأ في ترجمة أحدٍ من أهل العلم إلَّا ونرى في سيرته: حفظ القرآن الكريم، ثم ابتداء بطلب العلم<sup>(١٢)</sup>.

وكان كثير من السُّلف - رحمهم الله - يرفضون تدريس الحديث وغيره من العلوم للحديث، حتَّى يحفظ القرآن أولاً.

قال النووي رحمه الله: «كان السُّلف لا يُعَلِّمون الحديث والفقهاء إلَّا لمن يحفظ القرآن»<sup>(١٣)</sup>.

وعدَّ ابن جماعة رحمه الله الأدب الأوَّل من آداب طالب العلم: «أن يشتدَّ بكتاب الله العزيز، فينقله حفظاً، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه؛ فإنَّه أصل العلوم وأتمها وأهمها»<sup>(١٤)</sup>.

#### ٤ - الرُّغبة القويَّة الصادقة:

الرُّغبة القويَّة الصادقة لها أكبر الأثر في الإقبال على الحفظ والاستمرار فيه وتحمل مشاقه، إذ بدون ذلك يخور الإنسان ويتهاون، ويكون الأمر مجرد أمانة وحلم بقطة.

= ويُعرف بابن الجزري، مقرئ، محوِّد، محدِّث، حافظ، مشارك في بعض العلوم ولد في دمشق سنة (٧٥١هـ)، وتلقَّهاها وطلب الحديث والقراءات، وعمر مديرةً للقراء ستمائة. دار القرآن، وأقرأ الناس وله تصانيف كثيرة منها: «الشَّرح في القراءات العشر» و«التَّمهيد في التجويد»، و«تذكرة العلماء في أصول الحديث»، و«الأربعون النُّعالي» توفي بشيراز سنة (٨٣٣هـ). انظر: «طبقات القراء»، لابن الجزري (٢٤٧/٢ - ٢٥١).

(١) الشَّرح في القراءات العشر (٦/١).

(٢) انظر: «الكلمات الحصاة فيما يُعين على الحفظ والانتماع بالقرآن» (ص ١٣ - ١٦). حفظ القرآن الكريم (ص ١٠ - ١٢).

(٣) المجموع (٣٨/١).

(٤) تذكرة السامع والمكتمل في آداب العالم وانتعلم (ص ١٦٦ - ١٦٧).

والذائع الذاتي ذو أهمية بالغة في إكمال حفظ القرآن، حيث نجد أن كثيراً من الناس انقطعوا عن الحفظ وتخلّصوا بسبب قلة فهم لهذا الذائع، وربما كان الذائع للحفظ هو إلحاح التواليف أو المتكررة دور اندفاع ظلي، فإنه لن يستمر طويلاً، ولا بد أن يصاب بالفتور.

ويزداد الذائع الذاتي: بتأثر أحر ومنزلة حفظه القرآن الكريم، ومجالس انقراء، وإدكاء روح التأمل المتشروع في الحلقة، أو البيت، أو العنونة<sup>(١١)</sup>.  
وحيثما يتنهأ هذا الذائع الذاتي ترى المرأة لا يفتر عن النظر في كتاب الله، ولا يملُّ من تلاوته، وهذا هو حال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من حفظوا القرآن على مرِّ الزمان<sup>(١٢)</sup>.

### ٥ - التقلُّل من الدنيا:

التعلُّق بالدنيا وشهواتها وملذاتها يُضَيِّع على المسلم جُلُّ وقته، ويجعله عالم الفكر فيها، مستغرق الهم في تحصيلها والإكثار منها، فمضى بحفظ شيئاً من كتاب الله من كان هذا حاله<sup>(١٣)</sup>.

والله نعانى دم الغير اتبعوا شهواتهم - فمعلتهم عما حُلبوا له من طاعة الله وعادته، ونوغلهم بالفقر في قوله تعالى ﴿كَلَّفَ بِنَافِثِهِمْ حَقًّا لِقَوْلِهِمْ كَلِمَاتٍ لَّيْسَ لَكُنَّوْا وَاللَّيْمَةُ الْكَثِيرُونَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ فِيهَا﴾ (مريم: ٥٩)

ويبين سبحانه أن من أراد الدنيا وحملها همه الوحيد قد بالها، ولكن مصيره الهلاك في الآخرة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاطَةَ عَجَلًا لَمْ يَهْتُمْ بِهَا مَا فَتَكَ لَنْ يُرِيدَ نَدًّا سَلَمًا لَمْ يَهْتُمْ بِسَلَمَتِهَا مَدْمُونًا مَذْمُورًا﴾ (الاسراء: ١٠٨).

فكيف يركز المسلم إلى الدنيا؟ وهي دار ممر لا دار مقر، ومزول عبور لا مقعد جبور، وهي حيوان طيفر أو سحابة صيف، وقد روي النبي ﷺ

(١١) انظر: ورتل القرآن تريباً (ص ٨٣)

(١٢) انظر: مرشد الحبر إلى طريق حفظ القرآن الكريم، لأحمد مصطفى الطهطاوي، (ص ١٥٦) نحو منهجية عملية في حفظ القرآن الكريم، فيصل اليمامي، مجلة البيان (عدد ٧٢) (رمضان ١٤١٢هـ) (ص ٤٥ - ٥٢)

وأصحابه رضي الله عنهم من هذه الدنيا بالكفاف، فلم يعمروا ببناء ولم يبخلوا أوفانهم وأعمارهم في تحصيلها كما عمروا بل يرضون منها بأقل القليل.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا أَلْفَحُ مِنْ أَسْتَمٍ، وَذَرَى كَفَافًا»، وَقَعَّمَ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلَا آتَانُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا خَفَّتْ حَدِيثًا، ثُمَّ يَنْلَوُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتَسِبُونَ مَا أُنزِلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ» - إِلَى قَوْلِهِ - «الرَّجِيحُ» (السنن 1: 109 - 110) إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَشْغَلُهُمُ الشُّغْفُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانُوا يَلْزَمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْبَحُ نَظْمَهُ، وَيَخْضِرُ مَا لَا يَخْضِرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ».

وقد استبط ابن حجر تلك عدة فوائده من قول أبي هريرة رضي الله عنه فقال: «وبه الحث على حفظ العلم، وفيه أن الثقل من الدنيا أمكن لحفظه، وفيه فضيلة التمسك بعمل له عيان. وفيه جواز إخبار المرء بما فيه من فضيلة إذا اضطُرَّ إلى ذلك، وأمر من الإحباب».

هذا هو إفقه أبي هريرة رضي الله عنه بملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم على سبغ بطنه فقط بحفظ الحديث، فأصبح حافظ الأمة بلا منازع، لأنه جمع منه في العلم والحفظ. ولا يعني ذلك أن يعزل الدنيا - من أراد أن يحفظ القرآن - ويترك العمل بمعيشة عالية على الناس، فقد كان كثير من علماء الأئمة لهم أعمال يتكسبون منها أرزاقهم، وهم يقيمون حاله على غيرهم. قال ابن الساري رحمته الله: «لَا يَسْمُ طَلَبُ الْعِلْمِ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: مَالٍ، وَوَجْهِ، وَوَالِدٍ، وَوَالِدَةٍ».

(1) قال في الشهايا (1/119) الكفاف: هو الذي لا يفصل عن الشيء، ويكون تقدر الحاجة إليه.

(2) رواه مسلم - كتاب الركة - باب في الكفاية والفاضة (2/730) ص 1102.

(3) رواه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم (1/76) ص 118.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري (1/185).

(5) رواه الصغرى في ثمن الأيمان (2/171) رقم 1737.



والمقصود من ذلك: أن يتطَّع طالب العلم إلى معالي الأمور - فيعمل عملاً دينياً ليحصل به على قوت عباده، ثم يترجَّع بقية أوقانه للعلم والحفظ والدراسة، فلا تشغله الدنيا ومخرباتها عن مقصوده الأسمى - حفظ كتاب الله، وطلب العلم الشرعي، وتعليم الناس - وأن يصبر ويتصبر على خشونة الجش وقلة المال<sup>(١)</sup>.  
عن يحيى بن أبي كثير<sup>(٢)</sup> كلفه قال: منجئت أبي بقول: لا يستطاع العلم براعة الجسم<sup>(٣)</sup>.

وقال إبراهيم الحرابي<sup>(٤)</sup> كلفه: أجمع خلفاء كل أمة: أن الشجيم لا يدرك بالعلم، وأن من أتم الرِّاحة فانه الرِّاحة، فما لصاحب اللُّغات وما لدرجة ورائة الأبرياء<sup>(٥)</sup>.

## ٦ - الدعاء والاتجاه إلى الله.

الدُّعاء هو روح العبادة، والاتجاه إلى الله تعالى والركون إلى حابه يهون كل أمر عسير، وحفظ كتاب الله تعالى، والتعقُّق في دينه، عطية وهبة، يهبها الله تعالى لمن شاء من عباده. فأكثر من سؤاله واللُّجوء إليه سبحانه أن يجعلك من أهل العلم والحفظ والفهم والعمل بما تعلم، فإن من آدم قرع الباب أوشيك أن يفتح له<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتجاع بالقرآن (ص ١٥٨ - ١١٦٤).

(٢) هو يحيى بن أبي كثير الطائي - مولاهم - أبو نصر، البغدادي قال ابن حجر ثقة ثبت، لكثرة يندلس ويؤثره. من الطبقة الحسان. أخرج له أصحاب الكتب السنة وغيرهم. توفي سنة (١٣٢٢هـ) انظر تحريب التهذيب (١/٢٥٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات العطلات الخفيس (١/١١٨).

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشر بن عبد الله بن عيسى الحرابي البغدادي. ولد سنة (١٦٩٨هـ) وتلقه على الإمام أحمد، فكان من تلامذته أصحابه. قال الخطيب: (٤٥٠) إماماً في العلم، رأساً في الرُّشد، حارطاً بالعلم، بصيراً بالأحكام، حافطاً لسنننا. متبراً بعلته، قهراً بالأدب، توفي سنة (١٢٨٥).

انظر: طبقات الحفاظ (١/٢٦٣) طبقات الحنابلة (١/٨٦).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/١٤٢).

(٦) انظر الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتجاع بالقرآن (ص ١٣٤).

وفد قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتِ بِكَاوِيٍّ عَنِ قُبُورِ قَسِيْبٍ أَهْبَبْتُ نَحْوَهُ الْدَرَجَ إِذَا دَخَلَتْهُ﴾ الآية ١٨٦. عاله تعالى قريب بعلمه وسمعته وفكرته ومخبرته، لا يخيب رجاء من دعاه والتحا إليه، والقلوب في حاجة شديدة إلى رزق الله تعالى من العلم والهدى. كما هو الحال في قوت الأجداد. وطلت قال ابن نهيمة رحمه الله أو كما أن له ملائكة موكلة بالسحاب والمطر، فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم، هذا رزق القلوب وعونها، وهذا رزق الأجداد ونوعها<sup>(١)</sup>

فالدعاء وسنة مهمته لا يخيب صاحبها، خاصة إذا أحلص قلبه، وبنت لربه في حفظ كتابه، ودعا قلبه حاضرا، ودعا مشروع، وانفتحت في حقه موانع الإحابة كأكل الحرام وسحوه، فإن الله تعالى جواد كريم. رُحيم

### المطلب الثاني

#### أدب بعد الحفظ

#### ١ - الخوف من الوقوع في الرياء:

إن أول ما يفعله الحافظ - بعد أن من الله تعالى عليه بحفظ كتابه - أن يخاف على نفسه من الوقوع في الرياء ومحنة المدح والثناء من الناس، وطلب الجاه والمنزلة عندهم، بأن يظهر لهم أنه قد أكمل حفظ القرآن وأجاده، وهذا ما خافه النبي ﷺ على أمته بقوله: «إِنَّ الْخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَضْعُرَّ» قالوا: وما الشَّرْكَ الْأَضْعُرُّ يا رسول الله؟ قال: الرِّيَاءُ، يقول الله ﷻ لهم - يوم القيامة إذا حربي الناس بأعمالهم: «اتَّعَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَافِقُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ مِنْهُمْ جِزَاءً»<sup>(٢)</sup>

والخروابي بالقرآن مغرض نفسه للمعوية الشديدة الواردة في قوله ﷻ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يَأْتِ

(١) مصوع الفتوى (٤/ ١١)

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٢٨) (ج ١٣٦٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٠) (ج ١٣٢)

به، فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا: قَالَ: فَمَا حَمَلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ<sup>(١)</sup>.

وما هو الأجرى ﷺ يُحذِرُ حَفَاطَةَ الْقُرْآنِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ وَالْجَاهِ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فيقول:

«ينبغي لمن رزقه الله حُسنَ الصَّوتِ بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصَّه بخيرٍ عظيم، فليعرف قدرَ ما خصَّه الله به، وليقرأ الله لا للمخلوقين، وليحذر من الميل إلى أن يُستمع منه؛ ليحظى به عند السَّامعين رغبةً في الدُّنيا، والميل إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ وَالْجَاهِ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، وَالصَّلَاتِ بِالْمُلُوكِ دُونَ الصَّلَاتِ بِعَوَامِ النَّاسِ، فَمَنْ مَالَتْ نَفْسُهُ إِلَى مَا نَهَيْتُهُ عَنْهُ، خِفْتُ أَنْ يَكُونَ حُسْنُ صَوْتِهِ فِتْنَةً عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ حُسْنُ صَوْتِهِ إِذَا خَشِيَ اللَّهَ ﷻ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَكَانَ مَرَادُهُ أَنْ يُسْتَمَعَ مِنْهُ الْقُرْآنُ؛ لِيَنْتَبِهَ أَهْلُ الْغَفْلَةِ عَنْ غَفْلَتِهِمْ، فَيَرْغَبُوا فِيمَا رَغِبَهُمُ اللَّهُ ﷻ، وَيَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

### كيف الخلاص من الرياء؟

هذا سؤال مهمٌ يَرِدُ عَلَى بَالِ كُلِّ حَافِظٍ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ، وَيَخْشَى عِقَابَهُ، وَلَا نَجْدَ جَوَاباً شَافِئاً - فِي هَذَا الشَّأْنِ - إِلَّا عِنْدَ الطَّبِيبِ الْحَاقِقِ بِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، ابْنِ الْقَيْمِ ﷻ حَيْثُ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ الْإِنْخِلَاصُ فِي الْقَلْبِ وَمَحَبَّةُ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَالطَّمَعُ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ، إِلَّا كَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ وَالنَّارُ، وَالضَّبُّ وَالْحَوْتُ.

فَإِذَا حَدَّثَكَ نَفْسُكَ بِطَلْبِ الْإِنْخِلَاصِ، فَأَقْبِلْ عَلَى الطَّمَعِ أَوَّلًا، فَادْبِخْهُ بِسُكِينِ الْيَأْسِ، وَأَقْبِلْ عَلَى الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، فَازْهَدْ فِيهِمَا زُهْدَ عُشَاقِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ. فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكَ ذُبْحُ الطَّمَعِ وَالزُّهْدُ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ، سَهَّلَ عَلَيْكَ الْإِنْخِلَاصَ.

(١) رواه مسلم، كتاب الإمامة، باب: مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالشُّمُوعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ (٣/١٥١٤) (ح: ١٩٠٥).

(٢) أخلاق حملة القرآن (ص: ٧٩).

لأن قلت: وما الذي يُسهّل عنّي ذبح الطمع، والرّهْد في الشّاء والممدح؟  
 قلت: أمّا ذبح الطمع، فبسهله عليك: جعلتْ وَبَيَّنَتْ أَعْيُنُ مَنْ ضَمَّ بَصْعَ  
 فِيهِ إِلَّا وَبَيَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ خِزَالَهُ، لَا يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ، وَلَا يُوْتِي الْعِذَّ بِهَا سِوَاهُ،  
 وَأَمَّا الرَّهْدُ فِي الشَّاءِ وَالْمَدْحِ، فبسهله عليك: جعلتْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُ مَدْحَهُ  
 وَيَزِينُ، وَبَصْرُهُ دَعْوَةُ وَتَشْبِيهُهُ إِلَّا اللَّهُ وَجْهَهُ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ لِنَسِيِّ اللَّهِ: إِذْ  
 حَفِدِي زَقْرًا، وَإِنْ دُمِّي شَرِبَ، فَفَإِنَّ الشَّيْءَ اللَّهُ، ذَلِكَ اللَّهُ <sup>(١)</sup>  
 فارهذ في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذم من لا يشينك دمه، وارعن  
 في مدح من كل الزين في مدحه، وكل الشين في دمه، ولن يقدر على ذلك إلا  
 بالشر واليقين، فمتى فقدت الشر واليقين، كنت كمن أراد السفر في البحر في  
 غير مركب <sup>(٢)</sup>.

## ٢ - العُشْبِيَّةُ مِنَ الْعُجْبِ بِالْفُسِّ وَالنُّعَالِي عَلَى الْخَلْقِ.

تعريف العُجْبِ:

- جاء في (لسان العرب) «العُجْبُ: الرَّمُومُ، وَرَجُلٌ مُنْجَبٌ: مَرْمُومٌ بِمَا  
 يَكُونُ مِنْ حَسَنًا أَوْ فِجَاءً» <sup>(٣)</sup>
- وجاء في (المعجم الوسيط): «العُجْبُ: الكِبْرُ وَالرَّمُومُ» <sup>(٤)</sup>
- وقال الغزالي كثرة: «العُجْبُ: استعظامُ النِّجْمَةِ وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا مَعَ تَبَيُّانٍ  
 إِضَافَتِهَا إِلَى الْمُتَعَمِّقِ» <sup>(٥)</sup>
- ومثل ابن المبارك بكثرة عن العُجْبِ، فقال: «أَنْ تَرَى أَنَّ عِنْدَكَ شَيْعًا  
 لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكَ». ومثل عن الكبر، فقال: «أَنْ تَزِدِّي النَّاسَ» <sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أحمد في «المستدرک» (٤٨٨/٣) (ح ٣٤-١١٦) والساجي في «الكبرى» (٤١٦/٦) (ح ١١٤١٥) والترمذي (٣٨٧/٥) (ح ١٣٦٧)، وقال ابن حجر «وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٣/٣) (ح ٣٢١٧).

(٢) الفوائد (ص ٦١٨ - ٦١٩) (٣) (٥٢/٩). مادة: (عجب).

(٤) (٥٨٤/١٦). (٥) إحياء علوم الدين (٣/٧٣٦).

(٦) انظر: تذكرة الحفاظ (١/٢٧٨)، البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/٣٠٣) رقم (٨٢٦٠) تاريخ الإسلام (١٢/٢٢٩) سير أعلام النبلاء (١٧١٨).

## حُكْمُ الْمُعْجَبِ:

المُعْجَبُ مُحَرَّمٌ وَمِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، بَلْ عَدَّهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مِنَ الشَّرْكِ الْمَحْبُطِ لِلْعَمَلِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحُّ مَطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ، وَإِضْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ خَافَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْمُعْجَبِ أَكْبَرَ مِنْ خَوْفِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَمُومِ الذُّنُوبِ - غَيْرِ الشَّرْكِ - فِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذُنِّيُونَ، لَخِفْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ؟ الْمُعْجَبُ الْمُعْجَبُ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْمُتَنَوِّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عِلَّةِ تَكَرُّرِ لَفْظَةِ (الْمُعْجَبِ) فِي الْحَدِيثِ: «كَرَّرَهُ زِيَادَةً فِي التَّنْفِيرِ، وَمِبَالِغَةً فِي التَّحْذِيرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَاصِيَ يَعْتَرِفُ بِنَقْصِهِ فَيُرْجَى لَهُ التَّوْبَةُ، وَالْمُعْجَبُ مَغْرُورٌ بِعَمَلِهِ فَتَوْبَتُهُ بَعِيدَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

## الفرق بين الرياء والمعجب:

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُوضِحاً هَذَا الْفَرْقَ: «وَكَثِيراً مَا يَقْرَنُ النَّاسُ بَيْنَ الرِّيَاءِ وَالْمُعْجَبِ، فَالرِّيَاءُ مِنْ بَابِ الْإِشْرَاكِ بِالْخَلْقِ، وَالْمُعْجَبُ مِنْ بَابِ الْإِشْرَاكِ بِالنَّفْسِ، وَهَذَا حَالُ الْمُسْتَكْبِرِ، فَالْمُرَائِي لَا يُحَقِّقُ قَوْلَهُ: ﴿إِنِّي لَنَعْبُدُكَ﴾ وَالْمُعْجَبُ لَا يُحَقِّقُ قَوْلَهُ: ﴿وَأِنِّي لَنَسْتَعِينُ﴾. فَمَنْ حَقَّقَ قَوْلَهُ: ﴿إِنِّي لَنَعْبُدُكَ﴾ خَرَجَ عَنِ الرِّيَاءِ، وَمَنْ حَقَّقَ قَوْلَهُ: ﴿وَأِنِّي لَنَسْتَعِينُ﴾ خَرَجَ عَنِ الْإِعْجَابِ»<sup>(٤)</sup>.

## لماذا يقع الحافظ في برائن المعجب؟

الحافظ المعجب استعظم ما يدلل من أسباب لتحصيل حفظ القرآن الكريم،

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٣٢٨/٥) (ح ٥٤٥٢)؛ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٥٨٥/١) (ح ٣٠٤٥)؛ وَهِيَ السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ (٤١٢/٤) (ح ١٨٠٢).

(٢) رَوَاهُ الْقِضَاعِيُّ فِي «مَسْنَدِ الشَّهَابِ» (٣٢٠/٢) (ح ١٤٤٧)؛ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٩٣٨/٢) (ح ٥٣٠٣)؛ وَهِيَ السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ (٢٦٣/٢) (ح ٦٥٨).

(٣) التَّبْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (٣١٢/٢).

(٤) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى (٢٧٧/١٠).



ونسي أو تناسر أن الله تعالى هو الذي هدانا لهذا فذلك وسهله عليه وولفه إليه. ولولا إحسانه وفضله ﷻ لما تمكّن أحد من حفظ القرآن أو بعضه.

والواحد على - هذا الحافظ - أن يسب النعمة إلى مُسبِّها وخالقها تبارك وتعالى، ويعترف بعضه عنده أن ولفه وأكرمه وأعانه على حفظ القرآن العظيم.

### لماذا يقع الحافظ في سخط الكبر؟

والحافظ العنكبُ اعلمد - في فرارة عنه - أنه بلغ مرتبة في الكمال لم يبلغها من حوله، فيغضب نفسه أولاً، ثم يكون الغضب مغبةً إلى التعالى على من حوله. واحتقارهم وتجهيلهم، ورثما أتاه الشيطان ونفع في صدره، وقال: أتسمت حفظ القرآن، فأنت حافظ رمانك، وحبير من فلان وفلان، وأنت من أهل الله وحاشته، وأنت السطيم في الإمامة والإمامة، والمرنقع في درجات الجنة، لهذا هو خلق الشيطان وتكبره في قوله: «أنا خير من خلقي من ناسي وخلقته من طين» (ص ١٧٦).

ونسي - هذا العنكبُ على الناس بحفظه - ما ورد من النص من التحذير من ذلك، ومنها:

ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: الكبرياء بدلني، والغطية لذري، فمن نازعي واحداً منهما، فلقته له النار».

وما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر».

### ٣ - الحذر من الذنوب والمعاصي:

لا ريب أن الذنوب والمعاصي ست مباشر في المصائب التي تنزل على

(١١) رواه أبو داود (٥٩/١) (ج ٤٠٩٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧) (٥١٧) (ج ٤٠٩٠)

(١٢) رواه الترمذي (٣٦٠/٢) (ج ١٩٩٨) وأبو داود (٥٩/٤) (ج ٤٠٩٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٧٧/٢) (ج ١٩٩٨) وصححه سنن أبي داود (٥١٧/٢) (ج ٤٠٩٦)

انصاه، وأن نسيان القرآن بعد حفظه من أعظم المصائب، ولذا قال النبي ﷺ:  
 «لَا تُصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ، فَمَا لَوْ قَفَا أَوْ فَوَّنَهَا إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَنْقُرُ اللَّهُ عَنَّا أَكْثَرَ وَقَرَأَ  
 ﴿وَمَا أَسْتَعِظُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ مِمَّا كَتَبَتْ لِيُذَكِّرَكُمْ﴾ (الشورى - ٣٠)»<sup>(١١)</sup>

• قال الطحاوي بن مراحم ت. ٤٤٥: «ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه، إلا  
 سلب بخبثته، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَسْتَعِظُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ مِمَّا كَتَبَتْ  
 لِيُذَكِّرَكُمْ﴾ وأن نسيان القرآن من أعظم المصائب»<sup>(١٢)</sup>.

آثار في التحليل من المعاصي:

كان السلف الصالح - مع حرصهم على ضبط ما حفظوه من القرآن -  
 يحاسبون أنفسهم ويلومونها على التقصير والخطأ، ويغزرون سبب ذلك إلى ذنوبهم  
 وعظاياهم:

• قال جعفر بن سليمان الضعفي ت. ١٣٠: «كان مالك بن دينار من أحفظ  
 الناس للقرآن، وكان يقرأ علينا كل يوم جزءاً من القرآن حتى يختم، فإن أمسقت  
 حرفاً قال: بلس بئني، وما الله بغفلام للعبيد»<sup>(١٣)</sup>

• وقال ابن مسعود ت. ٤٥: «أني لأحس الرجل ينسى العلم بالحطبة  
 بعينها»<sup>(١٤)</sup>.

• وسأل رجل الإمام مالكا ت. ٢٤٥ فقال: «يا أبا عبد الله، هل يصلح لهذا  
 الحفظ شيء؟» قال: «إن كان يصلح له شيء، فترك المعاصي»<sup>(١٥)</sup>.

(١١) رواه الترمذي (٣٧٧/٥) (ج ٣٢٥٢)، وحسنه الألباني في - «مصحيح الجامع» (١٢٧٨/٢) (ج ٧٧٣٢).

(١٢) رواه أبو عبد الله في «فضائل القرآن» (ص ٤١)، وابن المبارك في «الزهدي» (٢٨/١) (رقم ١٨٥) والبيهقي في «المنهج الإيماني» (٣٣٤/٣) (رقم ١١٩٦٥) وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص ٢٢٢). وقال سفيان (أبو إسحاق الحويني) «مستد حبه»

(١٣) هو جعفر بن سليمان الضعفي، المصري (أبو سليمان) من تلمذة الإمام، ت. ١٤٤. أخرج له البخاري ومسلم، قال ابن حجر: «صدوق زاهد، لكنه كان يشيع»، توفي سنة (١٧٨هـ) انظر: «تقريب التهذيب» (١٣١/١).

(١٤) حلية الأولياء (١٢٨٨/٦١)

(١٥) رواه أحمد في «الزهدي» (١٦٥٦/١) وابن المبارك في «الزهدي» (١٢٨/١) (رقم ٤٨٣)

(١٦) الجامع لأحاديث الرواة وقواعد السماع (١٢٥٨/٦١) (رقم ٤٧٨٣).

• وأوصى بذلك وكبح عن الجراح **تَلَقُّهُ** فقال: «استمعوا علي الحفظ بترك المعاصي»<sup>(١١)</sup>

• ومن آثار المعاصي - التي أوردتها ابن القيم **تَلَقُّهُ** قوله: «وللمعاصي من الآثار القبيحة المدمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله».

فمنها حرمان العلم، فإن العلم نور يقدفه الله في القلب، والمعصية تطفي ذلك النور

ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوفد دكانه، وكمال فهمه، فقال: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك بوراه فلا تطغى بظلمة المعصية»<sup>(١٢)</sup>.

• وجاء في (فتح الباري) عن الفوطي **تَلَقُّهُ** - أن من عقوبة ارتكاب المعاصي الرجوع إلى الجهل بعد العلم: «من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت ونسيت بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخذ بهذه الرتبة للنسبة حتى نرجح عنها ما سب أن يحافظ على ذلك، فإن نزلت معاهدة القرآن يُلْقِي إلى الرجوع إلى الجهل - والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد»<sup>(١٣)</sup>

شبهة:

قد يقول قائل: كيف يكون الرجوع في المعاصي، وترك الطاعات سبباً في سبب الفراق وتعلنه من صدر حامله، وحسب يرى خفياً للقرآن يرتكوب الأمور المحرمة كشرب الدخان فأن وأثناء التلاوة، وارتكاب الدخ المنوعه، ومنهم من يذت عليه أمارات الصنق والمحور - وربما يكون منهم من هو إمام في الزبح

(١١) عمر أبو سيار - وكبح عن الجراح بن مكي الرُّذَسي، الكوفي، إمام حافظ ثقة ثبت، فقيه ورع عابد - رحل وكتب وجمع وصنف وحديث وقاكر وثق - كان مولده سنة (١٢٨هـ)، وتوفي سنة ١٩١هـ

انظر هيب التهديب (١١١/١٢٣) مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان (١٧٣/١)

(١٢) صفات الصحبة (١٦/١٤٠)

(١٣) النور الكافي فيمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٠٣ - ١٠٤).

والضلال، أو جامع القرآن ومعانيه، وكثير من هؤلاء لا يعلمون شيئاً عن تفسيره، ولا يتفكرون أحكامه، وهم الحاملون له، وربما قرأ بعضهم عن قبور الأموات؛ لأجل أن تأكل به!<sup>(١)</sup>

فكيف يكون ذلك في ضوء ما تقدم؟

رُفعا:

هؤلاء الحفّاط انفسه لم يعرفوا قيمة ما تحمّلوه من كتاب الله، فحالهم وبأل عليهم وفتنة لغيرهم، وهم مُستترجون بهذا الحفظ من حيث لا يشعرون، ولا يكون في حفظهم نفع ولا بركة عالماً، ولو أنهم عظموا القرآن الذي في صدورهم لانكسروا إحساناً وحشوعاً وحيوفاً، ومساعدة لمرصاه ربهم تبارك وتعالى<sup>(٢)</sup>

وما أحسن ما قاله الشافعي انجيل مانتك بن دينار **تَحْتَلِكُ** 'إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه، وإما طلبه لغير ذلك ارتاد به فحوراً أو فخرأه'<sup>(٣)</sup>

ولا أحد لحال هؤلاء مثلاً، إلا ما قاله محمد بن السائب **تَحَلَّق** 'وكم من مذكّر بالله نامي لله، وكم من سُخَّرَ قلبه بالله حربي، على الله، وكم من داع إلى الله فارّ من الله، وكم من تالي كتاب الله مُتَسَلِّح من أهانت الله'<sup>(٤)</sup>

أثار في بيان العلم النافع:

العلم النافع هو الذي يورث خشية الله تعالى، ويدعو إلى العمل. فما زال العلم يدعو العمل. فلما أجاب وإلا ارتحل، وفي ذلك آثار كثيرة من الصحابة الكرام **رضي الله عنهم**، ومنها:

ما ورد عن الصحابي الحليل عبد الله بن مسعود **رضي الله عنه**، حيث قال: ليس

(١) انظر مرشد النوير إلى طرق حفظ القرآن (ص ٢٨)

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٤٦/١٤٢)، وانظر: حلية الأولياء (١/٣٧٢)، شعب الإيمان، للسيهري (٢/٢٩٤)، تاريخ الإسلام (٨/٢١٧)، اقتضاء العلم بالعمل (١/٢٢)

(٣) دواء السيهري من شعب الإيمان (٢/٣١٣) رقم (١٩١)، وانظر: حلية الأولياء (٨/٢٠٦)، صفة الصلوة (٣/١٧٥)، إحياء علوم النبي (١/١٣)

العلم بكثرة الروايف، ولكن العلم الخشبة<sup>(١)</sup>.

وما ورد عن حليفة رضي الله عنه، أنه قال: بحسب المرء من العلم أن يخشى الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وأمثال هؤلاء - أي الحفاظ السابق ذكر حالهم - أراد الله تعالى أن يقيم عليهم الحجة بما حفظوه، وما حملوه في صدورهم من غير عمل به، وتعظيم له، وتأدب معه، كما قال النبي ﷺ: «... وَالْقِرَاءُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»<sup>(٣)</sup>.

قال النووي رحمته الله - معناه ظاهر، أي: تستمع به إن تلوته، وعملت به، وإلا فهو حجة عليك<sup>(٤)</sup>.

وهناك فرق بين العلم الذي في القلب، والعلم الذي على اللسان، كما قال الحسن البصري رحمته الله: «الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى النَّسَانِ؛ فَذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى ابْنِ آدَمَ»<sup>(٥)</sup>.

ليعلم المصير على المعصية إذ علمه وبال عليه، وأن يحفظه حجة عليه لا له، وأي قيمة لهذا الحفظ مع عصبانته، وانغماسه في الفجور، وتخس على من هذا حاله أن يُبَدَّ حسناته، وتكون هباءً منثوراً، وقد جاء عن نوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ نِهَامَةِ بَيْضَاءٍ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنثوراً». قال نوبان: يا رسول الله! صفهم لنا، جلهم لنا، ألا تكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣١٨٠) (رقم ١١٧٩٧٨) والسيوطي في الدر المنثور (٧/٢٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/١٣٩) (رقم ٣٤٧٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٨١) وعلي بن الحسن في تاريخ مدينة دمشق (١٢/٢٨٩) والأصبهاني في الحجة في بيان المحجفة (٢١/٥٧٨) (رقم ٥٧٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء (١/٢٠٣) (ح ٢٢٣).

(٤) صحح مسلم شرح النووي (٣/١٠٢).

(٥) رواه الدارمي في سننه (١/٩٨) (رقم ٣٦٤)، ولا يصح مرفوعاً، فقد صحفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/٥١) (ح ٦٨٨) والسلسلة الضعيفة (ح ٣٩٤٥).



جَلْبَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْرَبُ إِذَا خَلَدُوا بِمَخَارِمِ اللَّهِ  
الْتَهَكُوا<sup>(١)</sup>

وقال ﷺ: «أَكْثَرُ مَنَاقِبِي أُمَّتِي قُرْآنُهَا»<sup>(٢)</sup>

وهؤلاء هم علماء النُوء، وأصحاب الأهواء. الذين لا يعملون بما  
يعلمون، يسعون بينهم بديانهم طمعاً في منصب، أو جاه، أو مال، ويُحِبُّون  
الحرام. فأتربا عندهم حلال، ولا يَسْعُونَ ربا بل هو عالة استثماري، ولا حول  
ولا قوة إلا بالله.

وقد حذر النبي ﷺ على أنت من هؤلاء، بقوله: «إِنَّ الْخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيَّ  
أُمَّتِي كُلَّ مَنَاقِبِي عَلَيْهِمُ اللِّسَانُ»<sup>(٣)</sup>

أي كثير علم اللسان. جعل القلب والعمل، أخذ العلم جرةً يتأكل بها،  
فا هبة وأبهة يتعزَّر ويتعاطم بها، يدعو الناس إلى الله ويفرُّ هو منه، ويسفح  
عيب غيره ويعمل ما هو أفح منه، ويُظهِرُ لثَّاسِ الشُّكِّ والثُّعْبُدِ، وسارر ربه  
بالمطامير، إذا خلا به ذنب من الثُّغَابِ، لكن عليه نيب، فهذا هو الذي حذَّر من  
النَّارِ ﷺ هنا، حذراً من أن يعطفك بحلاوة لسانه، ويعرفك نار عصباله،  
ويقتلك بنثر ماطه وحنانه<sup>(٤)</sup>.

قالعلم النافع: هو الذي وقع في القلب، ثم ظهر عنى اللسان، وأثر العمل  
المضالغ، وأورث خشة الله وتقواه. أما الذي يتعلم العلم ليتأكل به ويتعزَّر به

(١) رواه ابن ماجه (١٤١٨/٦) (ج ١٤٤٥) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٨١/٣) (ج ٣٤٤٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٧٥/٢) (ج ٦٦٣٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٦/٢) (ج ١٧٥٠) وصحيح الجامع (١١/٢٦٣) (ج ١٢٠٣).

(٣) الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والاصح بالله أن (ص ١٢٢).

(٤) رواه أحمد في المسند (٢٦١/١) (ج ١٤٢٣) والخراسي في الكبير (٦٨١/١٣٧) (ج ٥٩٣) والبرق في مستدركه (١١/٤٣٤) (ج ٣٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١/٤٨٧): رجال رجال الصحيح.

وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٢٢) (ج ١١٥٥٥) والسلسلة الصحيحة (٢/١١٦) (ج ١٠٠٦٣).

(٥) غريب المفرد (٤/١٩٦٨).

عند التأمين، فهو بمعزولة عن خشية الله تعالى، لأن العلم جرى على لسانه ولم يستقر في قلبه، فهذا هو عين ما حذر منه النبي ﷺ في الحديث<sup>(١١)</sup>.

#### ٤ - تعاهد القرآن والحذر من نسيانه:

أرشد النبي ﷺ أمته إلى ضرورة المراجعة المستمرة لكتاب الله تعالى، وتعاهد المحفوظ من الآيات والسور، وشدد على ذلك، وضرب لهم الأمثلة المحسوسة ليبين أثر التعاهد في تثبيت الحفظ في قلب حامله، لأن القرآن عزيز، لا يقص في صدور من يهمله، وهذا من عزته، وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في التنبه على ضرورة المراجعة والعداسة، منها ما يلي:

١ - عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **فَتَمَاقَفُوا هَذَا الْقُرْآنَ!**، فوالذي نفس محمد بيده! لهُوَ أَشَدُّ تَقَلُّبًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِيهَا!<sup>(١٢)</sup>

قال ابن بطال تعلقاً بهذا الحديث يوافق (الآيتين) قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ حَتَّىٰ تَكُونَ فِي حَسْرَةٍ مِّنْهُ، وَتَذَكَّرَ بِهِ نَبَأَ لَوْمِيٍّ﴾ [المزمل ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَمَنَّا بِالْقُرْآنِ إِذْ كُنَّا مِن قَوْمٍ مُّذَكِّرِينَ﴾ [الفرقان ١٧] فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسهل له، ومن أعرض عنه تعلق منه!<sup>(١٣)</sup>

٢ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ نَسِيَ مَا لَأَخْلَجَهُمْ**

(١١) انظر تحفة الأحوي (٣٧٨/٧)

(١٢) أي حذروا عهدكم بسلامة تلاوته تلا نسيوه. انظر تحفة الأحوي (٢١٥/٨)

(١٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، ج ٤ - استذكار القرآن وتعاهده (١٦٢١/٣٦) (ج ٥٠٣٣)، وسلم والتعطف له، كتاب صلاة المسامرين، وفسرها، باب الأمر بتعهد القرآن (١١/٥٢٥) (ج ٧٩١)

والتعهد التراجحة والتعاودة

والإبل المنقطلة هي الإبل التي شدت بالعقال ثلاثاً فتهزت. والوفاء: خييل صغير يشد به ساجد النعير إلى عقبيه تنوياً. وخص الإبل بالذكر، لأنها أشد الحيوان الإنسي غوراً، وفي تحصيلها بعد استحسان غورها صعوبة.

انظر جامع الأصول (١/٢٢٢٨) صفح الهادي (٩/٦٠٠).

(١٤) صفح الهادي شرح صحيح البخاري (٩/١١٠٢).

يقول: نَبِيْتُ آيَةَ كُنْثٍ وَكُنَيْتٌ<sup>(١١)</sup>، بَلْ هُوَ نُسَيٌّ، اسْتَذَكِرُوا الْقُرْآنَ، فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفْضِيلاً<sup>(١٢)</sup> مِنْ ضَمِيمِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعْمِ بِفَعْلِهَا<sup>(١٣)</sup>.

ومسبب الذم ما فيه - أي اللفظ - من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع التسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلم تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام جفنته وندكره، فإذا قال الإنسان سيئ الأوبة الفلائي، فكأنما شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم بترك الاستكثار والتعاهد، لأنه الذي يورث التسيان<sup>(١٤)</sup>.

### الحكمة من غلبت القرآن من الضمور

شامت حكمة الله تعالى أن يتعلت حفظ القرآن من الضمور - إذا لم تكن هناك معاهدة دائمة مستمرة للمحفوظ - ولعل من أبرز الحكم في ذلك.

• الابتلاء والامتحان للقلوب العباد، لكي يتسیر القلب المتعلق بالقرآن دائماً، من القلب الذي تعلق به وقت الحفظ، ثم فترت همته وانصرف عنه حتى نسيه.

• تقوية دافع المسلم إلى الإكثار من تلاوة القرآن، لئلا أجراً عظيماً بكل حرف ينلوه، ولو أنه خفيط سم ينزل لما احب احب إلى كثرة التلاوة، ومن هنا كان خوف نسيان الحفظ نعمة قد لا يدركها المسلم أهميتها إلا بعد التأمل والتفكير في هذا الشأن، والله تعالى اعلم<sup>(١٥)</sup>.

(١١) آيَةُ كُنْثٍ وَكُنَيْتٌ جاء في (فتح الباري) (١٠٠/٩) وقال القرطبي: كُنْثٍ وَكُنَيْتٌ يُعْتَرِضُ بِهَذَا مِنَ الْحَمَلِ الْكَثِيرِ، وَأَحَدِيثِ الْقَوْلِ، وَمِثْلُهُمَا ذَيْبٌ وَذَيْبٌ وَقَالَ تَعَلَّقَ كُنْثٌ لِلْأَعْمَالِ، وَذَيْبٌ لِلْإِسْمَاءِ. وانظر: مجلة الفاري (١٨/٢٠).

(١٢) أَشَدُّ تَفْضِيلاً مِنْ ضَمِيمِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعْمِ بِفَعْلِهَا: «التفصي» الانفصال، وهو بمعنى الرواية الأخرى: «أشدُّ تَفْضِيلاً» والتضم أصلها الإبل والقر والغنم والعمامة هذا الإبل خاصة، لأنها التي تظلله، صحيح مسلم شرح النووي (٦/١٧٧).

(١٣) رواه البخاري. كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعهده (٣/١٦٢١) (٣/١٦٢١) (٣/١٦٢١) (٣/١٦٢١)، وصحح مسلم واللفظ له. كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن (٥١١/١) (٥١١/١) (٥١١/١) (٥١١/١).

(١٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠٠/٩).

(١٥) انظر: حقائق القرآن الكريم (ص ١٦٧٧). وروى القرآن لربلاً (ص ٥٧٤).

٣ - عن عبد الرحمن بن شبل الأنصاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، لِإِذَا عَلِمْتُمُوهُ ، فَلَا تَقْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَحْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَشْتَكِرُوا بِهِ»<sup>(١)</sup>

في هذا الحديث حث النبي صلى الله عليه وسلم آتته على حفظ القرآن وتعلمه، وأرشدهم إلى الطريقة المثلى في الحفظ عنه - وهي ألا يعلموه، ولا يتحالفوا عنه بالابتعاد والهجور، والأ يستغلوه لمصالح دنيوية

فالتعلُّو في القرآن هو المبالغة في التحميد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى

والحفاء عنه: هو ترك تعاهده والابتعاد عن تلاوته فالحفاء هو ابتعاد عن الشيء.

والتأكل به: هو أن يجعل له عوضاً عن سحته الدنيا<sup>(٢)</sup>.

أثار في الحديث على مراجعة الحفظ:

وقد اتفق السلف الصالح رضي الله عنهم نصح سبهم رضي الله عنهم، واسترشدوا بوصاياهم، من تعاهد القرآن، ومداومة مدارسته، كي لا يتسلت منهم، وقد وردت عنهم آثار كثيرة، فيها التنبه على التدارس والمداومة لما حفظوه، والمداومة على ذلك

• قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «تراوروا وتدارسوا الحلبي، ولا تتركوه يذو من»<sup>(٣)</sup>

• وقال ابن وهب تلفه: «قبل لأخت مالك بن أنس: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت المصحف والتلاوة»<sup>(٤)</sup>

(١) روى أحمد في المستدرج (٥٤٤/٣) (ج ١-١٥٧/١) والبيهقي في السنن (٢٧/٢) (ج ١-١٠٣) وعبد بن حميد في مسنده (١٢٩/١) (ج ٣٩٤) + وعبد البراق في مصنفه (٣٨٧/١) (ج ١٩٤٤٤) قال ابن حجر فيفتح الباري (١٠١/٩): «سنده قوي» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨/٧) «حاله ثقات» وقال محقق المسند (٢٤/٢٤٧) (ج ١٥٦٦٦) «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٢) انظر صفة القاري (٣٦٤/٦١) عون المعبود (١٣٢/١٣) فتح القدير (٢٤/٢٤).

(٣) الجامع لأحلاف الروي وكتاب السامع (١٢٣٦/١) (رقم ٤٦٥).

(٤) هذب الأساء، للكويتي (١٣٨٥/٢).

\* وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد كُتِبَ لَهُ: «القلوب تُرَبُّ، والعلم غرسها، والمذاكرة ماؤها، فإذا انقطع عن التُّرْبِ ماؤها، جفَّتْ غرسها»<sup>(١)</sup>.

\* وعن محمد بن القاسم بن خلاد كُتِبَ لَهُ أنه قال: «الاحتفاظ بما في صدر الرَّجُلِ أولى من دُرْسِ دفتره، وحرفٌ تحفظه بقلبك أنفع من ألف حديثٍ في دفترك»<sup>(٢)</sup>.

\* ولَمَّا قِيلَ لِلأصمعي كُتِبَ لَهُ: «كَيْفَ حَفِظْتَ وَنَسِيَ أصحابك قال: درستُ وتركوا»<sup>(٣)</sup>.

\* وقال الخطيب البغدادي كُتِبَ لَهُ:

«وينبغي أن يُرَاعِيَ ما يحفظه، ويستعرض جميعه كلما مضت له مدة ولا يُغْفَلَ ذلك، فقد كان بعض العلماء إذا عَلِمَ إنساناً مسألةً من العلم سألَهُ عنها بعد مدة، فَإِنْ وَجَدَهُ قد حفظها عَلِمَ أنه محبٌّ للعلم فأقبل عليه وزاده، وإن لم يره قد حفظها، وقال له المتعلم كنتُ قد حفظتها فأنسيْتُها، أو قال كتبها فأضعْتُها، أعرض عنه ولم يعلمه»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق (٢٧٨/٢) (رقم ١٨٤٧).

(٢) المصدر نفسه (٢٦٦/٢) (رقم ١٨١٥).

(٣) هو أبو سعيد، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، المعروف بالأصمعي، عالمٌ بالحديث والفقه والعريية، وثقته الأئمة، ولد سنة (١٢٢هـ)؛ من أهل البصرة. وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد، ومن تصانيفه الكثيرة: «نوادير الأعراب»، و«تاريخ العرب قبل الإسلام»، و«الأجناس في أصول الفقه». توفي بالبصرة سنة (٢١٦هـ)، وعمره (٨٨) سنة.

انظر: تهذيب التهذيب (٤١٥/٦)؛ طبقات النُّحاة (١٩٩/٢).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٦٧/٢) (رقم ١٨١٦).

(٥) هو الحافظ الناقد، محدث الوقت (أبو بكر) أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي، ولد سنة (٣٩٢هـ) سمع الحديث صغيراً، وارتحل وجمع وصنَّف حتى صار أحفظ أهل عصره، من كبار الشافعية، ومن تصانيفه الكثيرة: «الكفاية في معرفة علم الرواية»، و«شرف أصحاب الحديث»، و«المُتَّقِ والمُفْتَرِقِ»، و«الصَّحاح العوالي». توفي ببغداد سنة (٤٦٣هـ).

انظر: طبقات الشافعية (٣٦/٢)؛ سير أعلام النبلاء (٢٠٨/١١).

(٦) الفقيه والمتفقه (٢٠٣/٢).





## المبحث الثالث

### فضائل حفظ القرآن

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : علوُّ درجة الحافظ .

المطلب الثاني : الحافظ مُقدِّمٌ في الدُّنيا والآخرة .

المطلب الثالث : فضائل متنوعة للحافظ .

## فضائل حفظ القرآن

تمهيد:

لم يترك النبي ﷺ أمراً فيه تشجيع على حفظ القرآن العظيم إلا سلكه، فكان يُفاضل بين أصحابه الكرام في حفظ القرآن، فيعقد الرأية لأكثرهم حفظاً. وإذا بعث بعثاً جعل أميرهم أحفظهم للقرآن، وإمامهم في الصلاة أكثرهم قراءة للقرآن، ويُقدم للبخد في القبر أكثرهم أخذاً للقرآن، وربما رَوَّج الرَّجُلَ على ما يحفظه في صدره من القرآن، وهذا هو محور حديثنا من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول

#### عُلُوُّ درجة الحافظ

حين يدخل المؤمنون الجنة فإنَّ حافظ القرآن له شأن آخر، حيث يعلو غيره في درجات الجنة لتعلو منزلته، وترتفع درجته في الآخرة، كما ارتفعت في الدنيا، ويتبين ذلك جلياً من خلال عدَّة أحاديث:

#### ١ - ارتفاع منزلة الحافظ:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>: أَقْرَأُ وَإِرْتَقَى<sup>(٢)</sup>، وَرُتِّلَ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا<sup>(٣)</sup>»، فَإِنَّ مَنَزْلَكَ عِنْدَ آخِرِ

(١) (لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ): أي حافظه عن ظهر قلب أو حافظ بعضه الملازم لتلاوته مع التدبُّر لأياته، والعمل بأحكامه، والتأدُّب بأدابه.

(٢) (أَقْرَأُ وَإِرْتَقَى): أَمْرٌ مِنْ رَفَى يَرْفَى، أي: اصعد دَرَجَ الجنة بمقدار ما حفظته من أي القرآن.

(٣) (وَرُتِّلَ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا): أي لا تستعجل في قراءتك فالترتيل في الجنة لمجرَّد =

لِبَةِ لَفْرُؤِهَا<sup>(١)</sup>

أعاد الحديث الترخيب في حفظ القرآن، ولخصيص الضاحي في الحديث بالحافظ عن ظهر قلب دون الثاني من المصحف تكريماً له وتشريفاً

قال ابن حجر الهيتمي **تَلَقَّ** «الخبر المذكور خاصٌّ بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف، لأن مجرد القراءة في الحفظ لا يحتمل الناس فيها ولا يتعاونون قلةً وكثرة، وإنما الذي يتعاونون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، ولهذا تفاوتت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم، وما يؤيد ذلك أيضاً أن حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة، ومجرد القراءة في المصحف من غير حفظ لا يسقط بها الطلب، فليس لها كبير فضل كفضل الحفظ، فتعبر آه - أحني الحفظ عن ظهر قلب - هو المراد في الخبر، وهذا ظاهر من لفظ الخبر بأدنى تأمل، وقول الملا نكهة له - اقرأ وارزق صريح في حفظه عن ظهر قلب كما لا يخفى<sup>(٢)</sup>»

القنم بالفرم

والفوز بهله المنزلة له شروط، بوضوحها للإنسان **تَلَقَّ** قوله: «عنه نصيبه طاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون جفلة لوجه الله ببارك ونعاني، وليس للثبنا والفرع والثبنا - والأصل لقال **تَلَقَّ** - **أَكْثَرُ مَنَاقِبِي أَمَّنِي لَفْرُؤِهَا<sup>(٣)</sup>**»<sup>(٤)</sup>  
فيا لها من سعادة للحافظ المخلص إذا قيل له اقرأ وارزق ورتل، فإن منزلتك عند آخر آية لقروها تُرى إلى أين يرقى؟

(١) التلوة لا لا غسل ولا تكليف هناك وفيه إشارة إلى أن التحراء على وفق الأعمال ثلثة وكيفية النظر ممن المعبود (٤/٢٣٧)، نسخة الأحودي (٨١/٤٣٦)، لغة قراءة القرآن الكريم (ص ٧١)  
(٢) رواه أبو داود (٢٦/٧٣) ح (١٢٦٤)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (١١/٢٧٥) ح (١٣٠٠) حسن صحيح  
(٣) الصاوي الحديث (ص ١٥٦)  
(٤) رواه أحمد في المستدرك (٢/١٧٥) ح (٦٦٣٧)، وقال محققو المستدرك (١١/٢٦٣) ح (٦٦٣٧) «إسناده حسن» وأورده الألباني في السنة الصحيحة (٢/٣٨٦) ح (٧٥٠)  
(٥) السنة الصحيحة (٥/٣٨١)

حاء في (عون المعبود) عن النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّرْفَ بِكُونِ دَائِمَاءَ، فَكَمَا أَنَّ فَرَامَةَ فِي حَالِ الْإِحْتِمَامِ اسْتَدْعَى الْإِفْتِنَاحَ الَّذِي لَا انْفِطَاحَ لَهُ، كَذَلِكَ هَذِهِ الْفَرَامَةُ وَالشَّرْفُ فِي الْعِتَارِ الَّذِي لَا نَسَامَ، وَهَذِهِ الْفَرَامَةُ لَهُمْ كَالْتَسْبِيحِ لِلْمَلَائِكَةِ لَا تَسْلُطُهُمْ مِنْ مَسْئَلَتِهِمْ بَلْ فِي أَعْظَمِ مَسْئَلَتِهِمْ»<sup>(١)</sup>  
 تنبيه على أثر ضعيف

قال الحطايي رحمه الله: «حاء في الأثر»<sup>(٢)</sup> أن عدد آي القرآن على قدر ذرَج الحنَّة، يقال للغاري: أوف في الفرج على قدر ما كنت تقرأ من أي القرآن، فمن أسوهي فراءة جميع القرآن استولى<sup>(٣)</sup> على أقصى درج الحنَّة، ومن قرأ جزءاً منها كان وقته في الفرج على قدر ذلك، فيكون انتهى الثواب عند منتهى الفراءة<sup>(٤)</sup>.

## ٢ - حِلَّةُ كَرَامَاتٍ لِلْحَافِظِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بِهِجَاءِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ حِلَّةٌ»<sup>(٥)</sup>، فَيُنْبَسُ نَجَاحُ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رَدَّةٌ، فَيُنْبَسُ حِلَّةُ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَرْضٌ حَتَّى، فَيُقَالُ: أَفْرَأَ وَتَرَفَ، وَيَزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةٌ»<sup>(٦)</sup>  
 سِرُّ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ يَرْفَعُ شَأْنَ صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ يَطْلُبُ

(١) عون المعبود (٢/٢٣٧ - ٢٣٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠/٦١) رقم ١٦٩٩٥٢ عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: «وَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ طَلْتُ مَا فَضَّلَ مِنْ قُرْآنِ الْقُرْآنِ عَلَيَّ مِنْ لَمْ يَقْرَأْ، مِمَّنْ دَخَلَ الْحِجَّةَ؟» فقالت: «إِنَّ حِدَّةَ دَرَجِ الْحِجَّةِ عَلَى عِدَّةِ آيِ الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَحَدٌ مِمَّنْ دَخَلَ الْحِجَّةَ أَصْبَلَ مِمَّنْ قَرَأَ الْفَرَاءَةَ، قَالَ الْإِسْنَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٥/٢٨٣) «وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: إِنَّ إِسْنَانَ هَذَا الْأَثَرِ ضَعِيفٌ»

(٣) الأولي أن يحشر لفظ الحديث (الرفعي) لأن كلمة (استولى) لُوحِي بِالضَّمِّ وَالْعِلَّةُ وَالِاسْتِجْلَاءُ، وَأَهْلُ الْحِجَّةِ تَسَوُّوا كَذَلِكَ، انظر فتح الرحمن في بيان هجر القرآن ص ١١٦.

(٤) معالم السنن، (٢/١٣٦)، وانظر عون المعبود (٤/٢٣٧) - تحفة الأحويدي (٨/١٣٢).

(٥) (بازرط حنَّة): الظاهر أنه أمر من التحية - يقال: حلتبه أحبه تحلياً إذا ألسنه الحنينة والمعنى: يبارت زينة، انظر تحفة الأحويدي (٨/٢٣٢).

(٦) رواه الترمذي (٥/١٧٨) (ج ٢٩١٥)، وقال «حسن صحيح» وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٣/١٠) (ج ٢٣٢٨).



من الله تعالى أن يُزَيِّنَ صاحبه ويحلِّيه ويلبسه تاج الكرامة ويرضى عنه ﷻ جزاءً وفاقاً، فكما أَرْضَى صاحبُ القرآن كتابَ الله في الدنيا بقيامه به، وعمله به، وتدبُّره، والدَّعوة إليه؛ فإنَّ القرآن يسأل الله تعالى أن يرضى عن عبده الحافظ للقرآن العامل به.

ففي هذا الحديث عِدَّةُ كراماتٍ لحافظ القرآن وهي:

الإِنعام عليه بتاج الكرامة، وحُلَّة الكرامة، فهو يُعرَف بها يوم القيامة بين الخلائق، وهي علامةٌ على كرامة لابسهما ومكانته عند الله ﷻ. وهذا التَّاج وهذه الحُلَّة وسام شرف ورفعة، يتميِّز بها أصحاب القرآن عن غيرهم من المؤمنين، وجدير بمن لبس هذا التَّاج وهذه الحُلَّة أن يكون رفيع الدَّرَجَةِ عالي المقام..

وإذا كان العبد في الدنيا يزهر ويفتخر ويمتلئ إعجاباً وخيلاء إذا ما خلَعَ عليه سلطاناً أو مَلِكٌ خلَعَهُ ما، فما بالك بصاحب القرآن يوم القيامة إذا أنعم عليه مولاه، خالقُ الخلق جميعاً، ومَلِكُ النَّاسِ وإلَّههم بهذه النُّعمة العظيمة، والمنزلة الرَّبِّية، وألَبَّسَهُ تاجَ الكرامة، وحُلَّةَ الكرامة على أعين الخلائق. ما بالك بالسَّعادة والغبطة والفرح الذي يملأ قلبه.

وأعظمُ من ذلك كلُّه: رِضا الله عنه، ثم يُزاد على كلِّ ذلك بكلِّ آية حَسَنَةٍ، فضلاً عن رفيعه درجات في الجنَّة بعدد الآيات التي يحفظها من القرآن.

قال ابن الجَزَرِيِّ رحمته الله - في فضائل حملة القرآن العظيم، وجزائهم عند الله

تعالى:

وَبَعْدُ: فَإِنَّنِيسَانَ لَيْسَ يَشْرُفُ	إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ
لِذَاكَ كَانَ حَامِلُو الْقُرْآنِ	أَشْرَافَ الْأُمَّةِ أُولِي الْإِحْسَانِ
وَإِنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ اللَّهِ	وَإِنَّ رَبَّنَا بِهِمْ يُبَاهِي
وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ عَنْهُمْ وَكَفَى	بِأَنَّهُ أَوْرَثَهُ مَنْ اضْطَفَى
وَهُوَ فِي الْأُخْرَى شَافِعٌ مُشْتَعٍ	فِيهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ يُسْمَعُ
يُعْطَى بِهِ الْمُلْكُ مَعَ الْخُلْدِ إِذَا	تَوَجَّهَ تَاجَ الْكِرَامَةِ كُنْدًا
بَشْرًا وَيَرْقَى دَرَجَ الْجَنَانِ	وَأَبْوَاهُ مِنْهُ يُكْسَبَانِ

فَلْيَخْرِصِ السَّعِيدُ فِي تَحْصِيلِهِ وَلَا يَمَلَّ قَطُّ مِنْ تَرْتِيلِهِ<sup>(١)</sup>  
 فهل يعي المسلمون فضائل حفظ القرآن، ويُقبلون عليه بشوق، ورغبة،  
 ونهم، ويُربُّون على ذلك أبناءهم؟

ويا للأسف إن أكثرهم يتسابقون على دنياهم أضعاف تسابقهم إلى آخرتهم.  
 وقد حذرنا الله تعالى الدنيا ومتاعها فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ  
 لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَطْلُمُونَهَا فِئِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

فمن أظلم ممن زهد في كتاب ربه، فأعرض عنه حفظاً وفهماً وتلاوة  
 ودراسة وعملاً<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - الحافظ مع السَّفرة الكرام البررة:

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ،  
 مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبِرَّةِ»<sup>(٣)</sup>.

هؤلاء السَّفرة الكرام اختارهم الله تعالى، وشرفهم بأن تكون بأيديهم  
 الصُّحف المطهرة، قال تعالى: ﴿وَيُصَوِّفُ تَتَرَاتِبًا ﴿١٣﴾ تَرَفُوعًا مُطَهَّرًا ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ  
 ﴿١٥﴾ كَرِيمٍ بَرٍّ﴾ [عبس: ١٣ - ١٦].

مغزى معية السَّفرة:

ومعنى كون الحافظ مع السَّفرة يحتمل أمرين:

الأول: أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السَّفرة؛ لأنصافه  
 بصفته من حَمَلِ كتاب الله تعالى. فأنزل منازلهم الرفيعة، وأسكن مقاماتهم  
 العالية من جوار الحق تعالى: ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ  
 مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

الثاني: أنه عاملٌ بعملهم وسالكٌ مسلكهم<sup>(٤)</sup>.

(١) طيبة النشر في القراءات العشر (ص ٣١).

(٢) انظر: فضائل سور القرآن الكريم (ص ٦٤)، أنوار القرآن (ص ٢٦٢ - ٢٦٣)، فضائل  
 القرآن وحملته في السنة المطهرة (ص ٤٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة ﴿ص﴾ (٤/ ١٨٨٢) (ح ٤٦٥٣).

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٨٤)، عون المعبود (٤/ ٢٣٠)، تحفة الأحوذى =

أوما نعتاً يرى الناس اليوم يتخرون حين يتسوك إلى عظيم من العظاماء، أو رجل يحمل الشُّهرة والاسم اللامع ولو كان ذلك في ميدان الرياضة أو اللهو الباطل، فهينئاً لهؤلاء ما اختاروه من هوانٍ لأنفسهم، وهينئاً لحفظه كتاب الله حين اختاروا أن يكونوا مع الشُّعرة الكرام البررة<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني

## الحافظ مُقَدِّمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

### ١ - الحفَّاط هم الأولى بالإمارة.

يرفع القراء العظيم من شأن صاحبه في الدنيا؛ لحفظه رِثاءً، فصاحب القراء هو أعلى الناس نساً، وأشرفهم منزلةً، وأرفعهم قدرًا، وهكذا يحب أن يُعامل، وهذا ما كان عليه السلف الطالح من إكرام لصاحبه القراء، واعتراف بقصده، وتقديم على غيره، حتى في منصب الإمارة، وإذ كان مولى من مواليتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فعنهم الله تعالى بالقراء عبد الرحمن بن أنزي الغزاعي رضي الله عنه، وهو من أواخر مسار الصحابة، كان مولى لنافع بن عبد الحارث، وكان في عهد عمر رحلاً، وكان على جراسان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

عن عاصم بن ثابت؛ أن نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب وكان عمرًا يستغمنه على مكة فقال من استغمنتك على أهل الوادي؟ فقال ابن أنزي قال: ومن ابن أنزي؟ قال: مولى من موالينا قال: فاستخلفت عليها مؤني؟ قال: بئنا نرى نكتب الله رضي الله عنه، وإنه حاتم القرائص قال عمر: أما إن سيئكم رضي الله عنه قد قال: **إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْقَوْمَ وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ**<sup>(٣)</sup>.

إن قارئ القراء، العالم بأسرته، رفيع القدر، عظيم المنزلة، وهو غيره

- (١) ١٩٤/٨١ - ليس التفسير ١٩٩٩/١٢١

(٢) حفظ القراء الكريم (ص ٣٥).

(٣) انظر الإصابة (١/١١٩)، التقريب (١/١٧٢)، سير أعلام النبلاء (٣/١٠١).

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فصل من يقوم بالقراء ويصلي (١/٥٥٩).

أخ (٨١٦).

وإن كان أشرف منه نسباً، أو أعظم جاهاً، فهذا مولى من العوالي لا حاء له، ولا مال، ولا حسب، ولا مكانة عُليا في المجتمع، وربما كان في السُّلم الاجتماعي دون غيره بمقاييس أهل الدنيا، ولكنه بمقاييس القرآن شيء آخر، وله مقام آخر.

فقد رفعه القرآن من مقام المولى إلى مقام الولاية، وجعلته بالقرآن أقله لأن يحكم ويفضي بين الناس، وتكون له انكسنة الشافعة، والرأي السموع في المجتمع

وما هو ذا عُمرٌ ﷺ يعرف لهذا العالم بالقرآن والحفاظ له مكانته وفضله. فإذا به يُقرُّ نافعاً على احتضاره، ويذكر قوله ﷺ - **إِنَّ اللَّهَ يَزْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْقَوْمَ الْهَادِينَ**<sup>(١١)</sup>

وليس اعتراف عمر ﷺ هو منار العجب، فإن عمر ﷺ أولى الناس بأن يعترف بفضل صاحب القرآن. ولكن العجب كلُّ العجب ممن ولّاه على مكة، وفي هذا إشارة إلى ما وصل إليه المجتمع المسلم من تحقيق الكرامة الإنسانية على وجهها الصحيح، إذ لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالقوى.

## ٢ - الحفاظ هم الأولي بالإمامة.

عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **فَيَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...**<sup>(١٢)</sup>

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلْيُؤَمِّمُهُمْ أَحَدُهُمْ، وَأَحْفَظُهُمْ بِالْإِمَامَةِ أَقْرَبُهُمْ**<sup>(١٣)</sup>.

(١١) انظر سورة القرآن (ص ٢٤٨)

(١٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (١/٢٦٥) (ج ١٧٣).

(١٣) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (١/٢٦٤) (ج ١٧٣).

وهذا مقام آخر من مقامات الأفضلية للحافظ، بأن قُتِمَ على نخلٍ من حضر في المسجد للصلاة.

فالأكثر قرأنا هو الملقب في إمامة الصلاة وإن كان مولى

عن ابن حجر رحمته قال: «لما قدم المهاجرون الأوّلون العظيمة - موضع بناء - قتل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يؤمّهم سالم، مولى أبي حذيفة، وكان أكثرهم قرأنا»<sup>(١١)</sup>

زيد الهيثم بن خالد النهدي - أو ميم عمر بن الحظاب - أبو سلفة بن عبد الأشيد»<sup>(١٢)</sup>

قال ابن حجر تكلّف أوجه الدلالة من إجماع كبار الصحابة الفرشيين على تقديم سالم عليهم، وكان سالم المذكور مولى امرأة من الأنصار فأعتقه، وكان إمامته بهم كانت قبل أن يعتق.

والسابق له مولى أبي حذيفة، لأنّ لازم ما حذفته من حنة بن ربيعة بعد أن أعتق نسائه، فلما نُهوا عن ذلك قبل له مولا.

وقوله: (وكان أكثرهم قرأنا) إشارة إلى سبب تقديمهم له مع كونهم أشرف<sup>(١٣)</sup>

والأكثر قرأنا هو الملقب في إمامة الصلاة وإن كان صبياً معيّراً.

عن عمر بن سلفه رحمته قال:

«كنت في وقعة أهل الفتح، سار كل قوم إسلامهم، وتبرأ أبي موسى إسلامهم، فلما قام قال: جئكم والله من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا، فقال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا، واصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرأنا» فنصروا فلم يكن أحد أكثر قرأنا بني»

(١١) رواه البخاري - كتاب الأضداد، باب: إمامة العبد والمولى (٢٢١٩/١) (ج ٦٨٢).

(١٢) رواه أبو داود (١١٦٠/١) (ج ٥٨٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١١٧) (ج ٢١١٧).

(١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٢١/٢).



لما كُنْتُ أُنْقَى مِنَ الرُّكَّادِ، ففَلَّغُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا أَرَى عَيْتَ أَوْ سَعِ سِينٍ<sup>(١١)</sup>.

قال ابن حجر تَحْقِيقًا: «وفي الحديث حُجَّةٌ لِلشَّافِعِيَّةِ فِي إِمَامَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَبِيرِ فِي الْفَرِيضَةِ، وَهِيَ حِفْظُهَا مَشْهُورَةٌ وَنَسَمٌ يُنْتَصَفُ مِنْ قَالِ إِنْهُمْ فَعَمِدُوا ذَلِكَ بِاجْتِهَادِهِمْ، وَلَمْ يَقْلِعِ الشَّرِيحُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهَا شَهَادَةٌ لَهَا، وَلِأَنَّ زَمَانَ الْوَحْيِ لَا يَفْعُ التَّحْقِيرَ فِي عَيْنِ مَا لَا يَجُورُ»<sup>(١٢)</sup>.

### ٣ - الحفَّاظ هم أصحاب الشورى

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «كَانَ الْفَرَاءَةُ أَصْحَابَ مَخْلِسِ لِحْمَرٍ وَمَشَاوَرِيهِ، كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شَبَابًا»<sup>(١٣)</sup>.

### ٤ - الحفَّاظ هم المقدمون في البرزخ

وكَمَا أَعْلَى اللهُ تَعَالَى شَأْنَ حَافِظِ الْفَرَاءِ فِي الدُّنْيَا مَقْدَمُ أَهْلِ شَأْنِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُقَدِّمِ حَتَّى مَعْدَمُونَهُ:

مَنْ حَابِرٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷻ قَالَ: «كَانَ الشَّرِيحُ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَخِي، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمَا أَحْسَنُ أَخَذًا لِلْفَرَانِ» فَيُؤَدِّي أَسْبَرَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا فَلَمَعَهُ فِي الْمُنَادِ، فَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١٤)</sup>.

فَإِنْ أَوْ حَجَرَ تَحْقِيقًا: «وَمِنْهُ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ، وَيُلْحِقُ بِهِ أَهْلَ الْفَقْهِ وَالرَّهْدِ وَسَائِرَ وَجُوهِ الْعَضَلِ»<sup>(١٥)</sup>.

وَمَعَ أَنَّ مَقَامَ الشَّهَادَةِ هُوَ كُلُّ مَقَامٍ، وَمَعَ أَنَّ الشَّرِيحَ ﷺ شَهِدَ لِقَتْلَى أَحَدٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى بِالضُّدُقِ لِمَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْحُجَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي عَمْرَةٍ

(١١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْمَعَارِي، بَابُ مَنْ شَهِدَ الْفَتْحَ (٣٦/١١٣٩٩) (ج ١٣٠٠).

(١٢) الْمَصْدَرُ السَّامِقُ (٣٠/٨).

(١٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الشَّعْبِيَّةِ، بَابُ «خَوِّ الْقَرَّاتِ وَالسُّبْحِ وَالْمَرْبُوحِ مِنَ الْكُهَيْبِ» الْأَعْرَافِ (١١٩٩) (٣٠/١١٢٠) (ج ١١١٦).

(١٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْحَدِيثِ، بَابُ التُّحَدِّ وَالشُّرُوفِ فِي الْحَدِّ (١١٠٦/١) (ج ١٣٥٣).

(١٥) صَحِاحُ النَّبِيِّ شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (١١٢/٣).

هذه العوائل للشهداء، لم ينس ﷺ الشهادة الأكثر حفظاً للقرآن في تقديمه في المحدث.

فصاحب القرآن، والأكثر أحداً للقرآن، له الأفضلية حتى بين الشهداء، لعظمة القرآن الذي في صدره، وما تقدم الرسول ﷺ له في التحدث إلا زمراً تقتله على من سواه من الشهداء في الآخر والثواب. وفي المكانة والحق وإذا كان التفاضل عاقران بين الشهداء، فالتفاضل به بين الأحياء ولا شك أكبر وأعظم **«وَيَذَرُكَ فَيَقْتُلُهُ الْمُشْرِكُونَ»** [المطعمين ٢٦] فبئس أهل البيت هذا الأمر جبناً، ويلف عنه طويلاً، ومن ثم يفوه للمعانيب بالحفظ والإكثار منه والضرع ع <sup>١١</sup>

### المطلب الثالث

#### فضائل متنوعة للحافظ

##### ١ - الحفاظ أهل الله وخاصته

من نعم إكرام الله تعالى لحملة كتابه أن جعلهم من أهله وخاصته، وهو شرف عظيم، وتكريم لحفاظ القرآن لا يندب إليه أي شرف يسمى إليه الناس في الدنيا، ذلك أن العبد الضعيف يصح من أهل الله وخاصته، ولا شك أن أهل الله وخاصته، هم أقرب الناس إلى سبيل رحمته، وكرامته، ومحنته، والقرب منه تعالى، فهو فضل الله يؤتبه من يشاء، والله واسع عليم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ **«إِنَّهُ أَهْلِيْنَ»** من الناس، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: **«فَمَنْ أَهْلُ الْقُرْآنِ»**. أهل الله وخاصته ع

(١) انظر: أنوار القرآن (ص ٢٥٠)

(٢) أهل البيت: جتمع أهل، جمع ماء، والماء تكونها ملحفاً جمع الطلح السالم. وأجـ الماء تكونها سم بل مؤنر

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة (١/٧٨) (ج ٢١٥) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٤٢) (ج ١٧٨)

والمقصود بأهل الله وخاصته في الحديث المذكور:

هم حفظة القرآن، العاملون به، هم أولياء الله، والمُحَنِّطُونَ به اختصاصاً به أهل الإنسان به.

وقيل: هم الذين يختصون بخدمته، فإنه لما قرَّبهم واختصهم كانوا كأهله، ومنه قيل لأهل مكة: أهل الله، لما كانوا سكان بيته وما حوله كلوا كأهله<sup>(١)</sup>.

وإذا اختص المخلوق أحداً من المخلوقين فرتبة من أفاض عليه من إكرامه وعظائمه ومحنته الشيء الكثير، فما الظن بالله الكريم - ونه المنق الأعلیٰ في السماوات والأرض - مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

فأكرم به من فضل، وأعظم بها من مكانة ومزلة يطمح إليها كل مؤمن، ونصو إليها كل نفس تريد وجه الله الكريم ورضوانه وحته.

فلينسب كل إنسان لما ينسب ويرغب من أهل المال أو الجاه أو المناصب أو الشهرة، ولتجد القواميس بكلِّ وصف وثناء، فهل نأتي بأكمل صفًا ونضيف به حملة كتاب الله: «أهل الله وخاصته»<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - إكرام الحافظ في الدنيا

إكرام حافظ القرآن الكريم من إجلال الله تعالى وتعظيمه، تعظيم حرمة الحافظ ومتركه عند الله تعالى.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَاجِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ»<sup>(٣)</sup>

(١) انظر النهاية في غريب الحديث (١٦١/٨٢)، لسان العرب (١١/٢٨)، شرح سنن ابن ماجه (١٠/١١)، تفسير الفهرست (١٥١/١٣١١)، ٦٠-٧٠.

(٢) انظر: حفظ القرآن الكريم (ص ١٤)، أنوار القرآن (ص ٢٣٩).

(٣) «غير الغالي فيه»: العمى هو الشئبند ومجاورا الحد، والمعنى: غير المتجاوز الحد في العسر بالقرآن، ونشع ما حصى منه وأشله عليه من معانيه، وفي حله فوائده ومحتاج حرره، وقيل: الظلم السالمة في التوحيد، أو الإسراع في القراءة، بحيث يصعب غير التبر المعنى.

والجالي ص<sup>(١١)</sup>، وإكرم في السُّلْطَانِ المُضَيَّبِ<sup>(١٢)</sup>

وسُمي الحافظ حاملاً للقرآن: لما يتحمله من المشاق الكثيرة، والتي تزيد على الأعمال الثقيلة<sup>(١٣)</sup>، فمن قوله أن يكرم ويعظم ويُحْمَلُ، لأن من ذلك تحملاً وتعظيماً وإحلالاً لله تعالى، ذلك أن الحافظ قد حوى صدره كلام الله تعالى، فمن هنا يسمي إكرامه وإبرأه المبرأة اللائقة به.

### ٣ - ثناء الله تعالى على الحُفَاطِ:

مدح الله تعالى حفاظ كتابه وأثنى عليهم بأن جعل كتابه آيات بيّنات في صدورهم، وفي هذا معنى عظيم لهم، دون غيرهم، فقال تعالى: ﴿لِي مَوْجِبَاتٌ يَنَتُّ فِي سُورِ الرَّبِّكَ أَوْتُوا الْبَيِّنَاتِ﴾ (المكوت: ١١٩)

أي في صدور العلماء به وحُفَاطِهِ، وهذا من خصائص القرآن، كونه آيات بيّنات الإحصار، وكونه محضاً من الصدور بخلاف سائر الكتب، فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تحراً إلا من المصاحف<sup>(١٤)</sup>.

أوضحهم بالعلم؛ لأنهم -هزوا بأفهامهم بين كلام الله، وكلام البشر والشياطين<sup>(١٥)</sup>.

فهؤلاء الحُفَاطِ أساتذة الخلق، وعقلاءهم، وأولو الألباب منهم، والكامل منهم، فإذا كان آيات بيّنات، في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم<sup>(١٦)</sup>.

فكفى بحافظ القرآن فخراً وشرفاً أن الله تعالى أكرمه وجعله من أسات

(١١) (والجالي صند): أي غير المتشابه من القرين - المتقرص من تلاوته، وإحكام قراءته، ومعرفة معانيه، والعمل بما فيه وقيل: الجاه أن يركه بعد ما علمه، لا سيما إذا كان سبباً له من أخذ من الكبار. انظر: حون المصود (١٣/١٩٢).

(١٢) رواه أبو داود (٤/٢٦٦) (ج ١٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٨) (ج ٥٥٣).

(١٣) انظر: حون المصود (١٣/١٩٥).

(١٤) تفسير القرطبي (١٣/٣٥٢).

(١٥) تفسير السمي (٣/٢٩٦).

(١٦) تفسير السمي (٤/٦٧).

حَفِظَ الْقُرْآنَ؛ ذَلِكَ أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَحْفُوظَةٌ فِي الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الدِّينِ، وَوَسَائِلِ حِفْظِ الشَّرِيعَةِ.

فَلَوْ تَطَرَّقَ تَحْرِيفٌ مَّا - جَدَلًا - إِلَى السُّطُورِ فَأَتَى لَهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصُّدُورِ.

#### ٤ - الْحَفَاطُ لَا تَحْرِقُهُم النَّارُ:

إِنَّ أَعْظَمَ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُ أَنْ يُزَحِّزَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى حَفَاطَ كِتَابِهِ بِنَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ وَعَدَمِ إِحْرَاقِ إِجْسَادِهِمْ الظَّاهِرَةِ فِيهَا؛ لِعِظْمَةِ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَبِعَنْ عُقْبَةَ بْنِ رَعَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ مَّا أَكَلَتْهُ النَّارُ»<sup>(١)</sup>.

فَلَوْ صُوِّرَ الْقُرْآنُ وَجُعِلَ فِي إِهَابٍ وَأُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ، وَلَا أَحْرَقَتْهُ بِيَرَكْتِهِ، فَكَيْفَ بِالْمُؤْمِنِ الْمَوَاطِبِ لِقِرَائَتِهِ وَتِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ؟

وَقِيلَ: الْمَعْنَى مَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ لَمْ تَحْرِقْهُ نَارُ الْآخِرَةِ، فَجَعَلَ جِسْمَ حَافِظِ الْقُرْآنِ كِإِهَابٍ لَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَضْلِ الرَّازِي<sup>(٣)</sup> بِسَنَدِهِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَأَلْتُ الْأَضْمَعِيَّ عَنْهُ، قَالَ: يَعْنِي فِي إِنْسَانٍ. أَرَادَ مَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ مِنْ

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٥٥/٤) (ح ١٧٤٥٦)؛ وَالتُّطْبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٣٠٨/١٧) (ح ٨٥٠)؛ وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٣٢/١)؛ وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢/٩٥٣) (ح ٥٢٨٢).

(٢) انظر: فيض القدير (٥١٠٤/١٠).

(٣) هُوَ أَبُو الْفَضْلِ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ بُنْدَارِ الْعَيْلِيُّ، الرَّازِيُّ، الْمُقَرِّي. وَوُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ (٣٧١هـ) وَنَشَأَ بِهَا، وَكَانَ أَبُوهُ عَالِمًا نَفَّحًا شَيْخًا لِلْحَرَمِ. قَالَ السَّمْعَانِيُّ: «كَانَ (أَبُو الْفَضْلِ) مُقَرَّبًا فَاضِلًا، كَثِيرَ التَّصَانِيفِ، حَسَنَ السِّيَرَةِ، زَاهِدًا، مُتَعَبِّدًا، خَشِينًا الْعَيْشِ، قَانِعًا، يُقْرَأُ وَيُسْمَعُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ». وَيَبْدُو أَنَّ تَصَانِيفَهُ الْكَثِيرَةَ فَقَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا كِتَابُ: «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ». تُوَفِّي بِكَرْمَانَ (وَلَايَةِ مَشْهُورَةَ بَيْنَ فَارَسِ وَسَجِسْتَانَ وَخِرَاسَانَ) سَنَةَ (٤٥٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/١٣٥)؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/٤٥٤)؛ مقدِّمة كتابه: «فضائل القرآن وتلاوته»، تحقيق وتخرُّيج: د. عامر حسن صبري (ص ٩ - ١٦).



المسلمين وحفظه إياه لم تحرقه النار يوم القيامة إن ألقى فيها بالذنوب، كما قال أبو أمامة رضي الله عنه: «افرقوا القرآن ولا تعرتكم هذه المصاحف المعلقة»<sup>(١)</sup>، فإن الله لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيد رضي الله عنه: «وجه هذا عندنا أن يكون أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن»<sup>(٣)</sup>.

وقال الزبيدي<sup>(٤)</sup> كلفه في شرحه لأثر أبي أمامة رضي الله عنه: «أي حفظه وتدبره وعمل بما فيه، فمن حفظ الفاظه وضيع حدوده فهو غير واع له»<sup>(٥)</sup>.

وقد ضرب المثل بالإهاب وهو جلد لم يدبغ؛ لأن الفساد إليه أسرع ولقح النار فيه أنفذ؛ ليبيسه وجفافه، بخلاف المدبوغ للينه.

والمعنى: لو قدر أن يكون في إهاب ما مسته النار ببركة مجاورته للقرآن، فكيف بمؤمن تولى حفظه والمواظبة عليه، والمراد نار الله الموقدة المميزة بين الحق والباطل.

قال الطيبي: وتحريزه أن التمثيل وارد على المبالغة والفرض، كما في قوله: «قل لو كان البحر مداداً» [الكهف: ١١٠]، أي ينبغي ويحسب أن القرآن لو كان

(١) لعل المقصود: الحث على فضيلة حفظ القرآن عن ظهر قلب، والله أعلم.

(٢) رواه الرازي في فضائل القرآن وتلاوته (ص ١٥٤) (رقم ١٢٥)؛ والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٨٧/١) (رقم ٢٧٣)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٣/٦) (رقم ٣٠٠٧٩)؛ والدارمي في «سننه» (٣٠٦/٢) (رقم ٣٣١٩)؛ وصحح إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٧٩/٩).

(٣) فضائل القرآن (ص ٥٤).

(٤) هو أبو الفيض، محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، الملقب بمرتضى، لغوي، نحوي، محدث أصولي. أصله من واسط (في العراق)، ولد في الهند سنة (١١٤٥هـ)، ومنشأه في زبيد (باليمن)، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله، وكتبه الملوك، توفي بالطاعون في مصر سنة (١٢٠٥هـ)؛ من تصانيفه الكثيرة: «تاج العروس في شرح القاموس»، و«إنحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي»، و«بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب» وغيرها.

انظر: معجم المؤلفين (٦٨١/٣)؛ الأعلام (٧٠/٧).

(٥) إنحاف السادة المتقين (٤٦٥/٤).

في مثل هذا الشيء الحقيير الذي لا يُؤبَهُ به، ويُلْقَى في النَّار ما مَسَّتْه، فكيف بالمؤمن الذي هو أَكْرَمُ خَلْقِ الله، وقد وعاها في صدره، وتفكَّر في معانيه، وعَمِلَ بما فيه، كيف تمسُّه، فضلاً عن أن تحرقه<sup>(١)</sup>.

فهنيئاً لمن حَفِظَ كتابَ الله تعالى فجمَّعه في صدره، وعَمِلَ بما فيه، هنيئاً له بهذه البشارة في النَّجاة من النَّار، وهذا من أعظم فضائل حفظ القرآن الكريم. فهل من مُشْمِرٍ؟



## المبحث الرابع

# حُكْمُ حَفْظِ الْقُرْآنِ وَنَسْيَانِهِ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم حفظ القرآن.

المطلب الثاني: حكم نسيان القرآن.

## المطلب الأول

## حُكْمُ حِفْظِ الْقُرْآنِ

حِفْظُ الْقُرْآنِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ:

حِفْظُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ كَامِلًا - عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ - فَرَضٌ كِفَايَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْإِجْمَاعِ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ قَامَ بِذَلِكَ قَوْمٌ سَقَطَ الْإِثْمُ عَنِ الْبَاقِينَ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشُّيُوطِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اعْلَمْ أَنَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ؛ صَرَّحَ بِهِ الْجُرْجَانِيُّ فِي الشَّافِيِّ، وَالْعِبَادِيُّ، وَغَيْرَهُمَا.

قَالَ الْجُوَيْنِيُّ: وَالْمَعْنَى فِيهِ أَلَّا يَنْقَطِعَ عِدَدُ التَّوَاتُرِ فِيهِ، فَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ التَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ، فَإِنَّ قَامَ بِذَلِكَ قَوْمٌ يَبْلُغُونَ هَذَا الْعَدَدَ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِلَّا أَثِمَ الْكُلُّ»<sup>(٢)</sup>. وَيَحْصُلُ فَرَضُ الْكِفَايَةِ بِحِفْظِ جَمِيعِ الْقُرْآنِ مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ<sup>(٣)</sup>.

حُكْمُ حِفْظِ الْقُرْآنِ عَلَى أَفْرَادِ الْمُسْلِمِينَ:

١ - يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُ مَا تَصِحُّ بِهِ صَلَاتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْإِجْمَاعِ<sup>(٤)</sup>. وَهُوَ الْفَاتِحَةُ، وَمَقْدَارُ مَا يَجْزِي بَعْدَهَا - عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ الْقِرَاءَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ؛ لِأَنَّ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمَقْرَّرَةِ فِي الشَّرِيعَةِ: أَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ

(١) انظر: الدر المختار، للحصكفي (١/٥٣٨)؛ الإفتاح (١/١٤٨)؛ منتهى الإرادات (١/١٠٤)؛ فضائل القرآن، لابن كثير (ص٧١)؛ كشف القناع (١/٤٢٨)؛ مطالب أولي النهى (١/٦٠٢)؛ الفتاوى الكبرى (١/٢١٢ - ٢١٣)؛ حاشية الروض المربع (٢/٢٠٧)؛ نيل المآرب (١/١٦٨).

(٢) الإنفان في علوم القرآن (١/٢٤٧). وانظر: البرهان في علوم القرآن (١/٤٥٦)؛ المنتور في القواعد، للزركشي (٣/٣٥).

(٣) انظر: فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن (ص٤٥٢).

(٤) انظر: مراتب الإجماع، لابن حزم (ص١٥٦)؛ الفواكه الدواني (٢/١٢٤)؛ شرح الزرقاني على مختصر خليل (٧/١٨)؛ فتح الباري (٨/٧٠٢)؛ آداب المشي إلى الصلاة (ص٣١)؛ حاشية الروض المربع (٢/٢٠٧).

واجب، والصلوة واحدة ولا نتم إلا بالمعانعة، ومقدار ما يحزى بعناها - عند من يقول بوجوبه<sup>(١)</sup>

٢ - أما بقية القرآن لحفظه مستحب بالإجماع<sup>(٢)</sup>

حاشا في أحاطة الزوهر الموزع<sup>(٣)</sup> يستحب حفظ القرآن إجماعاً، وفي فصل عظيم، وحفظه مرض كعابح إجماعاً، ويحب منه ما يجب في الصلاة اتفاقاً<sup>(٤)</sup>

٣ - وحفظ القرآن الكريم متأكد في حق طلاب العلم الشرعي أكثر من غيرهم، ولذا كان ابن عبد البر يثقله بقول: «أولا أقول إن حفظه (القرآن) كُفَى مرضاً، ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحت أن يكون عالماً»<sup>(٥)</sup>

حفظ القرآن الواجب والمستحب مُقَدَّم على غيره:

حفظ القرآن الواجب مُقَدَّم على غيره من العلوم الواجب تعلُّمها، فأما ما لم يجب حفظه من القرآن فيُقدَّم عليه ما يجب على المكلف تعلُّمه عبثاً، كتعلُّم ما أمره الله به وما نهاه عنه، وينبغي الحفظ المستحب للقرآن مُقَدِّماً على غيره من العلوم الأخرى غير الواحدة عبثاً<sup>(٦)</sup>

وينبغي على طالب العلم أن يصرّف عنايته أولاً إلى حفظ كتاب الله تعالى، ثم يترقى إلى بقية العلوم والفنون الأخرى إن أراد التوفيق والنجاح، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه ولا لمن يحفظ القرآن<sup>(٧)</sup>

وعن ابن عبد البر يثقله أنه قال: «أطلت العظم درجات ومناقل وروئت لا يسفي تعذيبها، ومن تعذباها جملة فقد تعدى سبيل السلف - ورحمهم الله - ومن تعدى سبيلهم عامداً ضلّ - ومن تعذبا محتبها رأه، فأول العلم حفظ كتاب الله ﷻ»

(١) نظر الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم (ص ١١)

(٢) نظر الإجماع ١١٤٨، ١١٤٩ - أ - الشري بمر الصلاة (ص ٣٦)

(٣) ١١٠٧، ١٢١

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١٦٧/٢)

(٥) نظر معسر الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن (ص ٢٥٢)

(٦) نظر المجموع (١٩/١)



وَقَدْ هَمَّتْ، وَكُلُّ مَا يَمِينُ عَلَى لَهْمِهِ لَوَاجِبٌ طَلَبُهُ مَعَهُ<sup>(١١)</sup>

### حُكْمُ تَحْفِظِ الْقُرْآنِ لِلصُّبْيَانِ:

... يُسْتَحَبُّ تَحْفِظُ الْقُرْآنِ لِلصُّبْيَانِ لِأَنَّهُ مَنَهِجُ السَّلَفِ الْعَالِمِ مَعَ آبَائِهِمْ،  
وَأَخِيرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ.

١ - ما ورد عن سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ كَتَلَفَهُ قَالَ: «إِنَّ الْمَلِيَّ لَنُدْعَوْنَهُ الْمُنْفِطِلَ قَوْلَ  
الْمُنْحَكِّ»<sup>(١٢)</sup>

قَالَ: «وَمَا لَئِنْ أَبَى قَبَّاسِي ﷺ: «تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ  
قَرَأْتُ الشُّكُوكَ»<sup>(١٣)</sup>

قال ابن كثير كَتَلَفَهُ: «فيه دلالة على حوار تعليم القرآن في الصَّغَرِ، وهو  
ظاهر، بل قد يكون مُسْتَحَبًّا أَوْ وَاجِبًا، لِأَنَّ الصُّبْيَانَ إِذَا نَعَّمُوا بِالْقُرْآنِ مَلِغٌ وَهُوَ يَعْرِفُ  
مَا يُصَلِّي بِهِ، وَجَفِظَهُ فِي الصُّغَرِ أَوْلَى مِنْ حِفْظِهِ كَبِيرًا، وَأَشَدُّ تَعْلُوقًا بِخَاطِرِهِ،  
وَأَرْسَحُ وَأَثَبٌ، كَمَا هُوَ الْمَعْبُودُ مِنْ حَالِ الْمَسِّ»<sup>(١٤)</sup>

٢ - ما ورد عن ابن عباسي ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «سَلَوْنِي غَيْرَ التَّجْبِيرِ، فَإِنِّي  
حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا صَبِيْرٌ»<sup>(١٥)</sup>

فالحفظ في الصغر أسهل منه في الكبر، وأشدُّ علوقاً بالذهن، ورسوخاً  
وتأثراً في القلب، وعقل الصَّغِيرِ مَا زَالَ سَكْرًا لَمْ يُثْقَلْ بِأَعْيَابِ الْحَيَاةِ وَمَنْعَصَاتِهَا  
إِنِّي نَوَّزْتُ عَلَى إِمْكَانِيَةِ الْحِفْظِ، فَيَحْفَظُونَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَا يَثْقُلُ عَلَيْهِمْ وَيَجْعَلُهُمْ  
يَعْلُونَ الْقُرْآنَ، وَتُنَاحٍ لَهُمْ فُرْصَةٌ مِمَّا يَمَارَسُونَ اللَّعْبَ، تَجْدِيدِ نَشَاطَتِهِمْ وَهَمَّتْ»<sup>(١٦)</sup>

(١١) جامع يار العلم وفلسه (١١٧/٢)

(١٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن (١٦٦٢/٣) رقم  
(٢٥٠٣٥).

(١٣) فضائل القرآن (ص ٢٢٦)

(١٤) فتح الساري شرح صحيح البخاري (١٨٤/٩) قال ابن حجر: فأخرجه ابن سعيد وغيره  
بإسناد صحيح.

(١٥) انظر: فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الجامعة بالقرآن (ص ١٥٣ - ٤٤٥)

## المطلب الثاني

## حكم نسيان القرآن

الإعراض عن تعاهد القرآن، وهدم الاعتناء بذلك، تهاون كبير، وتفريط شديد، بحق كتاب الله تعالى، الذي أنزله الله ﷻ؛ ليقراه الناس، ويتعاهدوه، ويعملوا وفق أحكامه<sup>(١)</sup>.

وقد حكى الله تعالى شكايته الرسول ﷺ لربه هجران قومه للقرآن، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقد مضى - في بداية البحث - معنى قوله: ﴿مَهْجُورًا﴾ أي: أنه متروك بالكلية، فلم يؤمنوا به، ولم يرفعوا إليه رأساً، ولم يتأثروا به<sup>(٢)</sup>.

وقد قرّر جمع من المفسرين: بأن في الآية تلويحاً إلى أن الواجب على المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن؛ كي لا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم، فإن ظاهره ذم الهجر مطلقاً<sup>(٣)</sup>.

## آثار في التحذير من نسيان القرآن:

• عن أبي العالية رضي الله عنه أنه قال: «كنا نعد من أعظم الذنوب، أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه، حتى ينساه»<sup>(٤)</sup>.

• وجاء عن ابن سيرين رضي الله عنه - بإسناد صحيح - في الذي ينسى القرآن: «كانوا يكرهونه، ويقولون فيه قولاً شديداً»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: فضائل القرآن، لابن كثير (ص ٢٢١).

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول (ص ٤٢ - ٤٦).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٢١٥/٤)؛ تفسير أبي السعود (٢١٥/٦)؛ روح المعاني (١٣/١٩ - ١٤)؛ تفسير الثعالبي (١٣٤/٣).

(٤) رواه أحمد في «الزهة» (٣٠٣/١)؛ وأورده ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢١٣/٣)؛ وابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» (٤٠٩/١٤) (رقم ٣٥٠٢)، وقال في «فتح الباري» (٨٦/٩): «إسناده جيد».

(٥) أورده ابن حجر رضي الله عنه في «فتح الباري» (٨٦/٩) وصححه..

• وعن طلق بن حبيب<sup>(١١)</sup> كَتَلَهُ، أَنه قَالَ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، حُطَّتْ عَنْهُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةٌ، وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَخْصُومًا»<sup>(١٢)</sup>.

• وَقَالَ ابْنُ الْمُنَادِي<sup>(١٣)</sup> بِتَلْفُظِهِ: «مَا رَأَى السُّلُفَ يُرْهِمُونَ نَسْيَانَ الْقُرْآنِ بَعْدَ الْحِفْظِ، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ النِّقْصِ»<sup>(١٤)</sup>.

### نسيان القرآن نوهان:

النوع الأول: الذي يتشأ لاشتغاله بأمر دنيوي - ولا سيما إن كان محظوراً<sup>(١٥)</sup> - حتى يؤدي بصاحبه إلى إهمال مراجعة القرآن، وترك تلاوته، وهذا هو المنعوم الذي ورد فيه الوعيد.

وليس المقصود (بالأمر الدنيوي): بذل الوقت في كسب قوته، فهذا مأثور به، ولكن المقصود هو الإغراء، والملهات وراء الدنيا وشهواتها، بحيث يتعلق قلبه بها، مما يؤدي إلى هجر القرآن<sup>(١٦)</sup>.

(١) هو طلق بن حبيب العنزي، بصري ثقة، وأحد كبير من العلماء العاملين، حدثت عن ابن عباس، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، وأبو مالك، وغيرهم. كان طيب الصوت بالقرآن، براءً بالديه، قال طاووس: «ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه». وكان مشغولاً بحسب الله. مات طلق قبل المئة.

انظر: سير أعلام النبلاء (١/٦٠١)، معرفة الثقات (١/٤٨٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٤/٦) (رقم ٢٩٩٩٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٠) (رقم ٥٩٧٠).

(٣) هو أبو الحسين، أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي داود ابن المنادي، أنطليقي، ولد سنة (٢٥٦هـ)، عالم مشارك في كثير من العلوم، وكان الغالب عليه علوم القرآن. قال أبو عمرو الداني: «مقرئ حليل في غاية الإتقان، فصيح اللسان، عالم بالآثار، نهاية في علم العربية، صاحب سنة، ثقة مأمون». من مصنفاته الكثيرة: «ناسخ القرآن ومسوحه». واختلاف العده. وهداه أنواع الاستعارات من الألفاظ والمعاني. توفي سنة (٣٣٦هـ).

انظر: تاريخ بغداد (١/٦٩)، سير أعلام النبلاء (١٠/٨٩).

(٤) مشابه القرآن العظيم لابن المنادي (ص ٥٢).

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/١٨٥).

(٦) انظر: خصائص القرآن الكريم (ص ١٨٢).

وقد سُئِلَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ<sup>(١)</sup> كَلِمَةً عَمَّنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ، فَأَجَابَ قَائِلًا: «وَأَمَّا سِوَالُكَ عَمَّنْ تَعَلَّمَ، ثُمَّ ضَيَّعَهُ حَتَّى نَسِيَهُ، فَإِنَّ كِلَانِ تَضْيِيعِهِ إِتْيَاهُ زِهَادَةً فِيهِ - لَيْسَ بِغَالِبٍ عَلَيْهِ عَمَلٌ يَقُومُ لَهُ بِهِ عَدْرٌ - فَهُوَ الَّذِي أَحْسَنَى عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ قَدْ جَاءَ فَيَمْنَنُ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ، فَهِيَ نِعْمَةٌ كَفَّرَهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فَيَمْنَنُ تَعَمُّدُ الشَّاعِلِ بِهِ عَنْهُ.

فَإِنَّ كَانَ تَشَاغَلَهُ عَنْهُ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الشُّفَهَاءِ كَانَ أَشَدَّ.

وَمَا يُدْرِكُ أَنَّ ذَلِكَ النَّسِيَانَ إِنَّمَا أَصَابَهُ عَقُوبَةٌ؛ لِاسْتِغْثَالِهِ عَنْهُ بِسُوءِ الْاِكْتِسَابِ، فَكَانَ اِكْتِسَابُهُ السُّوءَ ذَنْبًا مِنْهُ عَجَّلَتْ لَهُ عَقُوبَتُهُ، بِأَنَّ نَسِيَةَ الْقُرْآنَ بَعْدَ مَا حَفِظَهُ<sup>(٢)</sup>.

النُّوعُ الثَّانِي: الَّذِي لَا يَنْشَأُ عَنْ تَقْصِيرٍ وَإِهْمَالٍ، وَإِنَّمَا هُوَ نَاتِجٌ عَنْ ضَعْفِ الذَّاكِرَةِ، أَوْ تَقَدُّمِ السَّنِّ، أَوْ اِلْتِشَاغَالِ بِأُمُورٍ لَا طَاقَةَ لَهُ فِي دَفْعِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ نَسِيَانَهُ عَنْ اِشْتِغَالٍ بِأَمْرِ دِينِيٍّ كَالْجِهَادِ - كَمَا صَرَّحَ بِهِ ابْنُ حَجَرٍ<sup>(٣)</sup>، وَكَذَا تَعَلَّمَ الْعِلْمَ الْوَاجِبَ أَوْ الْمُنْدُوبَ، وَمِثْلُهُ اِلْتِشَاغَالُ بِتَعْلِيمِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَدْخُلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي هَجْرِ الْحِفْظِ الْمَلْعُومِ.

وقد نقل ابن رشد المالكي<sup>(٤)</sup> كَلِمَةً الْإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ، بِقَوْلِهِ: «لَا إِثْمَ عَلَى

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن خلف المعافري، القروي، القاسمي، المالكي، ولد سنة (٣٢٤هـ)، كان حافظاً للحديث والعلل، بصيراً بالرجال، عارفاً بالأصلين، رأساً في الفقه، دينياً تقياً، وكان ضريباً، مُصَنِّفًا يَقْضًا، وَكُنِّيَهُ فِي نِهَابَةِ الصُّحَّةِ، وَكَانَ يَضْيِطُهَا لَهُ نِقَاتٌ أَصْحَابِيَّةً، مِنْ تَصَانِيفِهِ: «المهد في الفقه وأحكام الديانة»، و«المنقذ من شبه التأويل»، و«ملخص الموطأ». توفّي بالقيروان سنة (٤٠٣هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ (٣/٢٦٤)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٥٨).

(٢) آداب المعلمين والمتعلمين، لابن سحنون (ص ٢٧٨).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٨٥).

(٤) هو أبو الوليد، محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المالكي، قاضي قرطبة، شيخ المالكية، كان فقيهاً، عالماً، حافظاً للفقه، مُقَدِّمًا فِيهِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ عَصْرِهِ، حَسَنَ الْخُلُقِ، سَهْلَ اللَّفْظِ، مَعَ الدِّينِ وَالْحِلْمِ وَالْوَقَارِ (وهو المعروف بابن رشد الجد)، وحفيده فيلسوف زمانه، ويعرف بابن رشد الحفيد. عاش الجد سبعين سنة، وتوفّي سنة (٥٢٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٥٠١).

مَنْ تَرَكَ الْمَعَاهِدَةَ عَلَى هَرَسِ الْقُرْآنِ غَفَلَةً عَنِ ذَلِكَ، وَاشْتِغَالًا إِيْمَا سِوَاهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُنْدُوبَاتِ، حَتَّى نَسِيَ مِنْهُ سُورَةً أَوْ آيَةً، بِإِجْمَاعٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ<sup>(١)</sup>

### الْفَرْقُ بَيْنَ السَّهْوِ الْعَارِضِ وَالنَّسْيَانِ الدَّائِمِ:

هناك فرق بين النسيان الذي ينشأ عن التَّقْصِيرِ وإِهْمَالِ الْحِفْظِ، وبين السَّهْوِ الْعَارِضِ الَّذِي هُوَ أَمْرٌ جَبَلٌ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، فَهَذَا السَّهْوُ غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ وَلَا مُسْتَعْرَبٍ، نَاهِيكَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَنْكَرًا، وَقَدْ قِيلَ: الْإِنْسَانُ مَحَلُّ النَّسْيَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِنَسْيِهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَنْقَلِبُ<sup>(٢)</sup>

وَكَيْفَ يُسْتَنْكَرُ مِثْلُ هَذَا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - لِإِمَامِ الْحَفَاطِ وَسَيِّدِهِمُ ﷺ: ﴿سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنسَى ۖ إِلَّا مَا نَسَى اللَّهُ﴾ [الاعلى: ٦ - ٧].

«عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: إِلَّا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْسِيكَهُ لِتَنْسَى، وَقِيلَ: لَمَّا جَبَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ لَكِنْ سَتَذْكُرُهُ بَعْدَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: سَنَحْفَظُ مَا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَوْعِيهِ قَلْبِكَ، فَلَا تَنْسَى مِنْهُ شَيْئًا. وَهِيَ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ اللَّهَ ﷻ سَيُعَلِّمُهُ عِلْمًا لَا يَنْسَاهُ.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ مِمَّا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَعَالَى أَنْ يُنْسِيكَهُ لِمَصْلَحَةٍ، وَحِكْمَةٍ بِاللُّغَةِ<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ فَقَالَ: «بِرَحْمَةِ اللَّهِ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، كُنْتُ أَنْسِيْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) فتاوى ابن رشد (٢/٧٧٣).

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١/١٢٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٨٥).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٥/٤٠٣ - ٤٠٤).

(٥) زواہ البخاری، کتاب فضائل القرآن، باب: نسيان القرآن، وهل بقول: نسيان آية كذا وكذا (٣/١٦٢٢) (ح ٥٠٣٨).



نسيان النبي ﷺ لشيء من القرآن فوهان :

قال الإسماعيلي (١) **كَانَ النَّسِيَانُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لشيء من القرآن يكون على قسطين: أحدهما: نسيانه الذي يتداكراه عن قُرْب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وعليه يدلُّ قوله ﷺ - في حديث ابن مسعود، في السهو: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أُنْسَى كَمَا تَنْسُونَ» (٢).** والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته، وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى: **«سَتْرُكَ فَلَا تَنْسَى» (٣) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»** [الاعلى: ٣ - ٧].

قال: **فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فَعَارِضٌ سَرِيعُ الزَّوَالِ؛ لِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»** [الحجر: ٩].

وأما الثاني: فداخِلٌ في قوله تعالى: **«مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا»** [البقرة: ١٠٦] (٣).

ومن الفوائد التي ذكرها ابن حجر **كَانَ** - في شرحه للحديث - قوله: «وفي الحديث: حُجَّةٌ لَمَنْ أَجَازَ النَّسِيَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فيما لبس طريق البلاغ مطلقاً، وكذا في طريقة البلاغ لكن بشرطين: أحدهما: أنه بعد ما يقع منه تبليغه، والآخر: أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكُّره، إمَّا بنفسه وإمَّا بغيره... فأما قبل تبليغه: فلا يجوز عليه النسيان أصلاً...

وفي الحديث أيضاً: جواز رفع الصَّوت بالقراءة في الليل، وفي المسجد،

(١) هو أبو بكر، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي، الجرجاني، كبير الشافعية بناحيته، ولد سنة (٢٧٧هـ)، قال الحاكم: «كان الإسماعيلي واجد عصره، وشيخ المحذنين وأجلهم في الرياسة والمروءة والسُّخاء، ولا خلاف بين علماء الفريقين وعقلانهم فيه». من تصانيفه: «الصحيح على شرط البخاري»، و«الفرائد»، و«العوالي» وغيرها. توفي بجرجان سنة (٣٧١هـ).

انظر: طبقات الحفاظ (١/٣٨٢)؛ تذكرة الحفاظ (٣/٩٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: التوجُّه نحو القبلة حيث كان (١/١٤٦) (ح ٤٠١) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له (١/٤٠٢) (ح ٥٧٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٨٥ - ٨٦).

والدعاء لمن حصل له من جهته خير، وإن لم يقصد المحصول منه ذلك<sup>(١١)</sup>.  
 فالذي حصل للنبي ﷺ هو من الشهو العارض بمقتضى بشرئته ﷺ، ومن حصل له ذلك في حفظه فلا يُلام، وهو أمر ملازم للبشر، ولذلك قال ابن رجب **رحمته**: «ولو كان نسيان شيء من القرآن ذنباً لعمادته رسول الله ﷺ، وليس النسيان لشيء من القرآن أو غيره يكسب للعبد<sup>(١٢)</sup> إذا لا يكون بلفظه واختياره بماثم فعله، وإنما يأنم بأن يفعل ما يُنبهه الله به ذلك على الوجه المسموع عنه، وذلك يبيِّن من قول النبي ﷺ: «بَشَرْنَا لَأَخْبِعُنَّكُمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نَسِيَ<sup>(١٣)</sup>»، معنى ﷺ أن يقول رجل: سِيتُ. فيُصيغ إلى عبه ما ليس من كسه، وأمره أن يقول: أُسِيتُ<sup>(١٤)</sup>».

فالحريص على حفظ القرآن، وهو نائب عن تلاوته، إلا أن النسيان يغلغله، فسيان عارض، وليس مذنب، ولا يدخل في الذم، بليل: حديث عائشة **رحمها**<sup>(١٥)</sup>.  
 قال سفيان بن عيينة **رحمته**: «ليس شيء أشبه بحفظ شيء من القرآن، ونقلت من ينام، إذا كان يُجعلُ حلاله، ويُحرِّم حرامه<sup>(١٦)</sup>».

والخلاصة: أن النسيان المعلوم، هو ما أشار إليه ابن حجر الهيثمي **رحمته** بقوله: «المراد بالنسيان المحرم: أن يكون بحيث لا يمكنه معاونة حفظه الأول إلا بعد مرير كُلفٍ وتعب؛ للذهاب عن حافظته بالكُلف، وأما النسيان الذي يمكن معه التذكُّر بمجرد السماع أو إعمال الفكر، فهذا سهو، لا نسيان في الحقيقة، فلا يكون مُحَرِّماً<sup>(١٧)</sup>».

(١١) المصدر نفسه (١٨٦/٩).

(١٢) أي بمقتضى العبد واختياره.

(١٣) رواه البخاري. بالخطب مقاربة انظر كتاب مسائل القرآن، باب استنكار القرآن وتعامده (١١٢٢/٣).

(١٤) حناوي ابن رشد (٧٧٦/٢).

(١٥) انظر: تحريف الحديث، لأسر عبد (١٤٩/٣)، تفسير الطبري (٣٨١/١٦) مرقاة المفاتيح (٧٢/٥).

(١٦) التلخيص في أصل الألفاظ (ص ١٢١) وانظر التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٣٦/١١)، الاستدكار (١٨٩/٢).

(١٧) الفتاوى الطهية الكبرى (٣٦/١).

## حكم نسيان القرآن:

ذكر حلق من أهل العلم: أن نسيان القرآن، أو شيء منه - بعد حفظه - ذنبٌ عظيم، بل صرح بعضهم بأنه كبيرة من الكبائر، ومن هؤلاء الرافعي، والثووي وغيرهم في ذلك: الشيوطي، وابن حجر الهيتمي، والمنذوي.

قال ابن حجر **ظللة**: «واختلف السلف في نسيان القرآن، فمنهم من جعل ذلك من الكبائر»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيوطي **ظللة**: «نسيان كبيراً، صرح به الثووي في الروضة وغيرها»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر الهيتمي **ظللة**: «غدُّ نسيان القرآن كبيرة، هو ما جرى عليه الرافعي وغيره»<sup>(٣)</sup>.

وبين المنذوي **ظللة** صبَّ كونَ النسيان كبيرة، بقوله (أي: النسيان) إنما نشأ عن تشاغله عنها (أي: الآيات القرآنية) للهو أو عضولاً، أو لاستحقاقه بهاء ونهاوه بشأنها، وعدم اكرامه بأمرها، فيعظم ذنبه عند الله لاستهانة العبد له، بإعراضه عن كلامه»<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: «نسيان القرآن كبيرة، ولو نسيها منه، وهذا لا يناقضه خبر: **ارفع عن أمي الخطأ والنسيان**»<sup>(٥)</sup> - لأنَّ المعدوم هنا ذنباً، المُتَرَبِّطُ في محفوضه،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٨٦/٩).

(٢) الاتقان في علوم القرآن (ص ١٢١).

(٣) البرزخ من الخراف الكبار (١/٢٥٧) وانظر العناوين الفقهية الكبرى (١/٣٦٧ - ٣٧).

(٤) معجم المفهر (١/١٣٣).

(٥) قال الألباني **ظللة** في (إرواء الغليل) (١/١٢٣) المشهور في كتب اللغة والأصول - بلفظ: **ارفع عن أمي**، ولكنه تنكره، ثم ذكر أنَّ المعروف - ما أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً، بلفظ: **ارفع عن أمي الخطأ والنسيان**، رواه ابن ماجه (١/١٥٩) (ح ١٢٠١٥) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/١٧٩) (ح ١٦٧٧) - وعند الثوري في الأوسط (١/١٦٠) (ح ٨٧٧٣) عن ابن عباس مرفوعاً، بلفظ **ارفع عن أمي الخطأ والنسيان**، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/١٤٩) (ح ١٣٠١٥).

بعدم تعاهده وادواته<sup>(١)</sup>

وذكر الزركشي رحمه الله أن الله ﷻ تولد المعترض عن القرآن، ومن نعمته ثم  
سبه<sup>(٢)</sup>.

والمراد بنسيان القرآن - الذي هو كبيرة من الكبائر - هو التناهي عن الشاغل  
بالنسيان، والنهات وراء شهوداتها، وبترك تلاوة القرآن واستدكاره، كما نقرر سابقاً  
النسيان الذي يعذر صاحبه:

إذا اشتغل العبد بالعلم الواجب أو المستحب، وترتب على ذلك نسيان شيء  
من القرآن المحفوظ، فلا يُعَدُّ صاحبه أثمًا. وقد مضى أن ابن رشد المالكي رحمه الله  
نقل إجماع أهل العلم على ذلك<sup>(٣)</sup>. كمن يشتغل بتعليم العلوم الشرعية وغيرها  
في المساجد أو المدارس أو الجامعات ونحوها، وكذلك المعلمون المشغولون  
بالعلوم الواجبة أو المستحبة، ويدخل في ذلك أيضاً المشغولون بمروض الكفريات  
كالندوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحوها<sup>(٤)</sup>.

وقد نقل ابن حجر الهيتمي رحمه الله عن بعض العلماء أن محل كون نسيان  
القرآن كبيرة مشروط بأن يكون عن نكاسل وتهاون، وهذا احتراز عما لو اشتغل  
عن القرآن بحرمين مانع من القراءة، وعدم التأنيب بالنسيان حيث لا يطعم، لأنه  
مطلوب عليه، لا اختيار له فيه<sup>(٥)</sup>.



(١) فيض القدير (٤/٣١٣)، وانظر - التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٣٥٨).

(٢) انظر - البرهان في علوم القرآن (١/٤٥٨).

(٣) انظر - فتاوى ابن رشد (٢/٧٧٣) مطالب أولي النهى (١/٥٠٥-٦).

(٤) انظر - فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن (ص ٤٥٤).

(٥) انظر - الروايع عن اعتراف الكبار (ص ٢٥٨).

## الفصل السابع

### هجر تدبُّر القرآن

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التدبُّر وأهميته وحُكمه.

المبحث الثاني: أسباب هجر تدبُّر القرآن.

المبحث الثالث: الأمور المعينة على تدبُّر القرآن.

المبحث الرابع: ثمرات تدبُّر القرآن.





## المبحث الأول

# التدبير وأهميته وحكمه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف تدبير القرآن.

المطلب الثاني: أهمية تدبير القرآن.

المطلب الثالث: حكم تدبير القرآن.

## المطلب الأول

## تعريف تدبُّر القرآن

أولاً: «التدبُّر» لغة:

جاء التدبُّر في اللغة مصدراً مشتقاً من الفعل الماضي (تَدَبَّرَ)، وقد ذَكَر جماعة من علماء اللغة لهذا الفعل ومشتقاته استعمالاً عديدة، وسوف نعرض للمعاني التي تتعلق بموضوع البحث، وهي على النحو الآتي:

\* التَدَبُّرُ: مصدرٌ فعَلُهُ الماضي: تَدَبَّرَ. وهو فعلٌ مزيدٌ، اشتقَّ من الفعل المجرَّد الماضي: دَبَّرَ. ومضارعه: يَدَبِّرُ، والمصدر: دَبْرًا ودَبُورًا<sup>(١)</sup>.

\* ودَبَّرَ النَّهَارُ أو الصَّيْفُ: انصَرَمَ، مَضَى وانقَضَى.

\* ودَبَّرَ الشَّيْءَ: جاء بعده وخلفه.

\* وتَدَبَّرَ الأَمْرَ تَدَبُّراً: نَظَرَ في أدبارِهِ، أي: عواقبِهِ وتَفَكَّرَ فِيهِ.

\* والتَدَبُّرُ: النَّظَرُ في أدبارِ الأَمْرِ. وهو يعني: التأمُّلُ في عواقبِهِ، أو ما

يؤول إليه<sup>(٢)</sup>.

\* وتَدَبَّرَ الأَمْرَ: رأى في عاقبته ما لم يره في صدره، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ

يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]. أي: ألم يتفهموا ما حُوطبوا به في القرآن العظيم<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة التدبُّر - في أصل اللغة: هو النَّظَرُ في عاقبة الأمر والتفكُّر فيه،

بحيث يشمل أواخر دلالات الكَلِمِ ومراميهِ البعيدة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/٤٣١)، مادة: (دَبَّرَ).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ص١٠١)، مادة: (دَبَّرَ)؛ لسان العرب (٤/٢٨٠)، مادة: (دَبَّرَ).

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص٤٩٩)، مادة: (دَبَّرَ).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٥/٢٩٠)؛ تفسير الطبري (١/٨٧)؛ قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله، د. عبد الرحمن بن حسن حَبَنكة (ص١٠).

## ثانياً : «تدبير القرآن» اصطلاحاً:

قال الألوسي رحمته: «وأصل التدبير: التأمل في أديار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»<sup>(١)</sup>.

وقال السعدي رحمته: «في معنى تدبير القرآن: هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه، وعواقبه، ولوازم ذلك»<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة في «معنى تدبير القرآن»:

تفهّم معاني الفاظه، والتفكير فيما تدلّ عليه آياته مطابقة أو ضمناً، وما لا تتم تلك المعاني إلا به من الإشارات والتشبهات، وانتفاع القلب بذلك، بخضوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره ونواهي، وأخذ العبرة منه<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الثاني

## أهمية تدبير القرآن

تبرز أهمية تدبير القرآن العظيم في أمور كثيرة، يأتي في مقدمتها أن تدبير القرآن وتفهم علومه من التصحیح لكتاب الله تعالى، وقد أشار إلى هذا المعنى أهل العلم، منهم ابن رجب رحمته بقوله: «وأما التصحیح لكتاب الله: فشيءٌ حبه وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق، وشدّة الرغبة في فهمه، وشدّة العناية لتدبره، والوقوف عند تلاوته؛ لطلب معاني ما أحبّ مولاة أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعد ما يفهمه».

وكذلك للتأصح من العباد بتفهم وصية من ينصحهم، وإن ورد عليه كتاب منه عني بفهمه؛ ليقوم عليه بما كتبت به فيه إليه، فكذلك التأصح لكتاب ربه يعني بفهمه؛ ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويُدِيم

(٢) تفسير السعدي (١/١٨٩).

(١) روح المعاني (٥/٩٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٠١)، الشيبان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص ١٤٥)، الفواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي (ص ٣٢)، تدبير القرآن، لسليمان بن عمر السندي (ص ١١).

دراسة المحجة له، واشتغل بحلقاته، والتأثر بأدائه<sup>١١١</sup>. وهناك أمور أخرى تبرز لنا أهمية تدبر القرآن الكريم، وهي على النحو التالي:

### أولاً: حاجة القلب إلى تدبر القرآن.

القلب فيه وحشة لا تُزال إلا بالأسر بكتاب الله تعالى، والتأمل في آياته، وفيه قلق وحواف لا يؤمنه إلا السكون إلى ما شر الله تعالى به عباده، وفيه عاقبة لا يعيها إلا التروء من حكم القرآن ومواعظه وعبره، وفيه حيرة واضطراب لا يحبه منها إلا الاعتصام بكتاب الله تعالى: ﴿بِتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ نَادَتْكُمْ لِتَرْصَلَهُ بَيْنَ رَبِّكُمْ وَرَسُولِهِمَا إِنَّمَا فِي السُّورِ لَعْنَةٌ وَإِذْعَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قَدْ فَصَّلَ اللَّهُ دَرَجَاتٍ لِيَذْهَبَ قَبْرُكُمْ هُوَ حَبِيرٌ وَمِنَّا بِمُحَمَّدٍ ﴿٥٨﴾ (سورة الأعراف: ٥٧ - ٥٨).

ولقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من مغبة التماهي في صعر القرآن، فتكون نتيجة فسوة القلوب، فقال تعالى: ﴿الَّذِي يَأْتِيهِ الْيُوسُفُ بِالسُّورِ فَتَنْجُو لِقَوْمِهِمْ لِيَحْكُمَ اللَّهُ وَإِنَّا لَمِنَ الْمُنْزِلِينَ وَلَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِذْ قِيلَ لَهُمْ سَمِعُوا آيَاتِ اللَّهِ فَخَسِبَ قَوْمُهُمْ لِكَيْفَ سَمِعَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَيْفَ سَمِعَتْ عَيْنُهُمْ ﴿١١٥﴾ (الحج: ١١٥).

قال محمد بن كعب القرظي: «كانت الصحابة بمكة مُجْدِبِينَ فَلَمَّا هَاجَرُوا أَصَابُوا الرِّيفَ وَالنَّمْعَةَ، فَفَنَرُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، فَخَسِبَ قُلُوبُهُمْ، لَوْعَظَهُمُ اللَّهُ فَأَقْبَوُا»<sup>١١٢</sup>. والعتاب لعائلة المؤمنين أخرى وأولى.

والأصل أن للوب المؤمنين وجلودهم نخسع ونخسع ونرق ونسكن وانطمتر<sup>١١٣</sup> عند ذكر الله تعالى: ﴿اللَّهُ رَجُلٌ أَسْرَى الْمَدِينِ كُنَّا مُنْتَبِهِهَا ثَلَاثِينَ نَقْشِرُ مِنْهُ حُلُوهَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ لَمْ تَلِينَ حُلُوهُمْ وَلَقُرُونَهُمْ إِنْ ذُكِرَ اسْمُهُ ﴿١٢٣﴾ (الزمر: ١٢٣).

فمن أراد أن يخسع قلبه، وينشرح صدره، فلا غنى له عن التَّكْوِينِ والتَّسْمِينِ في الآيات الكريمة، ولا يكن همه - إذا اجتهد السُّورَةَ - أن يقول في نفسه حتى أخذها.

قال الأجرى القرظي: «فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان

١١١ جامع العلوم والحكم (١/١٦٠/١٦٠٩).

١١٢ بحسب القرظي (١/١٧١/١٢٥٠)، بحسب التعالي (١/٩/١٢١١).



كالمرأة يرى بها ما خسر من فعله وما فُيخ فيه، فما حَقَّه مولاه حذره، وما خَوَّفه به من عفاه خافه، وما رَغِب فيه مولاه رَغِب فيه ورجاه.

فمن كانت هذه صفته، أو ما قارب هذه الصفة فقد نلناه حق تلاوته، ورجاه حق وعابته، وكان له القرآن شاهداً وشعباً وأنساً وجزواً، ومن كان هذا وضعه نفع نفسه ونفع أهله، وعاد على والديه وعلى وندته كل خير في الدنيا والآخرة<sup>(١١)</sup>.

وكان القرآن له شعاعاً، فاستنسى بلا مال، وغر بلا عشيرة، وأبى بما يستوحش منه غيره. وكان هذا عند التلاوة للشورة - إذا التحها - متى ألغظ بها أنوّه؟ ولم يكن مراده: متى أحتم الشورة؟

وأما مراده متى أعقل من الله الخطاب؟ متى أزدجر؟ متى اعتبر؟ لأن تلاوته لقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بعلة<sup>(١٢)</sup>.

وقراءة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب واستقامته، ولا شيء أنفع للعبد في معاشه وأقرب إلى سبحانه في معاده من تدبر القرآن العظيم، وفي هذا الشأن يقول ابن القيم **ثلثة**: أفلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير، فأنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإيمان والتوكل والرضا والتوطين والتذكر والتضرع، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال الملمومة التي بها فساد القلب وهلاكه.

فلو علم الناس ما هي فرائد القرآن بالتدبر، لاشتغلوا بها عن كل ما سواها. فإذا قرأه بتفكير، حتى إذا مر بأية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، فجزها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقرأه أية تتذكر وتفهم خير من قراءة خمسة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وتوخي خلاوة القرآن. ففراصة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب<sup>(١٣)</sup>.

(١١) أخلاق حملة القرآن (ص ٣٩ - ١١٠).

(١٢) المصدر نفسه (ص ١٨ - ١٩).

(١٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧).

وأحد ذلك في موضع آخر، فقال:

«فليس أنفع للعباد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدوير القرآن، وإطالة التأمل، وجنح منه الفكر، على معاني آياته، فإنها تُطْلَعُ العبد على معالم الحبر والشر... وتُنَبِّتُ قواعد الإيمان من قلبه، وتُشَدُّ جباهه، وتوقد أركانه... وتعطيه قوة في قلبه، وحياةً، وسعةً، واتساراً، وبهجةً وسروراً، فيصير في شأنه والناس في شأن آخر... وفي تأمل القرآن وتدرسه، أضعاف أضعاف ما ذكرنا من المحكم والموائد»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الدُّخُولُ فِيمَنْ أُنِيَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِتَدْوِيرِ الْقُرْآنِ:

أنى الله ﷻ - في مواضع كثيرة من القرآن - على من تدبر كلامه وتأثر به، وبين أن ذلك صفة عباد الله الحاشمين، ومن هذه المواضع:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُ الدِّينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ نَكَلًا كَوَّيْتُمْ وَوَدَّأْتُمْ لِقَابِهِمْ فَسَاءَ مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنَ السَّاعَةِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ①﴾ **الَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ مَا يُعْقَبُونَ ②** أُولَئِكَ هُمُ السَّخِرُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرُوا بِهِمْ وَاسْتَخَفُّوا أَعْيُنَهمْ وَأَسْرَبُوا وَلَهُمُ الْعَذَابُ أَلِيمٌ ③﴾ (الأنفال: ٢ - ٤).

وجه زيادة إيمانهم - عند سماع القرآن: هو أنهم ألقوا السمع للقرآن، واحضروا قلوبهم لتدبره، فعند ذلك ازداد إيمانهم وتيقنهم.

فالتدبر يحدث رغبة الخير، واستيفاً إلى كرامة الله تعالى لهم، ووجلاً من عقوباته، وزحراً عن معاصيه، وكل هذا مما يزداد به الإيمان<sup>(٢)</sup>.

٢ - قوله تعالى: ﴿قُلْ عِبَادِيَ الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ آيَاتِي أَتَدْعُونِي إِذْ لَمْ أُكَلِّمُكُمْ شَيْئًا ①﴾ وَتَدْعُونَ سِخْرِيًّا ② وَإِنَّكُمْ لَعَالَمُونَ ﴿بِالْآيَاتِ﴾ تَكْفُرُونَ ③﴾ (الأنفال: ١٠٦ - ١٠٩).

تبيّن الآية الكريمة أن الذين آمنوا بالعلم هم الذين يتأثرون عند سماع مواضع القرآن، تدبرهم لأياته، وفيه إشارة إلى أن من لم يتأثر بالقرآن فهو جاهل لا يستحق وصف العلم.

(٢) انظر تفسير السعدي (٢/ ٤٨٨).

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٥١ - ٢٥٢).

وكرر. وكثر الخورر للادفان، لاختلاف السبب، فالأول لتعظيم الله تعالى وتزيده، والثاني: لتكفاء تأثير مواضع القرأت في قلوبهم، وزيادة خشوعهم<sup>(١)</sup>.

٢- قوله تعالى ﴿إِنَّا نُنزِّلُ الْكِتَابَ عَلَيْكُمْ كَلِمَاتٍ أَرَوْنَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٢٨).

قال القرطبي تفسيرا: فكيف حالهم (أي رسول الله ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم) عند المواظبة عليهم من الله، والتكفاء خوفاً من الله، ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكر الله ونلاوة كتابه فقال: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ نَزَّلْنَا الْبُرْهَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ١٨٢)، فهذا وصف حالهم، وحكاية مطالبهم، ومن لم يكن كذلك، فليس على عديهم ولا على طرفيهم، فمن كان مستأقاً فليستسأق<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: عدم التعرض إلى اللثم لترك التدبير.

لقد ذم الله تعالى حال من هجر تدبير القرآن، ولم يلفه الآيات، ولم يدبر القول في صيغ مختلفة، وأحوال متنوعة، ومنها:

١- قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ﴾ (السا: ٨٢)، [سجدة: ١٢٤].

قال القرطبي تفسيرا: دعاهم المتذكرون بالإحرام عن التدبير في الفترات والتذكر فيه، وفي معانيه<sup>(٣)</sup>.

وإذا التفتي نطق الأمر بيانياً، بقوله: «ما تفتتخته الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن كتاب الله سبحانه موثقاً في آيات كثيرة، ومعلوم أن كل من لم يشغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم - أي تصفحها ونهملها - وإدراك معانيها، والعمل بها - فإنه معرض عنها غير متدبر لها، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات - إن كان الله أعطاه فهماً يقدر به على التدبر...

وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه، وتعلمه، والعمل به أمر لا بد منه للمسلمين...

(١) الطبري: التحرير والتنوير (١/١٤١)، (٢) تفسير القرطبي (١/٣٦٦).

(٣) المصدر نفسه (١/١٩٠).

فإخراجهم كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله وتفهمه والحمل به،  
والنسة الثانية المصيبة له، من أعظم العناكب وأضنعها<sup>(١)</sup>

٢ - قوله تعالى: ﴿لَقَدْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (المؤمنون: ٦٨).

أنكر الله تعالى على الكفار عدم تفكيرهم في القرآن، وتأملهم في مواضعه  
وعبره، ونسبهم لآبانه - فلأنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان، ولصحبهم من  
الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم هو إخراجهم عن نسر القرآن  
وهذا يدل على أن نسر القرآن يدعو إلى كل خير، ويحسم من كل شر<sup>(٢)</sup>.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّيَ إِذْ قَوْمِي أَعْبَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

(الفرقان: ٣٠).

قال ابن كثير تظلمة: «ونرك ندره وتفهمه من حجراته»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم تظلمة: «حجر القرآن أنواع... - ثم ذكر منها - حجر ندره،

وتفهمه ومعرفته ما أراد المتكلم به»<sup>(٤)</sup>.

٤ - مثل الله تعالى اليهود مع النوراة أفحج تبتلي - فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ

حَبَلُوا الثُّرَيَّةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الَّذِينَ يُسْتَأْذِنُونَ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ إِذْ

قَالُوا وَاللَّهِ وَاللَّعْنَةُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (النساء: ١٥)

قال أبو بكر الطرطوشي تظلمة: «ودخل في عموم هذا من يحفظ القرآن من

أهل ملتنا، ثم لا يفهمه، ولا يحمل به»<sup>(٥)</sup>.

٥ - جاء في وصف الخوارج، قوله ﷺ: «يُنْفِرُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجْلِسُونَ

حُلُوقَهُمْ، أَوْ خَاجِرُهُمْ»<sup>(٦)</sup>.

قال النووي تظلمة - في المراد بذلك - ليس حفظهم من القرآن إلا مروره

(١) أصواء البيان (٢٥٧/٧).

(٢) نظر التحرير والتنوير (٧١/١٨) تفسير الحادي (١٣٦٥/١٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٢٠).

(٤) العوائد (١٢٣).

(٥) الحوادث والمدح (١٠١).

(٦) رَوَاهُ الْحَارِثِيُّ فِي كِتَابِ اسْتِثْنَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَقَتْلِهِمْ، بِإِسْنَادٍ قَلِيلٍ الْحَارِثِيُّ وَالْمَلْحَمِيُّ بَعْدَ إِفَادَةِ

الْحَدِيثِ عَلَيْهِ (١٢١٦٤/٤) (ج ٦٩٣).

على اللسان، فلا يحاور ترفههم ليصل قلوبهم. وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله ونشره، يوقعه في القلب<sup>(١)</sup>. والتعقل والنشر يقود إلى العمل.

وقال الزركشي تظلمة: «ذمهم بإحكام ألقاه، وترك الصحف لمعانيه»<sup>(٢)</sup>.

٦ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لا نهتوا (القرآن) هذا الشعر، ولا تشروه نشر الدغل، فقرأوا عند صحابه، وحركوا القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»<sup>(٣)</sup>.

٧ - عن أبي جعفر تظلمة، قال: «قلت لابن عباسي إن سرخ القرآن، وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لأن أقرأ القرآن في ليلة فأتورها وأرسلها، أحب إلي من أن أقرأ بعد قولها»<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الثالث

#### حُكْمُ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

لوجب الله تعالى التفكير والتفكير وإعمال النظر؛ لفهم معاني آيات الكتاب العزيز، وعان على المساطير إعرابهم من تدبر القرآن والتفكير به وفي معانيه في عدة مواضع من القرآن، ومنها

١ - قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ حَبِيرٍ اللَّهُ لَوْجِدُوا بِهِ تَبْدِيلًا مَكِينًا﴾ (النساء: ٨٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنَّهُ عَلَى قُلُوبٍ أَفْعَلًا﴾ (محمد: ١٢١).

٣ - قوله تعالى: ﴿يَمَسُّ لَتْلَتَهُ إِلَهَكَ مَسْرُومًا يُتْرَكًا يَأْتِيهِ، وَلِتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(مر: ٦٩)

(١) صحيح مسلم شرح النووي (١٠٠٠/٦) (٢) الترمذي في علوم القرآن (١٨٤/٦)

(٣) رواه العمري في تفسيره (١١٠٧/٤١) والأحرزي في «أخلاق حملة القرآن» (ص ١١٩) (رقم ١١١)

(٤) وابن أبي شيبة في «معجمه» (٢٥٦/٢) (رقم ٨٧٣٣) وأبو عبد الله كثير في «تفسيره»

(٤٣٥/٤) والسيوطي في «الإلفان» (١١/٢٨٢)

(٥) رواه ابن كثير في «فصائل القرآن» (ص ١٣٦)، وقال محققه أبو إسحاق الحويني «إسناده صحيح». ورواه أبو عبد الله في «فصائل القرآن» (ص ٧٤) والأحرزي في «أخلاق حملة القرآن» (ص ١٨٩).



## إطباق المفسرين على وجوب تدبير القرآن:

دلّت هذه الآيات - وما في معناها - على وجوب تدبير القرآن العظيم، وقد أطبق على ذلك جمهور المفسرين، وهذه بعض الثّقول الواردة عنهم في هذا الشأن:

\* قال الطبري رحمته الله: «في حثّ الله ﷻ عباده على الاعتياز بما في آي القرآن من المواعظ والبيّنات... ما يدلّ على أنّ عليهم معرفة تأويل ما لم يُحجّب عنهم تأويله من آيه؛ لأنّه محالّ أن يُقال لمن لا يفهم ما يقال، ولا يعقل تأويله، اعتز بما لا فهم لك به... إلّا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به»<sup>(١)</sup>.

\* واستنبط القرطبي رحمته الله - من قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ وجوب معرفة معاني القرآن<sup>(٢)</sup>. وقال رحمته الله: «ودلّ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ على وجوب التدبّر في القرآن؛ ليُعرف معناه»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عطية الأندلسي رحمته الله - في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ «وهذا أمرٌ بالنظر والاستدلال»<sup>(٤)</sup>.

\* وقال أبو السعود رحمته الله: «إنكار واستقباح؛ لعدم تدبّرهم القرآن، وإعراضهم عن التأمّل فيما فيه من موجبات الإيمان»<sup>(٥)</sup>.

\* وقال الشوكاني رحمته الله: «ودلّت هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أمرٌ على قلوب أفعالها على وجوب التدبّر للقرآن؛ ليُعرف معناه؛ والمعنى: ألهم لو تدبروه حقّ تدبره لوجدوه مؤتلفاً غير مختلف، صحيح المعاني، قويّ المباني، بالغاً في البلاغة إلى أعلى درجاتها»<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٤٥/١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٩٢/١٥)؛ أضواء البيان (٤٤٨/٧).

(٣) تفسير القرطبي (٢٩٠/٥). وانظر: تفسير ابن كثير (٥٠٣/١) (١٨٠/٤)؛ تفسير السعدي (١٨٩/١).

(٤) تفسير ابن عطية (٨٣/٢). وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٤٩/١).

(٥) تفسير أبي السعود (٢٠٧/٢). وانظر: فتح القدير (٣٨/٥).

(٦) فتح القدير (٤٩١/١).

\* وقال السُّيوطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وتدبُّرُ الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وأيضاً: فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فنٍّ من العلم؛ كالطِّبِّ والحساب، ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم»<sup>(١)</sup>.

\* وقال الزُّركشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وبالجملة؛ فالقرآن كله لم يُنزله تعالى إلا لِيُفهِمَهُ، وَيُعَلِّمَ وَيُفْهَمَ، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون»<sup>(٢)</sup>.

ومع هذه الكثرة الكاثرة من النصوص الأمرة بتدبُّر القرآن العظيم، والتفكُّر في معانيه، وإمعان النَّظَر فيه، والنَّاهية عن الإعراض عنه، وكذلك الثُّقُول الواردة عن علماء التَّفْسِير في وجوب تدبُّر القرآن، نجد أنَّ غالب المسلمين اليوم قد اكتفوا: بِالْفَاطِ بِرَدِّدُونَهَا، وَأَنْغَامِ يُلْحَنُونَهَا فِي الْمَأْتَمِ وَالْمَقَابِرِ وَالذُّورِ، وَبِمَصَاحِفَ يَحْمِلُونَهَا أَوْ يُوَدِّعُونَهَا تَرَكَّةً فِي الْبُيُوتِ، وَنَسُوا أَوْ تَنَاسَوْا: أَنَّ بَرَكَةَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِنَّمَا هِيَ فِي تَدْبِيرِ آيَاتِهِ وَتَفْهَمِهَا، وَالتَّأدُّبِ بِهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ أَمْرِهَا، وَالبعد عن تَوَاهِيهَا وَمَسَاخِطِهَا<sup>(٣)</sup>.



(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/٤٦٩). (٢) البرهان في علوم القرآن (٢/١٤٥).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٨).



المبحث الثاني

أسباب هجر تدبُّر القرآن

## أسباب هجر تدبّر القرآن

### تمهيد:

إذا كان كثير من المسلمين قد هجروا تلاوة القرآن أو سماعه أو حفظه، فإن الأكثر منهم قد هجروا تدبّره هَجْرًا لم تعرفه الأمة من قبل، وحتى الذين يواظبون على تلاوة القرآن أو حفظه؛ ما هو نصيبهم من تدبّر المتلوّ والمحفوظ، وما أثر القرآن في قلوبهم؟

ولا ريب أنّ هجر التدبّر له أسباب كثيرة ومثنوعة، تختلف من هاجر لآخر، ولربّما اجتمع أكثر من سبب في شخص واحد، وسيكون الحديث عن أهم هذه الأسباب كما يلي:

### أولاً: الإصرار على الذنوب:

إصرار العبد على الذنب، وارتكابه إيّاه من أعظم الأسباب التي تحول دون تدبّر القرآن، وفهم معانيه، فينبغي لمن أراد تدبّر القرآن أن يتعد عن الذنوب والمعاصي، ولا سيّما التي لها اتصال مباشر بأدوات ووسائل التدبّر وهي: القلب والسمع واللسان والبصر، فانهماك هذه الجوارح في الحرام يُعطلها عن تدبّر القرآن، والانتفاع به، والله تعالى يقول: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْتُنٍ مِّمَّا نَدْعُوْنَآ إِلَيْهِ وَفِيْ مَآزِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

فالأكتة: غطاء للقلب، تمنعه من فهم القرآن، والوقر: غطاء للأذن، يمنع من سماع القرآن، والحجاب: غطاء للعين، يمنع من رؤية الحق<sup>(١)</sup>.

وتأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، والقلب المريض لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

(١) انظر: شفاء العليل، لابن القيم (ص ٩٣).



يَكْبُرُونَ ﴿المطففين: ١٤﴾ (١).

فالإصرار على الذنوب من أعظم ما يصدُّ عن اتِّعَاطِ القلب، وانسراح الصنتر لمواظبة القرآن، وحكمته وأحكامه، والله تعالى يقول: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه: «أَنْزَعُ عَنْهُمْ فَهْمَ الْقُرْآنِ» (٢)، «فلا يفهمونه، ولا يجدون له حلاوة ولا لذة؛ وذلك أَنَّ الْفَهْمَ نور، إذا وَرَدَ على القلب دَسَسُ المعاصي ارتحل النور، الفجير عن فهمه» (٣).

وزاد ابن قدامة رحمته الله الأمر وضوحاً، فقال: «وَلَيْتَخَلَّ التَّالِي عَنِ مَوَانِعِ الْفَهْمِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَكُونَ مُصِراً عَلَى ذَنْبٍ، أَوْ مُتَصِفاً بِكَبِيرٍ، أَوْ مُبْتَلَى بِهَوِيٍّ مَطَّاعٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ ظَلَمَةَ الْقَلْبَ وَصَدَّتْهُ، فَالْقَلْبُ مِثْلُ الْمَرْأَةِ، وَالشَّهَوَاتُ مِثْلُ الصَّدَأِ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ مِثْلُ الصُّورِ الَّتِي تَرَاهِي فِي الْمَرْأَةِ، وَالرِّيَاضَةُ لِلْقَلْبِ بِإِمَاطَةِ الشَّهَوَاتِ مِثْلُ جَلَاءِ الْمَرْأَةِ» (٤).

ومن أعظم ما يصدُّ القلب عن تدبر القرآن العظيم: تعلقه بشهوات الدنيا، وتمكُّن البدع منه، وفي ذلك يقول الزركشي رحمته الله: «اعلم أنه لا يحصل للتأطر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة، أو كِبَرٌ، أو هوى، أو حُبُّ الدُّنْيَا، أو هو مُصِراً عَلَى ذَنْبٍ، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على مُفسِّرٍ ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حُجُبٌ وموانع، بعضها أكد من بعض» (٥).

ثانياً: انشغال القلب:

القلب المشغول عن القرآن بغيره لا يتأثر به؛ لتشغبه في أودية الدنيا، وغفلته عن تدبر كتاب الله، وكيف يحصل له ذلك، وهو قلب غائب ليس

(١) انظر: فتح الرحمن في بيان هجر القرآن (ص ١٥٥).

(٢) رواه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٠).

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ١٨٢).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص ٥٦ - ٥٧). وانظر: إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٤).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٠ - ١٨١).

بالحاضر. وقد تحدث ابن القيم نظرة عن أنواع القلوب حال سماع القرآن، فقال: «النفس ثلاثة: رجل قلبه مبيت، الثاني رجل له قلب حرم، لكنه مشغول ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى، والثالث رجل حرم القلب مستعد، ثبت عليه الآيات فأصغى بسمعه وألقى السمع، وأحضر القلب، ولم يشغله بغير فهم ما يسمع، فهو شاهد القلب. فهذا القسم هو الذي يسمع بالآيات»<sup>(١١)</sup>.

فحضور القلب وعدم اشتغاله شرط له الانتفاع والتذكر بالقرآن الكريم، وفي ذلك قال ابن القيم نظرة - أيضاً - «لماذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل: وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانقضى المانع: وهو اشتغال القلب ودفعه عن معنى الخطأ، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر: وهو الانتفاع والتذكر»<sup>(١٢)</sup>.

فالذا الجهل باللغة العربية

أمر الله ﷻ القرآن العظيم لسان عربي مبين، كما قال جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ﴿١١٠﴾ سَلَاةً بِهَا الْبُحْرُ الْأَمِينُ ﴿١١١﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ يَسَّرَ لِقَوْمٍ يَشَارِقُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (التعريف: ١١٠، ١١١، ١١٢)

وسبب تنزيله باللغة العربية هو أنها أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها نادية للسمعي التي تقوم بالشموس، فلقد أمر أشرف الكتب بأشرف اللغات<sup>(١٣)</sup>.

وإذا كان الفرائ لا يعرف شيئاً عن لغة العرب، ولا يدرك أساليب كلامهم فأنى له أن يتدبر القرآن، ويعقل عن الله تعالى الخطأ، وهو سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا أَرْزَلْتُمْ كُفْرًا، عَرَبِيًّا لِمَنْكُمْ يَفْقَهُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ ويقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَقُولُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾﴾ اصت ١٣

(١١) مدارج السالكين (١/١٤٢).

(١٢) الفوائد (ص ٦) والنظر: تدوير القرآن (ص ٢٠).

(١٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٦٧).

## أهمية معرفة العربية لتدبر القرآن:

إنَّ جزءاً كبيراً من معاني الفاظ القرآن ونراكبه لا يؤدي إلا باللسان العربي ولا يُفهم إلا به، كما جاء من ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «التفسير على أربعة أوجه: وَجْه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعلم أحد نجاته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»<sup>(١)</sup>

وهذا الذي جعل ابن تيمية رحمته الله يقول: «ومعلوم أنَّ تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤمنون أولاً بهم على اللبس، فحرص مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن تحفظ القانون العربي، وتُضلَّح الألسن المائلة عنه، ليحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة»<sup>(٢)</sup>

وقد جعل أهل العلم معرفة العربية شرطاً لمن أراد تفسير القرآن، قال الإمام مالك رحمته الله: «لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يعسر كتاب الله إلا جعلته بكالاً»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عطية رحمته الله: «إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأنَّ بذلك تقوم معانيه التي هي الشرح»<sup>(٤)</sup>.

وعن الغاية من تعلم اللغة العربية يقول ابن تيمية رحمته الله: «والعربية إنما احتاج المسلمون إليها لأجل خطاب الرسول بها، فإذا أُغرض عن هذا الأصل، كان أهل العربية بمنزلة أصحاب المعتقدات الشيع، ونحوهم من خطب جهنم»<sup>(٥)</sup>.

فالمقصود الأعظم من تعلم اللغة العربية، هو معرفة كلام الله تعالى، وكلام

(١) رواه الطبري في المسيرة (٤٢/١) رقم (٧٧) والسيوطي في «الدر المستور» (١٥١/٢). وانظر تفسير ابن كثير (٧/١) مجموع الفتاوى (٣٨١/١٢) البرهان في علوم القرآن (٧١/٣) (٧١/٢١) (١٦٤/٢) الإقناع في علوم القرآن (٢٨٠/٢)

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦/٣٥٢)

(٣) رواه السهلي في «شعب الإيمان» (٤٣٥/٢) رقم (٢٢٨٧). وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢٩٢/١) (١٦٠/٢) الإقناع في علوم القرآن (٢٧٤/٢)

(٤) تفسير ابن عطية (٤٠/١) تفسير القرطبي (١٢٢/١)

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/٣٠٧)

رسوله ﷺ، ومَنْ فاته تحقيق هذا المقصد، فقد أمضى عمره في غير ما طائل، بل ربّما كان تعلّمه حجّة عليه، كحال الذين يتعلّمون العربيّة للظن في القرآن وعلوم الشريعة من المستشرقين وأذناهم<sup>(١)</sup>.

### المفاسد المترتبة على الجهل باللّغة:

من المفاسد المترتبة على جهل القارئ - أحياناً - بقواعد اللّغة العربيّة: ما ورد عن ابن أبي مليكة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه، أنّه قال: «قدّم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: مَنْ يُقرئني ممّا أنزل على محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: فأقرأه رجل «براءة»؛ فقال: (أَنْ اللهُ بريء من المشركين ورسوله). بالجرّ، فقال الأعرابي: أوقد بريء الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبراً منه؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت مَنْ يقرئني، فأقراني هذا سورة «براءة»، فقال: (أَنْ اللهُ بريء من المشركين ورسوله)؛ فقلت: أوقد بريء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبراً منه؛ فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي؛ قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: «أَنْ اللهُ بريءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» [التوبة: ٣]. فقال الأعرابي: وأنا والله أبراً مما بريء الله ورسوله منه؛ فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا يُقرئ النَّاسَ إلَّا عَالِمٌ باللّغة، وأمر أبا الأسود<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: تدبر القرآن (ص ٩١ - ٩٢).

(٢) هو عهد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة - بالتصغير - الإمام الحجّة، مدني، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، ثقة، فقيه، من الثالثة. وكان عالماً مفتياً، صاحب حديث وإتقان، توفي سنة (١١٧هـ)، وعمره (٨٠ سنة).

انظر: تقريب التهذيب (١/٤٣١)؛ سير أعلام النبلاء (٥/٨٨).

(٣) هو ظالم بن عمرو بن سفيان أبو الأسود الدؤلي، من كبار التابعين، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، معدود من الفقهاء والشعراء والفرسان والأمرء والأشراف والمُتَحَوِّين، من أصحاب علي رضي الله عنه، وهو أوّل مَنْ وَضَعَ النُّحُو، ونَقَطَ المصحف، سكن البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، وولي إمارتها في أيام علي رضي الله عنه، وشهد معه صفين، له شعر جيّد مطبوع، توفي سنة (٦٧هـ) على الأصح. انظر: معرفة النُّفَات (١/٤٨٤)؛ الإصابة في تمييز الصُّحابة (٣/٥٦١)؛ معجم الأدياء (٣/٤٣٦).

موضع النحر<sup>(١٢)</sup>

فمن جهل أصول اللغة العربية وفواضعها، ولم يميز المعاني من المعمول متلاً، ونحو ذلك مما يتوقف عليه فهم سياق الآيات، من جهل ذلك كله، كيف يفهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفِرْ فِي سَبْعِ نَجْمٍ يَكْفَىٰ ذُنُوبَكُمْ قَلْبَ قَدْحٍ ذَاتِ عَصَا﴾ [البقرة: ١٧٤]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْتَهِىٰ اللَّهُ عَنْ يَكْفُورِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ربما: ترك كالتبرير تورعاً

من الناس من يترك تدبر القرآن خوفاً من القول على الله تعالى بغير علم، ويعتقد أن تدبر القرآن مهنة المفسرين والعلماء، فيكفي بالقرآن ما حراً تدبر القرآن، ظاناً أن هذا هو الورد مع كتاب الله تعالى، ولا ريب أن هذه كيفية من مكابذ الشيطان حتى يصرف الناس عن الانتفاع بتدبر آيات القرآن، وفي ذلك يقول ابن خزيمة<sup>(١٣)</sup>: «ومررنا على مكابذ الشيطان: تفسيره عياناً الله من تدبر القرآن، لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاضها، حتى يقول الإنسان: أنا لا أكلم في القرآن تورعاً»<sup>(١٤)</sup>

وأكثر ابن القيم<sup>(١٥)</sup> على من هذا حاله بقوله: «ومن قال: إن له تأولاً لا

(١) المشهور: أن الذي أمر أبا الأسود بوضع النحر هو علي<sup>(ع)</sup>، ولعله أمر قبل ذلك من عمر<sup>(ع)</sup> انظر: «سب وفتح علم العربية» للسيوطي (ص ٣٠)

(٢) زوائد السيوطي في «الدر المشهور» (١/١٢٩)، وأوردته القرطبي في «المصيرة» (١/٢٤٤)، وعلاوة الشيخ المغربي في «شرح الصحاح» (٢/١١٣)

(٣) انظر فتح الرحمن في بيان بحر القرآن (ص ٦٥٩)

(٤) هم أبو الطاهر يحيى بن محمد بن خليفة، الدوري، السعدي، الحنطلي، المشهور به «الربيع ابن عبيد» لقبه، حموي، نعوي، مزني، قتيبة، مرفعي، ولد سنة ١٨٩١هـ قال ابن كثير: «صنف كتاباً مفيداً... وكان على طبع السلف من الاعتقاد... وكان من خيار الورع، وأحبهم سيرة، وأجمعهم عن الظلم». من مصنفاته: «الإيضاح من معاني الإضاح»، و«العبادات على مدع أحمد بن حنبل»، و«تلخيص إصلاح المسوق لآب السكينة» توفي مسجوراً سنة ٤٦٠هـ. وعمره (٦١) سنة. وعنه ابن الجوزي انظر الفتاوى والنهاية (١/١٢٠، ١٢٥٠) سير أعلام النبلاء (١٢١/٢٤٥)

(٥) دليل طبقات الحنابلة (٣/٢٧٣)



نعمه، ولا تعلمه، وإنما تلو، متعدين بألفاظه، فهي فله من خرج<sup>(١)</sup>.

وزيد الشاطبي<sup>(٢)</sup> بطلت الأمر جلاء - بما لا يوجد في مكان غيره - قاللاً، فمن حيث كان القرآن شعراً أحسن الفصحاء، وأعجز اللغات أن يأنوا مثله - فذلك لا يُخرجه عن كونه عربياً حارياً على أساليب كلام العرب، مُبشراً لنعمهم فيه عن الله ما أمر به ولهم، لكن بشرط الأثرية في النسخ العربي. إذ لو خرج بالإصحاح عن إدراك العقول لمعابه لكان عظامهم به من تكليف ما لا يُطاق، وذلك مرفوع عن الأئمة.

وهذا من جملة أوجوه الإعجازية فيه إذ من العجب ليراد كلام من جسد كلام البشر في اللسان والمعاني والأساليب، مفهوم معلوم، ثم لا يفكر البشر على الإنشاد بسورة مثله. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَذَا مِن تَذَكُّرٍ﴾ (القمر ١٧).

وعلى أي وجه فُرِضَ إصحازه، فذلك غير مانع من الوصول إلى فهمه وتعلق معانيه، ﴿كَتَبْنَا لِرَبِّكَ بِأَنَّكَ مِنزَلُ الْكُتُبِ وَإِنَّا لَآئِبُونَ﴾ (ص ١٢٩)، فهذا ينزح إمكان الوصول إلى التفسير والفهم<sup>(٣)</sup>.

وفند الشاطبي تلك قول متأخري الأصوليين، الذين فاضروا مهتة تدبر القرآن على العلماء المجتهدين دون غيرهم، فقال: «قول متأخري الأصوليين إن تدبر القرآن العظيم ونفهمه والعمل به لا يجوز إلا للمجتهد حاصلاً... قول لا مستند له من دليل شرعي أصلاً، بل الحق الذي لا شك فيه: أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلُّم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة؛ يجب عليه تعلُّمهما، والعمل بما علم منهما...»

(١) البيان في استخدام القرآن (ص ١٤٤)

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الملعبي، الفرناطلي، الأصولي، الحافظ، المالكي، المحقق، المجتهد، المشهور بالشاطبي، له استنساخات خطية، وفوائد مطبوعة، مع الحرص على ألباع السنة، واجتناب البدعة، وله مصنفات عديدة، منها: «الموافقات في أصول الفقه»، و«الأحكام»، و«المقاصد الشافية في شرح غلاصة الكافية» (توليها ٧٩٠هـ).

انظر: نيل الابتهاج بتلخيص الدجاج، لأحمد بابا الشكشي (ص ١٩ - ٥٠).

(٣) الموافقات (٣/٣١٦ - ٣١٧).

ومما يوضح ذلك: أن المحافظين الأوليين به، الذين سرتَ فيهم، هم المناهضون والكفار، وليس أحد منهم مُستكبراً لشروط الاجتهاد المقررة - فلو كان المراد لا يجوز أن يتتبع بالعمل به والاعتناء به، إلا المجتهدون بالاضطلاع الأصولي، لَمَا وَجَّعَ اللهُ الكفار، وأنكر عليهم عدم الاعتناء به. ولما أقام عليهم الحجة به...

فالقول: يمتنع العمل بما قَلِمَ من الكتاب والسنة حتى يُخْصَلَ رُتْبَةُ الاجتهاد المطلق، هو عين الشغبي في حرمان جميع المسلمين من الانتفاع بنور القرآن. وقولهم: أن كتاب الله وسنة رسوله في هذا الزمان أسير منه كثير من القرون الأولى، سهولة معرفة جميع ما يتعلق بذلك، فكل آية من كتاب الله قد عُقِمَ ما جاء فيها من النبي ﷺ، ثم من الصحابة، والتابعين، وكبار المفسرين<sup>(١)</sup> وهناك فرق بين التثنية وبين تفسير مراد الله واستنباط الأحكام الشرعية. والتي هي مهنة العنقاء الراسخين، وهناك درجات ومنازل من القهم، والإعتراف، والتذكر، والأذكار، والأنعاط، ومحاسبة النفس، لا يعنى أحدٌ في تركها<sup>(٢)</sup>

#### خامساً: حجب كتب التفسير

من حجب كتب التفسير ولم يطالعها، ولم يعرف أسباب النزول أو التامخ من المسوح، ونحو ذلك من علوم القرآن، كيف يحصل له تدبر القرآن؟ ومتى يوفق إلى المعنى المراد؟

ولا غرو أن نعجب الضريءة<sup>(٣)</sup> من أراد التلذذ بقراءة القرآن، وهو لا يعرف تفسير الآيات المتلوذة، فقال: «إني أحبُّ من قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يُلذُّ بقراءته»<sup>(٤)</sup>.

وصاحب هذا المتهج لا يسلم - غالباً - من الخطأ في فهم الآيات، والاستدلال بها، أو الخطأ في تطبيق بعض الآيات والعمل بها.

ومما يدلُّ على ذلك ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنا

(١) انظر: تدبر القرآن (ص ٤٦)

(٢) أضواء البيان (٧/ ٢٥٨ - ٢٦٤)

(٣) معجم الأسماء، (٥/ ٢٥٦)

بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا ضفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل نصر حثنة نزل غابرة، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحتمل رجل من المسلمين على صف الروم، حتى دخل بينهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! يلقى بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الأنصاري، فقال: وما أيها الناس! إنكم تأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية بيننا - معشر الأنصار، أما أمر الله الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بغضنا لبعض سبب دون رسول الله ﷺ، إن أمواتنا قد ضاعت، وإن الله قد أمر الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أفنا في أمواتنا، فأضلنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبي ﷺ - يرؤ علينا ما قلنا.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، فكانت التهلكة الإقامة على الأموات وإصلاحها، ونزكنا العزوة.

لما زال أبو أيوب شاجصاً في سبيل الله، حتى قهر بلزمت الروم<sup>(١١)</sup> والشاهد من هذا الإيراد، أن بعض التابعين تأول الآية عن غير مراد الله تعالى - وهم من أفضل القرون، وأقرب إلى عصر التنزيل - فكيف بزماننا حيث صارت الألسن أقرب إلى الأعجمية منها إلى العربية، فما أحوجنا إلى الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور، ليحصل لنا فهم كلام الله ﷺ<sup>(١٢)</sup>.

سبباً: التشاغل بكثرة التلاوة:

لا ريب أن الآيات والأحاديث والأخبار الواردة في فصائل التلاوة تُشجع

(١١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٩/١١) ج (٢٧١١) والحاكم في «المستدرک» (٢/٢٠٢-٢٠٣) ج (٣-٨٨)، وقال «صحيح على شرط الشيخين»، ولم يخرجناه وواقفه اللغوي والترمذي - واللغة ل (١٢٢٢/٥١) ج (١٩٧٢) وقال: «حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/١٩٢) ج (٢٩٧٠)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٨/١) ج (١٣).

(١٢) للاستزادة في معرفة بعض الآيات التي يهجم ظاهرها التعارض، انظر: تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، لابن أبي عمير، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشقيطي.

على الإكثار منها، ويعضد ذلك اقتصار كثير من المذكرين والوعاظ على الروايات المنقولة عن السلف في كثرة القراءة، وعدد الختمات في وقت وجيز، مع إعراضهم عن نقل نهي السلف عن سرعة القراءة، وإعراضهم كذلك عمّا ورد عن السلف في تعظيم شأن التدبُّر والحضّ عليه، وما أُثِرَ عنهم من تفاعلهم ووقوفهم عند معاني الآيات.

ففي الحثّ على التدبُّر آيات، وأحاديث، وأحوال للسلف، أكثر عدداً من مثيلاتها الدالة على فضل القراءة، بل أقوى حجّة وأعمق أثراً، لو تأملها الناس لما اقتصروا على التلاوة، ولما هجروا تدبُّر القرآن، قال النووي رحمته الله: «ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبُّر والخضوع؛ فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تشرح الصدور، وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تُذكر»<sup>(١)</sup>. فاستحباب كثرة التلاوة لا ينبغي أن يؤدي إلى ترك التدبُّر، ولذا جاء النهي عن قراءة القرآن في أقلّ من ثلاث؛ من أجل التدبُّر والتأثر والانتفاع بالآيات.

فكثرة التلاوة المؤدّبة إلى هجر التدبُّر حالة ليست بمحمودة بل هي من تلبس إبليس على القراء، وفي ذلك يقول ابن الجوزي رحمته الله: «وقد لبسَ على قوم بكثرة التلاوة، فهم يهذون هذاً، من غير ترتيل ولا تثبت، وهذه حالة ليست بمحمودة»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «وقد رأيتُ مَنْ يجمعُ النَّاسَ ويقبمُ شخصاً ويقرأ في الثَّهَارِ الطَّوِيلِ ثلاثِ ختماتٍ؛ فإنَّ قَصَرَ عَيْنٍ، وإنَّ أتمَّ مُدِيحٍ، وتجمعُ العوامُّ لذلك ويُحسِنونه، ويُرَبِّهم إبليسُ أنَّ في كثرةِ التلاوةِ ثواباً، وهذا من تلبسه؛ لأنَّ القراءةَ ينبغي أن تكونَ لله تعالى لا للتَّحسينِ بها، وينبغي أن تكونَ على تمهّلٍ، وقال رحمته الله: ﴿لِنَقْرَأْ عَلَى آتَائِنَ عَلَى مَكُونٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأذكار (١/٨٧). وانظر: البيان في آداب حملة القرآن (ص٤٢)؛ المجموع (٢/١٨٧).

(٢) تلبس إبليس (ص١٧٥). (٣) المصدر نفسه (ص١٣٨).





المبحث الثالث

الأمر المعينة على التدبّر

## الأمور المعينة على التدبّر

تمهيد:

مَنْ أَقْبَلَ عَلَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاسْتَشْعَرَ أَنَّهُ خَطَابٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُوجَّهٌ إِلَيْهِ، يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ مَفَاتِيحَ سَعَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ إِنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَهُ سَيَتَغَيَّرُ حَالُهُ إِلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ الْإِيمَانِيَّةِ لَا مُحَالَةَ، فَيُمَثِّلُ هَذَا الشَّخْصَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى وَسَائِلِ تَعِينِهِ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ مَهَيِّاً لِلْمَضِيِّ نَحْوَ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

غَيْرَ أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْنَا - فِي الْبَدَايَةِ - أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ؛ بِسَبَبِ مَا وَرَثْنَاهُ مِنْ أَنْمَاطِ التَّعَامُلِ الْخَاطِئِ مَعَ الْقُرْآنِ، مِمَّا جَعَلَ بَرَزْخاً بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْإِنْتِفَاعِ بِالْقُرْآنِ.

وَهُنَاكَ سَبِيلٌ لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ يُحَصِّلُ بِهَا مَنْ أَرَادَ التَّدَبُّرَ مُبْتِغَاهُ، وَيَجْنِي بِهَا قَلْبُهُ لَطَائِفَ وَمَعَارِفَ وَأَحْوَالاً مَا كَانَ لِيَحْصَلَ عَلَيْهَا، بَلْ لَمْ تَخْطُرْ لَهُ عَلَى بَالٍ؛ وَبِدُونِ هَذِهِ السَّبِيلِ - الْمُسَاعِدَةِ عَلَى التَّدَبُّرِ - سَيَتَعَثَّرُ دُونَ غَايَتِهِ، وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ مُبْتِغَاهُ، وَإِنْ أَدْرَكَ شَيْئاً فَإِنَّمَا هُوَ قَلِيلٌ، لَا يَشْفِي عَلِيلاً وَلَا يَرْوِي غَلِيلاً، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّزْكَشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ، وَفَهْمٌ، وَتَقْوَى، وَتَدَبُّرٌ لَمْ يُدْرِكْ مِنْ لَذَّةِ الْقُرْآنِ شَيْئاً»<sup>(١)</sup>.

أَمَّا وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّا - لَكِي نَصَلَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ لَذَّةِ الْقُرْآنِ - نَحْتَاجُ مَعْرِفَةَ السَّبِيلِ الْمُعِينَةِ عَلَى التَّدَبُّرِ، وَهِيَ تَنْطَلِقُ مِنْ قَاعِدَةٍ: «تَيْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلذِّكْرِ»، فَمَا دَامَ الْقُرْآنُ مُيسِّراً لِلذِّكْرِ فَلَا بَدَأَ أَنْ تَكُونَ وَسَائِلُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ مُيسِّرةً، وَلَكِنْ تَحْتَاجُ مَبْأَ إلى جِدِّ وَاجْتِهَادٍ، وَبِذَلِّ وَعِزْمٍ وَصَبْرٍ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧١).

هوام الناس الذين حفظهم من القرآن تلاوته، ولا علم لهم بتفسيره، الذي هو مفتاح التدبر<sup>(١)</sup>

وما يأتي تفصيل لأهم سل تدبر القرآن العظيم

١ - تحسين التلاوة:

أمر الله تعالى بتربيل القرآن - الباعث على تدبره وفهمه - في قوله: ﴿وَتَرَى الْقَوْمَ آتِيًا إِلَيْكَ الزُّجَّالَ ۝ وَحَتَّىٰ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّفْسِ بِالْقِرَاءَةِ وَتَحْسِبُهَا فِي قَوْلِهِ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَفَنَّ بِالْقُرْآنِ»<sup>(٢)</sup>

فإن ابن كثير يكتفي: «المطلوب شرعاً، إنما هو التحسين بالصوت، الباعث على تدبر القرآن وفهمه، والحرص والحضور، والانقياد للمطاعة»<sup>(٣)</sup>

وبين المرعي يكتفي أن الترتيل طريق إلى التدبر، في قوله: «الترتيل أفضل من الهدأ إذ لا يصح التدبر مع الهدأ»<sup>(٤)</sup>

والإسراع في القراءة يدل على عدم الوفاء على المعاني... فظهر أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب، وكمال المعرفة»<sup>(٥)</sup>

وكذا قال النووي يكتفي «قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر وظهر... لا ذلك أمرت إلى التوقير والاحترام، وأنت تأتيراً في القلب»<sup>(٦)</sup>

وأيد ذلك الشيوخي يكتفي بقوله: «تسبب القراءة بالتدبر والفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم»<sup>(٧)</sup>

والسبب في كراهة جمهور أهل العلم القراءة بالألحان: «المروحة عند حاء القرآن له من الحشوع والفهم»<sup>(٨)</sup>

والله تعالى نعمت الناس بتدبر القرآن، كما تعبثهم بالتلاوة، قال الله تعالى:

(١) انظر العودة إلى القرآن (ص ١٦٧)، تدبر القرآن (ص ٤٧)  
 (٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب: «وَلَمَّا قُرْئَ لَكُمْ مِنْهُ لَعَنَ السَّامِعُ» (١٧٤/١٥)  
 (٣) معاني القرآن (ص ١٩٤)  
 (٤) تفسير القرطبي (١٤٨/٤٨٢)  
 (٥) البيان في أدب حملة القرآن (ص ٤٦)  
 (٦) التصريح الكبير ١/١٥٢، ١٥٣  
 (٧) الاتفاق في علوم القرآن (١١/١٨٣)  
 (٨) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٨٠)

﴿ كَتَبَ آتْرَافَهُ إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَتَّبِعُوا تَهْتَبُوا، وَيَتَذَكَّرُوا أَلْوَابِ﴾ (ص ١٢٩). فالمقصود الأعظم من إنزال القرآن - هو التدبر والتفكير في آياته، والعمل به؛ لا مجرد التلاوة مع الإعراض عنه<sup>(١)</sup>

٢ - قراءة الليل:

مما يعين على تدبر القرآن، والتأمل في آياته ومواعظه وعبره، صلاة الليل والقراءة فيه. وفي ذلك يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ آتِئْتَهُ اللَّيْلَ مِنْ لَدُنْكَ وَقَفَا وَأَقْرَبَ فَيَلَا﴾ (المرسل ١٦)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «وقوله: ﴿وَأَقْرَبَ فَيَلَا﴾: هو أحقر أن يفقه في القرآن»<sup>(٢)</sup>؛ لأن قيام الليل أصوب قراءة، وأصح قولاً من النهار؛ لسكون الأصوات في الليل، فيتدبر في معاني القرآن»<sup>(٣)</sup>

وذكر ابن عاشور رحمته الله الحكمة من اختصاص الليل بالقيام، فقال: «والمعنى: أن صلاة الليل أوفق بالمصلي بين السداد والقلب، أي بين النطق بالألفاظ، وتفهم معانيها؛ للهدوء الذي يحصل في الليل، وانقطاع الشواغل... وأعود على المزيد من التدبر»<sup>(٤)</sup>

ومن أجل ذلك كان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل ليلة من رمضان، قال ابن حجر رحمته الله - عن هذه المداينة المباركة: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعيارض الدنيوية والدينية»<sup>(٥)</sup>

شواهد على فضل قراءة الليل

من أوضح الشواهد انشأه على فضل قراءة القرآن بالليل:

- (١) انظر: متاح دار السعادة (ص ٢١٥).
- (٢) رواه أبو داود (٣٢/٢) (ج ١٣٠٤) والبيهقي في «الكبرى» (٢/٥٠٠) (ج ١٤٤١٤) وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/٢٥٧) (ج ١٣٠٤).
- (٣) حود المعبود شرح سنن أبي داود (٤/١٣٣).
- (٤) التحرير والتنوير (٢٩/٢٤٥ - ٢٤٦).
- (٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٤٥).

« نساء الله تعالى على تلاوة القرآن، ﴿ يَتْلُونَ كِتَابَهُ لَعَلَّ يَذَكَّرَ أَلْبَابٌ ﴾ .  
 (آل عمران، ١٧٢).

« وفوهة ﴿﴾ - عن شفاطة القرآن لصاحبه يوم القيامة: « - وَظُقُولُ الْقُرْآنِ -  
 رَبِّ مَنَعَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَعَنِي فِيهِ... »<sup>(١١)</sup>.

٣ - الإصصاء عتد سماعه:

أمر الله تعالى عبادة المؤمن بالاسماع والإصصاء عند قراءة القرآن، كي  
 ينفعوا به، ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح<sup>(١٢)</sup>، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْنَا  
 إِلَى الْقُرْآنِ أَنْ تَتْلُوا لَمْ وَأَنْصِتُوا لَكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام ١٢٠].

والمعنى - كما قال الطبري<sup>(١٣)</sup>: «أصغوا سمعكم لتتفهموا آياته، وتعتبروا  
 بما وعظ، وأنصتوا إليه لتعقلوه، وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه...  
 ليرحمكم ربكم بالمعظمتكم بما وعظ، واعتباركم بحره»<sup>(١٤)</sup>.

فبالإصصاء للإسماع والإصصاء - عند تلاوة القرآن - سبيلاً حياً كثيراً،  
 وعلماً عزيزاً، وبيئاتاً مستراً متحفداً، وهدياً متزاهداً، وبصيرة في دهره<sup>(١٥)</sup>.

وإن العكوف على هذا القرآن - في وعي وتدبر - لا مجرد التلاوة والترجم -  
 يُنشئ في القلب والعقل من الرقوة الواضحة السعيدة المدى ومن المعرفة  
 المطلقة المسبقة، ومن الحرارة والحيوية والانطلاق، ومن الإيجابية والعزم  
 والنصيم، ما لا تغايه راحة أخرى، أو معرفة، أو تحريم<sup>(١٦)</sup>.

٤ - حسن الانتداء والوقف:

هذا يعين على تدبر القرآن والتفكر في معانيه، مراعاة حسن الانتداء والوقف  
 أثناء التلاوة، وهناك بعض الآيات لها تعلق بما قبلها أو بعدها، وكثير من القرآء

(١١) رواه أحمد في المستند (١٧٤/٢) ج (١٦٦٢٦) وإبراهيم في المسند (٥٩/١) ج (١٤٩٦) وشعيب في المسند (١٧١-١٧٢) ج (١٦٠٣٦) وقال: «صحيح على شرط مسلمة ووافقه النووي وصححه الألباني في صحيح الجامع» (١٦٠/٢) ج (١٣٨٨٢) وصححه الترمذي (١٥٧٩/١) ج (١٩٨).

(١٢) انظر فتح القدير (٢٨٠/٢) (١٣) تفسير الطبري (٢٠١/٦)

(١٤) تفسير السعدي (٣١٤/١) (١٥) في ظلال القرآن (١١٢٦/٣)

(١٦) تفسير السعدي (٣١٤/١)



لا يُراعون حسن الابتداء أو الوقف، ولا يتفكرون في ارتباط الكلام بمضه بعض، ولا يتأملون معاني الآيات، بل جُل عملهم هو التقيّد بالأعشار والأحزاب والأجزاء، ممّا يُلَوِّتُ فُهْمَ كثير من الآيات على وجهها الصّحيح.

معالج من الابتداء والوقف المتنوع

لمن أمثلة الأجزاء: قوله تعالى ﴿وَالْحَصْحَكُ مِنَ الْبَيْتِ...﴾ [النساء: ١٢٤]، وقوله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لِقَايَ رَبِّكُمْ قَبِيْرًا...﴾ [يوسف: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَفَرْتُمْ جَاءَكُمُ الْقَوْلُ...﴾ [المعنكوت: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْتِنِ يَمَكِّنْ يَدَهُ وَرَسُولِهِ...﴾ [الأنعام: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْنَا عَلَى نَفْسٍ مِنْ نَفْسِهِمْ مِنْ خَدَوْنٍ أَلَسْنَا بِهَذَا...﴾ [النمل: ٢٨]، وقوله تعالى ﴿إِنِّي زِدُّهُمْ فَهْمَ النَّاسِطِ...﴾ [اصط: ١٧].

ومن أمثلة الأحزاب: قوله تعالى ﴿وَأَنْظُرُوا إِلَىٰ آيَاتِنَا أَنْتُمْ تُعْتَدُونَ...﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ [آل عمران: ١١٥].

قال الشنوي رحمه الله: «فكلُّ جمادٍ وشبهه، ينبغي ألاَّ يُبدأ به ولا يُوقف عليه، لأنّه متعلّق بما قبله، ولا يفترون بكثرة الفاعلين له من الغراء الذين لا يُراعون هذه الأداب، ولا يتفكرون في هذه المعاني...»

ولهذا المحيى قالت العلماء: قراءة سورة قصيرة يكملها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة، فإنّه قد يحفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال<sup>(١)</sup>

٥ - فهم المعاني

فم الله تعالى من عرض عن فهم كتابه فقال سبحانه: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَفْقَهُوا قَوْلِي بَعْدَ حَيْثُ كُنَّا﴾ [النساء: ٧٨].

والجهل بمعاني القرآن بصرف عن تدبّره ونلفذ القلب بقراءته، وفي ذلك يقول الطبري رحمه الله: «إنني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تلاوته، كيف يلتذّ بقراءته»<sup>(٢)</sup>.

١١ الشبان في كتاب حملة القرآن (ص ١٥٦ - ١٥٧) وانظر تفسير القرآن (ص ٣١ - ٣٧).

(٢) مجمع الأمثال (٥/٢٥٦).

وقد تعجب القرطبي رحمته الله أيضاً - ممن قصد التدبر والعمل بالقرآن مع جهله بمعناه، قائلًا: «وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده، وما فرض عليه، فيستفح بما يقرأ، ويعمل بما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدره، فما مثل من هذا حاله إلا كمثل الحمار يحمل أسفارا»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا السياق يقول ابن الجوزي رحمته الله: «كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث، فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون: يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن، وأن نعتد على الكتب المشهورة في الحديث... ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً، وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها... وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة، فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه؟»<sup>(٢)</sup>.

والقرآن العظيم قد يُسرت معانيه كما يُسرت ألفاظه، قال السعدي رحمته الله - مُعلقاً على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القم: ١٧].

«ولقد بشرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم؛ لأنه أحسن الكلام لفظاً، وأصدق معني، وأبينه تفسيراً. فكل من أقبل عليه، بشر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه...»

ولهذا كان علم القرآن، حفظاً وتفسيراً، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق. وهو العلم النافع، الذي إذا طلبه العبد، أُعِين عليه»<sup>(٣)</sup>.

وتعلم معاني القرآن أولى من تعلم حروفه، وفي هذا الشأن يقول ابن تيمية رحمته الله: «دخل في معنى قوله: ﴿خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ﴾<sup>(٤)</sup> تعليم حروفه ومعانيه جميعاً؛ بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان كما قال جندب بن عبد الله، وعبد الله ابن عمر وغيرهما:

(٢) تليس إبليس (ص ١٤٥).

(١) تفسير القرطبي (١/٢١).

(٣) تفسير السعدي (٥/١٣٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٣/١٦٢٠) (ح ٥٠٢٧).

تعمسا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فارجعنا به إيماناً<sup>(١١)</sup>

والفرق بين معرفة الألفاظ والمعاني، كالفرق بين الليل والنهار، وفي ذلك يقول إياس بن معاوية<sup>(١٢)</sup> : «مَثَلُ اللُّغَمِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْرِفُونَ التَّفْسِيرَ: كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَكِّهِمْ لَيْلًا، وَبَيْنَ عِنْدِهِمْ مَصْبَاحٌ، فَتَدَاخَلْتَهُمْ رُوحًا لَا يَسْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ: كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمَصْبَاحٍ، فَقَرَأُوا مَا فِي الْكِتَابِ»<sup>(١٣)</sup>.

وفد أحسن القائل:

إِنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ جَلَّتْ حَسَابُهَا      فَنَاحَهَا مَا بِهِ الْإِيمَانُ قَدْ وَجِبَا  
هُوَ الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ، اللَّهُ يَخْفِظُهُ      وَبَعْدَ ذَلِكَ عِلْمٌ فَرَجَّحَ الْكُرْبَا  
وَأَمَّا بَعْضُهُمْ كَتَبَتْ اللَّهُ، فَبِهِ أَنْتَ      كَلُّ الْعُلُومِ، لَمْ تَرَ الْعَمَّا<sup>(١٤)</sup>

٦ - الوقوف عند المعاني

والمقصود بذلك أن يقف القارئ عند المعنى فلا يتجاوز به إلى غيره،  
مثلاً له، ومذكراً به.

ومن أبلغ الشواهد وأوضحها ما رواه حذيفة رضي الله عنه - حيث قال: «صَلَّيْتُ  
مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَفْتَنَنِي الْبُفْرَةُ... ثُمَّ افْتَنَنِي النِّسَاءُ فَفَرَّأَهَا، ثُمَّ افْتَنَنِي آلُ  
عَمْرٍاءَ فَفَرَّأَهَا، يَفْرَأُ مَنزُلاً، وَإِذَا مَرَّ نَابِيَةً بَيْنَهَا نَسِيجٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ،  
وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ»<sup>(١٥)</sup>.

(١١) مجموع الفتاوى (١٠٣/١٣)

(١٢) هو الشاعر الجليل إياس بن معاوية بن فزارة بن إياس المروزي (أبو وائلة) البصري، القاضي المشهور باندكياه، قال ابن حجر: «ثقة، من الحاشية». ولجده ضحية، وقال ابن حنبلان: «هو الشاعر البليغ، والأعمرى المصعب، والمعدود مثلاً في الدكاء، والفقعة، ورأى أهل القضاة والرأحة». توفي سنة (١٣٢٢هـ).

انظر تقريب التهذيب (١/١١٧)، وفيات الأعيان (١/٢٤٧).

(١٣) تفسير ابن عطية (١٠٠/١)، تفسير القرطبي (١/٢٦).

(١٤) انظر تفسير القرطبي (١/١١٧).

(١٥) دواء منعم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استجاب تطويل القراءة في صلاة الليل (١٥٣٦١) (ج ١٧٧).

وصفة الموقف عند المعاني: «أن يتأمل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه وما مضى اعتد به واستعصره، وإذا مر آية رحمة استبشر وسأل، أو عتاب استمع وبعث، أو تنبيه نزه وعظم، أو دعاء نصيح وطلب»<sup>(١١)</sup>.

ومعنى للتالي: أن يتوضح من كل آية ما ينشأ بها، ويتفهم ذلك، فإذا تلا قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١١]، فليعلم عظمته، ويتشبع بفضله في كل ما يراه، وإذا تلا ﴿الْمَرْيَمَ إِذْ نَسَتْ﴾ [الواقعة: ١٥٨]، فليتفكر في نطقه من مشابهة الأجزاء، كيف تنظم إلى لحم وعظم، وإذا تلا أحوال المكشبيين، فليستشر الحروف من استطوره إن فعل من اعتال الأمر.

ومعنى لتالي القرآن: أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصاص لم يرد بها الشر<sup>(١٢)</sup> بل الجزاء، فحينئذ يتلو تلاوة عبود، كأنه سئله بمقصوده، وليأمل الكتاب، ويعين مقتضاه<sup>(١٣)</sup>.

#### ٧ - تربية الآية المؤثرة في القلب

مما يُعين على تدبر القرآن والتفكير في معانيه، تربية الآية المؤثرة في القلب، وهذا الترتيب من أبرز صور الوقوف عند المعاني، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يُرثيها، والآية: ﴿إِن لِّقُدْرَتِهِمْ مُّجْتَمِعًا وَإِن لِّتَغْيِيرِهِمْ إِلَيْنَا لَكُنَّ الْقُرْبَىٰ لَفِكْرًا﴾ [المائدة: ١١٨]»<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: «قلوب علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر، لا استمعوا بها عن كل ما سواه، فإذا قرأ بعكرك حتى إذا مر آية - وهو محتاج إليها في شفاء

(١١) (الإمام في علوم القرآن (١: ٢٩٣).

(١٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٤٦).

(١٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١: ٢٧١) (ج ١٢٠)، والنسائي (٢: ٤٧٧) (ج ١١٠).

وابن ماجه (١: ٤٢٩) (ج ١٣٥)، والحاكم في المستدرکة (١: ٣٦٧) (ج ٨٧٩) وقال:

اصحیح - وله بحرفه ووافقه الشعبي وحده الألباني في اصحیح سنن النسائي (١: ٣٣)

(١٤) (ج ١٠٠٩) واصحیح سنن ابن ماجه (١: ٤٠١) (ج ١١٨).

فله - قرأها ولو مائة مرة، ولو لبغى ففراة أياً بتفكر وتفهم، خير من قراءة  
ختمه بغير تدبر وتفهم. وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، ووقفي حلالة  
القرآن<sup>(١)</sup>.

وقال ابن قدامة تالله: فإن تم بحصل التدبر إلا سرداً الآية،  
فليردّها<sup>(٢)</sup>.

وقال بشر بن السري<sup>(٣)</sup> تالله: «إنما الآية مثل الثمرة، كلما مصفتها  
استخرجت حلالاتها» فحدث به أبو سليمان، فقال «صدق» إنما يؤتى أحدكم  
من آله إذا ابتداء السورة أراد آخرها<sup>(٤)</sup>.

بمناجج من توريد الآية:

وردت نقول كثيرة ومتنوعة عن السبع الضالحة في توريدهم لبعض الآيات،  
ومن أبرزها ما يلي:

• عن مسروق<sup>(٥)</sup> تالله: «أدُ تليماً الذي رُفد هذه الآية حتى أصبح  
﴿لَمْ يَحِبَّ إِلَيْهِمْ أَنْجَحُوا الشَّيْطَانَ أَنْ يُفْتَلَهُمْ كَالْبَيْتِ مَاتُوا وَعَمِلُوا كَالْمُتَلَمِّذِينَ﴾  
[البقرة: ٢٦]»<sup>(٦)</sup>

(١) مفتاح دار السعادة (ص ١٨٧)

(٢) محضر مهاج الفاضل (ص ٥٦)

(٣) هو بشر بن السري (أبو عمرو) الأقرع، البصري، سكن مكة، وشي بالأموي، لأنه كان  
يتكلم بالمواعظ، قال ابن حجر: «كان واحطاً - فها، نفسه، تكلم فيه برأي جهه، شك  
احمد وثاب من التسعة» وقال أبو حاتم: «شك، صالح» أخرج له الشافعي، توفي سنة  
(١٩٥هـ)

انظر: تقريب التهذيب (١/٦٢٣)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢٩٢٢)

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/٤٧١)

(٥) هو مسروق بن الأجدع بن مالك النهدي النواصي (أبو عاتقة) الكوفي، من كبار أئمة  
التابعين وفضاهم، ثقة حاد. أخرج له الشافعي، توفي سنة (٦٣هـ).

انظر: تقريب التهذيب (٢/٦١٢)

(٦) رواه الطبراني في الكبير (٢١/٥٠) رقم (٦٢٤١)، وابن المبارك في البرهان (ص ٣٦)  
(رقم ١٢٩٤) والسيوطي في المراد المستنور (٧/٤٢٦) - وانظر - مختصر قيام الليل  
(ص ١٥١)، البيان في آداب حملة القرآن (ص ١١٠)



وكذا قام بها الربيع بن خثيم<sup>(١)</sup> رحمته الله.

\* عن عبّاد بن حمزة<sup>(٢)</sup> رحمته الله قال: «دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ طَلَبْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧]، فَوَقَفْتُ عليها، فجعلت تستعبد وتدعو، قال عبّاد: فذهبت إلى السوق ففصيت حاجتي، ثم رجعت، وهي فيها بغد، تستعبد وتدعو»<sup>(٤)</sup>.

\* عن رجل - من أصحاب الحسن البصري رحمته الله قال: «بينا أنا ذات ليلة عند الحسن فقام من الليل يصلي، فلم يزل يردد هذه الآية، حتى أسحر: ﴿وَإِنْ تَسُدُّوا بِعَمَتِ اللَّهِ لَا تُخْشِعُوهُمْ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فلما أصبح، قلنا: يا أبا سعيد، لم تكن تُجاوِز هذه الآية سائر الليلة، قال: إن فيها مُعْتَبَرًا، ما ترفع طرفاً ولا ترد، إلا وقع على نعمة، وما لا نعلم من نعم الله أكثر»<sup>(٥)</sup>.

قال الثوري رحمته الله: «وقد بات جماعة من السلف، يتلو الواحد منهم الآية الواحدة، ليلة كاملة أو معظمها، يتدبرها عند القراءة»<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن القيم رحمته الله: «وهذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصباح»<sup>(٧)</sup>.

(١) هو الربيع بن خثيم بن عائد بن عبد الله الثوري التميمي (أبو يزيد) الكوفي، من كبار التابعين وزهادهم، قال ابن حجر: «ثقة، عابد، مخضرم، من الثانية». من خيار أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، توفي سنة (٨٦٣).

انظر: تقريب التهذيب (٢٠٦/١)؛ معرفة الثقات (٣٥١/١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٤/٢) (رقم ٨٣٧١) (١٤٥/٧) (رقم ٣٤٨٤٧).

(٣) هو عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، القرشي، المدني أخو عبد الملك، قال ابن حجر: «ثقة، من الثالثة». روى عن جده أبيه أسماء، وأختها عائشة، ابنتي الصديق رضي الله عنه. انظر: تقريب التهذيب (٢٨٩/١)؛ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي (١١/٢).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥/٢) (رقم ٦٠٣٧). وانظر: مختصر قيام الليل (ص ١٤٩)؛ النيان في آداب حملة القرآن (ص ١١١).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (١٥٩/١) (رقم ٥٣). وانظر: مختصر قيام الليل (ص ١٥١).

(٦) الأذكار (ص ٨٧). وانظر: المجموع (١٨٧/٢)؛ النيان في آداب حملة القرآن (ص ١٠٨).

(٧) مفتاح دار السعادة (ص ١٨٧).

## ٨ - معرفة ضليح القرآن.

من لم يعرف أساليب القرآن، سجد نفسه عرياً عن آيات القرآن، وتراكيب جملته، وسبعاني لفهمها ما يعاني، ومعرفة هذه الأساليب مئاً يعين على تليج القرآن، وهي كثيرة ومتنوعة، من أبرزها ما يلي:

• ختم الآيات بأسماء الله الحسنى، ليدل على أن انحنكم المذكور له تعلق بلبث الاسم الكريمة<sup>(١)</sup>.

• ومن أساليب القرآن: احتواءه على أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلى القلوب بأسر طريق وأوضحه، ومن أبرز أنواع تعليمه العالي: ضرب الأمثال، فتوضح المعاني الشائعة، وتُمثل الأمور المحسوسة، كأنها تُرى رأي العين، وهذا من عناية الله تعالى ولطفه بعباده<sup>(٢)</sup>.

• وقد ذُكر الزركشي ثلاثة اثنين وأربعين أسلوباً من أساليب القرآن منها: التوكيد، والحذف، والتقديم، والاستطراد، والاتصاف، والتضمين، والشعر عن المستعمل بلفظ الماضي وعكس، والتشويش، والإعراض، والشورية، والقطاق<sup>(٣)</sup>.

• ومن أساليب القرآن الوصف الحي بالصورة المحسوسة، والحركة المتجددة الشائفة بالحقيقة، فإذا الحوادث والقصص والمناظر شائفة حاضرة، فإذا انضم إليها الحوار امتوت للقارئ عناصر التأثير فيسي أن هذا كلامٌ ينلي، أو مثل يُطرب، فيتفاعل مع الحدث، لا مع حكاية الحدث، وهذه سمة القرآن، وهي معجزة من معجزاته<sup>(٤)</sup>.

• ومن أساليب القرآن الحذف وقد ذكر ابن القيم ثلاثة أمثلة عن ذلك، فقال: «وهو - سبحانه - يذُكر جواب القسم تارة، وهو العائب، وتارةً يحذف كما يحذف جواب (لوا) كقوله تعالى: ﴿لَا تَوْفَّيْتُمْ أَنفُسَ الَّذِينَ هَوَىٰ آهْوَاؤُهُمْ لِيُتَّقُوا اللَّهَ﴾ [التكوير: ١٥].

(١) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص ٥١).

(٢) انظر: المصدر ص ٦٥.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٩٧) وما بعدها.

(٤) انظر: التصوير الفني في القرآن - ليدلف (ص ٣٦) - ٢٢٢٩.

وقوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تُمَاكَ شَيْتَ بِهِ الْجِنَالُ لَوْ قَطَعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ (المرصد: ١٣١)، ﴿وَلَوْ تَزَىٰ إِذَ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَلَكَ﴾ (الاسد: ١٥٠)، ﴿وَلَوْ نَزَّ إِذَ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (الانعام: ٣٠)، ومثل هذا خلقه من أحسن الكلام لأن المراد أنك لو رأيت ذلك لرأيت هولاً عظيماً. وهذه عادة الناس في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبة، وأرادوا أن يثيروا بها العائب عنها، يقول أحدهم: لو رأيت ما جرى يوم كذا<sup>(١)</sup>.

• ومن أساليب القرآن الالتفات، وهو: كما قال الزركشي في اللغة: انقلبت الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر نظيرة واستدراجاً للشامع، وتنجيداً لشاطئه، وصيانة لخاطره من العلال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سعة<sup>(٢)</sup> والالتفات له أنواع كثيرة، ومنها:

الالتفات من المتكلم إلى الخطاب، كقوله: ﴿إِنَّمَا هِيَ قِطَابَةٌ لِّمَن يَعْلَمُ﴾ (الفتح: ١ - ٢)، ولم يقل: لتعلمنك.

من المتكلم إلى الغيبة، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَطَّلَعْتُ الْكَوْبَةَ﴾ (فصل إبراهيم: ١ - ٢)، ولم يقل: فصل لنا.

من الخطاب إلى المتكلم، كقوله: ﴿قُلْ اللَّهُ أَشْرَفُ مَكَرًا إِذْ رُسُلًا يَكْفُرُونَ مَا فَتَكُورُونَ﴾ (يونس: ١١).

من الخطاب إلى الغيبة، كقوله: ﴿حَسْبُ يَوْمًا كُنْتُمْ فِي اللَّهِ وَرَجَّيْتُمْ بِهِمْ﴾ (يونس: ١٢)، ولم يقل: وجرين لكم.

من الغيبة إلى المتكلم، كقوله: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (فصل جثم شبنم: ١٨٨ - ١٨٩).

من الغيبة إلى الخطاب، كقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْتَوْتُمْ وَرُحُومَهُمْ أَكْرَمُ﴾ (آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧).

• ومن أساليب القرآن في التعت:

١ - التذكير بالأمر وعظمته:

(١) البيت في تمام القرآن (ص ٣ - ٤) (٢) المراد: في علوم القرآن (٣١، ٣٢)

(٣) نظر المصنف ص ٣١٥/٣ - ٣٢٤

٢ - التَّشْوِيقُ لِلأَجْرِ وَكَثْرَتُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ يُجْرِمُونَ﴾ [الصَّف: ١٠].

٣ - التَّذْكِيرُ بِمَنْزِلَةِ المَأْمُورِ وَحَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ.

٤ - التَّهْيِيجُ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ﴾ [غَافِر: ٥٥]. «هَذَا تَهْيِيجٌ لِلأُمَّةِ عَلَى الاستِغْفَارِ»<sup>(١)</sup>.

٥ - الِاعتْبَارُ بِحَيَاةِ الأنْبِيَاءِ وَأَعْيَانِ الصَّالِحِينَ.

\* وَمِنْ أسَالِيبِ القُرْآنِ فِي التَّنْهِي: التَّبْغِيزُ لِلْفِعْلِ، أَوْ التَّهْنِيطُ بِأَصْحَابِهِ أَوْ السُّخْرِيَةِ مِنْهُمْ، أَوْ ذِكْرُ عَاقِبَةِ مَنْ فَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ وَصْفُ خَسَارَتِهِ فِي الآخِرَةِ، أَوْ عَطْفُهُ عَلَى مَا هُوَ أَشْنَعُ مِنْهُ، وَمَا هُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ النُّفُوسِ، أَوْ الِاعتْبَارُ بِالأَمْرِ الظَّالِمَةِ وَأَعْيَانِ المَعَانِدِينَ.

قال القُرطُبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ يَمْشُونَ﴾ [الجمعة: ٥]. «فِي هَذَا تَنْبِيهٌُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ حَمَلَ الكِتَابَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ، وَيَعْلَمَ مَا فِيهِ؛ لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنَ الدَّمِّ مَا لِحِقَ هَؤُلَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

\* وَمِنْ الأسَالِيبِ المُشْتَرَكَةِ فِي الحَثِّ وَالتَّنْهِي: التَّشْبِيهِ، وَالكِنَايَةُ، وَالتَّضْمِينُ، وَالمُقَارَنَةُ، وَالفَصْصُ، وَالتَّأَكِيدُ، وَالتَّخْصِيسُ، وَالتَّفْصِيلُ وَالإِجْمَالُ، وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ، وَالِاتِّفَاتُ، وَالتَّلْمِيحُ، وَضَرْبُ الأمْثَالِ، وَبَيَانُ الحِكْمَةِ، وَخَتْمُ الآيَةِ بِمَا يَنَاسِبُهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَخَتْمُ السُّورِ بِمَا يَنَاسِبُهَا<sup>(٣)</sup>.

\* وَمِنْ أسَالِيبِ القُرْآنِ: اِخْتِلَافُ مَسَاقِ إِيْرَادِ الفَصْصِ، بِقَوْلِ الشَّاطِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ ذَلِكَ: «وَبِالْجُمْلَةِ: فَحَيْثُ ذُكِرَ قِصَصُ الأنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَنُوحٍ وَهَوْدٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ وَمُوسَى وَهَارُونَ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِمُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَتَثْبِيتُ فَوَادِهِ؛ لِمَا كَانَ يَلْقَى مِنْ عِنَادِ الكُفَّارِ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ، عَلَى أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَتَذَكُّرُ القِصَّةِ عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي يَقَعُ لَهُ مِثْلُهُ، وَبِذَلِكَ اِخْتَلَفَ مَسَاقُ القِصَّةِ

(١) تفسیر ابن کثیر (٤/٨٥).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٢٨٤) وما بعدها. مناهل العرفان في علوم القرآن (ص ٢٧٧ - ٣٠٢).

الواحدة بحسب اختلاف الأحوال<sup>(١١)</sup>.

### ما يعين على التدبير إجمالاً

بالإضافة إلى ما تقدم - وحتى لا يطول بنا الحديث - هناك أمور كثيرة تعين المسلم على تدبير القرآن، نذكر فيما يلي:

١ - النظرة الكلية الشاملة للقرآن  
٢ - النظرة التفصيلية في سياق الآية - تركيبها - معناها - نزولها - غريبها - دلالاتها

٣ - الالتفات للأهداف الأساسية للقرآن.

٤ - تدريس القرآن: كما دارس - رسول الله ﷺ - حبريل عليه السلام للإمام منه، فهذه المشاركة، أعظم ما يعين المسلم على فهم القرآن وتدبيره.

٥ - الثقة المطلقة بالنص القرآني، وإحصاء الواقع المحاط له.

٦ - ملاحظة البعد الواقعي للآية؛ بحيث يجعل من الآية منطلقاً لعلاج حياته وواقعه، وميراً لمن حوله وما يحيط به.

٧ - معاشة معاني الآيات، وإحياءات النص، وظلاله ولطائفه.

٨ - ملاحظة الشخصية المستقلة للشورة.

٩ - التمسك من أساسيات صوم التدبير.

١٠ - تصور حال الدعوة عند نزول الآيات<sup>(١٢)</sup>.

١١ - العودة المتجددة للآيات، وعدم الاقتصار على التدبير مرة واحدة، فالمعاني تتجدد.

١٢ - الاستعانة بالمعارف والتفانيات الحديثة.

١٣ - القراءة في الكتب المتخصصة في هذا الموضوع<sup>(١٣)</sup>.

(١١) المواظبات (٣/٨٥٩)، وانظر: تدبر القرآن (ص ١٣٦ - ١٣٩).

(١٢) نظم - تدبر القرآن (ص ١٠٠ - ١٠٣).

(١٣) ومن أبرزها: البيهقي في علوم القرآن، الإتيقان في علوم القرآن - ساحل العرفان في علوم القرآن، قواعد الحبان لتفسير القرآن، للسعدي، فواحد التدبير الأمثل لكتاب الله.



وبعد: فما درجة أهمية تدبر القرآن في عقولنا؟ وما نسبة التدبر في واقعنا العملي فيما عدا ذلك في المسجد قبل الصلوات؟ وهل نحن نرتي أبناءنا وطلابنا على التدبر في خلق القرآن؟ أم إن الأهم الحفظ وكفى، بلا تدبر ولا فهم، لأن التدبر يؤخر الحفظ؟

ما مقدار التدبر في دروس العلوم الشرعية في المدارس، خاصة دروس التفسير؟ وهل يرتي المعلم طلابه على التدبر، أم على حفظ معاني الكلمات فقط؟ ثرى: ما مرتبة دروس التفسير في خلق العلم في المساجد: هل هي في رأس القاعة، أم في آخرها - هذا إن وجدت أصلاً؟

ما مدى اهتمامنا بالفراءة في كتب التفسير من بين ما نقرأ؟ ومتى نقنع أن فوائد التدبر وأجزء أعظم من التلاوة كهذا الشعر؟ أسئلة تبحث عن إجابة، فهل من مُجيب؟<sup>١١١</sup>

٣ ٤ ٥

١١١ - عبد الرحمن حنكة الميداني، دراسات قرآنية، لمحمد قطب، قواعد التفسير رسالة دكتوراه، د. خالد بن عثمان النسب، معاني التعامل مع القرآن، د. صلاح العاصي، ١١١، اطرح تدبر القرآن، لماذا وكيف؟، إبراهيم بن عبد الرحمن التركي، مجلة البيان العدد ١١١١، أيلول ١٤٢٠هـ (ص ١٦٣).

المبحث الرابع

ثمرات تدبُّر القرآن

## ثمرات تدبُّر القرآن

تلاوة القرآن العظيم لها ثمار حَسنة تعود على القارئ، في الدُّنيا والآخرة، لكنَّ التَّدبُّر يضاعف هذه الثَّمار.

وهي ثمار عديدة لا يمكن حصرها في هذه العجالة، ومن أبرزها ما يلي:

### ١ - تعميق جذور الإيمان:

تدبُّر آيات القرآن الكريم يجعل المؤمن يزداد يقيناً بأنَّه من عند الله تعالى، إذ إنَّ المتدبُّر له، والمتأمل فيه، يستعرض القرآن العظيم من أوَّله إلى آخره، فلا يجد فيه أدنى اختلاف أو تناقض، فلا يجد آية تُعارض أخرى أو تنقضها، بل ولا يجد لفظةً يمكن استبدالها بأخرى، وإنَّما يسير على نسق واحد من أوَّله إلى آخره، فيشعر المتأمل له أنَّ مصدره واحد، وأنَّه من لدن حكيمٍ خبير، وأنَّه لو كان من عند غير الله لوجد فيه اختلافاً كثيراً، وتناقضاً كبيراً.

وهو ما أشار إليه السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: «ومن فوائد التَّدبُّر لكتاب الله: أنَّه بذلك، يصل العبد إلى درجة اليقين، والعلم بأنَّه كلام الله؛ لأنَّه يراه، يُصدِّق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكَمَ والقِصَّةَ والأخبار، تُعاد في القرآن؛ في عدَّة مواضع، كلُّها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً. فبذلك يُعلم كمال القرآن، وأنَّه من عند مَنْ أحاط عِلْمُهُ بجميع الأمور»<sup>(١)</sup>.

وهذا اليقين يحقِّق الثَّبات على الإيمان، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]. وبذلك تتعمَّق جذور الإيمان في القلب، وتزداد رسوخاً.

والتَّدبُّر المُثمر يعمل أيضاً على تركيز الانتباه في الصَّلَاة وخارجها ممَّا يُبعد

(١) تفسير السَّعدي (١/٣٧٧).

وسوسة الشيطان التي تحاول بين المؤمن وشموهه بالخشوع والخصوع لله تعالى،  
فيكون من الممنحين الخاشعين. قال تعالى ﴿فَدَلَّحْنَا الْقُلُوبَ الَّذِينَ قَامُوا فِي  
صَلَاتِهِمْ لِنَسْمَعَنَّهُمْ﴾ (المؤمنون ١ - ٢).

أما غير المؤمن فالشعير يهفقه - إن كان مصفاً موقفاً - إلى الإيمان بالله،  
والاعتقاد بأد القرآن العظيم تسهيل من رب العالمين، فيخرج بذلك من دائرة  
الإلحاد والشك، إلى رحاب الإيمان والتيقن، ومن ظلمات الضلالة والجهل، إلى  
نور الهداية والمعرفة.

والتحرر من قيود التقليد والعتاد يحرجه التذبر عن العقيدة العاسدة  
فيحقق فيه العبر والتعاهد في الدنيا والآخرة.

والتذبر - هي جميع الأحوال - يشفي الصدور من شكوك تعري  
المرتابين، ويشفي القوس من أمراض كثيرة ومشوغة، كما قال تعالى ﴿يَنبَأُهَا  
الْإِنْسُ فَذَٰلِكُمْ مَوَظِعَةٌ يُرِيذُكُمْ وَيَسْخَرُ لَنَا فِي الصُّدُورِ وَفِي ذَٰلِكُمْ لِنُؤْمِنِينَ﴾  
آيس ١٥٧<sup>(١)</sup>.

## ٢ - معرفة الرب جل جلاله

ومن أعظم تجارات تدبر القرآن أنه يعرف بالرب تعالى، وعظيم سلطان  
وقدرته، وعظيم لطفه على المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما أشار إليه الشعدي تطلقاً عن فوائد التذبر: أنه ﴿يُعرف بالرب  
المعبود، وما له من صفات الكمال، وما يتره عنه من سمات النقص

- ويعرف الطريق الموصلة إليه، وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه.
- ويعرف العدو، الذي هو العدو على الحقيقة والطريق الموصلة إلى  
العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب
- ويكنه إرداد العدو تأملاً فيه، إرداد العلماء، وصلاحاً، وبصيرة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر دعوا إلى تدبر القرآن، لكريم (ص ١٩٩).

(٢) انظر أخلاق حسنة القرآن (ص ١٨). (٣) تفسير الشعدي (١/٣٧٦ - ٣٧٧).

## ٣ - تحقيق العبودية لله تعالى:

من نعمات تدبّر القرآن: أنه وسيلة لمعرفة ما يريد الله بشأنا، وكيفية عبادته تبارك وتعالى. ومعرفة ما أنزل الله إلهنا لأن القرآن العظيم منهج حياة، أنزله الله ﷻ. وهو أساس التشريع الذي يجب على العباد أن يتشروه، ويلتزموا بأوامره، ويحسوا نواحيه، ليحفظوا عبادته الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الشأن يقول ابن القيم رحمه الله: «فلا تزال معانيه

• تهضر العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب

الويل.

• ونعته على الضمير والشخصب إلقاء اليوم المقبل.

• وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء أسبل.

• وتصلته عن افتحام طرق البدع والأصاليب.

• وتبغته على الأزدباد من التعم بشكر ربه الجليل.

• وتبصّره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها إنلأ ينمأها فيبلغ في

العناء الطويل.

• وتبث قلبه عن الزبغ والعزل عن الحق والتحويل.

• ونسؤل عليه الأمور الضعائ والعقبات الشائقة غاية التسهيل.

• ونسأله - كللما فشرت عزمانته، ورش في سيره: تقدم الركب وعانت

التدليل، فاللحق المحاق والرّحيل الرّحيل، وشخذو به ونسبب أمانة سبب اللّليل،

وكللما حرج عليه كسب من كسائب المدؤ، أو قاطع من قطاع القطريل نائمة الخبز

الخذرا فاعتنهم بالله، وامتنع به، وقُل: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي نائل القرآن وتدثره، ونفهمه، أضماض أضماض ما ذكرنا من الحكم

والقوائد، وبالجملة: فهو أعظم الكتوزة<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر كيف تدبر القرآن، لعوار أحمد رمزي (ص ٨٣).

(٢) مدارج السالكين (١) ٤٥٦ - ٤٥٣.



## ٤ - التدبر غذاء وعلاج وسلاح:

ومن شعرات تدبر القرآن - أنه غذاء للروح، وعلاج بشفي النفوس من عللها،  
وتكسيها المناعة القوية - إذا أحسن المؤمن تدبره، قال تعالى: ﴿وَتَرَى مِنَ الْفَرْدَانِ  
مَا هُوَ بِفَاءٍ وَرِغْمٍ يُسْئِرُونَ وَلَا يُرِيدُ الْفَاطِنِينَ إِلَّا لَسَارًا﴾ [الإسراء: ١٨٢]. وقال  
تعالى: ﴿قَدْ مَرَّ بِالْحَبِيبِ آسَؤُا هَمٌّ وَجَمَاعَةٌ﴾ [صافات: ٤٤].

فهذا التدبر يخرج المتدبر من الحيرة والقلق النفسي، لبسك فيه الشعور  
بالطمأنينة والاستقرار، كما يرحضه من حال التعمسة إلى السعادة وراحة البال.

كما أن التدبر سلاح يدفع الأخطار المحذقة بالفرد والمجتمع من الداخل  
والخارج، حيث يستعمل في جهاد النفس، ومقاومة المنافقين، وجهاد الكافرين  
على حد قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ يَوْمَ يَكْفُرُ﴾ [الفرقان: ١٥٢].

وقوله تعالى: ﴿يُنَادِيهِمْ كَتُوبٌ كَثِيرٌ حَمِيدٌ الْمُضْفَلُ وَالْمُنْفِقُونَ وَالْمُتَلَفِّعُونَ﴾ [التكوير: ٤٩].  
والله تبارك وتعالى أمر أن يُجاهد الكفار بالقرآن جهاداً كبيراً، ويكون هذا  
الجهاد بتحجج القرآن وأدليته ومزاياه، وهو جهاد أنبيائه ورسله وخلائقته من  
عباده، الذين تدبروا آيات الكتاب العزيز وجاهدوا بها أعداءه<sup>١١١</sup>.

وفي هذا الشأن يقول الطبري تظله: «جاهدتم بهذا الفرقون جهاداً كبيراً،  
حتى ينفادوا للإقرار بما فيه من مرائض الله، ويلتجوا به، ويُدعوا للمسلم بعضهم  
طرحاً وكرهاً»<sup>١١٢</sup>.

وأحمد ذلك أبو السعود تظله بقوله: «هوازن دعوة كل العالمين - على الوجه  
المذكور - جهاد كبير، لا يُقادر قدره كفاً وكيفاً»<sup>١١٣</sup>.

ومفتاح هذا الجهاد الأكبر: هو تدبر القرآن العظيم، لأن أعداء المسلمين  
لم يسقطوا ويُحكوا عليهم الفصة إلا عندما هجروا تدبر القرآن، ولم يلتزموا بما  
جاء به<sup>١١٤</sup>.

١١١ تفسير الطبري (١١/٣٠).

١١٢ نظر زاد المعاد (٣١/١٤).

١١٣ تفسير أبي السعود (١١/٢٣٥).

١١٤ نظر: دعوة إلى تدبر القرآن الكريم (ص ١٩٦).

٥ - التدبر فيه تربية للعقول:

معرفة ما أنزل الله تعالى من أعظم ما يُرتي العقول ويجعلها تهم الحقائق النافعة وتشبعها، والشارة فتجنّبها، فلا تميل بها الأعراف والأهراض والحيالات والمخالفات الشارة المنعقدة للعقول.

وليس العقل هو الذكاء، وقوة الفطنة، والقصاحة اللفظية، وإنما العقل الضحيح هو أن يتغل العقل - في قلبه - الحقائق النافعة، عفاً يحيط معرفتها، ويميز بينها وبين غيرها، ويعرف الرّاحح من الأمور فيؤثره، والمرجوح أو الضار هينك<sup>(١)</sup>

قال السعدي رحمه الله: «وَسَمِيَ الْعَقْلُ عَقْلاً، لِأَنَّهُ يَحْفَلُ بِهِ مَا يَنْفَعُهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَعْفَلُ بِهِ مَا يَضُرُّهُ، مِنْ أَمْرِ خَيْرٍ بِالْخَيْرِ، وَمِنْ بَعْضِهِ، أَوْ نَهَاءً عَنِ الشَّرِّ، فَلَمْ يَبْرَكْ، دَلٌّ عَلَى عَدَمِ عَفْهِ وَجَهْلِهِ»<sup>(٢)</sup>.

والتدبر مفتاح كل خير:

فتدبر القرآن يبين على فهم المراد من كلام الله تعالى، ويفتح أمام العقل آفاق العلم والمعرفة، فيكتسب قارئه معارف جديدة، ويكتسب بالعلم النافع، وتزيد حصيفته اللغوية فهماً وتعبيراً، ويحدث ويكتب بطلاقة وبشكل صحيح مؤثر على الآخرين.

قال السعدي رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف ١١: «وَأَمْرُهُ بِهَذَا النَّسَانِ لِعَقْلِهِ وَفِيهِمْ، وَأَمْرُهُ بِتَدْبِيرِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَالِاسْتِبْسَاطِ تَعْلُومِهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ تَدْبِيرُهُ، مَفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ، مُحْضَلٌ لِلْمَعْلُومِ وَالْأَسْرَارِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمه الله: «لَمَّا فِي تَدْبِيرِ كِتَابِ اللَّهِ مَفْتَاحًا لِلْمَعْلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَبِهِ يُسْتَجَرُّ كُلُّ خَيْرٍ، وَتُسْتَجْرَجُ مِنْهُ جَمِيعُ الْعُلُومِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر كيف تدبر القرآن (ص ٨٢) (٢) تفسير السعدي (١/١٥٧) (٣) المصدر نفسه (١/١١٢) مقدمة شرح السعدي (٤) المصدر نفسه (١/٣٧٦)

والتدبر فيه صقل للمواهب، وتنمية للقدرات العقلية:

فتنمو فيه قوة الملاحظة، ومملكة التفكير، وترتفع قدرته على معالجة الأمور، ويصبح حكماً عاقلاً عند اختلاف الآراء والأفكار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

ومن اعتاد تدبر القرآن تنمو عنده ملكة تأمل النصوص القولية والكتابية، لتصبح ملازمة له. فيختار العبارات المناسبة في أقواله وكتابه لتفهم دون التباس، أو احتمال تأويلات تُخرجها عن الغرض المقصود.

كما أن تلك العادة الحميدة تدفعه إلى التدقيق بما يسمع أو يكتب من نصوص، فيمحص الأمر، ويتجنب ما يوقعه فريسةً لكيد الكائدين، ومكر الماكرين، وطمع الظالمين على الصعيد الفردي والدولي، في التحدث أو عند صياغة العقود الشخصية أو المعاهدات والاتفاقيات والقرارات<sup>(١)</sup>.

أما بعد: فهذه بعض ثمرات التدبر الراكية، فأين نحن منها؟ فما تحصن عبد من الشيطان بمثل ما تحصن به مُتدبر القرآن، فهو أفضل الذكر، وبالذكر يخس الشيطان ويهرب.

فمن أراد أن يكون في حصن حصين، ودرع متين، فلا غنى له عن تدبر القرآن العظيم.

ولا غرؤ أن يتساءل ابن القيم رحمته الله - في صيغة استنكارٍ وتوبيخ - عن حال من هجر تدبر نصوص الوحي، إذ يقول: «سبحان الله! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي، واقتباس العلم من مشكاته من كنوز الدخائر؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟! قنعوا بأقوال استنبطتها معاويل الآراء فكرياً، وتقطّعوا أمرهم بينهم لأجلها زبراً، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً؛ فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً.

درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم

(١) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن الكريم (ص ١٩٧).

فليسوا يعمرونها، ووقعت ألويتها وأعلامه من أيديهم فليسوا يرفخونها، وأقلت  
كواكب النيرة من آفاق نفوسهم، فلذلك لا يحيونها، وكسفت شمسُه عند اجتماع  
ظلم آرائهم وعقدها، فليسوا يتصرونها<sup>(١)</sup>.



(١) مدارج السالكين (٥/١)؛ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (٤١/١).

## الفصل الثامن

### هجر العمل بالقرآن

وليه خمسة مباحث

المبحث الأول: وجوب العمل بالقرآن.

المبحث الثاني: فضائل العمل بالقرآن.

المبحث الثالث: النبي ﷺ يوصي بالعمل بالقرآن.

المبحث الرابع: الصحابة رضوان الله عليهم يتواصون بالعمل بالقرآن.

المبحث الخامس: سادج من عمل الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن.



## المبحث الأول

## وجوب العمل بالقرآن

أولاً: معنى العمل بالقرآن:

القرآن العظيم دستور المسلمین، ومنهاج حياتهم، به نستقیم حياة الفرد والمجتمع؛ ارتضاء الله ﷻ ليكون لهم، بل وللعالم أجمع مسج حياة، ففقهه على الخلق بقوله: ﴿الْأَخْيَارُ﴾ ﴿ظَمُّ الْفَرَائِدِ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿ثَلَاثَةُ الْبَيِّنَاتِ﴾ الرَّحْمَنُ ١ - ١٤. قرنس لهم المسج، وحشد لهم الطریق حتى قل حفظهم لتستقیم حياتهم؛ لذا فالعناية الأساس من بوله العمل بما جاء فيه من الأوامر والنواهي، فهو ليس كتاباً للفرادة محض، بل جعله الله نوراً وهدى للناس ليعملوا بما فيه، ويلتزموا حدوده، قال تعالى: ﴿تَتَّبِعُوا مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم مِّن ذُرِّيَّتِهِ لِنُؤْيِدَ لَكُم مِّن ذُرِّيَّتِكُمْ وَمَا يُؤْمِنُ الْإِنْسَانُ بِأَنَّ لَهُ مَلَكًا مُّغِيَّبًا يَعْنِي رَبَّهُ مَن لَّا رَأَىٰ مِن دُونِهِ﴾ [الأعراف: ١٣] لمن انتهى من الفراءة غير ما أنزل لأجله فقد شكب سواه السبل، وجعل عن عيني رب العالمين

والعمل بالقرآن يعني أن يتخذ المسلم نزعة ومهاجاً في حياته، فبأنمر بأوامره وينتهي عن نواهي، ويحتكم إليه في كل شؤون الخاصة والعامة، فيصح يرى كأنه قرآن يعيش على الأرض، وهذا ما أشارت إليه أم المؤمنين عائشة ؓ عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ بقولها: كان خلقه القرآن، أي: بتطبيقه لأيات الله وأحكامه وآدابه وتجه نواهي

ولاهمية العمل بالقرآن حد كثيراً من الآيات تربط بين الإيمان والعمل، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَلْهِمَّ لَكُمْ إِذْ تَقُولُونَ آمَنُوا وَتَكْفُرُونَ بَعِيدًا مِّنْهُمْ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المؤمنون: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ [المعكوت: ١٧]

والحق أن الفرقان الكريم مليء بالأيات الدالة على أن الغرض الأساس من رولته إنما هو العمل بما جاء به

ولذلك لا يجوز صاحب القرآن الأجر الكامل المستوفى، إلا بعد تطبيقه واقعاً معاشاً في الحياة، والاهتداء بهديه المبارك، والعمل به آباء الليل وأطراف النهار.

### التحذير من التنبؤ باليهود

إن من أعظم أسوأ شقاء اليهود هو أنهم اکتفوا بقراءة التوراة وسماعها دون أن ينفع ذلك عمل فستبهم الله تعالى بالحمير. فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوَابَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة ٥).

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمته: «فقد أسس سبحانه من حَمَلَهُ كَتَابَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَيُنذِرَ، ويعمل به ويدعو إليه ثُمَّ خَالَفَ ذَلِكَ، ولم يحمله إِلَّا على ظهر قلبه، فقرأه حبر لغير ولا تفهم، ولا أتبع ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمارٍ على ظهره، إذ لم أستطع لا يدري ما فيها، وحفظ منها حملها على ظهره ليس إلا، فحفظ من كتاب الله ﷻ كحفظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد حُرم لليهود فهو مُتناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يَلْزَمْ حَقَّهُ، ولم يرعه حق رعايته»<sup>١١١</sup>.

بهؤلاء اليهود حُمِلُوا التوراة، أي حُمِلُواها وحُكِمُوا العمل بها، ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار يحمل كتاباً ينعب في حملها ولا ينفع بها»<sup>١١٢</sup>.

وسبب قتلهم: أنهم «افترضوا من المنعم بأن يحملوا التوراة دون فهم، وهم يحسبون أن ادخار أسفار التوراة، وانتقالها من بيت إلى بيت، كافٍ في التبليغ بها»<sup>١١٣</sup>.

(١١) الأمانة في القرآن الكريم (ص ٢٩ - ٢٧)

(١٢) انظر روح المعاني (٢٨/١٩٥) تفسير البهائي (٢٣٨/٥)

(١٣) التحرير والتوير (٢٨/١٩٦)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فشخص بصره إلى السماء، ثم قال:

«هَذَا أَوْلَىٰ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّفْسِ، حَتَّىٰ لَا يَفْقِرُوا مَتَّ عَلَيَّ شَيْءٌ».

فقال ريبان بن أسيد الأنصاري رضي الله عنه: كيف يُخْتَلَسُ مِنَّا، وقد قرأنا القرآن؟ والله: تَفَرَّاتْنَا، وَتَفَرَّتْ سَامَا، وَأَسَامَا. قال: تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ<sup>(١١)</sup> يا ريبان، إِنْ كُنْتُ لِأَقْمُكَ مِنْ فَعْمِهِ، أَهْلُ الشُّعْبَةِ، هَذِهِ النَّوْرَانِ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنُّصَارَى فَمَاذَا نَفْسِي عَنْهُمْ؟<sup>(١٢)</sup>

فرسول الله ﷺ يدعو الأمة إلى العمل بالقرآن بعد قراءته وفهمه، لا إلى الانحصار على القراءة محض، فيعملون كما فعل بنو إسرائيل، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا لَّهُمْ لَّا يَتْلُونَ﴾ (الذرية: ٧٨)

وقال الفرطبي رحمته الله في الأمان: جنح أميًّا وهي التلاوة<sup>(١٣)</sup>

ويُتَمَّهَا الْفَرَطِيُّ رحمته الله إِلَى أَعْيَةِ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ - بعد فهمه، فيقول: أوَسعي له أن يتعمم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فيستمع بما يقراء ويعمل بما ينوب، فما أقبض لحامل القرآن أن يتلف فوائده وأحكامه عن طهر قلب، وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أفتح أن يسأل عن يقينه ما يتلو ولا يفهمه، فما مثل من هذه حائفة إلا كمثل الحمار يحمل أسفاره<sup>(١٤)</sup>

وعالِبُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا نَلَاوَتَهُ

وقد حذر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم من أعمال طائفة تأتي من بعدهم يتركون القرآن، غير أن القراءة لا تتعدى حائرهم، ونفى لمي حيز الأصوات بلا عمل.

(١١) أي: طفلك، وأصله الدعاء بالحق، - يستعمل في الثلب

أطروحة نسخة الأحمدي شرح جامع الترمذي (١١٩/٧)

(١٢) رواه الترمذي (١٣١/٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٣٧/٢٢) ج ٢ (٢٢٢٦)

(١٣) انضمام لأحكام القرآن (٦/٢٢) (١٤) التكملة لفتح (٢٨/١١)

فقال: «يُفْرَجُ عَلَيَّ مِنْهُ الْأَقْبَابُ - وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا - لَوْ لَمْ يُفْرَقُوا مِنْ ضَلَاتِكُمْ مَعَ ضَلَاتِهِمْ، يُفْرَقُونَ الْقُرْآنَ لَا يَخَابِرُونَ خُلُوفَهُمْ، أَوْ حَتَّى جَزَمَهُمْ، يُفْرَقُونَ مِنَ الذِّهْنِ مُرَوِّقِي السُّهْمِ بَيْنَ الرِّبِيْعَةِ»<sup>(١١)</sup>.

ثانياً: وجوب العمل بالقرآن

بترتب على كون القرآن العظيم كلام الله تعالى وجوب العمل بما ورد به، وما دل عليه من أحكام، وحرمة العدول عنه إلى غيره. ومن اعتقد حواز مخالفة القرآن فيما دل عليه من أحكام فقد كفر؛ لأن أجاز مخالفة الله ﷻ، وإجازاً مخالفته سبحانه رذةً واضحةً لأنها تعني أن يُرَدَّ على الله كلامه<sup>(١٢)</sup>.

يقول ابن حزم بظلمة: «ولمَّا نَبَّأَ نَبِيَّانِ الْبَرَاءَيْنِ وَالْمَعْمُورَاتِ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ عَهْدُ اللَّهِ لِبَنِي آدَمَ، وَالَّذِي أَلْزَمَنَا الْإِقْرَارَ بِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ... وَجِبَ الْإِسْبَادُ لِمَا فِيهِ، فَكَانَ هُوَ الْأَصْلُ الْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ...»

ولا خلاف بين أحد من العرفي المنتسبة إلى المسلمين من أهل السنة، والمعترضة، والخوارج، والمرجئة، والزيدية، في وجوب الأحكام بما في القرآن<sup>(١٣)</sup>.

ويقول أيضاً: «فالكل مأمورود بالتأبع لقرآنه... فمن أجاز خلاف ذلك فقد أجاز خلاف الله تعالى، وهو رذةٌ صحيحة لا مرةً فيها»<sup>(١٤)</sup>.

حجر العمل بالقرآن له حالان:

ويُسمى أن يُفْرَقَ: حين من يُخالف أحكام القرآن، وهو لا يعتد أن غيرها حبر منها، ولا يُقرُّ بخولف مخالفتها، وبين من يُخالف أحكام القرآن، من مُنطلق عدم صلاحيتها، وأنه يجوز العدول عنها إلى غيرها.

(١١) رواه البخاري، كتاب استنباه المرتدين والمعاصيين وقتالهم، باب قتل الظنارح والملحنيين بعد إقامة الحجة عليهم (١/٢١٦٤) ج (٢٩٣).

(١٢) انظر أصول الفقه الإسلامي، ٥، وما ترجمه (١/٢٢٦، ١٣٢).

(١٣) الأحكام في أصول الأحكام (١/١٩٢)، ١١١ المصدر نفسه (٢/٢٤٢).

فالأوّل: هاجس، وليس كافراً؛ لأنّه لا يعتقد جواز مخالفة الله ﷻ في أحكامه، ولا أنّ غيرها خير منها، مع أنّه مقصّر في عدم الالتزام بها. والثاني: كافّر مرتد؛ لأنّه يعتقد أنّ أحكام الله لا يجب العمل بها وتطبيقها، لعدم صلاحيتها، وأنّ غيرها خير منها<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الأدلّة على وجوب العمل بالقرآن:

وردت آيات عدّة في كتاب الله تعالى تُوجِبُ العمل به، ومنها ما يأتي:  
 ١ - قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ وأُمَّته من بعده أن يقتدي بكتاب الله تعالى، ويقضي أثره، ويعمل به؛ لأنه حق لا مرية فيه من واحدٍ أحد<sup>(٢)</sup>. وأمره تعالى كذلك ألا يشغل قلبه وخاطره بهؤلاء المشركين المعاندين، وليستغل بعبادة الله تعالى واتِّباع ما أوحى إليه<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عاشور رحمته الله: «والاتباع في الأصل اقتفاء أثر الماشي، ثمّ استعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يُحْتَكِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ثمّ استعمل في امثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع، فهو الالتزام،... فيجوز أن يكون الاتباع في الآية مراداً به دوام الامتثال لما أمر به القرآن»<sup>(٤)</sup>.

ولا ريب أنّ النبي ﷺ قد اتَّبَعَ ما أوحى إليه من ربه خير اتِّباع، وأولى القرآن العظيم كلّ عناية وتقدير، ودعا النَّاسَ كفاةً إلى الله تعالى، وشملت دعوته المباركة جميع الأوقات والأزمان، وكافة الظروف والأحوال، فجراه الله تعالى خير ما جرى به جميع الأنبياء عن أمهم.

(١) انظر: فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن (ص ٣٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٤/٢)؛ تفسير البغوي (١٢١/٢)؛ تفسير السمرقندي (٤٩٢/١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٦٠/٧)؛ فتح القدير (١٥٠/٢).

(٤) التحرير والتنوير (٦/٢٥٨ - ٢٥٩).



٢ - قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرَ الْمَخْرُوجِينَ﴾<sup>(١)</sup>  
 (يونس: ١٠٩).

وفي هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بإتباع الوحي  
 والتّزليل، فإن أصابه مكروه بسبب هذا الاتباع، فليصبر عليه إلى أن ﴿يَخُذَكَ اللَّهُ﴾  
 فيه بالحق ﴿وَهُوَ خَيْرَ الْمَخْرُوجِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

والمعنى: تمسك بما أنزله الله إليك، واثبت على العمل بمقتضاه، واصبر  
 على مخالفة الناس لك، حتى يفتح الله بينك وبينهم بحكمه، وعدله، ورحمته،  
 وهو خير الفائزين<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي رحمه الله - في تفسير الآية: ﴿وَاتَّبِعْ﴾ أيها الرسول ﴿مَا يُوحَىٰ  
 إِلَيْكَ﴾ علماً، وعملاً، وخالاً، ودعوة إليه. ﴿وَأَصْبِرْ﴾ على ذلك، فإن هذا أعلى  
 أنواع الصبر، وأن عاقبته حميدة، فلا تكسل، ولا تضجر، بل دم على ذلك،  
 واثبت. ﴿حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ﴾ بينك وبين من كذبك ﴿وَهُوَ خَيْرَ الْمَخْرُوجِينَ﴾ فإن حكمه،  
 مشتمل على العدل الثام، والقسط الذي يحمد عليه. وقد امتثل ﷺ أمر ربه،  
 وثبت على الصراط المستقيم، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان، ونصره على  
 أعدائه بالسيف والسنان، بعدما نصره الله عليهم بالتحفة والبرهان<sup>(٣)</sup>.

٣ - قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا  
 مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

أمر الله تعالى الناس جميعاً أن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم، وهو كتاب الله  
 تعالى فيحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويمثلوا أمره، ويجتنبوا نهيه، ولا يخرجوا  
 عملاً جاءهم به الرسول ﷺ إلى غيره ما يكونوا قد عدلوا عن حكم الله ﷻ إلى  
 حكم غيره. ودلت هذه الآية الكريمة: على ترك إتباع الآراء، مع وجود النص،  
 من كتاب أو سنة<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي رحمه الله - في تفسير الآية: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم﴾ أي: الكتاب

(١) انظر: التفسير الكبير (١٧/١٤٠ - ١٤١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٤٣٦).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٢/٣٨٥ - ٣٨٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٧/١٦١)، تفسير ابن كثير (٣/٤٣٠).

الذي أريد إنزاله لأجلكم، وهو: ﴿يُرِيكُمْ نُورَكُمْ﴾ الذي يريد أن يُرِيكُمْ نوريته لكم،  
فأقول عليكم هذا الكتاب الذي إن أنعموه، كملت نريبتكم، وثقت عليكم  
النعمة، وهديتكم لأحسن الأعمال والأخلاق، ومعالجتها.

﴿وَلَا تُشْفِقُوا مِنْ نُورِهِ لِقَابِهِ﴾ أي: لتولونهم، وتُبعون أهواهم، وتتركون  
لأهلها الحق.

﴿فَبَلَا مَا تَدَّخِرُونَ﴾ فلو تدخرتم وعرفتم المصلحة، لما أترتم الضار عن  
النافع، والعدو على الوتر<sup>(١١)</sup>.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَا لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ قَبْلِ أَنْ  
يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ بَلَاءً وَأَلَّا لَا يَتَعَوَّنَ﴾ الزمر: ٤٥.

ولا ريب أن القرآن العظيم أحسن ما أُرِلَ إلينا من ربنا تبارك وتعالى، فله  
الحمد والثناء، والثناء مينة له وموضحة، لكن هذه النعمة الجليلة تسوجب الشكر  
العملي لا الشكر المنطقي، فقد فُتد من لم يشغ أحسن ما أُرِلَ إلينا من ربنا بقوله  
تعالى: ﴿يُرِي قَلِيلًا مِّنْ آيَاتِنَا وَلَئِن لَّا يَتَعَوَّنَ﴾<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن عطية رحمته: فمعناه أن القرآن العزيز يهضم عفاذ نيرة، وأوامر  
ونواهي منجبة، وعبادات على النقايات والبر، وحدوداً على المعاصي، ووعيداً  
على بعضها، فالأحسن أن يسلط الإنسان طريق التفهم والتحصيل، وطريق  
الطاعة، والاشها، والعبور في الأمور، ونحو ذلك، فهو أحسن من أن يسلط طريق  
العلة والمعصية، فيجد أو يقع في الوجود<sup>(١٣)</sup>.

فالمقصود إذاً من إنزال القرآن العظيم العمل بمقتضاه، لا تلاوته بالأسان  
ونريته فقط، ثم نبهة بعد ذلك، كما فعل ذلك فريق من أصحاب الكتاب،  
فدُئِمهم الله تعالى على فعلهم الشنيع، وشهر بهم، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا جَاءَنَّهُمْ  
رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ يُبَيِّنُ لِنَا مَعَهُمْ سَبِيلَ رَبِّهِمْ بَيْنَ الْكُوفِينَ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَدَّاهُ ظُهُورَهُمْ فَأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٧١.

(١١) المصدر السابق (١/٩٥ - ٩٦).

(١٢) انظر: أمواه البيان (٧/٣٠٠ - ٣٠١).

(١٣) تفسير ابن عطية (١/٥٣٧).

أي: اقترح طاعةً منهم كتاب الله الذي بأيديهم، مما فيه البشارة بمحمد ﷺ ورواه ظهورهم، وتركوا العمل به.

وأصل التبذير: الطرغ والإلقاء، ومنه سُمي اللبيط متبذراً، ومنه سُمي السيد، وهو الثمر، والزبيب إذا طرغا في الماء.<sup>(١)</sup>

فإنه تعالى أمرنا بالتبذير كقائه والعمل بمقتضاه، فكأننا - وما للأسف - تركناه كما تركت اليهود والنصارى - إلا من رحم الله تعالى.

فبقيت أشخاص المصاحف لا يُبالى بما فيها من كلام الله تعالى وأوامره العظيمة لعدة جهنم، وتطلب الرياضات، ولاتباع الأهواء، ولا حول ولا قوة إلا بالله اتعلم العظم.<sup>(٢)</sup>

والمماثل في الآيات السابقة، يلحظ أمرين مهمين:

١ - الأيمان الأولى والثالثة جامعا بلفظ «اتَّبِعْ» وهو أمرٌ من الله تعالى لسيده الكريم ﷺ بالتبذير ما أوحى إليه من الكتاب والسنة، والأمر له أمر لأمته من بعده، ولا مُخَصَّص للآيتين.

٢ - الأيمان الثالثة والرابعة جامعا بلفظ: «وَاتَّبِعُوا» وهو أمرٌ مباشر من الله تعالى إلى الناس جميعاً بالتبذير، وترك إظهار الوساطة في الأمر - وهو الرسول ﷺ - لتقوم على الناس الحمقة، فلا يأتي متعسف ومنازل ليقول: إن الأمر للرسول ﷺ ليس أمراً لأمته. فهكذا قطع عليهم الطريق، والأمر يقتضي الوجوب، كما هو المعلوم من لغة العرب، ولا حرافة له.

فهذا يدلُّ دلالة واضحة على وجوب تبذير كتاب الله تعالى، والعمل بمقتضاه.



(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٢٤٦ - ٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١/٤٢٧).

## المبحث الثاني

## فضائل العمل بالقرآن

أعظم جزاء ينتظر العامل بالقرآن العظيم هو الجنة. والجنة درجات، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢].

أي: ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله، يُلْفَهُ اللهُ إِيَّاهُ، ويُثَبِّهُ بِهَا، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ<sup>(١)</sup>.

وقد جاء عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ ذَرَجَةٍ، أَحَدَهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللهُ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ قَالَ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنَهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد وعد الله تعالى مَنْ عَمِلَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَنْ يُحْيِيَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

«فأخبر سبحانه عن فلاح مَنْ تَمَسَّكَ بِعَهْدِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا فِي الْعَاجِلَةِ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِأَحْسَنِ الْجَزَاءِ، وَهَذَا يَعْكَسُ مِنْ لَهِ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْبُرْزُخِ، وَنَسِيَانِهِ فِي الْعَذَابِ بِالْآخِرَةِ»<sup>(٣)</sup>.

ولا بد لكل مَنْ عَمِلَ صَالِحًا أَنْ يُحْيِيَهُ اللهُ حَيَاةً طَيِّبَةً بِحَسَبِ إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ، وَلَكِنْ يَغْلَطُ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي مَسْمَى الْحَيَاةِ حَيْثُ يَظُنُّونَهَا التَّنْعَمَ فِي أَنْوَاعِ الْمَأْكَلِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله (٢/٨٦٤ ح) (٢٧٩٠).

(٣) مفتاح دار السعادة (ص ٤٤).

والعشارية والملابس والمعاصخ، أو لذة الرياسة والعدل، والشعر بأنواع الشهوات.

ولا ريب أن هذه لذة مشتركة بين الإنسان وبين البهائم، بل قد يكون حظ كثير من البهائم منها أكثر من حظ الإنسان، فأبى هذه اللذة من اللذة بأمر إذا حالط بشائسته للقلوب سقى من الأبناء والنساء والأوصان والأموال والإخوان والمساكن، ورضي تركها كلها والخروج منها رأساً، وعرض نفسه لأنواع العكارة والمشاق، وهو منشرج الصدر، حتى أن أحدهم لبثلقى الرُمح بصدرة ويقول: فُرْتُ ورتب الكعبة، واستطبل الآخر حياته حتى يلقى موته من يده، ويقول: إنها لحياة طويلة إن صبرت حتى أكلها ثم ينقلم إلى الموت لمرحاً مسروراً، ويقول الآخر: مع فقره لو عينم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالثبوت، ويقول الآخر: إنه ليمر سائقت أوقات ليرقص فيها طرباً، وربما قال بعضهم: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لقر عيش طيباً.

وفضائل العمل بالقرآن العظيم كثيرة ومتنوعة، بعضها في الدنيا، وبعضها في الآخرة، ومنها ما يأتي.

### ١ - الهداية في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى ﴿فَلْيَرْجِعْ إِلَى الَّذِينَ يَنْتَبِهُونَ الْقَوْلَ فَيَسْمِعُونَ لَكُمْ أَوْيَاكُمْ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ لَكُمْ أَوْيَاكُمْ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

هذا أمر نكريم من الله ﷻ ليه الكريم محمد ﷺ أن يشر الدبر يسمعون القرآن، ثم يقودهم هذا الامتاع، إلى العمل به ونطقه.

وفي معنى قوله ﴿الَّذِينَ يَنْتَبِهُونَ الْقَوْلَ فَيَسْمِعُونَ لَكُمْ أَوْيَاكُمْ﴾ قولان

الأول يستمعون القول على العموم، ويسمعون القرآن، لأنه أحسن الكلام.

الثاني أن ﴿القول﴾ هو القرآن. أي يستمعون القرآن، فيسمعون بأعمالهم أحسن من العفو، والضعف، واحتمال الأذى، الذي هو أحسن من الانتصار،



ونحو ذلك<sup>(١)</sup>. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْلَمُ قَوْلَهُمْ لَمَنْ يَدْعُونَ مَا عَدَوْا عَدْوًا وَمِمَّا دَعَوْا كَفُورًا﴾ (النحل: ١٢٦).

ومعنى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: أي. المتصفون بهذه الصفة الحليمة - وهي العمل بكتاب الله - هم الذين هداهم الله تعالى للذنب الحق، ومحاسن الأمور، فهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وضمن لهم ألا يضلوا في الدنيا، ولا يشقوا في الآخرة بسوء الحساب.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: اضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَرَأَى بُأْيُوتَكُمْ مِنَ هُدًى فَمَنْ أَتَّبِعْ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٧٣)<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: امن قرأ القرآن واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب. ثم تلا الآية نفسها<sup>(٣)</sup>.

ومعنى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾:

أي: هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الفؤم، ومنازعة الهوى، المستحقون للهداية لا غيرهم، وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى، وقبول النفس<sup>(٤)</sup>.

فالذي لا يُتميَّز بين الأقوال حسنها وقبيحها ليس من أهل العقول السليمة، والذي يُعير نكث شهوته نغليه أحياناً، فيبقى عقله تابعاً لشهوته، كان ناقص العقل.

فهؤلاء أهل العقول الزاكية، والمفطر المستقيمة من أيهم وحزيمهم عرفوا الحسن وغيره، فأتروه، وتركوا ما سواه، فهذه علامة العقل الصحيح، نسال الله تعالى أن يجعلنا منهم<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر التسهيل لعلوم التنزيل (١٩٣/٣).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٥٢٥/٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٧٥/١١). تفسير ابن كثير (٤٩/٤).

(٤) تفسير أبي السعود (٢٤٨/٧). انظر: تفسير السعدي (٣١٦/٤).

## ٢ - الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَطِئُوا أَمْرًا لَكُمْ رُحْمًا﴾ [الأنعام: ١٥٥].

هذه الآية الكريمة تدلُّ دلالة واضحة على أنَّ أقصرَّ سبيلٍ وأصحَّه لنيل رحمة الله تعالى، هو اتباع هذا الكتاب العظيم، علماً وعملاً.

ومعنى الآية: إنَّ ﴿هَذَا﴾ الذي نُلتِيت عليكم أوامره ونواهيهِ ﴿كِتَابٌ﴾ عظيم الشأن، لا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾؛ لكثرة منافعهِ الدُّنْيَا والدُّنْيَا.

والضَّاءُ في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فإنَّ عظمة هذا الكتاب، وكونه منزلاً من الله جلَّ جلاله، وفيه ما فيه من المنافع الدُّنْيَا والدُّنْيَا، هذا كُلُّهُ موجب لاتباعه، والعمل به<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور رحمته: «وافتح الجملة باسم الإشارة، وبناء الفعل عليه، وجعل الكتاب الذي حَقُّه أن يكون مفعول ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ مبتدأ، كُلُّ ذلك للاهتمام بالكتاب والتثويه به...»

وتفريع الأمر باتباعه على كونه مُنْزَلاً من الله، وكونه مُبَارَكاً، ظاهر: لأنَّ ما كان كذلك لا يتردَّدُ أحدٌ في اتباعه...

ومعنى: ﴿أَطِئُوا﴾ كونوا مُتَّصِفِينَ بِالتَّقْوَى. وهي الأخذُ بِبَيِّنِ الْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ.

وفي قوله: ﴿لَكُمْ رُحْمًا﴾ وعَدَّ على اتباعه، وتعميرُضُّ بِالوَعِيدِ بِعَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتَّبِعُوهُ<sup>(٢)</sup>.

فهذا ترغيب من الله تعالى لعباده، أن يتبعوا هذا الكتاب المبارك، ويعملوا به؛ رجاء أن تنالهم رحمته في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

## ٣ - الْفَلَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

قال الله تعالى: ﴿قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٣/٢٠١). (٢) التحرير والتنوير (٧/١٣٣).

فقد شبه الله تعالى القرآن بالثور الذي يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق، ويتميز عن الباطل، ويميز به بين الهدى والضلال، والحسن والقيح. وشبه حال المقتدي بهدي القرآن، بحال الساري في الليل؛ إذا رأى نوراً يلوح له أتبعه، لعلَّه يقيني أنه يجد عنده منحة بين المخاوف وأضرار السير.

فيجب على كل مسلم أن يستضيء بنور القرآن العظيم، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويمثل أوامره، ويجتنب ما نهى عنه، ويعتبر بقصصه وأمثاله، ولا ينبغي لمسلم بعد هذا كله أن تعمى بصيرته عن هذا النور العظيم<sup>(١)</sup>. فمن استجاب لهذا الثور، وأتبعه، وحصل بما فيه، فهو المفضلح الفائز بالمطلوب في الدنيا والآخرة، الظافر بخيرهما والتاجي من شرهما، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المفلحين.

#### ٤ - تكفير السيئات وإصلاح البال:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَمَأْتُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِمْ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَمَلَّ بِالْهَمِّ﴾ [محمد: ٢].  
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ «أي: آمنت قلوبهم وسرائرهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم، وبواطنهم، وظواهرهم»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِمْ﴾ هذا من عطف الخاص على العام. قال سفيان الثوري تعلقاً: «يعني لم يخالفوه في شيء»<sup>(٣)</sup>. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ «يريد أن إيمانهم هو الحق من ربهم، وقيل: أي أن القرآن هو الحق من ربهم، نسخ به ما قبله»<sup>(٤)</sup>. وثمرة هذا الإيمان الصحيح، وهذا الاتباع الكامل للقرآن، والعمل به، أمران عظيمان:

أولهما: تكفير السيئات:

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ «صغارها وكبارها، وإذا كُفِّرَتْ عنهم سيئاتهم نجوا من

(١) انظر: أضواء البيان (٧/٨٠)، التحرير والتنوير (٨/٣١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٧٣). (٣) تفسير البغوي (٤/١٧٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٦/٢٢٤).

عذاب الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>. وقيل: سَتَرَ بِإِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مَا كَانَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي؛ لِرَجوعِهِمْ عَنْهَا وَتَوْبَتِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

ثانیهما: إصلاح البال:

﴿وَأَصْلَحَ بِالْقَمَّةِ﴾ أي: «أصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة أن أورثهم نعيم الأبد، والحلوة الدائمة في جناته»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: «أصلح دينهم، وديانهم، وقلوبهم، وأعمالهم، وأصلح ثوابهم بتنميته وتزكيتهم، وأصلح جميع أحوالهم»<sup>(٤)</sup>.

ولا ريب أن إصلاح البال نعمة كبرى، وبنية عظمى، تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر. وفي ذلك اطمئنان لهم، وراحة كبيرة، وثقة بالله تعالى في ثوابهم العاجل والآجل.

ومتى صلح البال، استقام السلوك والعمل، واطمأن القلب، وتنزلت عليه السكينة، ورضيت النفس، واستمتعت بالأمن والإيمان، وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع<sup>(٥)</sup>.

والسبب المباشر لهذا الجزاء المبارك أنهم: ﴿اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣]. أي: أنهم عملوا بهذا القرآن العظيم الصادر ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الذي ربيهم بنعمته، ودبرهم بلطفه، فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فعند ذلك صلحت أمورهم. فلما كانت الغاية المقصودة لهم متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقياً ثوابها<sup>(٦)</sup>.

فهذه هي بعض فضائل العمل بالقرآن العظيم، وحسن الجزاء في الدنيا والآخرة، نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن العمل بكتابه، وحسن الجزاء على ذلك، إنه سميع مجيب.

(٢) الكشاف (٤/٣١٩).

(٤) تفسير السعدي (١/٧٨٤).

(١) تفسير السعدي (١/٧٨٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/٣٩).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٦/٣٢٨١).

(٦) انظر: المصدر السابق، والصفحة نفسها.

## المبحث الثالث

## النبي ﷺ يوصي بالعمل بالقرآن

إن خير مَنْ عَمِلَ بكتاب الله تعالى، وَطَبَّقَهُ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَأَصْبَحَ خُلُقًا لَهُ هُوَ نَبِيُّنَا وَقِدْوَتُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، الَّذِي أُنِيَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خُلُقِهِ وَنَعْتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ [القلم: ٤].

وقد بَيَّنَّتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَذِهِ الْآيَةَ أَوْضَحَ بَيَانٍ، عِنْدَمَا سَأَلَهَا سَعْدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ فَقَالَ لَهَا: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَن خُلُقِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ<sup>(١)</sup>.

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بأدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في تفسير الآية: «ومعنى هذا أنه ﷺ، صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجيةً له، وخُلُقاً تَطَبَّقَهُ، وترك طبعه الجليلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، مِنَ الْحَيَاءِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالصَّفْحِ وَالْحِلْمِ، وَكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ. كما ثبت في الصَّحِيحِينَ<sup>(٣)</sup> عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ. فَمَا قَالَ لِي: أَفُ

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومَنْ نام عنه أو مرض (٥١٣/١) (ح ٧٤٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢٦٨/٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: حُسن الخُلُقِ والشَّخَاءِ (١٩٠٨/٤) (ح ٦٠٣٨) ومسلم، كتاب الفضائل، باب: كان رسولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا (١٨٠٤/٤) (ح ٢٣٠٩).



قطاً، ولا قال لشيءٍ نَفَعَتْ، لم تفلت؟ ولا لشيءٍ لم العنة، ألا فلعنة. وكان ﷺ  
أخسّر الناس خُلُقاً<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول: إن جميع ما نُضِلُّ في القرآن العظيم من مكارم الأخلاق،  
فإن النبي ﷺ كان مُنْحَلِباً<sup>(٢)</sup>.

ولم ينتصر ﷺ على ذلك، بل كان يبحث أصحابه الكرام، وأتته من يعلمهم  
على العمل بالقرآن العظيم، ويؤكد على ذلك بصور مختلفة، مراراً بالترغيب في  
ثواب العمل بالقرآن، وأخرى بالترهيب من معية ترك العمل بالقرآن، ومن أقواله  
المباركة في ذلك ما يأتي:

١ - عن الثَّوَالِبيِّ من سَفْعَانِ الكَلَابِيِّ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:  
«يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَعْلَى الدِّهْنِ ثَمَانُونَ بَعْلَمُونَ بِهِ، نَفَقَةٌ<sup>(٣)</sup> سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالْ  
جُمُرَانِ<sup>(٤)</sup>. وَضُرِبَ لِهَمَا رَسْمٌ اللهُ ﷻ ثَلَاثَةَ أَثْنَاءٍ، مَا تَسْبَعُهُنَّ يَغْزَى. قَالُوا: وَكَاثِمَتُهُمَا  
عِصْمَتَانِ<sup>(٥)</sup> أَوْ طَلْقَانِ سُوْدَانِ<sup>(٦)</sup>، يَسْتَهْمَا شَرْقًا<sup>(٧)</sup>، أَوْ كَاثِمَتُهُمَا حِرْقَانِ<sup>(٨)</sup> مِنْ طَبْرِ  
مَوَافٍ<sup>(٩)</sup>، تُحَاجَّجَانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا<sup>(١٠)</sup>».

(١) تفسير ابن كثير (١/٨١/١٦٤)

(٢) نظر عون العمود شرح سنن أبي داود (٢٤/١٥٤٢)

(٣) نَفَقَتُهُمَا تَقْدَمُهُمَا.

(٤) وهي رواية أخرى عند مسلم. «كَاثِمَتُهُمَا طَبَقَتَانِ». قال أهل اللغة: العمامة والعمامة كلُّ شيء  
أُطْلِقَ الْإِسْمُ لِمَوْقِعِ رَأْسِهِ مِنْ سَحَابَةٍ وَخَشْرَةٍ وَغَيْرِهِمَا. قال العلماء: المراد: أن ثوابها  
يأتي كغمامتين. «صحيح مسلم شرح البويهي» (٦/٣٣١)(٥) «يَسْتَهْمَا شَرْقًا» هو يفتح الشراء. وإسكانتها أي: فضاء ونور. ومن حكي فتح الشراء  
وإسكانها القاصي وآخرون والأشهر في الزوايا واللغة الإسكان.(٦) وفي رواية أخرى عند مسلم: «أَوْ كَاثِمَتُهُمَا حِرْقَانِ». الحرقان والحرقان، معاهما واحد.  
وهما قضبان وحصاتان. يُقَالُ في الواحد: حرق وحرق وحرقية.

(٧) «مِنْ طَبْرِ مَوَافٍ» جمع مَوَافٍ، وهو من الطيور ما يسقط أجنحتها في الهواء.

انظر حيز محمد علاء عبد الباقي علم مسلم (١١/٥٥٣)

(٨) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فصل في قراءة القرآن وسورة القراء (١)

(٥٥١) (ج ١٠٠)

فالقرآن العظيم يشفع لصاحبه الذي كان يعمل به في الدنيا، وفي مقدمة ذلك سورة البقرة وآل عمران. تنقلهما في الشفاعة، والنوود عن حافظهما، والعمل بهما خصوصاً، لكثرة ما حويان من أحكام وأمر عظام وهذا من اعظم فوائد العمل بالقرآن<sup>(١١)</sup>.

٢ - عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويتعمّل به كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب. والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويتعمّل به كالشجرة، طعمها طيب ولا يريح لها. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظل، طعمها مر، أو خبيث، وريحها مر»<sup>(١٢)</sup>.

في هذا الحديث نبي لك نصيلة حافظ القرآن العامل بما فيه، وأن المقصود من التلاوة هو العمل بما دل عليه القرآن، لا مجرد تلاوة<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن بطال رحمته الله - في شرحه للحديث: «قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله، ولا تزكو عنده، وإنما يزكو عنده ما أريد به وجهه، وكان على نية الشرب. وشبهه بالريحانة حيث لم يضح ببركة القرآن، ولم يفر بخلاوة أجره، فلم يجاور الطيب موضع الصوت، وهو الحلن، ولا أتصل بالقلب»<sup>(١٤)</sup> الذي هو موطن الاعتناء، فكيف يتعمّل بالقرآن من هذا حاله<sup>(١٥)</sup>.

فالقرآن العظيم لا يفتح أسراره، ولا يتضح به إلا من يعمل به، ويتحوّل به لتحقيق مدلوله في عالم الواقع لا لمن يفرّقه بمجرد الشرك أو الدراسة الفقهية أو العلمية، أو لمجرد تشع الأداء البياني به!

والقرآن العظيم لم ينزل ليكون مادة دراسة على هذا النحو وإنما تنزل

(١١) انظر: هذا القرآن في مائة حديث جوي، ص ٥٠ محمد زكي محمد حضر (ص ٢٢).

(١٢) رواه البخاري - كتابه فضائل القرآن - باب - ألم من راعى بقرآنه القرآن، أو تأكل به، أو لم يره (١٦٢٨/٣) (ج ١٥٠٤٩).

(١٣) انظر: صحيح البخاري شرح صحيح البخاري (١٨٤/٩).

(١٤) المنصور تقي (١٣/٦٨٧).

(١٥) انظر: صحيح مسلم شرح النووي (٨٣/٦).

ليكون مادة عمل وتوجه<sup>(١١)</sup>

٣ - سُئِلَ عَنِ اللَّهِ تَزُّ أَمْرٍ أَوْفَى  $\text{ﷺ}$ : فَمَنْ كَانَ الشَّيْءُ  $\text{ﷺ}$  أَوْفَى؟ فَقَالَ: لَا، مَقْلُوكَ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ، أَوْ أَمْرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟ قَالَ: الْوَصِيَّةُ بِكِتَابِ اللَّهِ<sup>(١٢)</sup>

قال ابن حجر  $\text{ﷺ}$ : أي: بالتفسيك به، والعمل بمقتضاه<sup>(١٣)</sup>

وقال أيضاً: «مَنْ أَمَرَ النَّاسَ مَا فِي الْكِتَابِ، عَمِلُوا بِكُلِّ مَا أَمَرَهُمُ الشَّيْءُ  $\text{ﷺ}$ ». لقوله تعالى: «وَمَا يَخْتَصِمَنَّكَ الرَّسُولُ مُخَدَّوَةٌ» الحشر: ١٧<sup>(١٤)</sup>.

ولهذا لم يكرر رسول الله  $\text{ﷺ}$  ليوحي أمته من بعده بأفضل من اتباع كتاب الله، لكونه أعظم وأهم من المال والحلابة - على أهميتهما - فمن أتبع كتاب الله لن يصل أبداً، ينص حديث رسول الله  $\text{ﷺ}$ ، الذي قال فيه: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا لَنْ تَمْسِكْتُمْ بِهِ لَنْ تَهْلِكُوا بِهِ» أخرجهما أعظم من الآخر: كتاب الوحي المنزّل من السماء إلى الأرض، وعزيمه أفضل من غيرها، ولأنه يتفرّقاً حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني بهما<sup>(١٥)</sup> وأخرجه مسلم من وجه آخر ولفظ:

«إِلَّا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لَنْ يَأْتِيَ رَسُولٌ رَمِي فَأَجِبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ لِقَلْبَيْنِ»<sup>(١٦)</sup> قولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فاحذروا بكتاب الله، واستنسبوا به، فحدث على كتاب الله، ورغب فيه<sup>(١٧)</sup>

(١١) انظر في خلاص القرآن (١/١٩٤٨)

(١٢) رواه البيهقي، كتاب الوصايا، باب الوصية (١٧/٨٤٢) (رقم ٢٧٤١)

(١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥/٤٤٣)

(١٤) رواه الترمذي (٥١/٦٦٣) (ح ١٣٧٨٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٣٧) (ح ١٣٧٨٠)

(١٥) (لقين): شيئا قلبي، أعظمهما وقيم شأنهما، وقيل: لقل العن بهما.

انظر: صحيح مسلم شرح النووي (١٤/٢٨٦)

(١٧) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب  $\text{ﷺ}$  (٤/١١٨٧) (ح ١١٨٧١)

فكتاب الله تعالى إن عمل به الناس واستسكوا به، كفاهم كل شيء، قال تعالى: ﴿لَوْزُزْ بِكَيْبِهِمْ أَنَّا لُنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِتِلْ عَشِيْرَةٍ لَّيْسَ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَرَوَّكَتَا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت: ١٥١.

٤. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن شافع منقطع، وما جعل لأصديق، من جعله أمانة فإنة إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»<sup>(١)</sup>.

ومعنى الحديث: أن من أتبع القرآن وعمل بما فيه، فإنه شافع له مقبول الشفاعة، في المعو عن زلانه وسقطانه، فمن جعله أمانة بالعمل به، فإنه إلى الجنة، ومن ترك العمل به، وجعله خلف ظهره، أتم على إساءته، ومصدق عليه فيما يؤفَع من مساويه، وعند ذلك يسوله إلى النار<sup>(٢)</sup>.

لهذه الأحاديث ندلُّ دلالة واضحة، على وجوب أتباع القرآن العظيم، والعمل به، فأين نحن من هذه التحليلات الثبوتية المباركة، حتى نفوز بسعادة الدنيا والآخرة. اللهم اجعل هذا القرآن حجة لنا، لا علينا.



(١) (ماجمل): أي شهادة وشهادة، وعمل: اتباع، تصديق. من قولهم: جعل فلان إذا سعى به

إلى السلطان. انظر: نهاية في غريب الحديث (٢٠٣/٤)، مادة: جعل.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٠/١٠٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٨/٤١)، وابن عسدي في «الكمال» (١٢٧/٣) عن ابن مسعود.

ورواه ابن حبان في «المصحيح» (١١٧/١١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٥/٢٥٠) عن جابر -

وصححه الأئمة في «المصحيح الجامع» (٢/٨١٨)، (مع ١١١٣)، و«المصحيح» (٣١/٥)

ص: ٤٠١.

(٣) انظر: بعض القدير (١٨/١٢٣٩٩). النهاية في غريب الحديث (١١/٣-٢)، مادة: (ماجمل).

لمبحث الرابع

الصحابة يتواصلون بالعمل بالقرآن

افتخر الصحابة الكرام ﷺ جميعاً ومن ليغهم بإحسانٍ هذا الشَّح الفوسم، فكانوا يتواصلون فيما بينهم على أهمية العمل بكتاب الله تعالى، والحد من ترك العمل به، ومن وصاياهم المباركة في ذلك ما يأتي:

١ - قال حمزة ﷺ: «إلا يعزركم من قرأ القرآن؟ إنما هو كلامٌ نتكلم به، ولكن أنظروا من يمثل به»<sup>(١)</sup>

٢ - عن ابن مسعود ﷺ قال: «علِّموا تفلحوا، هذا علمٌ وغسلوا»<sup>(٢)</sup>

٣ - عن أبي الثرداء ﷺ قال: «إنما أضاف أن يكونَ أول ما يسألني عنه ربي أن يقول: قد علمت مما عملت فيما علمت»<sup>(٣)</sup>

٤ - عن حذيفة ﷺ قال: «أبامعشر القراء: استعينوا»<sup>(٤)</sup>، فقد سبقتم سبقاً بعيداً»<sup>(٥)</sup>

(١) رواد الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم بالعمل (من ١٧١ رقم ٢٠٩)

(٢) رواد العساري في السنة (١٧٥/١٦) رقم ٣٦٦، وابن أبي شبة في مصنفه (١٠٥/٧) رقم ٣٤٥٢٧، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم بالعمل (من ١٦٣ رقم ١١٠)، وقال حذيفة (العلامة الأناسي): «موقوف حسن».

(٣) رواد الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم بالعمل (من ١٤١) رقم ١٤٣، وقال حذيفة «موقوف حسن الإساءة».

(٤) (القراء) - جمع قارئ، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة النبوية.

(٥) (الاستيعون) أي استلقوا طريق الاستقامة، وهو كناية عن التمسك بأمر الله تعالى معاً وتركاً.

(٦) «لقد سبقتم سبقاً بعيداً» أي ظاهراً، ووعدهم بالبعد، لأنه غاية شأوا الشاقين، والمراد: أنه حاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام، فلما نزلت بالكتابات والسنة سجل إلى كل غير، لأن من جاء بعده إن سجل حله لم يصل إلى ما وصل إليه من سنة إلى الإسلام، ولأنه هو بعدهم حياً وحكماً.



فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا<sup>(١)</sup>، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا<sup>(٢)</sup>.

٥ - قال الفضيل بن عياض<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه: «إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنَ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا. قِيلَ: كَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟ قَالَ: أَيُّ لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَأْتِمِرُوا بِأَوْامِرِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنِ نَوَاهِيهِ، وَيَعْفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ<sup>(٤)</sup>».

والمقدار العمل بالقرآن، وتطبيقه في واقع الحياة، والاهتمام بهديه، يكون الأجر، وهذا ملحوظ حتى في قوانين البشر الناقصة، فكيف بكلام الله تعالى، الذي يصفه رضي الله عنه بقوله: «لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» [انفصلت: ٤٢]. ويقول تعالى عنه: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» [النساء: ٨٢].

وَهَبْ أَنْ رَجُلًا حَفِظَ قَانُونَ بَلَدِهِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، ثُمَّ هُوَ يُخَالِفُ هَذَا الْقَانُونَ، وَلَا يَبَالِي بِتَطْبِيقِهِ وَالِاتِّزَامَ بِهِ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ، أَوْ يَقْبَلُ مِنْهُ؟ أَوْ طَبِيبًا تَعَلَّمَ قَوَانِينَ الطَّبِّ وَفَهَمَهَا وَوَعَاهَا، ثُمَّ عَالَجَ الْمَرْضَى بِخِلَافِ مَا تَعَلَّمَ، فَمَاذَا تَكُونُ النَتِيجَةُ؟

فإذا كان هذا ملاحظاً في القوانين الاجتهادية الأرضية، فما الظن بكتاب الله، الذي يُتَعَبَّدُ بتلاوته وسماعه ويتدارسه؟ ولا يكتمل هذا التَّعَبُّدُ، والأجر المُتَرْتَّبُ عليه، إلا إذا تلازم مع العمل والتطبيق. وما يُجدي مسلماً حفظ سورة الثور بأكملها، ويعلم جزاء الزاني والقاذف،

(١) (فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا): أي خالفتم الأمر المذكور، وكلام حذيفة رضي الله عنه متتبع من قوله تعالى: «وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» [الأنعام: ١٥٣].

جميع ما دُكِرَ في شرح أثر حذيفة. انظره في: فتح الباري (١٣/٣١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٤/٢٢٧٤) (رقم ٧٢٨٢).

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، الزاهد العابد المُجَلِّد بحرم الله، ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما، ولد بسمرقند، وتوفي سنة (١٨٧هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤/٤٧ - ٥٠)؛ تقريب التهذيب (٢/١١٣).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم بالعمل» (ص ٧٦) (رقم ١١٦).

فإذا هو يقترب هذه الكبائر عياداً بالله من ذلك! هل يُنجيه حفظه من العقوبة؟<sup>(١)</sup>

ولقد أحسن القائل:

إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً      عَلَيْنِكَ، وَلَمْ تُعْذَرْ بِمَا أَنْتَ حَامِلٌ  
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا فَإِنَّمَا      يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلٌ<sup>(٢)</sup>

وعوداً على ذي بدء: يتبين لنا مما نقلتم أن المقصود الأول من تعلم القرآن وحفظه وتدبره، هو العمل به.

روى الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كَانَ الرَّجُلُ مِتًّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ»<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر: أنوار القرآن (ص ٢١١).

(٢) انظر: افتضاء العلم المعمل (ص ٥٥).

(٣) مقدمة تفسير ابن كثير (١/٣٦)، وقال مُحَقِّقُوهُ: «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ».

## المبحث الخامس

نماذج من عمل الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن

إِنَّ مَنْ يَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم يَرَى عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ، فَلَمْ يَشْهَدْ التَّارِيخَ رَجُلًا عَقَدُوا عَزْمَهُمْ عَلَى تَنْفِيزِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ، كَمَا شَهِدَ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، بَلْ كَانُوا يُقْبَلُونَ عَلَى الْقُرْآنِ إِقْبَالَ الطَّمَانِ عَلَى الْمَاءِ الْبَارِدِ، يَتْلُونَ آيَاتِهِ وَيَتَدَبَّرُونَهَا، وَيَنْفُذُونَ أَحْكَامَهُ، وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِمَحْكَمِهِ، وَيَتَأَثَّرُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ.

\* وهذه طائفة من الحوادث تشير إلى اتباعهم رضي الله عنهم وسعيهم للعمل بكتاب الله امتثالاً للأمر، واجتناباً للنهي:

١ - لَمَّا جَرَتْ حَادِثَةُ الْإِفْكِ، وَتَكَلَّمَ نَاسٌ فِي عَائِشَةَ الصُّدَيْقَةِ رضي الله عنها كَمَا كَانَ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِيهَا مِسْطَحُ بْنُ أَنَاثَةَ، وَهُوَ رَجُلٌ فَقِيرٌ ذُو قَرَابَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يُنْفِقُ عَلَيْهِ مِنْ مَالِهِ الْخَاصِّ، تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها فِي ضَمَنِ سِيَاقِ حَدِيثِ الْإِفْكِ: «... فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصُّدَيْقُ رضي الله عنه، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتِي أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعْتُ إِلَى النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَتْ تُنْفِقُ عَلَيَّ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

فأبو بكر رضي الله عنه لما قرأ الآية وفهمها عمل بما فيها، وأعاد النفقة على من

(١) رواه البخاري مُطَوَّلًا، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ (٣/ ١٤٨٨) (ح ٤٧٥٠).

تَكَلَّمُ فِي عَرِيضَةٍ وَأَقَامَهُ لِي لِسْتَهُ رُوحَ النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ حَلَفَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَلَّا يَسْرِعَ مَعَهُ  
الْحَقُّقَةَ أَيْدَاءً، فَأَبَى نَحْرًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْلَافِ الْعَظِيمَةِ، وَالْقُدُوتِ الْمِيَارِكَةِ؟

٢ - عَنْ ابْنِ أَبِي مُبَيْكَةَ قَالَ: كَانُوا الْحَرِيرَ أَنْ يَهْلِكُوا، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما،  
رَفَعَا أَسْوَأَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ وَكُنْتُ بِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَخَذْنَاهُمَا بِالْأَفْرَاحِ بْنِ  
خَابِسٍ أَعْيَى بَنِي مُعَاذِ بْنِ نَضَارٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرُحْلٍ أَخْرَجَهُ، قَالَ نَافِعٌ: لَا أُحْفَظُ اسْمَهُ،  
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا جَلَالِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا جَلَالَكَ، فَأَرْتَفَعْتُ  
أَسْوَأَهُمَا فِي ظَنِّكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿كَلِمَاتٍ لِيَدَّعِيْنَ لَا تَرْفَعُوْا أَسْمَآئِكُمْ قَوْلَ سُنَنِ النَّبِيِّ  
وَلَا تَهْتَفِرُوْا لَهُ بِالْعَمَلِ كَتَمْتُمْ تَسِيحَتُمْ يَمِيْنِ أَنْ لَعْنَةُ ائِمَّتِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْتَرِفُوْنَ﴾  
[التحرير - ١] قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ  
حَتَّى يَسْتَفْهِنَهُ <sup>(١)</sup>.

أي: حتى يسهفه رسول الله ﷺ هذه مرات

٢ - عَنْ ابْنِ عَشَّامٍ رضي الله عنه قَالَ: فَقَدِمَ حَبِيبَةُ بْنُ جَسْرٍ بِنْتُ خَلِيفَةَ، فَزَلَّ عَلَى  
ابْنِ أُجَيْبَةَ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَفَدَ مِنَ الشَّغْرِ اللَّيْلِمْ يُلْتَبِهُمُ عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَانَ الْفُرَّاءُ  
أَصْحَابَ مَجَالِسٍ مَخْفِيَةٍ وَمُشَاوَرَةٍ، كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شَيْئًا.

فَقَالَ حَبِيبَةُ لِابْنِ أُجَيْبَةَ: يَا ابْنَ أُجَيْبَةَ، هَلْ لَكَ وَجْهَةٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ <sup>(٢)</sup>،  
فَأَسْتَأْذِنُ لِي عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup>، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَشَّامٍ رضي الله عنه: فَأَسْتَأْذِنُ الْحُرَّ بِحَبِيبَةَ، فَأَوْرَدَهُ عُمَرُ رضي الله عنه، فَلَمَّا دَخَلَ  
عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْحَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تَغْطِيهِ الْجُرُولُ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ.  
فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم به، فقال له الحرُّ يا أمير المؤمنين، إن الله

(١) رواه البخاري، كتاب العسور، باب: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَسْمَاءَكُمْ قَوْلَ سُنَنِ النَّبِيِّ...﴾ الآية (٣٧)  
(١٥٣٧) (ج ٢٨٤٥)

(٢) (هَلْ لَكَ وَجْهَةٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ): هذا من جملة سفا - حية، أو كان من حقه أن يبعث أمير  
الدومس، ولكنه لا يعرف منازل الأكر.

(٣) (فَأَسْتَأْذِنُ لِي عَلَيْهِ) أي: لي حنة، وإلا لعسر رضي الله عنه لا يحجب إلا وقت حلوله وراحته.  
ومن ثم قال به (سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ)، أي: حتى نتجمع به وحدثك

تَعَالَى قَالَ لِنَسَبِهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِيَّيْنَ. وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عَمُرُ ﷺ حِينَ نَلَّهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>، <sup>(٢)</sup>.

ليت الأمة - حكماً ومحكومين - تكون وقافة عند كتاب الله تعالى، إذا ذكروا تذكروا، كحال الفاروق رضي الله عنه.

٤ - عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَلَى عَلَيْهِ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَبِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥].

فجاءه ابن أم مكتوم رضي الله عنه وهو يملؤها علي، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، ففعلت علي حتى خفت أن ترص فخذي، ثم سرى عنه، فأنزل الله: ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَبِ﴾ <sup>(٣)</sup>.

حتى صاحب العذر لم يعذر نفسه من الجهاد لاستشعاره أهمية العمل بالقرآن العظيم، وتنفيذ أوامره، فيأتي رسول الله ﷺ متوسلاً متأثراً، يحلف بالله العظيم أن لو ملك القدرة لخرج، حتى أكرمه الله تعالى وأنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، في هذا الاستثناء لأصحاب الأعذار: ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَبِ﴾.

وإذا كانت هذه الطائفة من الحوادث قد عبرت عن مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على العمل بالقرآن واتباع ما فيه، فإنها تدل دلالة قطعية على عظمة تربيتهم أيضاً، ولكننا نلاحظ أنها لم تخرج عن كونها تُعبر عن صور لتصرفات فردية قام بها أصحابها رضي الله عنهم، ولكن هناك طائفة أخرى من الأخبار تُعبر عن عظمة التربية النبوية، وهي تربية جماعية، جاءت كلها مُعبرة عن استجابة جماعية لأوامر الله تعالى، ومنها:

(١) (وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ): أي يعمل بما فيه ولا يتجاوز.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/٣١٧ - ٣١٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣/١٤٢٠) (رقم ٤٠٦٤٢)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: «الافتدال بسنن رسول الله ﷺ» (٤/٢٢٧٤) (رقم ٧٢٨٦).

(٣) - رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣/١٣٩٨) (ح ٤٥٩٢).



١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الطلح، إذ جاءته تب فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتى عنده الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكأنت ووجوههم إلى الشام، فاستأذوا إلى الكعبة<sup>(١)</sup>

لهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم لما سمعوا من أبي هريرة بآية تحويل القبلة لم يتبها حتى يفرغوا من صلاتهم، بل ولوا وجوههم شطر المسجد الحرام مباشرة؛ امتثالاً لأمر الله وتطبيقاً لما جاءهم في القرآن.

\* قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «ما كان لنا خضرٌ غيرَ قبيحكم هذه الذي نسوتُه الفضيخ، فإني لقاتم أنفي أبا طلحةٍ ومُلائنا ومُلائنا إذ جاء رسلٌ فقال: وهل نلتكم الخثر؟ فقالوا: وما ذلك؟ قال: حرمت الحفر، قالوا: أفرق منه القلان يا أنس، قال: فما سألوها عنها ولا اجتموها بعد غير الزجل»<sup>(٢)</sup>

هرعوا رضي الله عنهم مباشرة إلى العمل والتنظيف، امتثالاً للأمر واحتشاماً للنهي، وأعرفوا بيان الخسر، وما رجعوا إليها أبداً

٣ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: أبرختم الله نساء المهاجرات الأول، فلما أنزل الله ﴿وَلْيَضْحَكُنَّ يَخْمُرِينَ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] شققن رؤوسهن<sup>(٣)</sup> «اختمنن بها»<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري، والمعتمد، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة (١/١١٦) (ج ١٠٣) ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة (١/٣٧٥) (ج ١٥٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب النسب، باب قوله: ﴿إِنَّا لَنَرُّوهُمُ وَاللَّيْلَةَ وَالنَّهَارَ بِمَشْرِيقٍ أَوْ مَغْرِبٍ﴾ [النسب: ٩٠] (١/١٠٨) (ج ٤٦٧).

(٣) (الشروط) جمع مرط، وهو الإزار، وقيل: هو ثوب غير مطبق، أي شققن كسدهن، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٦٣) (شبه العرب: ٤٠٦٧)، ملحق المرط.

(٤) (الختن) أي شققن وجوههن، وصفة ذلك: أن تصنع الجوار على رأسها، وترتبه من الجانب الأيمن على العنق الأيسر، وهو التفتيح، قال القرطبي: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة حمارها من ورائها، وتكشف ما قدامها، فأمرن بالاستار، والخمار للمرأة كانامة للرجل، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٦٢).

(٥) رواه البخاري، كتاب النسب، باب: ﴿وَلْيَضْحَكُنَّ يَخْمُرِينَ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ﴾ (٣/٤٩٧) (ج ١٧٥٨).

وفي رواية أخرى تقول عائشة رضي الله عنها: «أخذن أزهرن فشقنّها من قبل الحواشي، فاختمرنّ بها»<sup>(١)</sup>.

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: «لما نزلت ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَ مِنْ جَنِينٍ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغُرَبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت نساؤهم، كرجالهم، يُسارعن إلى امتثال أمر الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُصْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، وأمره تعالى: ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَ مِنْ جَنِينٍ﴾. فلا ينتظرن شراء خُصْرِ جديدة، ولا ينتظرن العودة للمنازل، بل يسارعن فيشققن مروطنهن ويلقينها على جيوبهن رضي الله عنهم أجمعين.



(١) رواه البخاري، الكتاب نفسه، والباب نفسه (٣/١٤٩٢) (ح ٤٧٥٩).

(٢) رواه أبو داود (٤/٦١) (٤١٠١) - وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٧٧٣) (ح ٣٤٥٦).

## الفصل التاسع

### هجر التحاكم إلى القرآن

وفيه أربعة ساحت

المبحث الأول: أدلة وجوب التحاكم إلى القرآن.

المبحث الثاني: أسباب هجر التحاكم إلى القرآن.

المبحث الثالث: الآثار الحسنة للحكم بما أنزل الله.

المبحث الرابع: الآثار السيئة للحكم بغير ما أنزل الله.

المبحث الأول

أدلة وجوب التحاكم إلى القرآن

إن الناظر في القرآن العظيم يجد أن الآيات التي تدل على وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله تعالى كثيرة، وقد وردت بأساليب متعددة في الدلالة على وجوب احتكام الناس جميعاً حكماً ومحكومين إلى ما أنزل الله تعالى، وهي على النحو التالي:

الآية الأولى:

قوله تعالى ﴿إِن لِّلرَّعِيَّةِ كِتَابٌ مِّنْهُم مَّا نُزِّلَ بِهِ إِلَى الَّذِينَ أَنزَلْنَا بِهِ الْوَحْيَ وَإِنَّهُمْ فِي شَأْنِهِ خَالِقُونَ﴾ (النساء: ٥٩).

حافظ الله تعالى المؤمنين في حالة اختلافهم في شيء من أمر دينهم وبما بينهم، أو فيما بين ولاية أمرهم - فتسارعوا في ذلك - أن يردوا معرفة حكم ذلك المختلف فيه إلى كتاب الله تعالى، فإن وجدوا الله تعالى في كتابه حكماً اتبعوه، وإلا ففي سنة رسول الله ﷺ لهذا هو علامة المتصدين بالله تعالى وباليوم الآخر<sup>(١)</sup>.

وفي الآية دليل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله، ولا باليوم الآخر<sup>(٢)</sup>.

وكما أن الآية توجب التحاكم إلى شرع الله تعالى على الراعي والزعيمة سواء، فإنها أيضاً تفيد تحريم التحاكم إلى غير شرع الله، لأن ما حكم به الكتاب والسنة، وشهدا له بالصححة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولهذا قال تعالى ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: ردوا الخصومات والاختلافات

(١) تفسير الموطأ (١/٢٧٧).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١/١١٧).

إلى كتاب الله، ومنّة رسوله ﷺ، فالإيمان لا يجوز الرد إلى غيرهما<sup>(١)</sup>. ولا يعني ذلك أن تردّ المتنازع فيه إلى ظواهر نصوص الكتاب والسنة فقط، بل المراد منه الرجوع إلى الشريعة بروحها ومقاصدها في صورتها الشاملة، كما فهمها السلف الصالح، وإلا فإن حرفية النص التي يتمسك بها أهل الظاهر، وجمود الفهم الذي يقف عنده أهل الغلو، ليس مراداً في ذلك<sup>(٢)</sup>.

وفي الآية «أمر يردّ كل ما تنازع الناس فيه - من أصول الدين وفروعه - إلى الله والرسول، أي: إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ففيهما الفضل في جميع المسائل الخلافية، إمّا بصريحهما، أو عمومهما، أو إيماء، أو تشبيهاً، أو مفهوماً، أو عموم معنى يقاس عليه، وما أشبه ذلك»<sup>(٣)</sup>.

ويستفاد من الآية الكريمة عدّة أمور، ومنها:

- ١ - أن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يُخرجهم ذلك عن الإيمان، إذا ردّوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، كما شرّطه الله عليهم.
- ٢ - أن قوله تعالى: ﴿إِن لَّنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ مِّنْهُ لَنُكَرَهُ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ، تَعْمُ كُلُّ مَا تَنَازَعُ فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ، دَقَّهُ وَجَلَّهُ، جَلِيَّةً وَخَفِيَّةً.
- ٣ - أن الناس أجمعوا على أن الردّ إلى الله وإلى رسوله: إلى كتابه، وإلى الرسول نفسه في حياته، وسنته بعد وفاته.
- ٤ - أنه جعل الردّ من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الردّ انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيّما التلازم بين هذين الأمرين، فإنه من الطرفين، وكلّ منهما ينتفي بانتفاء الآخر<sup>(٤)</sup>.

#### الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٣٨٥)؛ أضواء البيان (١/٩٢ - ٩٣).

(٢) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/١٧١).

(٣) تفسير السعدي (١/٣٦٢).

(٤) انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٥١ - ٥٢).



مِن قِبَلِكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوكًا ﴿السَّاءُ: ٦٠ - ٦١﴾.

معنى الطَّاغُوتِ:

أصل الطَّاغُوتِ: عَلَوَتْ، من قول القائل: اطلعى فلان يطفغوا إذا عدا فلنره فتجاوز حده، كجبروت من التَّجْبِيرِ، ثم نُقلت لأمه فجعلت عيناً، وحولت عينه فجعلت مكان لأمه<sup>(١)</sup>.

ومعنى الطَّاغُوتِ في الاستعمال الشرعي: هو ما ذكره ابن جرير بتخلفه بأنه: «كلُّ ذي طغبانٍ على الله، فغِبْدٌ من دونه، بما يقهر منه لمن غلبه، وإما بطاعة من عنده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء»<sup>(٢)</sup>.

والتَّاغُوتِ كلمة يراد بها المفرد أحياناً - كما في هذه الآية - ويراد بها الجَمْعُ في أحيانٍ أخرى - كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾ (البقرة: ٢٥٧) والمعنى: أو بآلهم الطَّاغُوتِ<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ في الآية:

١ - أن الله تعالى قال: ﴿يُرْعَضُونَ﴾، أي: يدعون الإيمان إذ لو كانوا من أهل الإيمان الصادق، لما تحاكموا إلى غير الله ورسوله، فدل على ادعائهم الإيمان، وهم كاذبون.

قال ابن القيم رحمه الله: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول، والالتفات إلى غيره، هو حقيقة التماق»<sup>(٤)</sup>.

٢ - أن الله تعالى سَجَّلَ عنى المنولين بنظواغيته، والمتحاكمين إليهم،

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٠٨، مادة: اطفى).  
(٢) تفسير الطبري (١٩/٣).  
(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٣٠٨)، تفسير القرطبي (٣/٢٨٢).  
(٤) مختصر الصواعق المرسله لابن القيم، لمحمد الموصللي (٢/٣٥٣).

وَصَفَّ الكُفْرَ، فِي حِينِ أَنْ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ أَصْلًا الْكُفْرَ بِالطَّاعُوتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾. وَمَنْ لَوَازِمُ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى، الْكُفْرَ بِالطَّاعُوتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

### والخلاصة:

أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ دَلَّتْ عَلَى وَجُوبِ التَّحَاكُمِ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ عَهْدِهِ وَجْهًا:

- ١ - أَنَّ الطَّاعُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَرَضِيَ بِالْعِبَادَةِ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبِعٍ، أَوْ مَطَاعٍ، فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ<sup>(١)</sup>.
- ٢ - أَنَّ التَّحَاكُمَ إِلَى الطَّاعُوتِ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ.
- ٣ - أَنَّ الْمُعْرَضَ عَنْ حُكْمِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، قَدْ حُكِمَ بِنِفَاقِهِ، فَإِذَا ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مَنَعَ النَّاسِ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ، كَانَ هُوَ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا<sup>(٢)</sup>.
- ٤ - اِعْتِبَارُ ادِّعَاءِ الْإِيمَانِ، مَعَ إِرَادَةِ التَّحَاكُمِ إِلَى غَيْرِ شَرَعِ اللهِ، مَجْرَدُ زَعْمٍ بَاطِلٍ.
- ٥ - أَنَّ الْكُفْرَ بِالطَّاعُوتِ تَكْلِيفٌ مَأْمُورٌ بِهِ.
- ٦ - أَنَّ إِرَادَةَ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاعُوتِ نَاتِجَةٌ عَنِ إِرَادَةِ الشَّيْطَانِ الْإِضْلَالِ لِأَوْلَئِكَ الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

### الآية الثالثة:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(١) انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٤٩ - ٥٠)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/٥٤٢).

(٢) انظر: الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود (ص ٨٥).

(٣) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/١٧٣).

التحاكم إلى شرع الله مرتبط بالإيمان لرباط السبب بالمتسبب، فالْمُؤْمِنُونَ  
 لاسلامهم وتسليمهم بختم رسول الله ﷺ - الذي يحكم به عن وحي الله  
 والكافرون كفارة لإيمانهم واستسلامهم - فلها وقالياً - شرائع انقواغيت، وهذه  
 قصبة من مُسَلِّمات هذا النُسب، التي أُلِّمها الله تعالى في كتابه، بل أقم في الآية  
 عليها، وألِّمها مؤقَّدات كثيرة، مما يثبت ويؤكِّد: أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يُحْكَمَ  
 الرَّسُولُ ﷺ في جميع أموره<sup>(١)</sup>.

والآية الكريمة صريحة في متطلبها في إفادة أن التحاكم إلى ما أنزل الله،  
 من الواحيات التي يحلل الإيمان بالإحلال بها، ويتفرض بالانقصاص منها<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم كَلِمَةً عن هذه الآية: «أقسم سبحانه بتفقيه العقيدة، فسماً  
 مؤكِّداً بالنفي قلة، على عدم إيمان الخلق، حتى يحكموا رسولاً في كل ما شجر  
 بينهم، من الأصول والفروع، وأحكام الشريعة، وأحكام المعاد، ولم يثبت لهم  
 الإيمان بمجرد هذا التحكيم، حتى ينفي عنهم الحرج - وهو صيق الصدر -  
 وتشرح صدورهم لشركه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم  
 الإيمان بذلك أيضاً، حتى يتصاف إليه مفاصلة حُكْمِهِ بالرُضَى والتسليم، وعدم  
 المنازعة، وانقضاء المعارضة والاعتراض»<sup>(٣)</sup>.

ولستم إلى كلام ميرزا وليبي المشوكاني ﷺ عند تفسيره للآية نفسها،  
 حيث قال: «وفي هذا الوعد الشديد ما تشعر له الجلوه، وترجع له الألفة،  
 فإنه أولاً أقم سبحانه نفسه، مؤكِّداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون،  
 فنفي عنهم الإيمان - الذي هو رأس مال صالحي عباد الله - حتى تحصل لهم  
 عاية، هي تحكيم رسول الله ﷺ

ثم ثم يكف سبحانه بذلك، حتى قال: ﴿لَمَّا لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا  
 مِمَّا قَضَيْتَ﴾ فضم إلى التحكيم أمراً آخر، هو عدم وجود حرج، أي: حرج في  
 صدورهم، فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافياً، حتى يكون من صميم  
 القلب، عن رضى واطمئنان، وانقلاح قلب، وطيب نفس.

(١) انظر المصدر السابق (١/١٧٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/١١٧٣).

(٣) الشبان في أقسام الفروع (ص ٢٧٠).

ثم لم يكتف بهذا كله، بل ضمَّ إليه قوله: ﴿وَسَلِّمُوا﴾ أي: يُدْعونوا ويتقادوا ظاهراً وباطناً.

ثم لم يكتف بذلك، بل ضمَّ إليه المصدر المؤكَّد فقال: ﴿تَسْلِيمًا﴾ فلا يثبت الإيمان لعبيد، حتى يقع منه هذا التحكيم، ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه، وسلم لحكم الله وشرعه، تسليماً لا يخالطه ردُّ، ولا تشويه مخالفة<sup>(١)</sup>.

والآية الكريمة تربط التحاكم بالدين كله، من إسلام وإيمان وإحسان؛ **فالتحكيم**: في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج؛ في مقام الإيمان، والتسليم؛ في مقام الإحسان<sup>(٢)</sup>.

فَمَنْ استكمل هذه المراتب وكمَّلها، فقد استكمل مراتب الدين كلها<sup>(٣)</sup>.

#### الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿أَفَصِرَ أَمْرُ الَّذِينَ حَكَمُوا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ كِتَابٌ يَمْلُونَ إِنَّهُمْ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

الحكم هو الحاكم الذي يفصل في القضايا والخصومات، والحكم أبلغ من الحاكم، إذ لا يستحق التسمية بالحكم إلا مَنْ يحكم بالحق<sup>(٤)</sup>.

و«الحكم» من أسماء الله تعالى الحسنى؛ لقوله ﷻ: **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ** الحديث<sup>(٥)</sup>.

ولمَّا كَانَ اللهُ ﷻ هو الحكم الحق، فقد استنكرت الآية أن يُتَّعَى غيره في التحاكم، وهذا الاستنكار أفاد وجوب التحاكم إليه سبحانه.

ويلاحظ هنا: أن النظم الكريم قد قرَن تنزيل الكتاب بوصف الحق، ممَّا يدلُّ على أن اتخاذ حكمٍ دونه هو من الباطل، بل من أبطل الباطل.

(٢) مدارج السالكين (٢/١٩٢).

(١) فتح القدير (١/٧٣٠).

(٣) تفسير السعدي (١/١٨٥).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٤)، مادة: (حكم).

(٥) رواه أبو داود (٢٨٩/٤) (ح ٤٩٥٥) وابن حبان في «صحيحه» (٢/٢٥٧) (ح ٥٠٤)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٢/١) (ح ٨١١)؛ وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢١٦/٣) (ح ٤٩٥٥)؛ و«صحيح الأدب المفرد» (ص ٣٠٢) (ح ٦٢٣).

قال أبو السعود تعلقه في معنى الآية ﴿أَعْتَبْ﴾ الجمرة للإكثار، والمعنى  
لنعطف على مُقَدَّرٍ يقتضيه الكلام، أي قُلْ لَهُمُ الْمِيلُ إِلَى رِحَارِ الشَّطِطِ،  
فَأَيْتِي حَكْمًا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، بِحَكْمِ بِنَا.

﴿وَمَنْ أَلَدَى لَرَلْ إِيَّاسْتَمَّ الْكِنْتَبَ مُضَلًّا﴾ أي مُبِينًا بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ،  
وَالْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ، بَحِثْ لَمْ يَبْقَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا شَيْءٌ  
مِنَ التَّحْبِيطِ وَالْإِبْهَامِ، فَأَيُّ حَاجَةٍ عَدَّ ذَلِكَ لِتَحْكُمَ غَيْرَ اللَّهِ؟ وَهَذَا - كَمَا تَرَى -  
صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْفِرَارَ الْكَرِيمَ، كَذَابٌ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، مُغْنٍ عَنِ غَيْرِهِ، بِبَيِّنَاتِهِ  
وَتَعْصِلُهُ<sup>١١١</sup>

#### الآية الخامسة:

قوله تعالى ﴿وَقُولُوا إِنَّمَا أَهْمُنَا لِقَاؤُكَ رَبَّنَا فَتَوَلَّ عَلَيْنَا نَجْرًا لِمَنِ الْأُمُورُ  
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>١١٢</sup> وَإِنَّمَا نَحْنُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِحَكْمٍ بَيْنَهُمَا فَمَا فَرِحَ بَيْنَهُمْ  
تَمَرُّونَ<sup>١١٣</sup> زَيْدٌ يَكْفُرُ لَمْ يَلْقُ إِلَّا إِلَهًا مُتَعَبِّدًا<sup>١١٤</sup> لِي قَوْمِهِمْ تَمَرُّوا لِي لِقَائِنَا أَمْ  
يَقُولُونَ لَنْ نَجِيفَ اللَّهُ عَلَيْنَهُمْ وَرَسُولَهُ عَلَى الْآيَةِ هُمْ الْعَالِمُونَ<sup>١١٥</sup> إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُتَوَكِّلِينَ  
إِنَّمَا نَحْنُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِحَكْمٍ بَيْنَهُمَا لِي يَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ وَإِلَيْهِ هُمْ الْمُنْقَلِبُونَ<sup>١١٦</sup>  
[النور: ٤٧ - ٥١]

وصفت الآية الكريمة المستحبيين لحكم الله ورسوله، بالإيمان والفلاح،  
وحرى، صعبة الحصر (إنما)، لدفع أن يكون مخالفة هذه الحالة فيه شيء من  
الإيمان، وإن قال بلسانه: إنه مؤمن.

ودلالة الآية على وجوب التحاكم إلى الله والرسول واضحة: بشأنها عنى  
القائمين به، ومدحها لهم، ووعدوا بإنعام بالنور والفلاح، وواضح أيضاً من دعائها  
للمعرضين عن التحاكم إلى الرسول، ووعدوا بإنعام بالظلم، والمعرض،  
والرزية<sup>١١٧</sup>

١١١ بحسب أبي السعود (٣/١٧٧).

١١٢ نظم الحكم والتحاكم في حطاب الوحي (١/١٨٣).



## وجوب إجابة القاضي المسلم:

وقد استنبط العلماء من الآية: وجوب إجابة القاضي المسلم، واضربوا الرضى بما يحكم، رضى بحكم الله في الحيف، إذا كان نفاؤه مستقياً من الشريعة وحدها.

وممن صرح بذلك القرطبي رحمته حيث قال: «هذه الآية دليل على وجوب إجابة الداعي إلى الحاكم؛ لأن الله سبحانه ذم من دعي إلى رسوله ليحكم به وبين عصمه فأمر، بأقبح الذم فقال: ﴿إلى قلوبهم ترجس...﴾ قال ابن شوثير مناد: «أحب على كل من دعي إلى مجلس الحاكم أن يجيب، ما لم يعلم أن الحاكم فاسد»<sup>(١)</sup>.

وتبعه - في حكاية التصريح - الشوكاني رحمته حيث قال: «في هذه الآية دليل على وجوب الإجابة إلى القاضي، العالم بحكم الله، العادل في حكمه، لأن العلماء ورثة الأنبياء... والحكم من فضاء الإسلام، العالمين بحكم الله، العارفين بالكتاب والسنة، العادلين في القضاء، هو حكم الله، وحكم رسوله، فالداعي إلى التحاكم إليهم، قد دعا إلى الله وإلى رسوله، أي: حكيمهما»<sup>(٢)</sup>.

مسألة: هل يتعرض عن مجلس الحاكم المسلم، كالتعرض عن نفس حكم الشريعة؟

جوابها - الأمر يحتاج إلى تفصيل في هذه المسألة، وهو يرجع إلى حال المتحاكم، وحال الحاكم، فقد يكون المعرض عن مجلس الحاكم معرضاً عن شخص، لا عن التشريع الذي يحكم به، وحال هذا يختلف عن حال الظاهر في الأحكام، التي يصدر عنها الحاكم.

وقد حكى ابن عثور رحمته - هذا التفصيل - بقوله: «ولا يُحائف الرسول في حكمه شرع الله تعالى، ولهذا كانت الآية خاصة بحكم الرسول ﷺ، فأما الإعراض عن حكم غير الرسول فنفس كفر، إذا جوز المعرض على الحاكم: عدم إصابت حكم الله تعالى، أو عدم العدل في الحكم».

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٩٢ - ٢٩٤).

(٢) فتح القدير (١/٦٦).

ثم إن الإعراض عن التفاضل لدى قاضي يحكم بشريعة الإسلام: قد يكون: للطعن في الأحكام الإسلامية، الثابت كونها بحكم الله تعالى، وذلك كقولنا للدخول تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ مُّضَيَّبَةٌ لِّمَاقِلَاتِهِ﴾ [الشورى: ٥٠]. وقد يكون: لمجرد متابعة الهوى، إذا كان الحكم المخالف للمشرع، ملائماً لهوى المحكوم له، وهذا هو سوء وضلال، كشأن كل مخالفة يخالف بها المكلف أحكام الشريعة، لأنواع الإعراض الذنوبية. وقد يكون: للطعن في الحاكم، وظنّ الجور به، إذا كان غير معصوم، وهذا فيه مراتب بحسب التعكّن من الانصاف من الحاكم وتفويضه<sup>(١)</sup>.

### الآية السابعة

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ٤١].

في ههنا الآية إشارة بالغة الروعة؛ فقد قرأ الله ﷻ بين كونه صاحب الحكم الذي يرجع إليه، وبين كونه هو الربّ - سبحانه - فلما أنصف - جلّ وعلا - بصفات الربوبية: من قدرته على الخلق والرزق، والعطاء والمنع، وسائر صفاته التي لا ينكرها إلا جاحد كافر به - سبحانه - استحوذ أن يكون له وحده الحكم. وقد بين الله تعالى - في آيات كثيرة - صفات من يستحق أن يكون الحكم له، وأسهب الشكطي عكلاً في بيان ذلك بما لا يحده في موضع آخر، ومما قاله: فمع الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والشريع، قوله هنا: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾، ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿١﴾ فيلزم الشكوت والأرضين جعل لك بين أنفسكم أرضاً ومن الأعداء أرضاً بآياتكم بين أيديهم ومنهم ومنهم ومنهم ﴿٢﴾ لم تغالبوا الأرضين والأرضين بينكم الأرضين بين يديهم وقدّر لهم بكل شيء عليهم﴾ [الشورى: ١١ - ١٢].

فهو في الكفرة الفجرة المترهبين للنظم الشيطانية، من يستحوذ أن يوصف

بأنه الرب الذي نفوَّض إليه الأمور، ويَتَوَكَّل عليه، وأنه فاطر السَّمَاوَات والأرض، أي: خالقهما ومختراعهما على غير مثالٍ سابق، وأنه هو الذي خَلَق للبشر أزواجاً... ١٩.

فعلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ تَتَفَهَّمُوا صِفَاتَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُشْرَعَ وَيُحْلَلَ وَيُحْرَمَ، وَلَا تَقْبَلُوا تَشْرِيْعاً مِنْ كَافِرٍ خَسِيسٍ حَقِيرٍ جَاهِلٍ...

ومن الآيات الدَّالَّة على ذلك، قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّيْلُ مِنَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ مِنَ اللَّيْلِ أَمْتًا مِمَّا لَمْ يَكُنِ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

فهل في الكفرة الفجرة المشرِّعين مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّ لَهُ غَيْبَ السَّمَاوَات والأرض ١٩؟ وَأَنْ يُبَالِغَ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ لِإِحَاطَةِ سَمْعِهِ بِكُلِّ الْمَسْمُوعَاتِ، وَبَصَرِهِ بِكُلِّ الْمُبْصُرَاتِ؟ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ دُونَهُ مِنْ وَلِيٍّ ١٩ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

ومن الآيات الدَّالَّة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَخْرُجًا لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْيُسُوفُ وَإِلَيْهِ رُجُوعُنَا﴾ [الفصّر: ٢٨].

فهل في الكفرة الفجرة المشرِّعين مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ الْإِلَهَ الْوَاحِدَ؟ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ؟ وَأَنَّ الْخَلَائِقَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ؟ تَبَارَكَ رَبُّنَا، وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ، أَنْ يُوصَفَ أَحْسَنَ خَلْقِهِ بِصِفَاتِهِ...

ومنها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

فهل فيهم مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ يَقْضِي الْحَقَّ، وَأَنَّهُ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ؟ ومنها، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ مَآءَهُ أَوْ كَيْفَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَقَّهْتُمْ﴾ [يونس: ٥٩].

فهل في أولئك المذكورين مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الرِّزْقَ لِلْخَلَائِقِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَحْلِيلٌ وَلَا تَحْرِيمٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ؟ لِأَنَّ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ مَنْ خَلَقَ الرِّزْقَ وَأَنْزَلَهُ، هُوَ الَّذِي لَهُ التَّصَرُّفُ فِيهِ، بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ. سُبْحَانَهُ جَلًّا وَعَلَا، أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ<sup>(١)</sup>.

## الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لَهُمْ شُرَكَائُهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَلِدُوا بِهِ اللَّهُ وَقَوْلًا

كَلِمَةً الْفَصْلِ لَقَدْ نَسُوا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الشورى (١٢١)

هذه الآية الكريمة موجهة للمتحاكم إلى شرع الله، من حيث إنكارها على  
المتين لا يتبعون ما شرع الله من الذنوب الفجيرة، بل يتبعون ما شرع لهم شياطين  
الجن والإنس، من تحريم ما لم يحرم الله، أو تحليل ما لم يحلله<sup>(١١)</sup>

وأتباع شرائع هؤلاء الشياطين هو الأصل في باب الضلالة والضلال، ومع  
ذلك سميت ديناً، ولكنه بين مصادق ليس الله، لأنه يلزم على العمل للشيء،  
فأصحابها لا يعلمون، ولا يعملون إلا لها<sup>(١٢)</sup>

وحتى لو كان هؤلاء المطيعون للمشرك، يريدون طاعتهم نوحاً من العبادات  
والقرى، فإن ذلك غير مقبول منهم، بل مردود عليهم؛ لأن الله تعالى لا يعبأ إلا  
بما شرع، لا بما شرع القلوعيت، ورش الشياطين

وفي هذه النشأة يقول ابن تيمية رحمه الله: موسى: عتقد أن لا خير - من جميع  
الخلق، علمائهم، وعبادهم، وملوكهم - يخرجوا عن اتباعه (ﷺ) وطاعته، وأخذوا  
ما نعت به من الكنات والحكمة، فهو كافر، فبجبت التفرقة بين العبادات  
الإسلامية الإيمانية النبوية الشرعية التي يحثها الله ورسوله، وعادة المؤمنين،  
وبين العبادات البدعية الضلالية الجاهلية. التي قال الله فيها: ﴿إِنَّمَا لَهُمْ شُرَكَائُهُمْ  
مَنْ عَبَدُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(١٣)</sup>



(١١) انظر تفسير ابن كثير (١/١٩٧) الحكم والتحاكم من حطاب الوحي (١/١٨٨)  
(١٢) انظر التفسير الكبير (١/١١٠/٢٣٧). (١٣) مجموع الفتاوى (١٧/٥٩ - ٦٠)

## المبحث الثاني

## أسباب هجر التحاكم إلى القرآن

تمهيد:

أظهر القرآن العظيم سخايا المعترضين عن شرع الله تعالى وحُكمه، وفنك أسرارهم، وكشف لولاياتهم. وأُنزلت معهم آيات من كتاب الله موضحاً هويئتهم، وفاسدة دعاتهم، ومضلة عن أسباب إعرابهم، وكواكب نواياهم.

قال ابن القيم رحمه الله: في معرض حديثه عن المعترضين المعترضين على شرع الله تعالى وأمره وحُكمه

« فمنهم معترضون بأرائهم وأقبيسهم، المتضمنة تحليل ما حرم الله ﷻ، وتحريم ما أباحه، وإسقاط ما أوجده، وإيجاب ما أسقطه، وإبطال ما صححه، وتصحيح ما أبطله، وإعيار ما أنفاه، وإلغاء ما اعتبره، وتغيير ما أطفاه، وإطلاق ما قبده

• ومنهم المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأدواف، والخيالات، والكشوفات الباطنة الشيطانية، ومزولا، في حظيرة أشدوها دناء، وقدموها على شرع الله وقبه، واختاروا بها القلوب، واحتضموها عن طريق الله

• ومنهم أهل الاعتراض بالسياسات الجائرة، التي لأرباب الولايات، التي فدعوها على حكم الله ورسوله، وحكموا بها بين عباده، وعطلوا بها شرعه وعدله وحدوده، وقالوا: إذا تعارضت السياسة والشرع، فدُما السياسة.

فجعلت كل طائفة قبالة دين الله وشرعه، طاهوناً يتحاكمون إليه<sup>(١)</sup>.

ومن العجيب أن أسباب الاعتراض عن حكم الله - كما عرضها القرآن -



تُشعر بأن نفسيات المعروضين . في كل زمان ومكان . واحدة ، ومقولاتهم  
منشابهة ، فلا تكاد يلمح حديثاً في موافق معروضي الأسماء ، ولهذا فإن حُكْم  
الشرايع في المعروضين واحدة . مد فجر التاريخ ، وإلى نهايته<sup>(١)</sup> .

وهذه أمثلة أسباب حجر الشحاحم إلى القرآن ، كما كشفها الكتاب العزيز ،  
وفي حيز الشرح التالي :

#### السبب الأول - كراهية ما أنزل الله :

عندما تحرف الغفرة ، وتعنى البصيرة ، يُصبح الإنسان نجياً لما أبغض الله ،  
ومُبغضاً لما أحب الله ، وقد يبلغ هذا البغض والكراهة حدّاً يعزل بالسوء إلى أن  
يكفر ، أن يُذكر الله تعالى أمامه ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا ذُكِّرْنَا لِقَاءَ رَبِّنَا أَن نَّكْفُرَ  
بِمَا كُنَّا نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ لَمَّا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّنَا فَتَوَّابُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥] . فلا عجب من هذه أحوالهم ، أن نرى الغفراء قد  
لمحت من قلوبهم على ألسنتهم ، لئلا تُعثر عن مدى كراهيتهم لما أنزل الله تعالى :  
﴿ فَذَرِكُنَّ الْفَاحِشَاتِ وَالزَّالِمَاتِ وَمَا تَفَعَّلْنَ فِي سَفَاةٍ وَأَعْتَابٍ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

ولفطر كراهية المعروضين لما أنزل الله ، فإنهم يكفرون إحقاق الحق ، وباطل  
الباطل ، ويكفرون أن يُسَمَّ الله سور الإسلام على العالمين ، ويكفرون أن يُظهر الله  
دينه على الناس كله ، ولكن الله تعالى عادلهم كرمياً كرهه ، فعاملهم بما يكفرون ،  
وأجرى سنته على غير ما يتنبهون . كما قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ هُمْ أَغْلَابٌ وَلِيُوَفِّيَهُمْ  
أُجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٨] . وقال تعالى : ﴿ وَبَيَّضَ اللَّهُ لَكُمْ الْقُلُوبَ  
وَلِيُخْرِجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا يَكْفُرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] . وقال تعالى : ﴿ وَبَيَّضَ اللَّهُ  
لَكُمْ الْقُلُوبَ وَلِيُخْرِجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا يَكْفُرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] . وقال تعالى : ﴿ وَبَيَّضَ اللَّهُ لَكُمْ الْقُلُوبَ  
وَلِيُخْرِجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا يَكْفُرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

#### صور من الكراهية :

وهذه الكراهية لما أنزل الله تعالى ، تتجدد صوراً شتى ، ومن ذلك :

(١) انظر الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١) / ١١٩٥

\* كراهية ما أنزل الله، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَعَاشَلْ أَعْيُنُهُمْ﴾ ⑧ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْيُنَهُمْ ﴿محمد: ٨ - ٤٩﴾.

\* كراهية الحق المبين، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨].

\* كراهية الجهاد في سبيل الله، كما في قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

\* كراهية الإلتحاق في سبيل الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

\* كراهية مَنْ يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا زَيْنَاكَ اتَّبَعُكَ إِلَّا لِلذِّبِّ هُمْ أَزَادُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا زَيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

\* أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ وَيَتَّبِعُونَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦].

\* الأعباب من هذا كله، أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﷻ، الَّذِي لَا يَرْضَى إِلَّا عَمَّنْ اتَّبَعَ دِينَهُ وَشَرَعَهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْيُنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

والكراهية لما أنزل الله تعالى تنعكس آثارها في صور شتى، نراها في سلوك المعرضين، مثل الصّد عن سبيل الله: بالبدن وبالعمال وباللسان، والظعن في حُكْمِهِ، والشك في عدله، والاستهزاء بحدوده، والإيلاء للمؤمنين العاملين بدينه، والساعين لإقامة شرعه.

وكراهية ما أنزل الله تعالى، تصل بأهلها إلى أَنَّهُمْ: ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦].

كراهية ما أنزل الله في العصر الحاضر:

وما أكثر الذين يكرهون ما أنزل الله تعالى في عصرنا، ومن يُطيعون من

يكرهون ما أنزل الله في بعض الأمور، بل أحياناً في كلِّ الأمر<sup>(١)</sup>.

وفي هذا يقول الشنقيطي رحمته الله: «اعلم أن كلَّ مسلم يجب عليه في هذا الزَّمان، تأملُ هذه الآيات من سورة محمدٍ وتديبها، والحذر التَّام ممَّا تَضَمَّنَتْه من الوعيد الشَّدِيد؛ لأنَّ كثيراً ممَّن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شكِّ فيما تَضَمَّنَتْه من الوعيد الشَّدِيد؛ لأنَّ عَامَّةَ الكفَّار من شريقيين وغربيين كارهون لما نَزَّلَ اللهُ على رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وهو هذا القرآن وما يبيِّنه به النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم من الشُّنن.

فكلُّ مَنْ قال لهؤلاء الكفَّار الكارهين لما نَزَّلَهُ اللهُ: سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية.

وأحرى من ذلك مَنْ يقول لهم: سنطيعكم في كلِّ الأمر، كالذين يتبعون القوانين الوضعيَّة، مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نَزَّلَ اللهُ، فإنَّ هؤلاء لا شكَّ أنَّهم ممَّن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم<sup>(٢)</sup>.

#### السبب الثاني: الاستكبار:

من دوافع الإعراض عن شرع الله تعالى والتَّحَاكُم إليه: الكِبْرُ الذي تنطوي عليه قلوب المعرضين؛ وهو غَمَطُ الحق، ذلك الدَّاءُ العُضَالُ الذي وُوجِهَ به أصحاب الدَّعوات في كلِّ العصور - ولا يزالون - فالأنبياء والمصلحون كانوا كلِّما دَعَوْا إلى إفراد الله تعالى بالعبادة والطَّاعة والحُكْم، اصطدموا بملا المتكبرين المتعاليين، الذين يستنكفون حتَّى عن مجرد سماع الحقِّ، فضلاً عن تفهيمه أو الخضوع له.

#### نماذج من الاستكبار:

\* فهذا صالح صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه وتلطف معهم ونصحهم، كان ردُّهم على ذلك: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ أَمَنَّ مِنْهُمْ اتَّقُوا أَن تَكُونَ أَتَّكُمْ تُرْسَدٌ مِّن رَّبِّكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلُوا بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦]. فكان الاستكبار هو باعث ثمودَ على الكفر، كما بيَّنت الآيات.

(١) انظر: المصدر نفسه (١/١٩٦). (٢) أضواء البيان (٧/٦٢٥).

• والنجاشي معه مع عاد، قوم هود عليه السلام ﴿قَالَ مَا قَدَّرْتُمْ فِي الْأَرْضِ يُعْرَبُ الْحَقُّ وَقَالُوا نَزَّلْنَا بِهَا قَوْلًا﴾ [صافات: ١٤]

• والمشهد ذاته يتكرر مع شعيب عليه السلام لما دعا قومه إلى الحق. ﴿قَالَ النَّبِيُّ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَا يَخْلُقُوكَ بِشَيْءٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا لَوْ تَشَاءُونَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٨]

• أما موسى عليه السلام فلم يواجه أحد من الأسياء استكباراً مثل النبي واحده من أهل عصره، لأن فرعون كان إمام المستكبرين، وتبعه على ذلك قومه وحتوته، وقد حكى الله تعالى هذا الاستكبار في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ نُونًا وَفِرْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ وَمَلَائِكَتِهِمْ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [١٧٥]

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ وَآخِذَةً بَيْنَهُمَا ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَسْلَفَ سبَقِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ﴾ [المومنون: ٤٦ - ٤٧].  
وكذلك كان شأن حمود فرعون. ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا قَوْمًا وَمُتَوَلِّينًا﴾ [الأعراف: ١٣٨].

• وكما كان الاستكبار والعلو هو الباعث الذي حدا بأهل الضلال من الأمم السابقة إلى محادة الله تعالى والإعراض عن شرعه وحكمه، كان شأن أهل الضلال في هذه الأمة، قال تعالى: ﴿فَرِغَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ لَا تَحِبُّوا إِلَهُكَ وَمَا وَدِدْنَا بِيَدِهِمْ يَتَّبِعُونَكَ وَمُتَوَلِّينًا لَوْلَا نُنزِّلُ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَمُوتَ بِهِ السُّيُوفُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَالضَّلَالِ فِي الضَّلَالِ﴾ [التورى: ١١٣]

أي نزل عليهم وعظّم ما يدعوهم إليه عليه السلام من عبادة الله تعالى وحده، وطاعته بمشال أمره، واجتباب نهيه <sup>(١)</sup>.

• وقد بلغ من استكبار المشركين على عهد رسول الله عليه السلام أن قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا مِنَ الْخَالِقِينَ﴾ فكشف الله تعالى الشر. وبسبب السبب في هذه الحراء، فقال ﴿لَمَّا كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ وَآخِذَةً بَيْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الفرقان: ١٢٨].

• وقد كشف الفرق العظيم - في وضح - أن السب وراء جدال المجادلين في آيات الله، هو ذلك انذاء العصال الكثر. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْوَيْلَ لِمُتَدَلِّينَ إِذْ سَأَلُوا اللَّهَ بِحُكْمِ رَبِّكَ فَكَرِهَ لَهُمْ سُلْطَنًا ثَنُوثُهُمْ إِذْ يَصُدُّوهُمْ إِلَّا حِكْمَةً مَّا قَمَّ يَتَّبِعُونَ مَا نَشَاءُ إِنَّهُمْ بِأَكْثَرِ السَّوْغِ الْبَيْبُورُ﴾ (الحجر: ١٥٦).

إنهم ينكثون على الشريعة استنكافاً للانصواء تحت حُكْمِها، أو حُكْمِ التبعيت بها. كما حكى ذلك الرَّاظي ثلثة فقال: «إنما يحملهم على هذا الجدال الباطل كثير من صدورهم، فذلك الكثير هو الذي يحملهم عنى هذا الجدال الباطل. وذلك أنهم لو سلموا بسيؤتك لزمهم أن يكونوا تحت يدك وأمرتك وهيك، لأن الشؤة تحتها كلُّ مُلْكٍ ورئاسة، وفي صدورهم كثير لا يرصون أن يكونوا في خدمتك»<sup>(١)</sup>.

• كذلك بين القرون الحكيم أن أسباب استحقاق المعرصين بأيات الله واستهراقهم بها ذلك الكثير الرَّاظي في صدورهم. قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَكُم مَّا كَانَتْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَةِ كَقَوْمِ سُكُوتٍ ﴿١٣١﴾ لَا يَخْرُجُ لَكَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مَّا بَشَّرْتَهُمْ إِذْ أَمَّا تَلَقَّوهُ بِشَيْءٍ لَّيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِّنْهُ قَالُوا قَوْلَ السَّاجِدِينَ ﴿١٣٢﴾ فَلَا يَدْرِي قَوْمٌ نَّأدَّ آتْرَآكُ بِشَيْءٍ قَالُوا سَطِيرُ الْأُولَى﴾ (الحج: ٢٦ - ٢٧).

### السبب الثالث: قبح الهوى

لهوى تسلط على النفس - إذا أطبع - لا يكاد يقاومه شيء من الفلبياء، فكلما أضع البره هواء، استحكم هذا الهوى في قلبه، فيصبح هو شرهه ودينه، وحكمه وقضائه، بل يصح الهوى إلهاً مطاعاً كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوًى وَأَخَذَ اللَّهُ عَلٰى كُلِّ نَفْسٍ عِلْمًا وَلِمْ عَلٰى سَمِيمٍ وَقَلِيلٌ مِّنْهُمْ يَرْجِعُونَ بَصِيرَةً﴾ (الجن: ٢٣).

وقد سُمي الهوى بذلك، «لأنه بهوي صاحبه في الدنيا إلى كلِّ ناهية، وفي الآخرة إلى الهاربة»<sup>(٢)</sup>. نسال الله السلامة والعافية.

(١) الضمير الكمي (٢٧/١٩).

(٢) انظر الحكم والحكام في خطبات الوصي (١/١٩٩).

(٣) المفردات في غريب اللغات (ص ١٥٦)، مادة (عوى).



## الهوى والحق ضدان لا يجتمعان:

ولا يمكن لإكساب أن يجمع بين تعظيم الحق وتلدبهم الهوى، فإنه إن عظم الحق فدمه، وإن لدم هواء عظمه. ومن عظم هواء حصل من شرح الله وعتاده، ناهياً في غيابه الشهوات والشهات.

وستطيع أن تحزم بذن اتباع الهوى من أعظم أسباب عدم الاستجابة لله تعالى، والاحتكام إلى شرعه- القويم. كما قال تعالى ﴿إِن لَّرَ مَسْجِدُوا لَلَّ قَالَمَ لَمَّا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ رَبِّهِ فَكَذَّبَهُ اللَّهُ لَّا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ (العصر: ١٥٠)

## تحذير القرآن من اتباع الهوى-

ولهذا نجد القرآن العظيم قد حذر من اتباع الهوى كثيراً، في معرض حديثه عن حتمية اتباع شرع الله.

• فعندما استخلف الله ﷺ داود ﷺ وجعله ملكاً وحاكماً، حذره من اتباع الهوى، لأن اتباع المنزل واتباع الهوى ضدان لا يجتمعان، قال تعالى: ﴿بِقَوْلِي إِنَّا صَخَّطْنَا خَيْفَةً فِي الْأَرْضِ فَآتَكُمْ بِآلِ الْإِنسَانِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ١٢٦).

وهي وصية من الله تعالى لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل، ولا يعللوا حتا إلى الأهواء المصلحة عن سبيل الله<sup>(١)</sup>

• وقد نرى الله تعالى النبي ﷺ ابتداء من أن ينظر عن الهوى، فضلاً أن يعمل به، أو يحكم بملتبضاه. فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَطَّلِقُ غَيْرَ الْقَوْلِ ۗ إِن مَرَّ إِلَّا بِحَقِّ يَوْمٍ﴾ (النجم: ٢-٤).

• ومع ذلك نرى الخطاب إليه ﷺ بالأاتباع أهواء أحد من المخلوق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الدُّوٰى كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يُرِيدُونَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ بِغُلُوبٍ﴾ (الانعام: ١١٥). والخطاب بتعبده ﷺ إلى آفته، إذ هو معصوم من اتباع أهواء الناس<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفسير الطبري (٥/١٠٤).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٥/٥٩٧).

• وأمره أن يستغيب عن الشريعة المرثلة بعيداً عن أهوائهم، فقال تعالى ﴿لَنْ يَغْتَوَّا عَذَابَ بِنَا أَلْفَ شَيْئاً هَذَا كَلِمَاتٍ يَتَصَبَّرُ لِأُولَئِكَ بِعِزِّ رَأْفَةِ رَبِّكَ وَبِذِكْرِ الْقُرْآنِ﴾ (الحج: ١٨-١٩)

وأمره أن يلبس معالم الأحكام والحدود في حياة الناس، فقال سبحانه: ﴿وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ نَبِيَّا نَزَّلَ اللَّهُ وَلَا يَلْبِغُ أَعْوَابَهُمْ وَانْقَضَتْ أَنْ يَغْتَوَّوْا عَذَابَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ﴾ (المائدة: ١١٩)

• والناس جميعاً يفسدهم اتباع الهوى، بل الكون كله يفسد لو سادت الأمور فيه على مقتضى الهوى، لأن الأهواء لا ضابط لها. قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَشِجَّ اللَّعْنُ أَعْوَابَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَدَّ أَقْبَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الزمر: ١٧١] والمعنى: ولو أحاطهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك ﴿فَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ أي يفسد أهوائهم واختلافها<sup>١١١</sup>

#### السبب الرابع: إبطاء العقاب العاجل

ومن أسباب الإعراض عن حكم الله تعالى استيلاء حب الدنيا وشهواتها على نفوس المعرضين، حتى يؤثرها على ما في الآخرة من رزق كريم، وسعي مطيب ولهذا جعل القرآن العظيم المتهاويلين في أحكام الله مؤثرين الثمن القليل. قال الله تعالى - لبني إسرائيل: ﴿وَأَسْمَاؤُا بِنَا أَسْرَأْتِ مَضَلِكُمْ لِنَا مَنكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (البقرة: ١١٥)

وقال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوُوا بِغَيْرِ شَيْءٍ قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ بِنَا أَرَادَ اللَّهُ قَوْلَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ تَكُونُ أَعْمَالُكُمْ﴾ (المائدة: ١٢٤)

#### نماذج من إبطاء العاجل

ولمّا كانت شهوات المستغيبين في كلِّ زمانٍ وحينها، ورغباتهم مستعرة، باصراً شرائع الله العباد، غطتهم أنّها تتعرض مع إبطاء مصالحهم الدنيوية العاجلة.

١١١- نسخ ابن كثير (١٩٦٧/٥)، وانظر: الحكم والتحاكم في حطرات الوحي (٢٠٠٦/١).

• لهؤلاء قوم شعيب عليه السلام يقولون له **﴿يَسْتَعْتَبُ أَصْنُوتَكُمْ تَأْتِرُكُمْ أَنْ تَكُونَ مَا يَكُونُ مَا نَابَأَنَا أَوْ أَنْ تَقْعَلُ فِي أَمْوَالِكُمْ مَا تَشْقَى إِلَيْكَ لِأَنَّ الْبَطِيءَ أَرْشِيدٌ﴾ امره ١٨٧ والمعنى: أديت بأمرك بذلك، وبمعت من التصرف في أموالنا حسب ما نشاء من الحس والتفطيف، وقد نراصبنا فيما بيننا ذلك؟<sup>(١)</sup>**

• وقوم لوط عليه السلام عادوا دعوة الحق، فعلمهم أنها تحول بينهم وبين مستطع الرّحس والرّديفة الذي عرفوا فيه. قال تعالى: **﴿مَا كَانَتْ حَوَارٍ قَوْمَهُ إِلَّا أَنْ قَاتَلُوا نَهْرَهُمْ مَا لَوْ لَوْ بَيْنَ قَرِينِكُمْ إِلَهُهُمْ أَلَسْ بِطَاهِرِينَ﴾ لالش ١٨٦.**

• وقد تمكّنت تلك الأثرة في مشركي العرب حتى كادوا يؤسّون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هدايتهم، فنزل القرآن بعثه وبسببه: **﴿رَبَّنَا بَوِّدْ إِلَيْنَا كَقَوْمِ لَوْ كَانُوا شَيْلُونَ﴾** (١) فزعمهم بأكلوا وتسنّفوا وثبهم الأمل فتوفّ يتقنون الحجر: ٢- ١٣. أي تركهم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأكلوا وبنعتوا عنفانهم، وشعلهم الأمل عطلون العمر عن الإيمان والأنياع، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم هذا<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت أمراض الدنيا حاجراً بين الناس - في كل زمان - وبين اتباع الشرائع، فاشتم - لجهلهم - يظنون أن الشرائع الربانية منحرهم منها، ناسين أن الله وحده يوسع الأرزاق ويبسطها لمن يشاء، ولكنهم فرحوا بالحياة الدنيا فرحاً أوحب أن يعلمنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة رغم حقارة الدنيا في جنب الآخرة<sup>(٣)</sup> قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مَا يَدَّ يَتَّبِعُونَ وَيَقْتَرُونَ مَا أَمْزَأَهُ يَوْمَ أَنْ يُؤْمَرُوا وَيُقْبَلُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْفَيْهِمْ هُمْ لِكَيْفَ وَكَيْفَ سَوْءَ كَفَّارٍ﴾** (٥) لقد يفتد الكفارة بشر ينك ويقدر وفرحوا بالآخرة كدنياً وما كلفوا الدنيا في الأخرى إلا استع الرعد: ٢٥ - ٢٦.

#### الشيب الحاسس الخوف الفتوفهم

اشكال الحوف لدى الإنسان متنوعة، فقد يخاف من المجهول، أو يخاف من المستقبل، أو يخاف من انقضاء العمر، أو فوات الرزق، أو ضياع السلطان والجاه، أو يخوف أن تزل به عصية من عبه وأهله وماله

(١) نظر راد السمر (١١٥/١)

(٢) نظر تفسير السمر (٢٦/١) - ١٧٧ الحكم والصحاح في حطاب اللوح (٢٠٩/١)

نكرو العذ الخائف من الله تعالى يجد في شرع الله الأمان والاطمئنان  
 فقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْبِرِّ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْإِسْخَارِ لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ وَهُمْ  
 يُسْتَبْرَأُونَ﴾ [الأنعام ٨٢]

أما العذ الذي لا يخاف الله تعالى فإنه لا يتورع عن الظلم، وأكل الحرام،  
 وانتهاك المحرمات الظاهرا منها والباطنة، متعاضداً به وهواه، لذا فإنه لا يجد  
 لنفسه أمناً في الشريعة، لما في قلبه من الشك والتردد، حيث إن ماله حرام،  
 وحاله قد بقي على الشك والناطل، ومصالحه مرهولة باستمرار الظلم، فهو  
 يحشى الشريعة على دزله، وجاهه، وسلطانه، إن رضي بأن يحكم به.

#### سبب من الخوف المتوهم:

• والعلة فإنها ظهرت في اليهود، قاله تعالى أنزل عليهم التوراة ليحصل  
 لهم الأمن والهداية بتحكيمها. فكان يحشم يحشى الناس فلا يعمل بها أو  
 ببعضها، أو لا يلعمها حرفاً من حثوت مرهوب، أو قوات مطلوب، فحكى الله ﷻ  
 شأنهم، وروخها حتى لا نفع أثرهم، فقلك سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
 وَوَدِّعُوا حَكْمَ الْيَهُودِ إِنَّهَا تُحْيِيكُم بِالْإِيمَانِ إِنَّ الْإِيمَانَ عَلَى كَيْفٍ مَّا كُنْتُمْ  
 كُفَرًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ فَمَن تَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ فَتَبَيَّنَ لَهُمُ  
 سُبُلُهُمْ لِيُخْرَجُوا مِنْهَا سَرَّاحًا﴾ [البقرة ١٧٥].

وفي ذلك يقول أبو السعود رحمه الله: ﴿فَلَا تَحْكُمُوا بِالسُّنَنِ﴾ خطاب لروساء  
 اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات، وأما حكام المسلمين فتناولهم النهي بطريق  
 الدلالة دور العبارة.

ولما كان مدار حرامهم على ذلك خشية ذي سلطان، أو رغبة في الحظوظ  
 الدنيوية، فهو أمر كل مهتم صريحاً أي: إذا كان شأنهما كما ذكر فلا نخشوا  
 الناس كأننا من كانوا، وافقتوا - في مراعاة أحكامها وحفظها - بمن فلكم من  
 الأنبياء وأتباعهم<sup>١١١</sup>

• والذين أمرحوا عن شرع الله ليخوفهم من الناس، يسارعون في موالاته

أعداء الله على حساب الشريعة والنسب. ويعملون في ذلك بالخوف منهم، أو من الرحمان أو يدور بالجدب والعلبة على المسلمين. فلا يمن الكفار بالعطاء والإمداد.

وقد فصح الله تعالى هذه القلوب الحسنة - في معرض النعت والإنكار - على من يحاكم إلى حكم الجاهلية. محذراً لمؤمنين من الوقوع في هذه المصاولة المحظورة، فقال سبحانه ﴿أَحْكُمُوا كَهَيْئَةِ تَنفُوزِ وَأَنْزَاةٍ مِنَ اللَّهِ لِنَكْمَةٍ يُؤْتُونَ ۗ﴾ ﴿بَلَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ لَا يَتَّقِي اللَّهَ وَاسْتَشْرَكَ بِرَبِّهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۗ﴾ ﴿لَا يَدْعَى الْقَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ أَنْ يَقُولُوا هِيَ مِثْلُ هِيَ إِنْ كُنْتُمْ إِتَّقُوا اللَّهَ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَافِظِينَ ۗ﴾ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنَّا أَسْوَاقُ الَّذِينَ هَوَىٰ قُلُوبُهُمْ لِزُجَرٍ مُّشْرِكِينَ ۗ﴾ ﴿وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠ - ١٧٣).

« وأعجب العجب وأكبر المنكر من بطرؤ ما أمر عجيب. وهو حوله الحيف وال جور من أحكم الحكام الطالكين، الفري لا يتكلم خطاب خرة. وما هو الفرار بحكم حال مرضى الخطوب. ﴿وتقولون بلنا والله وبالزخون قطعاً ثم يقول فريق منهم بلنا منهم ذلك وما أولئك بالثومين﴾ ﴿ولنا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم يا فريق بلاتهم شرضون﴾ ﴿فإن يكر لمؤمننا إنهم مذمبون﴾ ﴿أو قلوبهم مرض لم آتانا أم بكانت أن حيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾ ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ ﴿ومس يطع الله ورسوله ويحكم بينهم أولئك هم المفلحون﴾ ﴿سور: ٥٧ - ٥٩.﴾ إنهم في شك من عدل الله. وسوء ظن به سبحانه، وكلها أسباب حفت تقود إلى الإعراض عن شريعة الله. تعالى الله عما يفترى الظالمون عنواً كبيراً<sup>(١)</sup>.

#### الشيء السابع: التقليد المضموم

التقليد في اللغة: مثل الفلاحة في العز<sup>(٢)</sup>

ويشتم إلى نوعين: جائز وطير جائز.

(١) انظر - تفسير القرطبي (٦/٢٠٨)

(٢) انظر الحكم والنحاكم في خطاب لوجس ١١/١٦١

(٣) انظر معجم الصحاح (١٨٩)، مادة: التقليد.



فالجائر. هو تقليد العاصي عالمياً أهلاً للفتوى، في نارفة من التوازن.  
 وغير الجائر: هو الأخذ بسنن الأحرار من غير بيعة. ولا طبل. وقد  
 ذم الله تعالى هذا النوع من التقليد في غير موضع من كتابه<sup>(١)</sup>  
 نماذج من التقليد الملعوم:

• من أشد أنواع التقليد الملعوم هو متابعة الناس في الأحكام الشرعية من  
 غير دليل شرعي. قال تعالى: ﴿لَتَكُونُوا لَكُمْ أَعْتَابًا ۖ وَمَنْ يَتَّبِعِ أَهْلَكَ مِنْ  
 قَوْمٍ فَقَدْ تَتَّبِعِ النَّاسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَهُ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَ ۚ لِمَنْ مَتَّبِعْتُمْ وَمَا أَسْرَوْنَا إِلَّا لِيُحْشَرُوا ۚ لَهَا وَهَذَا ۖ﴾ [النور: ٢١].

وقد مثل حديفة رضي الله عنه عن هذه الآية، فقال: «أما إنهم لم يَكُونُوا يصومون  
 لهم، ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا  
 عليهم شيئاً أحلّه الله لهم حرموه، فذلك كانت ربوبيتهم»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله - واصفاً فتنة التقليد التي أصابت العالم الإسلامي -  
 «إنها فتنة عظيمة فأغمت، وورعت القلوب فأضمت»<sup>(٣)</sup>، وما عليها الضمير،  
 وغيره فيها الكبير. وأخذ لأجلها القرآن مهجوراً، وكان ذلك بقضاء الله وقدره في  
 الكتاب مطوراً، ولما عشت بها البلية، وغطفت بسببها الزينة، بحيث لا يعرف  
 أكثر الناس سواها، ولا يعدون العلم إلا إياها، لطايف الحن من مظانهم لديهم  
 مضنون، ومؤثره على ما سواه عندهم مضمون. تصبوا لمن حالعهم في طريقهم  
 الحائل، ونفوا له العوائل، ورموه عن قوس الجهل والبي والعبادة»<sup>(٤)</sup>.

(١) نظراً أسماء، إسان (٥٢٨/٥).

(٢) رواه الطبري في التصريح (١١٥/٦١) (رقم ١٦٦٥٣).

(٣) الإضاعة أن تحل الضم مكانه يقال: ضم فاضم أي أصاب مقلداً، ومنه ما جاء  
 عن ابن عباس رضي الله عنه «أن رجلاً أتاه فقال أي أرمي الضم فاضم أم أتم، فقال أتم  
 ما أضمت. ومع ما أضمت، والإضاعة: أن ترمي الضم بحيث حلك فيموت، ولا تراه  
 وتجد ميتاً، وإنما هو معاً، لأنك لا تدري هل ماتت أو لم تنو. غيره»

انظر سنن البيهقي الخري (١١١/٨١) (رقم ١١٨٦٨٠) مصنف عبد الرزاق (٤٦٠/٤٤)  
 (رقم ١٤٢٥٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥١/٣)، مادة: (صم) إسان المعروف  
 (١١٦٨/١١١) مادة: (صم)

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٧/١١).

\* وقد نعى الله تعالى على أقوام مترفين سلوك مسلك التقليد المشين، فقال عز من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوعًا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ جَحَشْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِنَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٤]. فالذي منعهم من الاهتداء هو سبب الاقتداء.

\* ولما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، كان جوابهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٥٣].

\* وتقليد الآباء بغير برهان من الله تعالى ضلال، وقد حكى القرآن حال جيل من الأبناء، فلدوا آباءهم بغير هدى من الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ هذا حسبهم؛ لقلّة عقلهم، ولهذا يردّ الله عليهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

فهذه أنواع من التقليد الأعمى في العقائد والتشريعات، ذمها الله تعالى في كتابه، ولذلك قال الشنقيطي رحمه الله: «وقد احتجّ العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها؛ لأنّ التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليديين بغير حجّة للمقلد، كما لو قلّد رجل فكفر، وقلّد آخر فأذنب، وقلّد آخر في مسألة دنياء فأخطأ وجهها، كان كلّ واحد ملوماً على التقليد بغير حجّة.

لأنّ كلّ ذلك تقليد يشبه بعضه بعضاً، وإن اختلفت الآثام فيه»<sup>(١)</sup>.

وعلى آية حال: فإنّ الإعراض عن أحكام الله متوقّع ومنظر من الدين لا يعقلون، فالعقل السليم يهدي إلى الشرع القويم، إذا بحث عنه<sup>(٢)</sup>.

وقد وقع المسلمون - إلا من رحم الله - في هذا التقليد الأعمى، فاستمدوا قوانينهم وأنظمتهم من الغرب - اليهود والنصارى - وغيره، وتناسوا عن قصد، وعن غير قصد - أحياناً - شرعهم الذي ارتضاه لهم ربهم، فوصل بهم الحال إلى ما هم عليه من الهوان والضياع.

(١) أضواء البيان (٧/٥٢٣).

(٢) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/٢١٩).



## المبحث الثالث

### الآثار الحسنة للحكم بما أنزل الله

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار الدنيوية للحكم بما أنزل الله.

المطلب الثاني: الآثار الأخروية للحكم بما أنزل الله.

## المطلب الأول

## الآثار الدنيوية للحكم بما أنزل الله

## أولاً: الاستخلاف والتكبير:

إذا أقام العباد دين الله تعالى، وخلص لله نحاكهم في الشر والعلانية،  
مؤن الله سبحانه بمؤيهم ويشد من أزرهم حتى يستخلفهم في الأرض كما استخلف  
الذين من قبلهم. ومكّن لهم، وهي سنة الهية ماضية بعدها في فصوص شتى في  
كتاب الله تعالى

## نماذج من الاستخلاف والتكبير:

• مهدي يوسف عليه السلام صار من أهل الاستخلاف والتكبير، بعد أن أشرف  
بأبلى بلاء حساً، وظهر أنه كان من المحبين، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ  
فِي الْأَرْضِ سِتْرًا بَيْنَهُمَا حِينَ بَنَى بُرْجًا مِّنْ نَّسَاءِ وَلَا يَتَّبِعُهُ الْكُفْرَانُ﴾  
(يوسف: ٥٦)

• وهذا موسى عليه السلام كان حربياً على أن يظهر لقومه هذه السنة الماضية،  
عندما حاقوا بطش فرعون وقومه، يقول لهم: ﴿اسْتَعِينُوا بِرَبِّي وَاصْبِرُوا إِنَّ  
الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] أي:  
العاقبة احسن منكون لكم بلات الأرض، شريطة أن تكونوا من الصالحين، إقامة  
شرع الله في الأرض<sup>(١)</sup>

ولما استبطوا العاقبة، واستأخروا النصر، شبههم موسى عليه السلام إلى سنة  
الاستخلاف: ﴿مَنْ زُلْزِلَتْ أَرْضُهُ يَأْتِهَا زُلْزَلَةٌ وَلِلَّهِ يَرْجَعُ الْأَمْرُ فِي الْحُسْوَ  
تَمَلُّونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

ثم أخبر الله عليه السلام لهم ما وعد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ



كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِبَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وبعد وراثة الأرض، والاستخلاف فيها، من الله عليهم بالتّمكن، فقال سبحانه: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبِّي فِرْعَوْنُ وَهَمَّكِنَ وَخُوذُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ [القصص: ٥ - ٦].

\* والله تعالى وعد المؤمنين من هذه الأمة بما وعد به المؤمنين قبلهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بدلاً عن الكفار ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]. أي: من بني إسرائيل (١).

فإذا حقّق الناس الإيمان، وتحاكموا إلى شريعة الرّحمن، فستأتيهم ثمرة ذلك، وأثره الباقي: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]. فهي مقدّمات ونتائج، أعمالٌ وأثار، فتحقيق التّحاكم إلى الدّين، يتحقّق به الاستخلاف، وتحقيق الحكم به، يوصل إلى التّمكن (٢).

\* ثم إنّ وقائع التاريخ الإسلامي، تُصدّق هذا الوعد الإلهي للأمة بالنّصر والتّمكن إذا أقامت شرعه، فليست هناك جولة من جولات المسلمين انتصروا فيها على أعدائهم، وتقدّموا في شؤون دنياهم إلا وكان واقعهم شاهداً على تمكّن القرآن منهم اعتقاداً وعملاً.

ثانياً: الأمن والاستقرار:

إذا استخلفت أمةٌ ومكّنت، فهي تحتاج دائماً إلى دواحي الأمن، وأسباب الاستقرار، حتّى تحافظ على هذا التّمكن، وقد ضمّن الله ﷻ لأهل الإيمان والعمل بشرعه وحكمه، أن يُحقّق لهم الأمن الذي ينشدون، إذا استقاموا على التّوحيد، ونبذوا الشّرك بأنواعه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

(١) انظر: تفسير الجلالين (ص ٤٦٧).

(٢) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/٦٧٣).

يُظَلِّهِمْ أَزْوَاجَهُمْ لِمَنْ آمَنَ وَهُمْ مُشْتَرِكُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ  
خَوْفِهِمْ أَمْنٌ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ [النور: ٥٥].

ولا يُتصوَّر تحقيق أمة للإخلاص في العبودية، والخلوص من الشرك،  
وبالتالي الشعور بالأمن والاستقرار إلا بإقامة شرع الله كاملاً غير منقوص، وألا  
فإن الأمم المنحرفة عن شرع الله يُحيط بها الخوف والقلق من جميع جوانبها؛  
لأن الأمن والأمان قد سلب منها، قال تعالى: ﴿أَقَامِنَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا  
بَيْتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٧٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَعْفًا وَهُمْ يُلْمُونَ ﴿٧٨﴾  
أَقَامِنَا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩١﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ  
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَسْبِغْنَهُمْ يَدْرُوبُهُمْ وَنَطْعِمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَمَّ  
لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ١٠٠].

في حين أن الله سبحانه امتنَّ على المؤمنين بالأمن في مظنة الخوف؛ لَمَّا  
انقادوا لحكم الله ورسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ  
الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَؤُا لِيَمَنَّا مَعَ إِيْسَانِهِمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾  
[الفتح: ٤]. والسكينة: هي الطمأنينة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يوم الحديبية، الذين استجابوا لله  
ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

وإذا امتثل الناس شرع الله، وطبَّقوا أحكامه، ضمنوا الأمن التام في أموالهم،  
وأعراضهم، ودمانهم، فما من حدٍّ من الحدود، ولا شرعة من الشرائع إلا وتُحفظ  
بسببها ضرورة من الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والعرض،  
والمال.

وقوانين البشر الوضعية لا تُحرز أمناء، ولا توفر استقراراً، إذا ما قورنت  
بالتشريعات الإسلامية، فالدول - قديماً وحديثاً - تُنفق الأموال الطائلة، وترصد  
الميزانيات الهائلة؛ لتأمين الداخل والخارج، ومع ذلك لا يحصل للناس من  
الأمان عشر معشار ما يمكنهم تحصيله، لو أنهم أقاموا حدًّا من حدود الله تعالى،  
كحدِّ السرقة مثلاً<sup>(٢)</sup>.

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٦٧٧).

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣٣١).

### ثالثاً: النصر والفتح:

الأعداء يترصون بالآفة الإسلامية الدوائر، والله تعالى قد ضمن لهذه الآفة - إذا انتقامت على شرعه - أن يصرها على أعدائها بعزته وقوته، كما قال تعالى ﴿وَيَسْتَنْزِلُ اللَّهُ مِنْ سَمَوَاتِهِ بِرُوحِهِ الْقُدُسِ فِي صُورٍ مُبِينٍ يُخَوِّفُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيُنصِرُ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا نَّصِيرًا﴾ [الحج: ١٠ - ١١]. والمعنى: لينصر الله **الذي** من ينصر دينه، ومن ينصر أوليائه، وينتصر لشرعه في الأوسيين والأخريين، كما نصر المهاجرين والأنصار، على صناديد العرب، وأكاسرة العجم، وغياصرة الروم، وأورثهم أرضهم وديارهم<sup>(١)</sup>

وما حدث قط في تاريخ البشرية أن استقامت جماعة على هدى الله إلا منحها القوة والمنعة والسيادة في نهاية المطاف، بعد إعدادها لحمل هذه الأمانة، أمانة الخلافة في الأرض وتصريف الحياة.

وإن الكثيرين يشعقون من أتباع شريعة الله والتسير على هداها، يشعقون من عداوة أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تأليب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية! وإن في ذلك آيات لمن يعقل، يوم قالت لرسول الله ﷺ: ﴿إِن لَّيَجُودَنَّ أَلْفَيْ مَمْلُوكٍ سَخَطَفَ مِنْ رُضَاً﴾ [التقصص: ١٥٧] فلما أتبعته هدى الله، سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها في ربع قرن، أو أقل من الزمان<sup>(٢)</sup>

وسنة الله تعالى ماضية في نصر من ينصر دينه، كما قال تعالى ﴿إِن تَصْرَفُوا لَكُمْ بِرُوحِهِ الْقُدُسِ فِي صُورٍ مُبِينٍ يُخَوِّفُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيُنصِرُ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا نَّصِيرًا﴾ [الحج: ١٠ - ١١]. وقال تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الَّذِينَ خَرَقُوا عَهْدَ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِذْ أَخْرَجْتُم بِالْحَقِّ مِنَ الْأَرْضِ فَأَنزَلْتُم بِهَا الْحَقَّ ۗ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ قَوْمًا مُّزِلِينَ﴾ [الروم: ١٢٧]. أي وهو حق أوحى على نفسه الكريمة، نكراً وتعضلاً، كقول تعالى: ﴿كُنْزٌ رَّبُّكُمْ عَلَى قَوْمٍ مَّرْكُومٍ﴾ [الأنعام: ٥٥]<sup>(٣)</sup>

ولهذا فإن حال الآفة من النصر والعزة، أو عنتها، يعتبر مقياساً دقيقاً، وميزاناً للحكم على مقدار امتثالها - زجاءً ورعيةً - لشريعة الله ظاهراً وباطناً.

(١) انظر روح المعاني (١٧/١٧٤).

(٢) في ظلال القرآن (٥/٢٧٠-٢٧١).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٣٨).

والى جانب تأييد الله تعالى بالنصر على الأعداء؛ فإنه تعالى يمن على المؤمنين بفتح أرض العدو، وإخضاعها لحكم الله، وفتح القلوب وهدايتها لدين الإسلام، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا...﴾ [النصر: ١ - ٢]. وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۗ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ وَنُصِّرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾ [الفتح: ١ - ٣]. فبالاستجابة للشريعة، يُستجلب الفتح، ويُستنزَل النصر، وتُستفتح الأرض.

فأي مسؤولية تلك التي تقع على عاتق الأمة - حكماً ومحكومين - في تحكيم شريعة الله؟ إنها مسؤولية عظيمة على العامة تحاكماً وإذعاناً، وعلى ولاة الأمر - من الحكّام والعلماء والقضاة - حكماً وتبلياناً، فهؤلاء أخص في المسؤولية؛ بما حُمّلوا وتحمّلوا من تبعه الولاية والقيادة<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمته الله: «إذا خرج ولاة الأمور عن هذا (أي عن التحاكم إلى الكتاب والسنة) فقد حكّموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأشهم بينهم... وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول، كما قد جرى هذا مرّة بعد مرّة، في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلّك مسلك من أبداه الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانته؛ فإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيمٌ ۝﴾ [الذين إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلوة وأتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور] [الحج: ٤٠ - ٤١]. فقد وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله؛ لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله، ويتكلّم بما لا يعلم<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: العزّ والشرف:

دوام النصر والفتح بقاء للعزّ والشرف، وكما لا يُنال ذلك النصر إلا بنصر دين الله، فلا يُطال هذا الشرف إلا بالاعتزاز والانتساب لكتاب الله الذي به

(١) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/٦٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/٣٨٨).

تشرف الأمة، وبه يعلو ذكرها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. والمراد بالذكر هنا: هو الشرف، كما قال ابن عباس رضي الله عنه. والمعنى: أي فيه شرفكم وصيبتكم<sup>(١)</sup>. وقال تعالى في آخر الآية: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ والاستفهام: للتوبيخ والتقريع. والمعنى: أفلا تعقلون ما فضلتم به على غيركم<sup>(٢)</sup>.

فهذه الأمة لا تستمد الشرف والعزة إلا من استمساكها بدينها وتطبيقها لأحكام الشريعة في جميع نواحي الحياة، كما قال عمر رضي الله عنه: «إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ، فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَهَمَّا نَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>. فهناك ارتباط وثيق بين حال الأمة الإسلامية عزاً وذلماً، مع موقفها من تطبيق الشريعة إقبالاً وإدباراً، فما عزت في يوم بغير دين الله، وما ذلت في يوم إلا بالانحراف عنه.

ومن أراد العزة فليتعزز بطاعة الله تعالى<sup>(٤)</sup>؛ لأن مصدرها من الله تعالى، فليطلبها من مصدرها، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. وهذه العزة كما كانت للمؤمنين السابقين فهي كذلك للأحقيق شريطة أن يفتوا أثرهم في تعظيم حرمة الله، وتطبيق شرعه، والاعتزاز بدينه.

والمسلمون اليوم ليسوا مخيرين بين الاعتزاز بكتاب الله أو الاعتزاز بغيره، بل هم مسؤولون عن أخذهم الكتاب بقوة، ورفع رايته بعزة، والله تعالى يقول لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاسْتَمِعْ بِالَّذِي أُرْسِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُنْشَرُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣]. «والاستمساك: شدة المنك،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٧٥/٣)؛ تفسير أبي السعود (٥٨/٦).

(٢) انظر: زاد المسير (٣٤١/٥)؛ فتح القدير (٤٠٠/٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» (١٣٠/١) (رقم ٢٠٧)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين... ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. ورواه الهيثمي في «الزواجر» (١٤٤/١)؛ والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٣٥١/٣) (رقم ٤٣٩٣)؛ وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٠/٣) (رقم ٢٨٩٣).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥٥٩/١).



فائسرين والثناء فيه لتأكيد<sup>(١)</sup>. أي: استنمستك بالذي أوحى إليك من الآيات والشرايع، سواء عجلنا لك الموعود، أو أخرناه إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: أخذ بالقرآن المنزل؛ فإنه الحق الهادي إلى الصراط المستقيم، الذي فيه شرف لك ولقومك، وسوف تُسألون عنه يوم القيامة، وكيف كنتم في القيام بحقه، وتعظيمه، والعمل به، والاستجابة له، وشكر هذه النعمة العظيمة<sup>(٣)</sup>. والأمة اليوم تفتقد من العزة إلى القدر الذي فقدته من دينها، ولن يعود لها هذا إلا بالاستمسك بكتاب ربها، وتطبيقه في واقع الحياة<sup>(٤)</sup>.

#### خامساً: بركة العيش ورعده:

الحياة الطيبة، والعيش الرعيد، أكبر من مجرد طعام طيب، أو ملابس حسن، أو مركب مريح، أو مسكن فسيح، أو روج حستان، فكل ذلك لا يوفر السعادة الحقة، إلا إذا أُضيف إليه بركة من عند الله تعالى. مما لا نستجلب إلا بطاعة الله، وإقامة شرعه، تلك البركة التي لم نوضع في قليل إلا كثرت، ولا في صغير إلا عظمت، ولا في طيب إلا وضاعت في طيه.

وكل الناس ينشد هذه البركة، ويتطلع إلى الحياة الطيبة، ولكنهم ليسوا جميعاً يوفقون إلى سنوك الطريق القويم إلى ذلك، ولذا دعا الله المؤمنين إلى الاستجابة له ورسوله ﷺ. وإقامة شريعته حتى يئاتوا هذا المطلب القيس<sup>(٥)</sup>.

وأكثر الأمم نأت بأنفسها عن الاستجابة لله تعالى، ورسوله الكرام ﷺ فارتفعت عنهم البركة، وضاعت أعمارهم مدى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وما للأسف لم يؤمروا ويشقوا، فأخذوا بالعقوبات، ونزع البركات، وكثرة الآفات، والآية الكريمة تجد المؤمنين المستجيبين لشرع الله بالبركات، متى ما حققوا معنى الإيمان والتقوى<sup>(٦)</sup>.

(١) التحرير والتنوير (٢٥/٢٦٠). (٢) انظر: تفسير أبي السعود (٨/٤٨٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٢٣٠)؛ تفسير السفي (٤/١١٥).

(٤) انظر: الحكم والنحاكم في خطبات الوحي (١/٦٨٦).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١/٦٨٨). (٦) انظر: تفسير السعدي (٢/١٢٨).

## سادساً: الهداية والتثبيت:

الذين ينكرون على النحاكم إلى شرع الله المتزل، يفوتون على أنفسهم نعمة عظيمة، يملحها الله تعالى للمقادير إلى أمره، المتحاكمين إلى شريعته، ألا وهي الهداية والتثبيت على الحق، وما أعظمها من نعمة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَلَا ذَرِيَّةَ لَآ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا آخِرًا مِنْ رَبِّكُمْ إِنَّا قَاتَلْنَا لِأُولَٰئِكَ مَا يُؤْتُونَ لَآ قِتْلًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَاتَلُوا مَا يُؤْتُونَ يَدٌ لَّكَانَ حَقًّا لَّهُمْ وَآتَيْنَا نَبِيًّا ٥٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَوْفَيْنَاهُم بِعَهْدِهِمْ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذَا بَلَدٍ لَّعَنَّا لَنَمُرَّ بَحْرِيًّا ٥٣﴾ وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا لِّسَبْحَتِهِمْ ٥٤﴾ (الباء: ١٥ - ١٨).

والأمر الذي وُجِّعوا به، ووجِّعوا الخبز لأجله هو تحكيم الشريعة، والالتفاف التام للرسول ﷺ، فلو أنهم امتثلوا ما أمروا به لثبت الله تعالى أقدامهم على الحق، فلا يضطربون في أمر دينهم<sup>(١)</sup>

وفي حصول التثبيت والثبات للمؤمنين وزيادته، يقول السعدي رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا بَسَبِّ مَا قَامُوا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، الَّذِي هُوَ الْقِيَامُ بِمَا وُجِّعُوا بِهِ. فَيَثْبُتُ فِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، عِنْدَ وُرُودِ الْفِتْرِ فِي الْأُمُورِ، وَالنُّوَامِي، وَالْمَصَائِبِ. فَيَحْصُلُ لَهُمْ لِيَامَاتٍ، يَوْفَقُونَ بِهَا لِفِعْلِ الْأُمُورِ، وَتَرِكَ الرُّوَاجِرِ، الَّتِي تَقْتَضِي النَّسْرَ مَعَهَا، وَعِنْدَ حُجُوعِ الْمَصَائِبِ، الَّتِي يَكْرَهُهَا الْعَدُوُّ. فَيُؤَلِّقُ لِلتَّيْبِتِ بِالتَّوْفِيقِ لِلضَّرِّ أَوْ لِلرِّضَا، أَوْ الشُّكْرِ. فَيُنْزَلُ عَلَيْهِ مَعُومَةٌ مِنَ اللَّهِ، لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ، وَيَحْصُلُ لَهُ الثَّبَاتُ عَلَى الدُّنْيَا، عِنْدَ الْمَوْتِ وَفِي الْقَبْرِ. وَأَيْضًا لِأَنَّ الْعَبْدَ الْقَائِمَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، لَا يَرَالُ يَتَحَرَّنَ عَلَى الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهَا، وَيَشْتَاقُ إِلَيْهَا وَإِلَى أَمَانَتِهَا. فَيَكُونُ ذَلِكَ مَعُومَةً تَهْدِي عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَاتِ»<sup>(٢)</sup>

وفي ظلِّ المحنِّع المَحْتَكِمِ إِلَى الشَّرِيعَةِ، تَنْفَعُ التَّوَافِذُ بِسَمَاتِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَتَنْفَعُ انْتِفَاحِ بَطْرِقِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِسَهْلِ عَلَى النَّاسِ فَصَدَّ الْهَدَايَةَ.

يقول ابن عاشور **تلك** - في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ سَبِيلًا مُسْتَقِيمًا﴾: «أي لغناهم لهم طرق العلم والهداية» لأن تصويبهم لا مثال ما أمروا به هو مبدأ تحلية النفوس عن التعلق بأوهامها وعوائدها، الحاحية لها عن ذلك الحقائق، فإذا تناولوا يرفضون عنه الموقف، فقد استعدوا لتلقي الحكمة والكمالات انفسانية، فصارت عليهم المعارف تشرى، بدلالة بعضها على بعض، وينسب الله صنعها بأموار الهداية والتوفيق، ولا شك أن الطاعة مفتاح المعارف، بعد تعاطي أساليبها».

### العلاصة

نستخلص مما سبق أن تحكيم شرع الله في حياتنا يتمكس على المجتمع بصورة إيجابية مباشرة، فهو يؤدي إلى تحقيق الاستقرار الداخلي والعدل الاجتماعي، والأمن المادي والنفسي، حيث يتروم كل إنسان بما شرعه الله عليه من واجبات نجاه الله ونجاة الآخرين، وإلا تعرض يفتنضى هذا الشرع إلى العقوبة المستحقة على حسب جرمه، وفيه يشعر الإنسان بقيمته وإنسانيته، لأنه لا فرق بين شخصين والآخر مهما علا في الرتبة، أو دنا في المنزلة، فالكل أمام شرع الله سواء.

وكذلك يؤدي تحكيم شرع الله إلى قوة هذا المجتمع وهذا البلد المطلق لحدوه الله نجاه آية قوة أخرى، لأنه يستمد قوته من الله ﷻ ونحن معي إيماني عظيم، وهو مدى الثقة التي يحملها في طياته المسلم نجاه ربه، فإذا ما حققنا الثقة بالله ﷻ وأنه صاحب العزة والمعة والنصر، وأنه الركن الشهد الذي نأوي إليه إذا أصابنا مكروه، على قدر هذه الثقة في الله، وحتى قدر هذا اليقين، يكون التمكن والنصر وقوة المجتمع

## المطلب الثاني

## الآثار الأخروية للحكم بما أنزل الله

## أولاً: الفلاح والفوز:

الفلاح والفوز في الآخرة، امتداد للفلاح والفوز القسري بحررهما المؤمنون في الدنيا، باحتكامهم لشرع الله تعالى، وفي ذلك يقول المولى عليه السلام: ﴿يَسَاءَ كَذَّ قَوْلَ الْمُتَمَرِّدِ إِذَا دُعِيَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّكُمْ رَبُّكُمْ لَمْ يَقُولُوا سُبْحَانَ وَاللَّعْنَةُ وَاللَّعْنَةُ هُمُ الْمُتَمَرِّدُونَ ﴿١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نَجِّنْهُ اللَّهُ وَيُغْفِرْ لِمَا سَلَفَ مِنْهُ﴾ (النور: ٤١-٤٢).

فهذا هو حال المؤمنين في كل مكاد ورمضان، إذا دعوا إلى كتاب الله تعالى، وحكم رسول الله ﷺ، يقولون بلسان حالهم ومقالهم: ﴿سُبْحَانَ وَاللَّعْنَةُ أَيُّ أَحْسَنَ مِنْ دَعَا إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَطَعْنَا طَاعَةً تَامَةً، سَالِمَةً مِنَ الْحَرَجِ﴾ قال ابن عاشور رحمه الله: «وبه تعريض بالمناقض، إذ يقولون كلمة الطاعة ثم يقصونها بغيرها من كلمات الإعراض والارتباب»<sup>(١)</sup>.

ومن أجل ذلك حصر الفلاح في المؤمنين لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والشجاة من المكروه، ولا يفلح (ألا من) حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله<sup>(٢)</sup>. ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما أمر به، وحكماً به، ونهى ما نهى عنه، ﴿وَنَجِّنْهُ اللَّهُ﴾ فيما مضى من دنونه، ﴿وَيُغْفِرْ﴾ فيما يستقبل، ﴿مَنْ أَتَتْكَ مِنْ الْقَائِرَاتِ﴾ والفوز: هو انقضاء المطلوب الصالح والمعنى: هم الذين داروا بكل خير، وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>. وقيل: القاتر من نجا من النار، وأدخل الجنة<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هم الفائزون بالنعيم الدنيوي والأخروي، لا من عندهم<sup>(٥)</sup>. فقد جمعت هذه الآية انكريمه أسباب الفوز في الدنيا والآخرة، وهي:

(١) انظر بحر المحلى (٣/٢٤١٠).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١١/٢٩٥).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦/١٨٥).

(٤) انظر فتح القدير (٤١/٦٨).

طاعة الله ورسوله، وحسبنا الله ونظونا<sup>(١١)</sup>.

### ثانياً: المغفرة وتكفير السيئات

تحكيم الشريعة مطبوع توبة التائبين في الدنيا، وقبول هذه التوبة في الآخرة، بالمغفرة ومحو السيئات. وكان النبي ﷺ يبايع المؤمنين والمؤمنات على أمور هي في مصحوبها إثبات تموقف الحاكم إلى الشريعة، والحرص لها.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما نزل وحوله بمضايقة من أصحابه **«يا أيها النبي ﷺ لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا نالتوا بيننا نقتلوا نبينا، ولا تفسدوا في مخرول، فخر وقى بكم فآخرة على الله. ومن أضاب من ذلك شيئاً فموت في الدنيا فهو كفارة له، ومن أضاب من ذلك شيئاً لم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء قفا حنة، وإن شاء عاقبه. كما يتخذ على ذلك<sup>(١٢)</sup>»**.

قال ابن حجر رحمته الله، ويستفاد من الحديث أن إقامة العبد كفارة للذنوب، ولو لم يتب المحدود، وهو قول الجمهور. ولعل: لا بد من التوبة، وبذلك حزم بعض التابعين، وهو قول المعتزلة، ووافقهم ابن حزم، ومن المفسرين: العوي، وطائفة بسيرة، واستدلوا باستثناء من تاب في قوله تعالى: **«إلا الذين تابوا من قبل أن تقعوا عليهم<sup>(١٣)</sup>»** والجموب هي ذلك: أنه في عافية الدنيا، وتلك قبلت بالقدرة عليه<sup>(١٤)</sup>.

وهذه البيعة كانت على الامتثال لسائر شرائع الإسلام، وما لم يذكر في هذه المبايعة كالصلاة، والزكاة، وسائر أركان الدين، وشعائر الإسلام، لوضوح أمرها واشتهارها<sup>(١٥)</sup>.

وتكفير السيئات مكسب أخروي عظيم، لا يمكن للناس إدراكه إلا بالحاكم

(١١) انظر التحريم والتبوير (١٨/٢٢١)

(١٢) رواه البخاري. كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حيث الأنصار (١١/٣٠) (ج ١٨).

(١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/٩٤)

(١٤) انظر تفسير أبي السعود (٨/٢٤١)



إلى الشريعة الإسلامية، وأما محبة الطواغيت والتحاكم إليها لا تغفر الذنوب، بل نستجلبها.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يستغفر للمؤمنين إذا هم يابعوه على السمع والطاعة، والرؤس يحكمهم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا حَادَّكُمُ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ غَيْرَ لِي لَا يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفُوا وَلَا يَرْبِحُوا وَلَا يَخْسِرُوا أَلْسِنَتُهُمْ وَلَا يَأْتُونَ بِمَنْهَجٍ بَعِيرَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنزَلْنَا فِي مَقْرَبَاتِكُمْ وَمَقَرَّبَاتِكُمْ أَقْسَامًا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ يَوْمَ يُحْتَسَبُ أَعْمَالُهُمْ وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾ أَي: مُنَالِغٍ فِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، يَمِغِرُ لِلْمَبِاعِينَ، وَيَرْحَمُهُمْ إِذَا وَقُوا مَا يَابَعُوا<sup>(١)</sup>

### ثالثاً: الأجر العظيم:

المتحاكمون إلى شرع الله، لا ينحون بالمغفرا من الثببات فحسب، بل يظفرون بأجر عظيم، وثواب كبير جزاء ذلك.

بعد أن بين المولى نبارك ونعالى حكمهم حتى لم يحكم الرسول ﷺ على قوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكَمُوا لَكَ وَسِمًا فَخَسَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ [النساء: ٦٥].

اتَّبِعْ ذَلِكَ قَوْلَهُ ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ لَأَفْغَلْنَا أُنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا قَدَرْتُمْ وَلَا عِيلَ تَتَمِّمُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ مَمَلُوا مَا يُرْغَبُونَ يَوْمَ لَكَانَ حَكْمًا لَكُمْ وَأَشَدُّ تَلْمِيزًا ﴿١١٣﴾ وَإِنَّا لَأَكْبِتُهُمْ فِي هَذَا أَمْرًا حَظِيماً ﴿١١٤﴾ وَلَهَدَيْتُهُمْ مِزْجًا مُشْتَبِهاً﴾ [النساء: ١١٦ - ١١٨].

مَنْ انْظَمَ الْحَكِيمَ عَافَهُ نَحْكِمَ الرَّسُولَ ﷺ، وَالْإِقْيَادَ نَعَا بِحَكْمِهِ، وَالْإِنْعَاطَ مَا يَعْطُ بِهِ ﴿لَكَانَ حَكْمًا لَكُمْ وَأَشَدُّ تَلْمِيزًا﴾ أَي: لَكَانَ هَذَا الْإِقْيَادَ لِمَا يُحْكَمُ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ غَيْرَ أَلْهَمَ لِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَلَكَانَ أَشَدُّ تَلْمِيزًا لِقَوْلِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ.

وماذا يكون لهم من جزاء بعد هذا التثبيت؟

هو ما هو جاء في قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَأَكْبِتُهُمْ فِي هَذَا أَمْرًا حَظِيماً﴾.

وقد نُحِمَ الْأَجْرُ الْعَظِيمَ بِسَبَبِ عَطَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِنُورِ الْعِظْمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ

(١) انظر: الحكم والتحاكم في حطاب الواسع (١٦٦ - ١٦٩).

يقول الرازي كثرة: **إِنَّهُ لَعَالِي جَمْعٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قِرَائِنٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُدَلُّ عَلَى عَظَمِ هَذَا الْأَحَرِ.**

أحدنا: **أَنَّهُ ذَكَرَ نَفْسَهُ بِصِيغَةِ الْعِظَمَةِ، وَفِي قَوْلِهِ ﴿لَأَنْتُمْ هُمْ﴾، وَقَوْلِهِ ﴿مِنْ لَأَنَا﴾، وَالْمَعْطِيُّ الْحَكِيمُ إِذَا ذَكَرَ نَفْسَهُ بِاللُّغَطِ الدَّلَّ عَلَى عَظَمَتِهِ عِنْدَ التَّوَعُّدِ بِالْمَعْطِيِّ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى عَظَمَةِ نَفْسِكَ الْعِظَمَةِ.**

وثانيها: **قَوْلُهُ ﴿مِنْ لَأَنَا﴾، وَهَذَا التَّحْصِصُ يُدَلُّ عَلَى الصَّالِحَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿وَوَضَعْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا بَلَدًا﴾ (الكهف ٦٥)**

وثالثها: **أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ هَذَا الْأَحَرَ بِالْعَظِيمِ، وَالشَّيْءَ الَّذِي وَصَفَهُ أَعْظَمُ الْعَظَمَاءِ بِالْعِظَمَةِ، لَا يُدَلُّ وَأَنْ يَكُونَ فِي نَهَابَةِ الْجَلَالَةِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونَ عَظِيمًا، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ (لَهَا مَا لَا حَيْثُ زَأَتْ، وَلَا لَدُنْ ضَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ نَشْرِيٍّ) (١١٠)**

#### رابعاً: مرادفة الألباء والصليفيين:

سُئِرَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَعَالَى التَّحَاكُمَ إِلَى الرَّسُولِ (طَاعَةً) وَجَعَلَ عَاقِبَتَهَا مَعْبُودَةً كَرِيمَةً، وَمُلَاقَاةً كَرِيمًا، فِي صَحَابَةٍ كَرِيمَةٍ، فِي حِوَارِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، لِذَلِكَ سَبَّحَانَهُ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَالشَّاهِدِينَ وَالصَّالِحِينَ وَخَيْرٌ أُولَئِكَ زَوْجًا ﴿٧٠﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا﴾ (آل. ٦٩ - ٧٠).

والمعنى: **أَنَّ كُلَّ مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٧٠﴾، وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِمَا عَلَى الْمَرْحَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَاتِ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّبَعُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ بِالْآخِرِ مِنْكُمْ﴾. (إِسْمِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا﴾ (آل. ٥٩ - ٧٠). فَهُوَ أَحْسَنُ التَّحَاكُمِ، وَأَحْسَنُ الْعَاقِبَةِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَسِيَاقُ الْآيَاتِ كُلِّهَا فِي التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ قَوْلًا وَعَمَلًا.**

(١١) رواه البخاري - كتابه من الخلق - باب ما جاء في صفة العبد - وأنها مخلوقة (١١)

١١٠٠٦ (ج ٣١١١)، وسمو - كتاب الخلق، وسمو - كتاب الخلق، وسمو - كتاب الخلق، وسمو - كتاب الخلق (١١٧٥/١) (ج ٣٨٦٤)

(١٢) التحرير الكبير ١١٠٠/١١٣٤، وانظر الحكم والتحاكم في حطاب الوحي (١١/١٢٩٧)

وحقَّق لَمَنْ أَقَامَ هَذَا التَّحَاكُمَ عَلَى مَا يَرِيدُ اللهُ تَعَالَى، أَنْ يَرْفَى صُغْدًا مَعَ هَذِهِ الصُّحَّةِ الْمَسَارِكَةِ، فِي الْمَرَدُوسِ الْأَعْلَى، لِأَنَّ الشَّيْبَرَ وَالصَّنْدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالضَّالِحِينَ هُمْ خَيْرٌ مِنْ أَطَاعِ اللهِ تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَقَامَ شَرِيعَتَهُ وَوَحَّدَهُ، فَمَنْ حَذَّوْهُمُ شَمَّرَ مَعَهُمْ، وَصَحَّهِمْ فِي الْمَرَدُوسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ طَرِيقٌ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَنْ اتَّقَى إِلَهُهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.





## المبحث الرابع

# الآثار السيئة للحكم بغير ما أنزل الله

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار الدنيوية للحكم بغير ما أنزل الله.

المطلب الثاني: الآثار الأخروية للحكم بغير ما أنزل الله.



## المطلب الأول

## الآثار الدنيوية للحكم بغير ما أنزل الله

كما أن تحكيم الشريعة تعمر به الدنيا، وتطيب به الآخرة، فبالانحراف عنها تتكدر الدنيا، وتضيع الآخرة، فليس هناك مغول هدم أشدّ خطراً على دين الناس ودنياهم، من الخضوع لشرائع الجاهلية الأبقية عن الله، وإنّ الحكام المُبدلين لشريعة الله والمنحرفين عنها، ليدخلون على الناس أنواعاً من الفتن والمحن، بقدر ما يخرجون بهم عن حكم اللطيف الخبير ﷻ.

فالفتن والمحن تظلّ تتوالى على الناس تثنى، حتى تطيال جميع أوجه حياتهم، فتحيل رخاءها شقاء، وأمنها خوفاً، وغذويتها عذاباً، وأفراحها أتراحاً.

وإنّ آثار تلك الانحرافات عن شرع الله، لتبدو على الحياة في وجهتها الدنيوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وتصيب بشرها محاسنها، وتُسوّه معالمها. وبذلك تتحوّل الحياة إلى فتنة في الدنيا والآخرة، والله تبارك وتعالى حذّرنا من مخالفة الأوامر الشرعية، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن كثير ﷻ - في تفسيرها: «أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً أو ظاهراً ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، أي: في قلوبهم، من كفر، أو نفاق، أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك»<sup>(١)</sup>.

وإنّ المجتمعات التي تُسلم قيادتها للحكام المُبدلين، بُضحى بها، كما ضحّت هي بشريعة الله، وتنازلت عنها أمام عتبات البرلمانات، وهياكل التشريع الوضعي، وهي تدفع ضريبة التخلّي عن الحكم بما أنزل الله، من أموالها وأعراضها، وعقول أبنائها، وغير ذلك من ثرواتها الأدبية والمادية، ذلك إلى

(١) تفسير ابن كثير (١٠١/٦).

حانت ما بحرءُ التحلي عن الحكم بما أنزل الله من الجوع. والحواف، وحسب العبير. وغضب الله في الدنيا والآخرة.  
وقبما بني استعاضوا لبعض الأثار المترتبة على الحكم خير ما أنزل الله في الحياة الدنيا:

### أولاً: قسوة القلوب:

تحريف الشريعة أو الانحراف عنها، يرفعان في قسوة القلوب. وقد صوب الله تعالى لنا المثل باليهود الذين انحرَفوا، وحرفوا في كلام الله. وكيف كانت عاقبتهم الشينة، قال تعالى ﴿يَسَاءَ مَا جَعَلْنَاهُمْ لِمِثْلِهِمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ السائدة ١١٣ ومسمى ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي صلابة. لا تحي حياء. ولا تفعل. والقاسية والناعية بمعنى واحد<sup>١١١</sup>.

وقيل: جعلت قلوبهم طليطة، لا تُجدي فيها المواقظ. ولا تصعب الآيات والشواهد، فلا يؤمنون بتوبين. ولا يؤمنون بحرفين<sup>١١٢</sup>.

فهم لنا غضوا ميثاق الله على السمع والطاعة. وساء نصرهم في آيات الله. وتلووا كتاب الله على غير ما أنزل، وحملوه غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، ثم تركوا العمل به ردة عنه، جعل الله قلوبهم قاسية. فلا يتعطفون بموعظة، لعظمتها ومساوتها<sup>١١٣</sup>.

وهذا من أعظم العقوبات أن يخذل القلب، ويضع الألفاظ الرثائية، ولا يريده الهدى والحيب إلا شراً<sup>١١٤</sup>.

وهكذا الشأن في كل من عدل عن شرع الله، تحكماً عقده وهو ١٠٠ محرزه أن يضع على قلبه: ﴿قُلُوبِي مِمَّنْ خَلَقْتَهُمْ وَأَسَأَلُكَ عَلَى بَيْرٍ وَعَسَى عَلَى صَوْمِهِمْ وَقَلْبِهِمْ وَجَلَّ عَنِّي تَعْرِيفٌ مَشْرُوعٌ مِمَّنْ يَتَّبِعُهُ بَرٌّ بَعْدَ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الحانية: ١٢٢<sup>١١٥</sup>.

١١١ انظر العكس والتحكم في خطبات الوحي (٧٠٥/٧٠٠، ٧١٠)

١١٢ تفسير القرطبي (١١٤/١١٠٠) ١٢٥ تفسير اسمعيل (١١/١٢٢٥)

١١٣ انظر تفسير ابن كثير (١١/٣٢١) ١٥٤ انظر الكشاف (١١/٦٥٠)

١١٤ انظر الحكم والتحاكم في خطبات الوحي (٧١٤/٧١٠)

## ثانياً: الضلال عن الحق :

اتباع الأهواء وتقديمها على أحكام الله تعالى، يوقع في الضلال عن سبيل الحق، ولهذا أمر الله ﷻ نبيه داود ﷺ أن يحكم بالحق المنزّل من عند الله تعالى، ونهاه أن يتبع الأهواء المضلّة عن سبيل الحق، فقال تعالى: ﴿بَشِّرْهُ إِنَّا كَمَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاسْتَمِرْ يَوْمَ الْآخِرِ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُ إِنْ يَصِلُونَ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَأُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ١٦٦).

قال الشنيطي رحمه الله: «ومعلوم أن سيء الله داود ﷺ لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم؛ لينشع لأمرهم»<sup>(١)</sup>.

والله تعالى حذر أهل الكتاب أن يقلدوا بعضهم في الأهواء المضلّة الضادة عن الحق، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَكَلُوا كَثِيرًا مِمَّا كَانُوا هُنَاكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ١٧٧) نكثهم أو غنوا في الضلال، بل جمعوا بين الضلال والإضلال<sup>(٢)</sup>.

ومن نواياهم العداية - التي حذر الله تعالى منها - أنهم يُحسبون أن يزوا هذه الأمة عن غير هداية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُشَاقِقُونَ الْعَصَاةَ وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُعْمَلُونَ﴾ (النساء: ٤٤ - ٤٥). وهذا يُحتم على الأمة - حتى لا تفع فيما وقع فيه أهل الكتاب - أن تنقاد لقضاء الله تعالى ورسوله ﷺ، حتى لا نهوى في غيابه الضلال مثلهم.

كيف وقد جاء التحذير المبرح، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

أي: ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله، فما أمر الله هو المتبع، وما أراد النبي هو الحق، ومن خالفهما في شيء فقد ضلّ

(٢) انظر تفسير السعدي (١/٢٤١).

(١) أضواء البيان (٧/٢٨).

ضلالاً مبيناً؛ لأنَّ الله هو المَقْصِدُ، والنَّبِيُّ هو الهَادِي المَوْصَلُ، فَمَنْ تَرَكَ المَقْصِدَ؛ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الهَادِي، فهو ضَالٌّ قَطْعاً<sup>(١)</sup>.

وسبب الوقوع في هذا الضلال البين: أَنَّهُ تَرَكَ الصُّرَاطَ المَسْتَقِيمَ، المَوْصِلَةَ إِلَى كِرَامَةِ اللهِ، إِلَى غَيْرِهَا، مِنَ الطَّرِيقِ المَوْصِلَةِ لِلْعَذَابِ الأَلِيمِ. فَذَكَرَ أَوَّلًا، النِّسْبَ المَوْجِبَ لِعَدَمِ مَعَارِضَةِ أَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ الإِيمَانُ. ثُمَّ ذَكَرَ المَانِعَ مِنَ ذَلِكَ، وَهُوَ التَّخَوُّفُ بِالضُّلَالِ، الدَّالُّ عَلَى العُقُوبَةِ وَالتَّكَالِ<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: الوقوع في النِّفَاقِ:

يُبتلى بالنِّفَاقِ مَنْ يَضْمُرُونَ الكِرَاهِيَةَ لِشَرَعِ اللهِ تَعَالَى، حَتَّى تَصِيرَ قُلُوبُهُمْ مَرِيضَةً بِهَذَا النِّفَاقِ، فَيَحَاوِلُونَ جُهْدَهُمْ أَنْ يُخْفُوا نِفَاقَهُمْ، ظَانِّينَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مِمَّا مَكَانَ، وَلَكِنْ يَأْبَى اللهُ تَعَالَى إِلاَّ أَنْ يَفْضَحَ المُنَافِقِينَ بِفَلَاتِ أَسْتَهْمِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَنِهِمْ وَلَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩ - ٣٠].

والأضغان: جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد، والحقْد، والعداوة للإسلام وأهله، القائمين بنصره<sup>(٣)</sup>.

واللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: جَوَابٌ قَسَمٍ مَحْدُوفٍ<sup>(٤)</sup>. وَلَحْنُ الْقَوْلِ: مَا يَبْدُو مِنْ كَلَامِهِمُ الدَّالُّ عَلَى مَقَاصِدِهِمْ، بِالتَّعْرِيزِ أَوْ التَّوْرِيَةِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَخْطِيِّ: لَاحِنٌ؛ لِعَدْلِهِ بِالكَلَامِ عَنِ سَمْتِ الصُّوَابِ<sup>(٥)</sup>.

وَالنِّفَاقُ سَبَبٌ وَمَسَبِّبٌ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ؛ فَهُوَ سَبَبٌ لِلإِعْرَاضِ عَنِ حُكْمِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا يُعْرِضُ عَنِ حُكْمِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ إِلاَّ مُنَافِقٌ عَامِرٌ قَلْبُهُ بِالنِّفَاقِ، وَلَا يُحَارِبُ الشَّرِيْعَةَ وَأَحْكَامَهَا إِلاَّ مَنْ أَمْتَلَأَ قَلْبَهُ - بِإِبْتِدَاءٍ - بِالنِّفَاقِ، وَهُوَ مَسَبِّبٌ أَيْضاً، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ حُكْمِ اللهِ وَشَرَعِهِ عَنِ تَقْلِيدِ أَعْمَى لِلْغَرْبِ أَوْ لِغَيْرِهِ فَلَا

(١) التفسير الكبير (١٨٣/٢٥).

(٢) المصدر السابق (١٥٣/٤). وانظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٧١٥/٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٠١/٢٦).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود (١٠١/٨)؛ الكشاف (٣٣٠/٤).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١٨١/٤)؛ تفسير أبي السعود (١٠١/٨).

يأمر على نفيه أن يقع في النفاق وإن كان - ابتداءً - غير منافق.

إن شأن المنافقين الذاتم هو الاستهزاء بالشريعة وحقلتها، والإعراض عنها أنزل الله تعالى، والصدُّ عن سبيله. وقد كانوا يشعلون من امتصاح عافهم بهذا الاستهزاء والإعراض، حتى قال قائلهم: والله لو ددت أسي فلدنت. فحسبت مائة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فأنزل الله تعالى عليهم: ﴿يَعْتَذِرُونَ لَكَ لَوْلَا أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ طُورٌ مِنْ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ مَا تَحَدِّثُونَ ﴿٦١﴾ وَكَيْفَ سَأَلْتَهُمْ لِبَقُولِكُمْ بِإِذَا كُنَّا فَخْرًا غُرُوسًا وَقُلْ لِمَنْ لِيَأْقُو ذَمًّا مِمَّا كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٢﴾ لَا تَقْتَرِبُوا فَتَمًا كَثِيرًا مِمَّا يَسْتَكْبِرُونَ إِذْ سَأَلَ عَنْ ظُلْمَتِكُمْ رَبُّكَ فَابْهَمْتَ عَلَيْهِمْ فَأَنزَلَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ ﴿٦٣﴾ التوبة: ٦١ - ٦٣.﴾

ومن أبرز صفات المنافقين الإعراض عن أحكام الشريعة، والتحاكم إلى الطاغوت، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُتَقَدِّمِينَ يُسُدُّونَ عَلَيْكَ أُسُدًا ﴿٦١﴾ كَيْفَ إِذَا أَسْأَلْتَهُمْ لِمَ جَاءتُمُ آيَاتِهِمْ ثُمَّ كَانُوا كَالْحُمَالِ يُخْفُونَ بِاللَّهِ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْهَا وَرَوُّهُمْ بِهَا قَدَمَتْ ﴿٦٢﴾ أَي: كيف يكون حالهم وقت إصابة العصية إياهم، بانفصاحهم بظهور نفاقهم بسب ما علوا من الجنايات، التي من حيلتها التحاكم إلى الطاغوت، والإعراض عن حكمك.﴾

#### رابعاً. الحرمان من التوبة:

أشد ما يمكر أن يعاقب به الإنسان في هذه الدنيا، أن يحرم من التوفيق للتوبة، والقرآن العظيم بين أن من الأعمال التي تعرض لفاعلها للحرمان من التوبة: تحريف ما أنزل الله، وإخضاعه للهوى أحداً أو رذاه، وهو عين ما فعله أعداء الله من كفار أهل الكتاب، وأوليائهم المنافقين، قال الله تعالى - مواسياً رسوله الكريم ﷺ حتى لا يحزن - ولا يأمر على أمثال هؤلاء الشرذمة ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُ مِنَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الَّذِينَ مِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا بِنُورِهِمْ نَسْتَنِيرُ﴾

١١) انظر أسد السبل لمؤلفي (ص ١٨٧) تفسير القرطبي (١٨١/٨).

١٢) ص ١٨١ - السعود (١٩٤/٦١) والنظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١٧١٦/٢).



تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَرَبِّكَ الْوَيْلُ هَذَاؤُمْ سَمِعُونَ لِلْمَكْذُوبِ سَمِعُونَ لِقَوْمٍ مَا كُنْتُمْ لَكُمْ بَأْتُونَ  
يُخْفُونَ الْكِبْرَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَيَقُولُونَ إِنَّ لَوْ لَشَيْءٌ هَذَا سَمِعُوا وَإِنْ لَمْ تَقُوهُ  
فَلَعَدُوٌّ وَمَنْ يُبْرِدِ اللَّهُ بَيْنَكُمْ فَمَنْ تَشَاءُ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ غَيْثًا لَوْلَيْتَكُمُ الْوَيْلُ لَمْ يُبْرِدِ  
لِلَّهِ أَنْ يُظْهِرَ قُلُوبَهُمْ لِحَمِّ فِي الدُّنْيَا حَرْفًا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥١﴾

قال ابن كثير تعلقاً: انزلت هذه الآيات الكريهات في المسارعين في الكفر،  
الغابرين عن طاعة الله ورسوله، المقدسين أراهم وأمواعهم على شرايع الله ﷻ:  
﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّمَا يَأْتِيهِمْ بَشِيرٌ مُبَشِّرٌ وَمَا يَكُونُ خَدِيعَةً﴾ أي أظهروا الإيمان بالسهم،  
ولم يولهم حرارة خاوية من. وهؤلاء هم المسافرون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أعداء  
الإسلام وأعداءه<sup>(١)</sup>

والحرية التي افتقرها هؤلاء: هي انحرافهم عن شريعة الإسلام شعبيها  
ناراً، وأخرى بتحريرها حسب أهوائهم وشهواتهم، ومضالهم الفسقة، محامات  
عقوبتهم مملاعة مع مظاعة حرمهم - الحرمان من التوبة: ﴿أَوْلَيْتَكَ الَّذِينَ لَمْ يُبْرِدِ  
لِلَّهِ أَنْ يُظْهِرَ قُلُوبَهُمْ﴾ أي أن الله تعالى حتم عليهم ألا يتوبوا من علالهم  
وكفرهم. فلم يبرد الله أن يظهر - من نفس الكفر، ووسخ اشرك - قلوبهم طهارة  
الإسلام، ونظافة الإيمان، ليتوبوا<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر الرازي تحت حدة أوجع في عدم طهارة قلوبهم، فقال: العنقا لم  
يرد الله أن يبدل قلوبهم - الأظفار، لأنه تعالى علم أنه لا فائدة في تلك الأظفار،  
لأنها لا تنفع في قلوبهم، ولأنها: لم يرد الله أن يظهر قلوبهم عن الحرج والغم  
والوحشة على كبرهم، وقالها: أن هذا استعارة عن سقوط وقع عند الله تعالى،  
وأنه غير مُلْتَبَثٍ إليه، بسبب فيح أفعاله، وسو - أماله<sup>(٣)</sup>

ودلت الآية الكريمة: اعلى أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم  
الشرعي، أثناع عواء. وأنه إن حكيم له رضي، وإن لم يحكم له سقط، فإن ذلك  
من عدم طهارة قلبه. كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع، ورضي به، وافق

(١) تفسير الطبري (٩٢٤-٩٣٠)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/١٣٦)

(٣) الصمد الحكيم (١١١، ١١٢)

هواء أو خالفه، فإنه من طهارة القلب ودلّ على أدّ طهارة القلب سبب نكّل  
 خبير، وهو أكبر دافع إلى كلّ قولٍ رشيد، وعملٍ سديد<sup>(١١)</sup>  
 كما دلّت على الحري لليهود والمنافقين: بالإسائة لعدم طهارة قلوبهم فإن  
 هناك حرباً بلاخفهم ويحيط بهم من جميع الجهات، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي  
 الدُّنْيَا حَرْبٌ﴾. فحزبي اليهود: فصحتهم ظهور كذبهم في كتمان نصر الله تعالى،  
 في إيجاب الرّحم. وأحد الحربة منهم  
 وحزبي المنافقين: هناك أسرارهم بإطلاق الرّسول ﷺ على كذبهم، وخوفهم  
 من القتل<sup>(١٢)</sup>

#### خامساً: الضّد عن سبيل الله:

إن الضّد الأكبر عن سبيل الله هو أحد الأثار القبيحة للحكم بغير ما  
 أنزل الله، فالشعر عن كتاب الله ﷻ لا يكلبه إعرافه عن حكم الله، ولا  
 يرميه نخبة شرع الله في حياته، بل يتعقّب ذلك إلى أن يكون داعية إلى غير  
 شرع الله، منادياً بقوانين وضعية تدافعاً عنها. مُستنبأ في التعليل لها، ليس هذا  
 لمحب، بل ينكر على من يُطالب بتحكيم شرع الله، ويقف في وجههم بكلّ ما  
 لديه من قوة، مُستخدماً الإعلام في التشهير بهم وإلصاق التّهم الكاذبة: من  
 الإرهاب والأصولية، وغيرها من المصطلحات، بل والشّعري عليهم - أحياناً -  
 بوحشية وفساد، والزّجج بهم في غياهب الشّجون، وبهذا يكون منادياً عن سبيل الله.  
 وهناك ارتباط وثيق بين الانحراف عن شرع الله تعالى، والضّد عن سبيله،  
 فعلافتها ببعض خلافة السبب بالمسبب، ففي الأحواء العبيدة عن حكم الله  
 ورسوله، تنهياً الفرصة لأكبر حدّ عن سبيل الله

قال الله ﷻ: من مشركي العرب الذين اعتاضوا عن أناس شرع الله، بما  
 تنهوا به من أمور الدنيا الحسنة. صاذيق الناس عن الإسلام: ﴿أَقْبَضُوا بِقَابِنِ أَفْو  
 ثِنَا قَلِيلًا فَكَلُوا فِي سَبِيهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا بِمَظَلُونٍ﴾ التوبة: ١٩<sup>(١٣)</sup>

(١١) تفسير السعدي ١/١٤٨٥

(١٢) انظر المصدر السابق (١١٤/١٨٥): الحكم والتحاكم في خطاب الرّسول (١١/٧١٨)

(١٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٣٩)

وعندنا صناعات متفانلة من أهدى الكتاب، تحدث القرآن عنهم في قوله تعالى ﴿يَهْلِكُ مِنَ الْقَوْمِ فَالْجَمِيعُ حَمَلُوا حِمْلًا عَلَيْهِمْ كَيْفَ كُنْتُمْ تُصَلِّينَ أَجَلَتْ قُلُوبُكُمْ وَمَصَلَبْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَأَذِينَهُمْ أَنْزَلْنَا وَقَدْ نَبَّأْنَا عَنْهُمُ أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَالْحِطَّةَ وَاتَّقُوا الْكُفْرَ مِنْهُمْ عَذَابَ أَلِيمًا ۗ لَيْكِنَ أَرْسَلْنَا فِي الْبَلَدِ بَنِيًّا ذَا أَرْوَاهُ يَأْتِيهِمْ مِنَ الْبَيْنِ نَدِيمٌ وَالْمُسْتَضَىٰ وَنَحْنُ عُزْبَتُهُمْ لِيُخَلِّقُوا فِيهَا مَا نَشَاءُ لِقَوْمٍ غَافِلِينَ أُولَئِكَ سَخَّرْنَا لِقَوْمٍ كَذِبٍ ۗ﴾ (الباء: ١٦٠ - ١٦٢)

ففرقوا بوجههم الله تعالى بالعذاب الأليم، لتعاطبهم الرشوة على الحكم، تصدوا الناس من الذين، إضافة إلى أكلهم الربا، وأموال الناس بالباطل، وفي مقابلهم فريق استحقوا الأحرار العظيم، لإيمانهم بالشريعة المنزلة، ثم إيمانهم بالشريعة الحقنة الناصطة، فكانوا مثلاً يقتدى بهم<sup>(١)</sup>

ولهذا الارتباط الوثيق بين الانحراف عن شرع الله، والصدقة عن دينه، استحقوا العذاب من سببه القعة والظلم من رحمة قال تعالى ﴿أَلَمْ نَسْأَلْكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَتَرَاهَا حِجَابًا وَمَنْ آمَنَ لَمْ يَتَّخِذْ مِنَ اللَّهِ حِجَابًا ۗ أَلَمْ نَسْأَلْكَ عَنِ الْكَلْبِ إِذْ جَاءَكَ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ كَيْفٍ مِّنْ آيَاتِنَا فَاعْبُدْنَا ۗ أَلَمْ نَكُن لَّكَ آيَاتٍ مِّنْ قَبْلِ هَٰذَا ۗ أَتَىٰكَ الْكَلْبُ بِالسَّابِقِ السَّابِقِ ۗ فَتَرَكَهُ عَلَىٰ مَا حَبَلَ عَلَيْهِ ۗ﴾ (الأنعام: ١٠١ - ١٠٥)

إذ الحاكمين والمنحالمين إلى غير ما أنزل الله تعالى، هم على رأس هؤلاء الظالمين، فكم أخرجوا الناس من الدين، وهم أصاعوا الأحرار علقن كثير من العالين، لهم مستحقون لهذه النعمة، لأنهم مسؤلون عن حاسب كبير من الضباع وانتهى الذي تعاطب الرشوة كلها<sup>(٢)</sup>

### سادساً: غياب الأمن وانتشار الفوضى

لو تأملنا وصف القرآن العظيم للإسلام بمنزلة عن الإيمار، لوجدناه غنياً فهو ضعيف أمام التعريفات، وسيراً للإحسان، وعلوم في الحقوق، وكفارة للتعلم، ومحدود بالحرز أو الناطل، وعقول متسرع، وناكر للفضل، ويخيل بما عنده، وتشدد في الخصومة، وشدة في حنب الحبر لقمه، وقبوط إذا حبر عن جلب هذا الحبر، وقبيل حزر إذا أصيب نصرة، أو ألم به شدة، وهو حسان بالحبر إذا

(١) انظر العباد: ١٦٠ (١) (٥٨٥)

(٢) انظر الحكم والحاكم في نظام الوحر (١٢١ - ١٢٢)

تحصل عبء، والظنيان هو الضعة الشائنة في الإنسان، في معزل عن شرع الرحمن ﴿لَا يَأْتِيهِمُ الْيَقِينُ﴾ ١٠١ إذ إنه استحقاق العلو ١٠١ - ١٧.

ولا يمكن أن تواحه طماع هذا المخلوق إلا بشريعة من عند خالقه. ﴿أَلَا بِعَمْرِ قَلْبٍ وَهُوَ كَلْبٌ لَظِيمٌ﴾ الملك ١١١ وكيف لتخليل مجتمعا بترك فيه الإنسان كالوحش الضاري، أو الشبح الكاسر، دونما شريعة تطهر قلبه وجوارحه، فينبو من صفات الملائكة، بعد أن كان - قبل أن يطهر بها - أدنى إلى صفات الشياطين.

إن تحقيق الأمر في المجتمعات مرتبط بتطبيق شرع الله، فقد حصل الله ﷻ من خلق شرعه، وحقق شريعته بالأمر، فقال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرِهَوا لِمَنْ هُمْ يُقَالُونَ أَذِلَّةٌ فَاتَّبَعُوا لَمَّا خَسَفَ الْقَمَرُ أَدْبَارَهُمْ وَأَخَذُوا الْوَاقِعَ﴾ (البقره ١٨٢).

والمماثل في حال المجتمعات الغير محكومة بحكمة الشريعة وضبطها للأموال يرى كثرة المنقل، والاعتصاب، واستباحة الأموال بكل الطرق والأشكال، وانتشار الفواحش والزنا، والفجور والخنا، والإدمان، والمصوبية، والحاسوس، والشجار، والقناسر، والشحاسد، والشح، والحل، والجهل، والظلم، وهذا كله من مظاهر غياب الأمر المرتبط بتحكيم شرع الله.

وهذا ما يريد الرعايون من حكم الله إناعته في النفس أمورا، تعطيلهم حكم الشريعة الإلهية التي تضبط - وحدها - النفس الشريرة العاتية.

والمشرعون والحاكمون بأحكام الشرائع الوضعية هم قطعاً ممن يحبون أن تشبع هذه الفواحش والمسكرات في الدين أمورا، وقد توقعهم الله تعالى بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفِجَارُ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَمَنْ أُولَئِكَ فَهُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَكْثَرُونَ﴾ (البقره ١١٩).

لهؤلاء يحاربون الله ورسوله على علم، لأن فوائدهم لجعل من الظلم شريعة، فهي لحمي الرأفة، والبعد، والفتنة، والسراويل، وبضرب الشبح صلاح أبو إسماعيل<sup>(١)</sup> تخلصه مثلاً لنوع من الظلم المتفش، الذي أحدثه الظالمون في حياة

(١) هو صلاح أبو إسماعيل، أحد علماء الأهرم - ولد سنة ١٣١١هـ بالشعب - نفا في مصر -

المسلحين قسراً وقهراً، فبطلوا. فما رأى القانون الوضعي في رجل دخل بيته - معزى برجل بزني مأمورته، على فراش الزوجة ساحل بيته، فعلى دم الزوج في حروفه، وأراد قتل الزاني، فكانت يد الزاني أسرع قتل الزوج.

أنعرف - أيها القارئ الكريم - ما حكم القانون الوضعي في هذا؟ إن هذا الزاني يخرج بريئاً من جرمي الزنا والقتل كليهما!

أما خروجه من جريمة الزنا، فلأن الزوج وحده هو الذي يملك أن يرفع دعوى الزنا ضد زوجته، وقد قتل! وليس هناك الحق لأبيها، أو لأخيها، أو ولدها، أو لأحد غير الزوج القاتل. وأما خروجه من جريمة القتل، لأنه كان في حالة دفاع عن النفس! ولذلك لا يقتل، ولا يجرم، ولا نجداً!

فهل رأيت - أيها القارئ الكريم - ديةً يُقرُّ هذا ابتلاءً؟ إن أنفوسهم في بصر نهر هذا اللاه<sup>(١١)</sup>

### موضى الاختلاء على الأموال!

وإذا تُركت التمايز الشرعية لحماية ممتلكات الناس، فإن الإجراءات الوضعية لا تُفلح في توفير الحماية لها، بل إنها تفتح أبواب السلب والنهب، أمام مرضى التكبُّب بالحرام، فتنتفح شهية السُرَّاف، وتسمو خيرات المختلسين، وتنتعثر رغبات المحنكرين، وتحاوُل القوايين الوضعية - ناشئة - أن تقضي على الجريمة، فلا تزيد لها إلا شيوعةً بإجراءاتها الخرفاء، فالسُّجور - المكتنفة بالمجرم - نصير أكر المعاهد التعلبية لغو النُظ، وألوان الإحرام.

يقول الشيخ أحمد شاكراً<sup>(١٢)</sup> - تكلفاً - بعد أن بيَّن كيف تعاون المنافقون

- التَّمب المصري، فرج تَعْل - أعظم صونك، لصلح آسيا بالنهر، وكاد ينادي بتغيير الشريعة الإسلامية. وحُرب المثل في إمداد الماء لخدمة العلم والفن، أشهر بالحفاة والمحاضرات والندوات، وغاوم الحداثيين والشُّوعيين، ومن مؤلفاته: اليهود من القرآن، توفي في أبو ظبي سنة (١٤١٠هـ). انظر إتمام الأعلام (ص ٢٠١).

(١١) نقل عن: أحكام إسلامية - إداة القوايين الوضعية، للمستشار محمد عبد الحميد عراب (ص ١٧).

(١٢) هو المنحذ أبو الأَسْال، أحمد بن محمد شاكراً بن أحمد بن عبد القادر من آل أبي خلاب، انتهى نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد بالقاهرة سنة (١٣٠٩هـ) -

والمشتمرون، في إدخال القوايين الوضعية، إلى ديار المسلمين، فأشاهوا فيها العتس: . فكان عن هذا أن امتلأت الشجون في بلادنا وحدها بمئات الأيون من التصور، بما وضعوا في القوايين من عقوبات لشرقة ليست برادعة، وليس تكون أسداً رادعة، وليس تكون أسداً علاجاً لهذا الذاء الشنري.

وإنهم جاؤوا في التطبيق بالتصور الأعداد من (علم النفس) لكل لصر يخبه، ثم ياد الأمر شراً أن يكتب التصور أنفسهم كلاماً، يلتمسون به الأعداد لجرهم، وقام المدافعون (المحامون) عنهم المقامات التي توردهم النار. يعلمون أن الجريمة نائمة فلا يحاولون إنكارها. بل يحاولون النهوين من شأبها بدرامه (نقية المحرم وطروفة) ١١١

#### موضع الاعتداء على الأراض:

وأما العوضى في الأعراس والأساس، تحت المظلة التوسعية النضلة، فحدث ولا حرج، فإن الشدايب الشرعية الضارمة التي من شأنها أن تحافظ على عفة المجتمع وطلهارته من شعار الشهوات، ونحاوان أو تظمن أوارها، هذه الشدايب يبلغها القانور الجائر الموضوع حررة قلم، فتمن للعبة بحميها في ديار المسلمين، ومن لظلهارة بجرسها، ومن للحريرة بناصرها، إذا حرمت هذه النهار من حكم الله ﴿وَمَنْ أَسْرَبَ بِرَأْفَةِ اللَّهِ فَرَأْفَةٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ المائدة: ٥٠

وإذا قيل لهم: لماذا نصرّون على هذا الملا.. ونم ننتشون بهه انشرايع المفسدة؟ قالوا: نريد أن نتحرر كما تحرر العرب، ونقدّم كما تقدم العرب، ونقدّم ارتقاء والسعادة نشعوننا كما قدّم الغرب، وهي كعقاله اسلامهم الضالين الذين قال الله عنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا نَدَبُوا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ لَأَقْبِرَنَّكَ زَيْلَ الرُّسُولِ رَبَّيْتُ

\* كان والده (محمد شاكرك) أعظم نبوغه الرأ في حباله، فقد وخبه إلى يدانه علم الحديث، نولى القضاء في مصر أكثر من ثلاثين ساء وكان صحتهداً وتم يكن مقلداً توفي سنة (١٣٧٧هـ).

من مقلداً نظام القلاق في الإسلام، وعمدة التصيرة لم يكنه

أظهر ترجمه توضح في مقدمه كتابه "كلمه الحزاق" بقسم أخيه (محمود بن محمد شاكرك)

١١٠ عمدة التصير من الحفاظ لمر كتم، اعحصار وتحقق: أحمد محمد شاكرك (١١٧/٤)



الْمُشْرِكِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُورًا ﴿١٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَمْسَكْتَهُمْ شُرَيْمَةً يَمَسُّهَا فَمَدَّتْ  
أُذُنَهُمْ ثُمَّ حَامَلُوا بِحَمْلَتَيْنِ يَاكُفُّونَ يَاكُفُّونَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَّا بِحُكْمِ اللَّهِ وَتَوَقُّفًا ﴿السَّاء: ٦١-٦٢﴾

والمعجزة أن هؤلاء المعاندتين، يعطون - فل غيرهم - ما الذي جنته  
عصاة العرب، القائمة على الأعداء، على سلطة الله وحكمه، ويُدركون إلى أي  
مركز سقطت، وإلى أي حائر وصلت<sup>(١١)</sup>

### مابعاً. انتشار العداوة والبغضاء

يعين الناس في ظل دين الله في نعمه من الإحسان والألفة، كما قال تعالى  
﴿وَالذُّكْرُؤُا بَعَثْنَا مِنْهُ خُلُقًا إِذْ كُنْتُمْ أُمَّةً يَخْتَلِفُ أَلْفٌ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فَأَلَمَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْكُمْ آلَ  
عِمْرَانَ ﴿١٠٣﴾

ولقد وعظما الله تعالى من النشء بحال أهل الكتاب، لما استكبروا عن  
الإذعان التام لأوامر الله، فكانت عاقبتهم أن وقعت العداوة والبغضاء فيما بينهم  
فاليهود لما خالصوا رسول الله ﷺ، وكذبوه، ولم يتفادوا لشريعته  
أخبر الله ﷻ أن قلوبهم لا تجمع، بل العداوة والمهنة بينهم دائماً لأنهم خالفوا  
شريعة الحق، فكان سبحانه ﴿وَلَوِيتُ كِبْرًا بِتِهْمَةٍ إِذْ لَرَدَّ إِلَيْكَ مِنْ رُبِّهَا كَلِمًا وَكَفَرًا  
وَأَقْبِنَا بِهِنَّ الْعَمَةَ وَالْمَضَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿السَّاء: ٦١﴾

والنصارى تركهم بعض ما ذكروا به من شريعتهم، ثم شكروهم عن اتباع  
النبي ﷺ، كانت عاقبتهم لعافية إخوانهم اليهود، قال تعالى ﴿وَمِمَّنْ أَلْمِزْتَهُ  
مَلَكُؤُا إِذْ نَسَخْنَا مَا كَانَ بِهِنَّ مِنْ عَهْدِكَ وَأَوْفَيْنَاكَ مَعَؤُا فَسَوَّأْنَا خَلْقًا وَمَا دُرُؤُا بِهِنَّ لَأَلْمِزْنَا بِهِنَّ  
الْعَدَاؤُا وَالْبَغْضَاؤُا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنُؤُا بِهِنَّ اللَّهُ يَمَّا كَانُوا يُسْتَفْسَخُونَ ﴿  
السَّاء: ٦٤﴾

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِنَا بِهِنَّ الْعَمَةَ وَالْمَضَّةَ﴾ أي: عيبنا، وقبل:  
الصفحة بهم؛ مأخوذ من الجراء، يُقال: جُري سائسي، إذا ألصق به كالجرار<sup>(١٢)</sup>

(١١) انظر الحكم والتحكيم في خطاب الوحي (١٦/٧٢٤)

(١٢) انظر تفسير ابن كثير (١١٧٤/٣١) انظر المعاصرين (٣/٤٨٢)

(١٣) انظر لسان العرب (١٦٣/١١٠) مادة: (جرار)

فالعداوة والنمضاء أُلصقت بهم، مما بينهم وبين بعض، أو فيما بينهم وبين اليهود<sup>(١١)</sup>

والظالم آتيا واقعة بين طوائف النصارى، وهي لتتبع الوقوع بينهم وبين طوائف اليهود عن طريق الأولى.

فإن ابن كثير تَفَقَّه في تفسير الآية «أي فالذي بينهم العداوة والتناخص لبعضهم بعضاً، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة» وكذلك طوائف النصارى عن اختلاف أحناسهم لا يزالون متناغصين متعادين، يَكْفُر بعضهم بعضاً، ويُكْفِر بعضهم بعضاً، فكلُّ فرقة تُحَرِّم الأخرى، ولا تدعها تلخ مغفقتها، فالملكوت<sup>(١٢)</sup> كُفِّر اليعقوبية<sup>(١٣)</sup>، وكذلك الآخرون، وكذلك الشطونية<sup>(١٤)</sup> والأرهوبية<sup>(١٥)</sup>، كلُّ

(١١) انظر تفسير القرطبي (١١٧/٦).

(١٢) الملكوتية هم أصحاب الملكة الذي ظهر في بلاد الروم وقبل سنة إلى ملك الروم ومع يهودون. إن الكلمة أُلصقت بحسد المسيح. وبقرعت سامونه ويعنون بالكلية ألقوم العلم. ويعنون بروح انفس ألقوم الحياة وصرحوا حسانة الثلاث. وقد أخبر عنهم القرآن: «لَمَّا كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ لَمِنَ الضَّالِّينَ» [المائدة: ١٧٣]  
انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (١/٥٣١)، النحل والنحل - لتشرستاني (٢/١٦٢).

(١٣) الحقوبية: يسبون ابن يعقوب البرادعي، وكان داعياً في القسطنطينية، ويهودون؛ إذ المسيح هو الله تعالى نفسه. وإن الله - تعالى عن عظيم كفرهم - نزل ومليح، وإن العالم في ثلاث أيام بلا فناء، والفلك بلا فناء، ثم قام ورُجِع كما كان، وأنه - تعالى - كان في بطن مريم مصولاً به.

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٤٩/١٦) النحل والنحل (١٦٦/١٦).

(١٤) الشطونية: هم أتباع شطور الحكيم، الذين ظهر في زمن السامون، وانصرف في الأناضول بينهم أريد، فقال إن الله تعالى واحد، ذو أرقام ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأرقام ليست واحدة على الذات، ولا هي غير. وألصقت الكلمة بحسد عيسى عليه السلام، كظهور النفس في الحائم. كما قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وإن الله تعالى لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله - تعالى الله عن كفرهم - كما يقولون: إن اتحاد الله بعيسى لم يكن بغيراً حال صفة.

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٤٩/١٦) النحل والنحل (١٦٤/٢١).

(١٥) الأرهوبية هم أصحاب «أرهوس» وكان فيسأ بالاسكندرية ومن قوله التوحيد المنجود، وأن عيسى عليه السلام مخلوق، وأن كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٤٧/١١).

طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد<sup>(١)</sup>.

مسألة: فد يقول قائل

كيف أهربت بهم العداوة والعصاة، وقد نأثروا عن المسلمين؟

جوابها: نجيباً على ذلك ابن عاشور رحمه الله حيث قال: إنَّ العداوة ثابتة بينهم في الدين بانقسامهم لبرقاً... وذلك الانقسام يَجْرُ إلىهم العداوة، وخذل بعضهم بعضاً ثم إنَّ نولهم كانت مفسدةً ومتحاربة، ولم يزل كذلك. وإنما نأثروا من الحروب العقلية على المسلمين، ثم لم يلبثوا أنَّ عادلوا وتحاربوا، ولا يزال الأمر بهم كذلك إلى الآن.

وكم صاحت مساعي الشاعرين في خنوعهم عن كلمة واحدة، وبألف أُنْحَادٍ بينهم، وكان اختلافهم ألقفاً بالمسلمين في مختلف عصور التاريخ الإسلامي، على أنَّ أفعالهم على أمة أخرى، لا يمتلي تمكُن العداوة لها بينهم، وكفى بذلك عقاباً لهم على إسيانهم ما ذُكروا به<sup>(٢)</sup>.

تلخيص الأئمة الإسلامية من العداوة:

والأئمة الإسلامية أعطوا الله تعالى بالعداوة المُتَلَفَاة فيما بين طوائف اليهود والنصارى، حتى لا تفع فيما وقعوا فيه، فالرُعيَّة تُلقَى بينهم العداوات إذا رعت عن شرع الله، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: فمضى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والعصاة، وإذا تفرق الطوم فسدوا وعلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا ومنكروا<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمه الله في موضع آخر: وإذا حرج ولاية الأمور عن هذا (أي: عن الحكم بين الناس بالكتاب والسنة) فقد حُكِّمُوا بغير ما أنزل الله، ووقع بأنهم بهم.

وهذا من أعظم أسباب تعير النبوة، كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا، وعين زماننا<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٣/٨٣)، والمطر: الحكم والحكام في حطبات الوحي (١٤١/٢٣١).

(٢) التعمير والنوير (٦٦/٤٥ - ٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١١١).

(٤) المصمم ص: ١٣٨.

وقد تعوّد النَّبِيُّ ﷺ من مغبة ترك الحكم بغير ما أنزل الله، وعَدَّ ذلك من أعظم أسباب وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين:

عن عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَسُّ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُذْرِكُوهُنَّ:

... وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَتَمْتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ثامناً: الحرمان من النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ:

المسلمون إذا تعاطوا أسباب النَّصْرِ، وكانوا له أهلاً، وتوكلوا على الله تعالى وحده، وعملوا بمقتضى سُنَّتِهِ في خلقه، فلا قِيلَ لأحدٍ بغلبتهم، في حين أنه تعالى إذا خذلهم - بما كسبت أيديهم من العصيان - فلا أحدٌ يملك لهم نصراً، ولا يدفع عنهم ضرراً، ومصدق ذلك في كتاب الله سبحانه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]<sup>(٢)</sup>.

وليس شيء أَدْعَى للخذلان، وللحرمان من النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ؛ مِثْلَ هَجْرِ التَّحَاكُمِ إِلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمِ نَصْرِهَا فِي الْأَرْضِ، وَتُعْتَبَرُ ذَلِكَ إِخْلَالاً بِشَرَطِ النَّصْرِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

والمعنى: إِنْ تَنَصَرُوا دِينَ اللَّهِ وَشَرِيعَتَهُ، بِالْعَمَلِ بِهَا، وَتَعْظِيمِهَا، يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ ﷻ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَأَعْدَائِكُمْ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له (١٣٣٢/٢) (ح ٤٠١٩)؛ والحاكم في «المستدرک» (٥٨٣/٤) (ح ٨٦٢٣) وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣١٦/٣) (ح ٣٢٦٢)؛ و«السلسلة الصحيحة» (٢١٦/١) (ح ١٠٦).

(٢) انظر: تفسير المنار (٣٠٧/٤)؛ الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٧٣٩/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٧٥/٤).

قال الرّازي رحمته الله: «بيّن في هذه الآية: أن من نصّره الله فلا غالب له، فيحصل من مجموع هاتين المقدّمتين، أن من اتقى الله، فقد فاز بسعادة الدنيا والآخرة؛ فإنّه يفوز بسعادة لا شقاوة معها، وبعزّ لا ذلّ معه، ويصير غالباً لا يغلبه أحد، وأمّا من أتى بالمعصية؛ فإنّ الله يخذله، ومن خذله الله، فقد وقع في شقاوة، لا سعادة معها، وذُلّ لا عزّ معه»<sup>(١)</sup>.

وقد نصّ القرآن العظيم على كيفة نصر الدين والشريعة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

والآية الكريمة تدلّ - كما قال الشنقيطي رحمته الله: «على أن الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرّون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتّة...»

فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمّون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا، مغرورون؛ لأنهم ليسوا من حزب الله، الموعودين بنصره، كما لا يخفى.

ومعنى نصر المؤمنين لله: نصرهم لدينه وكتابيه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تُقام حدوده في أرضه، وتُمثّل أوامره، وتُجتنب نواهيه، ويُحكّم في عبادته بما أنزل على رسوله صلّى الله عليه وآله<sup>(٢)</sup>.

#### الخلاصة:

وممّا سبق نستخلص أن الإعراض عن حكم الله وشرعه يورد المجتمعات موارد التهلكة؛ ففي الدّاخل: يؤدّي إلى تفشي الجريمة، وضياع الأخلاق، وانتشار الرذيلة، ومن ثمّ ضياع الأمن والاستقرار، والذي هو من أعظم النعم التي يُنعم بها الله صلّى الله عليه وآله على من اتّبع رضوانه، وما حال المجتمعات الإسلاميّة المُجتنبّة لشرع الله عنّا بعيد.

وفي مواجهة الأمة لغيرها من الأمم، وعلى المستوى العالمي: نجد أن الأمة

(١) التفسير الكبير (٥٦/٩).

عندما تتعد عن شرع الله، تضيع هيبتها ومكانتها، وتُستهان بها، ولا يأبه لها ولا لكثرة أعدادها؛ ذلك لأنَّ أعداءها قد علموا ما هم عليه من ضعف الصلة بربهم ففقدوا عُصْرَ قُوَّتِهِم الأوحد، وركنوا إلى الدنيا، وإلى قدراتهم الماديَّة، وهم عالَّةٌ على غيرهم في ذلك، فعلموا قُوَّتَهُم الحقيقيَّة ومدى ضعفها فهانت في نظرهم.

### المطلب الثاني ﴿٥٩﴾

#### الآثار الأخروية للحكم بغير ما أنزل الله

عظَّم القرآن الحكيم من هول العقاب الذي ينتظر أعداء الله المبدلين لشرعه، المفترين على دينه - تحليلاً وتحريماً - بغير سلطان من الله، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ رِزْقِهِ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ مَا اللَّهُ أَدْرَأَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٥٩ - ٦٠].

ففي هذه الآيات الكريمات: «أنكر الله تعالى على مَنْ حَرَّمَ ما أَحَلَّ الله، أو أَحَلَّ ما حَرَّمَ الله، بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها، ولا دليل عليها. ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة، فقال: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: ما ظنهم أن يُصنَع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة؟»<sup>(١)</sup>.

فهذا استهزاء يراد منه تهويل وتفضيع العقاب الأليم، الذي ينتظر المفترين، المتقولين على الله، المبدلين لشرعه، ولذا نُكِّرَ وأبْهِمَ، فمصيرهم هو أسوأ المصير، وعقابهم هو أَوْخَمُ العقاب<sup>(٢)</sup>.

«وصيغة الغائب تشمل جنس الذين يفترون على الله الكذب، وتنظمهم جميعاً، فما ظنهم يا تُرى؟ ما الذي يتصوِّرون أن يكون في شأنهم يوم القيامة؟ وهو سؤال تدوب أمامه حتَّى الجبال الصلدة الجاسية»<sup>(٣)</sup>.

وفيما يلي استعراض لبعض الآثار المترتبة على الحكم بغير ما أنزل الله في الدار الآخرة:

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٤/١٥٧).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٠).

(٣) في ظلال القرآن (٣/١٨٠٢).



## أولاً: الإهانة عند قبض الأرواح:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لِئَلاَّ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هُمُ الَّذِينَ يُسَاءَلُونَ عَنْ قَوْلِهِمْ رَبِّنا بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١٦٤﴾﴾<sup>(١)</sup> ذلك بأنهم قالوا للذين آمنوا ما ساءت الله نطيتكم في تصور الأمر والله يملأ (سراهم) ﴿١٦٥﴾ فكيف إذا بوقعتهم الملائكة بصرحت وبقوتهم وأنتممتم ﴿١٦٦﴾ ذلك بأنهم استمروا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط الله عملهم ﴿١٦٧﴾ (محمد: ٢٥ - ١٦٨)

هذه الآيات الكريمات هذه وتتوخد سوعاً من المتحرفين عما أنزل الله تعالى، وهم الذين يطعون أعداء الله - كاليهود والنصارى - في بعض ما يأمرون به، والآيات تصعهم بارتددها ساء ذلك الفعل، وتتوخدهم بمصير مظلم، وعذاب مؤلم، يبدأ معهم منذ التخطات الأولى من مفارقة الدنيا.

﴿تَكَيْفَ إِذَا بُؤِقْتَهُ الْمَلَائِكَةُ بِصِرُّوتِ وَيُخْفَتُهُ وَلَمُنَّتْهُ﴾ أي: كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم، وتعضت الأرواح في أجسادهم، واستخرجها الملائكة بالمعق والفهر والضرب<sup>(٢)</sup>

قال ابن عاشور علقاً: (والمقصود: وعيدهم بأنهم سيعجل لهم العذاب، من أول منازل الآخرة، وهو حالة الموت، وما تحل هذا العذاب محققاً وفوقه، رتب عليه الاستفهام عن حالهم استفهاماً مستعلاً في معنى تعجب المحاط من حالهم عند الوفاة. وهذا التعجب مؤدب بأنها حالة فطيفة غير معنفة، إذ لا يتعجب إلا من أمر غير معهود، والشفاق يدل على القناعة...

والجملع بين الإخبار عنهم بأنهم ما أسخط الله، وكرامتهم رضوانه، مع إمكان الاجترار بأحدهما من الآخر: للإيداء إلى أن صرف الملائكة وجود هؤلاء، مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله، وأن صرفهم أمدانهم، مناسب لكرامتهم رضوانه، لأن الكرامة تستلزم الإعراس والإمدار

والإحاطة بإطال العمل، أي: أطل استفاعهم بأعمالهم التي عملوها مع

(١) انظر تفسير الطبري (٦٠/٢٦٦)؛ تفسير القاسمي (٦٠/٦٦) (٢٥٩/٦)

(٢) انظر ابن كثير (٧/٣٢٣)

المؤمنين، من قول كلمة التوحيد، ومن الصلاة، والزكاة، وغير ذلك<sup>(١)</sup>.  
 مشهد آخر من الإهانة:

وقال الله سبحانه: «في سورة آخر من المتجرئين عن شرعه المنزّل: ﴿وَمَنْ  
 أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَيْدًا أَوْ قَالَ أُوْحَى إِلَيَّ وَنَمْ يُوحَى إِلَيْهِ شَيْئًا  
 أَنْزَلَ اللَّهُ ذِكْرًا تَرَى فِي الظَّالِمِينَ فِي عَمَزَاتِ التَّوْرَةِ وَالنَّبِيِّاتِ يُبَيِّنُونَ لِيُخْرِجُوا  
 أَعْيُنَكُمْ مِنَ الْغُيُوبِ غَدَابَ الْهَوَىٰ بِنَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ  
 فَتَكْفُرُونَ﴾ [الأعام: ٩٢].

﴿وَمَنْ﴾ مؤصلة مراد به الجنس، أي: كل من افترى أو قال، وليس  
 المراد فرداً معيناً، فالدين افترى على الله كذباً، هم المشركون لأنهم حللوا  
 وحرموا بهوهم، ورددوا أن الله أمرهم بذلك<sup>(٢)</sup>.

والآية الكريمة تناول أصنافاً من المتجرئين عن الشريعة المطهرة:

وهي تتعرض للمنتهين الذين ادعوا أن الله فد أوحى إليهم، أمثال مبسطة  
 الكذّاب، والأسود العسي، وسحاح زوجة مبسطة<sup>(٣)</sup>.

وتناول أيضاً كل من كان على شاكلتهم ممن أعرس عن الفقه والسنة، وما  
 كان عليه السلف من السنن، فيقول: وقع لي خاطري كذا، أو أوحى إلي قلمي  
 بكذا، فيخشعون ما يقع في قلوبهم، ويطلب عليهم من خواطهم، وفي هذا  
 يقول الفرطسي قلته: «هذا القول ونسفة وكفر، يقتل فاعله، ولا يستجاب، ولا  
 يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، فإنه يلزم منه هذ الأحكام»<sup>(٤)</sup>.

للاية تحكي أحوال هؤلاء عند معاينة العود، والخروج من الدنيا:

﴿وَلَوْ تَرَى إِلَى الظَّالِمِينَ فِي عَمَزَاتِ التَّوْرَةِ﴾ أي: شدائده وسكراته، ﴿وَالنَّبِيِّاتِ  
 يُبَيِّنُونَ لِيُخْرِجُوا أَعْيُنَكُمْ مِنَ الْغُيُوبِ﴾ بالمذاب ومطرق الحديد؛ ليقض أرواحهم  
 ﴿أَخْرَجُوا أَعْيُنَكُمْ﴾ أي: أخرجوا أرواحكم من أحسادكم، أي هاتوا

(١) التحرير والتنوير ٩٩/٢٤١ - ١٠٠.

(٢) المصدر عنه (١/٢٢٠).

(٣) أظن أمير الدطني (٧/١١١).

(٤) المصدر عنه (٧/٢٢٠). وأظن الحكيم والحاكم فر حطاب البوسي (٦/٢٦٦).

أرواحهم، والأمر للإهانة والإزهاق، إغلاظاً في نفس أرواحهم، ولا يشركون لهم  
 راحة، ولا يُعاملونهم بلين، وفيه إشارة إلى أنهم يخشعون فلا يفظون أرواحهم،  
 وهو على هذا الوجه، وعيد بالألام عند النزاع حرة في الدنيا على شركهم<sup>(١)</sup>  
 ﴿الْيَوْمَ لَعْنَةُ اللَّهِ الْكُفْرَةَ﴾ أي الكفر، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ عَلَى اللَّهِ وَعْدُ الْعَذَابِ  
 وَكُنتُمْ عَلَىٰ حَقِّهِ مُتَعَمِّدُونَ﴾ أي، تتعتمدون وتأنفون عن قبول ما أنزله الله في  
 آياته<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الوحشة في الحشر:

في الآية السابقة بين النظم الحكيم عاقبة الانحراف عن شريع الله تعالى عند  
 معاناة الموت وصعارة الدنيا، والآية التالية لها تستأنف بيان حالهم في الحشر:  
 ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُوهُمْ يُدْعَىٰ تَمَّازًا فَطَفُوتُم بِكُم مِّنَ الْمَوْتِ وَمَا تَعْلَمُونَ مَا تَكُونُونَ وَمَا تَبْرَأُونَ  
 مِنْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ الْكُفْرَةَ إِنَّكُمْ لَعِنَةٌ مُّسْكِرَةٌ كَذِبَةٌ لَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١)

قال القرطبي رحمه الله: هذه عبارة عن الحشر...

والمعنى جنتموا واحداً واحداً، كل واحد منكم معروفاً بلا أهلي، ولا  
 مالي، ولا ولي، ولا ناصر، منكم كان يصاحكم في الغم<sup>(٣)</sup>  
 فمن اغترابهم ووحشتهم في الحشر أنهم معززون عن كل ما كانوا معززون  
 به في الحياة الدنيا من أموال، وأولاد، وحاي، وأنصار.

### ثالثاً: الأكل من النار وغضب العباد:

قال العليم الحبير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَنَسُوا  
 بِهِ لَمَّا ظَلَمُوا لَوْلِيكَ مَا يَأْكُلُونَ وَظُلُومُهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ  
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢) ﴿لَوْلِيكَ الَّذِينَ اسْتَفْتَاكَ بِالْهَدْيِ وَالْقَدَاتِ  
 بِالْمَشْفِقَةِ فَمَا اسْتَفْتَمُ عَلَىٰ آثَارِ﴾ (١٢٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَأَلَ الْعَذَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ  
 اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِيُشْفِقُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ١٧٤ - ١٧٦)

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/١٦٧ - ١٦٨)

(٢) انحراب والنسوة: ١٢١/١٢٢

(٣) المصدر: ١٧٤/١٧٦

بعد أن تحلقت الآيات عن بعض أحكام الشريعة، مثل: تحريم أكل الميتة، والدم، ولحم الحزير، وما أهل لعير الله به. توثقت من يكتمون أحكام هذه الشريعة، معابيل نحر قليل يأكلونه، لأن كتمان الشريعة، يسلم آواها من الإحراج عنها<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء الذين يكتنون الحق المُنزل - الماء شرب وحيض - إنما يأتون حراماً يعذبهم الله عليه نار جهنم، يأكلونها من بطونهم الحشعة، فهي نارٌ على الحظيفة يأكلونها يوم القيامة، حرام ما أكلوه من أكل الزنوة على النبي<sup>(٢)</sup>.

وسمى الله تعالى ما أكلوه من بطونهم ماراً: «لأن هذا الثمن الذي اكتسوه، إنما حصل لهم بأفح المكاسد، وأعظم المحرمات، فكان جرأهم من حسن عنهم»<sup>(٣)</sup>.

### غضب الحار لعظم من النار.

والذي أعظم عليهم من عذاب النار، هو غضب الله عليهم، وإعراضه عنهم «ولا يصفيتهم الله يوم القيمة ولا يرحمهم» أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرديئة، إذ ليس لهم أمدادٌ تصلح للمدح والرضاء، والجرأ عليها، بل يعذبهم عذاباً أبداً، لأنهم بدوا كتاب الله، وأعرضوا عنه، وعن النحاكم إليه في الدنيا، واحتاروا بضلالة على الهدى، والعداب على المغفرة.

### فما أصبرهم على النار

وفد ذكر أهل التأويل: «حمهم الله»<sup>(٤)</sup> عذبة معاني في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾.

١ - مذهب جمهور المعشزين أن (من) للشعوب، وهو مردود إلى المخلوقين<sup>(٥)</sup>، كأنه قال: اعجبوا من صبرهم على النار، ومكثهم فيها.

(١) انظر الحكم والحكم في خطاب الرعي (٧٦٢/٢١)

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٢٣٩/٢١) تفسير العسقي (١١٣٤/١١)

(٣) انظر تفسير الطبري: (٩١/٢٤ - ١١٩٢ - ١١٩٣) زاد المسعر (١١٥٣/١٥) تفسير القرطبي (٢١ - ٢٢ - ٢٣)

(٤) لأن الشعب: استظام الشربة، دعاء حصول الشب، وهو مستحب في حق الله تعالى

٢ - ما لهم والله عليها من صبرٍ، ولكن ما أجراهم على النار، إذ يعملون عملاً يُوَدِّي إليها!

٣ - أن (ما) استفهامٌ معناه التوبيخ. والمعنى: أي شيء صبرهم على عمل أهل النار؟

٤ - ما أقل جزغهم من النار؛ فجعل قلة الجزع صبراً، وهذا على وجه الاستهانة بهم، والاستخفاف بأمرهم.

وهذه الآيات المباركات وإن كانت تتوعد - أصلاً - علماء اليهود الذين مردوا على كتمان الحق المنزّل - إذا خالف أهواءهم، أو أهواء سادتهم - إلا أنّ وعيدها يشمل كلّ مَنْ عمل عملهم، وكان على شاكلتهم، كما قرّره القرطبي رحمه الله بقوله: «وهذه الآية وإن كانت في الأخبار، فإنها تتناول من المسلمين مَنْ كتم الحق مختاراً لذلك؛ بسبب دنيا يصيها»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: العذاب المهين:

ذَكَرَ العزيرُ الحَكِيمُ جوانِبَ من أَحكامِ الشَّرِيعَةِ في صَدْرِ سورَةِ النِّساءِ، والمتمثلة في: بيان أموال اليتامى، وأحكام الأنكحة، وأحوال الموارث والوصايا ثم ذكر بعد ذلك: الوعد والوعيد، ترغيباً في الطاعة، وترهيباً من المعصية، فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: هذه أحكام الله قد بيّنها لكم؛ لتعرفوها، وتعملوا بها ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في متابعة حدوده، والعمل بها كما أمره الله تعالى ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، فهذا هو الوعد.

أما الوعيد: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَالَّذِي فِيهَا وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهَا مِنْ أَمْتٍ مَعْتَدٍ﴾ [النساء: ١٤]. فكلُّ مَنْ اعتدى على حدود الله تعالى مكذباً، أو جاحداً، أو مُبَدِّلاً، أو مُبَغِضاً، فهو متوعدٌ بهذا العذاب المهين؛ «لكونه غير ما حَكَمَ الله به، وضادُّ الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم

الرَّحْمَا بِمَا لَسَمَ اللهُ، وَحَكَمَ بِهِ، وَلِهَذَا يُحَادِثُهُ بِالْإِهْمَانَةِ فِي الْعَلَابِ الْآلِيمِ  
الْمَلِيمِ<sup>(١١)</sup>

سأله هل يفهم من الآية الكريمة أن فظنوا العصيان، موجب للخلود في  
النار؟

جوابها: يُحِينَا هِيَ ذَلِكَ الْفَرْطِيُّ تَلَفُّظًا، حَيْثُ يَقُولُ: «وَالْمَعْصِيَانِ» بِنِ أُرِيدُ  
بِهِ الْكُفْرَ، فَالْخُلُودُ عَلَى مَا بِهِ، وَإِنْ أُرِيدُ بِهِ الْكِبَالَةَ، وَتَجَاوَزُ أَوْامِرَ اللهِ تَعَالَى،  
فَالْخُلُودُ مُسْتَحَالٌ لِمَعْنَى مَا، كَمَا تَقُولُ. حَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ.

وقال زهير<sup>(١٢)</sup>: وَلَا حَالِدًا إِلَّا الْحَيَانَ الزَّوَابِيَا<sup>(١٣)</sup>

وَجَلَّى السُّعْدِي تَلَفُّظَ الْأَمْرِ بِيَانًا يَقُولُهُ: أَوْ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْمَعْصِيَةِ، الْكُفْرُ  
لَمَّا دَوَّهَ مِنَ الْمَعَاصِي، فَلَا يَكُونُ لِيهَا شِبْهُهُ لِنُحُورِجِ الْقَائِلِينَ بِكُفْرِ أَهْلِ  
الْمَعَاصِي ..

وفد ذلك التصور المتواترة، على أن الموحدين، الذين معهم طاعة  
التوحيد، غير محللين في النار. فما معهم من التوحيد، مانع لهم من الدخول  
بها<sup>(١٤)</sup>

(١١) تفسير ابن كثير (٢٥٩/١)

(١٢) هو زهير بن أبي سلمى ويبعة من رباح بن قرزة بن الحارث، النخعي، المصري. ورد في  
بلاد إفريقية بتواصي المدينة، حكيم الشعراء في النخعيّة. قال ابن الأعرابي كان يُرْفَعُ  
في الشعر ما لم يكن لغيره. كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخت شطرنج شاعرة، وأبيه  
كعب وزهير شاعرون. وأخته العنيدة شاعرة وكانت فصاحة لسفر الحزبيات، لأنه  
كان ينظم القصيدة في شهر، ونسخها ونجلها في سنة. توفي سنة ٦٣١ قمر الهجرة  
انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى القسطنطيني (١/٧٦٤)، مقدمة  
نبوان، وهو من أبي سلمى، لأكرم البستاني

(١٣) صفحاً هذا البيت

ألا لا يرى على الحوادث سابقاً

(١٤) سير الفرضي (١٨٦/١)

(١٥) تفسير العمري (١١/٢٢٢)



## الخاتمة

وبعد:

فهذا ما وفَّقني الله إليه، ويسره لي في هذا البحث: «هجر القرآن العظيم» ويمكن استخلاص أبرز نقاطه وأهم نتائجه فيما يأتي:

أولاً: في مباحث «الباب الأول»:

١ - إنَّ «هجر القرآن» يعني الأمور الآتية:

- أ - ترك الإيمان به، وعدم الالتفات إليه كليّة.
  - ب - القول السيئ في القرآن، والبزعم الباطل بأنه سحرٌ أو شِعْرٌ أو أساطيرُ الأولين، وهذا القول القبيح في حقّ القرآن من الاستهزاء به.
  - ج - الإعراض والبُغْد عن القرآن، وعدم سماعه، ورفَع الأصوات بالهذيان إذا قرئ لئلا يُسمَع.
  - د - ترك العمل به وعدم امتثال أوامره، وعدم اجتناب زواجره.
  - هـ - ترك تحكيّمه والاحتكام إليه.
  - و - ترك تدبُّره ونفهُمه.
  - ز - ترك تلاوته وحفظه أو نسيانه بعد حفظه.
  - ح - ترك الاستشفاء والتداوي به.
  - ط - الحرج الذي في الصدور منه.
- ٢ - حُكْم هجر القرآن العظيم:

يختلف حُكْم هجر القرآن الكريم باختلاف نوع الهجر، وحال المهاجر:

- أ - فإن كان هجر القرآن بترك الإيمان به، أو الإعراض عنه، وعدم التحاكم إليه بالكلية، أو اللغو فيه، فهذا كفر ضراح.

ب - وإن كان الهمز متعقفاً عدم العمل به - مع الإيمان به، والإقرار بأنه كلام الله تعالى بحسب تناعه - فذلك معصية يتوقف كونها كبيرة أو صغيرة على نوع المحاورة فانها

ج - وإن كان الهمز بمعنى ترك التلاوة، أو ترك التذرع، أو ترك الحفظ، أو ترك الاستشمام به - مع الضميمة على ذلك - ولم يفعل، فهو مؤاخذ على فعله بحسب نوع تقصيره من ذلك

ثانياً: في مباحث «الباب الثاني»:

عن نتائج «الفصل الأول»

١ - من مظاهر التكذيب بالقرآن:

الكفر به، والاستكثار منه، والشك فيه، والتكذيب به، والمحذور به، والاستهزاء به وتعاليمه، وتبديله وتحريره. والإعراض عنه وسنئه، وترك الاحتكام إليه، وكتمانته، والاختلاف فيه، والحطال فيه، والصد عنه، والتهمي عنه، وتعطلة عنه، وترك العمل به، والأداء تسخيه، وإدعاء نفسه - ومجاهداته ومعارضته:

٢ - أجمع علماء المسلمين على تحقير من أنكر القرآن العظيم، أو كذب به، أو خلد منه حرفاً، أو زاد فيه حرفاً، أو بدل حرفاً من بحرف آخر مكانه.

٣ - أهل الكتاب - في مشارق الأرض ومغاربها - مطائون بالإيمان بمحمد ﷺ وكتابه العظيم الذي هو حجة عليهم، كما هو حجة على غيرهم. وأن من لم يؤمن بذلك إيماناً إيجابياً فهو كافر ومحلل في الشر

من نتائج «الفصل الثاني»:

١ - من أساليب الكفار في استهزائهم بالقرآن ما يأتي:

أ - الاستهزاء والضحك حال سماع القرآن.

ب - التثقيب من عدم نزول الوحي عليهم.

ج - ادعاءهم بأن القرآن - بفتح معرني، وأساطير الأوائل.

د - استخدام أعضاء الجسم بقصد الاستهزاء.

هـ - الشتم بالله وآياته.

٢ - الاستهانة - عباداً بالله ، بالمصحف ، أو بلسي ، منه ، ولها صور متعدداً :  
 كإسعاد الفان منه ، أو الأثكاء ، والثؤسد عليه ، أو إتلافه وسريته ، أو الكتابة عليه ،  
 أو إذحاله من أماكن الثحنى ، أو الوصية بدفته مع الميت في قبره ، أو إلفاته في  
 القادورات ، أو بله بالزيت ، أو بلع شيء ، منه ، أو تحنطه ، أو نرى على الأرض ،  
 أو أتخاذ ، وتعليقه للمرىة من غير فرامة منه . أو تنويته ، أو جحد شيء منه ، أو  
 وطنه بالزرجل أو مضعاً إليه ، أو الحنوس عليه ، أو وضع شيء مؤلفه ، أو منه ، أو  
 الاسحاب به ، إلى غير ذلك من الطور الكثرة

٣ - المسلمون كلهم ممنوعون على وحب احترام كلام الله تعالى ،  
 وتعظيمه ، وصيانته من العيوب والنقائص ، فالاستهزاء بكلام الله تعالى ، أو كتابه ،  
 أو محاولة إسقاط حرمة ومهاتنه ، كفر صريح لا يئازر فيه أحد ، ولو كانت آية  
 واحدة .

من نتائج «الفصل الثالث» .

١ - من «مظاهر سماع القرآن لدى الكفار» ما يأتي :

أ - الإعراض عن سماع القرآن

ب - الاستكبار عن سماع القرآن .

ج - التواصي بعدم سماع القرآن

د - الطش من بقراً القرآن .

هـ - النعاس والنصد عن القرآن

و - الاستهزاء حال سماع القرآن

ز - الضجر والتألف .

ح - بغض سماع القرآن وكراهية قارئه

د - الشاؤد والتعامل عن سماع توحى

٢ - من «مظاهر هجر استماع القرآن لدى المسلمين» ما يأتي :

أ - التشاغل بالغناء عن استماع القرآن

ب - سماع الطرب

- ح - اشتاعل عن استماع القرآن .
- ٢ - من آداب استماع القرآن ما يأتي :
- ١ - تعظيم المتكلم .
  - ب - استعمار عظمة الكلام وحلوه .
  - ج - حضور القلب عند السماع .
  - د - تدبر المسموع .
  - هـ - فهم الآيات المسموعة .
  - و - الشغني عن موانع الفهم .
  - ز - أن يقدر - في نفسه - أنه المقصود بكل آية يسمعا .
  - ح - التأثر بالآيات المسموعة .
  - ط - الترفي في استماع القرآن .
  - ي - الترفي عن الحول والقوى؛ حال السماع .
- ١ - من مفاسل استماع القرآن ما يأتي :
- أ - استماع القرآن سب برحمة الله تعالى .
  - ب - استماع القرآن سب لهداية الثقلين .
  - ج - استماع القرآن سب لحنوع القلب وبكاء العين .
  - د - الإعراض عن استماع القرآن بالكئيبة ينافي الإيمان ونصاؤه . بل هو حطفة النفاق الأكبر الذي حكاء الله تعالى عن المنافقين .
  - ٦ - قد يفرص المسلم - أحياناً - عن استماع القرآن العظيم ، أو عن تلاوته - مع إقراره بأنه كلام الله تعالى يجب أنصاعه - ويكون سب الإعراض هو التكاثر ، أو ضعف الإيمان ، أو الاشتغال عنه بعمال أو بيسر أو لعبٍ ولهوٍ كمنابغة البث الفضائي ونحوه .
- لمن المتفق عليه - فيما سن - أنها معصية لله . مما أخذ سبها لأنه قنصر وأعرض باختياره ، ويتوقف كور هذه المعصية كبيرة أو صغيرة على نوع المخالفة ذاتها .

من نتائج «الفصل الزايع»:

- ١ - من «آداب معلّم القرآن» ما يأتي:
  - أ - الاستقامة على دين الله تعالى.
  - ب - حُسْنُ الخُلُقِ مع المتعلّمين.
  - ج - بذل النصيحة للمتعلّمين.
  - د - التدرُّج في التعليم والتّربية.
  - هـ - الرفق بالمتعلّمين.
  - و - الصبر على المتعلّم.
- ٢ - من «آداب متعلّم القرآن» ما يأتي:
  - أ - تطهير القلب.
  - ب - الزُّهد في الدُّنيا.
  - ج - التواضع للمعلّم.
  - د - الدُّعاء للمعلّم والاعتراف بفضله.
  - هـ - اختيار المعلّم الأصحّ والأعلم.
  - و - التّكبير إلى مجلس الدّرس.
  - ز - التّحلّي بالأدب في مجلس التّعليم.
- ٣ - من «فضائل تعلّم القرآن وتعليمه» ما يأتي:
  - أ - مُعلِّمُ القرآن و متعلِّمُه متشبهٌ بالملائكة والرُّسل.
  - ب - خَيْرُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُم مَّنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ.
  - ج - تعلّم القرآن وتعليمه خيرٌ من كنوز الدُّنيا.
  - د - تعلّم القرآن من التّفح المتعدّي، فَمَنْ عَلَّمَ آيَةَ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا ثَلَيْتَ.
- ٤ - من «أحكام تعلّم القرآن وتعليمه» ما يأتي:
  - أ - تعلّم القرآن وتعليمه فرض كفاية على المسلمين، إلا ما تصحّح به الصّلاة من القرآن - وهو الفاتحة - بالإجماع.

ب - الرَّاجِح في حُكْم تعليم القرآن لغير المسلم: الجواز إذا رُجِيَ إسلامه، وعدمُ جواز تعليمه إذا لم يُرَجَّ إسلامه.

ج - الرَّاجِح في حُكْم أخذ الأجرة على تعليم القرآن: الجواز عند الحاجة، وعدمُ جواز الأخذ عند عدمها؛ لما في ذلك من الجمع بين الأدلة وإعمالها جميعاً.

٥ - من «هَمَّة السَّلَف في تعليم القرآن» ما يأتي:

أ - تَرْك الأوطانِ لأجل تعليم القرآن.

ب - تأسيس مدارس وِجَلَق تحفيظ القرآن.

ج - احتساب أجر التَّعليم عند الله تعالى.

٦ - من «هَمَّة السَّلَف في تَعَلُّم القرآن» ما يأتي:

أ - الرُّحلة من أَجْلِ تَعَلُّم القرآن.

ب - ملازمة الشُّيوخ وعرض القراءة عليهم.

ج - تحمُّل الشَّدائد والصُّعاب بُغْيَة تَعَلُّم القرآن.

د - ترك الوطن والمال من أَجْلِ تَعَلُّم القرآن.

من نتائج «الفصل الخامس»:

١ - من «الأمور المبتدعة في التَّلَاوة» ما يأتي:

التَّنطع والوسوسة في مخارج الحروف، والخروج بالقراءة عن لحن العرب إلى لحن العَجَم، والقراءة بألحان أهل الفسق والفجور، وقراءة الأنغام والتَّمطيط، والتَّحزين والتَّطريب، والتَّحريف، والتَّرعيد، وهذه كهذَّ الشُّعر، والقراءة في مجلس شُرْب الدُّخان، والقراءة والإقراء بشواذِّ القراءات، وجمع القراءات في مجلس واحد، والتزام قول «صدق الله العظيم» بعد التَّلَاوة، وقراءة القرآن عند القبر.

٢ - من «أسباب هجر التَّلَاوة» ما يأتي:

الانشغال بالدُّنيا، وضعف الهَمَّة، والجهل بشمرات قراءة القرآن، وتقديم العلوم الأخرى على قراءة القرآن، والحرب المُعلنة على القرآن واللُّغة.



## ٣ - من «آداب وأحكام تلاوة القرآن» ما يأتي :

إخلاص النية لله تعالى، والعمل بالقرآن، وإجلاله وتعظيمه، وتلاوته على طهارة. واختيار الوقت والمكان المناسبين، وتحسين الحُجَّة واستقبال القبلة، وتطهير النعم بالسواك، والاستعاذة واسمعة عند افتتاح التلاوة، وحضُر الفكر أثناءها، واستحباب الترنيل وكراهية الشَّرخة المقرطه، واستحباب تحسين الضووت بالقرآن، والنهي عن القراءة بالألحان المُنطوية، ووجوب التدبُّر، واستحباب السكاء أثناء التلاوة، واستحباب الجهر بالقرآن إذا لم ترتب عليه مفسدة، واستحباب اتصال التلاوة وعدم قطعها، وإحسان الإبتداء والوقف أثناء التلاوة، والوقوف عند رؤوس الآيات من السُّنة، وكذلك الإمساك عن القراءة عند غلبة النعاس، والسُّجود عند المرور بأية سجدة، والنهي عن الختم في أقل من ثلاث، والتحريم بالشور لا بالأحراء، وموضع دعاء الختم خارج الصلاة لا داخلها.

## ٤ - من فضائل تلاوة القرآن ما يأتي :

أ - التلاوة تحاراً واحداً عند أكرم الأكرمين.

ب - نزل السكينة والرحمة والملائكة للتلاوة.

ج - التلاوة كلها حبر - فلا ينفي للمسلم أن ينصرف عنها، سواء كان من

المهرة المتقين، أم كان من المنتهين، فيتحذَّ ضِعْفَ حُجَّةٍ في الإعراض عنها.

د - المؤمن الذي يقرأ القرآن طيب الطاهر، والناظر - والمؤمن الذي لا يقدره

يفقد صفة هامة وهي طيب الطاهر، وهما ينص في شخصيته لا يد من نذركه

بالإقبال على التلاوة.

من نتائج الفصل السادس.

## ١ - حَجْرُ حِفْظِ الْقُرْآنِ لَوْعَانَ

النوع الأول حجرة انتقاء بعدم حفظه، وبالزهد في تعلمه

النوع الثاني حجرة عدم حفظه وذلك بالانشغال عنه، وعدم تعامه بمؤتي

إلى نقله.

## ٢ - آداب حفظ القرآن لوعان

النوع الأول - آداب «أثناء» الحفظ، وتتمثل فيما يلي.

أ - الإخلاص لله تعالى .

ب - استشعار عظمة القرآن ومعرفة منزلته .

ج - معرفة أَنَّ الأصل في تلقي القرآن حِفْظُه .

د - الرُّغْبَةُ القُوَّةُ الصَّادِقَةُ .

هـ - التَّفَقُّلُ من الدُّنْيَا .

و - الدُّعَاءُ والالتجاء إلى الله .

النوع الثاني: آداب «بعد الحفظ» وتمثّل فيما يلي:

أ - الخوف من الوقوع في الرِّبَاءِ .

ب - الخشية من العُجْبِ بالنفس والتَّعَالِي على الخَلْقِ .

ج - الحذر من الذُّنُوبِ والمعاصي .

د - تعاهد القرآن والحذر من نسيانه .

٣ - من «فضائل حفظ القرآن» ما يأتي:

أ - عُلوُّ درجة الحافظ في الآخرة:

\* منزلته عند آخر آية يقرؤها .

\* يُلبَسُ تاج الكرامة، وحُلَّةُ الكرامة، ويفوز بالرِّضَى .

\* الحافظ مع السُّفْرَةِ الكرام البررة .

ب - الحافظ مُقَدَّم في الدنيا والآخرة: فهو أولى الناس بالإمارة، وبالإمامة

في الصَّلَاة، وفي الشُّورى، وفي البرِّزَخِ .

ج - حَمَلَةُ القرآن هُمُ أهل الله وخاصَّته، وتكريمُهُم من إجلال الله تعالى،

ولا تحرقهم النَّارُ يوم القيامة .

٤ - من «أحكام حفظ القرآن ونسيانه» ما يأتي:

أ - حِفْظُ القرآن كاملاً فرض كفاية على الأُمَّة بالإجماع .

ب - يجب على كلِّ مسلمٍ حِفْظُ ما تصحُّ به صلواته من القرآن

بالإجماع .

وأما بَقِيَّةُ القرآن فحِفْظُه مستحبٌّ إجماعاً - وهو متأكَّد في حقِّ طُلَّابِ العلم

الشَّرعي أكثر من غيرهم. وَصَحَّحْتُ تحفيظ القرآن للمُتَّبِعِينَ، لأنه مهج مُتَّسَلِف  
الضالَّح مع آياتهم

ح - نسيان القرآن نوهان:

النوع الأول - الذي ينشأ لاشتغاله بأمرٍ دنيوي، وهذا هو المضموم الذي ورد  
في الوعد -

النوع الثاني: الذي لا ينشأ عن نقصٍ وإهمال، وإنما هو ناتج عن ضعف  
لذاكرة، أو تقدُّم الشُّرِّ، أو الانشغال بأمورٍ لا طاقة له في دفعها.

د - نسيان القرآن أو شيء منه - بعد حفظه - من عظيم، وصرَّح بعصر أهل  
العلم أنه من الكثرة

هـ - إذا اشتمل العبد بالعلم الواجب أو المستحب، وترتَّب على ذلك نسيان  
شيء من القرآن المحفوظ، فلا يُعَدُّ صاحبه تَمَآ.

من نتائج «الفصل السابع».

١ - من «أهمية تدبُّر القرآن» ما يأتي:

أ - أن قراءة القرآن بالتشكُّر والتدبُّر هي أصل صلاح القلب واستقامته.

ب - ليس أُنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبُّر القرآن،  
وإطالة التأمُّل في معاني آياته

ج - أثنى الله تعالى - في مواضع كثيرة - على من تدبَّر كلامه وتأثر به، وتَمَّ  
من حصر التدبُّر، ولم يفقه الآيات، ولم يدبِّر القول في صبيحٍ مختلف، وأحوال  
متَّوَعَة.

د - إطباق جمهور المفسرين على وجوب تدبُّر القرآن العظيم.

٢ - من «أسباب حصر التدبُّر» ما يأتي

الإصرار على التَّنُوب، والجهل باللُّغة العربيَّة، واشغال القلب وتشغبه في  
أودية النِّيا، وترك التدبُّر نورُوعاً، وجر كس التَّصير، والتشاعُل بكثرة التَّلَاوة

٣ - من «الأمور المحيطة على التدبُّر» ما يأتي:

تخصين التَّلَاوة، والإنصات عند السُّماع، والفرامة في جوف الثَّيل، وحسُر

الابتداء والوقف، وفهم المعاني، والوقوف عندها، وترديد الآية المؤثرة في القلب، ومعرفة أساليب القرآن.

٤ - من الثمرات التذبير، ما يأتي:

أ - تعميق جذور الإيمان.

ب - معرفة الرب جل جلاله.

ج - تحقيق العودة لله تعالى.

د - التذبير غذاء وعلاج وسلاح.

هـ - التذبير فيه تربية للعقول، وصقل للمواهب، ونسبة للتفكرات العظيمة، وهو مفتاح كل خير.

من نتائج «الفصل الثامن»:

١ - المقصود الأعظم من تعلم القرآن، ونلاوته، وحفظه، وتدبره، هو

العمل به.

٢ - ترك العمل بالقرآن له حالان

الحال الأول: أن يخالف أحكام القرآن، وهو لا يعتقد أن غيرها خير منها،

ولا يقتر بجواز مخالفتها، فهذا عامي مؤاخذ بعصيان، وليس كافراً.

الحال الثاني: أن يخالف أحكام القرآن، من قنطلني عدم صلاحيتها، وأنه

يجوز العدول عنها إلى غيرها، فهذا كافر مرتد.

٣ - جميع ما فضل في القرآن العظيم من مكارم الأخلاق، فإن النبي ﷺ

كان متحلياً به، بل صار أمثال القرآن - أمراً ونهيًا - سحبة له، وحُفناً تفلح به.

٤ - القرآن العظيم لا تنتفع أسراره، ولا يتبع به، إلا من يعمل به.

٥ - من فضائل العمل بالقرآن:

الهداية، والرحمة، والفلاح، ونكفير المشركين، وإصلاح البهائم في الدنيا

والآخرة.

من نتائج «الفصل التاسع»:

١ - من أسباب هجر النحاكم إلى القرآن، ما يأتي:

- أ - كراهية ما أنزل الله .  
 ب - الاستكبار .  
 ج - اتِّباع الهوى .  
 د - إيثار المتاع العاجل .  
 هـ - الخوف المْتوهم .  
 و - التَّقليد المذموم .
- ٢ - من «الآثار الدُّنْيويَّة الحَسنة للحُكم بما أنزل الله» ما يأتي :
- أ - الاستخلاف والتَّمكين .  
 ب - الأمن والاستقرار .  
 ج - النَّصر والفتح .  
 د - العزُّ والشَّرَف .  
 هـ - بركة العَيْش ورَعَدُهُ .  
 و - الهداية والتَّشيت .
- ٣ - من «الآثار الأخرويَّة الحَسنة للحُكم بما أنزل الله» ما يأتي :
- أ - الفلاح والفوز .  
 ب - المغفرة وتكفير السيِّئات .  
 ج - الأجر العظيم .  
 د - مرافقة الأنبياء والصِّدِّيقين .
- ٤ - من «الآثار الدُّنْيويَّة السيِّئة للحُكم بغير ما أنزل الله» ما يأتي :
- أ - قسوة القلوب .  
 ب - الضَّلَال عن الحق .  
 ج - الوقوع في النِّفاق .  
 د - الحرمان من التَّوبة .  
 هـ - الصَّدُّ عن سبيل الله .  
 و - غياب الأمن وانتشار الفوضى .

ز - انتشار العداوة والغصاء.

ح - الحرمان من النصر والتمكين.

هـ - من الأثار الأخروية السنية للحكم بغير ما أنزل الله ما يأتي:

أ - الإهانة عند فسخ الأرواح.

ب - المحنة في الحشر.

ج - الأكل من النار وعصب الحذر.

د - العذاب العهين.

وفي الختام أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يفتح بهذا الجهد، وأن

يبارك فيه، وأن يغفر لي كل خطأ، أو سهو، أو تقصير.

وأعوذ به تعالى من علم لا يسمع، ومن قلب لا يحشع، ومن دعاء لا

يسمع.

وأحر دعواي أن احمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.



# الفهارس

- أولاً: منهج الفهارس.
- ثانياً: فهرس الأحاديث.
- ثالثاً: فهرس الآثار.
- رابعاً: فهرس تراجم الأعلام.
- خامساً: فهرس الألفاظ ومعانيها.
- سادساً: فهرس الفروق اللغوية.
- سابعاً: فهرس الأشعار.
- ثامناً: فهرس الأماكن.
- تاسعاً: فهرس الأحكام الفقهية.
- عاشراً: فهرس الآداب.
- حادي عشر: فهرس الفضائل.
- ثاني عشر: فهرس البدع.
- ثالث عشر: ثبت المصادر والمراجع.
- رابع عشر: المحتوى.



## أولاً: منهج الفهارس

تم إعداد الفهارس وفقاً للمنهج التالي:

- ١ - اعتماد رسم الحروف والألفاظ لإيرادها مع ما بعدها حسب الترتيب الألفبائي.
- ٢ - عدم الاعتداد ب(أل) التعريف إلا مع لفظ الجلالة، وعدم الاعتداد بلفظة: «ابن - ابنة - أبو - أم».
- ٣ - الاعتداد بالواو وحرف الجر والباء الزائدة.
- ٤ - عدم التفريق بين: «أَنْ - إِنْ - أَنْ - إِنْ».
- ٥ - عدم التفريق بين همزتي الوصل والقطع.
- ٦ - الهمزة التي على الواو أو الألف أو النبرة اعتُبرت همزة.
- ٧ - اعتبار (لا) حرف مستقل.
- ٨ - فهرس أطراف الحديث ضُمِّنَ الأحاديث القولية والفعالية والتقريرية، وكذا أوصاف النبي ﷺ. وضُمِّن كذلك الأحاديث القدسية مع الإشارة إليها.
- ٩ - في «فهرس الألفاظ ومعانيها» جُرِّدَت الكلمة إلى أصلها، واعتُبرَ الترتيب الألفبائي.
- ١٠ - في «فهرس الأشعار» اعتمد الترتيب حسب القافية، واستثنِيَ من ذلك: «الأرجوزة المنبهة» و«منظومة طيبة النشر»؛ لأنهما لم تلتزما بقافية واحدة، ومنع من تقطيعهما عدم تمام المعنى إذا انفرد كلُّ بيتٍ لحاله، خاصة في مسائل العقيدة.
- ١١ - في فهارس «الأحكام الفقهية، والآداب، والفضائل، والبدع» اغتُبرَ الترتيب الموضوعي، والترتيب حسب أرقام الصفحات ما أمكن.

١٢ - في «ثبّت المصادر والمراجع» قُدِّمَ اسْمُ الكِتَابِ الأَقْلَ في عدد الكلمات إذا اشترك عدة كتب في جزء من الاسم مثال: «فضائل القرآن»، «فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تلاوته وحملته» قُدِّمَ الأول. وإذا اتفق كتابان في الاسم تمّ اعتماد اسم المؤلف وفقاً للترتيب الأبجائي.

١٣ - في «المحتوى» تمّ اعتماد الفهرس التفصيلي؛ لتعمّ الفائدة المرجوة منه.



## ثانياً: فهرس الأحاديث

الصفحة

طرق الحديث

( ١١ )

- ٤٠٧ ..... أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولحيوه أزيق فأبى الرجل
- ٤٢٨ ..... أحب الأعمال إلى الله تعالى أن يؤمنها وإن قل
- ٣٠ ..... إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها
- ٢٠ ..... إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها
- ١٨٠ ..... إذا رحرقت مسأحتكم
- ٤١٥ ..... إذا قام أحدكم من الليل فاستنجد بالقرآن
- ٤١٦ ..... إذا قرأ من أوم استنجد فحده اعتزل الشيطان
- ٥٠٠ ..... إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم
- ٣١٨ ..... إذا مات الإنسان أقطع عنه عمله إلا من ثلاثة
- ٤٢٩ ..... إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل طيباً
- ٤١٥ ..... إذا لعس أحدكم في الصلاة فليرفد
- ١٥٩ ..... أفككت يهود إلى رسول الله ﷺ
- ٣٩٠ ..... أجعل النبي ﷺ من حوله جعل
- ٢٤٩ ..... اقرأ عني
- ٤٤٠ ..... اقرأ فلان! إنها السكينة تركت عند القرآن
- ٤٤٣ ..... اقرأ يا ابن حصر
- ٤١١ ..... اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً
- ٨٢ ..... اقرأوا القرآن ما التفت عليه فلو كنتم
- ٧٢ ..... اقرأوا القرآن وانتموا به الله
- ٤٩٥ ، ٤٨٧ ..... أكثر ما بقي أسير فرائدها
- ٤١٠ ..... إلا إن كلكم مناج ربه
- ٥٨٩ ..... إلا أيها الناس، عاذاً أن شر
- ٣٠٨ ..... إلا وإن في الجسد طمعة

- ٤١٦ ..... اللهم اكتب لي بها عندك أجراً
- ٤١٦ ..... اللهم لك سجدت وبك آمنت
- ٤١٩ ..... ألم أخبّر أنك تصوم الدهر
- ١٩٨ ..... إن أحدكم ليتكلم بالكلمة
- ٣٤٣ ..... إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله
- ٣٤٢ ..... إن أخذتها أخذت قوساً من نار
- ٤٨٧ ..... إن أخوف ما أخاف على أمني كل منافق
- ٤٧٨ ..... إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
- ٣٣٧ ، ٣٢٠ ..... إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه
- ٥٠٠ ، ٤٩٩ ..... إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً
- ٣٨٢ ..... إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال
- ٤٧٨ ، ٢٩٣ ..... إن أول الناس بقضى يوم القيامة عليه
- ٢٦٧ ..... أن جبريل كان يعارضني بالقرآن
- ٥٩٦ ..... أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ...﴾
- ٣٣٦ ..... أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن
- ٧٨ ..... أن رسول الله ﷺ نهى عن الجدل في القرآن
- ٢٦٥ ..... إن العبد إذا تسوَّك ثم قام
- ١٩٧ ..... إن العبد ليتكلم بالكلمة
- ٥٨٠ ..... إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين
- ٤٤٩ ، ٣٣١ ..... إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة
- ٣٤٢ ..... إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من نار فاقبلها
- ٥٠٣ ..... إن لله أهلين من الناس
- ٣٢٧ ..... إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته
- ٥٠٤ ..... إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم
- ٤٠٩ ..... إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي
- ٤٦٩ ..... أنا أغنى الأغنياء عن الشرك (قدسي)
- ٤٤٤ ..... أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني (قدسي)
- ٣٩٦ ..... أنزلت عليّ آتفاً سورة
- ٢٨١ ..... انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه



الصفحة	عريف الحديث
٥١٧	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ، أَنَسَى كَمَا نَسَوْنَ
١٧٣	إِنَّمَا بَعَثْتُ لَأَنْتِ بِنْتُكَ (قَدِيمِي)
٣٣٠	إِنَّهُ بَلَّغَنِي أُنْكُمْ تَزِيدُونَ أَنْ نَسْتَقْبَلُوا قُرْبَ الْمَسْحَدِ
٣٩١	إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَدْرِكَ اللَّهُ ﷻ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ
٥٨٩	إِنِّي تَرَكْتُ فِكْرَكُمْ مَا إِنْ تَسَكَّمْتُمْ بِهِ لَنْ تَصْلُوا بَعْدِي
١٤٨	إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْوَأَ رِفْقَةٍ الْإِشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ
٣١	إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ فِي رَاحِيَةٍ
٥٨٩	وَمَنْ سَكَتَ اللَّهُ
٢٣٨	يُحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ لَهُ ثَلَاثَ عِلْفَاتٍ
٣٦٤	أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بَطْحَانَ
٣٢٣	أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ
٢٦٧	أَيُّكُمْ كُنْتُ
٥٠٢	أَيُّكُمْ أَكْثَرَ أَحَدًا بِالْقُرْآنِ

## (ب)

٥١٨ ، ٤٨٨	شَرٌّ مَا لِأَحَدِهِمْ يَفُونَ: سَبَّتَ أَبَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ
٤٠٤	سَاحَرُوا بِالْأَعْمَالِ حِصَالًا سَنًا
٦٣٦	سَابَعُونِي عَلَى الْآلِ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا
٣٢٩	سَمَّ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى عَرَفَةَ

## (ت)

١٢٩	تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ
١٨٨	تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ
١٩٠	تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ لِإِنَّا عَلَّمْنَاهُ فَمَا تَعَلَّمُوا فِيهِ
٣٣٨	تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ شَافِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٧٥	تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَسَيَّرُوا اللَّهَ بِهِ الْحَيَّةَ
٨٣	تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ
٤٤٠	تَلَّتْ الْمَسْكِينَةَ نَزَلَتْ الْقُرْآنَ
٢٦٥	تَلَّتْ الْمَلَائِكَةُ بِنْتَ لَهْوَتِكَ

## (ث)

٤٨١	ثَلَاثَ مَهْلَكَاتٍ شَرُّ مَطَاعٍ
-----	-----------------------------------

الصفحة	طرف الحديث
٤١٤	ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً
	(ج)
٤١٠	الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة
٧٦	الجدال في القرآن كفر
٣٤٢	جمرة بين كتفيك تقلدتها
	(ح)
٧١	الحمد لله، كتاب الله واحد
	(خ)
٥٨٦	خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين
٣٣٨	خذوا القرآن من أربعة
٥٥٣	خيركم من تعلم القرآن وعلمه
	(د)
٤٨٠	ذاك الله ﷻ
٤٥٢	الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام
	(ر)
٣٩٢	رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحته
٥١٩	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
	(ز)
٤٠٢	زيتوا القرآن بأصواتكم
	(س)
٣٩٥	سبحانك اللهم وبحمدك وبارك اسمك
٢٧٤	سجد النبي ﷺ بالنجم
٤١٦	سجد وجهي للذي خلقه
٢٧٤	سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب (الطور)
٤٠١	سمعت النبي ﷺ يقرأ (والتين والزيتون)
٣٩٤	السواك مطهرة للفم
	(ص)
٥٠٦	صلوا صلاة كذا في حين كذا

- طرف الحديث
- ٤٥٤ ..... حلفت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتح بالليل (أ)
- ٣٠٤ ..... صموا وسموا ولا تعصوا (ب)
- ٢٨٦ ..... فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن  
 ١٢١ ..... إن لزوجك عليك حلقاً  
 ٢٧٩ ..... فرغت يا أبا الوليد؟  
 ٢٦١ ..... فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد  
 ٣٧٦ ..... فوالله من العطر أحسن عليكم، ولكن  
 ٤٦٠ ..... في أربعين يوماً  
 ٤١٠ ..... في شهر  
 ٢٣٨ ..... فيها ما لا عين رأت
- (ج)
- ٢٩٠ ..... لا أظن، فأطلقا  
 ١٧٤ ..... قال رجل في عروة نوك في مجلس  
 ٥٥٥ ..... فم النبي ﷺ ناية حتى أصبح يرددنا  
 ١٧٦ ..... فد ألع من اسم  
 ٥٩٠ ..... القرار شامع منمع  
 ٨١ ..... القرار يقرأ على سبعة أحرف  
 ٤١٧ ..... قرأت على النبي ﷺ (والجمع) فلم يسجد فيها
- (ك)
- ٣٩٤ ..... كان رسول الله ﷺ يكثر في حجري وأنا حاضر  
 ٣٣٦ ..... كان رسول الله ﷺ يشعل عوداً فدم رجل مهاجر  
 ٣٣٦ ..... كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاسحاره في الأمور  
 ٣٣٦ ..... كان رسول الله ﷺ يعقنا القرآن فإنا مر بسجود  
 ١١٣ ..... كان رسول الله ﷺ يُقطع فرامته  
 ٤٢١ ..... كان ﷺ لا يقرأ القرآن في الخ من ثلاث  
 ٣٩١ ..... كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك  
 ٤١٩ ..... كان النبي ﷺ يقرأ عليها السوراء فيها المنحة يسجد

الصفحة	طرف الحديث
٣٩٩	كان يقرأ بالسورة فيرتلها .....
٣٩٩	كان يمد مدّاً .....
٣٩٩	كانت مدّاً .....
٤٨٢	الكبرياء ردائي والعظمة إزاري (قدسي) .....
٢٩	كنت نهيتكم عن زيارة القبور .....

## (J)

٤٨٦	لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات .....
٢٨٣	لقد قرأتها على الجن ليلة الجن .....
٤٠٢	لم يأذن الله لشيء ما أذن لني يتغنى بالقرآن .....
٢٦٦	لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة .....
٥٠٦	لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار .....
٤٨١	لو لم تكونوا تذبون لخفت عليكم ما هو أكبر .....
٥٤٩ ، ٤٠٢ ، ٨٧	ليس منا من لم يتغن بالقرآن .....

## (M)

٤١٠	ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت بالقرآن .....
٣٤٤	ماذا معك من القرآن .....
٥٨٨	المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة .....
٤٥٢	الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة .....
٨٥	مثل البيت الذي يذكر الله فيه .....
٨٦	مثل الذي يذكر ربه .....
٤٩٨ ، ٨٦	مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له .....
٤٤٩	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة .....
٨٦	مثل المنافق الذي يقرأ القرآن .....
٧٩	المراء في القرآن كفر .....
٣١٠	من أتى إليكم معروفاً فكافتوه .....
٣٤٢	من أخذ على تعليم القرآن قوساً، قلده .....
٣٢٥	من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة .....
٢٧٥	من أنتم؟ .....
٢٩٤	من تعلم علماً مما يتغنى به وجه الله .....

الصفحة	طرف الحديث
٤٣٥	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد (قدسي)
٣٢٦	من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير
٣١٨	من دعا إلى هدى كان له من الأجر
٣٢٨	من دل على خير فله مثل أجر فاعله
٣٢٩	من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها
٢٩٥	من طلب العلم ليحاري به العلماء
٣٢٨	من علم آية من كتاب الله ﷻ
٣٢٥	من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً
٤٣٧	من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين
٤٣٧	من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة
٤٣٤ ، ٤١١	من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة
٧٣	من قرأ القرآن فليسال الله به
٤٢٣	من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه
٤٣٢	من نام عن حربه أو عن شيء منه
٣٧٨	من هذه؟
٢٩	المهاجر من هجر ما نهى الله عنه

## (هـ)

٥٧٤	هذا أو ان يختلس العلم من الناس
٣٤٥	هل إلا هذا؟

## (و)

١٦٦	والذي نفس محمد بيده!
٣٠٥	والصبر ضياء
٤٨٦	والقرآن حجة لك أو عليك
٤٢١	ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة
٤٣٨ ، ٢٦٥ ، ٢٤٦	وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله إلا
٣٤٤	وما أدراك أنها رقية
٥٥١	ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل
٣٢٢	ويكسى والداه حلتين، لا تقوم لهم الدنيا وما فيها

## (لا)

٧٧	لا تجادلوا في القرآن .....
٨٥	لا تجعلوا بيوتكم مقابر .....
٤٤٦	لا تحاسد إلا في اثنتين .....
٤٨٣	لا تصيب عبداً نكبةً فما فوقها أو دونها إلا بذنب .....
٣٧٩	لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل .....
٤٤٧	لا تنافس بينكم إلا في اثنتين .....
٢٨	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة .....
٢٩	لا تهجروا ولا تدابروا .....
٤٤٧	لا حسد إلا على اثنتين .....
٤٤٥	لا حسد إلا في اثنتين .....
٢٧	لا هجرة بعد الفتح، ولكن .....
٢٧	لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .....
٤٨٢	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر .....
٤٣٩	لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حففتهم الملائكة .....

## (ي)

٥٨٧	يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به .....
٣٣٨	يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه .....
٣٠٣	يا عائشة! إن الله رفيق .....
٥٠٠	يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله .....
٦٥٦	يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن .....
٤٩٦	يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول .....
١٥٩	يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر .....
٧٥	يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم .....
٥٧٥، ٧٤	يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون .....
٥١٦	يرحمه الله، لقد أذكركني كذا وكذا آية .....
٤٩٤	يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق .....
٥٣٠	يقروون القرآن لا يجاوز حلوهم .....



## ثالثاً: فهرس الآثار

الصفحة	صاحبه	طرف الأثر
		(١)
٣٥١	عمر بن الخطاب	ابدؤوا بحمص
١٨١	ابن عباس	أتفرون به السارق
٤٧٧	إبراهيم الحربي	أجمع عقلاء كل أمة: أن النعيم لا يدرك بالنعيم
	محمد بن القاسم بن	الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره
٤٩١	خلاد	
٩٦	أبو عبد الرحمن السلمي	أخذنا القرآن عن قوم
٢٩٣	الفضيل بن عياض	أخلصه وأصوبه
٥٤	ابن عباس	إذا أخرج من القبر خرج بصيراً
١٧٨	مجاهد	إذا تئأبت وأنت تقرأ القرآن
٤٨٤	وكيع بن الجراح	استعينوا على الحفظ بترك المعاصي
٤١٨	ابن مسعود	اسجد فإنك إمامنا فيها
٥٠٧	أبو أمامة	اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف
٣٥٧	ابن عباس	اكتب
٥١٦	ابن عباس	إلّا ما أراد الله أن ينسيكه لتنسى
٣٩٥	علي بن أبي طالب	إن أفواهمكم طرق للقرآن
٤١٧	ابن عمر	إن الله لم يفرض السجود إلّا أن نشاء
٥٥٦	مسروق	أن تميماً الداري <small>رضي الله عنه</small> ردّد هذه الآية
٥١٢	سعيد بن جبير	إن الذي تدعونه المفضل هو المحكم
٤٨٥	مالك بن دينار	إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه
٣٠٠	ابن جبير	إن مما يهمني
٤٧٦	أبو هريرة	إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة
٣١٢	ابن سيرين	إن هذا العلم دين
٩٤	الحسن البصري	إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان

الصفحة	صاحبه	طوب الأثر
٩٤	أبو موسى الأشعري	إن هذا القرآن كتبت لكم دجراً
٩٧	ابن مسعود	إن هذا القرآن مأوية الله
٩٦	أوس القرني	إن هذا المجلس بعشاء ثلاثة من
٦٣١	عمر بن الخطاب	إنا كنا أذن قوم فأمرنا الله بالإسلام
١٨٦	أبو العدي	أنت أصغر منها
١٨٦	أبو العدي	أنت أصغر وألم
٥٥٦	شرب بن السري	إنا الآية مثل النمرة
٥٩١	أبو الدرداء	إنا أخاف أن يكون أول ما يسألني عنه ربي أن يقول:
٤١٩	عثمان بن عفان	إنا السجدة على من استمع
٥٩٢	الفصيل بن عياض	إنا يؤن القرآن ليعلم به
٣٠٠	ابن مسعود	إنما هذه اللقوب أوجهة
٤٨٣	ابن مسعود	إني لأحب الرجل يسي العلم بالحطنة بعملها
٣٩٥	عائشة	إني لأقرأ سري وأنا مضطحة على سري
(ب)		
١٨٦	خليفة	يحبب الشراء من العلم أن يغشى الله تعالى
٩٨	قناة	البلد الطيب: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه
٩٨	سجادة	البلد الطيب: يتبعه المظهر فيبيت
٥٥٧	الحسن البصري	يينا أبا ذات لينة عند الحسن
٥٩٧	ابن عمر	يينا الناس بغيره في صلاة الصبح
(ت)		
٤١٢	ابن عمر	تسري فيما أولت؟
٤٩	علي بن أبي طالب	تراوروا وتدرسوا الحديث
٥٩١	ابن مسعود	تعلموا تعلموا فإذا علمتم فاعلموا
٢٩٨	عمر بن الخطاب	تعلموا العلم
٣٠٦	أبو العدي	تعلموا القرآن
١٣٥	ابن مسعود	تعلموا هذا القرآن
٥٢٩	ابن عباس	التصير على أربعة أوجه
٥١٢	ابن عباس	توفي رسول الله ﷺ وأما ابن عمر حين

الصفحة	صاحبه	طرف الأثر
٣٣٠	ابن عباس	(ج) جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ
٣٠٣	ابن عباس	(ح) حلماة فقهاء
٣٢٧	ابن مسعود	(خ) خذها، فوالله لهي خير مما على الأرض
٥٥٧	عبد بن حمزة	(د) دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ
٤٤٥	ابن عباس	(ذ) ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه
٣٥٤	أبو عبد الرحمن السلمي	(ر) رُده، إنا لا نأخذ على كتاب الله أجراً
٤٢٦	أوس بن حذيفة	(س) سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن
٣٠٠	علي بن أبي طالب	سلوني
٥١٢	ابن عباس	سلوني عن التفسير
٩٧	معاذ بن جبل	سيلى القرآن في صدور أقوام
٥٨٢	ابن عباس	(ض) ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه الأ يضل
٤٧١	الحسن البصري وسفيان الثوري	(ط) طلبنا العلم للدنيا فَعَجَرْنَا إلى الآخرة
٤٧١	ابن المبارك	طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا
٤٧١	حبيب بن ثابت	طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثم جاءت النية
٣٥٧	مجاهد	(ع) عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات

الصفحة	عنايه	ظروف الاثر
٤٨٦	الحسن المصري	انعلم حلقاً
٢١٠	عمرو بن لؤس المصالي	علمني مما علمك الله
(هـ)		
٤٠٠	ابن عباس	فان كنت فاعلاً لا بد، فافراه
٢٧٨	أم سلمة	فقال النجاشي
٤٩٤	عنت	فلما أنزل الله هذا في برائي
(و)		
٥٩٤	عمر بن الخطاب	قدم عينه من حصن
١٩١	جعفر بن محمد	القلوب تترت والعمم عرسها
(ز)		
٢٩٥	ابن أبي مليكة	كاد الحيران أن يهلكا
٥٩٣	ابن مسعود	كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يعاودهن حتى
٤٠٢	ابن عباس	كان الفقراء أصحاب مجلس عمر
٢٦٨	أسامة بن زيد	كانوا كما نعمهم الله ﷺ
١٨٢	إبراهيم الخليلي	كانوا يكرهون أن يصمروا المصحف
٥١٣	ابن سيرين	كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً
٣٠٢	حدث بن عبد الله	كان مع النبي ﷺ ونحن فتان
		كانت بعد من أعظم المنوب أو يتعلم
٥١٣	أبو العالية	الرجل القرآن ثم يدم عنه
٣١٢	أبو العالية	كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام
٣١٠	ابن جبير	كنت أسمع الحديث من ابن عباس
٣٥٢	عمر بن الخطاب	كيف تركت الأشعري
(ح)		
٥٣١..٤٠٠	ابن عباس	لأن أفرا القبة في ليلة
٩٢	عمر بن الخطاب	لقد أنز عليا حين، وما نرى أن
٣٥٨	مجاهد	لقد حمت الصبر عن بضعة عشر رجلاً
٣٠٦..٩٥	ابن عمر	لقد عنت برهة من دهري
١٧٥	أبو مسعود	لما أمرنا بالصدقة
٥٠١	ابن عمر	لما قدم المهاجرون الأوائل العضة

الصفحة	صاحب	موضوع الأثر
٥٩٨	أبو سلمة	لما برئت ﴿تَبَحَّكَ عَتِيذٌ مِنْ حَبِيْبِهِرًا﴾
٣٥٧	أبو مسعود	لَوْ أَعْمَى أَنْ أَحَدًا نَلَفِيهِ إِلَّا
٣٥٧	أبو الدرداء	لَوْ أَحْسَى لَبَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴿قُلْ﴾
٣٢١	أبو مسعود	لَوْ جَعَلَ لِأَحَدٍ حَمْسٍ فَلَانْصُرَ
٢٨٥	أبو مسعود	لَيْسَ الْعَمَمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْمُحْتَبَةَ
٢١٩	سلمان	لَيْسَ لِهَذَا عَقُوبًا
٥١٨	سفيان بن عيينة	لَيْسَ مِنْ أَشْهُرٍ يَحْفَظُ شَيْءًا وَتَعَلَّتْ مِنْهُ بَنِي

(٢٤)

٩٧	قنادة	مَا جَانَسَ الْقُرْآنَ أَحَدٌ فَضَامَ عَنْهُ إِلَّا تَرَاهُ
١٧١	سفيان الثوري	مَا عَابَتْ شَيْئًا أَكْبَدَ عَلَيَّ مِنْ بَنِي
٥٧٩	أسد بن مالك	مَا كَانَ لَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فَفِيحْكُمُ هَذَا
١٨٣, ٣٠١	الضحاک	مَا مِنْ أَحَدٍ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ لَسَجْدًا إِلَّا بَدَأَ
٣٠١	مالك بن دينار	مَاذَا يَرُوحُ الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِكُمْ
٥٥٤	زيد بن معاوية	مَثَلُ الْمَسْرِ بِالْمُرُودِ الْقُرْآنُ وَلَا يَمْرُودُ الْعَصِمُ
٢٧٠	أبو عباس	المراد به القرآن
٢٧٠, ٢٥١	النجي	مَنْ أَوْفَى مِنَ الْعَمَمِ مَا لَمْ يَكِهِ
٥١٤	عقوب بن حبيب	مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ تَمَّ سَبِي
٣١١	عيسى	مَنْ عَمِيَ وَعَلَّمَ بِحَمْرٍ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَظِيمًا
٥٨٢	أبو عباس	مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَانْبَعَّ مَا لَمْ يَمْسَاهُ اللَّهُ
٩٣	زاذان	مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِتَأْكُلٍ لِنَاسٍ

(٢٥)

٦٥٠	عمر بن الخطاب	هَذَا السُّجُودُ فَأَبِي الْيَكْرِ؟
٣٩٩	أبو مسعود	هَذَا كَهْدُ الشَّعْرِ؟
١٢٢	عطوف بن عبد الله	هَذِهِ آيَةُ الْفُرَاةِ

(٢٦)

٣٥٦	أبو مسعود	وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا
٤٠٨	الحسن البصري	وَاللَّهِ بَا بَيْنَ أَدَمَ، لَنْ لَمَاتِ الْقُرْآنَ
٥٥٠	أبو عباس	وَقَوْلُهُ ﴿وَتَقُوذٌ فَلَآ﴾ هُوَ أَحَدٌ لَمْ يَحْفَظْ مِنَ الْقُرْآنِ

صفحة	المجلد	عنوان
٦٦٩	أبو الدرداء	المجلد من القلب كإحراق السعفة
(١٧)		
١١٣	الفصل بن عباس	لا تسبحوا حتى يفرق الهدي ففنه أهلها
٢٣١	ابن مسعود	لا تهتدوا بهد الشفر
١٨١	سعد بن أبي وقاص	لا تقولوا مصحف
٢٧٦	ابو العباس	لا يترط العثم إلا بأربعة أشياء
٥٩١	عمر بن الخطاب	لا يحرركم من قرأ القرآن
(١٨)		
٥٥٠	عمر بن الخطاب	يا أعرابي أتيتك من رسول الله ﷺ
٩٩	ابن عباس	يا أمير المؤمنين ، إن أزل علينا القرآن
٢١٧	عمر بن الخطاب	يا أيها الناس ، إياكم بالسجود
٥٥٤	أم أيوب الأنصاري	يا أيها الناس إنكم تتأتون هذه الآية
٥٩١	عليه	يا معشر انفروا استظفروا
٥٩٧	عائشة	برحم الله ساء المهاجرات الأور
٣٢٧	ابن مسعود	يقتسمون ميراث محمد ﷺ
٢٩٧ ، ٢٦٨	ابن مسعود	يسمي لحامل القرآن أن يرفعه عنه





رابعاً. فهرس تراجم الأعلام

الاسم	الشهرة	الصفحة
إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن شو	إبراهيم الحريري	٢٧٧
إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي المقدام	أبو فرحون	٦٩٨
إبراهيم بن محمد بن السري	الزجاج	٤٨
إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي	الشاطبي	٥١٢
إبراهيم بن يزيد بن شريك	النسي	٩٩
إبراهيم بن يزيد بن قيس	الأسود العمري	١٨٢
أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن الحسن	الإسماعيلي	٥١٦
أحمد بن أحمد بن سلامة	القليوبي	١٩٦
أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي داود	أبو المادي	٥١٤
أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد	الإمام أحمد	٣٦١
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام	أبو نيفة	١٤٧
أحمد بن علي بن تاس	الخطيب البغدادي	١٩١
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	أبو حجر	٢٨
أحمد بن موسى بن وكربان بن محمد بن حبيب	أبو فارس	١٨
أحمد بن باسم العبادي	العبادي	٢٠٥
أحمد بن محمد بن سعد بن عبد الرحمن	أبو عفة	٣٥١
أحمد بن محمد شاذلي بن أحمد	أبو الأشبال	٦٥٦
أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر	أبو حجر الهيمي	٣٦
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة	السدي	٩٨
إسماعيل بن عمر بن كثير بن صوم	أبو كثير	٣٤
أصحمة بن أبي	الحاشي	٢٧٩
أويس بن عامر بن جزء العزادي	أويس القرني	٩٦
إياس بن معاوية بن قرة بن إياس	أبو وثلة	٥٥٤

الاسم	الشهرة	الصفحة
(ب)		
بشر بن السريّ الأفوه البصري	-	٥٥٦
بكر بن عبد الله أبو زيد	-	٣٦٨
أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي	-	٣٠٦
(ت)		
تميم بن حذلم الضبي	-	٤١٨
(ج)		
جعفر بن سليمان الضُّبَيْي	-	٤٨٣
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي	جعفر الصادق	٢٤٠
(ح)		
حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي	-	٤٧١
الحجاج بن يوسف بن الحكم	-	٣٥٢
الحسن بن يسار البصري	-	٩٤
الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم	الحليمي	٧٨
الحسين بن علي بن يزيد	الكرابيسي	٤١٤
الحسين بن محمد بن عبد الله	الطبي	٣١
الحسين بن محمد بن المفضل	الراغب الأصفهاني	١٩
الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء	البغوي	٥٠
حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب	الخطابي	٧٩
(ز)		
رؤية بن عبد الله بن العجاج	-	٦٥
الربيع بن خُثَيْم بن عائذ الثوري التميمي	-	٥٥٧
رفيع بن مهران أرياحي	أبو العالية	١٨٢
(ز)		
زهير بن أبي سُلمَى ربيعة بن قرّة	-	٦٦٤
زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد	-	٣٦٠
زين الدين بن إبراهيم بن محمد	ابن نجيم	١٤٨

الاسم	الشهرة	الصفحة
(س)		
سعيد بن جبير بن هشام الأسيدي	-	٣٠٠
سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب	-	١٨١
سفيان بن سعيد بن مسروق	سفيان الثوري	٢٣٤
سفيان بن عيينة بن أبي عمران	-	٨٨
سليمان بن مهران الكاهلي	الأعمش	٣١٤
(ش)		
شعبة بن الحجاج بن الورد	-	٣٨٢
(ص)		
صلاح أبو إسماعيل	-	٦٥٠
(ض)		
الضحاك بن مزاحم الهلالي	-	٣٠١
(ط)		
طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب	-	٣١٤
طلق بن حبيب العنزي	-	٥١٤
(ظ)		
ظالم بن عمرو بن سفيان	أبو الأسود الدؤلي	٥٤٠
(ع)		
عاصم بن بهدلة	ابن أبي النجود	٣٠٦
عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام	-	٥٥٧
عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين	المناوي	٢١١
عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين	أبو الفضل الرازي	٥٠٦
عبد الرحمن بن أحمد بن رجب	ابن رجب	٣٠٥
عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير	السيوطي	٣٣٨
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي	ابن الجوزي	٥١
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر	السعدي	٣١١
عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل	الرافعي	٣٦
عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك	القشيري	٢٩٣

الاسم	التعريف	الصفحة
عبد الله بن أحمد بن محمد بن خديعة	ابن خديعة المفسري	١١٥
عبد الله بن أبي حمزة النسي	ابن أبي حمزة	٢٩١
عبد الله بن حبيب بن ربيعة	أبو عبد الرحمن	٩٦
عبد الله بن شداد بن الهادي	السلمي	١٠٨
عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل	الدارمي	٢٥١
عبد الله بن عبد الله بن أبي ميثم	الدارمي	٢١٠
عبد الله بن المداوك بن واضح الحطلي	ابن المداوك	١٧٦
عبد الملك بن فرج بن عبد الملك بن عتي	الأصمعي	١٩٦
عبد الله بن محمد بن محمد بن حمدان	ابن بطة	١١٦
عبد بن ربيعة بن عبد شمس	-	٢٧١
عبدان بن سعيد	أبو عمرو الداعي	٢٩١
عكرمة البربري	أبو عبد الله البغدادي	١٩٩
علي بن أحمد بن سعيد بن حرم	ابن حرم الطاهري	١١٦
علي بن حمزة بن عبد الله بن همام	الكسائي	٢٥٨
علي بن خلف بن عبد الملك بن بطان	ابن بطان	٨٧
علي بن خليل بن محمد بن خليل	ابن خليل الحسني	٢٠٦
علي بن محمد	الماوردي	٢٩٩
علي بن محمد بن خلف المدغري	أبو الحسن الفارسي	٤١٥
علي بن محمد بن عبد الرحمن	الأمدي	١٤٢
عمرو بن حرب بن عمرو بن عثمان	-	٣٥٤
عمرو بن قيس الغلابي	-	٢٦٠
عياض بن موسى بن عياض بن عمرو البجلي	الغلابي عياض	٨٩
عياض بن عمرو بن عمرو بن بشر	-	٥٩٢
القاسم بن سلام الهروي	أبو حيد	٨١
القاسم بن قيس بن خلف بن أحمد	الشاطبي	٣٣٧
قادة بن دعامة بن قادة بن حمزة السدوسي	-	٦٥

الاسم	الشهرة	الصفحة
(م)		
مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر	الإمام مالك	٤٠٤
مالك بن دينار المصري	-	٣٠١
المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم	ابن الأنبار	٧٧
مجاهد بن حبر	-	٤٤
محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة	ابن جماعة	٤٧٠
محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد	ابن رشد	٥٦٥
محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة	الأزهري	١٩٥
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح	القرطبي	٦٣
محمد بن أحمد بن حزي الكلي	ابن حزي	٢٥٥
محمد بن أحمد بن حمزة	الرملي	٤٠٥
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز	الذهبي	٢٩٥
محمد بن أحمد بن علي البغدادي	الخياط	٣٥٣
محمد بن إدريس القرشي	الإمام الشافعي	١٩٩
محمد بن إسحاق بن حريمة	ابن حريمة	٣٥٩
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن العنبرة	البحاري	٣٠٣
محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز	ابن عابدين	٢٥٧
محمد الأمير بن محمد المختار الشنقيطي	الشنقيطي	٥١
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد	ابن القيم	٣٢
محمد بن حوير بن يزيد	الطبري	٢٦
محمد بن حبان بن أحمد بن حبان	ابن حبان	٨٠
محمد بن الحسين بن عبد الله	الآجري	٩٣
محمد بن سيرين المصري	ابن سيرين	٣١٢
محمد بن صبيح الحنات المغربي	أبو عثمان الحنات	١٤٤
محمد بن طاهر بن عاشور	ابن عاشور	٢٣
محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بهادر	المباركفوري	٧٣
محمد بن عبد الرزاق الحسيني	الزبيدي	٥٠٧
محمد بن عبد القوي بن بدران	ابن عبد القوي	٢٠١
محمد بن عبد الله بن بهادر المصري	الزركشي	٢٠٢
محمد بن عبد الله بن محمد	ابن العربي	١٩١

الاسم	الشهرة	الصفحة
محمد بن علي بن محمد بن عبد الله	الشوكاني	٥٨
محمد بن عمر بن حسين القرشي	الرازي	١٣١
محمد بن كعب بن سليم القرظي	-	٣٥١
محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي	أبو حامد الغزالي	٨٣
محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي	ابن الجزري	٤٧٣
محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	أبو السعود	٧٦
محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي	ابن مفلح	٢٠٢
محمد ناصر الدين بن نوح الألباني	الألباني	٤٢١
محمد بن نصر بن الحجاج	المروزي	٢٥٨
محمد بن النضر بن مر بن الحر	ابن الأخرم	٣١٣
محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان	أبو بكر الطرطوشي	٣٦٧
محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم	الفيروزآبادي	١٩٦
محمد بن يوسف بن علي	أبو حيان	١٢٩
محمود بن خليل الحصري	الحصري	٣٧٢
محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي	الألوسي	٣٥
محمود بن عمر بن محمد	الزمخشري	١٢١
مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي	-	٥٥٦
مطرف بن عبد الله بن الشخير	-	٤٣٣
المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث	-	٣١٢
منصور بن محمد بن عبد الجبار	ابن السمعاني	١١٣
(ن)		
نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم	أبو رويم الأصبهاني	٢٢
نصر بن محمد السمرقندي	السمرقندي	١١٢
نصر بن عمران الضبيعي	-	٤٠٠
(و)		
وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي	-	٤٨٤
(ي)		
يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور	الفراء	٥٤
يحيى بن سعيد القطان	-	٣١١



الصفحة	الشهرة	الاسم
٢٧	النووي	يحيى بن شرف بن مري بن حسن
٤٧٧	-	يحيى بن أبي كثير الطائي
٥٤١	ابن هبيرة	يحيى بن محمد بن هبيرة
٣٥٩	-	يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي
٢٤١	-	يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني
٢٠٣	ابن عبد الهادي	يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن
١٤٤	ابن عبد البر	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر



## خامساً: فهرس الألفاظ ومعانيها

الصفحة

اللفظ والمعنى

## حرف ( أ )

- مادة «أ ت ر ج»: الأترج: بضم الهمزة والراء، بينهما مثناة ساكنة، وآخره جيم ثقيلة: شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كاللَّيْمُونِ الكِبَارِ، وهو ذهبي اللون، زكي الرائحة، حامض الماء. ٤٤٩، ٤٥٠
- مادة «أ ز ز»: أزيز المرجل: صوت غليانه، ومنه الأرز، وهو الإزعاج. ٤٠٧
- وأزير الرحي: صوتها وحرارتها. ٤٠٨
- مادة «أ ف ك»: الإفك: الكذب، وهو: أشد الكذب. ١٢٠
- مادة «أ ه ب»: الإهاب: جلد لم يُدَبِّعْ. ٥٠٧
- مادة «أ ه ل»: أهلين: جمع أهل، جمعت بالياء والنون لكونها ملحقة بجمع المذكر السالم. ٥٠٣

## حرف ( ب )

- مادة «ب ر ر»: البررة: المطيعون لله، مأخوذ من البر؛ وهو الطاعة. ٤٥٢

## حرف ( ت )

- مادة «ت ع ت ع»: يتعنت فيه: الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه. ٤٥٢

الصفحة

اللفظ والمعنى

مادة «ت ع س»:

١٢٣ التَّعَسُّ: الهلاك والعنار، والسُّقُوط والشَّرُّ والبُعد والانحطاط.

حرف (ث)

مادة «ث ك ل»:

٥٧٤ تَكِنْتِكَ أَثْمُكَ: فَقَدْتِكَ، وأصله الدُّعاء بالموت، ثم يُستعمل في التَّعْجُبِ.

حرف (ج)

مادة «ج ح د»:

١٣٢ الجَحْدُ: نفي ما في القلب ثباته، وإثبات ما في القلب نفيه.

١٣١ الجحود: ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح.

١٣٢ يقال: جحد الأمر، وجحد بالأمر جحداً وجحوداً: أنكروه مع علمه به.

مادة «ج ح م»:

١٣٠ الجَحِيم: النار الشديدة الإيقاد، يقال: جَحَمَ فلان النار: إذا شَدَّدَ إيقادها.

مادة «ج د ل»:

٧٧ الجدال: مقابلة الحُجَّةِ بالحُجَّةِ.

٧٧ المجادلة: المناظرة والمخاصمة.

مادة «ج ر ر»:

٤٤٣ اجترَّه: بجيم ومثناة وراء ثقيلة، والضمير - في الحديث - لولده، أي: اجترَّ ولده من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس.

مادة «ج ز أ»:

١٢٩ الجزاء: هو عَوَظُ العمل وما يقابل به من أجر أو عقوبة.

مادة «ج و ل»:

٤٤٣ جالت الفرس: وثبت واضطربت، والفرس يطلق على الذكر والأنثى.

حرف (ح)

مادة «ح ز ب»:

٤٢٥ الحزب: الجماعة من الناس، والطائفة من كل شيء.

٤٢٥ والحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد.

الصلحة

اللفظ والمعنى

- ١٢٥ والحزب النوبة في ورود الماء
- ١٢٦ الحزيب التحزبة، تحزيب الفرايد: تحفة القرائل واتخاذ كل جزء حزباً له  
مادة: ح ز ذ،
- ٢٠٢ حرورة: جمع حرور وحرور، وهو الذي يارب البخور  
مادة: ح ف هـ،
- ١٣٩ حنهم الحلائكة: عارت حولهم  
مادة: ح ف ط،
- ٤٦٠ حفظ الحياء والقيام والظا، أميل واحد يدل على مراعاة الشيء.  
حفظ الشيء حفظاً: حرمه، وحفظه: استظهره. والتحفظ: التيفظ وقلة الغفلة،  
وتحفظ الكتاب: استظهره شيئاً بعد شيء.
- ٤٦٠ الحفظ: نفس السيل، وهو: التعاهد وقلة الغفلة يقال: حفظ الشيء حفظاً،  
ورجل حافظ من قوم حفاط.
- مادة: ح ق س،
- ١٧٤ الحصف: صنف الحاء والقاف: حبل يُشدُّ به الوحلُّ في طن الحبر.  
مادة: ح ق ل،
- ١٩٦ حله: أمر من الحلية، يقال: حليه أحليه تحلية: إذا ألبسه الحلية.  
مادة: ح ز ح ذ،
- ٧٤ الحناجر جمع حجرة، وهي أحر الحنق مما يلي الفم.  
مادة: ح ن ظ ل،
- ٨٦ الحنظل: نبت مقترش، نعرته في حشم البرقانة ولونها، فيها لب شديد الحرارة.  
حرف: (ح)
- مادة: دخ ل ص،
- ٢٩٢ الإحلاص: أفراد الحن سبحانه في الطاعة بالقصد.  
مادة: دخ ل ف،
- ٢٣٨ خيلفان: الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها، ثم هي عشارة  
والواحدة: خلفة وعشراء.

الصفحة

اللفظ والمعنى

مادة «خ م ر»: ٥٩٧  
اِخْتَمَرْنَ: غَطَّينَ وجوههن.

مادة «خ و ض»: ١٧٥  
الخوض: المشي في الماء، ثم استعمل في كل دخول فيه تلوث وأذى.

## حرف (د)

مادة «د ب ر»: ٥٢٤، ١٨٠  
دَبَّرَ: هلك، يُقَالُ: دَبَّرَ الْقَوْمُ يَدْبُرُونَ دِبَارًا: هلكوا. وَأَذْبَرُوا: إِذَا وَلَّى أَمْرُهُمْ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ.

التدبُّر: مصدرٌ فَعَلَهُ الْمَاضِي: تَدَبَّرَ. وهو فَعَلٌ مَزِيدٌ، اشْتَقَّ مِنَ الْفِعْلِ الْمَجْرُودِ الْمَاضِي: دَبَّرَ. ومضارعه: يَدْبُرُ، والمصدر: دَبْرًا وَدُبُورًا.

٥٢٤  
وَدَبَّرَ النَّهَارُ أَوْ الصَّيْفُ: انْصَرَمَ، مَضَى وَانْقَضَى.

٥٢٤  
وَدَبَّرَ الشَّيْءَ: جَاءَ بَعْدَهُ وَخَلَفَهُ.

٥٢٤  
وتدبَّر الأمر تدبُّرًا: نَظَرَ فِي أَدْبَارِهِ، أَي: عَوَاقِبِهِ، وَتَفَكَّرَ فِيهِ.

٥٢٤  
والتدبُّر: النَّظَرُ فِي أَدْبَارِ الْأَمْرِ. وهو يعني: التأمُّلُ فِي عَوَاقِبِهِ، أَوْ مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ.

## مادة «د ق ل»:

٩٥  
الدَّقْلُ: رَدِيءُ التَّمْرِ وَيَابِسُهُ، وَهُوَ: أَرْدَأُ التَّمْرِ.

## حرف (ذ)

## مادة «ذ ق ن»:

٢٥١  
الأذقان: جمع ذُقْن، وهو مجتمع اللِّحْيَيْنِ

## حرف (ر)

## مادة «ر ت ل»:

٣٩٨، ٣٣١  
التَّرْتِيلُ: هُوَ التَّائِي فِي الْقِرَاءَةِ وَالتَّمَهُلُ وَتَبْيِينُ الْحُرُوفِ وَالْحَرَكَاتِ.

## مادة «ر ج ل»:

٤٠٧  
المِرْجَلُ: قِنْدَرٌ مِنْ نَحَاسٍ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى قِنْدَرٍ يَطْبُخُ فِيهَا.

## مادة «ر ف ق»:

٤٤٨  
الرَّفْقَةُ: بَضْمُ الرَّاءِ وَكسرها، والأشهر الضم، هم الجماعة المترافقون.

- اللفظ والسري
- عاده برقي ي،
- ١٩٤ ارتقى أمر من الفعل رفق برفق، أي اصعد
- اشترقى جمع نرقوع، ومن اعظم الذي بين شعرة البحر والعنق، وهما نرقوعتان
- ١٠٠ من الحاسر
- عاده بر م ي،
- ٧٥ الرمية هي الطريقة من الصيد
- عاده بره ب،
- الرهبان جمع راهب، مثل ركبنا جمع راكب، ومرسان جمع فارس، والراهب
- من الصاري المنطوع في بهر أو صومعة للعبادة، مشتق من الرهبة، وهي
- ٢٧٧ الحروف.
- عاده بر و ح،
- الريحان حسن من السات، طب الرائحة من لفصيلة الشعوية، وكل من طيب
- ٨٦ الرائحة، ويقال لسراة: ريحانة.

## حرف (ذ)

- عاده بر خ ح،
- ٩٤ رُخ دفع، بدل رجمته، أرخه رخاً إذا دفعه
- عاده بر ل ي،
- ٢٢٥ الزئبق فطحس - لئل الرخلي من بلاسة الأرض من طين عليها أو دعر
- عاده بر ه ر،
- ٣٢١ يراوين مستبين مائلتين إلى البياض من كثرة السنن

## حرف (س)

- عاده بر س ط ر،
- ٦١٨ الأساطير الأساطيل، وهي جمع أسطورة: وهي القصة الممطورة
- عاده بر س ط و،
- السطوة شبه السطر، بدل سطا عيه، وسطا به: إذا بطش به وشاوره بالعم
- ٥٨ والمثمة



مادة رس ر ذ

الرساء جمع رساء، مكتبة وكتاب والرساوة الرموز، والرسوة: الرسل، لأنهم يُرسون إلى الناس رسالات الله وقيل: هم السلائكة، سُئوا بذلك، لأنهم يرسون بحسب الله، وقد بلغ به الصلاح بين الناس، كالسفير يُفليح بين القوم. ٤٥٢

مادة رس ل ذ

الرساوة: الوفاء والثأب والسكوب، وقيل: الرحمة وقيل: غلق رقيق كالريح والهوا. ٤٥٠

مادة رس م ذ

الرساوة: لاهور، مستكبرون السعد بمعنى العناء على لغة جفيرة ١٨٦  
١٨٦

مادة رس ن ذ

الرساوة: هم الجماعة الذين يتحلقون بالقبيل، مأخوذ من الرسمة وهو: ظل القمر، ومنه رسمة النوى. ٤٨

مادة رس ط ذ

الرساوة: مصدر مشتق من العمل شجع الذي يدل على إدراك الشيء بالأذن، يقال: شجع الشيء - بالكسر - شجاً وشجاعاً، ويجمع على أسجاع، ويجمع الأسجاع أسجاع. ٤١٠

### حرف اشرا

مادة رس ح ذ

الرشاح: المعبر اللون لعارض من مرض، أو سحر، أو نحوهما. ٣٣١

مادة رش ر ذ

الرشاق: نفع الرء وإسكانها، أي عبا، وبور. ٥٨٧

مادة رش ط ذ

الرشاق: نفع النسي المعجمة والطاء، تثنية نطش، وهو الحل انطويل. ٤٤٠

### حرف اصرا

مادة اص ح ذ

المصحف: اسم لكل مجموعة من الصحف المكتوبة، حُفَّت بين يفتين. ١٩٤

المصحف: هو اسم للمكتوب فيه كلام الله تعالى بين الدفتين.

١٩٦

مادة «ص ف ف»:

الضُّفَّة: موضع مُظَلَّل من المسجد النبوي الشريف، كان فقراء المهاجرين يأوون إليه، وهم المسئون بأصحاب الضُّفَّة، وكانوا أضياف الإسلام.

٣٢٣

صَوَافٍ: جمع صافئة، وهي الطيور، التي تيسط أجنحتها في الهواء.

٥٨٧

حرف (ض)

مادة «ض غ ن»:

الأضغان: جمع ضِغْن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد.

٦٤٥

مادة «ض ن ك»:

الضنك: الضيق والشدة.

٥١

حرف (ط)

مادة «ط غ ي»:

الطاغوت: أصلها طَغَو، من قول القائل: طغى فلان يطغو: إذا عدا قدره فتجاوز الحد.

٦٠٢

والطاغوت: هو كل ذي طغيان على الله، فَعِيدَ من دونه إما يقهر منه لمن عبَّده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء.

٦٠٢

حرف (ظ)

مادة «ظ ل ل»:

الظُلَّة: ما يقي من الشمس؛ كسحاب أو سقف بيت.

٤٤٣

مادة «ظ ل م»:

الظالم: الذي يجري على خلاف الحق بدون شبهة.

١٣٣

حرف (ع)

مادة «ع ج ب»:

العُجْب: الرُّهُو، ورجل معجب: مزهو بما يكون منه حسناً كان أو قبيحاً.

٤٨٠

مادة «ع ض ي»:

٦٥ عضين: جمع عضو، وهو مشتق من قولك: عضيت الشيء تعضية إذا فرقتة.  
وعضين: السحر، مفردهما: عَضَةٌ، وهي السحر بلسان قريش، ويقال للساحرة:  
العاضة.

٦٦

٦٦

مادة «ع ق ل»:

٤٨٨ العقال: جليل صغير يُشدُّ به ساعد البعير إلى فخذ.

٤٨٨

٤٨٨

مادة «ع ه د»:

٤٨٨ التَّعَهُدُ: المراجعة والمعاودة.

٤٨٨

### حرف (ع)

مادة «غ ش ي»:

٤٣٩ غشي: غشبتهم الرحمة، أي: غطتهم الرحمة، وغشاه تغشياً: إذا غطاه، وغشي  
الشيء: إذا لابس.

٤٣٩

٤٤٠

تغشته: علته وقربت منه.

مادة «غ ل و»:

٥٠٤ الغلو: التَّشُدُّدُ ومجاوزة الحد.

٥٠٤

مادة «غ م ز»:

١٧٤ العَمْرُ: الإشارة بالجفون والحواجب.

١٧٤

مادة «غ م م»:

٥٨٧ الغمامة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وعَبْرَة وغيرهما، والعَيَابَة  
نفسها.

٥٨٧

### حرف (ف)

مادة «ف ر ق»:

٥٨٧ فرقان: قطيعان وجماعتان، وكذلك حزقان، يقال في الواحد: فرق، وحزق،  
وحزيقة.

٥٨٧

مادة «ف ر ض»:

١١٤ قَرَضَ: أَلْزَمَ وَأَوْجَبَ وَحْتَمَ.

١١٤

الصفحة	اللفظ والمعنى
	مادة «ف ر ي»: افتراه: اختلقه من عند نفسه.
١٢٠	
١٢٨	الافتراء: اختلاق الأخبار، أي: ابتكارها، وهو الكذب عن عمد.
	مادة «ف ص ص»: التَّمْصِي: الانفصال.
٤٨٩	
	مادة «ف و ق»: الفُوق: موضع الوتر من السهم.
٧٥	

## حرف (ق)

	مادة «ق د ح»: القِدْحُ: خشب السَّهْم.
٧٥	
	مادة «ق ر أ»: القرآن: مصدر قرأ بمعنى تلا.
١٩٤	
	وهو: كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر.
١٩٥	
	مادة «ق س س»: القسّيسون: هم خطباء النصارى وعلمائهم، واحدهم: قسيس، وقسّ، وقد يجمع على قسوس.
٢٧٧	
	مادة «ق ط ط»: قَطَّ الشيء: قطعة عَرَضاً.
١٧٩	
	مادة «ق ل د»: التَّقْلِيد: جعل القلادة في العنق.
٦٢١	
	مادة «ق ل ص»: القلائص: جمع قلوص، وهي الناقة الشابة، وتُجمع على قِلاص وقُلُص.
٣٢٦	
	مادة «ق ن ت»: القانتين: جمع

الصفحة

اللفظ والمعنى

مادة «ق ي ن»: القَيْنَات: الْمُغْتَبَات.

٢٦٩

## حرف (ك)

مادة «ك ف ف»:

الكُفَاف: هو الذي لا يُفْضَلُ عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة إليه.

٤٧٦

مادة «ك ن ن»:

الأَكْنَةُ: جمع كنان، وهو الغطاء؛ لأنه يكن الشيء، أي: يحجبه.

٥٥

مادة «ك و م»:

كُؤَماوِين: منى كوماء، فقلبت الهمزة في الشبهة واوًا، وناقة كوماء: عظيمة السنام طويلته.

٣٢٣

## حرف (ل)

مادة «ل ب س»:

اللُّبْسُ: هو الخَلْطُ، يقال: لَبِسَ الثوبَ يَلْبَسُ لُبْسًا، وَلَبَسَ عليه الأمرُ يَلْبَسُ لُبْسًا، أي: خَلَطَ.

١٥١

مادة «ل ح ن»:

اللَّحْنُ: اللَّحْنُ واللَّحْنُ واللَّحْنُ واللَّحَانَةُ واللَّحَانِيَّةُ: ترك الصواب في القراءة.

٣٦٦

مادة «ل غ و»:

اللُّغْرُ: القول الذي لا فائدة منه.

٦١

مادة «ل ق ن»:

يَلْتَقِنُ: يفهم ويحفظ.

٣٥١

مادة «ل م ز»:

يَلْمَزُونُ: يعيبون.

١٧٦

اللَّمَزُ: الاغتياب وتبع المعاب.

١٧٦

## حرف (م)

مادة «م ح ل»:

مَاجِلٌ: مجادل ومدافع، وقيل: ساع مصدق، من قولهم: محل بفلان: إذا سعى به إلى السلطان.

٥٩٠

## الصفحة

## اللفظ والمعنى

- مادة «م ر ق»: المروق: الخروج، وقيل: هو الخروج السريع.  
٧٥
- مادة «م ر ط»: المروط: جمع مِرْط، وهو الإزار، وقيل: هو كل ثوب غير مخيط.  
٥٩٧
- مادة «م ر ي»: المرء: الجدال.  
٧٩
- التماري والمُماراة: المجادلة على جهة الشك والريبة.  
٧٩

## حرف (ن)

- مادة «ن ب ذ»: النَّبْذُ: الطرح والإلقاء، ومنه سُمِّي اللقيط منبذاً، ومنه سمي النبيذ، وهو التمر والزبيب إذا طرحا في الماء.  
٥٧٩
- مادة «ن ش ج»: النشيج: أشد البكاء، ونشج الباكي: غصَّ بالبكاء في حلقة من غير انتحاب، وقيل: النشيج: صوت معه ترجيع كما يردد الصبي بكاءه في صدره.  
٤٠٨
- مادة «ن ع م»: النَّعْم: الإبل والبقر والغنم.  
٤٨٩
- مادة «ن ف ث»: النفث: الشعر، وسمي النفث شعراً؛ لأنه كالشيء ينفضه الإنسان من فيه مثل الرقية.  
٣٩٥
- مادة «ن ف خ»: النَّفْخُ: الكبر؛ لأن المتكبر يتعاطم ويجمع نفسه، فيحتاج أن ينفخ.  
٣٩٥
- مادة «ن ف ر»: يَنْفِرُ: يشب ويحول.  
٤٤٠
- مادة «ن ك ب»: نكبتة الحجارة: لثمت الحجارة رِجْلَهُ وَظْفَرَهُ، أي: آذته وأصابته.  
١٧٤



الصفحة

اللفظ والمعنى

مادة هـ ذ د،

٩٤

التَّبَكُّرُ الشئ - الغليل الذي لا يجمع

حرف (هـ)

مادة هـ ح ز،

١٨

الهِجْرُ الهاء والجيم والراء أصلان، يبدؤ أحدهما على فطيمو وفتح، والآخر على شد شي ورنطه

١٨

والهَجْرُ ضد الوض، والتهاجر التفاضع

١٨

وهجره هجره هجرأ وهجرأ بالكر، صرته وقطعه

١٨

وهجر الشيء هجره هجرأ تركه وأخفاه وأعرض عنه

١٨

أهجر في منطه، إذا أهدر وإذا أكثر الكلام بعد لا يهجر، والاسم الهجر، بالهم

١٩

وهجر يهجر هجرأ، بالفتح، إذا خلط في كلامه، وإذا هدى

١٩

أهجرت بالرجل استهزأت به، ولقت به قولاً قبيحاً

٢٠

التهجير والتهاجرأ تصف النهار في القبط خاصة، وهجر تهجيرأ سار في الهجرأ

٢٠

التهجير: التمروك

٢٠

والتهجير يسبب التث الذي ثمرته الماتية، وشئ يملك لأن الرامي بهجره

٢٠

التهجرأ حينئذ يه الفحل لغيره لتهجرته الإبل

٢٠

هجرأ القوس ونزها

مادة هـ ذ د،

٣٣١

هذأ الهذ والهذ يفتح الهاء هو سرعة القراءة وسرعة النطق، يقال هذ القرآن يهذ هذاً إذا أسرع في قرأته وسرجه

مادة هـ ر أ،

١٧٠

استهراً سحره والهز والهزأ السحرية

١٧٠

تهرأ: موح في شفة

١٧٠

تهرأ: تطلق السرج، وهراً يهراً مات على السكبان

١٧٠

دله تهرأ به: تسرع وتخف

الصلحة

اللفظ والمعنى

- مادة هـ م و هـ:   
 صبر الشيطان مبرأ: عسى من قلبه وشواشاً. وهنرات الشيطان حطراته التي   
 يحطرها بقلب الإنسان. ٣٨٥
- مادة هـ و ن:   
 الهوى الهوان والذن. ١٢٩

حرف (وا)

- مادة ا و ج د:   
 الموحذ المحبة والهوى. ٢٣٠
- مادة و و ر ز:   
 الوزر: العقوبة الثقيلة. ١٣٩
- مادة و و م ن د:   
 الوساد والبوسادة المحلقة، والجمع وسائد. وقد وسئته الشيء فتوسده: إيا   
 جعلته تحت رأسه. ٢٠٢
- مادة و و ق ر:   
 الوقر: نقل السمع النافع من وصور الصوت إلى اصباح   
 الوقر الحقل. يقال جاء بحمل وفقره. وقد أوفر خيرة. وأكثر ما يستعمل الوقر   
 في حقل البعل والحدر. ٥٥

حرف (يا)

- مادة ي ر ع:   
 اليرع: الفصحة التي يحفر بها الراعي. ٢٢٩

## سادساً: فهرس الفروق اللغوية

## الصفحة

## الفرق اللغوي

٨٣

الضرق بين المحكم والمتشابه:

المحكم: هو ما وضع معناه، وقيل: ما عرف المراد منه، إما بالظهور، وإما بالتأويل. وقيل: هو المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال. المتشابه: ما يتعارض فيه الاحتمال، فالأسماء المشتركة؛ كالقراء، وكالذي بيده عقدة النكاح، وكاللمس. فالأول: متردد بين الحيض والظهر، والثاني: متردد بين الولي والزوج، والثالث: بين الوطاء والمس باليد، وقيل: ما خفي معناه. وقيل: ما استأثر الله بعلمه؛ كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.

١٣٣

الضرق بين التكذيب والحجود:

التكذيب: يصدر عن اشتباه وشك في الأمر. الحجود: الجحود، والجحد، هو نفي ما في القلب ثباته وإثبات ما في القلب نفيه، وأن يجري على خلاف الحق بغير شبهة.

١٧١

الضرق بين الاستهزاء والمزاح:

الاستهزاء: السخرية والاستخفاف، والمزاح في خفية لا يدري سامعه هل هو ملاطفة أم أذية؟ فالاستهزاء يكون بأذية. المزاح: فهو بغير أذية.

١٧٣

الضرق بين الغمز واللمز:

الغمز: هو الإشارة بالجعفون والحواجب على سبيل السخرية والاستهزاء. اللمز: هو تعيب الناس باللسان، وهو الاغتياب وتبع المعاب.

٢١٢

الضرق بين السماع والاستماع والإنصات:

السماع: هو مجرد استقبال الأذن لذبذبات صوتية من مصدر معين، دون إعارتها انتباهاً مقصوداً فقد يكون بقصد أو بدون قصد.

## الاصماء

## اللفظ والاسم

الاستماع هو مهارة يعطي فيها المستمع اهتماماً خاصاً، واهتماماً مطلقاً لما  
تتفاه أذنه من أصوات، ليتمكن من استيعاب ما يقال، فيلاحظ هنا أن مهارة  
الاستماع أعلى من السماع، لأن الاستماع لا يند فيه من الفصد، ولذلك  
أمرنا الله تعالى عند تلاوة القرآن على بقوله: ﴿فَأَسْمِعُوا﴾ ولم يقل  
﴿فاسمعوا﴾

الإصمات هو المراد الأعلى، لأن فيه تركيزاً أعلى من الإسماء والإصغاء  
والتكون من أجل هدف محدد

١٤٦ الفرق بين الحسد والغبط:

الحسد أن يرى الرجل لأخيه بعمى، فيمنى أن يروى عنه، وتكون له بؤنة  
الغبط أن يتمنى أن يكون له مثله، ولا يتمنى رواها

١٤٧ الفرق بين الرياء والتكجب:

الرياء من باب الإشراك بالحق، فالمراد لا يحقق قوله: ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ﴾  
العجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المنكبر، فالعجب لا يحقق  
قوله: ﴿وَإِنَّكَ تَسْتَكْبِرُ﴾

٢٨٩ الفرق بين كبت وكيت، وذيت وذيت:

كبت وكيت: يجر بهما عن العمل الكثير، والحدث الطويل، وتكون للأفعال  
ذبت وذيت فهي مثلهما، إلا أنها يجر بهما عن الأسماء

٦٠٥ الفرق بين الحكم والحاكم:

الحكم هو الذي يحصل في القضايا والحصومات، ولا تطلق إلا على من يحكم  
بالحق

الحاكم لا يشترط لإطلاقها أن يكون حاكماً بالحل

١٢٦ الفرق بين الإصماء والإصماء:

الإصماء: أن تقتل الصيد مكانه، يقال: رمي فأصمى، أي: أصامت مفعلاً  
الإصماء: أن ترمي الصيد، فيغيث منك، فيموت ولا تراه وتجد ميتاً، وإذا رمي  
عنه، في الحنيت، لأنك لا تدري هل مات برميك أو شيء غيره



## سابعاً: فهرس الأشعار

الشعر

الصفحة

## قافية (أ)

دايَنْتُ أروى والدُّيُونُ تُفْضَى      وليس دينُ الله بالمُعْضَى ٦٦

## قافية (ب)

وما نَيْلُ المَطَالِبِ بالسَّمْنِي      وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا ٣٥٦  
وما اسْتَعْضَى على قَوْمٍ مَنَالٌ      إِذَا الإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا

إنَّ العُلُومَ وإنَّ جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا      فَنَاجِهَا مَا بِهِ الإِيمَانُ قَدْ وَجِبَا ٥٥٤  
هُوَ الكِتَابُ العَزِيزُ، اللهُ يَحْفَظُهُ      وَبَعْدَ ذَلِكَ عِلْمٌ فَرَجَ الكُرْبَا  
وَائْتَلُ بِفَهْمٍ كِتَابَ اللهِ، فِيهِ أَنْتَ      كُلُّ العُلُومِ، تَدْبِرُهُ تَرَّ العَجْبَا

وما سُمِّيَ الإنسانُ إِلا لِئَنبِيهِ      ولا القَلْبُ إِلا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ ٥١٦

## قافية (ظ)

سَأَنْشُرُ إنَّ حَبِيبْتُ لَكُمْ كَلَامَا      يُنْشَرُ فِي المَجَامِعِ مِنْ عُكَاظِ ٢٨٢

## قافية (ل)

لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ      الجُودُ يُفْقِرُ، والإِقْدَامُ قَتَالُ ٣٥٥

حُدُودُ حُرُوفِ الذِّكْرِ فِي لَفِظِ قَارِي      بِحَدِّهِ وَنَحْقِيقَتِي وَدَوْرِ مُرْتَلَا ٣٧٠  
فإِنِّي رَأَيْتُ البَعْضَ يَتَلَوُ القُرْآنَ لا      يُرَاعِي حُدُودَ الحُرُوفِ وَزَنَا وَمَنْزِلَا  
فَمِنْهُمْ بِتَرْقِيبِ وَلَحْنٍ وَضَجَّةٍ      وَمِنْهُمْ بِتَرْعِيدِ وَنُوحٍ تَبَدَّلَا  
فَمَا كَلُّ مَنْ يَتَلَوُ القُرْآنَ يُقِيمُهُ      وَلا كَلُّ مَنْ يَفْرَأُ مَجْمَعَلَا  
قَدَّرَ نَطَقَ أَعْجَامٍ وَمَا اخْتَرَعُوا بِهِ      وَحَدَّ نَطَقَ عَرَبٍ بِالفِصَاحَةِ سُؤْلَا  
فِي قَارِي القُرْآنِ أَجْمَلُ أَدَاءَهُ      يُضَاعِفُ لَكَ الرَّحْمَنُ أَجْرًا فَأَنْجِزَلَا

الصفحة	القصيدة
٣٣٣ فجلاً له في كل حالٍ مُنِحلاً ملايس أنوار من الشاع وانحلا أؤثنت أهل الله والقصوة السلا	فيا أيها القاري مه متعسكاً مبيناً مرتناً واثناك عليهما ما طنكم بالشغل عند حرايه
١٧١ ونكاهن نعبر ففدك ناطل	سهر العيون لغم وخبث صانع
٣٩٣ علتك، ولم تغادر ما أنت حابلي تصدق قول المزة ما هو قاجلي	إذ العلم لم تعمل به كان خجعة فإن كس قد أنصرت هذا لمأنا
٣١٥ لمقع السرامان بأشروه مقلولاً	من لم يلقو طعم التلثة ساعة
قطعة (ن)	
٦٩٥ بلمطخ الليل نسيحاً ومرفقاً	غشوا باشمط عنوان السجود به
٣٧٧ طلقوا التنها وحافوا العننا أها لست لحي ووطنا صالح الأعمال فيها نفا	إن ه عباداً مُطننا نظروا فيها فلقنا علموا جعلوها لختاً وأشحلوا
قطعة (هـ)	
٦٦٤ ولا حالداً إلا الحال الرواسيا	الا لا اري على الحوادث صافياً
٣٠٩ كالميل حرت لمعكاه العالي	انعم حرت بلقنى المسفاني
٣٠٩ ومن طلت الغلا سهر الليالي يعومن السخر من قلب اللالي	بغم الكذ نكتسب المعالي نزوم العلم ثم سام لبلأ
٢٩١ ومن سما بالههم والغواية والسيف الطسرفي والأشارا وعلم الخطأ والقبوسا ومير الواهي وانمعروفنا	من منظومة الأرجوزة العنيفة، فأفهد شيوخ العلم والرواية ممن زوى وقبض الأحمرا ومهم التلعات والإغراب وخط الحلاف والخروفنا



## الشعر

## الصفحة

وَجَمَعَ التَّفْسِيرَ وَالْأَحْكَامَا  
وَصَحِبَ الشُّشَاكَ وَالْأَخْيَارَا  
وَاتَّبَعَ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ  
وَجَانِبَ الْأَرَادِلِ الْمُتَبَدِّعَةَ

وَمِنْ عُقُودِ السُّنَّةِ الْإِيمَانُ  
وَبِالْحَدِيثِ الْعُسْتَدِ الْمَرْوِيِّ  
فَمِنْ صَحِيحِ مَا أَتَى بِهِ الْأَثَرُ  
نُزُولُ رُبَّنَا بِلَا امْتِرَاهِ  
مِنْ غَيْرِ مَا حُدَّ وَلَا تَكْهيفِ  
وَرُؤْيَا الْمُهْتَبِ مِنْ الْجَبَّارِ  
بِزُومِ الْقِيَامَةِ بِلَا اذْوَاحِ

من منظومة «طيبة النشر»:

وَبَعْدُ: قَالَ إِنْسَانٌ لَيْسَ يَشْرَفُ  
لِذَلِكَ كَانَ حَامِلُو الْقُرْآنِ  
وَأَتَّهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ اللَّهِ  
وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ عَنْهُمْ وَكَمَى  
وَهُوَ فِي الْأَخْرَى شَافِعٌ مُشْتَمِعٌ  
يُعْطَى بِهِ الْمُلْكُ مَعَ الْعُلْدِ إِذَا  
بَفَّرَا وَرَقَى دَرَجَ الْجَنَانِ  
فَلْيُخْرِصِ السُّعِيدُ فِي تَخْصِيلِهِ

وَلَا زَمَ الْحُدَّاقَ وَالْأَعْلَامَا  
وَجَانِبَ الْأَرْدَاثِ وَالْأَشْرَارَا  
وَقَامَ لِلَّهِ بِحُسْنِ الطَّاعَةِ  
وَاعْمَلَ بِقَوْلِ الْغُرَقَةِ الْمُثْبِتَةِ ٢٩٢

بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ  
عَنِ الْأَيْمَةِ عَنِ النَّبِيِّ  
وَشَاعَ فِي النَّاسِ قَدِيمًا وَانْتَشَرَ  
فِي كُلِّ لَبْلَبَةٍ إِلَى السَّمَاءِ  
سُبْحَانَهُ مِنْ قَادِرِ لَطِيفِ  
وَأَنَّا نَرَاهُ بِالْأَبْصَارِ  
كَرُؤْيَا الْبَدْرِ بِلَا غَمَامِ

٤٩٧ إِلَّا بِمَا يَخْفَظُهُ وَيَعْرِفُ  
أَشْرَافَ الْأُمَّةِ أَوْلِيَ الْإِحْسَانِ  
وَلِإِنْ رُبَّنَا بِهِمْ يُبَاهِي  
بِأَنَّهُ أَوْزَنُهُ مَنْ اضْطَفَى  
فِيهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ يُسْمَعُ  
تَوَجُّهُ نَاجِ الْكِرَامَةِ كَذَا  
وَأَبْوَاهُ مِنْهُ يُكْسِيَانِ  
وَلَا يَمَلُّ قَطُّ مِنْ تَرْتِيلِهِ



## ثامناً: فهرس الأماكن

الصفحة	المكان
٣٩٠	بئر جمل
٣٥٢	البصرة
٣٥٧	برك الغماد
٣٢٣	بُطْحان
٢٨١	تِهامة
٣٨٥	الجزائر
٣٥٢ ، ٢٧٨	العجشة
٣٥١	حمص
٣٥١	دمشق
١٨٧	الطائف
١٨٧	العُصْبَة
٣٢٣	العقيق
٢٨٢	عكاظ
٣٥١	عَمَواس
٣٥١	فلسطين
٣٥٢ ، ١٧٩	الكوفة
٥٤٤	مصر
٢٧٧	المدينة
٣٥٩	مرو
٣٥٩	مرو الزُّود
١٨٧	مكة
١٥٤	نجران
٢٨١	نَخْلَة
٣٣٦ ، ١٥٤	اليمن

## تاسعاً: فهرس الأحكام الفقهية

الحكم	الصفحة
أولاً: أحكام تتعلق بالقرآن:	
١ - أحكام تعظيم القرآن والإيمان به:	
حكم هجر القرآن .....	٣٥
حكم تعظيم القرآن .....	٣٦
حكم مَنْ جحد منه حرفاً مجمعاً عليه، أو زاد حرفاً .....	٣٦
حكم من استخف بالقرآن، أو بشيء منه، أو بالمصحف .....	٣٦
حكم من كذب بشيء مما جاء به من حكم أو غير .....	٣٦
حكم من نفى ما أثبتته، أو أثبت ما نفاه، أو شك في شيء من ذلك .....	٣٦
حكم الجدل في القرآن والمرء فيه .....	٨٢، ٧٦
حكم الإيمان بالقرآن .....	١٠٤
حكم من أنكر القرآن، أو بعضه، ولو كانت آية واحدة، أو حرفاً واحداً .....	١٤٤
حكم من لم يؤمن بالقرآن من أهل الكتاب .....	١٥٧
حكم من استهزا بكتاب الله، أو بسنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك أو تنقصه .....	١٩٨
حكم الهزل بالكفر .....	١٩٨
حكم من استهزا بالقرآن .....	١٩٧
٢ - أحكام التلاوة والاستماع:	
حكم قراءة القرآن في البيوت .....	٩٧
حكم أكل الثوم والبصل قبل التلاوة .....	١٧٨
حكم استقبال القبلة عند القراءة .....	١٧٨
حكم الاستعاذة والبسملة عند الشروع في القراءة .....	١٧٨
حكم رفع الصوت عند سماع القرآن .....	٢٣٠
حكم الاستماع للقرآن حين يقرأ .....	٢٥٤
حكم الإعراض عن استماع القرآن .....	٢٥٨
حكم تلاوة القرآن على طهارة .....	٣٩٠

الصفحة	الحكم
٢٩١	حكم تلاوة المحدث
٢٩٢	القرآن في الأماكن الطيبة
٢٩٢	حكم القراءة في الأماكن المسجدة
٢٩٢	حكم التلاوة على الراحلة وفي الطريق
٢٩٣	حكم استقبال القبلة عند التلاوة
٢٩٤	حكم تطيب العم بالسواك وغيره
٢٩٥	حكم الاستعاذة عند افتتاح التلاوة
٢٩٦	حكم المسئلة
٤٠١	حكم تحسين الصوت بالقراءة
٤٠٤	حكم القراءة - الألفاظ المطوية
٤٠٧	حكم النكاه أثناء التلاوة
٤٠٩	حكم الجهر بالقراءة
٤١٢	حكم قطع القراءة
٤١٥	حكم سجود التلاوة
٤١٨	حكم سجود المصنوع نكاحاً لسجود القارئ
٤١٩	حكم إسماع القراءة في سجدة
٤١٩	حكم القدر المستحب في حتم القرآن
٤٢٥	حكم تحريم القرآن
٤٢٩	حكم دعاء حتم القرآن
	٣ - أحكام تعلم القرآن وتعليمه
٢٣٧	حكم تعلم القرآن وتعليمه
٢٣٩	حكم تعليم القرآن لغير المسلم
٢٤٠	حكم أداء الأجرة على تعليم القرآن
٥١٠	حكم حفظ القرآن عن الأمانة
٥١٠	حكم حفظ القرآن عن أفراد المسلمين
٥١٢	حكم تحريف القرآن للصبيان
٥١٣	حكم سبيل القرآن
	٤ - أحكام تدبير القرآن والعمل به
٥٣١	حكم تدبير القرآن

الحكم	الصفحة
حكم تعلم وتعليم اللغة العربية .....	٥٣٩
حكم العمل بالقرآن .....	٥٧٢
حكم التحاكم إلى القرار .....	٦٠٢
حكم إحياء القاضي للمسلم .....	٦٠٦
ثانياً أحكام تتعلق بالمصحف	
حكم الطهارة عند حلاوة المصحف .....	١٧٨
حكم تغيير اسم المصحف، ورسمه وحجمه .....	١٧٩
حكم زحرفة المصحف وتزيينه، وكتابه بأحد الظهين، أو الأعمية .....	١٨٠
حكم استئثار المصحف، أو تومده، أو رسمه عند وضعه .....	١٨١
حكم ضمير كلمة (مصحف) إلى (مصحف)، وكلمة (مصحف) إلى (مصحف)، وقولهم سورة صغيرة .....	١٨٢، ١٨١
حكم وضع شيء فوقه، أو يبر أوراقه .....	١٨٢
حكم حمله إلى الأماكن السنية، أو السفره إلى أرض العدو، أو تعرضه لأي نوع من أنواع الأذى .....	١٨٢
حكم كتابته على الأرض، أو حوائط المساجد وغيرها، أو الكتابة في حوائط أو خلده .....	١٨٣
حكم الإنكاء على المصحف .....	٢٠١
حكم تومده المصحف .....	٢٠٢
حكم إتلاف المصحف وتعميقه .....	٢٠٣
حكم إدخال المصحف الفير .....	٢٠٤
حكم بلع شيء من المصحف .....	٢٠٥
حكم الترتك بالمصحف .....	٢٠٥
حكم تلويث المصحف .....	٢٠٥
حكم وطء المصحف .....	٢٠٦
ثالثاً: أحكام متفرقة	
حكم انهجر بين المسلمين .....	٢٥
حكم زيارة القبور .....	٢٩

## عاشراً: فهرس الآداب

الصفحة	الموضوع
	أولاً آداب التعامل مع المصحف:
١٧٩	١ - تحاشي التصغير في اسمه ورسمة وجمعه
١٧٩	٢ - يُطْفَل من يكتبه بتصغير خطه وتجميله - وأن يكتبه على ورق يليق بمقامه
١٨٠	٣ - عدم إضافة شيء إليه، أو بحرفه، أو تحليله، أو كتابته بأحد النقليين، أو كتابته بالأعجمية، أو اتحاده فتحراً
١٨١	٤ - عدم استبداله، أو توسده، أو رسمه عند وضعه أو تناولته، أو عند المرحلين إليه، أو التروُّج به، أو استعمال الشدايق في ناوخته وأخلده
١٨٢	٥ - عدم تصغير اسمه، والآبدال سورة صغيرة
١٨٢	٦ - الحذر من وضع شيء فوقه، أو بين أوراقه، أو حمله حال دخول الأماكن الممنهنة، أو السفر به إلى آخر العدد، أو تعريضه لأي نوع من أنواع الأقدار
١٨٣	٧ - الحذر من كتبه على الأرض أو الحوائط، أو الكتابة في حواشيه أو جلده
١٨٣	٨ - الحذر من استعماله في غير ما وضع له، كالتنظيل به، أو تعليقه كحبر، أو ربة، أو اقتدائه لمحرمه الشرك
	ثانياً آداب استماع القرآن
٢٣٦	١ - تعظيم المتكلم
٢٣٦	٢ - استحضار عظيمة الكلام وإخلوته
٢٣٦	٣ - حضور القلب عند السماع
٢٣٧	٤ - تدبر المسموع
٢٣٨	٥ - فهم الآيات المسموعة
٢٣٨	٦ - التحلي عمر مواعين التهم
٢٣٩	٧ - أن يفتر - في نفسه - أنه المصنوع لكل آية سمعها
٢٣٩	٨ - التأثر بالآيات المسموعة
٢٤٠	٩ - الترقى في استماع القرآن
٢٤١	١٠ - التبرؤ من الحول والقوة حال السماع



الموضوع	الصفحة
ثالثاً: آداب معلم القرآن ومنعلمه	
أ - آداب مشاركة بين معلم القرآن ومنعلمه	
١ - النسب - صبح السلف في الاعطاء	٢٩٠
٢ - الإخلاص لله تعالى	٢٩٢
ب - آداب معلم القرآن	
١ - الاستقامة على دين الله تعالى	٢٩٦
٢ - حسن الخلق مع المتعلمين	٢٩٨
٣ - بذل النصيحة للمتعلمين	٣٠١
٤ - التدرج في التعليم والتربية	٣٠١
٥ - الرفق بالمتعلمين	٣٠٣
٦ - نصر على المتعلم	٣٠٥
ج - آداب منعلم القرآن	
١ - تطهير القلب	٣٠٨
٢ - الرشد في الدنيا	٣٠٨
٣ - التواضع لمعلمه	٣٠٩
٤ - الدعاء للمعلم والاعتراف به	٣١١
٥ - اخبار المعلم الأصلح والأعلم	٣١٢
٦ - الشكر إلى مجلس الدرس	٣١٣
٧ - التحلي بالآداب في مجلس التعليم	٣١٣
رابعاً: آداب التلاوة:	
١ - إخلاص الية لله تعالى	٣٨٩
٢ - العمل بالقرآن	٣٩٠
٣ - إحلال القرآن وتعظيمه	٣٩٠
٤ - تلاوة القرآن على سبيل سعادة	٣٩٠
٥ - اختيار الوقت المناسب	٣٩١
٦ - اختيار المكان المناسب	٣٩٦
٧ - حسن الجلسة واستطال القلة	٣٩٣
٨ - استحباب تطيب الفم بالسواك	٣٩٤
٩ - احتساب أكل الثوب واليهن قبل التلاوة	١٧٨

الموضوع	الصفحة
١٠ - الاستعادة عند افتتاح التلاوة .....	٣٩٥
١١ - السجدة .....	٣٩٦
١٢ - حصر الفكر أثناء التلاوة .....	٣٩٧
١٣ - استصحاب الترتيل وكراهية تسرع المعرفة .....	٣٩٨
١٤ - استصحاب تحوير الصوت بالقرآن .....	٤٠١
١٥ - عدم القراءة بالألحاح المطرية .....	٤٠٤
١٦ - وجوب نيم القرآن .....	٤٠٦
١٧ - المكاء أو السكبي أثناء التلاوة .....	٤٠٧
١٨ - الجهر بالقرآن إذا لم ينرب عليه معصية .....	٤٠٩
١٩ - اتصال القراءة وعدم قطعها .....	٤١٦
٢٠ - أن يحسن الوقوف والابتداء أثناء التلاوة .....	٤١٣
٢١ - الوقوف عند رؤوس الآيات .....	٤١٣
٢٢ - أن يسبح عند أية النسيج، وأن ينعوذ عند أية التعمود، وأن يسأل عند أية الرحمة .....	٤١١
٢٣ - الإمساك من القراءة عند غلبة النعاس .....	٤١٥
٢٤ - السجود عند المرور بأية محلة .....	٤١٥
٢٥ - مراعاة النظر السطح في حتم القرآن .....	٤١٩
٢٦ - تحريف القرآن .....	٤٢٥
٢٧ - دعاء حتم القرآن .....	٤٢٩
خاصةً آداب حفظ القرآن.	
أ - آداب أثناء الحفظ	
١ - الإخلاص لله تعالى .....	٤٦٩
٢ - استشعار عظمة القرآن ومعرفة منزلته .....	٤٧٢
٣ - معرفة أن الأصل في تلقى القرآن حفظه .....	٤٧٣
٤ - الرخصة القوية الصادقة .....	٤٧٤
٥ - انتظام من اللسان .....	٤٧٥
٦ - الدعاء والالتجاء إلى الله .....	٤٧٧
ب - ثواب بعد الحفظ	
٧ - المعرف من الوقوع في الرباه .....	٤٧٨

الموضوع	الصفحة
٢ - الخشية من العُجب بالنفس، والتعالي على الخلق .....	٤٨٠
٣ - الحذر من الذنوب والمعاصي .....	٤٨٢
٤ - تعاهد القرآن والحذر من نسيانه .....	٤٨٨



حادي عشر: فهرس القضائل

الموضوع	الصفحة
أولاً: فضائل استماع القرآن:	
١ - القرآن الكريم متعدد سماعات	٢١٤
٢ - استماع القرآن سب لرحمة الله	٢١٥
٣ - استماع القرآن سب لهداية الثقلين	٢١٦
٤ - استماع القرآن سب لخشوع القلب وبكاء العيون	٢١٩
ثانياً: فضائل تعلم القرآن وتعليمه:	
١ - معتم القرآن ومعلمه مثله بالملائكة والرموز	٣١٩
٢ - حير الناس من تعلم القرآن وعلمه	٣٢٠
٣ - تعلم القرآن وتعليمه حير من كتور النساء	٣٢٣
٤ - من علم آية عاد له نوابها ما تبت	٣٢٧
٥ - عظم ثواب من علم الصغار القرآن	٣٣٠
ثالثاً: فضائل تلاوة القرآن:	
١ - التلاوة نجاة راحة	٤٣٣
٦ - تزول السكينة والرحمة والملائكة للتلاوة	٤٣٩
٣ - ذكر الله هم مومن عبده	٤٤٤
٤ - اغتباط التالي للقرآن	٤٤٥
٥ - اغتباط القائم بالقرآن	٤٤٧
٦ - التلاوة حلية لأهل الإهدى	٤٤٩
٧ - التلاوة كلها حير	٤٥٦
رابعاً: فضائل حفظ القرآن:	
١ - ارتفاع منزلة الحافظ	٤٩١
٢ - مسح الحافظ كرامات متعددة	٤٩٦
٣ - الحافظ مع السفرة الكرام البررة	٤٩٨

الموضوع	الصفحة
٤ - الحافظ مقدم في الدنيا والآخرة:	٤٩٩
أ - الحافظ هم الأولى بالإمارة	٤٩٩
ب - الحافظ هم الأولى بالإمامة	٥٠٠
ج - الحافظ هم أصحاب الشورى	٥٠٢
د - الحافظ هم المقدمون في البرزخ	٥٠٢
٥ - الحافظ هم أهل الله وخاصته	٥٠٣
٦ - إكرام الحافظ في الدنيا من إجلال الله تعالى	٥٠٤
٧ - ثناء الله على الحافظ	٥٠٥
٨ - الحافظ لا تحرقهم النار	٥٠٦
خامساً: فضائل تدبر القرآن:	
١ - تعميق جذور الإيمان	٥٦٤
٢ - معرفة الرب ﷻ	٥٦٥
٣ - تحقيق العبودية لله تعالى	٥٦٦
٤ - التدبر غذاء للروح	٥٦٧
٥ - التدبر علاج يشفي النفوس	٥٦٧
٦ - التدبر سلاح يدفع الأخطار المحدقة بالفرد والمجتمع من الداخل والخارج ...	٥٦٧
٧ - التدبر فيه تربية للعقول	٥٦٨
٨ - التدبر مفتاح كل خير	٥٦٨
٩ - التدبر صقل للمواهب وتنمية للقدرات العقلية	٥٦٩
سادساً: فضائل العمل بالقرآن:	
١ - الهداية في الدنيا والآخرة	٥٨١
٢ - الرحمة في الدنيا والآخرة	٥٨٣
٣ - الفلاح في الدنيا والآخرة	٥٨٣
٤ - تكفير السيئات وإصلاح البال	٥٨٤
سابعاً: فضائل الحكم بما أنزل الله:	
أولاً: في الدنيا:	
١ - الاستخلاف والتمكين	٦٢٦
٢ - الأمن والاستقرار	٦٢٧
٣ - النصر والفتح	٦٢٩

الموضوع	الصفحة
٤ - العز والشرف .....	٦٣٠
٥ - بركة العيش ورغده .....	٦٣٢
٦ - الهداية والتثيت .....	٦٣٣
ثانياً: في الآخرة:	
١ - الفلاح والفوز .....	٦٣٥
٢ - المغفرة وتكفير السيئات .....	٦٣٦
٣ - الأجر العظيم .....	٦٣٧
٤ - مرافقة الأنبياء والصديقين .....	٦٣٨





## ثاني عشر: فهرس البدع

الموضوع	الصفحة
١ - التنطع في القراءة والوسوسة في مخارج الحروف .....	٣٦٥
٢ - الخروج بالقراءة عن لحن العرب إلى لحن العجم .....	٣٦٦
٣ - القراءة بالحن أهل الفسق والفجور .....	٣٦٧
٤ - قراءة الأنغام والتمطيط .....	٣٦٨
٥ - قراءة التحزين والتطريب .....	٣٦٨
٦ - قراءة التحريف .....	٣٦٨
٧ - قراءة الترعيد .....	٣٦٩
٨ - هَذُّ كهذُّ الشعر .....	٣٧٠
٩ - القراءة بالإدارة .....	٣٧٠
١٠ - قراءة القرآن في مجلس شرب الدخان .....	٣٧١
١١ - القراءة والإقراء بشواذ القراءات .....	٣٧١
١٢ - جمع القراءات في مجلس واحد .....	٣٧١
١٣ - قول السامع للقارئ: «الله - الله» .....	٣٧٢
١٤ - التزام قول «صدق الله العظيم» بعد التلاوة .....	٣٧٢
١٥ - قراءة الفاتحة بنية قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وهلاك الأعداء .....	٣٧٣
١٦ - قراءة الفاتحة عند شرط خطبة الزواج، واعتقادهم أن قراءتها عهد لا ينقض، أو أنها تعدل أربعة وأربعين يمينا .....	٣٧٣
١٧ - قول بعضهم بعد قراءة القرآن: الفاتحة .....	٣٧٣
١٨ - قول بعضهم: الفاتحة على روح فلان .....	٣٧٣
١٩ - قراءة الفاتحة بعد الدعاء .....	٣٧٣
٢٠ - قراءة الفاتحة بعد صلاة الفريضة .....	٣٧٣
٢١ - قراءة الفاتحة جهراً بعد التسليم من صلاة الجنازة .....	٣٧٣
٢٢ - قراءة الفاتحة عند رأس الميت .....	٣٧٣
٢٣ - قراءة الفاتحة عند المرور بالمقابر .....	٣٧٣
٢٤ - قراءة القرآن عند القبر .....	٣٧٣



## ثالث عشر: ثبوت المصادر والمراجع

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن وما يتبعه:

- ١ - الآيات القرآنية الواردة في المستهزئين بالإسلام ودعائه: سامي بن وديع عبد الفتاح (رسالة ماجستير في التصريف)، جامعة آل البيت، الأردن.
- ٢ - الإلفان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق ونشر: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٣ - الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم: دراسة وفقدان إبراهيم علي السيد عن عيسى دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٤ - الأحكام الشرعية لقراءة القرآن الكريم: د. محمود أحمد الأطرش، دار الإصدار، الإسكندرية.
- ٥ - الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم: أ.د. عبد العزيز بن محمد الحجيلان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
- ٦ - أحكام القرآن: محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الفكر، لبنان.
- ٧ - أعلام حملة القرآن: محمد بن الحسين الأجرلي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٨ - الأحرور المنيهة على أسماء القراء والرؤلة وأصول القراءات وعقد الشبانات بالشجود والدلالات: أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد بن مجقان الجزائري، دار المعنى، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٩ - أسباب الفروع على بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: د. عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ١٠ - أسلوب السخيرة في القرآن الكريم: د. عبد الحليم حفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ١١ - الأمثال في القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية (منتخب عن أعلام المؤلفين) تحقيق: إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة، حطاط، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- ١٢ - أنوار القرآن: مصطفى الحمصي، مكتبة العزالي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ١٣ - بدائع التصير الجامع لتفسير ابن القيم جمع وتخرج بسري السيد محمد دار ابن أبيجوري، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١٤ - بدع القراء القلبية والمعاصرة: د. نكرم بن عبد الله أبو زيد دار الفاروق، لطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ١٥ - النور الزاهر في القراءات العشر السنوية: عبد الفتاح القاضي دار التكتاف العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ١٦ - البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الرزكشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.
- ١٧ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد بن يعقوب انصاري، تحقيق محمد علي الحار، المكتبة العمية، بيروت، الطبعة بدون سنة.
- ١٨ - بيان إيجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إيجاز القرآن، للمخطاطي، والرماني، والحرطاني، محمد بن محمد المخطاطي، تحقيق د. محمد رحلوله سلام وآخرين، دار المعارف، مصر، ١٣٧٦هـ.
- ١٩ - البيان في آداب حملة القرآن: يحيى بن شرف النووي، تحقيق نبيل بن منصور الصاروة، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٢٠ - البيان في أقسام القرآن: ابن قيم الجوزية، تحقيق طه شاهين، دار التكتاف العربي.
- ٢١ - تفسير القرآن: سليمان بن عمر السبدي المسمى للإسلامي، ابن أبي عمير، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- ٢٢ - التذكار في أفضل الأذكار: محمد بن أبي بكر القرطبي، دراسة وتحقيق، فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٢٣ - التسهيل لتأويل التنزيل (سورة البقرة): مصطفى بن العلوي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢٤ - تفسير الألويسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) - محمده الألويسي، دار حياة التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٥ - تفسير السعدي (معالم التنزيل) - الحسين بن سعده السعدي، تحقيق خالد بن عبد الرحمن العفك ومرزوق سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٢٦ - تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): عبد الله بن عمر الشرازي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

- ٢٧ - تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي مؤسساً الأعلني للطبوعات، بيروت.
- ٢٨ - تفسير ابن خزي (التسهيل لعلوم التنزيل). محمد بن أحمد بن جزي الكوفي. لطيف: محمد عبد المنعم وإبراهيم عطوه. أم القرى للطباعة، القاهرة.
- ٢٩ - تفسير الجلالين. جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٣٠ - تفسير ابن الجوزي لواء المسير في علم التفسير) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المكتبة الإسلامي. بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- ٣١ - تفسير ابن أبي حاتم. عبد الرحمن بن محمد الزاوي تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة المصرية، صيدا.
- ٣٢ - تفسير أبي حيان (البحر المحیط): محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. دار الفكر. بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- ٣٣ - تفسير الرازي (التفسير الكبير): محمد بن عمر بن الحسين الرازي. دار الكتاب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٣٤ - تفسير الرمضاني (الكتفان عن حقائق التنزيل وحيون الأناويل في وجوه التأويل) محمود بن عمر الرمضاني تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة دون.
- ٣٥ - تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان). عبد الرحمن بن ناصر السعدي. غنيم، ابن عيسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (عدد الأخرى: ١).
- ٣٦ - تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان): عبد الرحمن بن ناصر السعدي. دار المئني، حيفا. الطبعة دون. ١٤٠٨هـ (عدد الأخرى: ٥).
- ٣٧ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): محمد بن محمد العمادي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٨ - تفسير السمرقندي (بحر العلوم): عمر بن محمد بن أحمد السمرقندي تحقيق د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٩ - تفسير السمعاني: منصور بن محمد بن عبد الحار السمعاني. تحقيق: ناصر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٤٠ - تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور): عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

- ٤١ - تفسير الشعراوي: محمد شوقي الشعراوي. أواخر اليوم، القاهرة.
- ٤٢ - تفسير الشنيطي (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): محمد الأمين بن محمد المطهر الحكيم الشنيطي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٤٣ - تفسير الشوكاني فتح القدير الجامع بين فني الرواية والترجمة في علم التفسير: محمد بن عني بن محمد الشوكاني اعشى به: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٤٤ - تفسير الصنعاني: عبد الرزاق بن عمام الصنعاني. تحقيق: د. مصطفى مسلم مجيد، مكتبة الوشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٤٥ - تفسير الطبري (جامع البيان عن وجوه التأويل في القرآن): محمد بن جرير الطبري دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٤٦ - تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٤٧ - تفسير ابن عطية (المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٨ - تفسير القاسمي (محاسن التأويل). محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٤٩ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق ونشر: د. محمد إبراهيم الحنطاري ود. محمود حمد عسائيل، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٥٠ - تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): إسماعيل بن عمر بن كثير. دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ (عدد الأجزاء: ١).
- ٥١ - تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق: جماعة من الباحثين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (عدد الأجزاء: ٨).
- ٥٢ - تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم): محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- ٥٣ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: أ. د. وهبة الزحيلي. دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٩١هـ.
- ٥٤ - التفسير الموضوعي للآيات القرآنية المتعلقة بالكتب السماوية: د. عبد العزيز التمرد، دار الطاعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.



- ٥٥ - تفسير التنفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): عبد الله بن أحمد بن محمود التنفي دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٥٦ - تفسير الواحدي الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: شعوان عثمان داوودي - دار الندم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٥٧ - التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهدية القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤١٦هـ.
- ٥٨ - التصوير الفني في القرآن: سيد قطب دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٣هـ.
- ٥٩ - تقريب وتهذيب تفسير الطبري: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٦٠ - الثمر الداني من صحيفة الألباني في مسائل القرآن وأحكامه إبراهيم المناوي، القاهرة، الطبعة بدون.
- ٦١ - جمال القراء وكمال الآراء محمد بن علي بن عبد الصمد السجاوي، تحقيق: د. علي حسن الواسع، مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٦٢ - حديث القرآن عن القرآن: محمد بن عبد الرحمن الزاوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٦٣ - جزأ الأمانى ووجه النهانى في القراءات السبع: العاصم بن جبر، بن حلف الشاطبي، دار الكتاب العربي، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
- ٦٤ - حفظ القرآن الكريم محمد بن عبد الله الدويش، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- ٦٥ - حق التلاوة حسني شيخ عثمان، دار المصارة، جدة، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١٨هـ.
- ٦٦ - حق القرآن الكريم على اللسان: يوسف علي بلعوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٦٧ - المحكم والتحاكم في خطابه الوحي: عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٦٨ - خصائص القرآن الكريم: د. محمد بن عبد الرحمن الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ.
- ٦٩ - دراسات في علوم القرآن الكريم: د. محمد الرومي، مكتبة التوفيق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

- ٧٠ - حرسك قرآنية: محمد قطب. دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤١١هـ.
- ٧١ - دعوا إلى تدبر القرآن الكريم: مختار شاکر کمال. دار النهيبر، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٧٢ - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق محمد السيد الجليل، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ٧٣ - رد القراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم: محمد حمزة عبد الله. جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٧٤ - السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي، تحقيق: سوفي شعب، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ٧٥ - طيبة النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن علي ابن الجزري، صفة وراحة محمد نسيم الرضي، دار الهدى - المنية المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- ٧٦ - عظمة القرآن الكريم: محمود بن أحمد الشوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٧٧ - عمدة التفسير من الحافظ ابن كثير اختصار وتحقيق أحمد محمد شاکر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ٧٨ - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أحمد بن يوسف الحلبي (ت ٧٥٦هـ). تحقيق: محمد التوحى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٧٩ - العودة إلى القرآن لحافاً وكيف: محمدي الهلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٨٠ - غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- ٨١ - فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق بن حسن الفوحى، ولطخ حواشي إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٨٢ - فتح الرحمن في بيان هجر القرآن: محمد آل عبد العزيز ومحمود الملاح، دار طبية الحصر، مكة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- ٨٣ - الفتحاح الربانية في الآيات القرآنية: عبد الباقى محمد فادو، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ٨٤ - فضائل القرآن: جمع وترتيب إبراهيم عبد المنعم الشريبي، دار ابن كثير، الزقازيق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

- ٨٥ - فضائل القرآن: أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: معمر الحولي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٥٥هـ.
- ٨٦ - فضائل القرآن: جعفر محمد العرياني، تحقيق وتحرير: د. يوسف عثمان حويل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- ٨٧ - فضائل القرآن: أبو عبد القاسم بن سلام، تحقيق وتحرير: مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٨٨ - فضائل القرآن: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق وتحرير: أبو إسحاق الحويني الأثري، مكتبة ابن نسيب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٨٩ - فضائل القرآن وثلاثه وخمسة وثلاثه وحملت: عبد الرحمن بن أحمد الرازي، تحقيق وتحرير: د. عامر حسن صبري، دار النشر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٩٠ - فضائل القرآن وحملت في السنة المظهرة: محمد موسى نصر، دار البشير، احرب، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- ٩١ - فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة: محمد بن أبوس بن الضريس الحلبي، تحقيق: عروة ندير، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٩٢ - فقه قرامة القرآن الكريم: محمد يوسف، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٩٣ - فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن: د. أحمد سالم ملحم، دار لفانس، حنّاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٩٤ - في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٠٦هـ.
- ٩٥ - قاصدة في فضائل القرآن: ابن بيمية، درامية وتحقيق: د. سليمان بن صالح القرعاوي، مكتبة الظلال، الأحساء، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٩٦ - القرآن الكريم تاريخه وآدابه: إبراهيم علي عمر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٩٧ - القرآن الكريم رؤية تربوية: د. سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ٩٨ - قرآنكم يا مسلمون: إبراهيم بن محمد النضيمي، مطابع الياضية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- ٩٩ - قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله: د. عبد الرحمن من حسن حنكة. دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ١٠٠ - القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- ١٠١ - الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن: محمد بن مصطفى بن شعيب، مكتبة آل باسر، الجزيرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٠٢ - كيف تتوجه إلى المعلوم والقرآن الكريم مصدرها: د. نور الدين عتر، دار الرؤية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٠٣ - كيف تحفظ القرآن الكريم، عبد الرب يواب الدين، مكتبة ابن القيم، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ١٠٤ - كيف نتأدب مع المصحف: محمد رجب فرجاني، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
- ١٠٥ - كيف تدبر القرآن: عواز أحمد زمرلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٠٦ - كيف نتعامل مع القرآن العظيم: د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٠٧ - كيف نحيا بالقرآن: تيبه زكريا عبد ربه، دار الحرمين، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ١٠٨ - مباحث في علوم القرآن: مساع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٤١٨هـ.
- ١٠٩ - الْمُتَحَفُّ فِي أَحْكَامِ الْمُصْحَفِ: د. صالح بن محمد الوشيد، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١١٠ - مختصر تفسير البغوي: د. عبد الله بن أحمد علي الزيد، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١١١ - المدارس والكتائب القرآنية وقفات تربوية وإدارية: سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١١٢ - المدخل للدراسة القرآن الكريم: أ. د. محمد بن محمد أبو شهبة، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١١٣ - مرشد الحيران إلى طرق حفظ القرآن الكريم: أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

- ١١٤ - مرويات دهاء ختم القرآن: د. بكر بن عبد الله أموييد. دار طبعة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ١١٥ - المصاحف: عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.
- ١١٦ - معاني القرآن، يحيى بن زياد العمراء. تحقيق: د. إبراهيم السموقي، مركز الأهرام، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ١١٧ - مع القرآن وحملته في حياة السلف: عبد بن أبي يعقوب الشامي. دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ١١٨ - مفاتيح للتعامل مع القرآن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار الفلم، دمشق، طبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ١١٩ - من أسرار عظمة القرآن: د. سليمان بن محمد الصغير. دار ابن الأثير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٢٠ - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني. المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٢١ - مسجد المقرئين ومرشد الطالبين: محمد بن محمد بن محمد ابن الجوزي. اعنى به: علي بن محمد العمران، عالم الموائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١٢٢ - منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم: د. بدر بن ناصر السنو. دار الهدى، أنسو، المنصورة، الطبعة الأولى، ١١٢٤هـ.
- ١٢٣ - مهارات التنوير في الحلقات القرآنية: د. علي بن إبراهيم الزهراني. دار ابن عفا، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١٢٤ - نحو أدلة متميز لحلقات تحفيظ القرآن الكريم: سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي. مطابع أضواء البيان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ١٢٥ - النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن علي ابن الحرزي. تحقيق: علي الصباغ، دار الكتب العربي، بيروت. الطبعة بدون.
- ١٢٦ - النصيحة لكتاب الله: د. حافظ بن محمد الحكمي. دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٢٧ - نظم الدرر في تناسب الآي والسور: إبراهيم بن عمر القاهي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ١٢٨ - نطق المصاحف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني. تحقيق: د. عزاء حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

- ١٢٩ - هذا القرآن في مائة حديث نبوي د. محمد زكري محمد حضم الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- ١٣٠ - ودغل القرآن ترتيباً: د. أسد أحمد كروان مؤسسة الطاعة والنصح والنشر، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ.
- ١٣١ - بطنهم الكتاب، للتعامل مع القران الكريم: محمد حبر الشغال - غاز أوفان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ثانياً، كتب الحديث وعلومه:
- ١٣٢ - الإحسان في تفرغ صحيح ابن حبان: محمد بن حبان السني، بترتيب علاء الدين علي بن بليار الفارسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، تحقيق: شعيب الأرابوطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ١٣٣ - أحكام الحناظر ويدهها: محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ.
- ١٣٤ - الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ.
- ١٣٥ - الأفكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار - يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ١٣٦ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني - المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- ١٣٧ - بلوغ المرام من أدلة الأحكام أحمد بن علي بن حجر المسفلاتي تحقيق وتخرير: صبير بن أمين الزهيرى، مكتبة الدليل - الجيل الصاعدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ١٣٨ - التاريخ الصغير (الأوسط): محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعى، مكتبة دار التراث، حلب، القاهرة - الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ.
- ١٣٩ - تحفة الأحود بشرح جامع الترمذي: محمد بن عبد الرحمن اندثار كقروي دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢١ هـ.
- ١٤٠ - الترهيب والترهيب من الحديث الشريف - عبد العظيم بن عبد القوي المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.
- ١٤١ - تعليق للتعليق على صحيح البخاري أحمد بن حجر العسقلاني تحقيق: سعيد عبد الرحمن المغربي، المكتبة الإسلامية، بيروت، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.



- ١٤٢ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - يوسف بن عبد الله بن عبد الله بن حنبل - تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير اليكري، وزارة علوم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٦هـ.
- ١٤٣ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: علي بن محمد الكناسي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله الضعاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ١٤٤ - توير الحوالتك شرح موطأ الإمام مالك: عبد الرحمن بن أبي بكر السوطي، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٨٩هـ.
- ١٤٥ - التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ١٤٦ - جامع الأصول في أحاديث الرسول المبارك بن محمد بن الأثير الجوزي، تحقيق وتحرير: عبد القادر الأربازوط، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٧ - جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عوف بن علي بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٤٨ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٩ - حاشية السندي على سنن النسائي، أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي (مطبوع مع سنن النسائي)، مصر، عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ١٥٠ - خلق أعمال العباد: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض، ١٣٩٨هـ.
- ١٥١ - الرحلة في طلب الحديث: أحمد بن علي أبو بكر البغدادي، تحقيق: نور الدين عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.
- ١٥٢ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.
- ١٥٣ - الزهد: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: محمد سعيد صويبي، دار الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ١٥٤ - الزهد: عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأحمص، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٥٥ - سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، عدة طبعات مختلفة التاريخ.

- ١٥٦ - سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ
- ١٥٧ - سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق وتحرير مجموعة من الباحثين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ
- ١٥٨ - سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ
- ١٥٩ - سنن سعيد بن منصور: سعيد بن منصور، تحقيق: د. سعد بن عبد الله آل حديد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ
- ١٦٠ - السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، مكتبة دار الندوة، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ
- ١٦١ - السنن الكبرى: أحمد بن شعيب السالمي، تحقيق د. عبد العطار السدادي، وسيد كسروي حسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ
- ١٦٢ - سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القرويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ
- ١٦٣ - شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شبيب الأرنؤوط ومحمد بهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ
- ١٦٤ - شرح السندي على سنن ابن ماجه: أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي، تحقيق: خليل مأمون شبيخ، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ
- ١٦٥ - صحيح الأدب المفرد للبخاري: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ
- ١٦٦ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد علي القطب، مكتبة الميكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ
- ١٦٧ - صحيح الترمذي والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ
- ١٦٨ - صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ
- ١٦٩ - صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد السني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ
- ١٧٠ - صحيح ابن عزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي البياضوري، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ

- ١٦١ - صحيح سنن الترمذي باختصار السنه محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ١٦٢ - صحيح سنن أبي داود باختصار السنه: محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١١٠٩هـ.
- ١٦٣ - صحيح سنن ابن ماجه باختصار السنه محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ١٦٤ - صحيح سنن النسائي باختصار السنه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ١٦٥ - صحيح مسلم مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ١٦٦ - صحيح مسلم بشرح النووي يحيى بن شرف النووي تحقيق حليل حأمول شحار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.
- ١٦٧ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- ١٦٨ - الملل المتناهية في الأحاديث الواهية عبد الرحمن بن الحوزي تحقيق إرشاد عبد الحق الأتري، دار العلوم الأزنية، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ١٦٩ - صفة القاري شرح صحيح البخاري محمود بن أحمد العيني دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٧٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود محمد شمس الحق العظيم آبادي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- ١٧١ - قريب الحديث: القاسم بن سلام أبو عبيد النهدي تحقيق محمد عبد المعيد حار، دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- ١٧٢ - الفناوي الحديثية: أحمد بن حجر الهيتمي مكتبة مطبعة مصطفى الناني الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١١٠٩هـ.
- ١٧٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة دار الفرجاء، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١٧٤ - الفتح الرباني ترتيب مستد الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لمع مختصر شرحه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني (تأليف أحمد عبد الرحمن النسي)، دار الشهاب، القاهرة، بدون تاريخ.
- ١٧٥ - فتح المغيب شرح ألفه الحديث: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

- ١٨٦ - فضل الله الضمّد في توضيح الأدب المفرد للبحاري: فصل الله أحمد الجلاي  
تحقيق: يوسف بن أحمد اليكري، دار الجمالي، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٨٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف السناري - تحقيق: حمدي  
الدمرداش محمد، مكتبة دار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى،  
١٤١٨هـ.
- ١٨٨ - كتاب الجهاد عبد الله بن المبارك، تحقيق: نزيه حماد، المؤسسة للنشر  
لونس، ١٩٧٦م.
- ١٨٩ - كشف الحفا ومرسل الألباس عما استتهر من الأحاديث على السنة الناس:  
إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد الفلاش، مؤسسة الرسالة،  
بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.
- ١٩٠ - كشف المشكل من حديث الصحاحين: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي  
تحقيق: علي بن حسين التراب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ١٩١ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عني المتقي بن حنبل الملقب بالهندي  
تحقيق: مكري حياي وصفوت انشاء مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة  
الخامسة، ١٤٠٥هـ.
- ١٩٢ - لطف الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية  
الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
- ١٩٣ - المحروحين، محمد بن حسان السني، تحقيق: محمود إبراهيم، دار  
الوعي، حلب.
- ١٩٤ - مجمع البحرين في روائد المعجمين: علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق  
عبد القلوس محمد بدير، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٤م.
- ١٩٥ - مجمع الزوائد ومنع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي،  
بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- ١٩٦ - مختصر قيام الليل: محمد بن نصر المروزي، اختصار: أحمد بن علي  
المطريزي، (ت: ٨٤٥هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ١٩٧ - المدخل إلى كتاب الإكليل: محمد بن عبد الله الحكيم، تحقيق: داود  
عبد السمح أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية.
- ١٩٨ - المراسيل: أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: سعيد الأرنؤوط، مؤسسة  
الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١٩٩ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان الفاري، تحقيق: جمال  
عياشي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- ٢٠٠ - المستشرق علي الصحيحين محمد بن عبد الله الجابقم، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ.
- ٢٠١ - مستد الإمام أحمد بن حنبل - أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٠٢ - مستد الإمام أحمد بن حنبل (الموسوعة الحديثية): تحقيق وتخريج: جماعة من الباحثين، بإشراف شعب الأونروپ، مؤسسة الرسالة، بيروت، للطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٢٠٣ - مستد اليزاز (البحر الزخوار): أحمد بن عمرو بن عبد الخالق الزباز، تحقيق: د. محفوظ الرحمن بنين الله، مكتبة العلوم والحكم، المطبوعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٠٤ - مستد الشاميين: سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٢٠٥ - مستد الثبهاني: محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ٢٠٦ - مستد الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، دائرة المعارف النظامية، انهاء الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- ٢٠٧ - مستد أبي يعلى: أحمد بن علي بن المشي أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين منيب أحمد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٢٠٨ - مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله السريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٠٩ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: أحمد بن أبي بكر الكساني، تحقيق: محمد المنتقى الكشاوي، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٢١٠ - مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الزهد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢١١ - المطالب العلية بروائد المسانيد الثمانية: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. سعد بن ناصر الشنري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢١٢ - مصنف عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حميد الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٢١٣ - معالم السنن: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: أحمد معظمه شاکر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

- ٢١٤ - معجم الطبراني الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق - طارو بن موسى الله وعد المنصور الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١١١٥هـ.
- ٢١٥ - معجم الطبراني الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حنفي عبد الحميد السلفي، مكتة المنوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١١٠٤هـ.
- ٢١٦ - التعلیم بوائک صحیح سلم محمد بن عقی الحازری تحقیق محمد الشاذلی السیر، دار العرب الإسلامی، بیروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
- ٢١٧ - موسوعة الحفاظ ابن حجر العسقلاني الحديثية: مجموعة من الباحثين، مجلة المحكمة، المنية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٢١٨ - نوافذ الأصول في أحاديث الرسول: محمد بن علي أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق عبد الرحمن صيرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

ثالثاً: كتب العقيدة وما يتبعها،

- ٢١٩ - الإبانة عن شريعة المرفة الناجية ومجانة الفرق المضمومة: ابن نطة الحلي، تحقيق رضا بن نسان معطي، دار الراء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٢٠ - اجتماع الحيوان الإسلامية على فرو الممثلة والجهية: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٢٢١ - الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: د صالح بن عوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ٢٢٢ - أعلام النبوة: علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٢٣ - الإيمان لركانه حقيقته بواقفه: د محمد عيم ياسين، مكتة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٢٢٤ - الإيمان بالكتب محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢٢٥ - الباية عرض ونقد: إحسان إلهي ظهير، مكتة بيت السلام، الرياض، ٢٠٠٦م.
- ٢٢٦ - البهائية نقد وتحليل: إحسان إلهي ظهير، مكتة بيت السلام، الرياض، ٢٠٠٢م.
- ٢٢٧ - التصوف العتناً والمصادر: إحسان إلهي ظهير، مكتة بيت السلام، الرياض، ٢٠٠٢م.
- ٢٢٨ - تهليل رسالة الدر الرشيد في الألفاظ المكتمرات محمد بن إسماعيل الرشيد، مؤسسة مابر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢٢٩ - التجانية: علي بن محمد المخيل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.



- ٢٣٠ - الجواب الصحيح لمن بلد دين المسيح: أحمد عبد الحلیم ابن نیمیة - تحقيق: مني سيد المدني، مطبعة المدني، مصر.
- ٢٣١ - الحجّة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم الأصبهاني - تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، محمد أبو رحيم - دار الرياء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢٣٢ - الحركات الباطنية: د. محمد بن أحمد الخطيب - دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٩م.
- ٢٣٣ - حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة مومنان الدهر ابن فدامة - تحقيق: عبد الله الخديع، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٣٤ - الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار طية - الرياض، انطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٢٣٥ - الدرا ليعا بحب اعتقاده علي بن أحمد بن حرم الظاهري تحقيق أحمد الحمد وسعيد الغزقي، مكتبة التراث، مكة المكرمة - الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٣٦ - الرسالة الواقية لعنقب أهل السنة في الاعتقادات وأصول القيانات: أبو عمرو الثمالي - تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن الجوزي، الدمام - الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٣٧ - ركاز الإيمان محمد قطب - دار إنيشيا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٣٨ - الزواجر عن الفتراف الكبائر: أحمد بن محمد الهنمي - دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢٣٩ - شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - تحقيق: أبي هاجر رطلول - دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٢٤٠ - شفاء العليل في مسائل القضاء والحكمة والتعليل: ابن قيم الحويرية - تحقيق: محمد بدر المنير أبو فراس العسائي - دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٢٤١ - الشيعة والسنة إيمان إلهي طهير إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الثالثة، ١١٠٥هـ.
- ٢٤٢ - الضارم المسلول علي شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية - تحقيق: محمد الحلواني ومحمد كبير شودي - دار ابن حرم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٤٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن حرم الظاهري - تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، مكتبات حكاية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- ٢٤٤ - كشف أسرار الباطنية: أبو الفضائل الحماوي البجلي. دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٢ م.
- ٢٤٥ - مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم: اختصره: محمد بن السوملي، دار  
انتوبة الجديدة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٤٦ - مسألة التفريب بين أهل السنة والشيعة: د. ناصر بن عبد الله الفغدي، دار  
طية - الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ.
- ٢٤٧ - العطل والنحل: محمد بن عبد انكريم اشهرميناتي، تحقيق: محمد سيد  
الكياشي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٤٨ - النهج الأسمر في شرح أسماء الله الحسنى: محمد بن حميد النجومي، مكتبة  
الإمام النعماني، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٢٤٩ - بواقض الإيمان القولية والعملية: د. عبد العزيز بن محمد العيد اللطيف، دار  
الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.
- ٢٥٠ - هذه هي الصوفية: عبد الرحيم الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة  
الرابعة، ١٩٨٤ م.

## وأجاء: كتب الفقه وأصوله:

- ٢٥١ - الأحكام في أصول الأحكام: علي بن حزم الأندلسي، دار الحديث، القاهرة،  
الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٥٢ - الأحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الأمدي المحقق الإسلامي،  
بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٥٣ - الاختيارات الفقهية: أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، ونها على الأوثان، علي  
ابن محمد العلي، مكتبة الرياض الحبية، الرياض.
- ٢٥٤ - الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: يوسف بن عبد الله بن عبد البر  
القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي مومني، دار الكتب العلمية،  
بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ٢٥٥ - أصول الفقه الإسلامي: د. وهبة بن مصطفى الرحيبي، دار الفكر، دمشق،  
الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٥٦ - إجابة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: أبو بكر بن محمد اندلسي السيد  
الكري، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- ٢٥٧ - الإقناع: موسى الحماوي المقدسي، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٥٨ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على طهها الإمام أحمد بن حنبل  
علي بن سليمان المرزوقي، تحقيق: محمد حامد شعبي، دار إحياء التراث  
العربي، بيروت.

- ٢٥٩ - البحر الرائق في شرح كثر الشفايق: زين العابدين بن إبراهيم المعروف - اس  
 نجيب الحمري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- ٢٦٠ - البحر المحیط في أصول الفقه: محمد بن سفيان بن عبد الله القزويني، تحقيق  
 د. محمد محمد نامر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٢٦١ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاشغري، دار الكتاب العربي،  
 بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- ٢٦٢ - بداية السجدة ولهاية المنتصد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار  
 المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ.
- ٢٦٣ - بلغة السالك لأقرب المسالك: أحمد بن محمد الصاوي، دار المعرفة، بيروت،  
 ١٣٩٨هـ.
- ٢٦٤ - تحفة الفقهاء: علاء الدين السمرقندي، (ت: ٥٣٩هـ) دار الكتب العلمية،  
 بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٢٦٥ - تحفة المحتاج بشرح المنهاج: أحمد بن محمد بن حمر الهيثمي، دار الفكر،  
 بيروت، الطبعة الأولى.
- ٢٦٦ - تعظيم قدر الصلاة: محمد بن نصر المزوري، تحقيق د. عبد الرحمن  
 الفيرواني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٢٦٧ - حاشية السوفا على الشرح الكبير: محمد عرفة أندلسي، تحقيق محمد  
 عيسى، دار الفكر، بيروت.
- ٢٦٨ - حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم  
 النجدتي، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.
- ٢٦٩ - حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار): محمد أمين الشهير، ابن  
 عابدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.
- ٢٧٠ - حاشية القليوبي على منهاج الطالبين: أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، دار  
 الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة.
- ٢٧١ - حواشي التحفة: حاشية عبد الحميد الشرواني، وحاشية أحمد بن قاسم العبادي  
 بهامش تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٢٧٢ - خصائص الشريعة الإسلامية: د. محمود بن سليمان الأنظر، مكتبة اذلاح،  
 الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٢٧٣ - الدر المختار شرح توفير الأضواء: محمد علاء الدين المحصيني، مكتبة الحلبي،  
 القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.

- ٢٧١ - دليل الطالب على مذهب الإمام المجلل أحمد بن حنبل - سرعي بن يوسف الحلبي - المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ.
- ٢٧٥ - روضة الطالبين وصحة العفتين: يحيى بن شرف النووي - المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ٢٧٦ - شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان: ملا علي قاري - دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٢٧٧ - الفتاوى الرززية - محمد بن محمد بن شهاب المعروف بـ «ابن البرزاز» مطبوع بهامش الجزء الرابع والخامس والسادس من الفتاوى الهندية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
- ٢٧٨ - فتاوى ابن رشد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي - جمع وتحقيق د. المحاضر التليبي - دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٢٧٩ - الفتاوى الفقهية الكبرى: أحمد بن حجر الهيتمي - مؤسسة التراث العربي، بيروت.
- ٢٨٠ - فتاوى قاضي خان: حسن الأوز حنفي (ت: ٥٩٢هـ) مطبوع بهامش الجزء الأول والثاني والثالث من الفتاوى الهندية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- ٢٨١ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش - دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٢٨٢ - الفتاوى الهندية في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان - الشرح نظام وجماعة من علماء الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
- ٢٨٣ - فتح الجواد بشرح الإرشاد: أحمد بن حجر الهيتمي - طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.
- ٢٨٤ - الفروع: محمد بن مفلح المقدسي - تحقيق: حازم القاضي - دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢٨٥ - الفقيه والمتفقه: أحمد بن عني الخطيب الخدادي - تحقيق: عادل بن يوسف الحراري - دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- ٢٩٦ - العواكف الدوناني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني - أحمد بن عيسى السراوي المالكي - دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٢٨٧ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عبد العزيز بن عبد السلام السلمي - العرب من عبد السلام - تحقيق: هبة عبد الرؤوف سعد، أم القرى للطباعة والنشر - بدون تاريخ

- ٢٨٨ - الكافي، عبد الله بن قدامة الطنيسي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.
- ٢٨٩ - الكافي في لغة أهل المدينة يوسف بن عبد الله بن عبد البر تحقيق: محمد محمد أحمد وند قاديث الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- ٢٩٠ - كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الجدي، مكتبة ابن تيمية، الرياض، الطبعة الثانية.
- ٢٩١ - كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس النهوني، تحقيق هلال مسلمي مصطفى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٢٩٢ - المبسوط: محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ.
- ٢٩٣ - مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الله بن محمد بن سليمان المعروف بـ «دأمداد أسدي»، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٩٤ - المجموع شرح المهلك للفشيرازي يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد المطيع، مكتبة الإرشاد، جدة.
- ٢٩٥ - المحلى بالآثار: علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، دار الأفاق الحديثة، بيروت.
- ٢٩٦ - المختار: عبد الله بن محمد بن مؤدود الموصلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ.
- ٢٩٧ - مختصر اختلاف العلماء: أحمد بن محمد الطحاوي المعروف بـ «الخصاص»، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٢٩٨ - مختصر الفتاوى المصرية، لابن تيمية، اختصار محمد بن علي البعلبي، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، دار شر الكتب الإسلامية، باكستان.
- ٢٩٩ - المدونة الكبرى: الإمام مالك بن أنس، رواية محمود السرخسي، دار صادر، بيروت.
- ٣٠٠ - مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات ابن حزم الظاهري، تحقيق: حسر أحمد يسر، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٣٠١ - المستطفي من علم الأصول، محمد بن محمد العرالي، شركة المدينة المنورة، جدة، الطبعة الأولى.
- ٣٠٦ - مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: مصطفى السبوطي الريحاني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.

- ٣٠٣ - المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب: أحمد بن يحيى النشريسي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب، ١٤٠١هـ.
- ٣٠٤ - مفني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام: يوسف بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، دار أضواء المليف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- ٣٠٥ - المفني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٣٠٦ - مفني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٠٧ - منتهى الإيرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات: محمد بن أحمد الفتحوي، الشهير بـ «ابن النجار»، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، عالم الكتب.
- ٣٠٨ - المهذب في فقه الإمام الشافعي: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٠٩ - الموافقات في أصول الشريعة: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عوف، الخيرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- ٣١٠ - الموسوعة الفقهية: مجموعة من الباحثين بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، مطابع دار الصفوة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٣١١ - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: محمد بن أحمد الرملي، الشهير بـ «الشافعي الصغير»، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ٣١٢ - الهداية شرح بداية المبتدي: علي بن أبي بكر المرغيناني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.

## خامساً: المعاجم والموسوعات ونحوها:

- ٣١٣ - أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ٣١٤ - تلح العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ٣١٥ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة.
- ٣١٦ - التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.



- ٣١٧ - التوقيف على مهجات التعاريف: عبد الرؤوف بن علي الشناوي. تحفة  
عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى،  
١٩٩٨م.
- ٣١٨ - الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية: سليم بن عبد الهلالي. دار ابن  
الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ٣١٩ - الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: د. حسين محمد فهمي الشافعي، دار  
السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٣٢٠ - القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الخيري زبادي. مؤسسة الرسالة، سوريا،  
الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
- ٣٢١ - لسان العرب: محمد مكرم بن منظور. دار صادر ودار بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ.
- ٣٢٢ - مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد الرزاق الأزري. المكتبة العصرية،  
بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- ٣٢٣ - المعصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي المقرئ. المكتبة العصرية، بيروت،  
الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- ٣٢٤ - معجم الأديب: باقر بن عبد الله الحموي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة  
الأولى، ١٤١١هـ.
- ٣٢٥ - معجم البلدان: باقر بن عبد الله العموي. دار إحياء التراث العربي، بيروت،  
الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٣٢٦ - معجم للشعراء: عبد الستار أحمد فراج المرزباني، دار إحياء الكتب العربية،  
١٩٦٠م.
- ٣٢٧ - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. دار الكتب العلمية،  
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٣٢٨ - معجم الغني اللغوية: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة، الرياض،  
الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
- ٣٢٩ - المعجم الموضوعي لأيات القرآن الكريم: صبحي عبد الرؤوف هضر. دار  
الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٣٣٠ - المعجم الوسيط: جماعة من الباحثين. المكتبة الإسلامية، بركة، أسفند  
مجتمع اللغة العربية بمصر.
- ٣٣١ - المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني  
لحقيق ونسط محمد خليل عتالي. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى،  
١٤١٨هـ.

- ٣٣٢ - موسوعة نظرة التميم - مجموعة من المختصين دار الوسيلة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.
- ٣٣٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الخزازي، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة بدون.
- سادساً، كتب التاريخ والتراجم والسير والرجال،
- ٣٣٤ - إتمام الأعلام: « نزار أباطة ومحمد رياض المالح دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٦٤ هـ.
- ٣٣٥ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب: ابن عبد البر القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة بدون.
- ٣٣٦ - الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد الجذري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٣٣٧ - الأعلام: غير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢ م.
- ٣٣٨ - الأنساب: عبد الكريم بن محمد اسمعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٣٣٩ - البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٣٤٠ - الدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ٣٤١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: « عمر عبد السلام نعمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٤٢ - تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٤٣ - تاريخ اللغات أحمد بن عبد الله المعلى، تحقيق: « عبد المعطي فلمعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٤٤ - التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هشام الندي، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.
- ٣٤٥ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي، تحقيق: عمر بن عزمه العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.

- ٣٤٦ - تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي عن مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.
- ٣٤٧ - تقريب التهذيب: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٣٤٨ - تهذيب الأسماء واللغات: يحيى بن شرف النووي، إدارة المطبعة المنيرية، بيروت.
- ٣٤٩ - تهذيب التهذيب: أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٣٥٠ - تهذيب الكمال يوسف بن الزكي أبو الحجاج المزني تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- ٣٥١ - الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي، تحقيق: شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.
- ٣٥٢ - الحرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ.
- ٣٥٣ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خان، كراتشي.
- ٣٥٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الريان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ.
- ٣٥٥ - الخصائص الكبرى: جلال الدين عبد الرحمن أبو الفضل السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٣٥٦ - الدور الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.
- ٣٥٧ - دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد الفضل النيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٣٥٨ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين علي البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٣٥٩ - الذبيح المنقّب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٦٠ - ذيل التقييد في رواة السنن والمسائيد: محمد بن أحمد أبو الطيب الغامبي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- ٣٦١ - قبل طبقات العنابلة: عبد الرحمن بن شهاب الدين المعروف به ابن وحب الحلي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٦٢ - الرياض النضرة في مناقب العشرة: محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، الطعة الأولى.
- ٣٦٣ - سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.
- ٣٦٤ - سير ابن إسحاق المبتدأ والمبعث والمغازي: محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حيد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.
- ٣٦٥ - السيرة النبوية: إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، صفة دار المعرفة، بيروت.
- ٣٦٦ - السيرة النبوية: عبد المنك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٣٦٧ - شذرات الذهب: عبد الحميد بن العماد الحلي، صفة المكتبة التجارية الكبرى، بيروت.
- ٣٦٨ - الشفا بصرى: حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى الحنطلي، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٦٩ - صفة الصفوة: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٣٧٠ - طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ٣٧١ - طبقات العنابلة: محمد بن أبي يعقوب، أبو الحسين، تحقيق: محمد حامد العلي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٧٢ - طبقات الشافعية الكبرى: أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلوم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطعة الأولى، ١٣٨٣هـ.
- ٣٧٣ - الطبقات الكبرى (الابن سعد): محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ.
- ٣٧٤ - طبقات المفسرين: محمد بن علي النواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٣٧٥ - العبر في خبر من لغيره: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المسجد، مطبعة حكومة الكويت، الطعة الثانية، ١٩٨٤م.
- ٣٧٦ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تحقيق: أبو الغداء الكافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- ٣٧٧ - الكامل في صفاء الرجال - عبد الله بن علي المجرحاني - تحقيق: يحيى مختار عروبي - دار الفكر، بيروت - الطبعة الثالثة، ١١٠٩هـ
- ٣٧٨ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني - دار الكتب العلمية، بيروت، ١١١٣هـ
- ٣٧٩ - اللباب في تهذيب الأنساب - عز الدين بن الأثير الجزري - مكتبة المتنبي، بغداد
- ٣٨٠ - معجم المؤلفين - عمر رضا كخالة - مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ
- ٣٨١ - معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم - أحمد بن عبد الله الصقلي - تحقيق: عبد العليم السوي - مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١١٠٥هـ
- ٣٨٢ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأصناف: محمد بن أحمد اللغمي - تحقيق: شعيب الأرياءوط وصالح عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١١٠٤هـ
- ٣٨٣ - الموسوعة المبررة في تراجم أئمة النظر والإقراء والنحو واللغة - مجموعة من الباحثين - مجنة المحكمة، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ
- ٣٨٤ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد اللغمي - تحقيق: علي محمد الجاوي - دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ
- ٣٨٥ - الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - تحقيق: أحمد الأرياءوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ
- ٣٨٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن حنكاه - تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ
- سائعا، كتب متنوعة:
- ٣٨٧ - آداب المشي إلى الصلاة - محمد بن عبد الوهاب - مكتبة المعارف، الرياض
- ٣٨٨ - آداب المعلمين والمتعلمين: محمد بن عبد السلام بن سعيد بن سحنون - دار المعارف، القاهرة
- ٣٨٩ - أباطيل وأسعار - محمود شاكر - القاهرة، مطبعة المدني، الطبعة الثانية
- ٣٩٠ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد محمد حسين المطبعة النموذجية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ
- ٣٩١ - إنحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (للغزالي): محمد بن عبد الزراق الريدي - دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، بدون

- ٣٩٢ - أحكام إسلامية إداة للقوانين الوضعية: المستشار محمد عبد الحميد عراب دار الاعتصام، القاهرة.
- ٣٩٣ - إحياء علوم الدين: محمد بن محمد أبو طاهر الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٩٤ - أدب الدنيا والدين: علي بن محمد العنبري (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق ياسين محمد الشواس، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٦٥هـ.
- ٣٩٥ - أدب الطلب ومنهجه الأصب: محمد بن علي بن محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ٣٩٦ - الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٧٤م.
- ٣٩٧ - أعلام الموقعين من رب العالمين: محمد ابن فهم الجوزية، رثه وخطه محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٣٩٨ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد ابن فهم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ٣٩٩ - اقتضاء العلم العمل: أحمد بن علي بن ثابت المعروف، (الخطيب البغدادي)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ.
- ٤٠٠ - أيها الولد المحب: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي مؤسسه الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ٤٠١ - البحث العلمي: د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيع، بدون ذكر لدار النشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٤٠٢ - تبصرة الحكام في أصول الأنظمة ومنهج الأحكام: إبراهيم بن علي بن فرحون الفالكي، تحقيق: جمال مرعشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٤٠٣ - تحكيم القوانين: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.
- ٤٠٤ - تذكرة السامع والمتكلم في أداب العالم: محمد بن إبراهيم بن جماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة بدون.
- ٤٠٥ - تصحيح الدعاء: د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٤٠٦ - تلبس إبليس: أبو المرح عبد الرحمن بن الجوزي، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.



- ٢٠٧ - جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد البر القرطبي. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ٢٠٨ - جلوس الهلام: عبد الله النجدي، المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨.
- ٢٠٩ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: محمد ابن قيم الجوزية. تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢١٠ - الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية: محمد مهدي عبد الوهاب، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٢١١ - الحوادث والبدع: أبو بكر محمد الطُّرطُوسي. غنى به: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢١٢ - المختصر المسموم الذي طعن به المسلمون: أبو الحسن علي بن أحمد، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٢١٣ - الرسالة الفشيرية في علم التصوف: عبد الكريم بن هوارث الفشيري. تحقيق: معروف مصطفى ربيع، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- ٢١٤ - زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد ابن قيم الجوزية. تحقيق: شبيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤١٠هـ.
- ٢١٥ - السنن والعيتهات المتعلقة بالأذكار والصلوات: محمد بن عبد السلام الشفيري. تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، الطبعة الأولى.
- ٢١٦ - ضوابط المعرفة والاستدلال والمنظرة: عبد الرحمن بن حنيفة العبداني، دار العلم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.
- ٢١٧ - علو الهمة: محمد أحمد إسماعيل المقدم، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢١٨ - عودة الحجاب: محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، الرياض، الطبعة التاسعة، ١٤٢٥هـ.
- ٢١٩ - الفصحى لغة القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد، دار الكتاب العلمي، بيروت.
- ٢٢٠ - القوائد: محمد ابن قيم الجوزية. تحقيق والمطبع: بشير محمد عبود، مكتبة دار لبياب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٢٢١ - قادة الغرب يملكون دُمرُوا الإسلام أبيضو أهله: حلال العالم، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
- ٢٢٢ - القصص والمذكرين: أبو العرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق: د. محمد نظمي الصاع، المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

- ٤٢٣ - القومية والغزو الفكري. محمد جلال كشك، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.
- ٤٢٤ - كتاب الآداب. فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، دار الفاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٤٢٥ - كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء: محمد ابن قيم الجوزية، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٤٢٦ - كلمة الحق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٤٢٧ - لفة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها: د. إبراهيم بن محمد أبو حياء، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٢٨ - المجالس وجواهر العلم. أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٤٢٩ - مختصر منهاج القاصدين: أحمد بن محمد المقدسي، تحقيق رهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٩هـ.
- ٤٣٠ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
- ٤٣١ - المدخل إلى تنمية الأعمال بحسين النيات: محمد بن محمد بن محمد المالكي المعروف بـ «ابن الحاج»، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- ٤٣٢ - المرأة ومكانتها في الإسلام: أحمد عبد العزيز الحصري، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ٤٣٣ - المسؤولية: د. محمد أمين المصري (ت: ١٣٩٧هـ). دار الأرقم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ٤٣٤ - مفتاح دار السعادة: محمد ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٣٥ - من الفصحى النبوي: محمد صالح المنجد، دار المنجد للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٤٣٦ - نشر طي التعريف في فضل حملة المعلم الشريف: جمال الدين محمد أنجيشي، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

- ثامناً: بحوث في القرآن:
- ٤٣٧ - أثر سماع القرآن الكريم على مستوى الأمن النفسي: عندليب بنت أحمد عبد الله. (رسالة ماجستير) «تخصص علم النفس التربوي»، جامعة اليرموك، الأردن.
- ٤٣٨ - الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم: د. محمد عطا أحمد يوسف. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، (عدد: ٣٦)، (شعبان ١٤١٩هـ).
- ٤٣٩ - تحزيب القرآن: محمد بن عبد الله الدويش. مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (عدد: ٤٢)، (صفر ١٤١٢هـ).
- ٤٤٠ - تدبر القرآن لماذا وكيف: إبراهيم بن عبد الرحمن التركي. مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (عدد: ١٤٤)، (شعبان ١٤٢٠هـ).
- ٤٤١ - تيسير القرآن بلسان سيدنا محمد ﷺ: د. عبدو بن علي الحاج. مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، (عدد: ١٥)، (رمضان ١٤٢٤هـ).
- ٤٤٢ - المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم: د. حازم سعيد حيدر. بحث مقلّم ل «ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه»، المدينة المنورة، ٣، ٦/٧/١٤٢١هـ.
- ٤٤٣ - من فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، (عدد: ٥١)، (ربيع أول ١٤١٨هـ).
- ٤٤٤ - نحو منهجية علمية في حفظ القرآن الكريم: فيصل بن علي البعداني. مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (عدد: ٣٧)، (رمضان ١٤١٤هـ).





## رابع عشر: المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٥
* أهمية الموضوع	٥
* أسباب اختيار الموضوع	٧
* خطة البحث	٨
* منهج البحث	١١
* شكر وتقدير	١٢
<b>الباب الأول: معنى (الهجر) وذمُّه فأعليه</b>	
الفصل الأول: معنى (هجر القرآن)	١٧
المبحث الأول: تعريف «الهجر» لغة	١٨
* خلاصة القول في معاني الهجر ومشتقاته	٢٠
المبحث الثاني: ما جاء في الآيات من ألفاظ الهجر	٢٢
١ - الترك والإعراض	٢٢
٢ - الإفحاش في القول	٢٢
٣ - الانتقال من بلد إلى بلد لأجل الدين	٢٣
٤ - هجر الزوجة في الفراش	٢٥
٥ - الانفراد والعزلة والابتعاد	٢٥
المبحث الثالث: ما جاء في الأحاديث من ألفاظ الهجر	٢٧
١ - التهاجر بين المسلمين	٢٧
٢ - الهجرة لأجل الدين	٢٧
٣ - ترك ما نهى الله عنه	٢٨
٤ - القول الباطل	٢٩
٥ - ترك فراش الزوج	٣٠
٦ - ترك اسم الحبيب	٣١

الصفحة	الموضوع
٢٦	المبحث الرابع: المفصولة (عجز القرآن)
٢٥	المبحث الخامس: حكم عجز القرآن
٢٩	الفصل الثاني: مُمّ عجز القرآن
٤٦	المبحث الأول: الآيات الدالة على مُمّ عجز القرآن
٤٢	• تمهيد
٤٣	المطلب الأول: الشكوى العظيمة
٤٤	• اختلاف المفسرين في معنى أفعاد القرآن مهجوراً
٤٤	١. الشك ككثراً
٤٤	٢. الإعراض والعد عن القرآن وعدم سماعه
٤٤	٣. القول السني في القرآن
٤٥	٤. الهديار وفحتر الخول
٤٥	• شبهة وردّها
٤٦	المطلب الثاني: الشفّ العاشر
٤٨	• معنى (الشّار)
٤٩	المطلب الثالث: الإعراض عن القرآن
٤٩	• المراد بالذّكر
٥٠	• المراد بالمحيطة الفسك
٥٢	• المراد بالحنين
٥٥	المطلب الرابع: الظنم الأعظم
٥٤	• المراد بالآيات
٥٦	• شبهة وردّها
٥٧	المطلب الخامس: الوجه العايش
٥٧	• المراد بالآيات
٥٧	• المراد بالمشكر
٥٨	• المراد بالنظور
٥٩	• جزاء مُمّ عجز القرآن
٦٠	المطلب السادس: الاستكبار عن القرآن
٦١	المطلب السابع: اللغو الناطل
٦١	• المراد بعدم سماع القرآن



الموضوع

الصفحة

- ١١ ..... \* المراد بالتقوى في القرآن .....
- ١٢ ..... \* أسلوب خبير .....
- ١٣ ..... \* موقف المؤمن .....
- ١٤ ..... \* المطلب الثامن: التفسير الحائر .....
- ١٣ ..... \* لمراد بانطusias .....
- ١٥ ..... \* المراد ببعض .....
- ١٤ ..... \* البحث الثاني: الأهمية الثالثة على فم هجر القرآن .....
- ٧٠ ..... \* من صور هجر القرآن .....
- ٧١ ..... \* المطلب الأول: تعميل أحر القرآن .....
- ٧٢ ..... \* المطلب الثاني: عدم الانتفاع بقراءة القرآن .....
- ٧٣ ..... \* المطلب الثالث: القرآن بين الجدل فيه والجدل عنه .....
- ٤٦ ..... \* معنى (البراء) .....
- ٨٠ ..... \* ما يعني عند الاختلاف .....
- ٨٠ ..... \* الوقاية من الجدل والبراء .....
- ٨٤ ..... \* المطلب الرابع: أتباع المشابه ونوك المحكم .....
- ٨٣ ..... \* اختلاف المفسرين والأصوليين في معنى المحكم والمشابه .....
- ٨٥ ..... \* المطلب الخامس: ترك لقراءة القرآن في البيوت .....
- ٨٦ ..... \* المطلب السادس: أحوال المتأخر مع القرآن .....
- ٨٧ ..... \* المطلب السابع: ترك التفتي بالقرآن .....
- ٨٨ ..... \* اختلاف أهل العلم في معنى (بتعق) .....
- ٩١ ..... \* البحث الثالث: كبار السلف في فم هجر القرآن .....
- ٩٢ ..... \* ١ - فم انتأكل بالقرآن .....
- ٩٢ ..... \* ٢ - ويل لمن تبعه القرآن .....
- ٩٢ ..... \* ٣ - فم من حفظ حروفه وصنع حنوده .....
- ٩٤ ..... \* ٤ - هجر فم القرآن .....
- ٩٦ ..... \* ٥ - القرآن يريد الظالمين خساراً .....
- ٩٧ ..... \* ٦ - القلوب المرعوى لا تجد لفة للقرآن .....
- ٩٧ ..... \* ٧ - القلب الخرب كاليت الخرب .....
- ٩٨ ..... \* ٨ - القلب الحيث كالأرض الحيث .....

- ٩٩ ..... ٩ - الجهل بانقرآن يؤدي إلى الاختلاف ثم الاقتال
- العاب الثاني انواع الحجر
- ١٠٣ ..... الفصل الأول: حجر الإيمان بالقرآن (الكفر به)
- ١٠٤ ..... المبحث الأول: وجوب الإيمان بالقرآن ومقتضياته
- ١٠٤ ..... أولاً: وجوب الإيمان بالقرآن
- ١٠٥ ..... • القرآن رحمة الله بعباده
- ١٠٦ ..... • المرابا التي حصل بها الفرق عن الكتب الشاطئة
- ١٠٧ ..... ثانياً: ما ينطبه الإيمان بالقرآن
- ١٠٨ ..... • شردت الإيمان بالقرآن
- ١١٠ ..... المبحث الثاني: الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن
- ١١٠ ..... - الآية الأولى
- ١١١ ..... • مسألة وحواها
- ١١١ ..... - الآية الثانية
- ١١١ ..... - الآية الثالثة
- ١١٢ ..... - الآية الرابعة
- ١١٣ ..... - الآية الخامسة
- ١١٤ ..... - الآية السادسة
- ١١٤ ..... - الآية السابعة
- ١١٥ ..... - الآية الثامنة
- ١١٦ ..... - الآية التاسعة
- ١١٧ ..... المبحث الثالث: الوعيد على حجر الإيمان بالقرآن
- ١١٧ ..... - الآية الأولى
- ١١٨ ..... - الآية الثانية
- ١١٩ ..... - الآية الثالثة
- ١٢٠ ..... - الآية الرابعة
- ١٢٠ ..... - الآية الخامسة
- ١٢١ ..... - الآية السادسة
- ١٢١ ..... - الآية السابعة
- ١٢٢ ..... - الآية الثامنة

الموضوع

الصفحة

- ١٢٣ ..... الآية التاسعة
- ١٢٣ ..... • سب كراهية الكفار للقرآن
- ١٢٥ ..... البحث الرابع: أنواع التكذيب بالقرآن
- ١٢٦ ..... • تمهيد
- ١٢٧ ..... المطلب الأول: انكار الصريح بالقرآن
- ١٢٨ ..... المطلب الثاني: الاستكثار عن القرآن
- ١٢٨ ..... • من أنواع الاستكثار عن القرآن
- ١٣٠ ..... المطلب الثالث: التكليل الصريح بالقرآن
- ١٣١ ..... المطلب الرابع: الحمود بالقرآن
- ١٣٢ ..... • من أمثلة الحمود بالقرآن
- ١٣٢ ..... • حراء الحمود
- ١٣٥ ..... المطلب الخامس: طلبهم تسليب القرآن
- ١٣٦ ..... المطلب السادس: تبعض القرآن
- ١٣٧ ..... • حراء تبعض كتاب
- ١٣٨ ..... المطلب السابع: الإعراض عن القرآن
- ١٣٨ ..... • حراء الإعراض عن القرآن
- ١٣٩ ..... • طوائف أعرضت عن القرآن
- ١٤٢ ..... البحث الخامس: حكم التكذيب بالقرآن
- ١٤٢ ..... • كيف وصل القرآن إليها
- ١٤٣ ..... • معنى التواتر
- ١٤٣ ..... • ما يعنيه إنكار القرآن
- ١٤٤ ..... • الإجماع على كفر من أنكر القرآن
- ١٤٨ ..... • نادا كان المنكمر مضمعاً عليه
- ١٤٩ ..... البحث السادس: أهل الكتاب وتكذيبهم بالقرآن
- ١٥٠ ..... المطلب الأول: علماء أهل الكتاب يعمون فيما أن الفرقان حق
- ١٥٠ ..... - الدليل الأول
- ١٥٢ ..... - الدليل الثاني
- ١٥٣ ..... - الدليل الثالث
- ١٥٣ ..... - الدليل الرابع

الصفحة

الموضوع

١٥١	.....	الدليل الحاصر
١٥٤	.....	الدليل السادس
١٥٥	.....	الدليل السابع
١٥٦	.....	الدليل الثامن
١٥٧	.....	المطلب الثاني: نفي من لم يؤمن بالقرآن من أهل الكتاب
١٥٧	.....	المر الأول
١٥٩	.....	المر الثاني
١٦١	.....	المر الثالث
١٦٢	.....	المر الرابع
١٦٣	.....	المر الخامس
١٦٥	.....	المر السادس
١٦٧	.....	الفصل الثاني: معر تعظيم القرآن (الاستهزاء به)
١٦٩	.....	المبحث الأول تعريف الاستهزاء
١٧٠	.....	المطلب الأول تعريف الاستهزاء
١٧٠	.....	أولاً: الاستهزاء لغة
١٧٠	.....	• علامة المعنى اللغوي
١٧١	.....	ثانياً: (الاستهزاء) اصطلاحاً
١٧٢	.....	المطلب الثاني: الألفاظ القرآنية القريبة من معنى الاستهزاء
١٧٢	.....	أولاً: شجرها
١٧٣	.....	ثانياً وثالثاً: الضحك والعبس
١٧٤	.....	رابعاً وخامساً: الحوص والمعب
١٧٥	.....	سادساً: التمر
١٧٧	.....	المبحث الثاني: مظاهر تعظيم القرآن
١٧٨	.....	أولاً: ملاحظة آداب انشأوة والانترام بها
١٧٩	.....	ثانياً: التأدب مع المصحف
١٨٤	.....	المبحث الثالث: أساليب الكفار في استهزائهم بالقرآن
١٨٤	.....	الأسلوب الأول: الاستهزاء والضحك حال سماع القرآن
١٨٦	.....	الأسلوب الثاني: انشعك من عدم نزول الوحي عليهم
١٨٧	.....	الأسلوب الثالث: ادعائهم بأن القرآن ذلك معشوى وأساطير الأولين

الموضوع

الصفحة

- ١٨٩ ..... - الأسلوب الرابع . استخدام أعضاء - الحم بقصد الاستهزاء .
- ١٩٠ ..... - الأسلوب الخامس - التذمر بالله وأبائه .
- ١٩١ ..... \* عاقبة الاستهزاء بالقرآن .
- ١٩٣ ..... البحث الرابع - حكم الاستهزاء بالقرآن والاستهانة بالمصحف .
- ١٩٤ ..... المطلب الأول: الفرق بين القرآن والمصحف .
- ١٩٤ ..... أولاً: معنى القرآن .
- ١٩٤ ..... \* (القرآن) لغة .
- ١٩٥ ..... \* (القرآن) اصطلاحاً .
- ١٩٥ ..... ثانياً: معنى المصحف .
- ١٩٥ ..... \* (المصحف) لغة .
- ١٩٦ ..... \* (المصحف) اصطلاحاً .
- ١٩٧ ..... \* الفرق بين القرآن والمصحف .
- ١٩٧ ..... المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن .
- ١٩٨ ..... \* الإجماع على كرم الاستهزاء بالقرآن .
- ٢٠٠ ..... \* عقوبة المستهزئ بكلام الله تعالى .
- ٢٠١ ..... المطلب الثالث - حكم الاستهانة بالمصحف .
- ٢٠١ ..... \* صور من الاستهانة بالمصحف .
- ٢٠١ ..... - الصورة الأولى: الإنكاء والتؤمذ على المصحف .
- ٢٠٣ ..... - الصورة الثانية: إتلاف المصحف وتزييفه .
- ٢٠٣ ..... \* الحالات التي يجوز فيها إتلاف المصاحف .
- ٢٠٤ ..... - الصورة الثالثة: إدخال المصحف في أماكن التخلّي .
- ٢٠٤ ..... - الصورة الرابعة: إدخال المصحف في القبر .
- ٢٠٤ ..... - الصورة الخامسة: طع شيء من المصحف .
- ٢٠٥ ..... - الصورة السادسة: التبرك بالمصحف .
- ٢٠٥ ..... - الصورة السابعة: تلويث المصحف .
- ٢٠٦ ..... - الصورة الثامنة: وطء المصحف .
- ٢٠٧ ..... الفصل الثالث - علم استماع القرآن .
- ٢٠٩ ..... البحث الأول: تعريف السماع وأنواعه .
- ٢١٠ ..... المطلب الأول: تعريف السماع .

## المصفاة

## الموضوع

- ٢١٠ ..... أولاً: (السُّمْع) لغة .....
- ٢١١ ..... • استعمالات (السُّمْع) في القرآن .....
- ٢١١ ..... ثانياً: (السُّمَاع) اصطلاحاً .....
- ٢١٢ ..... ثالثاً: الفرق بين (السُّمَاع) و(الاستماع) و(الإصغاء) .....
- ٢١٢ ..... • السُّمْع أمراً حائزاً للتثني .....
- ٢١٣ ..... المطلوب الثاني: أنواع السُّمْع .....
- ٢١٣ ..... - النوع الأول: السُّمْع العرضي .....
- ٢١٣ ..... • السُّمْع العرضي بنحو ثلاث مراحل .....
- ٢١٥ ..... - النوع الثاني: السُّمْع العميق عنه .....
- ٢١٥ ..... - النوع الثالث: السُّمْع المباح .....
- ٢١٥ ..... المطلوب الثالث: أقسام الناس في سماع القرآن .....
- ٢١٥ ..... - الصِّنف الأول: مُتَعَرِّضٌ مُتَمَنِّعٌ عن سماع القرآن .....
- ٢١٦ ..... - الصِّنف الثاني: سَمِعَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَفْقَهُ الْمَعْنَى .....
- ٢١٦ ..... - الصِّنف الثالث: فَهِمَ الْمَعْنَى وَلَمْ يَقْبَلْهُ .....
- ٢١٧ ..... - الصِّنف الرابع: سَمِعَ الْقُرْآنَ سَمَاعاً طَلَبَ وَقَبِلَهُ .....
- ٢١٩ ..... المبحث الثاني: مظاهر هجر استماع القرآن .....
- ٢٢١ ..... المطلوب الأول: مظاهر هجر استماع القرآن لدى الكفار .....
- ٢٢١ ..... • أبرز مظاهر هجر سماع القرآن لدى الكفار .....
- ٢٢١ ..... ١ - الإعراض عن سماع القرآن .....
- ٢٢١ ..... ٢ - الاستكثار عن سماع القرآن .....
- ٢٢٢ ..... ٣ - التواصي بعدم سماع القرآن .....
- ٢٢٣ ..... ٤ - العطن عن يقرأ القرآن .....
- ٢٢٣ ..... ٥ - التعمي والتصام عن القرآن .....
- ٢٢٤ ..... ٦ - الاستهزاء عند سماع القرآن .....
- ٢٢٤ ..... ٧ - الطُّجْر والتأفف .....
- ٢٢٤ ..... ٨ - يُفْضِ سَمَاعَ الْقُرْآنِ وَيُرَاهُ قَارِنَهُ .....
- ٢٢٦ ..... ٩ - الشُّهَادَةُ وَالشُّعَاعِلُ عَنْ سَمَاعِ الْوَحْيِ .....
- ٢٢٧ ..... المطلوب الثاني: مظاهر هجر استماع القرآن لدى المسلمين .....
- ٢٢٧ ..... • أبرز مظاهر هجر سماع القرآن لدى المسلمين .....



- ٢٢٧ ..... ١ - التشاغل بانتهاء من استماع القرآن
- ٢٣٠ ..... ٢ - سماع القرب
- ٢٣١ ..... ٣ - التشغل عن سماع القرآن
- ٢٣٢ ..... البحث الثالث - أدب استماع القرآن
- ٢٣٤ ..... • أمر الله النبي والمؤمنين بالاستماع
- ٢٣٥ ..... • أمور أدب استماع القرآن
- ٢٣٦ ..... ١ - تعظيم المتكلم
- ٢٣٦ ..... ٢ - استماع عظمة الكلام وعلوه
- ٢٣٦ ..... ٣ - حضور القلب عند السماع
- ٢٣٧ ..... ٤ - نذر السماع
- ٢٣٧ ..... • أحوال الناس في استماعهم بالقرآن
- ٢٣٨ ..... ٥ - نهيهم الآيات المنسوخة
- ٢٣٨ ..... ٦ - التحني عن مواضع الفهم
- ٢٣٨ ..... • مواضع فهم القرآن
- ٢٣٩ ..... ٧ - أن يفرد - في نفسه - أنه المقصود لكل آية سمعها
- ٢٣٩ ..... ٨ - التأثر بالآيات المنسوخة
- ٢٤٠ ..... ٩ - الترقى في استماع القرآن
- ٢٤٠ ..... • درجات الفحمة والسماع ثلاث
- ٢٤١ ..... ١٠ - التفرغ من الحزن والهموم حال السماع
- ٢٤٣ ..... البحث الرابع - فضائل استماع القرآن
- ٢٤٤ ..... • القرآن مُعَدُّ سَمْعَهُ
- ٢٤٥ ..... المنطلب الأول - استماع القرآن سبب رحمة الله
- ٢٤٦ ..... المنطلب الثاني: استماع القرآن سبب الهداية القلبي
- ٢٤٩ ..... المنطلب الثالث: استماع القرآن سبب نشور القلب وبكاء العبد
- ٢٥٢ ..... البحث الخامس - حكم الاستماع للقرآن وحكم الإعراض عنه
- ٢٥٢ ..... المنطلب الأول - حكم الاستماع للقرآن
- ٢٥٤ ..... • (مسألة) ما هي الأحوال التي يجب فيها الاستماع والإنصات للقرآن
- ٢٥٦ ..... • (مسألة) هل وجوب الإنصات مطلق أم مقيد
- ٢٥٧ ..... • الاستماع للقرآن يدور حكمه حسب المقام الذي يُقرأ فيه

## المصحة

## الموضوع

- المطلب الثاني: حكم الإعراص عن استماع القرآن ..... ٢٥٨
- أولاً الإعراص عن استماع القرآن مع عدم الإهتان به ..... ٢٥٨
- ثانياً الإعراص عن سماع القرآن مع الإهتان به ..... ٢٦٠
- المبحث السادس: الآثار الحسنة لاستماع القرآن ..... ٢٦١
- المطلب الأول: الإعجاب التاتيري بقرآن ..... ٢٦٢
- دراسة معاصرة ثبتت تأثير القرآن ..... ٢٦٣
- المطلب الثاني: أثر استماع القرآن في الملائكة ..... ٢٦٤
- المطلب الثالث: أثر استماع القرآن في النبي ﷺ ..... ٢٦٦
- المطلب الرابع: أثر استماع القرآن في المؤمنين ..... ٢٦٧
- المطلب الخامس: أثر استماع القرآن في أعدائه وخصومه ..... ٢٧١
- أمثلة تأثير القرآن في قلوب أعدائه وخصومه ..... ٢٧١
- ١ - تأثير عتبة بن ربيعة بالقرآن ..... ٢٧١
- ٢ - تأثير وعاء المشركين بالقرآن ..... ٢٧٢
- ٣ - تأثير الطفيل بن عمرو بالقرآن ..... ٢٧٢
- ٤ - تأثير خبير بن مطعم بالقرآن ..... ٢٧٤
- ٥ - حادثة سحرود المشركين مع المسلمين ..... ٢٧٤
- ٦ - تأثير أهل المدينة بالقرآن ..... ٢٧٥
- المطلب السادس: أثر استماع القرآن في النصارى ..... ٢٧٥
- السب في ذكر اليهود مع المشركين ..... ٢٧٦
- السب في اقتراب موقعة النصارى من المسلمين ..... ٢٧٧
- تأثير القيس والرهبان سماع القرآن ..... ٢٧٨
- المفصود ببيض العين ..... ٢٧٨
- تأثير النجاشي وأساقفته بسماع القرآن ..... ٢٧٨
- المطلب السابع: أثر استماع القرآن في الجن ..... ٢٧٩
- المحكمة من نزول القرآن بخير الجن ..... ٢٨١
- فوائد ذكرها ابن حجر من تأثير الجن بالقرآن ..... ٢٨٢
- المفصل الرابع: عمر تعلم القرآن وتعليمه ..... ٢٨٥
- المبحث الأول: مظاهر عمر تعلم القرآن وتعليمه ..... ٢٨٦
- أولاً: مظاهر عمر تعلم القرآن ..... ٢٨٦

الصفحة

الموضوع

- ٢٨٧ ..... تاباً مظاهر عجز تعليم القرآن
- ٢٨٩ ..... البحث الثاني: آداب معلم القرآن وتعلمه
- ٢٩٠ ..... للمطلب الأول: آداب مشاركة بر معلم القرآن وتعلمه
- ٢٩٠ ..... ١ - انشكك صحح الشك في الاعمال
- ٢٩٢ ..... ٢ - الإخلاص لله تعالى
- ٢٩٦ ..... للمطلب الثاني: آداب معلم القرآن
- ٢٩٦ ..... ١ - الاستقامة على دين الله تعالى
- ٢٩٨ ..... ٢ - حسن الخلق مع المتعلمين
- ٣٠٠ ..... ٣ - بلد النصيحة للمتعلمين
- ٣٠٠ ..... \* من وصايا المعلمين كطلابهم
- ٣٠١ ..... ٤ - التدرج في التعليم والتربية
- ٣٠٣ ..... ٥ - الرفق بالمتعلمين
- ٣٠٥ ..... \* من صور رفق المعلم بالمتعلم
- ٣٠٦ ..... ٦ - الضرر على المتعلم
- ٣٠٦ ..... \* من صور اضرار على حفاء المتعلمين
- ٣٠٧ ..... \* من دواعي الضرر
- ٣-٢ ..... للمطلب الثالث: آداب معلم القرآن
- ٣٠٨ ..... ١ - تطهير القلب
- ٣٠٨ ..... ٢ - الزهد في الدنيا
- ٣٠٩ ..... ٣ - التواضع للمعلم
- ٣١٠ ..... \* من صور تواضع المتعلمين لمشايخهم
- ٣١٠ ..... ٤ - الدعاء للمعلم والاعتراف بعلمه
- ٣١١ ..... \* من صور الدعاء للشيوخ
- ٣١٢ ..... ٥ - اختيار المعلم الأصلح والأعلم
- ٣١٣ ..... ٦ - الشكر إلى مجلس التدريس
- ٣١٤ ..... ٧ - التحني بالآداب في مجلس التعليم
- ٣١٣ ..... \* من مظاهر التأدب
- ٣١٤ ..... \* من أمثلة مراعاة المعلم ظروف معلمه

- المبحث الثالث: فضائل تعلُّم القرآن وتعليمه ..... ٣١٧
- \* ترغيب الإسلام في العلم ..... ٣١٨
- المطلب الأول: معلِّم القرآن ومعلِّمُه مُتَشَبِهٌ بِالْمَلَأَيْكَةِ وَالرُّسُلِ ..... ٣١٩
- المطلب الثاني: خيرُ الناس وأفضلهم مَنْ تعلَّم القرآن وعَلِّمَه ..... ٣٢٠
- \* معنى (التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ) ..... ٣٢٢
- \* (مسألة) هل المقرئ أفضل من الفقيه ..... ٣٢٢
- \* (مسألة) هل المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناءً في الإسلام ..... ٣٢٢
- المطلب الثالث: تعلُّم القرآن وتعليمُه خير من كنوز الدنيا ..... ٣٢٣
- \* سبب التمثيل بالإبل ..... ٣٢٤
- \* تعلُّم الخير وتعليمه كأجرٍ حاج تاماً حجَّته ..... ٣٢٥
- \* معلِّم الخير ومعلِّمُه بمنزلة المجاهد في سبيل الله ..... ٣٢٦
- \* الصحابة يحثون الناس على تعلُّم القرآن وتعليمه ..... ٣٢٦
- المطلب الرابع: مَنْ عَلَّمَ آيَةَ كَان لَه ثَوَابُهَا مَا ثَلَيْت ..... ٣٢٧
- \* للمفسرين قولان في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ﴾ ..... ٣٢٩
- المطلب الخامس: ثواب مَنْ يُعَلِّم الصِّغَارَ الْقُرْآنَ ..... ٣٣٠
- \* جزاء الوالدين ..... ٣٣١
- المبحث الرابع: أحكام تعلُّم القرآن وتعليمه ..... ٣٣٥
- \* تمهيد ..... ٣٣٦
- المطلب الأول: حُكْمُ تعلُّم القرآن وتعليمه ..... ٣٣٧
- المطلب الثاني: حُكْمُ تعليم القرآن لغير المسلم ..... ٣٣٩
- المطلب الثالث: حُكْمُ أخذ الأجرة على تعليم القرآن ..... ٣٤٠
- القول الأول: لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ..... ٣٤١
- القول الثاني: يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ..... ٣٤٣
- القول الثالث: يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن عند الحاجة ..... ٣٤٥
- \* الترجيع ..... ٣٤٦
- \* ضوابط أخذ الأجرة على تعليم القرآن ..... ٣٤٦
- المبحث الخامس: همّة السلف في تعلُّم القرآن وتعليمه ..... ٣٤٩
- المطلب الأول: علوُّ همّة المعلمين ..... ٣٥٠
- \* نماذج من علوِّ همّة المعلمين ..... ٣٥٠

الموضوع	الصفحة
١ - ترك الأوطان لأجل تعليم القرقر	٣٥٠
٢ - تأسيس مدارس وحقق تحصيل القرآن	٣٥١
٣ - لم تشغله الإمارة عن تعليم القرآن	٣٥٢
٤ - جلس لتعليم القرآن أربعين سنة	٣٥٢
٥ - علم القرآن أكثر من سبعين سنة	٣٥٣
٦ - لقن العميان دهرأ طويلاً	٣٥٣
٧ - احتساب أجر التعليم عند الله تعالى	٣٥٤
<b>المطلب الثاني علو هنة المعلمين</b>	٣٥٥
• <b>مناج من علو هنة المعلمين</b>	٣٥٦
١ - الرحة من أجل تعلم القرآن	٣٥٦
٢ - ملازمة الشيوخ وقرض القراءة عليهم	٣٥٧
٣ - الإقبال على الشيوخ والإفادة منهم	٣٥٨
١ - تحفل الشدائد والمصعب بلغ تعلم القرآن	٣٥٨
٢ - تعلم القرآن قبل علوم الشرح الأخرى	٣٥٩
٦ - ترك الوطن والدار من أجل تعلم القرآن	٣٥٩
٨ - حفظ القرآن بالزوايات العشر	٣٦٠
<b>الفصل الخامس هجر تلاوة القرآن</b>	٣٦١
<b>المبحث الأول: مظاهر هجر تلاوة القرآن</b>	٣٦٣
<b>المطلب الأول: مظاهر هجر التلاوة</b>	٣٦٤
<b>المطلب الثاني: بدع التلاوة</b>	٣٦٥
• <b>أمور مبتدعة في التلاوة</b>	٣٦٥
١ - الشطع في القراءة، والنوسنة في حطوارج الحروف	٣٦٥
٢ - الخروج بالقراءة عن لحن العرب إلى لحن المعجم	٣٦٦
٣ - القراءة بالبحان أهل انفسر والمحمور	٣٦٧
١ - قراءة الأندام والتمطيط	٣٦٨
٥ - قراءة التحزين والتطريب	٣٦٨
٦ - قراءة التحريف	٣٦٨
٧ - قراءة الترعد	٣٦٩
٨ - هدة جهد الشعر	٣٧٠

## الصفحة

## الموضوع

- ٢٧٠ ..... ٩ - القراءة بالإدارة .....
- ٢٧١ ..... ١٠ - قراءة القرآن في مجلس شُرب الدُّخان .....
- ٢٧١ ..... ١١ - الفراءم والإقراء شوائب القراءات .....
- ٢٧١ ..... ١٢ - جمع الفراءمات في مجلس واحد .....
- ٢٧٢ ..... ١٣ - قول السامع لقارئ: (الله، الله) .....
- ٢٧٢ ..... ١٤ - الترام قول (صلى الله العظيم) بعد التلاوة .....
- ٢٧٣ ..... ١٥ - مدح قراءة الفدحة .....
- ٢٧٣ ..... ١٦ - فراءم القرآن عند الفير .....
- ٢٧٥ ..... البحث الثاني: أسباب هجر التلاوة .....
- ٢٧٦ ..... • نهيد .....
- ٢٧٦ ..... المطلب الأول: الاستغفار بالذميا .....
- ٢٧٧ ..... المطلب الثاني: جمع أهمة .....
- ٢٧٨ ..... • أدوية نبوية لعلاج ضعف الهمة .....
- ٢٧٩ ..... • فوائد من الحديث ذكرها النووي .....
- ٢٨٠ ..... المطلب الثالث: الجهل شعرات فراءم القرآن .....
- ٢٨٠ ..... • من شعرات التلاوة .....
- ٢٨٢ ..... المطلب الرابع: تقديم العلوم الأخرى على القرآن .....
- ٢٨٢ ..... • مثل ابن نجية من الذي يُؤتمم حفظ القرآن أو المعلم .....
- ٢٨٤ ..... المطلب الخامس: الحرب المعلقة على القرآن واللغة .....
- ٢٨٤ ..... • تصريحات الأعمام ضد القرآن ولعته .....
- ٢٨٦ ..... • أساليب الأعمام في محاربة القرآن ولعته .....
- ٢٨٧ ..... البحث الثالث: أدب وأحكام تلاوة القرآن .....
- ٢٨٨ ..... • نهيد .....
- ٢٨٩ ..... ١ - إحصاء الية لله تعالى .....
- ٢٩٠ ..... ٢ - العمل بالقرآن .....
- ٢٩٠ ..... ٣ - إعلان القرآن ومعظيمه .....
- ٢٩٠ ..... ٤ - تلاوة القرآن على طهارة .....
- ٢٩١ ..... ٥ - اختيار الوقت المناسب .....
- ٢٩١ ..... ٦ - اختيار المكان المناسب .....



الموضوع	الصفحة
٧ - حُسْنُ الْجَنَّةِ وَاسْتِقَالَةُ الْفَلَةِ .....	٣٩٢
• أفضل أنجاه استبدال الفلّة .....	٣٩٣
٨ - استحباب تنظيف العم بالسواك .....	٣٩٤
٩ - الاستعاذه عند افتتاح التلاوة .....	٣٩٥
• للاستعاذه بصغائر .....	٣٩٦
• البدء بالاستعاذه حاصراً بالقرآن الكريم .....	٣٩٦
١٠ - السلسلة .....	٣٩٦
١١ - خطر الفكر أثناء التلاوة .....	٣٩٧
١٢ - استحباب الترتيل وكراهية السرعة المفرطة .....	٣٩٨
• امتثال النبي ﷺ أمر ربه في ترتيله للقرآن .....	٣٩٩
• التحضير من الاستحجال في التلاوة .....	٣٩٩
(مسانة) أيهما أفضل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها .....	٤٠١
١٣ - استحباب تحسين الصوت بالقرآن .....	٤٠١
• أحاديث عمدة في استحباب تحسين الصوت بالقرآن .....	٤٠٢
• بين الثماني المحمود والمنعوم .....	٤٠٣
١٤ - النهي عن القراءة بالألحان المنقرضة .....	٤٠٤
• أسباب تحريم الألحان المنقرضة .....	٤٠٥
• بعض القراء يقرؤون القرآن على الألحان الأعمى .....	٤٠٦
١٥ - وجوب تدبر القرآن .....	٤٠٦
١٦ - استحباب التكاء أثناء التلاوة .....	٤٠٧
• لكاء عند التلاوة من صفات الصالحين .....	٤٠٨
• ليس المقصود بالكاء الضراخ والعميل والنحيب .....	٤٠٩
• كلام ابن تيمية في أفضل أحوال الكاء .....	٤٠٩
١٧ - استحباب الجهر بالقرآن إذا لم يترشّب عليه حسنة .....	٤٠٩
• جهر التلاوة مترشّب على التلظّظ بها .....	٤١١
١٨ - استحباب أكلان القراءة وعدم قطعها .....	٤١٦
١٩ - أن يُخسب الانتفاء والوقف أثناء التلاوة .....	٤١٣
٢٠ - من السنة الوقوف عند رؤوس الآيات .....	٤١٣

- ٢١ - من السنة: أن يُسبَّح عند آية التسيب، ويتعوذ عند آية المعذاب،  
 ويسأل عند آية الرحمة ..... ٤١٤
- ٢٢ - من السنة: الإمساك عن القراءة عند غلبة الثعاس ..... ٤١٥
- ٢٣ - من السنة: السجود عند المرور بآية سجدة ..... ٤١٥
- \* فضائل سجود التلاوة ..... ٤١٦
- \* الذكر الوارد في سجود التلاوة ..... ٤١٦
- \* حكم سجود التلاوة ..... ٤١٧
- \* سجود المستمع تبعاً لسجود القارئ ..... ٤١٨
- \* لا يلزم السامع أن يسجد مع القارئ ..... ٤١٩
- ٢٤ - القدر المستحب في ختم القرآن ..... ٤١٩
- \* أحاديث عدة في مدة الختم ..... ٤٢٠
- \* علة النهي عن الختم في أقل من ثلاث ..... ٤٢٠
- \* هدي النبي ﷺ في ختم القرآن ..... ٤٢١
- \* تخريج فعل من ختم القرآن في أقل من ثلاث ..... ٤٢٢
- \* الجتمع بين رواية (الشيخ) ورواية (الثلاث) في الختم ..... ٤٢٣
- \* التفصيل الحسن في مقدار الختم ..... ٤٢٤
- ٢٥ - مشروعية (تحزيب القرآن) ..... ٤٢٥
- \* تعريف (الحزب) ..... ٤٢٥
- \* التحزيب بالسور لا بالأجزاء ..... ٤٢٦
- \* ثمرات التحزيب ..... ٤٢٨
- ٢٦ - مشروعية (دعاء ختم القرآن) ..... ٤٢٩
- \* موضع دعاء الختم خارج الصلاة ..... ٤٢٩
- \* أمور لا تُشرع عند الختم ..... ٤٣٠
- المبحث الرابع: فضائل تلاوة القرآن ..... ٤٣١
- \* تمهيد ..... ٤٣٢
- المطلب الأول: التلاوة تجارة رابحة ..... ٤٣٢
- \* حديث: (من قرأ حرفاً) يشير إلى عدة أمور ..... ٤٣٣
- المطلب الثاني: تنزل السكينة والرحمة والملائكة للتلاوة ..... ٤٣٨
- \* أربع جوائز للمجتمعين لتلاوة القرآن ..... ٤٣٩

- ٢٣٩ ..... الجائزة الأولى تنزل اشكبه عليهم
- ٢٤٢ ..... الجائزة الثانية تغشاهم الرُحمة
- ٢٤٧ ..... الجائزة الثالثة يحطمهم العلائكة
- ٢٤٤ ..... الجائزة الرابعة يدركهم الله فيمن عنده
- ٢٤٥ ..... **المطلب الثالث** اعطاء حب التلاوة
- ٢٤٤ ..... ١ - اعتبار التام للقرآن
- ٢٤٦ ..... • معنى (لا حسد إلا في الثنتين)
- ٢٤٧ ..... ٢ - اعتبار العالم بالقرآن
- ٢٤٩ ..... • شهادة القرآن لغايته يوم القيامة
- ٢٤٩ ..... **المطلب الرابع** التلاوة حبه لأهل الإحسان
- ٢٥٠ ..... • أحوال أحسن مع القرآن
- ٢٥٢ ..... **المطلب الخامس** التلاوة كلها خير
- ٢٥٢ ..... ١ - العاهر بالقرآن
- ٢٥٣ ..... • من هو العاهر بالقرآن
- ٢٥٣ ..... ٢ - الذي له أحوال
- ٢٥٣ ..... (مسألة) هل الذي له أحوال أكثر ثواباً من العاهر
- ٢٥٥ ..... • لا ينبغي للمسلم أن يصرف عن التلاوة
- ٢٥٧ ..... **الفصل السادس** هجر حفظ القرآن
- ٢٥٩ ..... **المبحث الأول**: حفظ القرآن ونسيه
- ٢٦٠ ..... **المطلب الأول**: تعريف حفظ القرآن
- ٢٦٠ ..... أولاً (الحفظ) له
- ٢٦٠ ..... • حفظ القرآن بصني أموراً ثلاثة
- ٢٦١ ..... • استعمالات (الحفظ) في القرآن
- ٢٦١ ..... ثانياً: (حفظ القرآن) اصطلاحاً
- ٢٦١ ..... • تميز حافظ القرآن من غيره من الحفظ
- ٢٦٢ ..... **المطلب الثاني** تيسر حفظه عن جميع الأسنة
- ٢٦٣ ..... • باب نسيه
- ٢٦٣ ..... • معنى نسيه
- ٢٦٣ ..... • النسي يشمل الألفاظ والمعاني

## المصحة

## الموضوع

- ٤٦٣ ..... • حفظ القرآن بغير عون سواه من الكتب السابقة
- ٤٦٥ ..... • هنر الحفظ نوعان
- ٤٦٧ ..... للمبحث الثاني. كدأب حفظ القرآن
- ٤٦٨ ..... • نمود
- ٤٦٩ ..... المطلب الأول: آداب أثناء الحفظ
- ٤٦٩ ..... ١ - الإخلاص لله تعالى
- ٤٧١ ..... • كلام أبي حامد الغزالي في ثبته طلب العلم
- ٤٧٠ ..... • كيفية تحسين الثبته
- ٤٧٠ ..... • تأثير الإخلاص في تسهيل الأمور
- ٤٧١ ..... • شفا الإخلاص عن النفس
- ٤٧١ ..... • انحدار من الانقطاع عن الحفظ لعدم حلوص إليه
- ٤٧١ ..... ٢ - استشعار عظمة القرآن ومعرفة مولده
- ٤٧٣ ..... ٣ - معرفة أن الأصل في تلقى القرآن حفظه
- ٤٧١ ..... • حفظ القرآن في ناسٍ بالسلف الصالح
- ٤٧١ ..... ٤ - الرعية القوية الصادقة
- ٤٧٥ ..... • أهمية الشافعي الثاني في إكمال حفظ القرآن
- ٤٧٦ ..... ٥ - النقل من الدنيا
- ٤٧٦ ..... • فوائد استبطنها ابن حجر من ملازمة أبي هريرة رضي الله عنه
- ٤٧٦ ..... • لا يبغي لطالب العلم أن يترك التكسب
- ٤٧٧ ..... ٦ - الشفاء والانتحاء إلى الله
- ٤٧٨ ..... • القلوب محتاجة إلى ورق الله من العلم والهدى
- ٤٧٨ ..... المطلب الثاني آداب بعد الحفظ
- ٤٧٨ ..... ١ - الحروف من التولوع في الزيادة
- ٤٧٩ ..... • تعليل الحفاظ من الميل إلى الشاء
- ٤٧٩ ..... • كيف الخلاص من الزيادة
- ٤٨٠ ..... ٢ - انتخبة من العنق بالنفس والتعللي على الخلق
- ٤٨٠ ..... • تعريف العنق
- ٤٨١ ..... • حكم العنق
- ٤٨١ ..... • الفرق بين الزيادة والعنق

## المصنوع

## الموضوع

- ٤٨١ ..... • لماذا يقع الحافظ في برزخ العجب
- ٤٨٢ ..... • لماذا يقع الحافظ في مسقع الكثير
- ٤٨٢ ..... • خصوص في التحذير من الكثير
- ٤٨٦ ..... ٢ - الحلز من الثوب والمعاصي
- ٤٨٣ ..... • آثار في التحذير من المعاصي
- ٤٨١ ..... • من طوية المعاصي اترجوع إلى الجهل بعد العلم
- ٤٨١ ..... • شبهة وردتها
- ٤٨٥ ..... • آثار في بيان العلم النافع
- ٤٨٦ ..... • الفرق بين علم القلب وعلم اللسان
- ٤٨٨ ..... ١ - تعاهد القرآن والحلز من نسيانه
- ٤٨٩ ..... • الحكمة من تعلت القرآن من الصدور
- ٤٩٠ ..... • آثار في الحث على مراجعة الحفظ
- ٤٩٣ ..... المبحث الثالث : فضائل حفظ القرآن
- ٤٩٤ ..... • تمهيد
- ٤٩٤ ..... المطلب الأول : علو درجة الحافظ
- ٤٩٤ ..... ١ - ارتفاع منزلة الحافظ
- ٤٩٤ ..... • العثم بالعلم
- ٤٩٦ ..... • تب على أثر صعب
- ٤٩٦ ..... ٢ - عدة كرامات للحافظ
- ٤٩٨ ..... ٣ - الحافظ مع الشعرة الكرام البررة
- ٤٩٨ ..... • معنى معنى الشعرة
- ٤٩٩ ..... المطلب الثاني : الحافظ تقدم في الدنيا والآخرة
- ٤٩٩ ..... ١ - الحافظ هم الأولى بالإمارة
- ٥٠١ ..... ٢ - الحافظ هم الأولى بالإمامة
- ٥٠٢ ..... ٣ - الحافظ هم أصحاب الثورى
- ٥٠٢ ..... ٤ - الحافظ هم المقدمون في الزرخ
- ٥٠٣ ..... المطلب الثالث : فضائل متنوعة للحافظ
- ٥٠٣ ..... ١ - الحافظ أهل الله وخائته
- ٥٠٤ ..... • المقصود بأهل الله وخائته

## الصفحة

## الموضوع

- ٥٠٤ ..... ٢ - إكرام الحافظ في الدنيا
- ٥٠٥ ..... ٢ - ت - الله تعالى على الحفظ
- ٥٠٦ ..... ٢ - الحفظ لا تحرفهم النار
- ٥٠٩ ..... المبحث الرابع - حكم حفظ القرآن ونسيانه
- ٥١٠ ..... المطلب الأول: حكم حفظ القرآن
- ٥١٠ ..... • حفظ القرآن فرض تكفاية على الأمة
- ٥١٠ ..... • حكم حفظ القرآن على أفراد المسلمين
- ٥١١ ..... • حفظ القرآن الواجب والمستحب مُقدم على غيره
- ٥١٢ ..... • حكم تحفيظ القرآن للنسبان
- ٥١٣ ..... المطلب الثاني: حكم نسيان القرآن
- ٥١٣ ..... • آثار في التحذير من نسيان القرآن
- ٥١١ ..... • نسيان القرآن نوعان
- ٥١٦ ..... • الفرق بين الشهود العدمي وأنسيان المُقائم
- ٥١٧ ..... • نسيان النبي ﷺ شيء من القرآن نوعان
- ٥١٩ ..... • حكم نسيان القرآن
- ٥٢٠ ..... • أنسيان النبي بعد صاحبه
- ٥٢١ ..... الفصل السابع: مخرج تدبير القرآن
- ٥٢١ ..... المبحث الأول: التدبير وأبعثه وحكمه
- ٥٢١ ..... المطلب الأول: تعريف تدبير القرآن
- ٥٢٢ ..... أولاً (التدبير) لغة
- ٥٢٥ ..... ثانياً (تدبير القرآن) اصطلاحاً
- ٥٢٥ ..... المطلب الثاني: أهمية تدبير القرآن
- ٥٢٦ ..... أولاً: حاجة القلب إلى تدبير القرآن
- ٥٢٦ ..... • مشروع القلب وانسراح الصدر في التدبير
- ٥٢٧ ..... • الفرامة بالتدبير أصل صلاح القلب
- ٥٢٨ ..... ثانياً: الدخول بين أنس الله عليهم تدبير القرآن
- ٥٢٩ ..... ثالثاً: عدم التعرض إلى الدم لترك التدبير
- ٥٣١ ..... المطلب الثالث: حكم تدبير القرآن
- ٥٣٢ ..... • إطاق المفسرين على وجوب تدبير القرآن



المصنف

الموضوع

- ٥٣٥ ..... المبحث الثامن أساس هجر تدوير القرآن
- ٥٣٦ ..... • نهج
- ٥٣٦ ..... ١ - الإصرار على الذنوب
- ٥٣٧ ..... ٢ - استعمال القلب
- ٥٣٨ ..... ٣ - الجهل بالنقعة العربية
- ٥٣٩ ..... • أهمية معرفة العربية لتدوير القرآن
- ٥٤٠ ..... • المفاسد المنشئة عن الجهل باللغة
- ٥٤١ ..... ٤ - برك التدوير نورها
- ٥٤١ ..... • نصب الشبلي قول متأخري الأصوليين في حصرهم التدوير في العلماء
- ٥٤٣ ..... ٥ - هجر كتب التفسير
- ٥٤٤ ..... ٦ - اشتغال بكثرة التلاوة
- ٥٤٥ ..... • كثرة التلاوة خير تدوير من تيسر إليس
- ٥٤٧ ..... المبحث الثالث الأمور المعينة على التدوير
- ٥٤٨ ..... • نهج
- ٥٤٩ ..... ١ - لحسن التلاوة
- ٥٤٩ ..... • كثرة العلماء القراءة بالألحان
- ٥٥٠ ..... ١ - قراءة الليل
- ٥٥٠ ..... • شواهد على فضل قراءة الليل
- ٥٥١ ..... ٣ - الإحصاء عند صحاح
- ٥٥١ ..... ١ - حسن الابتداء والوقف
- ٥٥٢ ..... • حذاح من الأخطاء والوقف المصوح
- ٥٥٢ ..... ٥ - فهم المعاني
- ٥٥٢ ..... • الجهل بالمعاني صرف الفلت من التدوير وانثقلت بالتلاوة
- ٥٥٣ ..... • القرآن يثبت معانيه كما يثبت المعاني
- ٥٥٣ ..... • تعلم معاني القرآن أولى من تعلم حروفه
- ٥٥٤ ..... • الفرق بين معرفة الألفاظ والمعاني، كالفرق بين الليل والنهار
- ٥٥٤ ..... ٦ - الوقوف عند المعاني
- ٥٥٥ ..... • صفة الوقوف عند المعاني
- ٥٥٥ ..... ٧ - ترديد الآية المؤثرة في القلب

- ٥٥٦ ..... \* نماذج من ترديد الآية .....
- ٥٥٨ ..... ٨ - معرفة أساليب القرآن .....
- ٥٥٨ ..... \* أبرز أساليب القرآن .....
- ٥٦١ ..... \* ما يُعين على التدبر إجمالاً .....
- ٥٦٣ ..... المبحث الرابع: ثمرات تدبر القرآن .....
- ٥٦٤ ..... ١ - تعميق جذور الإيمان .....
- ٥٦٥ ..... ٢ - معرفة الربِّ جلَّ جلاله .....
- ٥٦٦ ..... ٣ - تحقيق العبودية لله تعالى .....
- ٥٦٧ ..... ٤ - التدبر غذاء وعلاج وسلاح .....
- ٥٦٨ ..... ٥ - التدبر فيه تربية للعقول .....
- ٥٦٨ ..... \* التدبر مفتاح كلِّ خير .....
- ٥٦٩ ..... \* التدبر فيه تنمية للقدرات العقلية .....
- ٥٧١ ..... الفصل الثامن: هجر العمل بالقرآن .....
- ٥٧٢ ..... المبحث الأول: وجوب العمل بالقرآن .....
- ٥٧٢ ..... \* معنى العمل بالقرآن .....
- ٥٧٣ ..... \* التحذير من التشبه باليهود .....
- ٥٧٥ ..... \* وجوب العمل بالقرآن .....
- ٥٧٥ ..... \* هجر العمل بالقرآن له حالان .....
- ٥٧٦ ..... \* الأدلة على وجوب العمل بالقرآن .....
- ٥٨٠ ..... المبحث الثاني: فضائل العمل بالقرآن .....
- ٥٨٠ ..... \* الجنة أعظم جزاء لمن يعمل بالقرآن .....
- ٥٨١ ..... ١ - الهداية في الدنيا والآخرة .....
- ٥٨٣ ..... ٢ - الرحمة في الدنيا والآخرة .....
- ٥٨٣ ..... ٣ - الفلاح في الدنيا والآخرة .....
- ٥٨٤ ..... ٤ - تكفير السيئات وإصلاح البال .....
- ٥٨٦ ..... المبحث الثالث: النبي ﷺ يوصي بالعمل بالقرآن .....
- ٥٨٧ ..... \* النبي ﷺ يحث أمته على العمل بالقرآن .....
- ٥٩١ ..... المبحث الرابع: الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم يتواصون بالعمل بالقرآن .....
- ٥٩٤ ..... المبحث الخامس: نماذج من عمل الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم بالقرآن .....

الصفحة	الموضوع
٥٩٤	* استجابة فردية .....
٥٩٦	* استجابة جماعية .....
٥٩٩	الفصل التاسع: هجر التحاكم إلى القرآن .....
٦٠٠	المبحث الأول: أدلة وجوب التحاكم إلى القرآن .....
٦٠٠	- الآية الأولى .....
٦٠٠	- الآية الثانية .....
٦٠٢	* معنى الطاغوت .....
٦٠٢	* ما يُلاحظ في الآية .....
٦٠٣	* خلاصة ما دلّت عليه الآية .....
٦٠٣	- الآية الثالثة .....
٦٠٥	- الآية الرابعة .....
٦٠٦	- الآية الخامسة .....
٦٠٧	* وجوب إجابة القاضي المسلم .....
	* (مسألة) هل المُعْرِض عن مجلس الحاكم المسلم كالمُعْرِض عن
٦٠٧	حُكْم الشريعة .....
٦٠٨	- الآية السادسة .....
٦٠٨	* صفات مَنْ يستحقُّ أَنْ يكون له الحُكْم .....
٦١٠	- الآية السابعة .....
٦١١	المبحث الثاني: أسباب هجر التحاكم إلى القرآن .....
٦١١	* تمهيد .....
٦١٢	- السبب الأول: كراهية ما أنزل الله .....
٦١٢	* صور من الكراهية .....
٦١٣	* كراهية ما أنزل الله في العصر الحاضر .....
٦١٤	- السبب الثاني: الاستكبار .....
٦١٤	* نماذج من الاستكبار .....
٦١٦	- السبب الثالث: اتباع الهوى .....
٦١٧	* الهوى والحقُّ ضدَّان لا يجتمعان .....
٦١٧	* تحذير القرآن من أتباع الهوى .....
٦١٨	- السبب الرابع: إثارة المتاع العاجل .....

المصاح

- ٦١٨ • نماذج من إثبات التعامل .....
- ٦١٩ • السب الحامس: الحروف المتوهم .....
- ٦٢٠ • نماذج من الحروف المتوهم .....
- ٦٢١ • السب السادس: التقليد المعلوم .....
- ٦٢٢ • نماذج من التقليد المعلوم .....
- ٦٢٣ • امر انقيم بصف فئة التقليد التي أصابت العذم الإسلامي .....
- ٦٢٤ • البحث الثالث الآثار الحسنة للحكم بما أنزل الله .....
- ٦٢٥ • المطلب الأول: الآثار النبوية للحكم بما أنزل الله .....
- ٦٢٦ • أولاً: الاستحلاف والتشكين .....
- ٦٢٦ • نماذج من الاستحلاف والتشكين .....
- ٦٢٧ • ثانياً الأمر والأستقرار .....
- ٦٢٩ • ثالثاً: النصر والفتح .....
- ٦٢٩ • شتة الله عاصاً في حصر من يصر دبه .....
- ٦٣٠ • رابعاً: العز والشرف .....
- ٦٣١ • الأئمة يستمد العز والشرف من تطبيقها لأحكام الشريعة .....
- ٦٣٢ • خامساً: بركة الخيش ورجعده .....
- ٦٣٣ • سادساً: الهداية والتبیت .....
- ٦٣٤ • الخلاصة .....
- ٦٣٥ • المطلب الثاني الآثار الأخروية للحكم بما أنزل الله .....
- ٦٣٥ • أولاً الفلاح والقفور .....
- ٦٣٦ • ثانياً المغفرة وتكفير السيئات .....
- ٦٣٧ • محبة الطوائف واتحادكم إليها تستحب الثنوب .....
- ٦٣٨ • ثالثاً الأجر العظيم .....
- ٦٣٨ • رابعاً مراعاة الأساء والضدقين .....
- ٦٤١ • البحث الرابع: الآثار السنية للحكم بما أنزل الله .....
- ٦٤٢ • المطلب الأول: الآثار النبوية للحكم بما أنزل الله .....
- ٦٤٣ • أولاً: عبوة الثنوب .....
- ٦٤٤ • ثانياً الصلاة عن الحق .....
- ٦٤٥ • ثالثاً: الولوع في التقوى .....

٦٤٦	رابعاً: الحرمان من التوبة .....
٦٤٨	* الخزي لليهود والمنافقين .....
٦٤٨	خامساً: الصد عن سبيل الله .....
٦٤٩	سادساً: غياب الأمن وانتشار الفوضى .....
٦٥٠	* مثال لنوع من الظلم المُقْتَن .....
٦٥١	* فوضى الاعتداء على الأموال .....
٦٥٢	* فوضى الاعتداء على الأعراض .....
٦٥٣	سابعاً: انتشار العداوة والبغضاء .....
٦٥٥	* مسألة وجوابها .....
٦٥٥	* تحذير الأمة الإسلامية من العداوة .....
	* الحكم بغير ما أنزل الله من أعظم أسباب وقوع العداوة والبغضاء .....
٦٥٦	بين المسلمين .....
٦٥٦	ثامناً: الحرمان من النصر والثمكين .....
٦٥٧	* الخلاصة .....
٦٥٨	المطلب الثاني: الآثار الأخروية للحكم بغير ما أنزل الله .....
٦٥٩	أولاً: الإهانة عند قبض الأرواح .....
٦٦٠	* مشهد آخر من الإهانة .....
٦٦١	ثانياً: الوحشة في الحشر .....
٦٦١	ثالثاً: الأكل من الثَّار و غضب الجبَّار .....
٦٦٢	* غضب الجبَّار أعظم من الثَّار .....
٦٦٢	* فما أصبرهم على الثَّار .....
٦٦٣	رابعاً: العذاب المهين .....
٤٦٤	* مسألة وجوابها .....
٦٦٥	الخاتمة: .....
٦٦٥	* أولاً: أهم نتائج مباحث الباب الأوَّل .....
٦٦٦	* ثانياً: أهم نتائج مباحث الباب الثاني .....
٦٦٧	الفهارس: .....
٦٧٩	* أولاً: منهج الفهارس .....
٦٨١	* ثانياً: فهرس الأحاديث .....

المصفا

الموضوع

- ٦٨٩ ..... ثالثاً: فهرس الآثار
- ٦٩٥ ..... رابعاً: فهرس تراجم الأعلام
- ٧٠٢ ..... خامساً: فهرس الألفاظ ومعانيها
- ٧١٥ ..... سادساً: فهرس الفروق النغوية
- ٧١٧ ..... سابعاً: فهرس الأشعار
- ٧٢٠ ..... ثامناً: فهرس الأماكن
- ٧٢٦ ..... ثامناً: فهرس الأحكام الفقهية
- ٧٢٤ ..... عاشراً: فهرس الآداب
- ٧٢٨ ..... حادي عشر: فهرس المعائل
- ٧٣١ ..... ثاني عشر: فهرس البدع
- ٧٣٣ ..... ثالث عشر: كتب المصادر والمراجع
- ٧١٥ ..... رابع عشر: المحتوى

